
٥٣
الهلال
يناير - فبراير ١٩٤٥

الهلال

صاحباها : اميل وشكري زيدان

رئيس التحرير : اميل زيدان

الجزء الأول ـ السنة ٥٣

يناير ـ فبراير ١٩٤٥ ـ ربيع الأول ١٣٦٤

عنوان المكاتبات :

دار الهلال : مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

(January - February 1945)

قيمة الاشتراك

٥٠ قرشاً في مصر والسودان

٧٠ « في الخارج أو ما يعادلها ٣٫٧٥ دولار

٥/١٥ جنيه انجليزي

Subscription Rates : Egypt and Sudan P.T. 50. — Other countries P.T. 75 or £-/15/5 or $3.75.



جلالة الملك فاروق فى الحلة العربية التى أهداها إليه جلالة الملك عبد العزيز بن سعود أثناء زيارته للمدينة المنورة . ويسر الهلال أن تحلى صدرها بهذه الصورة الجميلة لهذه المناسبة ، ولمناسبة الاحتفال بالعيد الخامس والعشرين لميلاده المجيد [تصوير ستوديو رياض شحاتة]

مصير ألمانيا النازية بعد الحرب

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

مدير رقابة النشر

ان كل حل يقترح لتقرير مصير ألمانيا النازية لن يكون له فائدة عظيمة ما لم يستند الى خطة تضمن بقاء التعاون بين الأمم المتحدة . فالى انشاء مثل هذه الخطة وتدعيم مثل ذلك الاجراء يجب أن ينصرف التفكير وتتجه الجهود

لو أننا سألنا بطلا من الغزاة الفاتحين فى العصور الغابرة ، ماذا تصنع بعدوك بعد أن تقهره وتظفر به ، لما وجد هذا البطل صعوبة فى أن يرد على سؤالنا بعبارة مختصرة وجيزة ولكنها شافية وافية بالغرض . ليس من شك فى أن هذا البطل لن يأمر بتأليف لجنة أو بعقد مؤتمر ، ولن تكون هنالك اجتماعات بين الأقطاب ، فليس هنالك قطب سواه . ومن الجائز أنه يتنازل فيسأل وزيره : دبرنى يا وزير ! فيرد الوزير : التدابير لله يا ملك ! لم يكن الفتح والنصر فى ذلك الزمن مشكلة معقدة كما هو اليوم . فالعدو المهزوم ينكل به شر تنكيل ، كما أصاب دارا على يد الاسكندر . وأما السبى الذى يسبى فى أثناء الحرب ، فيباع كالرقيق فى الأسواق ، أو يهدى الى الأبطال الغزاة . وأما الاراضى فتضم الى ممتلكات الفاتح المنتصر ، وأما سكانها ، فيصبحون رعاياه وأتباعه بعد أن كانوا رعايا عدوه المهزوم . وربما زال بيت من البيوت المالكة زوالا تاما من الوجود وشرد أفراده فى جميع الانحاء . أو ربما هربوا الى أرض بعيدة ، ينتظرون الفرص ويتربصون بعدوهم الدوائر

كانت الحرب فى ذلك الزمن أيسر مما هى اليوم ، والنصر أهون خطبا مما هو اليوم . ولقد يعجب المرء من أن يكون النصر الباهر مشكلة تتطلب حلا ، ومعضلة تستدعى انعام النظر والامعان فى التفكير . ولكن لا شك فى أن هذه هى الحال فى زماننا هذا ، فقد أصبح الانتصار الساحق فى ميدان القتال مشكلة لا تقل خطرا عن الحرب ذاتها . ولذلك فان الحل الجديد لن يكون بينه وبين الحالة القديمة سوى مشابهة سطحية

فأما التنكيل بالعدو ، فلن يكون له أثر الا فى محاكمة المجرمين الذين يثبت التحقيق ادانتهم فى أمور خرجوا فيها خروجا شنيعا على القواعد التى تعارف عليها الناس ، والحرمات التى تقضى الأوضاع الدولية برعايتها . ولكن هذه المجازاة لن تحدث الا بعد محاكمة ، يسمح فيها لكل متهم بأن يدافع عن نفسه ، وأن يدرأ التهمة بشهادات الشهود . وبعد

الحرب العالمية الاولى كانت النية معقودة على التنكيل بالمجرمين ، وعلى رأسهم القيصر نفسه ، فلاذ القيصر بالهرب الى هولنده ، ثم انتشرت عاطفة الرحمة والتسامح ، وقرر المنتصرون أن يتركوا محاكمة المجرمين من الالمان الى السلطات الالمانية نفسها تفعل بهم ما تشاء.
ولسنا نعرف على وجه التحقيق الى أى مدى ستنتشر عاطفة الرحمة والتسامح بعد هذه الحرب ، ومع التسليم بأن فظائع هذه الحرب أعظم وأشنع مما حدث فى الحرب الماضية ، فاننا لا نعرف اذا كان هذا راجعا الى طبيعة الحرب والعدد الحربية المبتكرة أو الى ازدياد الجرائم التى أرتكبت فيها مخالفات خطيرة

على أن مشكلة التنكيل بالعدو ليست بذات شأن خطير ، وانما ذكرناها للمقارنة بين ما كان يحدث فى الأزمنة القديمة وما يجرى فى زماننا هذا . كذلك الحال فى أمر الأسرى ، فانهم اليوم ينزلون منازل طيبة ، ويعاملون برفق ، ويتناولون الغذاء والكساء الذى يلزمهم ، ويعنى بهم الاطباء والممرضات اذا أصابهم سقم . ثم بعد أن تنتهى الحرب يردون الى أوطانهم وديارهم أحرارا

بقى أمر الديار وسكانها من رعايا العدو المهزوم ، ولا شك أن هذا الموضوع هو أجل خطرا وأعظم شأنا من أى اعتبار آخر ، وهنا أيضا تجد الاختلاف عظيما والبون شاسعا بين الحالة التى كانت تسود العالم القديم ، والتى تسود العالم الآن . فليس بين الدول المتحدة فرد واحد يرى أن تفرض على الشعب الالمانى حكومة أجنبية . من الجائز أن يفرض نوع من الاحتلال العسكرى الكلى أو الجزئى على ألمانيا ، ولكن هذا الاحتلال سيكون فى الغالب مؤقتا ، وهو على كل حال لن يتولى حكم الشعب الالمانى ، بل ستتولاه حكومة ألمانية صرفة . فقد مضى الزمن الذى كان فيه الفاتح المنتصر يضم الى ممتلكاته أقطار عدوه . وقد حاولت الحكومة النازية نفسها أن تمضى على السنة القديمة ، بأن ضمت أراضى تشيكوسلوفاكيا وجعلتها تحت « الحماية » الالمانية فى مارس ١٩٣٩ ، ولا شك فى انها قد تعرضت بهذا العمل الى سخط الشعوب المتمدنة ونقمتها . وبعث فى النفوس الكراهية للحكومة النازية خاصة وللشعب الالمانى الذى يؤيدها بوجه عام

اذن ليس فى برنامج الدول المتحدة أن تتولى حكم البلاد الالمانية . وكل ما يسعى اليه أولو الرأى المسئولون من الحلفاء ، هو العثور على وسيلة يستطيعون بها أن يجعلوا ألمانيا عاجزة كل العجز الى زمن طويل عن أن تشن حربا أخرى . فهى تريد لالمانيا وللشعب الالمانى أن يحيا وأن ينعم بالعيش الرغد ، على شرط أن يظل عاجزا عن ارتكاب العدوان فى المستقبل

لقد كان هذا الهدف هو هدف الحلفاء أيضا بعد الحرب العالمية الاولى ، وقد فرضت على ألمانيا شروط فى ذلك الوقت تضمن ـ اذا هى نفذت ـ أن تظل ألمانيا عاجزة عن اثارة الحروب ، ولم تفشل تلك التدابير لانها تدابير قاصرة أو خاصة . بل فشلت لان الحلفاء تخاذلوا وتنافروا وسمحوا لالمانيا بأن تتدجج بالسلاح تحت سمعهم وأبصارهم

ويحق للمرء أن يقول اليوم قياسا على ما حدث من قبل ، أن خير ضمان يكفل ان تظل ألمانيا عاجزة عن اثارة الحروب ، هو بقاء التضامن والتحالف بين الأمم المتحدة . وهذا من غير شك صحيح ، ولكن المسئولين عن مستقبل العالم لا يكتفون بمثل هذا الامل وان كان أملا قريب التحقيق ، ويرون من الضروري اتخاذ اجراءات خاصة بالشعب الالماني نفسه منذ الآن . ومن هنا نشأت اقتراحات كثيرة أدلى بها عدد من الرجال المسئولين ونريد هنا أن نعرض طائفة من هذه المقترحات التي كانت موضع بحث وجدل في الايام الاخيرة

ان جميع هذه المقترحات تفترض أن ألمانيا ستضطر الى التسليم من غير قيد ولا شرط . فيستطيع الحلفاء أن يفرضوا عليها ما يشاءون من الشروط ، وأن يكرهوها على قبول أية خطة وأي اجراء يريدونه

ولا نريد هنا أن نشك في مقدرة الحلفاء على حمل ألمانيا على التسليم من غير قيد ولا شرط . فان طلائع الاحوال تدل صراحة على أن ألمانيا لن تستطيع طويلا مقاومة هذه الضربات العنيفة من الشرق والغرب . ولكن من الجائز أن الهزيمة التامة لالمانيا تستلزم وقتا وجهودا وتضحيات أخرى ، ترى القيادة العليا للحلفاء توفيرها ، اذ لا يزال أمامها جهود جبارة لا بد أن تبذل في محاربة اليابان . ولذلك ذهب بعض الكتاب الى أن قاعدة التسليم بلا قيد ولا شرط ، قد تعدل قليلا أو يعدل عنها تماما حقنا للدماء . وسيدعو هذا حتما الى تعديل كثير من المقترحات الخاصة بمعاملة ألمانيا المهزومة

ان الغرض الاول الذي يرمي اليه الحلفاء هو خلق ألمانيا جديدة تعيش في أمن وسلام مع جميع الدول ، دون أن تلجأ الى استخدام القوة في تحقيق أي غاية أو مأرب. ولتحقيق هذا الغرض قد اقترح القضاء على النظام النازي ، والقضاء على الروح العسكرية البروسية أو التيوتونية ، وهذا الاجراء يجيء بالطبع بعد نزع سلاح ألمانيا كله ، وتجريدها من كل عدة حربية مما يتصل بالحرب في البحر أو البر أو الجو

ويكفي أن نتأمل الصعوبات التي تحول دون تنفيذ هذا الاجراء الاخير على الوجه الاكمل ، لكي يبدو لنا أن المشكلة ليست هينة ، فقياسا على ما حدث في الحرب الماضية سيتمكن الحلفاء من تجريد ألمانيا من الاسلحة الضخمة ، ومن السفن والطائرات والدبابات والمدافع الكبيرة . ولكن تسريح جيوش عظيمة على أثر الهزيمة سيصحبه قليل من الفوضى .. فيتمكن ملايين الجند من أن يأخذوا معهم الى بلادهم عددا عظيما من البنادق والمدافع الصغيرة ، تستخدم عند سنوح الفرصة في اثارة الشغب والاضطراب

أما القضاء على النظام النازي فهو كذلك ليس بالامر الهين .. كانت ألمانيا في عهد القيصر أهون شأنا مما هي في عهد الزعيم هتلر . فقد بث النظام النازي بهمة وجد ، حتى تغلغل في نفوس الشعب ، وأصبح ضربا من الهوس ، المتحكم في العقول ، المتسلط على الافئدة . فاذا أريد القضاء على النظام النازي ، فان هذا العمل لن يعدو القبض على

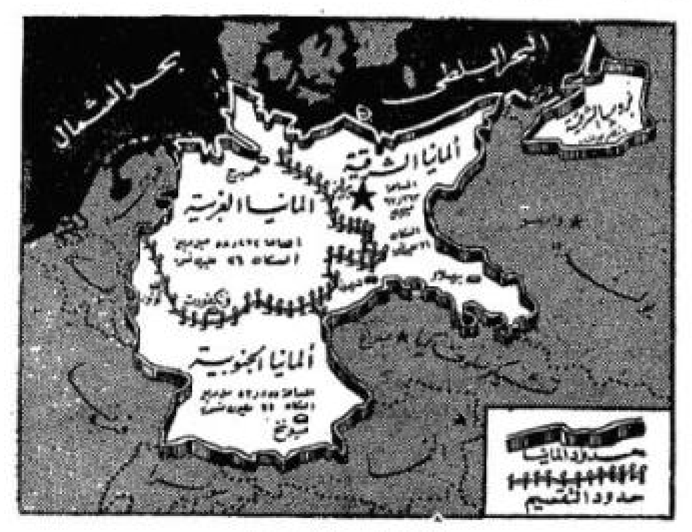
بعض القادة ، وعزل الآخرين وابعادهم عن الحكم ، واقامة نظام جديد مكانه ذى صفة ديمقراطية . ولن يكون هذا النظام محبوبا من جماهير الامة الالمانية ، لانه نظام فرضه العدو المنتصر ، وأقيم تحت ظل الاحتلال الأجنبى . وهكذا سيكون القضاء على النازى - على أحسن الفروض - عملا سطحيا لا يمس صميم الشعب ولا يصلح ما أفسدته الدعاية النازية

والقضاء على الروح العسكرية فى ألمانيا لا يقل صعوبة ، بل لعله أصعب ، من القضاء على النظام النازى . لان القضاء على « روح »أشق بكثير من القضاء على « نظام » . ويخطىء كثير من الناس اذ يتوهمون أن الروح العسكرية فى ألمانيا تستند فقط الى وجود طبقات من الزعماء تسمى « يونكر » . وهم عادة من أصحاب الضياع فى بروسيا - وعلى الاخص فى بروسيا الشرقية - وهم جماعة لا تزال تجرى فى قلوبهم روح فرسان القرون الوسطى الذين كانت حرفتهم الاغارة والنهب والسلب ، والتحكم فى سائر الطبقات . ولكن الخطر الحقيقى ليس فقط فى وجود هذه الجماعة ، بل فى خضوع الشعب الالمانى ، وحبه للنظام وللطاعة العمياء . وهو لا يكون سعيدا الا اذا كان بين يدى قادة يأمرونه ويسيرونه ، فينفذ ارادتهم بدقة واذعان . هذه الصفة جعلت الشعب الالمانى تحت رحمة قادته يوجهونه حيثما شاءوا . فالقضاء على الروح العسكرية يستتبع حتما اجراءين ، وهما كسر شوكة الطغمة الارستقراطية ، وتلقين الشعب الالمانى روح الاستقلال والتفكير لنفسه ، ونقد رؤسائه ، وكلا العملين اجراء شاق ليس من اليسير تحقيقه فى زمن وجيز

من أجل ذلك اتجه التفكير الى اجراءات أخرى ومقترحات ذات صبغة تنفيذية . منها الاقتراح الذى كان موضع أخذ ورد زمنا طويلا ، وهو تدمير جميع المصانع فى ألمانيا من أولها الى آخرها ، وتحويل البلاد الى قطر زراعى صرف ، ليس فيه مصنع واحد ، حتى ولا مصانع الجعة الشهيرة فى مونيخ ، التى قد تحول فيما بعد الى مصانع للمدافع أو الغازات السامة . عند ما عرض هذا الاقتراح للمرة الاولى صفق له كثير من الناس . واعلنوا ان هذه وسيلة ناجعة ، وان من الصعب على ألمانيا أن تخالف هذا الاجراء ، لان بناء المصانع بعد تدميرها سيلفت الانظار . وان ألمانيا من غير مصانع كالافعى من غير أنياب ولا سم ، وان من الواجب ألا يكون هنالك استثناء قط فى تنفيذ هذه الخطة . فقد أثبتت التجارب أن من الممكن تحويل المصانع من أعمال السلم الى أعمال الحرب فى وقت وجيز

وهكذا مضى أصحاب هذا الاقتراح فى تحبيذ اقتراحهم ، وأنصت اليهم فترة من الزمن طائفة من قادة الأمم المتحدة . ولكن هذه الفكرة البراقة لم تلبث أن فقدت بريقها ، ولم يلبث القادة أن نبذوها ، وذلك لانهم ذكروا أن الصناعات فى ألمانيا هى مورد الرزق لنصف أو ثلث الشعب على أقل تقدير . فاذا حرموا الرزق فلا بد للحلفاء أن يواجهوا احدى خطتين : اما القضاء على ثلث الشعب الالمانى ، أو امداده بالمؤن والاغذية التى تلزمه لكى يعيش . وليس لدى الحلفاء استعداد لمواجهة احدى الخطتين . ولذلك رأينا

هذا الاقتراح يتضاءل ويتدرج من القضاء على جميع الصناعات الى تحريم بعض الصناعات فقط ، ثم الى الاكتفاء بمراقبتها لمنعها من انتاج العدة الحربية . وهذا الاجراء الاخير هو ما يمليه العقل ، ولكنه يتطلب السهر والتفتيش بواسطة هيئة لا تغفل ولا تنام ، ومعنى هذا أن الامم المتحدة يجب أن تظل دائما متحدة



الخريطة التي رسمها المستر سمنر ولز

ننتقل الآن الى الاقتراح التالى ، الذى رسم من أجله مستر سمنر ولز ، هذه الخريطة الجميلة . ومؤلف الاقتراح كان من قبل وكيلا لوزارة الخارجية الامريكية ومن المطلعين على بواطن الامور وظواهرها . وقد رأى جنابه أن كل خطة ترسم لجعل ألمانيا دولة مسالمة ستبوء بالفشل ، ما دام الشعب الالمانى قويا ضخما كما هو الآن ، ويحتل جميع المساحة التى يحتلها الآن ، ويحتكم فى هذه الموارد المادية الموزعة فى الوطن الجرمانى العظيم . ولذلك كانت خطته ترمى الى تقسيم ألمانيا الكبيرة الى ثلاث دول صغيرة . ويشتمل اقتراح هذا السياسى الخطير على الاجراء الآتية :

١ ــ تسليم بروسيا الشرقية لبولنده ، وكذلك الممر البولونى ودانزج . ومعنى هذا اقتطاع جزء من ألمانيا وتسليمه الى بولنده ، وفى هذا الاجراء تعويض لبولنده عن تعديل حدودها الشرقية لمصلحة روسيا من جهة ، وحل لمشكلة الممر البولونى وميناء دانزج من

جهة أخرى . وربما اشتمل هذا الاجراء على نقل عدد من الالمان من بروسيا الشرقية الى ألمانيا .. وليس فى نقل دانزج وبروسيا الشرقية الى بولنده أمر مستحدث ، فلقد سبق للبولنديين أن كانت أوطانهم تشتمل على هذا القطر بالرغم من جرمانيته . ومن الممكن أيضا أن يقال – تبريرا لهذا الاجراء – ان الفرسان الجرمان قد استولوا على بروسيا الشرقية بحد الحسام ، فليس من الظلم أن يجلوا عنها اليوم بحد الحسام

٢ – الجزء الثانى من اقتراح المستر ولز هو انشاء دولة شرق ألمانيا ، وهى موضحة فى الخريطة، وتشتمل على المدن الشهيرة برلين وبرسلاو ودرزدن: وسكانها واحد وعشرون مليونا من الانفس ، ومساحتها نحو ٦٧٫٧٨٣ ميلا مربعا

٣ – ثم دولة ألمانيا الغربية ، وسكانها ٢٦ مليونا من الانفس ، ومن مدنها الشهيرة فرانكفورت وهامبرج وهانوفر (العاصمة !) وهى تمتاز بأنها تطل على البحر البلطى والشمالى فى آن واحد . وأنها غنية بثروتها المعدنية

٤ – ثم ألمانيا الجنوبية ، ومساحتها ٥٢٫٨٥٥ ميلا مربعا ، وسكانها ٢١ مليونا من الانفس . وهى لا تطل على البحر ، ولكن المؤلف الفاضل قد جعل لها امتدادا غربيا يجعلها تشتمل على جزء عظيم من نهر الرين ، وموانئه الشهيرة مثل كولونيا ، وهذا يضمن لها الاتصال بالعالم الخارجى ، ومن أشهر مدنها مونيخ وشتوتجارت ، وكلاهما يصلح لان يكون عاصمة لالمانيا الجنوبية

وبالطبع سيتبع هذا الاجراء فصل النمسا عن ألمانيا بتاتا ، وبذلك يكون الاقتراح متضمنا تقسيم ألمانيا الى خمسة أقسام ، ولا شك أن من الممكن للامم المنتصرة اثناء احتلالها أن ترغم قادة ألمانيا على الاذعان لهذه الخطة وتقسيم ألمانيا على هذه الصورة. ولكن نجاحها الحقيقى انما يقاس بدوام هذا التقسيم واستمراره ، وهذا لا يتم الا اذا كان هنالك سلطة خارجية تحول دون انضمام هذه الدول بعضها الى بعض ، أو تحالفها تحالفا يجعلها فى حكم دولة موحدة السياسة والهدف والاغراض ، ولقد أمكن للحلفاء أن يفصلوا النمسا عن ألمانيا بعد الحرب الماضية ، وهى لم تكن فى يوم من الايام جزءا من الدولة الالمانية ، ولكنهم مع ذلك عجزوا عن منعها من الانضمام الى ألمانيا فى عام ١٩٣٨

وهكذا نرى الخطط المختلفة يدلى بها ذوو الرأى فى مختلف الاقطار ، وهى لا تخلو من حصافة وبراعة فى العرض والتحليل . ولكنها مهما اختلفت ترجع دائما الى حقيقة أساسية ، وهى أن كل حل يقترح لتقرير مصير ألمانيا النازية لن يكون له فائدة عظيمة ما لم يستند الى خطة تضمن بقاء التعاون بين الامم المتحدة . فالى انشاء مثل هذه الخطة وتدعيم مثل ذلك الاجراء يجب ان ينصرف التفكير ، وتتجه الجهود

محمد عوض محمد

مطالب المؤتمر النسوي سابقة لأوانها

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

نعم هي سابقة لأوانها

وربما لم يكن لها أوان فى مستقبل قريب ولا بعيد

وبيان ذلك انها تتلخص فى طلب التسوية بين الرجال والنساء فى الاجور كلما اشتغلوا بصناعة واحدة ، وطلب التسوية بينهم فى حقوق الانتخاب وحقوق النيابة ، وطلب التسوية بينهم على الاجمال فى جميع الحقوق والتكاليف الاجتماعية ، ومنها الوظائف العامة

ومن الواضح أن الصناعات عندنا نحن الشرقيين لا تزال فى نشأتها الاولى ، فليس لدينا صناعات كبرى ولا صناع متفوقون فى شعابها المختلفة ، وبيننا وبين اليوم الذى تكثر فيه الأيدى العاملة فى تلك الصناعات الكبرى مسافة من الزمن نرجو ألا تطول ، وليس من المنظور أن تلجأ المرأة الى مزاحمة الرجل على تلك الصناعات قبل أن توجد وتتشعب وتستقر على نظام معروف ، ومن اليوم الى أن تزدحم المصانع الكبرى بالمتنافسين عليها من الجنسين فرجة من الوقت تتسع للتريث والانتظار

أما حقوق الانتخاب وحقوق النيابة فهى مرهونة بتقدم الأمة فى طريق الحياة النيابية والتقاليد الدستورية ، ونحن بعد فى بداية هذه الحياة لم نفرغ من مرانة الرجال عليها فضلا عن مرانة النساء . وحسبنا أن الاحزاب عندنا لم تنقسم بعد على حسب المطالب الوطنية الداخلية ولما تزل منقسمة على حسب الموقف الذى وقفته أول الامر من السياسة الخارجية ، أو من علاقتنا ببريطانيا العظمى على التخصيص وعلاقتنا بالدول الاجنبية على التعميم

ومع ان المطالب الوطنية الداخلية عندنا لم تستول بعد على برامج أحزابنا نلاحظ حتى الساعة أن الثقة بالاحزاب لا تزال تابعة للثقة بالزعماء والمرشحين للنيابة . فيتفق فى حى واحد متشابه السكان أن يفوز بالنيابة مرشحان أحدهما من المعتدلين والآخر من المتطرفين ، ولا يحصل هذا بيننا كما يحصل فى البلدان الاوربية حيث يختلف المرشحان عن الحى الواحد لان بعضه سكن للعمال مثلا وبعضه الآخر سكن للتجار والملاك . وانما تختلف الثقة بنوابنا على حسب الثقة بأشخاصهم ومعرفة الناس بماضيهم وحاضرهم ، ولا يعقل أن تكون هذه المرحلة من حياتنا النيابية صالحة لانتخاب النساء وهن لم يخرجن بعد من عالم الحجاب الى عالم السفور والمشاركة فى الاعمال ، ولهذا كان قصارى حظ المرأة من تعديل الدستور وقانون الانتخاب أن تنتخب هى النواب من الرجال فهى لا تستقل بالتشريع بعد ذلك على أية حال ، وسيمضى زمن طويل قبل أن تستقل به فى

المجالس النيابية ، لانها ستصل الى تلك المجالس قلة لا تكفى لاجازة قانون واحد بغير موافقة الرجال

أما المساواة فى جميع الحقوق والتكاليف الاجتماعية فهى خطوة تأتى — ان أتت — بعد خطوات طوال . اذ لا بد قبل تقرير هذه المساواة من التسوية بين الرجل والمرأة فى مسائل النفقة والولاية على الأسرة ، ومن التسوية بينهما فى الجندية والفرائض الوطنية التى من قبيلها . ولا معنى للتسوية بين الجنسين فى الحقوق والتكاليف الاجتماعية قبل التسوية بينهما فى التجنيد وكفالة الأسرة، وقبل الغاء الفوارق التى تستفيد منها النساء الآن

فمطالب المؤتمر النسوى سابقة لأوانها ما بقيت حالة المجتمع الشرقى على ما هى عليه. ولكننا نعود فنقول انها ستبحث عن أوانها فى المستقبل القريب أو المستقبل البعيد فلا تهتدى اليه . لاننا لا نستبعد أن تؤول التجارب الاوربية التى تجرى فى العصر الحاضر الى تصحيح مركز الجنسين فى الحياة العامة ، فتعدل المرأة هناك عن الشواغل السياسية التى لا تلائمها وتنحصر جهودها الاجتماعية فى صناعات نسوية يتركها لها الرجال وتتوفر هى على اتقانها والتفرغ لها ، لانها أقرب الى طبيعتها

فاذا جاء اليوم الذى تنتقل فيه الأمم الشرقية الى الاطوار الاجتماعية والاقتصادية الغالبة على أمم أوربا فى عصرنا الحاضر كانت أمم أوربا نفسها قد تحولت مع تجارب الاصلاح الى حالة انفع للجنسين معا من حالة التزاحم على المجالس النيابية وعلى المصانع والاسواق ، وكان تقسيم العمل قد بلغ عندهم حد التمييز بين أعمال الرجال وأعمال النساء . فتنفرد المرأة بالاشراف على البيت وتربية الجيل المقبل واتقان الصناعات التى تجيدها وتستطيعها وتترك للرجل ما عدا ذلك من شواغل السياسة والصناعة ومرافق الحياة العامة على الاجمال

واذا تم ما ننتظره من هذا التحول فى الأمم الاوربية تكون المرأة الشرقية قد وصلت الى المسرح فى ساعة اختتام الرواية وانفضاض النظارة . . فتبحث عن أوان المطالب النسوية يومئذ ولات ساعة أوان

والذى يدعونا الى هذا الرجاء — أو هذا التوقع — أن المرأة لم تفد شيئا من دخولها المجالس النيابية ولا من ترشيحها النواب للدخول فيها ، وليس من المنظور أن تملك النساء كثرة كافية للاستقلال بالتشريع فى مجلس من مجالس العالم بأسره ، فقصاراها اذن أن تتوسل بالاقناع والمودة لتقرير الشرائع التى تريدها ، وهى قادرة على ذلك بغير انتخاب وبغير نيابة ، وبخاصة حين تتعلم وتشيع المعرفة بين أبناء الأمة كافة . وخير لها اذن أن تدخر الوقت الضائع فى الشواغل السياسية لتصرفه الى أعمال الاصلاح والخير التى هى أقدر عليها من الرجال

وليس بالعسير على المصلحين فى المستقبل القريب أن ينظموا العمل تنظيما معقولا يتيح للمرأة أن تكسب رزقها ، حيث تحتاج الى الكسب ، من صناعات بيتية لا تعوقها عن

واجباتها النسوية ، وأن تقصر هذه الصناعات عليها شيئاً فشيئاً حتى يأتى اليوم الذى يمتنع فيه على الرجال أن يشاركوها فى صناعة منها، وبلوغ هذه المرحلة من الاصلاح الاجتماعى مصلحة يسعى اليها الرجل كما تسعى اليها المرأة. وهى متى كانت ميسرة مطلوبة وصلت اليها الأمم دون أن تخرج المرأة من نطاق البيت الى ميدان السياسة ومعمعة الاحزاب

ان المطالبة بالحقوق نوبة من نوبات الزمن الحديث طغت على عقول الناس بعد ثورات القرن التاسع عشر التى طلبت بها الأمم حقوقها من العواهل المستبدين . فشاعت المطالبة حيث توجد الحقوق وحيث لا توجد ، وأصبحت المطالبة غرضا مقصودا لذاته وان لم يوجد الحق المطلوب . وكثيرا ما تمضى المطالبة فى طريق غير طريقها المفهوم ، ثم يتقاصر بها السعى دون الوصول . ويبدو لنا أن بعض المطالب النسوية فى الشرق وفى الغرب من هذا القبيل ، وانها تبتدىء بالمطالبة وتنتهى بالمطالبة ، لانها هى الغاية التى تدور على نفسها. وسنرى مصداق ذلك عما قريب

لكن الحقيقة التى لا خلاف عليها ان للنساء حقوقا مهضومة قد سلبت فيما مضى لانها حقوق ضعفاء لا لانها حقوق المرأة على التخصيص ، ومنها ما يرجع الى تعدد الزوجات وحرية المرأة فى اختيار الزوج وطلب الطلاق وحضانة الامهات للاطفال

وانما علينا أن نذكر — حينما نذكر هذه الحقيقة — ان المسألة هنا مسألة تنفيذ لا مسألة تشريع . فالشرائع التى تحرم مضارة الزوجات والأمهات موجودة فى البلاد الشرقية والاسلامية لا يمنع المرأة أن تستفيد منها الا سوء التنفيذ والتطبيق ، وان سوء التنفيذ والتطبيق لن يزول من المجتمع بتشريع جديد ، لان التشريع الجديد لن ينفذ على الوجه النافع ما دامت الآفة سارية حيث تسرى فى الاخلاق والعادات والتقاليد

علينا ان نذكر هذا وعلينا أن نذكر معه أن الآفة ان كانت من الاخلاق والعادات فالمرأة شريكة فيها تسيء الى الرجل كما يسيء اليها وتنغص حياته كما ينغص حياتها

ولا ضير فى هذه الحالة من اعادة الشريعة القديمة فى صورة محدودة تعين على تنفيذها وتضيق مجال الخلاف عليها ، ولكن الجهد الاكبر انما ينبغى ان ينصرف الى تثقيف العقول وتهذيب الاذواق واستحضار الواجبات دائما عند ذكر المطالب والحقوق . فما من طالب حق فى العصر الحديث الا وهو يريد أن يأخذ ولا يعطى وأن يدين المجتمع ولا يدان ، ولو أنه ذكر واجبه كما ذكر حقه لاستغنى عن نصف الطلب ان لم يستغن عن الطلب كله ، لان الحقوق لا تضيع حيث تؤدى الواجبات . وانما تضيع الحقوق والواجبات معا حين يذكر حق ولا يذكر واجب ، وحين نطلب من غيرنا ولا نطلب من أنفسنا ، وحبذا لو طلبت المرأة من نفسها كثيرا فى عصرنا هذا قبل ان تطلب القليل من غيرها . فهى هنا تملك ان تطلب وتملك ان تجاب

عباس محمود العقاد

قضية فلسطين هي قضيـة العرب

بقلم الأستاذ اميل زيدان

لا يسع المتأمل فى أخبار فلسطين هذه الايام الا الاقتناع بأن حالتها جد خطيرة قد تسفر بين عشية وضحاها عن جسام الحوادث

وقد صدق السير رونلد ستورز حاكم القدس الاسبق بقوله أخيرا : « ان فلسطين أشد بلدان الشرق الاوسط تعرضا للاضطراب وأكثرها توليدا للارتباك فى المستقبل »

ولقد تفاقمت مساعى اليهود فى أقطار العالم ولا سيما فى البلاد الانجلوسكسونية حيث لهم مكانة ممتازة وسطوة ونفوذ فى عالمى المال والصحافة على الخصوص . فكلما اقتربت الحرب من نهايتهـا المحتومة تحركت جحافل الدعاية اليهودية تستميل الناس بمختلف الاساليب الى العطف على القضية الصهيونية

ولا بد من الاعتراف بأن تلك الدعاية المحكمة قد نجحت نجاحا غير يسير ، كان من ثماره بعض التصريحات العجيبة التى ألقاها نفر من كبار الساسة فى أمريكا وانجلترا لمصلحة الصهيونية . ولعل أعجبها جميعا ذلك القرار الذى جاء انه طرح للبحث فى مؤتمر حزب العمال الأخير ومؤداه — الى جانب فتح أبواب الهجرة لفلسطين بدون قيد — أن يطلب الى مصر وشرق الاردن وسوريا النزول عن بعض أراضيها حتى تسع فلسطين لمهاجرى اليهود من أقطار العالم جميعا

فينبغى اذن اتخاذ خطوات عاجلة لمقابلة المساعى الصهيونية بمثلها وعرض وجهة النظر العربية على العالم . يجب أن تهب الشعوب العربية — ومصر فى المقدمة — للدفاع عن العرب الفلسطينيين كما هب اليهود فى جميع الاقطار للدفاع عن الصهيونية

فالآن وقت العمل ، والآن وقت المساومة المجدية . اما اذا تركت الامور الى ما بعد الحرب فقد تضيع الفرصة ، ولا تكون الاحوال مواتية

ولم يكتف الصهيونيون بالسعى السياسى وبث الدعاية، بل عمدوا الى التسلح على صورة واسعة . فليس يخاف أن لدى يهود فلسطين أسلحة وافرة معظمها من أحدث الانواع هربت اليهم من جهات مختلفة وما زالت تأتيهم بدون انقطاع

وقد أنشأوا هيئات ارهابية ذات أنظمة عسكرية شبيهة بالفاشستية ، ولا شك أن بينهم طائفة من المغامرين الفدائيين الذين لا يحجمون عن المجازفة بحياتهم عند الاقتضاء — كما دلت على ذلك الحوادث الاخيرة

قضية فلسطين هى قضية العالم العربى

ان مصير فلسطين يهم جميع البلاد العربية بل يرتبط بصميم كيانها . فالعناية بها ليست من قبيل العطف « الافلاطونى » أو المناصرة الكلامية

ان نظرة الى الخريطة تكفى للاقتناع بأن فلسطين بمنزلة مركز الدائرة للعالم العربى . فهى ــ فضلا عن مكانتها المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين على السواء ــ جسر المواصلات بين البلاد العربية والطريق الذى لا غنى عنه للجمع بين المصرى والعراقى والسورى واللبنانى وغيرهم من أبناء العربية

فلن تقوم للوحدة العربية قائمة ما لم تحتفظ فلسطين بصبغتها العربية ويؤمن أهلها العرب على مستقبلهم

ثم ان المطامع الصهيونية لا تقف عند حدود فلسطين بل ان برنامج الصهيونيين يشمل السيطرة ــ المالية والاقتصادية فى الاقل ــ على الجانب الاكبر من الشرق العربى ــ بعد أن يستقروا طبعا فى فلسطين وتصبح لهم فيها الاكثرية

وعرب فلسطين هم أقرب الجيران الى مصر . وقد خضعت بلادهم لمصر فترة غير قصيرة فى أيام محمد على الكبير ، وما زال الفلسطينيون يذكرون عهد ابرهيم باشا وعدله المشهور . وفى فلسطين آثار مصرية من مختلف العهود وجاليات وعائلات مصرية كبيرة

من وعد بلفور الى الكتاب الأبيض

ليس بين المشاكل العالمية مشكلة ظهر فيها وجه الحق مثل ظهوره فى مشكلة فلسطين ــ ولم تكن فلسطين قبل الحرب الماضية وحدة جغرافية أو سياسية ذات كيان مستقل ، بل كانت قسما من ولاية سورية العثمانية ، أو هى فى الواقع ــ كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية ــ الثلث الجنوبى لسوريا

وقد ظل الصهيونيون يبذلون المساعى ويعقدون المؤتمرات لانشاء وطن قومى يلم شتاتهم فلما كانت الحرب الماضية اتفقت مصلحة الانجليز ومصلحة الصهيونيين : اما مصلحة الانجليز فرغبتهم فى إيجاد نقطة ارتكاز فى الشرق الادنى وتأمين قناة السويس من الشرق ، واما مصلحة الصهيونيين فالاعتماد على دولة قوية لتنفيذ أغراضهم . فكان وعد بلفور

على أن وعد بلفور لم يرم الى جعل فلسطين دولة يهودية وانما صرح بأن يكون لليهود فى فلسطين وطن قومى . وقد برت بريطانيا بما وعدت بل حققت أكثر مما وعدت

فان نسبة اليهود فى فلسطين كانت نحو ٦ أو ٧ فى المائة قبل الحرب الماضية فأصبحت الآن نحو ٣٣ فى المائة . وهذه الارقام وحدها كافية لبيان ما كسبه الصهيونيون

وقد تقلبت على القضية الفلسطينية بعد وعد بلفور أدوار كثيرة ليس يتسع المجال لسردها الى أن كانت الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ــ١٩٣٨) حيث عقد على أثرها مؤتمر

لندن الذى مثلت فيه فلسطين والدول العربية ، ولما لم يتفق المجتمعون على صيغة ترضى الجميع أصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض بتاريخ ١٧ مايو ١٩٣٩ وافق عليه البرلمان وارتبطت به انجلترا وتعهدت بتنفيذه سواء أقبله العرب واليهود أم لم يقبلوه

ومضمون الكتاب الابيض :

١ ــ عدم تجاوز النسبة الحاضرة فى العدد بين العرب واليهود

٢ ــ منع بيع الاراضى لليهود الا فى مناطق معينة

٣ ــ وقف الهجرة اليهودية بعد مارس ١٩٤٤

٤ ــ اعادة النظر فى المسألة الفلسطينية بعد عشر سنوات بغية انشاء حكومة ذات استقلال ذاتى

والواقع أن سواد العرب فى فلسطين يرتضون الكتاب الابيض أساسا للتفاهم مع اشتراط النزاهة فى تنفيذه . اما الصهيونيون فلم يقبلوه ولن يرضيهم الا انشاء دولة يهودية يسيطرون على مصيرها ــ بل لقد قال أحدهم انهم يريدون أن تصبح فلسطين يهودية مثلما انجلترا انجليزية

الى أى حد نجح الصهيونيون ؟

فى فلسطين اليوم نحو ١٫٢٠٠٫٠٠٠ عربى (ولفظ «عربى» يطلق على المسلم والمسيحى على السواء ، اذ انهما متضامنان تمام التضامن) ونحو ٦٠٠٫٠٠٠ يهودى (وهو أكثر من الرقم الرسمى اذ لا شك أن عددا كبيرا من اليهود قد تسرب الى فلسطين بطرق غير شرعية)

فاما اليهود فخليط من جنسيات مختلفة ، وبرغم المساعى التى بذلتها الصهيونية لادماج الجميع فى قالب عبرانى واحد فما زالت ثمة فوارق جسيمة بين البولونيين منهم والروس واللتوانيين والرومانيين والالمان واليوغوسلاف الخ . .

بل انهم يؤلفون طبقات تتفاوت رقيا وفى أعلاها اليهود المنتمون الى بلاد انجلوسكسونية أو ألمانية . وهذه الطبقة العليا تنظر شزرا الى ما دونها . وأخشى ما يخشاه الصهيونيون حين تضع الحرب أوزارها أن يعود اليهود الوافدون من بلاد راقية الى مواطنهم التى نشأوا فيها وترعرعوا

وقد قامت الصهيونية كما لا يخفى بمساعدات مالية من يهود العالم أجمعين . ولا ينكر أنها بذلت نشاطا عجيبا وقامت فى بعض الاحوال بما يشبه المعجزات . على انه يحسن بنا الا نأخذ بالظاهر ، فلنحلل موقفهم من ناحيتى الزراعة والصناعة :

فاما الزراعة فلا يمارسها منهم الآن الا ٢٣ فى المائة . مع انهم زعموا ان غاية الصهيونية الاولى انما هى العودة الى الارض. أضف الى ذلك أن جانبا كبيرا من مشروعاتهم الزراعية ليس يجدى عمليا ، بل هو أشبه شىء بالمنشآت الخيرية التى لا تقوم الا على ما يأتيها من معونة خارجية

أما الصناعة فلا شك فى أن يهود فلسطين نجحوا أثناء الحرب الحاضرة ـ بمساعدة الحكومة الانجليزية ـ فى توسيع مصانعهم وانتاج أشياء كثيرة شحت فى الأسواق . وقد استفادوا فوائد جمة من هذه الناحية . غير أن من يمعن النظر فى هذا النمو السريع وفى الاحوال الاستثنائية التى تم فيها لا يسعه الا أن يبدى أشد التحفظ بشأن مصيره فى المستقبل حين ترفع المساعدة الحكومية وتفتح الأسواق للمصنوعات الاجنبية

حالة العرب الحاضرة

لقد سمع الناس كثيرا عن تقدم اليهود فى فلسطين ـ ولا عجب فاليهود أمهر من استخدم الدعاية وحذق أساليبها ـ ولم يسمعوا عن تقدم العرب الا نادرا ، فى حين أنهم قد ضربوا بسهم فى مختلف نواحى التقدم الاقتصادى والاجتماعى

ومن الانصاف أن نشير هنا الى أن تقدم العرب فى فلسطين لم يكن نتيجة للانتداب ولا للصهيونية ، بل يجوز القول انه تحقق على الرغم منهما . فالصهيونية قد حالت دون نمو العرب الطبيعى كما ان الانتداب قد منح اليهود أهم الامتيازات الاقتصادية . ولولا ذلك لتضاعف نشاط العرب ولآل اليهم استغلال الثروة الطبيعية فى تلك البلاد

ان تقدم العرب فى فلسطين قد تمشى جنبا الى جنب مع تقدم سائر الأقطار العربية فى العقود الاخيرة من السنين . وفيما يلى بعض البيانات نوردها على سبيل التمثيل لا الحصر

التربية والتعليم : ان عرب فلسطين من أكثر الشعوب ميلا الى نشر العلم والتعليم . ففى المدارس ما يزيد على ١٠٠٫٠٠٠ تلميذ وتلميذة من أبناء العرب . ويندر أن يوجد ولد أو بنت بين الخامسة والثانية عشرة لا يذهب الى المدرسة . وعندهم طبقة من طلبة الجامعات الشرقية والغربية . كما تخرج كثيرون فى أرقى المعاهد وتخصصوا فى مختلف العلوم والفنون

وقد أنشأوا من مالهم الخاص وبغير مساعدة خارجية عددا غير قليل من المدارس الثانوية والابتدائية والفنية . وذلك فضلا عن المدارس الحكومية التى يؤمها أبناء العرب

الصناعة : مع ان سواد العرب من المزارعين فانهم لم يهملوا الاشتغال بالصناعات . فهناك عدة مصانع ناجحة للسجاير ولعيدان الكبريت ، وأخرى للصابون وغيرها لزيت الزيتون والسمسم وللاثاث والزجاج والجلود والخزف والشكولاته والسجاد والاصباغ والحياكة الخ ..

الزراعة وتربية الماشية : معظم الزراعة فى أيدى العرب فانهم يتفوقون على اليهود فى زراعة الموالح والزيتون والخضروات ، فضلا عن زراعة الحبوب

وتدل الاحصاءات الاخيرة على أن لدى العرب من الماشية أضعاف أضعاف ما لدى اليهود . وكذلك الحال فى الجمال والخيل والبغال والحمير والدواجن

المصارف والجمعيات التعاونية : للعرب مصرفان كبيران رأس مال كل منهما عربى

صرف وما برحا فى نمو وازدياد . وفى فلسطين ما يزيد على ١٥٠ جمعية تعاونية ، مع أن الحركة التعاونية لم يمض عليها أكثر من عشر سنوات

النشر والتأليف : ان الاقبال على المطالعة شديد جدا فى فلسطين العربية ، وتصدر فيها عدة جرائد ومجلات وبها ما يقرب من ٣٠ مطبعة عربية . أما ما يوزع من صحف مصر ومجلاتها وكتبها فتزيد نسبته على مثلها فى سائر البلاد العربية

النهضة الاجتماعية : وفى فلسطين عدا ما ذكرنا نهضة اجتماعية مباركة تساهم فيها السيدات العربيات بنصيب مشكور ، كما أن هنالك نهضة صحية تبدو فى المستشفيات الخصوصية العديدة وفى المستشفيات الخيرية التى تبرع بنفقاتها الطائلة كثيرون من المتبرعين

المشكلة اليهودية العالمية لا تحل فى فلسطين

قال هرزل مؤسس الصهيونية : « من السخف أن تنكر وجود مشكلة يهودية فانها موجودة حيثما توجد جماعة من اليهود . واذا لم توجد فى جهة حملها اليها مهاجروهم : اننا نهاجر الى الجهات التى لا نضطهد فيها ولكن ظهورنا فى تلك الجهات يحمل على اضطهادنا »

وقال برنار لازار وهو من أوثق الباحثين فى هذا الموضوع : « ان شعورا عاما كمناوأة اليهود ظهر فى كل زمان ومكان ، ليس أمرا عرضيا أو نزوعا طارئا بل لا بد أن تكون له أسباب عميقة وأصول بعيدة الغور »

حقا انها لظاهرة من أغرب ظواهر التاريخ وتفسيرها الحقيقى ان اليهود لم يشاءوا أو لم يستطيعوا الاندماج فى الشعوب التى حلوا بينها لانهم يعدون أنفسهم شعبا مختارا . فما برحت صفاتهم القومية تتميز وتتأكد رغم اختلاطهم بجميع شعوب العالم

فهذا التسامى هو علة الرزايا التى حلت بالشعب اليهودى ، فكلما حدث ضيق أو اضطراب فى جهة من الجهات تحولت اليهم الانظار وأصابتهم صنوف من الاضطهاد . على انهم لم يروا فى تاريخهم الطويل اضطهادا شاملا محكما كاضطهاد الالمان النازيين لهم

ولا شك فى أنه من واجب الساسة ايجاد حل للمشكلة اليهودية . وليس هذا مكان البحث فى الحلول الممكنة أو المقترحة . وانما يمكن القول بأن استعمار فلسطين لن يكون هو الحل الذى يرفع المظالم عن اليهود ، وليس من العدل فى شىء أن يطالب العرب وحدهم بحل مشكلة اليهود العالمية على حسابهم دون الشعوب طرا

واذا كان التاريخ يعيد نفسه فانه يخيل الينا انه ستهب بعد هذه الحرب ريح معاداة لليهود حتى بين الشعوب التى كانت تحسن معاملتهم ؛ فان الحرب الماضية ما كادت تضع أوزارها حتى اشتدت مناهضة اليهود فى القارة الاوربية كلها بل تعدتها الى أميركا

ولعلنا لا نكون بعيدين عن الصواب اذا قررنا أن على اليهود أنفسهم حل مشكلتهم وانه لا بد لهم من الاقلاع عن النزعة العنصرية التى لا تنسجم مع روح هذا العصر

حجج اليهود وحجج العرب

ليس أدل على براعة اليهود من أنهم استطاعوا استمالة نفر من كبار الساسة الى القضية الصهيونية في حين انها لا تحتمل الامتحان المتزه عن الغرض . فان بطلانها واضح يكاد يثب الى ذهن المتأمل فيها ولو هنيهة وجيزة . وقد وصفها أحد كبار اليهود وهو المستر مورغنتو سفير أمريكا في الاستانة في الحرب الماضية ووالد وزير المالية الامريكية الحالي بقوله انها « أعظم تضليل ظهر في التاريخ اليهودي »

أجل ان القضية الصهيونية باطلة من الناحية الجنسية ، ومن الناحية التاريخية ، ومن الناحية الاقتصادية . ولكن ليس يكفي أن يقتنع العرب بذلك بل يجب تنظيم دعايتهم على طراز عالي لبلوغ الهدف المنشود

وقد كانت حجة الصهيونيين الوحيدة هي أن فلسطين موطن اليهود الروحي ومطمع أبصارهم منذ القدم . ولكن هذه الحجة لا يعقل أن يترتب عليها تشريد أمة آمنة ليحل محلها مشردو اليهود من مختلف النواحي

الا انهم اليوم حين يدافعون عن قضيتهم يدخلون عناصر أخرى في دعواهم :

فيقولون تارة ان البلاد العربية متأخرة تحتاج الى عنصر ممدن كاليهود

وتارة يدعون ان العرب لم يبدوا مثلما أبداه اليهود من العطف على قضية الحلفاء

ويقولون مرة ان فلسطين يمكنها ان تستوعب أكثر من خمسة ملايين نسمة ، فعلام التضييق على مهاجري اليهود ؟

وأخرى يقولون ان اليهود قد نالهم من الاضطهاد ما يوجب تعويضهم ومساعدتهم على الاستقرار ، وقس على ذلك حججا لا تثبت أمام الفحص النزيه

فعلى العرب الى جانب تفنيد هذه الحجج الواهية اذاعة ما لديهم من الحقائق الراهنة وهي تكاد تكون مجهولة للعالم الغربي الذي لا يسمع في الغالب الا نغمة واحدة من فريق واحد . من ذلك :

١ ـ ان فلسطين عربية ويجب أن تظل عربية ، وهي بلد مقدس لدى المسلم والمسيحي على السواء

٢ ـ ان مشكلة اليهود العالمية شيء ومشكلة فلسطين شيء آخر

٣ ـ ان نسبة اليهود في فلسطين كانت قبل الحرب الماضية ٦ أو ٧ في المائة فأصبحت ٣٣ في المائة

٤ ـ ان مقاومة الصهيونية لا تعارض مع عطف العرب على ما أصاب اليهود من محن

٥ ـ ان الحكومة البريطانية قد ارتبطت رسميا بالكتاب الابيض بعد تجارب طويلة دامية

٦ ـ ان الشعب العربي الفلسطيني شعب راق قد ضرب بسهم في نواحي التقدم الاقتصادي والاجتماعي

٧ ـ انه لا قيام لوحدة عربية أو تحالف عربي ما لم تستقر الحال فى فلسطين وتحتفظ بصبغتها العربية

فلسطين والدول الكبرى

ثلاث دول سيكون لها الشأن الاكبر بعد الحرب فى العالم وفى الشرق الاوسط بصفة خاصة : بريطانيا وروسيا وأمريكا

أما أمريكا فمع انها شديدة الرغبة فى توطيد مركزها الاقتصادى فى الشرق الاوسط وفى أن تكون التجارة حرة لا امتياز فيها لدولة على أخرى ـ مع ذلك ومع اهتمامها العظيم بمشروعات الزيت فى البلاد العربية فلسنا نعتقد بأنها تذهب الى حد منازعة بريطانيا مكانتها الاولى فى هذه المناطق . بل الاغلب أن يتم التفاهم بين الدولتين الانجلوسكسونيتين على ما يضمن المصالح الامريكية ولا ينتقص من المكانة البريطانية

ولطالما كرر الساسة البريطانيون خطورة شأن الشرق الاوسط للامبراطورية البريطانية وقد أثبتت هذه الحرب تلك الخطورة وزادتها توكيدا حتى لقد قالت جريدة التيمس أخيرا : « ليس من عامل أشد خطورة لمصير بريطانيا كدولة عظمى من مكانتها فى الشرق الاوسط »

ولعل هذا القول يلخص موقف بريطانيا بعد الحرب واتجاه سياستها . فالرأى السائد أنه لا بقاء للامبراطورية البريطانية بدون الشرق الاوسط

فهل يمكن أن يتوطد مركز بريطانيا مع مجافاة العرب ؟ كلا . بل لقد أبدت رغبتها فى تشجيع كل حركة من شأنها التآليف بين العرب . وليس يخفى على رجالها طبعا أنه لن يتم تآلف العرب بدون فلسطين العربية . وما على الحكومة البريطانية الا أن تنفذ سياستها القائمة على الكتاب الابيض بدون تردد أو محاباة

على أن موقف روسيا ما يزال مجهولا . ويذهب بعض الكتاب السياسيين الى انها سوف تنزع بعد النصر الى سياسة التوسع خارج بلادها . فهل تتجه نحو البلاد العربية ؟ ليس يخفى ان فى روسيا ملايين من المسلمين وان بينها وبين العروبة والاسلام صلات وروابط من قديم الزمان ، على ان من سبق الحوادث التنبؤ بما تسفر عنه الايام من تفاهم أو تصادم بين بريطانيا وروسيا

***

لقد أتى تضامن البلاد العربية بزعامة مصر ومليكها المحبوب بنتائج حاسمة حين عرضت مشكلة لبنان ، ولا شك فى أن النجاح سيحالفها اذا ما وقفت فى مسألة فلسطين مثل ذلك الموقف

اميل زيدان

الحياة النيابية

بقلم الأستاذ احمد امين بك

كما أنه من العبث أن يشترى رب البيت أزهارا اذا لم يكن عنده خبز ، كذلك من العبث أن تنفق الأمة الاموال الطائلة على أنواع الزينة والترف وفلاحها لا يشرب ماء صافيا ولا يأكل أكلا كافيا

ها نحن فى مصر نبدأ حياة نيابية جديدة ببرلمان جديد، فمن الواجب أن نتحدث ونكثر الحديث عن هذه الحياة وواجبنا نحوها وآمالنا فيها وما ينتابها من عيوب وما يصادفها من عقبات ، وأهم ما يقوم به البرلمان أعمال ثلاثة

١ ـ مراقبة الحكومة فى أعمالها ، فالوزراء يقومون بأعمال الدولة ولكنهم قد يصيبون وقد يخطئون فواجب كل حزب وكل عضو فى البرلمان أن يتتبع أعمال الوزراء فى وزاراتهم ويدرس ما يعملون ويكون رأيا فى تصرفاتهم أأخطأوا أم أصابوا فان رأى خطأ استفسر عنه وبحثه مع أهل الاختصاص فان اقتنع بعد كل هذا بخطأ الحكومة رفع صوته فى البرلمان بنقدها ـ مثال ذلك أن عضوا بلغه سوء حال التموين فى بلد ، وحصول الظلم فى التوزيع فليبحث ذلك وليسافر الى حيث يقع الظلم وليتحقق مما قيل وليجمع الادلة والبراهين على هذا الظلم ثم ليتكلم فى صراحة وليستمع للرأى المعارض فان تبين الحق بجانبه وجب على الحكومة ان ترفع هذا الظلم والا صوت البرلمان ضدها وأسقطها

والفكرة الاساسية فى هذا أن البرلمان معناه حكم الشعب نفسه بنفسه فكل له نصيب فى الحكم هذا عن طريق العمل ، وهذا عن طريق المراقبة والاشراف ، فاذا شعر المنفذ أن وراءه قوة كبيرة تراقبه فتح عينيه وتحرى العدل وخشى الحساب العسير فسارت العدالة فى الامة سيرا حسنا والا تخلت الحكومة عن الحكم لمن يقوم بصالح الامة خيرا منها

٢ ـ والامر الثانى تشريع القوانين ، وذلك ان الامم فى تطور مستمر والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى حركة مستمرة فلا بد أن يتنبه البرلمان والحكومة لكل مايجرى حولها وتواجه كل ما يعرض من المسائل الهامة بتشريع جديد ـ إن حالة الامة كحالة السيارة يجب أن نصلحها اذا فسدت ، ونغيرها اذا تلفت ، ونأتى بنوع جديد منها اذا أدى أغراضا خيرا من النوع القديم ـ وكل أمة لها تشريع يناسبها ، فالتشريع فى البلاد الزراعية غيره فى البلاد الصناعية وفى البلاد الغنية غيره فى البلاد الفقيرة وفى البلاد التى

قطعت شوطا بعيدا فى المدنية غيره فى البلاد نصف المتمدنة وهكذا ، والمسئول عن التشريع الصالح فى البلاد الحكومة والبرلمان معا ، والمصدر دائما هو البرلمان وواجبه أن يتعرف ما يناسب الامة وما لا يناسب وما هى فى حاجة اليه من التشريع وكيف يكون ، وهذا عمل هام من أعمال البرلمان لان كل اصلاح فى الامة يرجع الى التشريع كيف يوضع وكيف يسار فيه حتى يحقق الغرض منه وهكذا ــ ان أردت مكافحة الامية أو معالجة الفقر أو اصلاح الزراعة أو ترقية التعليم أو القضاء وجب التشريع لكل ذلك ، وكلما قطعت الامة مرحلة من مراحلها ودخلت فى مرحلة جديدة وجب أن يسايرها التشريع المناسب ــ فقد كنا ننظر مثلا الى التعليم على أنه من واجب الآباء ان شاءوا علموا أبناءهم وان شاءوا أهملوا ثم ارتقت الافكار وأصبحنا نرى ان واجب الحكومة ان تزيل الامية بتاتا وان من لم يطع يعاقب فكان لا بد من تشريع جديد

٣ ــ الامر الثالث ــ الاشراف على ميزانية الدولة وذلك لان المال عصب الحياة ووسيلة الاصلاح فى كل ناحية من نواحيها ، فان أردت التعليم فبالمال ، وان أردت الجيش فبالمال ، وكذلك الشأن فى أمور الزراعة والاشغال والتجارة وما الى ذلك ، فمن غير المال الكافى تشل حركة الحكومة ويستحيل أى ضرب من ضروب الاصلاح ــ ومن أجل هذا كان من أهم أعمال البرلمان الاشراف على ميزانية الدولة فبهذا الاشراف يتحكم البرلمان فى كيف يجمع المال من الضرائب وغيرها وكيف ينفق

وكان للبرلمان هذا الحق لانه يمثل الامة والامة هى التى تدفع الاموال فيجب أن تسيطر على طرق انفاقها بواسطة ممثليها

والبرلمان الراقى الناجح هو الذى يستطيع بثقافته ودقته وسعة اطلاعه وخبرته ودراسته أن يعرف أى النواحى أحوج الى المال من غيرها ، ومقدار ما تحتاجه كل ناحية على حسب ما يصدر عنها من خير ، وكيف يفرق بين ضروريات الامة وكمالياتها فلا ينفق على الكماليات قبل الضروريات فان كان ولا بد فتجب مراعاة النسبة بين الضروريات والكماليات ، فكما انه من العبث ان يشترى رب البيت ازهارا اذا لم يكن عنده خبز كذلك من العبث ان تنفق الامة الاموال الطائلة على انواع الزينة والترف وفلاحها لا يشرب ماء صافيا ولا يأكل أكلا كافيا

هذه هى الاركان الثلاثة التى بنى عليها البرلمان وما عداها ثانوى لها وقليل الاهمية بالنسبة اليها . والبرلمان الحق هو الذى يرعى مسائله بحسب أهميتها ويعطيها من المجهود والعناية والدرس حسب استحقاقها

فى ضوء هذا نستطيع ان نتعرف أمراضا تعترى البرلمانات ، وعيوبا تشل حركتها ، وتصرفها عن أهم وظائفها ، ولنمثل لذلك ببعض الامثلة

١ ــ فمن أهم العيوب ان يتنحى البرلمان عن واجبه فى الرقابة ويشغل نفسه بتوافه

الامور كان ينقسم أعضاؤه الى قسمين : قسم يهتم بتأييد الحكومة مهما أخطأت ، وقسم يهتم بالعمل على اسقاطها مهما أصابت ، وبذلك يجعلون الامر أمر من يتولى الحكم بدل أن يكون الامر في وضعه الصحيح وهو كيف توجه سياسة الحكم الى وجهتها الصالحة وبهذا تسخر كل قوى الحكومة وقوى المعارضة وقوى التأييد الى نزاع حول الحكم من يتولاه والوظائف ومن يشغلها وتضيع الدراسة الحقة والتوجيه الصالح والنقد البرىء ، وينقلب الأمر الى مهاترات ومؤامرات وتهريجات ويوجه خصوم الحكومة كل جهودهم لخلق العقبات وتوجه الحكومة وانصارها كل جهودها لاحباط المؤامرات وتكون النتيجة صفرا دائما فلا الحكومة فرغت لدراسة شؤون الدولة وواجب الاصلاح ولا المعارضة فرغت للدرس النزيه لمعرفة فوائد المشروعات المعروضة ومضارها ، ويصبح الامر كمن يبنى كل يوم جديدا وغيره كل يوم ينقض ما بناه صاحبه فمحال أن يكون مع ذلك بناء

ويستتبع ذلك أن تصرف الاموال هباء في سبيل خلق المؤامرات واحباطها وشراء الذمم بالرشا وما اليها واستخدام الابرياء كالطلبة والزج بهم في أهواء الحكم بين تأييد وتفنيد وهكذا من مضار لا تحصى ومرجع ذلك كله الى الغفلة عن الغرض من البرلمان

٢ ـ جهل العضو البرلماني بواجبه الذى أشرنا اليه وانه أمانة في عنقه ودرس لما يعرض عليه وتفكير في وجوه الاصلاح ينشدها ويتقدم بالتشريع لها وسماع صوت ضميره عند التصويت ـ وتحويل ذلك كله الى وجاهة يستعملها في قضاء مآربه الشخصية وسلعة يبيعها لمن أراد حسب الثمن الذى يعرض لشرائها وتضييعه النهار والليل في اللف على الوزارات ومقابلة رجال الدولة يرجوهم في نقل موظف أو تعيينه أو ترقيته أو نحو ذلك من الشؤون الخاصة وينسى بذلك أول واجب عليه وهو انه يمثل الامة لا بلدته ولا مركزه ولا فلانا وفلانا

٣ ـ كذلك من أهم ما يفسد البرلمان لعب التيارات الخفية التى توحى باتجاهات خاصة للظروف والمناسبات والملابسات ومحاولة صياغتها في شكل مصلحة عامة ظاهرة بريئة فالبرلمان الحق هو الذى يرعى مصلحة الامة وحدها ويدرس المسائل كما يدرس القاضى قضيته ـ كل شيء فيها على المكشوف ، المدعى يدعى دعواه والخصم يفندها والقاضى يقدر قول الخصمين التقدير القانونى العادل وينطق بحكمه بناء على ذلك فقط فان هو راعى تيارات خفية من وجاهة أحد المدعين أو أى اعتبار آخر غير ما ذكرنا كان قضاؤه فاسدا وبث بذلك الفزع في نفوس المتخاصمين ، فكذلك الشأن في البرلمان ، ما لم يدرس مسائله على المكشوف ولم تلعب به التيارات الخفية وما لم يتجرد من كل اعتبار الا مصلحة الامة فبرلمان مزيف

احمد امين

اللغة العامية العراقية

بقلم الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني

خالطت الناس في رحلتي الاخيرة الى العراق أكثر مما فعلت في المرتين السابقتين ، فزادني ذلك معرفة بأحواله ، واطلاعا على شؤونه ، وفهما لروحه . ولست أزعم أني أصبحت خبيرا بأموره ، ولا أنا أطمع أن أرشح يوما ما ، لمهمة من مهمات الاخصائيين فيه ، وكل ما أعنيه هو أن مسافة الزمن التي قضيتها هناك كانت أطول فاطلاعي كان بفضل ذلك أوسع

ولي ، كما يعرف القراء – أو كما لا يعرفون – عناية خاصة بدرس اللهجات العامية ، والاهتداء الى ما يتسنى الاهتداء اليه من أصولها العربية الفصيحة ، لاني أوثر أن استعمل اللفظ المأنوس الدائر على الألسنة ، دون الدارس والحوشي المهجور . وأبادر فاطمئن القراء فأقول اني لا أنوي في هذا الفصل أن أصدع لهم رؤوسهم ببحث في عامية العراق . فلست ، على كثرة عيوبي ، قليل الذوق ، أو لعل الاصح أن أقول اني حريص على الاقتصاد في حسن الظن بالقراء

وسأكتفي في هذا الفصل بما هو أشبه بأن يكون للتسلية ، وأجرى في مجراها ، ويحسن قبل أن أدخل في الموضوع أن أنبه الى وجوب التفريق بين الخاصة والعامة ، وبين المتعلمين وأشباههم أو الاميين ، فان المتعلمين على العموم يستعملون في كلامهم لغة لا تفاوت بينها وبين لغة المتعلمين عندنا ، على الجملة . ولولا النبرة الخاصة ، لما أحس السامع فرقا ، أو شعر انه انتقل من القاهرة الى بغداد ، أو تنبه الى أنه مصرى وجليسه عراقي

على أنه حتى المتعلمين تجرى ألسنتهم حين يرسلون النفس على السجية بألفاظ من العامية العراقية ، يغمض معناها على الغريب في بداية الامر ، مثل « أكو » بمعنى يوجد ، و « ماكو » بمعنى لا يوجد . وهما بديلان من قولنا في مصر « فيه » و « مافيش » . وقد أعياني ان أهتدى الى أصل اللفظين ، على كثرة ما سألت واستفسرت . ويقول بعضهم ظنا لا تحقيقا ، انهما من فعل « كان » وليس يسعنى أن آخذ بهذا الرأى ، وان كنت لا أستبعده

وكلمة « فرد » مما تسمعه مائة مرة في خمس دقائق . وهي عربية صحيحة وان كان الظن الشائع انها غير ذلك ، وأذكر أن ابن الاثير استعملها في كتابه المثل السائر ، فتسمعهم يقولون : فرد رأى ، وفرد كتاب ، وفرد حفلة ، وفرد اقتراح ، وفرد خطبة – وفرد كل شيء كائنا ما كان ، معنويا كان أو ماديا

ومن الالفاظ الشائعة « زين » وهى عربية كما هو ظاهر ، ويستعملونها فى جواب السؤال ، أو بمعنى « حاضر » فى عاميتنا ، فتقول « زين » فى جواب السؤال عن صحتك مثلا ، أو عن حالك ، ويقول لك الخادم « زين » اذا طلبت منه شيئا ، أو كلفته أمرا .

وتقول « زين » أيضا اذا أردت أن تعرب عن الموافقة أو الارتياح أو الثناء ـ بايجاز

وعلى ذكر الصحة أقول انهم يسألون عن « اللون » فيقولون « ايش لونك ؟ » أو « كيف لونك ؟ » يعنون الصحة أو ما هو أعم أى جملة الحال

ومن الكلمات الكثيرة الاستعمال « خوش » بمعنى حسن ، أو جيد ، وأصلها على ماقيل لى اذا كانت الذاكرة لم تخنى ، من التركية ، فتقول : خوش حفلة ، أو خوش رجل أو خطبة أو أى شىء آخر . ويجب فى كل حال تقديمها على الموصوف ، خلافا للمألوف

ويستعملون لفظ « التخت » للسرير ، وهو شائع فى البلاد العربية ، كما يستعملون « القرشة » بالمعنى عينه

وقد يستعملون « الجبة » أى القبة ـ بقلب القاف جيما ـ ويعنون بها البيت

ولهم ألفاظ غريبة مأخوذة من لغات أخرى مثل « القندرة » بضم القاف أى الحذاء ، وينطقونها فى غير العراق بالكاف المصرية . وأقول المصرية لان رسم الكاف ينطق فى العراق كالجيم المصرية المعطشة ، ومن هنا تراهم يرسمون « الجراج » « الكراج » و « يوجوسلافيا » « يوكوسلافيا » واظن أن هذا من التركية

و « الخاتون » ويعنون بها السيدة ، واللفظ يستعمل للتوقير ، أو للتهكم والسخرية بحسب المقام وما يفهم من مقتضى الحال

ومن الالفاظ التى تستعصى على الغريب « البوق » بمعنى السرقة و « البواق » بمعنى الحرامى أى اللص . و « باوع » بمعنى ينظر ، ويزعمون أن العين أصلها همزة ، وان البؤبؤ معناه ناظر العين ، وتقول عامتهم « بيى عيونى » أى ناظر عينى أو حبتها

ومن غريب عاميتهم كذلك « الخاشوجة » بمعنى « الملعقة » التى يؤكل بها ، و « سكامل» للكرسى ، و « هوايه » أى كثير ، فتقول أحبك هوايه أى كثيرا ، ويخيل الى انى لم أسمع هذا اللفظ الا فى رحلتى الاخيرة ، على انى قد أكون مخطئا

وقد استعاروا ألفاظا من الانجليزية ، فسموا الخادم والنذل « بوى » ولا أذكر انى استطعت قط أن انادى خادما بهذا اللفظ ، واتخذوا كلمة « جلاس » للكوب ، فتسمعهم يقولون « جلاس ماى » أى كوب ماء ، وكلمة « جروب » بمعنى فرقة ، فيقول القائل منهم « جروب مال الحقوق » أى فرقة تابعة لكلية الحقوق ، و « مال » لفظ يستعملونه بمعنى التبعية ، أو للاشارة الى المصدر ، فيقولون مثلا « مال الشام » أى من واردات الشام ، أو مصنوعاتها أو منتجاتها . وهو استعمال ليس بالغريب على مصر وان كان قد ندر جدا

وهم يحركون الساكن وخاصة اذا كان اللفظ ثلاثيا ، فيقولون « النهر » بفتح الهاء ،

ويرون التحريك أخف من التسكين ، ولا عجب فان حركتهم دائمة وسكونهم قليل ، وهذه مزية لهم ، وعيب فيهم ، فى آن معا ، فليت حركتهم أقل وسكونهم أكثر !

ومما يجعل فهم العامية العراقية على الغريب أصعب انهم يقلبون الكاف شينا ، بل ثاء وشينا . فيقولون « لتشى » يريدون « لك » فى خطاب المرأة ، و« أحبتش » أى « أحبك » فاذا تكلموا بسرعة ، وكثرت الكافات فى الفاظهم ، فالله فى عون السامع ! وما اكثر ماكنت أقول لهم حين يسك سمعى هذا اللفظ « ألا تتكلمون العربية ؟ » فيكفون عن هذا القلب والابدال ترفقا بى ، وتمكينا لى من الخوض معهم فى الحديث

على أنهم فى العادة ، أبطأ منا كلاما ، واكثر أناة ، وأقل ثرثرة ، على انك لا تعدم من يتدارك كلامه ويتقارب ، ويتتابع فى عجلة ، فلا تكاد تفهم لسرعته ولكثرة ما يقلب من الحروف ، ويستعمل من الالفاظ التى لم تألفها أذن الغريب

ومن مزاياهم الملحوظة التى لا يسع المصرى الا أن يفطن اليها بسرعة ان الحلف فى كلامهم نادر ، على خلاف عادتنا ، فقلما تسمع أحدا يحلف بالله العظيم ، أو النبى ، أو أحد من الاولياء ، على نحو ما يفعل المصريون أو العامة منهم

ومن غريب استعمالاتهم انهم يقولون عن المغنى أو المغنية ، أو المتحدث — فى الاذاعة خاصة — انه « يقرأ » ، أو انها تقرأ ، والمعنى مفهوم ، ولكن الغرابة فى اطلاق لفظ القراءة على الغناء

ولكل أمة عاميتها ، أو لهجاتها العامية ، وفى مصر من العامية لهجات شتى ، وقد حدثنى قاض انه كان يحتاج فى بعض الأقاليم الى من يترجم له أقوال الشهود أو المتهمين من أهل ذلك الاقليم ، لشدة التعويص فى كلامهم ، وفرط اختلاف النبر واللهجة ، والعدول بمخارج الحروف عن وجهها المألوف . فلا غرابة اذا وجد المصرى فى العراق بعض الصعوبة فى فهم العامية فى أول الامر

ابرهيم عبد القادر المازنى

ثلاثة لا ينبغى للعاقل أن يستخف بهم ، العلماء والسلطان والاخوان . فمن استخف بالعلماء أفسد دينه ، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه ، ومن استخف بالاخوان أفسد مروءته « عبد الملك بن مروان »

أشواك .. في سبيل السلام

بقلم الأستاذ ابراهيم زين الدين

أخفقت عصبة الامم فى صيانة السلام الدولى اخفاقا مريرا ، كان من أولى نتائجه قيام هذه الحرب التى هددت بالزوال ما بقى قائما من النظم والمثل ، وزلزلتها زلزالا شديدا

وقد اصطبغت الحرب القائمة بصبغة خاصة هى أن النظم الدولية والمثل الانسانية كانت هى الاخرى ميادين عراك ومجالدة ، فكان لا بد اذن للديموقراطية من أن تفصح بجلاء عن مراميها وسبلها وموقفها من السلام العالمى المنشود ، وكان أن اجتمع روزفلت وتشرشل فى عرض المحيط ، وأصدرا فى ١٤ من اغسطس سنة ١٩٤١ ما سمياه وثيقة الاطلنطى

وما من ريب فى أن اعلان هذه الوثيقة كان فيه ظفر كبير للانسانية كلها ، وللشعوب والحكومات الصغيرة على وجه الخصوص ، أما الانسانية بصفة عامة فقد ظفرت منه باعلان الرغبة فى اقامة دعائم السلم الذى يتيح لجميع الامم وسائل العيش الدائم ويمكن الناس فى جميع انحاء المعمورة من أن يحيوا فى مأمن من الشقاء والخوف والفقر والجهل

وأما الشعوب والحكومات الصغيرة فقد ظفرت منه بقفل باب التوسع الجغرافى ، والتبدل الاقليمى القهرى ، وباعلان حقها فى اختيار شكل حكوماتها ، وباعادة الحرية للامم المغلوبة على أمرها . وأخيرا باعلان حرية الملاحة ، وحرية التجارة ، مع المساواة فى الفرص الاقتصادية

ومع أن هذا التصريح قد صدر من جانب انجلترا والولايات المتحدة وحدهما ، دون اشتراك روسيا ، فان هذه الدولة الاخيرة ، مع بقية دول الحلفاء قد أصدرت فى أول يناير سنة ١٩٤٢ تصريح لندن ، الذى اعلنت فيه عن مساهمة حكوماتها فى وضع منهاج مشترك للاغراض والمبادىء التى تضمنتها وثيقة الاطلنطى . وهكذا أصبحت هذه الوثيقة دولية وملزمة للدول الثمانى والعشرين التى وقعت على هذا التصريح

وقد ظهر فيما بعد مع الاسف المضى ، انه ما كادت تبدو بشائر السلام ، وتستعرض كل دولة شؤونها ومصالحها ، حتى بدا لبعضها أن مبادىء هذا الميثاق ترتطم بهذه المصالح فأخذت تبعا لذلك تبتدع تفاسير تتفق وهذه المصالح ، أو تحاول تدعيم مبادىء أخرى تجرى وفقا لاغراضها ، وهكذا بدأت الاشواك تنتثر فى طريق السلام العالمى لتعيقه ــ أو لتدميه ــ وما اشبه الليلة بالبارحة

وأهم هذه الاختلافات وأكثرها خطرا ، هو الخلاف القائم حول : (تشكيل هيئة السلام المنتظرة) ، اما الولايات المتحدة ، وقد أظهرت دائما تحمسها لتوطيد مبادىء ميثاق

الاطلنطى ، فقد أعلنت بلسان سمنر ويلز فى ٢ يونيه ١٩٤٣ بأنه لا بد من الاعتراف عمليا بمبدأ تساوى جميع الدول فى السيادة للكبيرة منها والصغيرة . وجاء مجلس الشيوخ فأصدر فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٣ قرارا معدلا لاقتراح السناتور كونلى جاء فيه : « ان مجلس الشيوخ يقرر بضرورة انشاء هيئة دولية عامة فى أقرب وقت مستطاع تقوم على مبدأ السيادة المتكافئة لجميع الدول المحبة للسلام ، ويفتح باب الاشتراك والعضوية فيها لجميع الدول المستقلة صغيرها وكبيرها »

وكتب وليم هارد الكاتب الامريكى المعروف يقول : « ان السبيل الوحيد لانشاء سلم عالمى هو قيام هيئة عالية تمثل فيها الامم قاطبة على قاعدة المساواة التامة ، وأشار الى أن الولايات المتحدة متأثرة بمبدأى العدالة والمساواة قد سحبت جنودها من نيكاراجوا — وسانتو دومنجى — وهايتى — ونزلت عن حقها فى التدخل فى شؤون جزيرة كوبا »

وأما روسيا السوفياتية فقد أصدرت فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ بيانا فى واشنطن جاء فيه أن سياستها الخارجية تقوم على المبادىء الآتية :

أولا — انشاء علاقات سلمية مع جميع الدول بصرف النظر عن نظمها السياسية

ثانيا — التعاون الاقتصادى والسياسى على أساس المساواة فى السيادة واستقلال الدول المتعاهدة

ثالثا — التحالف ضد كل اعتداء

رابعا — رفض التوسع الاستعمارى

خامسا — عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الاخرى

سادسا — تقوية وحدة الشعوب المحبة للسلام فى نضالها ضد المعتدين الفاشست

ومن استقراء هذه المبادىء يتبين أن نظرية روسيا فى تأليف هيئة السلام تتفق مع نظرية الولايات المتحدة فى وجوب تمتع الدول المشتركة فيها بكامل حقوق السيادة بلا فرق بين كبيرها وصغيرها

نظرية التجمع

وتوجد بجانب هذه النظرية ، نظرية أخرى تقول بتجمع الدول الصغيرة تحت كنف دولة كبيرة تكون هى الدولة السائدة Supernation ، ومن مؤدى هذه النظرية الانتقاص من سيادة الدول الصغيرة بحيث لا تمثل فى هيئة السلام على قدم المساواة مع الدول السائدة

وأول من نادى بهذه النظرية هو المارشال سمطس ، فقد أشار بأن تضم دول أوربا الغربية الى انجلترا فى شكل تحالف تسوده بريطانيا . ولقيت هذه النظرية رواجا فى انجلترا نفسها ، ونادى بها علماؤها — من أمثال ويلز الكاتب المعروف ، وكول الاستاذ بجامعة اكسفورد ، ولاسكى الاستاذ بجامعة لندن — فقد قالوا ان عهود القوميات يجب أن تنقضى ، لانها كانت من الاسباب التى أثارت الحروب ، وانه يجب لحماية السلام أن تتولى

الامم الكبيرة السيادة على الامم الصغيرة لتختفى النزعات القومية ، وتقل أو تمحى الخلافات الدولية

النسبة التمثيلية

ويقع وراء هذا الخلاف النظرى بين المبدأين خلاف آخر خفى وجوهرى — يتمثل فى رغبة الدول فى أن يكون لكل منها اكبر عدد من الاصوات فى هيئة السلام ، وقد بدأت روسيا فعدلت دستورها فى شهر فبراير سنة ١٩٤٤ تعديلا صار من مقتضاه الحق لكل جمهورية من الجمهوريات الست عشرة الداخلة فى الاتحاد السوفياتى ، حق انشاء علاقات خارجية مباشرة مع الدول الأجنبية ، وعقد المعاهدات معها

وقد أثار هذا التعديل دهشة فى دوائر الحلفاء ، وعلى الخصوص فى واشنطن ، حيث قالت دوائرها وصحفها أن روسيا أرادت بهذا التعديل أن يكون للاتحاد السوفياتى صوت يعادل فى قوته وعدده صوت الامم المتحدة عند تقرير الانظمة العالمية المستقبلة ، وفى جماعة السلام المنشودة

وترى بعض دوائر الولايات المتحدة هذا الرأى نفسه فيما يتعلق بالوحدة العربية ، ولكن الوضع يختلف اختلافا ظاهرا فان جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر الوحدة العربية — فيما عدا فلسطين — دول معترف باستقلالها ، ومن حقها وفقا لقواعد ميثاق الاطلنطى أن تمثل فى هيئة السلام تمثيلا مستقلا منفردا

شكل هيئة السلام

ويأتى بعد هذا الاختلاف — وتبعا له — اختلاف آخر حول الشكل الذى تمثل فيه هيئة السلام . فهنالك نظرية تقول بتأليفها على هيئة بوليس دولى يشرف على أمور السلم وينظمها ويصونها . وهنالك نظرية أخرى تقول بانشاء هيئة البوليس الدولى كهيئة تابعة لهيئة السلام ، ولكن روسيا تقول ان فكرة قيام بوليس دولى ، انما هى فكرة غير عملية ، وغير قابلة للتنفيذ . ومن ثم فانها تثير كثيرا من المشاكل ، يكون من الخير تجنبها ، وهى ترى مع هذا أن تنشأ هيئة السلم من الدول المحبة للسلام ، بحيث تتضامن على قدم المساواة ، فى صون سلام العالم من كل اعتداء

الخلاف حول معاملة المانيا

ان المبادىء التى أعلنها ميثاق الاطلنطى لا تنص على وجهة نظر معينة فيما يختص بمعاملة المانيا بعد الحرب . وقد تعددت الآراء وتنوعت ما بين التشديد والتساهل الى أن خطب أخيرا فى يناير سنة ١٩٤٥ مستر ستافورد كريبس وزير انتاج الطائرات فى حكومة لندن فأشار بأن تعامل المانيا معاملة رفق لا معاملة انتقام

أما روسيا فلها رأى معروف فى هذا الموضوع لا يتفق مع وجهة نظر ستافورد كريبس ومن يرى رأيه ، فهى ترى أن النازيين قد أصابوا روسيا فى رجالها وفى مرافقها بضرر عميق . وان على ألمانيا أن تدفع ثمن هذا الضرر ، والا تمكن من السير فى مضمار حياتها العادية الا بعد أن تعوض الروسيين عما فقدوه تعويضا كاملا عادلا . وهى ترى أن تمثيل ألمانيا فى هيئة السلام - تبعا لرأى من يقول بذلك - انما هو تمكين لها من تعكير السلم مرة أخرى

ويقول الآخذون بنظرية الرفق ان الاخذ بنظرية العنف يؤدى بالشعب الالمانى الى الاستماتة فى نضاله وان فى هذا اطالة للحرب ، وتضخيما لآثارها . وانه ليس هنالك ما يبرر هذا اذا كان فى مقدور الشعب الالمانى أن يستسلم بعد أن يدرك انه سيعامل معاملة عادلة

هذه هى أوجه الخلاف الرئيسية . وهى كما رأينا خلافات تتصل بالجوهر ، وهنالك اختلافات أخرى كثيرة ، بعضها قديم ، وبعضها حديث . وسنشير فيما يلى الى أهمها :

الحدود البولندية

فى أوائل هذه الحرب غزت ألمانيا وروسيا بلاد بولندا تنفيذا لميثاق سنة ١٩٣٩ الذى عقد بين الدولتين . فلما تغير وجه السياسة وغزت ألمانيا روسيا ، عقدت هذه الاخيرة مع بولندا فى ٣٠ يوليو سنة ١٩٤١ ميثاقا وقعه فى لندن الجنرال سيكورسكى عن بولندا ، والرفيق مايسكى عن روسيا ، وقد جاء فيه أن التعديلات الجغرافية التى تضمنها ميثاق سنة ١٩٣٩ الذى عقد بين روسيا وألمانيا قد فقدت قيمتها القانونية

ولكن حدث بعد هذا أن أذاع الالمان انهم عثروا على مقابر لجثث عشرة آلاف ضابط بولندى أعدمهم الروس ، فثار الخلاف من جديد بين الحكومتين وكانت أهم مظاهره مسألة الحدود بين البلدين

وفى اغسطس سنة ١٩٤٤ عرضت الولايات المتحدة وساطتها لحل هذا الخلاف ، ولكن روسيا رفضت هذه الوساطة

وفى ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٤ صدر بلاغ عن وزارة خارجية روسيا قالت فيه بمناسبة مرور الجيش الاحمر بأراضى بولندا « ان الحكومة السوفياتية لا تريد الاستيلاء على أى جزء من الاراضى البولندية ولا احداث أى تعديل فى النظام الاجتماعى البولندى . . . »

ورغم هذا فقد تجددت الخلافات حول تعيين الحدود فأصر الروس على أن يعتبر خط كرزون المرسوم فى سنة ١٩١٩ حدا ثابتا ، ورفض البولنديون قبول هذا الحد ، فكان أن تدخلت روسيا فى شؤون بولندا ، واعترفت بقيام حكومة لوبلين الموالية لها ، منكرة الحكومة البولندية القائمة فى لندن ، والمعترف بها من الحلفاء

بترول ايران ورومانيا

عقب ان احتلت روسيا وبريطانيا بلاد ايران بحجة حماية مصالح الحلفاء ، أعلن روزفلت وتشرشل وستالين أثناء اجتماعهم فى طهران فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ انهم متفقون مع حكومة ايران فيما يختص بصون استقلالها وسيادتها ووحدة أراضيها

ومع هذا فقد تدخلت روسيا فى شؤون ايران الخاصة . وآخر مظاهر هذا التدخل انها وجهت الى حكومة ايران التى كان يرأسها السيد محمد سعيد انذارا تتهمها فيه بانها خالفت المعاهدة الروسية الايرانية المعقودة فى سنة ١٩٢١ والتى تعهدت ايران بمقتضاها بعدم منح امتيازات للاجانب فى شمال ايران . وان لروسيا تبعا لهذا أن تعيد الامور الى ما كانت عليه قبل هذه المعاهدة ، وان تعتبر شمال ايران منطقة نفوذ سوفياتية !

وقالت ايران ان روسيا قد خالفت تعهدات ستالين فى مؤتمر طهران لانها تدخلت عمليا فى شؤون ايران الداخلية بأن سمحت للجنود السوفياتية بدخول العاصمة وحماية المظاهرات التى قام بها حزب الشعب الذى يناصر الشيوعية

هذا الى أن روسيا أصرت على أن تستولى من ايران على امتيازات خاصة بالبترول ، وأصرت ايران من جهتها على رفض هذا الطلب ، وكان ان استقالت وزارة السيد محمد سعيد تحت ضغط المطالب الروسية وخلفتها وزارة أخرى ما تزال تعالج هذه الازمة

وفى الواقع ان هذا الخلاف انما تمتد جذوره الى أبعد من ان يكون نزاعا خاصا بين روسيا وايران لانه انما يتصل بطريق مباشر بمصالح انجلترا والولايات المتحدة . اما انجلترا فان لها امتيازات بترول فى ايران ، وهى تحرص من جهة أخرى على سلامة الحدود الايرانية لانها فى الطريق الى الهند والعراق

واما الولايات المتحدة فقد أنشأت فعلا فى ايران مصالح اقتصادية هامة . واننا لنذكر انها أوفدت الى ايران بعثة اقتصادية امريكية وان رئيس هذه البعثة قد استقال بحجة أنه لم يتمكن من أداء مهمته ، ولا بد أن هذا كان بسبب ضغط النفوذ الروسى على حكومة طهران ، وهكذا ينشب الخلاف سافرا بين الدول المتحدة فى مكان آخر مما يسمونه مناطق النفوذ ، أو المجال الحيوى

وينشب الخلاف بين روسيا وحليفتيها أيضا فى رومانيا ، فانه لما جلا الالمان عن رومانيا واحتلتها الجنود الروسية ، نزع الروس عددا من آلات استخراج الزيت ونقلوها الى بلادهم بحجة انها منشآت أقامها الالمان ، وانها تستولى عليها تعويضا عما فقدوه من منشآتها ، وشك الأنجليز والامريكان أن يكون هذا الاستيلاء قد مس منشآتهم الخاصة فى بلويستى ، وطلبوا لهذا أن يسمح لخبراء منهم بفحص هذه المنشآت ، ولكن روسيا رفضت هذا الطلب

مؤتمر الطيران الدولى

عقد هذا المؤتمر فى العام الماضى ، ولم يصل الحلفاء فيه الى اتفاق عام . وكان أظهر مسائل الخلاف فيه ان الولايات المتحدة اقترحت فتح باب المنافسة الحرة فى حركة النقل الجوى الدولى ، وحرية نقل البضائع من دولة أجنبية الى دولة أخرى

وقد أدرك البريطانيون ان من شأن اقرار هذين الاقتراحين هو ان تتمكن الولايات المتحدة عن طريق انتاجها الهائل ، ودربة طياريها ، واستعداد مصانعها ، من أن تحتكر خطوط النقل الجوية فى العالم ، فعارضوا فيهما ، وقالوا فيما يتعلق بالاقتراح الاول بأنه يجب أن يوضع نظام محكم عادل للطيران المدنى عن طريق سلطة دولية . وقالوا عن الاقتراح الثانى ، انه يكسب الناقلات الامريكية فرصة غير عادلة لمزاحمة الخطوط الجوية البريطانية حتى فى داخل بريطانيا نفسها

ويبدو أن الولايات المتحدة مصرة على وجهة نظرها فى هاتين المسألتين فقد صرح أخيرا السناتور جيمس ميد عضو لجنة تحقيق الدفاع الوطنى فى مجلس الشيوخ بأنه يجب أن تحتفظ الولايات المتحدة بحق هبوط طائراتها فى جميع القواعد التى شيدتها فى البلاد الاجنبية ، وخاصة فى سلسلة القواعد التى تمتد من الدار البيضاء الى القاهرة

وقال أيضا ان السناتورين جيمس توتل وهارولد بورتون ، وهما عضوان فى لجنة تحقيق الدفاع الوطنى ، سيقومان قريبا برحلة تفتيشية فى افريقيا الشمالية وانهما سيكلفان بالبحث فى حقوق أمريكا ــ الحاضرة والمستقبلة ــ فى قواعد افريقيا الشمالية

وهكذا نرى أن المصالح الخاصة قد طفرت ، وبدأ التسابق حول مناطق النفوذ ، والفرص الاقتصادية ينشب بين دول الحلفاء أنفسهم . والى هذا كله فقد بقيت مسائل أخرى معلقة يضيق عنها نطاق هذا المقال : منها مسائل اليونان ، وايطاليا ، وفلسطين ، والنقد الدولى ، وبواغيز تركيا ، ومعاملة هنجاريا ، والذهب الذى اشترته روسيا من دول البلطيق واحتجزته الولايات المتحدة ، وموقف روسيا من اليابان ، وموقف انجلترا وامريكا من فرنسا ، وديون أمريكا الناشئة عن تنفيذ قانون الاعارة والتأجير، والتعويضات المطلوبة من الدول المغلوبة وكيفية توزيعها ، من حيث الانصبة ومن حيث أولوية الاستيلاء الخ . .

سينتهى النزاع مع ألمانيا حتما ، ولكن يبقى بعد ذلك النزاع بين المنتصرين أنفسهم ــ وانه لكما قال روزفلت : صراع بين القلوب والارواح والعقول ، وانه لصراع هائل ترقب الانسانية كلها نتائجه فاما فازت بأمنيتها الخالدة واما قالت مع المعرى :

وما سمحت لنا الدنيا بشىء ... سوى تعليل نفس بالمحال
واعوزت الفضيلة كل حى ... فما هو غير دعوى وانتحال

ابراهيم زين الدين

روسيا تؤيد الملوك

عند ما نشب النزاع فى ايطاليا عقب سقوط موسولينى بين الملكيين والجمهوريين ، توقع الناس أن يجدوا السوفيت الى جانب المعارضة الجمهورية يناصرونها على النظام الملكى المتهافت . ولكن السوفيت وقفوا فى الامر على نقيض ما كان منتظرا ، فأنشأوا صلاتهم بحكومة الملك فيكتور ايمانويل ، وشدوا بذلك أزر الاحزاب الملكية فى ايطاليا

ولم يشارك الواقفون على حقيقة الامر جمهرة الناس دهشتهم من هذا الموقف الغريب . فهم يعلمون أن الدبلوماسية السوفيتية لم تقسم الدول ملكيات وجمهوريات ، ولا ديكتاتوريات وديموقراطيات ، بل قسمتها الى مجموعتين اثنتين : مجموعة تسود فيها كلمة الجماهير ، ومجموعة تأخذ بالنظام البورجوازى . وسياسة الكرملين تجاه هذه وتلك سياسة تلمس المنافع واستهداف المصالح والاخذ بما يؤدى اليها من الوسائل والاسباب . فهى لا تعادى الملكية لانها ملكية ، ولا تناصر الجمهورية لانها جمهورية ، بل لا ترى بأسا فى أن تمد يدها الى الجهات البورجوازية اذا بدا لها أن الضرورة تقضى عليها بذلك تحقيقا لاغراضها

وليس هذا بالجديد على السياسة السوفيتية ، فالعلائق متصلة منذ قامت الدولة الشيوعية بين الكرملين وكثير من القصور المالكة . فقامت الصلات فى السنين الاولى من الحكم الفاشستى بين السوفيت وايطاليا . وكانت ايطاليا الفاشستية أول دولة اعترفت بالدولة السوفيتية فى سنة ١٩٢٤ ، وكوفئت على ذلك بمعاهدة تجارية منحتها كثيرا من المزايا السخية . وكان لولى عهد ايطاليا الامير امبرتو اليد الاولى فى اقامة هذه الصلات وتوثيقها ، فقد رحل الى روسيا وأقام فيها متنكرا فترة ما ، ثم قدم للحكومة الايطالية تقارير أبانت لها ضرورة انشاء علاقات دبلوماسية مع روسيا السوفيتية . ومنذ ذلك الوقت والكرملين يرى فى دوائر البلاط الايطالى أصدقاء للاتحاد السوفيتى

بل ان الحكومة السوفيتية لم تقتصر على تأييد بعض الملوك ، بل هيأت الجو لملوك آخرين . فرضا شاه بهلوى امبراطور ايران قام على تكأة من تكوين روسيا ، فان سفيرها فى طهران هو الذى أمده حين كان ضابطا صغيرا بالمعدات الحربية وبالتأييد السياسى الذى مكنه من أن يتولى الحكم ممثلا للطبقة البورجوازية فى ايران

وكذلك كانت موسكو المؤيد القوى لملك افغانستان أمان الله . وعند ما زار موسكو قوبل بحفاوة بالغة باذخة ، من ذلك انه لما عزف النشيد الملكى فى اثناء دخوله دار الاوبرا

كانت الردهات ممتلئة بأعضاء الحزب الشيوعى وأفواج المدعوين والمدعوات ، فانحنوا جميعا وهم متجهون شاخصون الى الملك

وكان موقف روسيا من الحركة الكمالية فى تركيا الجديدة حركة تأييد ومناصرة . ووقفت الصحافة التركية الى جانبها منذ البداية ، ووالتها بالتأييد حتى بعد أن حل الحزب الشيوعى فى تركيا وحرم تأليفه ، وبعد ان أغرق عدد من الشيوعيين الاتراك فى البحر الاسود

وكذلك وقف السوفييت من ملوك أوربا مثل موقفهم من ملوك آسيا . فقد اعلنت الدوائر الرسمية السوفيتية فى سنتى ١٩٣٦ و١٩٣٧ اعلانا صريحا انهـا تود أن ترى عودة أسرة هبسبورج الى عرش النمسا . وكانت هذه الدوائر تعتقد ان هذه هى الامكانية الوحيدة التى تحول دون ضم النمسا الى ألمانيا واحالتها الى قطعة من الجهاز النازى الكبير ، وكانت تتوقع أن يقيم الامير أوتو فون هبسبورج ملكية برلمانية حرة تحول دون تفشى الفاشستية فى أوربا الوسطى . ذلك ان السوفيت يفضلون ملكا مواليا لهم على رئيس جمهورية يقف من سياستهم موقف الخصومة والمناوأة . وهم كذلك يؤثرون الملكية اذا رأوا النظام الجمهورى الذى يقوم مقامها من الضعف بحيث لا تجدى محالفته خيرا

وهكذا تجد السياسة الروسية لا تقف من الملوك موقفا عدائيا لمجرد أنهم ملوك ، بل تنظر اول ما تنظر الى ما تنشده من المصالح والاغراض ثم لا ترى بأسا وهى تسعى الى تحقيقها فى أن تطرق أبواب القصور المالكة . هـذا من ناحية « الجوهر » فى سياسة السوفيت ، اما من ناحية « المظهر » فانا نجد الروس فى السنوات الاخيرة يبارون الدول العريقة فى الدبلوماسية فى الاخذ بمظاهرها وتقاليدها ، بل لقد صارت الهيئة الدبلوماسية الروسية اكثر هيئات العالم دقة وتنظاما

ولكنها لم تبلغ هذه المرتبة الا بعد ان تعثرت كثيرا فى سنى الثورة الاولى . وقد كان تروتسكى وزيرا للخارجية فى ابان الثورة ، وكانت وزارته حينذاك تعانى نقصا شاملا فى الخبرة الدبلوماسية الفنية . فان الموظفين الذين ابقى عليهم ، بعـد أن ألغيت هيئة التمثيل الخارجى فى العهد القيصرى القديم ، لم يكونوا سوى الخدم والسعاة !

وكانت الدبلوماسية الحمراء فى بداية عهدها تحتقر ما تواضعت عليه الدول وسفراؤها من مراسم وتقاليد

فلم يكن البلاشفة يعرفون شيئا عن « الاوسمة » ودرجاتها واسباب منحها وظروف تقليدها . فعند ما استولوا على مبنى وزارة الخارجية وجدوا فى مكاتبها وخزائنها عددا كبيرا من هذه الاوسمة الفخمة التى كان يمنحها القيصر رجال السلك السياسى الاجنبى . فاستولوا عليها ووضعوها فى صندوق خشبى قديم . ثم حدث ذات يوم أن ذهب القائم بأعمال المفوضية الاسبانية يستأذن وزير الخارجية الروسية فى العودة الى بلاده . فودعه الوزير بعد ان اثنى على جهوده وسجاياه بما هو مألوف فى هذا المناسبات ، ولكن الرجل

لم ينصرف وأخذ يتحدث فى هذا وذاك من الامور التافة .. وأخيراً اضطر الى أن يقول للوزير الروسى انه من التقاليد الجميلة فى هذه المناسبات ان تمنح الحكومات رجال السلك السياسى عند نقلهم أو اعتزالهم وساما ، ليكون تزكية له لدى حكومته ودليلا على حسن سفارته بين البلدين . وفهم الوزير الروسى ما يعنيه الرجل . فأمر باحضار الصندوق الخشبى الذى تكدست فيه الاوسمة القيصرية دون نظام وترتيب ، وفتحه أمام الوزير الاسبانى قائلا له : تخير لنفسك أى وسام يحلو لك .. وان شئت اكثر من وسام فلا بأس .. فهذه الاوسمة محفوظة عندنا لا ننتفع بها فى شىء ما !

وقد كان هذا الجهل ، أو هذا التجاهل ، للتقاليد الدبلوماسية حقيقا بأن يحمل العالم على اساءة الظن بالدبلوماسيين الروسيين وكفايتهم فى معترك السياسة الدولية . وكان عامة الناس يظنون ان رجال السلك السياسى الروسى هم من عمال الثورة البولشفية ذوى الملابس الخشنة ، والاخلاق الجافة ، والكلمات النابية الغليظة . ولكن الواقع ان هذا الاسلوب الثورى لم يكن الا غطاء اصطنعه هؤلاء الرجال الذين أصابوا قسطا عظيما من التعليم والثقافة ، وكانوا على حظ كبير من الاناقة والتهذيب . فالوزير الذى خلف تروتسكى فى وزارة الخارجية ، تشيتشرين ، كان من رجال السلك الدبلوماسى فى العهد القيصرى ، وكذلك كان أبوه وجده وأبو جده من الدبلوماسيين المعروفين . ويعد هذا الرجل المؤسس الحقيقى للدبلوماسية السوفيتية . وكان فى أول عهده بوزارة الخارجية يصطنع هذا الاسلوب الثورى الجاف ، فكان يقابل زواره فى ردهات الوزارة وممراتها وعلى درجات سلمها .. وكان يأتى الوزارة ماشيا على قدميه ، ملتفا بشال كبير حول عنقه وكتفيه ، وتحت ابطه حمل كبير من الاوراق والوثائق .. وكان يذهب بنفسه الى المحطة ليرى ما اذا كان موظفوه من الوزراء المفوضين والقناصل ومن اليهم ، قد سافروا فى المواعيد التى حددها لهم تماما ، أم تخلفوا فيوقع عليهم العقاب !

ولكن هذا كله لم يكن الا اسلوبا ثوريا متكلفا . فلما استقرت الثورة واستتب الامر لرجالها ، أخذت وزارة الخارجية تجرى على النسق الذى تجرى عليه مثيلاتها فى بلاد العالم . فكان اكثر رجالها ليسوا من أبناء العمال ، بل من أبناء الطبقة الارستوقراطية القديمة ، أو من أبناء الاسرات الغنية فى العهد القيصرى . وهم جميعا من اكثر اعضاء الحزب الشيوعى تشبعا بالروح الاوربى ، ومن اكثر الناس خبرة بأخلاق المجتمعات وتقاليدها . فمن هؤلاء « ديمترى فلورنسكى » رئيس البروتوكول الروسى ، الذى صار استاذا يدرب رجال السلك الدبلوماسى على ما ينبغى لعملهم من القواعد والتقاليد . وقد كان أبوه من أعداء الثورة ، فأعدمه البلاشفة ، ولكن هذا لم يمنع ابنه من أن يكون شيوعيا ومن أن يعاون الشيوعيين فى عملهم . وقد صار معروفا بالكلمة التى قالها حين سئل فى ذلك ، وهى : « ان المرء لا يمتنع عن ركوب الترام .. حتى ولو دهم هذا الترام أباه فقتله » ! وقد رسم هذا الرجل بذلة رسمية لرجال السلك السياسى ، ولكنه لم يجرؤ

على مجابهة شعور الناس بارتداء قبعة حريرية عالية ومعطف من الفرو الثمين ، عند ما يذهب الى المحطة لاستقبال الوزراء المفوضين الأجانب .. ولكنه وفق الى حل لهذه الحالة ، بأن عين هو ووزير الخارجية عضوى شرف فى الجيش الاحمر ، وبذلك يلبسان القبعة الحربية التى تغنيهما عن القبعة الحريرية السوداء ..

ولما انعقد المؤتمر الدولى الاول فى جنوة سنة ١٩٢٢ كان وزير خارجية روسيا ورجاله من خير أعضاء المؤتمر : اناقة فى اللباس ، وبراعة فى الحديث ، واجادة لتقاليد المجتمعات والحفلات . وكان هذا أمرا لازما حينذاك ، فقد كان يهم روسيا ــ والعالم كله يتحدث عما فيها من مذابح ومجاعات ــ أن تظهر بمظهر الاناقة والتهذيب ، ولا سيما انها كانت يومئذاك فى حاجة الى عطف العالم وعونه الادبى ومساعدته المالية. وقد استطاع مندوبوها أن يظفروا بذلك ، بما ظهروا به من مظاهر الدماثة ، وما أقاموه من حفلات انيقة وباذخة

ولكن الطبقة الدبلوماسية فى ذلك الوقت لم تكن من نتاج الثورة ، بل من مخلفات العهد القيصرى . ولهذا لم يتوافر الانسجام بينها وبين طبقة الحكام فى روسيا . فكان من الطبيعى أن ينشىء زعماء روسيا طبقة من رجالهم تخلف هذه الطبقة القديمة فى مرافق سلكها السياسى . وفعلا جاءت الطبقة الجديدة من أعضاء العصبة الشيوعية ومن خريجى المدارس الشيوعية . وهذه هى الطبقة التى تمثل روسيا الآن ، ورجالها ليسوا كزملائهم براعة فى الحديث ورقة فى المعاملة ، ولكنهم من اكثر رجال السلك السياسى مهارة ، وتحفظا ، وأخذا للامور بالجد والصرامة . وهم الآن يملأون عواصم العالم بنشاطهم وكفايتهم الممتازة

وتريد روسيا ان تنشىء طبقة ثالثة من هؤلاء الرجال . وقد بدأت ذلك منذ سنة ١٩٣٥ فأنشأت « الكلية الدبلوماسية فى موسكو » . ولا يدخلها الا أعضاء الحزب الذين اثبتوا اخلاصا وكفاية عددا من السنين . وفيها يدرسون القانون والاقتصاد واللغات الأجنبية . وهم يعيشون فى هذه المدارس عيشة منظمة دقيقة ، أسوة بأبناء المدارس العامة فى انجلترا . وسوف يتخرج فى هذه المدارس طبقة من الدبلوماسيين تظفر لروسيا بمكانة دبلوماسية ممتازة كما يظفر خريجو المدارس العامة فى انجلترا لوطنهم بسمعة طيبة فى ميادين السياسة والادارة (خلاصة مقالين نشرا فى صحيفة دى فيلتفوخ السويسرية)

فقيد الأدب

اختار الله الى جواره فى أوائل هذا الشهر علما من أعلام الأدب ، هو الدكتور أحمد ضيف الاستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول . وافاه القدر المحتوم بعد أن أرسل الينا مقاله المنشور على صفحة ٦٤ من « أدب العامة »



خطبة سعيدة

أذيع في الشهر الماضي نبأ خطبة صاحبة السمو الملكي الأميرة فائزة إلى صاحب السعادة الوجيه محمد علي رؤوف ابن كريمة سمو الأميرة فاطمة إسماعيل عمة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم . والمثال ترى سعادتهما الساطعة الملكية الكريمة [تصوير علا]



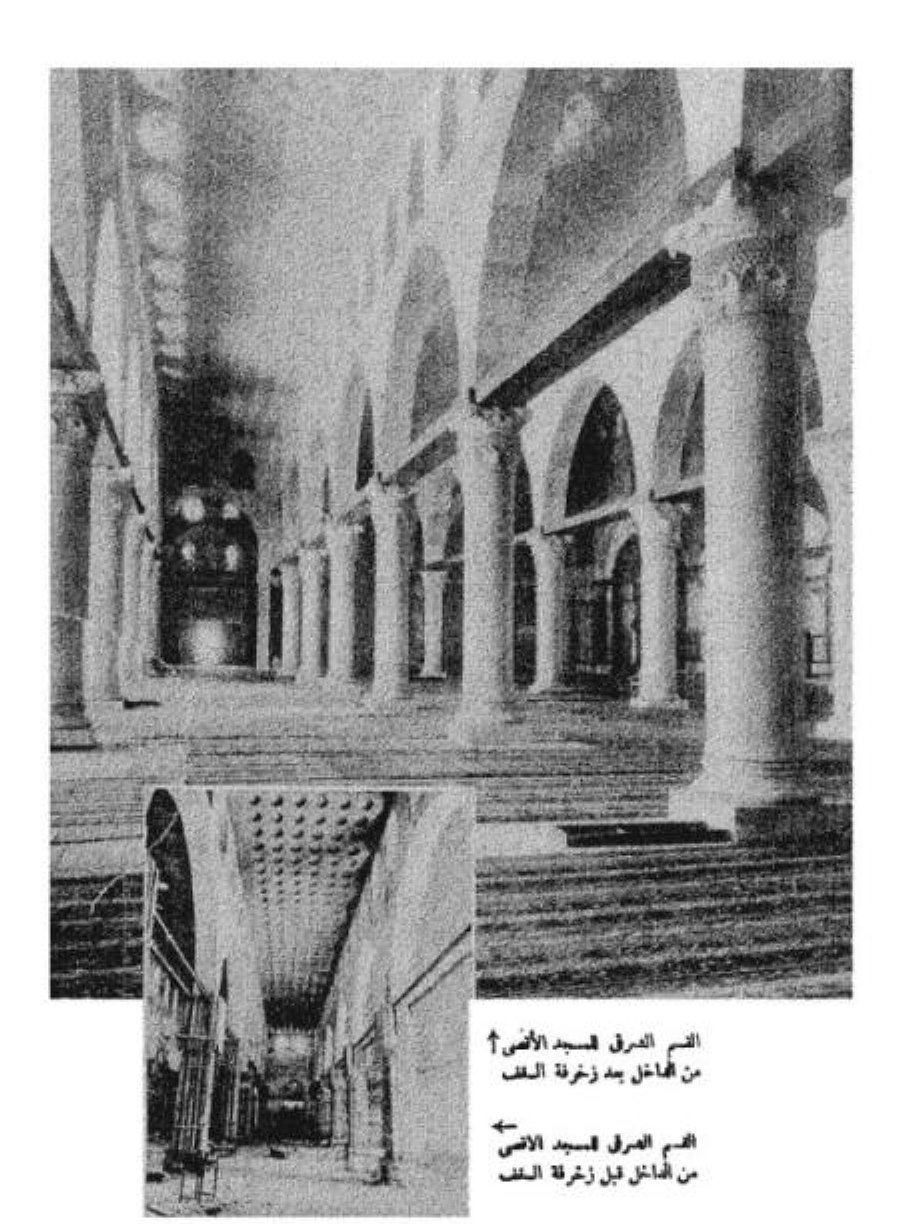
↑ الرواق الاوسط فى المسجد الأقصى بعد تجديده

→ الرواق الأوسط فى المسجد الأقصى قبل تجديده

اصلاح المسجد الأقصى

عند ما علم المجلس الاسلامى الأعلى بفلسطين أن خطراً جسيما يهدد كيان المسجد الأقصى بادر بالاتصال بادارة حفظ الآثار العربية لمشاركة الحالة ، فأوفدت الأستاذ عبد الفتاح حلمى مدير الادارة بصحبه الأستاذ محمد نافع وكيل الادارة السابق للاشراف على أعمال الاصلاح وقد أتما تجديد المسجد مراعيين فى زخرفته مطابقتها للطراز الفاطمى

ويرجع اهتمام مصر بالمسجد الأقصى المبارك الى زمن بعيد ، فقد كان محل عناية ملوكها وموضع رعايتهم فى مختلف العصور . وانه لمن دواعى الفخر أن يتجدد هذا الاهتمام فى عهد جلالة الملك الصالح فاروق الأول حفظه الله

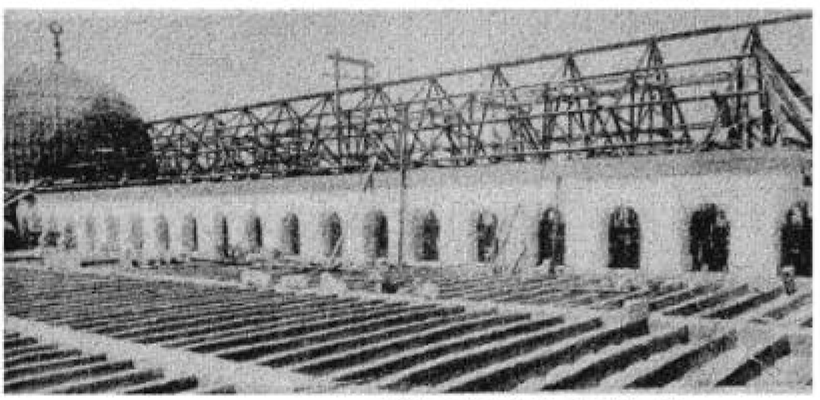


القسم الشرقي للمسجد الأقصى ↑
من الداخل بعد زخرفة السقف

←
القسم الشرقي للمسجد الأقصى
من الداخل قبل زخرفة السقف

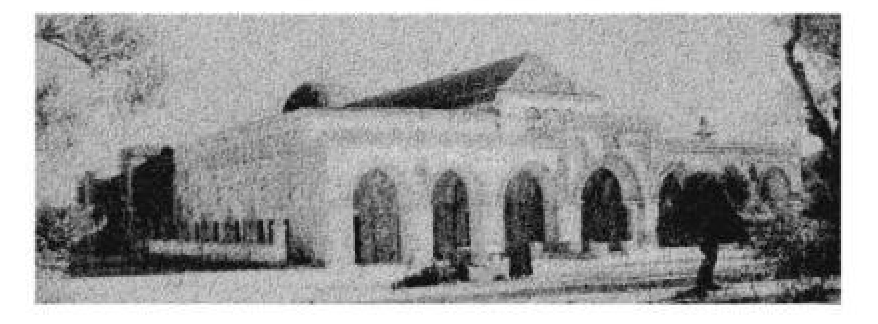


القسم المحترق القديم من المسجد الأقصى أثناء عملية الهدم



القسم المقابل للقسم المحترق في المسجد الأقصى
والجمالون الحديدي المغطي للرواق الأوسط

↓ منظر عام للمسجد الأقصى من الخارج



افلاس السياسة في قرن

بقلم الأستاذ سامي الجريديني

لقد أماطت هذه الحرب اللثام عن مبادىء كثيرة
وأنارت الطريق ووضحته فى سبيل الاصلاح

ونعنى بالقرن هذه الفترة من الزمن الواقعة بين ١٨٤٠ و١٩٤٠ فقد بدأت بتطبيق مبادىء سياسية واجتماعية واقتصادية أخذتها عن الثورات التى سبقت هذا الوقت والتى نادت بالحرية فظن الناس ان قد بدأ عصر للشعوب جديد وان العالم سائر من سىء الى حسن ومن حسن الى احسن

فما هو الطابع الذى امتاز به هذا القرن ؟

ولماذا لم يؤت ثماره اذا كانت ثماره ما اشتهاه العالم من سلام ومن بحبوحة فى الحياة المادية والخلقية ؟

لا شك ان الحرية كانت الغرض الذى رمت اليه الثورات التى قامت فى الولايات المتحدة وفى انجلترا وفى فرنسا ـ الثورات التى بدأت فى حرب الاستقلال الاميركية وانتهت بثورة سنة ١٨٤٨ فى فرنسا

ولقد ظن الذين قضوا على استبداد الملوك وعلى النظم الاقطاعية التى كانت تسيطر على العالم ان قد بدأ عصر جديد فى العالم

وفى الواقع أنه كان عصرا جديدا وقد قام على الحرية وكانت هذه الحرية نوعين احدهما سياسى والآخر اقتصادى

اما الحرية السياسية فترجمها الذين أرادوا تطبيقها نظاما برلمانيا يستند على انتخاب حر ويقوم البرلمان على حزبية يستبق أعضاؤها أبواب السعى لفائدة المحكومين

وكانت الحرية الاقتصادية ميدانا للسعى وللنشاط المالى الفردى وتجنب الحكومة أمر التداخل فيه

فماذا كانت العاقبة ؟

أما فى السياسة فلا شك ان العاقبة كانت حرية ولكنها اختلفت مظاهرها فى شتى البلدان تبعا لاختلاف الممالك التى قامت فيها هذه الحرية . فالنظام البرلمانى القائم فى الولايات المتحدة وفى انجلترا وفى فرنسا كان واحدا على وجه التقريب من حيث انه ارتكز على انتخاب الشعب لوكلائه الذين يحكمون باسمه ولكن النتيجة لم تكن واحدة .

فبينما نراه فى الاقطار الانجلواميركية لا يزال ثابت الاركان اذا بنا نراه ينهار ويتداعى صريعا على رؤوس أهليه فى بقية انحاء أوربا

ذلك لان الحرية وحدها لا تكفى اذا لم تقترن بنظام يحد من شططها اما بواسطة الشعب المتعلم الذى يقيم نفسه رقيبا على وكلائه أو بواسطة أداة مستقرة عاشرت أيام الشعوب وماشت رغباتها كالملكية فى انجلترا فى هذه الحالة . وكنظام الولايات المتحدة الاميركية فى الحالة الاولى

وانه لمما يدعو الى شىء كثير من التساؤل عن مدى الحرية وكيفية الحد من تساطها اذا وضعنا حال فرنسا نصب أعيننا

فمما لا نزاع فيه ان الثورة الفرنسية وضعت مبادىء الحرية فوق كل مبدأ ولا شك انها قصدت الى خدمة الشعب الفرنسى ولكنها خلفت فى أعقابها امبراطوريتين وملكيتين وثلاث جمهوريات تداولت حكم الشعب الفرنسى من بعدها الى أن كانت الجمهورية الثالثة التى ولدت يوم انكسار فرنسا فى سنة ١٨٧٠ وماتت يوم انكسارها الآخر فى سنة ١٩٤٠

فتبلبل الأنظمة وعدم ثبات واحد منها على حكم الزمن لدليل قاطع بأنه لا يطابق مزاج الشعب مهما قيل فى محاسنه اذا وضع على ورق بحبر

وهذه الجمهورية الثالثة المتوفاة حديثا كانت نموذجا لجميع الانظمة التى عمت أوربا وجزءا غير قليل عبر أوربا

وكان عيبها انها باعدت بين الشعوب وبين تقاليدهم المتغلغلة فى دمائهم منذ قرون

فانهم اذ نعموا بشىء كثير من حرية القول فقدوا الشىء الاكثر من المتاع الاقتصادى الذى تقوم عليه رفاهية الشعوب

فكان التعليم يرمى الى خلق طبقات من الاهالى يتسابقون الى امتلاك ناصية الحكم بواسطة جميات رأسمالها الخطابة والوعود الخلابة فأصبح الحال فى معظم انحاء العالم منحصرا فى هيئة من المنتخبين يصرفون جل اهتمامهم الى المحافظة على الكراسى فتجنبوا المسئولية وقنعوا من الاصلاح بتنميق الكلام

ذلك انهم نسوا تيسير الأمر المادى على الجماهير بامتاعه المتاع المادى الاساسى لمعيشته وجعلوا الحرية فى السياسة قاعدة فى الاقتصاد أيضا

واذا أنت اطلقت الحرية بين قوم لا يتساوون فى الاهلية كان السابق ذا البخت أو صاحب الحيلة أو القوة أو الذكاء

وهذا عدد قليل

واما الاكثرية فزاد فقرها وعجزت عن مجاراة المضمار فكان هذا التذمر المقرون بالثورة بين العمال اذا كانت البلاد صناعية وبين المزارعين اذا كانت زراعية

ومما لا يقبل الجدال انه اذا كان الغرض من السياسة رفاهية الشعب ومنع الحروب والعداء بينها فها نحن أولا نرى ان لا حرب امتنعت ولا كفاف عيش ضمن ولا طمأنينة

عمت فحق للمتشائمين أن يقولوا أن الانظمة التى الفناها قد أفلست وحق عليها القول فما أجدرها ان تدمر تدميرا

ولماذا هذا الفشل ؟

وهل من سبيل الى ملافاته ؟

اما سبب الفشل فراجع الى ما أشرنا اليه من ان الحرية السيابية امتدت الى الاقتصاد فجعلته فوضى

ومعنى هـذا ان السياسة كان يجب ان تعنى أول كل شيء فى تنظيم أمور الشعوب الحيوية فى الاقتصاد ـ أى فى توزيع الثروة وضمان الرزق للكافة وتسهيل تبادل التجارة ـ ولكن الانانية السياسية واستئثار بعض الطبقات بالبرلمانات وما اليها من آلة الدست جعلت هؤلاء المنتفعين يصرفون جهودهم الى ابقـاء ما كان على ما كان فكان زمن اسكتوا فيه الشعوب تارة بالاستعمار فسهلوا السبيل للفتح الاقتصادى فى خارج البلاد الاوربية بغية التشويق الى نوال الثروة فى الهجرة ، وتارة باشعال نيران الحروب حتى يلهو القوم عن المطالبة ، وتارة بايقاظ الروح القومية والسعى الى الاكتفاء الذاتى صاعم أن يغنوا بلادهم عن البلدان الاخرى وهذا شر ما أصيب به العالم من سياسة اقتصادية . فلنفرض ان بلدا زراعيا يحتاج الى صناعة بلد آخر وأرادت سياسة حكومته أن يكتفى وان تنشيء له صناعة تغنيه عن الصناعة الاجنبية معللة ذلك بأنها توجد عملا لفئة من الاهالى وان لا يكون عالة على الغير اذا وقعت حرب

فما هى النتيجة

قد تنشأ الصناعة المقصودة وقد يعمل فيها عمال معينون ولكن سعر هذه الصناعة يكون كأعلى مستوى للصناعة الاجنبية وقد تكون أقل جودة وعلى كل حال فهى مساعدة فريق قليل على حساب بقية الامة . على حين انه لو اطلق لكل بلد ان يعمل بما هو أهل له لافاد من حسن البضاعة ورخصها الشعب كله

فانه لا معنى ان توجد صناعات تفيد أهلها أصحاب الأموال وبعض العمال ويترم اكثرية السكان الثمن الفاحش ورداءة السلعة

هذه سياسة خاطئة كانت من أهم اسباب الحروب فالغرض من الاقتصاد هو تبادل المنافع مع المحافظة على الميزان فالعالم فى مجموعه يكاد يكون وحـدة اقتصادية ، وليس التقلقل ثم الحرب الا نتيجة هدم المبادىء الاقتصادية فى سبيل السياسة . وليست مسألة تنظيم الاقتصاد القومى بأشق من الاهتمام بالسياسة ولكن الناس استسهلوا السياسة لان معظمها قائم على الكلام وفروا من التوجيه الاقتصادى لانه جدى يعمل له فى الخفاء بلا جلبة ولا دعاوة وبلا شهرة

وماهى هذه السياسة الاقتصادية أو التوجيه الاقتصادى فى بلد ما حتى تأخذ به الحكومة؟

انها الحكم الصالح

وما هو الحكم الصالح ؟

هو منفعة المحكومين دائما واعتبار الذين يتولون الامور خداما كل قيمتهم فى القدر الذى فيه يخدمون

ولسنا من دعاة مذهب معين فى الشؤون الاقتصادية كأن نقول رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية ، كل هذه الطرق كثيرة الاسماء يجب ان ترمى الى افادة الشعب . ويستوى بعد ذلك السبيل . ففى بلد زراعى يجب ان تقوم السياسة الاقتصادية على منع احتكار الارض والعمل على ان يكون بأيدى الجميع لا بأيدى فئة قليلة تنعم وتستمتع والبقية الباقية حكمها حكم السائمة . وفى البلد الصناعى حيث الآلة والعامل وصاحب العمل يجب ان تتضامن هذه الهيئات فى الرأى وتشترك فى توزيع الانتاج

فانا نادى ليلا ونهارا وننعى على الاحتكار مساوئه بينما لا نقنع فى معاملتنا للغير الا أن نكون من المحتكرين

فاذا أدرك الناس ان فى الارض متسعا للجميع وان التعاون أجدى من الدفع بالمناكب وان الخير للجار خير مشترك سهل وضع الامور فى نصابها الطبيعى

خذ هذه القلاقل التى تأتينا أخبارها كل يوم فانها لا تكاد تخرج عن استياء أساسه الشعور بالظلم فى عدم توفر الفرصة للجميع على السواء

وليس معنى هذا مساواة ينعم فيها الكسلان على حساب المجتهد ولكن معناه ان تضمن للهيئة اسباب العيش الاساسية من غذاء وسكن وتعليم

وما زاد على ذلك فمزاحمة فى سبيل المثل العليا الادبية لا فى سبيل المادة الحقيرة

على ان هذه الحرب قد أماطت اللثام عن مساوىء كثيرة وانارت الطريق ووضحته فى سبيل الاصلاح

والخير المرجو هو ما تطلبه الشعوب وتتيقظ الى اقتضائه فانها ان فرضت على زعمائها خدمتها ليس غير وان اكرمت من يقومون على متعها لا من يعملون لمجدهم على انقاضها فلا يسع الوكيل الا الخضوع لموكله ـ عند ذاك وعند ذاك فقط تكون الشعوب قد وفت ديون التفليس الماضى وأخذت فى بناء تجارة رابحة جديدة ويأخذ بيدها لنوال مطالبها ما طرأ على العالم من تقريب وسائل مواصلاته وتسهيل تعارف أجزائه

فانه اذا لم يبن العالم القادم على التقريب بين الشعوب بتسهيل المعاملة التجارية الى أقصى حد وبتمكين الكافة من مستوى طيب من التعليم حتى تبعد النعرة القومية عن تكييف سياسة الامم ـ فتكون هذه الحرب قد خربت ولم تكن من التعمير

سامى الجريدينى

حرية الأنباء الصحفية

للأستاذ الدكتور محمود عزمي بك

موضوع دقيق من موضوعات الزمن الراهن ومن موضوعات ما بعد الحرب ، تحدث فيه ودعا إليه قادة الرأى وزعماء الصحافة الأمريكية ، وعالجه فى مصر علم من أعلام الصحافة العربية وعميد المعهد الصحفى الملحق بكلية الآداب ، بمحاضرة قيمة افتتح بها نادى الصحافة موسمه الثقافى

مادة الصحافة — على حد التعبير التقليدي الذى أذاعه الصحفى الانكليزى الشهير ويكهام ستيد ، رئيس تحرير جريدة التيمس الجيد — مؤلفة من عنصرين : هما (١) الأنباء و (٢) الآراء

فالأنباء تشمل الوقائع ، والآراء تعلق عليها . وكما تسبق الوقائع التعليق عليها فى الترتيب الطبيعى ، سبقت الأنباء الآراء فى الترتيب التاريخى . إذ ظهرت رسائل الأنباء قبل رسائل الآراء المخطوطة منها وغير المخطوطة

ولم تخط الرسائل خطوة الشمول فى الأنباء والتعميم فى التوزيع إلا على أيدى وكالات الأنباء وقد أنشئت أولاها فى باريس عام ١٧٨٢ ، وكان نشاطها مقصوراً على طبع نشرات تحتوى اقتباسات من أهم الصحف الاجنبية وتوزيعها على الصحف الفرنسية . ثم أضافت رسالة منظمة عن الحال فى ألمانيا عام ١٨٤٠ ، ثم واصلت العمل والتحسن والتوسع . وكانت تلك هى وكالة « هافاس » التى ظلت تعمل فى فرنسا ، وترسل الأخبار من وإلى كافة أنحاء العالم ، حتى قيام حكومة فيشى الأخيرة

ثم تلتها وكالة رويتر ، ومؤسسها ألمانى أيضاً : اسرائيلى يدعى بابر جوزافات ، عمل مدة من الزمن فى برلين ثم انتقل الى لندن ، وطلق اليهودية واعتنق المسيحية باسم بول جوليوس رويتر ، وأسس شركته ذات الشهرة والصيت البعيد منذ عام ١٨٥١

وثالثتها وكالة برنار فولف وهو ابن مصرفى ألمانى ، عنى بنقل أسعار البورصة الى والده ، ثم اتجه الى تقوية نفوذ عملائه فى أوربا ، ثم عاد فاتجه اتجاهاً ألب عليه بعض ملوك الألمان وساستهم مثل بسمارك وغليوم وغيرهما . وهذه هى الشركة التى واصلت العمل بعد الحرب الماضية باسم (وكالة الأنباء الألمانية)

ولم تلبث البلاد الأخرى طويلا حتى خصت نفسها بوكالات أخبارية ، فظهرت وكالات أخرى على غرار الوكالات السابقة فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وغيرها

وفى مصر تلتقى الوكالات جميعاً : وكالة الصحافة الفرنسية ، نشرة الأنباء البريطانية الرسمية ، مكتب الأنباء الحربية الامريكى ، يونايتد برس ، اسوسيتيد برس ، تاس ، أناضول ، اليونانية ، البولونية الخ

وكان قائماً قبل الحرب وكالات أخرى مثل وكالتى استيفانى وأوربانت الايطاليتين

وفى العالم وكالات أنباء أخرى عدا ما تقدم

وقد كانت الأنباء – منذ وجودها فى رسائلها المخطوطة الأولى – محل نضال بين محرريها وناشريها وبين السلطات الحاكمة : الأولون يريدون الحرية فى الاستقاء (الاستقصاء) والتحرير والنشر ، والأخرى تريد إخضاع الأنباء ونشرها لسياستها ومصالحها

وفى انجلترا – أولى البلاد التى ترعرعت فيها حركة الصحافة – أمر ملكى صادر عام ١٢٧٥ ينزل أشد العقاب بمن يروجون الاخبار الكاذبة ، وبعد أربعة قرون من اصداره ، استند اليه المجلس المخصوص فى معاقبة صحفى برأته محكمة الجنايات

أما موقف الكنيسة من الصحافة فكان موقفاً أقل ما يوصف به أنه موقف ظلم واضطهاد واجتراء وافتئات

فقد أصدر البابا بيوس الخامس عام ١٥٦٥ أمراً كنسياً يعاقب الذين يحررون أنباء مخطوطة . وبعد أيام من صدور الامر ، حكم البابا بالاعدام شنقاً على أحد الصحفيين ، وتوالت أحكام مماثلة ولكنها لم ترهب المحررين الأحرار المناضلين ، فاستمروا يؤدون رسالتهم ، وينشرون أخبارهم ، رغم ما يتعرضون له من تقتيل واضطهاد

أجل . لم يجد الأخذ بالشدة مع الاحرار من المحررين ، كما لم يجد مع أحرار الصحفيين الذين استعانوا بالطباعة واطراد التقدم فى المواصلات على نشر أخبارهم . وظل الموقف – بين رجال الاخبار من جهة وبين الحكومات المستبدة والبابوات من جهة أخرى – قائماً على العداء المحكم : يكمش أحياناً ، وينجلى أحياناً ، فى سبيل الحرية من ناحية الصحافة ، وكتم الانفاس من ناحية الطغاة والمستبدين . ويتساجل الطرفان الشعور . . . ويكتب الصراع بينهما ، لا تاريخ الصحافة فحسب ، بل تاريخ التقدم البشرى كله . ولا غرو فحالة الصحافة فى بلد تعتبر الميزان الصحيح لحالة البلد ذاته من جميع نواحيه : الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية الخ

وقد اعتادت بعض الحكومات فى مختلف العصور أن تعتبر إذاعة الاخبار فى الناس وتناولها بالتعليق حقاً من حقوق سيادتها عليهم ، وكان رجال الدين والكنائس يؤيدونها فى ذلك بوسائل شتى ، بل كانوا يحضونها على ذلك ، خشية أن تبيح جريمة الكتابة . . .

لذلك لازمت الرقابة الصحافة وزاوجت الرقابة بين التسامح والشدة ، تبعاً لما كان يتصف به الحكام من روح الاصلاح أو الاستبداد

والتاريخ زاخر بالحوادث التى لا يحصيها عد والتى نلمح خلالها مشاهد هذا التزاوج القديم ، الذى نشاهده عرضاً حين ننظر الى العالم فى فترة معينة من الزمان : نرى فى الاولى حرية الانباء والصحافة وفى الثانية خنق الأنباء والصحافة

وقد كان العالم وما يزال منقسما بين طريقين عاميين للحكم ، هما الديمقراطية والديكتاتورية ، وكل طريق تتفرع فى سيرها الى طريقين : مطلقة ومقيدة

ويختلف موقف الأنباء والصحافة فى شتى الدول وفاقاً لهذا التقسيم . فالديمقراطية هى نظام حرية الرأى ، وكثرة الآراء وتنوعها . وذلك يستتبع حرية الناشر وتعدد وسائل النشر التى يجوز له الالتجاء اليها . والديكتاتورية هى مبدأ الوحدانية : فى البزة والرأى ووسائل تكوينه وفى الاذاعة الخ

والديمقراطية ليست واحدة فى كل الأزمان والبيئات ويمكن تقسيمها الى ثلاثة أنواع : تقدمية وحرة ومحافظة

كذلك الديكتاتورية ليست واحدة فى كل الأزمان والبيئات

فهناك ديكتاتورية مطلقة وأخرى تدعو لمذهب اجتماعى معين أو نوع من الحكم محدد

فكان موقف الأنباء والصحافة ، مطلقاً من كل قيد فى الدول التقدمية

ومكتنفا بشىء من التحفظ فى الدول الحرة

ومحاطا بشىء من السياج فى « المحافظة »

ومقيداً بتعاليم المبدأ الواحد فى الديكتاتوريات التى تأخذ بنظام المذهب الاوحد ، أو خاضعا لطغيان الطاغية فى الديكتاتوريات الاستبدادية

وفى جملة واحدة نجد موقف الصحافة متراوحا بين الحرية المطلقة التى لا يحدها حد ، وبين الخضوع المطلق للسلطان المسير

وقد كان للموقف فى مصر بالنسبة للصحافة قبل قيام الحرب الحاضرة موقف ديمقراطية « خليط » . فكان محافظاً بالنسبة لأصدار الصحف ، ولأصدار الصحف نظريات ، أولاها ، أن يقوم طالب الترخيص بتقديم طلبه ، وللحكومة مطلق التصرف فى المنح أو المنع . والثانية هى نظرية الاخطار المعلق على شرط . وذلك بأن تخطر الحكومة بأنك تريد إصدار صحيفة ، ثم يكون عليك أن تنتظر الرد بالموافقة أو الرفض ، دون أن يكون لك حق مقاضاة الحكومة فى حالة الرفض . والثالثة هى الاخطار مع حق الالتجاء الى القضاء . والرابعة هى الاخطار غير المعلق على شرط ما ، وليس على الطالب ، إلا أن يخطر ثم يصدر

وقد كانت النظرية المصرية ـ وما تزال ـ هى نظرية الاخطار المعلق على شرط والمحروم

صاحبه من حق الالتجاء الى القضاء وهى ــ على هذا الوضع ــ « نوع ما » من الديمقراطية ..

تأتى بعد ذلك نظرية المؤاخذة الادارية . وهى تمنع أن تعطل الصحف أو تنذر بالطريق الادارى ، إلا إذا كان ذلك لوقاية النظام العام

وهنا كان المبدأ حراً ، والقيد قيد مفهوم ــ فالنظام فى هذه الناحية داخل فى دائرة « الديمقراطية الحرة »

أما بالنسبة للتحرير فكان نظامنا تقدمياً إذ لم تكن هناك رقابة ما ، على الصحافة

أما فيما يتعلق بالأنباء ، فكان نظاماً غير ديمقراطى أبداً ، فلا هو حر ولا هو محافظ ولا هو تقدمى ، وانما كان نظاماً ديكتاتورياً بحتاً

الجو محتكر : ممنوع أن تستقبل الأنباء الصحفية . ومصلحة التليفونات وحدها هى التى تستقبل أنباء معينة : أنباء النشرة الرسمية البريطانية مثلا . ولا رقابة لأحد على صحة ما تنشره هى (أى المصلحة) مسنداً الى هذه النشرة

والنظام أيضاً ديكتاتورى صرف ، فيما يختص بالاذاعة . ديكتاتورى من حيث أن هناك محطة حكومية واحدة فقط .فكأن هناك احتكاراً للاذاعة وتحريماً للارسال..أما فيما يتعلق بالاستقبال فكانت النظرية « ديمقراطية محافظة » لأنه حر ، وإن كان معلقا على شروط منها الترخيص ودفع الضريبة

كان هذا كله قبل الحرب ، ثم جاءت الحرب ، ودخل العالم كله فى حومتها ، وخضع لضروراتها ، فتساوت الديمقراطيات والديكتاتوريات فى الأخذ بالنظام للسير ، وأعلنت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف والوكالات التى تذيع من الخارج

وكان طبيعياً أن تحس الصحف ووكالات الأنباء الداخلية والخارجية ، ضغط الرقابة المستند الى ظروف الحال

ووجد فريق المراسلين الحربيين . ووجدوا متعددين ، متنوعين ، متنقلين فى أنحاء العالم ، ومتصلين بأنظمة الدول المختلفة

وفرضت عليهم وعلى أنبائهم ورسائلهم الرقابة فى كل مكان ، فتذمروا من الرقابة ومن التحكم ، لا فى رسائلهم فحسب ، بل فى أشخاصهم أيضاً بعض الأحيان

وآخر ما وقفت عليه من أنباء التحكم فى الأنباء وفى أشخاص المراسلين ، هو ما تضمنه عدد صدر فى شهر ديسمبر الماضى من مجلة P.M الأمريكية الشهيرة . فقد حوى هذا العدد تذمراً مراً واحتجاجاً بالغاً من الصحافة الأمريكية على تدخل بريطانيا فى شؤون اليونان ومنع صحف الحلفاء من التعرض لهذا الموضوع

والحادث الثانى وقع لمراسل التيمس فى أثينا مع الجنرال سكوبى . فقد استدعى الجنرال هذا المراسل وهدده بإبعاده من العاصمة إذا هو استمر على نشر مايرسل من أنباء اليونان الى بلاده .. ولكن مراسل التيمس ـ وأنتم تعلمون ان لبريطانيا فى كل عاصمة سفيرين ، أحدهما هو المبعوث الديلوماسى والآخر هو مراسل التيمس فى هذه العاصمة ـ لم يخضع لذلك التهديد ، وما يزال الى الآن يواصل نشر الأنباء اليونانية الى جريدته ، حسبما يرتئى ويقدر

هؤلاء المراسلون الحريون الذين حيل بينهم وبين أداء واجبهم على ما يفهمونه والذين ابتلوا بمختلف وسائل التحكم والرقابة ، كان طبيعياً أن تصدر عنهم صرخة فى سبيل الحرية ، وكان طبيعياً أيضاً أن تجيء هذه الصرخة من أمريكا ، وهى البلاد التى انتشرت فيها نظرية إصدار الصحف دون إخطار ، والتى لم تعرف الى الآن ـ وأغلب ظنى أنها لن تعرف حتى تنتهى الحرب ـ أى لون من ألوان الرقابة الصحفية . أجل كان طبيعياً أن هذه الصحافة التى لا رقابة عليها ، وهذه البيئة الحرة ، هى التى تصدر عنها هذه الصرخة من أجل الحرية

صدرت هذه الصرخة عن الجمعية الامريكية لمحررى الصحف ، وهى نقابة ليست كنقابتنا المصرية ـ تجمع بين أصحاب الصحف ومحرريها ـ ولكنها نقابة للمحررين وحدهم .. هذه الجمعية هى التى قامت بحملة فى الداخل انتهت الى إقناع الحكومة الأمريكية بالمطالبة بحرية الأنباء فى العالم كله ، وهي التى انتهت الى أن تعلن وزارة الدولة الأمريكية أنها جعلت من مطالبها الدولية ، تحقق حرية الصحافة فى استقبال ونشر كل الانباء . بمطلق اختيارها ، وتمكينها من هذه المهمة ومنع وسائل التمييز والاحتكار الخ

ولم تكتف الجمعية باقناع الحكومة الأمريكية ، بل فهمت أنه لابد من خلق رأى عام عالمى ، لاقناع حكومات البلاد الاخرى بالسير فى نفس السبيل . فألفت لجنة ثلاثية ، أخذت تجوب أنحاء العالم ، وتتصل بالصحفيين فى كل دولة ، وبمختلف الحكومات ، لعلها تقنع الحكومات الاخرى ، كما أقنعت الحكومة الامريكية ، بأن يتضافر الكل فى سبيل حرية الصحافة

وهذه اللجنة مؤلفة من عميد معهد الصحافة بجامعة كولومبيا ومساعد رئيس تحرير النيويورك هيرالد تريبون ورئيس تحرير مجلة اتلانتا

وقد قصدت هذه اللجنة ـ أول ما قصدت ـ الى لندن . وهى الآن فى باريس وينتظر حضورها الى مصر قريباً ، فى دورتها العالمية التى تقوم بها

ماذا يكون موقف مصر إزاء تلك اللجنة ؟ لا شك أن الصحافة المصرية ترحب بهذه الجهود كل الترحيب

فالإيمان بالحرية الصحفية راسخ مع شيء من التحفظ عند كثيرين من المحررين فى الصحافة المصرية ، على الاقل

ولا شك عندي أن الصحفيين المصريين يؤمنون بأنه لا حرية لاقلامهم إلا إذا كانت الحرية موفورة أولا ، للانباء التي يستنيرون بها في التعليق والتحرير . وذلك بأن تصل اليهم الانباء حرة مطلقة من كل قيد أو غرض

ولعل من دلائل الترحيب ، ذلك الحديث الذي جرى بين وفد نقابة الصحفيين ورئيس الحكومة . فقد طالب الوفد بالغاء الرقابة ، وإن كنت قرأت في احدى الصحف ، أنه طالب بالتخفيف فقط ، وكنت أود ألا تجرى هذه الكلمة على لسان الصحفيين

واني أقترح أن تؤلف النقابة لجنة للاهتمام بهذا الموضوع بالذات ، وتحصر كل جهودها فيه ، وتستعد بالأسانيد لاستقبال اللجنة الامريكية، وتستعد كذلك بما ينبغي عليها أن تتقدم به للحكومة المصرية من مطالب

ولعل المطالب الطبيعية التي تخطر على البال لاول وهلة هي :

١ — المطالبة بحرية الجو — فالجو المصرى يجب أن يكون حراً من كل قيد ، كما يجب ألا تتقيد حرية الالتقاط بنوع معين من الانباء

ولعل القراء لا يزالون يذكرون ذلك الخلاف الذي حدث بين الصحافة المصرية والحكومة عام ١٩٣٥ . فقد كانت الصحف تلتقط من الجو أنباء صحفية . فجاءت الحكومة ومنعت ذلك ، وأرادت أن تقدم للصحافة عوضاً عنه ، فكان ذلك الشيء هو نشرة الانباء الرسمية البريطانية التي تشرف على التقاطها في مصر مصلحة التلغرافات المصرية ، دون أي رقابة

٢ — حرية الالتقاط المطلقة وحرية محطات الاذاعة . . يجب ألا يكون هناك احتكار في الجو أو في الاذاعة . ولتكن سبيلنا الى ذلك هي العودة الى النظام السابق الذي كان يجيز وجود محطات متعددة . لتبق للحكومة محطتها ولكن لتكن الى جوارها محطات أخرى أهلية عديدة

٣ — التنافس المطلق بين وكالات الانباء لتفتح الابواب على مصاريعها أمام جميع وكالات الانباء في العالم، ولتكن الصحافة حرة في أخذ ما تشاء مما تعرض عليها هذه الوكالات، ونبذ ما تشاء

٤ — كذلك يجب أن يستأنف الكلام في تأسيس وكالة أنباء مصرية ، تقوم بارسال الاخبار الى الخارج ولا يكون مطلوباً منها أن تكتفي بالاخذ . وانما يتاح لها — كي تدخل المضمار الدولي — أن تقدم الاخبار للغير وأن ترسل له . يجب أن تكون لنا وكالة أنباء تقدم للصحف في الشرق والغرب ، أنباء الشرق العربي والعالم العربي

والمشروع موجود بالفعل ، وأحسب النواب الصحفيين يعرفونه تمام المعرفة ، فقد وافقوا على اعتماد في ميزانية الدولة لانشائه . ورغم ضآلة المبلغ (٣٥٠٠ جنيه) فان وكالة الانباء المصرية لم تقم الى الآن . وفي يقيني أن النقابة اذا بذلت شيئاً من الجهد ، فانها مستطيعة أن تنتشل ذلك الغريق من الماء

محمود عزمى

توارد الخواطر

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

« من القلب الى القلب رسول » قول جيل مأثور تداوله السنة الاصدقاء والاحباء فى مختلف الاحوال والعصور . فالصديق يؤيد صدى ود صديقه بقوله : « من القلب الى القلب رسول »

فكم بين القلوب المتجاذبة من مواقع ود يقع فيها رسل المودة صرعى . وكم بين القلوب المتعادية من معارك نفار يضحى بها الرسل بلا اثم ولا حرج . وكم بين القلوب من رسائل تنطوى على شكايات العشاق وتندفع منها لهبات الاشواق وهى بالاحرى فتن ومماذقات تؤدى الى خيبات

وكم تولت اللواحظ نقل الرسائل بين القلوب فكانت تارة رسلا أمينة فى النقل وأخرى رسل زور وخداع فى التبليغ . وكم كان الالهام للقلوب أصدق رسولا والايحاء أصح رسالة . واذا تخافقت القلوب كانت أصدق بيانا من طرفات العيون وغمزات الجفون . فاذا خفق قلبك لقلب آخر حتى من وراء البحار فاعلم ان هناك رسولا أمينا ينقل الرسالة بين القلبين . وهذا الرسول هو موضوع هذا المقال

يخطر لكل انسان كل حين بعد آخر خاطر فى اليقظة أو فى المنام أو فى الحديث واذا بذلك الخاطر يتحقق على الاثر أو بعد حين قريب

مثال ذلك : يلوح فى بالك شخص لا تنتظر ان تراه لانه بعيد عنك أو لانه لا طريق له اليك ، ومنذ زمان غاب عنك ولا يرجى أن يعود اليك ، واذا به بعد هنيهة أو ساعة أو يوم يحضر بين يديك . فتندهش

روى لى صديق قال : عدت من الصيد فتلقانى أبى بلهفة وقال أسرع الى أمك لكى تطمئن . قلت : ماذا بها ؟ قال لاح في بالها عند الظهر ان كلبا عضك . فقلقت ولم استطع تهدئة بالها . فقلت : لقد صدق حدسها . عضنى كلب عند الظهر ولكنه لم يتمكن من نهش ساقى ، لان ظهر بندقيتى أقصاه

وصحوت مرة وزوجتى تقول : لقد حلمت حلما مزعجا جدا وهو ان صديق أسرتنا فى سوريا توفى . فقلت : اضغاث احلام . لا تعبئى . وذهبت الى مكان عملى واخذت الجريدة حسب عادتى . ودهشت اذ وقعت عينى على نعى ذلك الرجل . والنعى من قبل أخيه الذى يقيم فى الاسكندرية ، فقبل ان اقرأ الجريدة ارسلتها الى زوجتى وعلى خبر الوفاة علامة بالحبر

وفى ذات مساء عدت الى البيت من حيث كنت أقضى المساء مع بعض الاخوان ، وبادرت زوجتى بالسؤال : هل تعلمين من رأيت الليلة ؟ أجابت على الفور فلان . فدهشت لان لفلان هذا حكاية كانت قد روتها لى زوجتى منذ بضع سنين وهو فى سوريا وكنت وزوجتى قد نسينا أمره ولم يكن منتظرا ان يأتى الى مصر . فسألتها لماذا ذكرت هذا الانسان ولم تذكرى سواه ؟ قالت : لا أدرى . هو من لاح ببالى حالما سألتنى . قلت انه أتى من سوريا أمس فهل يمكن ان تكونى قد علمت بقدمه . قالت : لم اخرج من المنزل لا أمس ولا اليوم فأنى لى ان اعرف ؟

مثل هذه حوادث كثيرة لا تحصى . وتحدث لكل انسان تقريبا ، فلا يمكن ان تكون مصادفة لان المصادفات نادرة جدا ولكن حوادث كهذه متواترة . فلا بد أن يكون ثمة سبب لهذه التواردات المتواترة

تناجى الحشرات

لا يقتصر هذا الوحى أو الالهام أو توارد الخواطر على البشر بل هو شائع فى كثير من الحيوانات ولا سيما الحشرات . فللحشرات « تلبثى » أيضا

قرأت فى كتاب حياة الحشرات الاجتماعية للمؤلف الفرنسى فابر Fabre فصلا عجيبا عن حياة الفراشة المسماة « الطاووس الاكبر » وتسمى هكذا لانها تشبه الطاووس بكبر جناحيها وجمال نقوشها المختلفة الالوان . وكان هذا العالم بالحشرات يدرس هذه الحشرة منذ ولادتها لكى يفهم كيفية تطورها . ولا يخفى ان معظم الحشرات تبيض بيوضا صغيرة جدا كما هو معلوم للكثيرين فى بيوض القز (دود الحرير) ومتى جاء الربيع ودفء الطقس تنقف تلك البيوض عن ديدان . ولا تزال هذه الديدان تنمو الى ان يتم نضجها . ثم تكمن فى شرنقة أو فى غلاف جلدها برهة الى ان تتحول الى فراشة طائرة

وقد جعل هذا العالم يدرس دودة « الطاووس الاكبر » حين شرعت تتحول الى فراشة الى أن تم تحولها فاذا هى انثى . والانثى تختلف عن الذكر بصغر جناحيها . فوضعها فى قفص من أسلاك دقيقة جدا بحيث ترى ولا تستطيع الخروج

وفى صباح اليوم التالى قصد الى معمله لكى يرى ما صار اليه أمرها . فاذا عدة ذكور من نوعها زاهية الالوان جاثمة على القفص تغازل تلك الانثى السجينة وتعرض عليها اجنحتها الملونة اغراء لها وتحببا اليها . ولعلها كانت تناشدها الاشعار لبث الاشواق والشكوى من الفراق

من أين جاءت تلك الذكور والمكان ليس مرعى حشرات . الحشرات تترعرع حيث توجد المياه الآسنة والمستنقعات وعالمنا جاء بدودة تلك الحشرة من برية تبعد عن البلد نحو ميل . فكيف اهتدت الذكور الى معتقل تلك الانثى . استغرب العالم الامر جدا ورام

أن يبحث عن هذا السر . فاصطاد بعض الذكور ، وخطر له انها تشم رائحة الانثى عن بعد ، أين يا ترى حاسة الشم ؟ لعلها فى قرون الذكور المستطيلة النابتة من رؤوسها . فقص قرون بعض فراشات ثم أطلقها جميعا ، فذهبت بددا ، ثم نقل القفص الى مكان آخر خفي بعيد عن الضوء

فى الصباح التالى تفقد القفص فرأى بضعة وعشرين ذكرا تحيط به ، وبينها بعض مقصوصات القرون وغيرها مما قص أمس زغبا من تحت أجنحتها ، وغيرها عشاق جدد . اذن فليس سر الاحساس فى القرون

طرد الذكور كلها ، ثم نقل القفص الى غرفة داخلية فى الطبقة السفلى من المنزل مظلمة لا يتخلل اليها النور من الخارج ، ثم رش حوله نفتالينا وفينيكا وبترولا وكل ذى رائحة كريهة لكى يضلل الذكور اذا كانت تهتدى برائحة الانثى . وفى الصباح التالى وجدها كلها ومعها ذكور جديدة ، فحار فى الامر

خطر لصاحبنا آخر خاطر وهو ان يكون فى هذه الحشرات قوة اصدار موجات كهرطيسية كموجات اللاسلكى - أى كهربائية مغنطيسية - تسترشد بها . فوضع الانثى فى اناء زجاجى محكم الاقفال لظنه ان الزجاج عازل للكهرباء يمنع صدور الموجات الكهرطيسية الضعيفة . مع ذلك رأى ثاني يوم بعض الذكور حول ذلك الاناء الزجاجى . ولكن الزجاج ليس عازلا مطلقا للامواج الكهرطيسية، فلا ينفى تلك المظنة ، وسأعود اليها فى تعليل كل ما تقدم

مهاجرة الطيور

ومهاجرة الطيور نوع من التلبثى ، ولها كذلك سبب واحد . وهى ظاهرة غريبة يعرفها جميع القراء . والذين يأكلون طير البيكافيك فى مصر يعرفون انهم يأكلون طيرا أوربا عبر جو البحر المتوسط فى رحلة واحدة . ولبعض انواع الطيور رحلات طويلة لا تكاد تصدق . فمنها ما يرحل من وسط أوربا الى جنوبى افريقيا ، ومنها ما يرحل من وسط كندا الى المكسيك فى رحلة واحدة مسافات مئات الاميال بل ألوفها

ترحل الطيور فرارا من البرد أو القحط وطلبا للرزق أو الدفء . تحدث هذه المهاجرات جماعات جماعات فى أوقات معينة من كل عام كأنها على ميعاد ، فكيف تعرف هذه الطيور ميعاد الرحيل ؟ وكيف تعرف السبيل الى مهجرها فى الجو وفوق البحر أو البر . هذه أسئلة خطرت على بال كل مفكر وتحير فيها المفسرون والمعللون وقالوا فيها أقاويل . ولكنها ليست تعاليل تزيل الحيرة . قالوا انها تهاجر بحكم الغريزة . ولكن ما هى الغريزة؟ « لقد فسروا الماء بعد الجهد بالماء » . الغريزة كلمة غامضة لا تفسر سرا . وهناك من قال ان لهذه الطيور حاسة الاتجاه . وهذا قول مبهم أيضا لا يفسر سرا . ما الذى ينبه الطير الى الرحيل فى ميعاد معين والى أخذ ذلك الاتجاه

الراديو الفكرى

ان ما نسميه تلبثى أو توارد الخواطر ليس مصادفات كما يظن بعض العاجزين عن التفسير . لان المصادفات ليست الا نادرة ، فان تواترت فلا تكون مصادفة بل لابد من أسباب لها . ونحن نبحث عن هذه الاسباب . فالقول انها الهام أو ايحاء أو غريزة أو حاسة اتجاه ليس تعليلا بل هو ايغال فى الغموض

الراديو الفكرى هو راديو لاسلكى كهرطيسى حقيقى لا مجازى فهو كالراديو الذى فى منازلنا وبه نسمع الكلام عن بعد . المبدأ واحد والاسلوب واحد والتموج الأثيرى واحد وليس من فرق الا فى الاجهزة الميكانيكية المصدرة (المذيعة) والمستقبلة . لا صلة مباشرة بين دماغ صديقى ودماغى . وانما كلا الدماغين فى اوقيانوس واحد من الأثير يتموج بفعل حركة الخليات الدماغية التى يحدث فيها التفكير موجات كهربائية مغنطيسية كما تحدث هذه الموجات فى الاذاعة بفعل الاصوات عن طريق جهاز الاذاعة . وهذه الموجات تختلف فى الطول وفى عدد الموجات فى الثانية كما هو معلوم

فاذا فكر صديقى تفكيرا مهما أصدرت خليات دماغه موجات كهرطيسية تنطلق فى الفضاء الأثيرى ، فاذا كان تفكيره يهمنى أو يخصنى انفعلت خليات دماغى بالموجات الصادرة من خليات دماغه واصدرت نفس التفكير . فما كان تفكير صديقى الا اذاعة لاسلكية دماغية . وما تنبهى لها الا استقبال هذه الاذاعة فى راديو دماغى . هذه هى حقيقة توارد الخواطر

كهربة الخليات

لقد أثبت العلم الحديث ان الجهاز العصبى فى الانسان بل فى جميع الحيوانات حتى فى جميع الأحياء على الاطلاق انما هو جهاز كهربائى معبأ تعبئة كهربائية ضعيفة بالنسبة الى التعبئات الكهربائية التى نعرفها . على ان المقياس الكهربائى المسمى جلفانوميتر الدقيق يكتشفها ويحس بها ويسجل قيمة قوتها

وهو معلوم ان بعض الحيوانات تصدر تيارات كهربائية قوية الى حد ما فى أحوال خاصة كالسمك الرعاد فانه يصدر تيارا كهربائيا فى الماء يصرع عدوه أو فريسته أو يشل حركته . واذا قتلت ضفدعة وقطعت رأسها وسلخت جلدها ثم لففت على كل من ساقيها سلكا ثم أدنيت طرف السلكين الواحد الى الآخر طفقت تنتفض انتفاضا عنيفا بفعل تيار كهربائى صادر من بعض الضفدعة . ذلك يدل على ان فى الجهاز العصبى تيارا كهربائيا فعليا . فكيف ذلك

سر الحياة

قرأت كتابا للعلامة الروسى لاخوفسكى عنوانه سر الحياة برهن فيه المؤلف ان مبدأ

الحياة الذي سماه الفيلسوف الفرنسي برغسن Elan Vital أي النشاط الحيوي (وهي تسمية غامضة لا تفيد معنى) انما هو نبضة كهربائية تسري في الانابيب المسماة كروموسوم في خلايات الجسم الحيوي . وهي تحدث من رد فعل الاشعة الكونية Cosmic Rays التي تقع على الخلية . والخلية في كل نسيج حيواني أو نباتي تؤلف من نواة في وسطها تحيط بها مادة مائعة تسمى بلاسما وحولها غلاف غشائي . وفي النواة أعضاء مختلفة ليس يهمنا منها الا الخويطات المسماة كروموسوم ، وهذه الخويطات كأنابيب ، وفي داخلها مائع يحتوي على املاح معدنية (منها الحديد) صالحة للتكهرب والتمغنط . وجدرانها مواد عضوية كربوهيدراتية عازلة للكهرباء أي انها تمنع انفلات الكهرباء منها . وفي هذه الانابيب أو الخويطات تلعب الامواج أو الذبذبات الكهرطيسية أدوارها

تصدم الاشعة الكونية الواردة من الخارج انبوبة الكروموسوم فتكهربها أي تحدث فيها قوة كهرطيسية تسمى فعلا ذاتيا Self Inductance . فتصدر هي بنوبتها كهرطيسية مطابقة بالطول والذبذبة للموجة الصادمة على نفس مبدأ الراديو . ولكل نوع أو أسرة من الخليات درجة خاصة من درجات الاشعاع الموجي السابق بيانها كما ان لكل وتر من الأوتار الموسيقية اهتزازات خاصة تصدر نغما خاصا به . بهذا الفعل الكهرطيسي الموجود في خليات الاحياء الحقيرة والعليا حتى النباتات يتسنى للطيور المهاجرة ان تهاجر في فصل معين من أوربا الى افريقيا ومن قارة الى أخرى بفعل موجات كهرطيسية صادرة من المهجر وصادمة خليات دماغ الطير فتهتدي بها . وما فتىء العلماء يقولون ان هذه المزية في الطيور وغيرها من الحيوانات انما هي غريزة . ولكن ما من أحد فسر لنا الغريزة تفسيرا يخرجها من حيز الغموض الى حيز الوضوح . ولكن نظرية لاخوفسكي هذه أبانت لنا ان الغريزة ليست الا هذه الموجات الكهرطيسية المترددة بين الخليات الحيوية ولا سيما الدماغية كما أسلفنا

ومن أمثلة ذلك ان تألق حشرة الحباحب أي سراج الليل انما هو أمواج كهرطيسية منظورة في نوع من خلياتها تقارب موجات النور في الطول وعدد الذبذبات ، أي عدد الموجات في الثانية . ولا يخفى أن النور تموج كهرطيسي كأمواج الراديو.

وقوة الشم التي تهتدي بها الكلاب الى المجرمين ليست بالحقيقة في حاسة الشم نفسها وانما هي في الجهاز الكهرطيسي في خليات من جهاز أنف الكلب العصبي مختصة بالانفعال بما يصدر من كهرطيسية المواد المشمومة كما ينفعل جهاز الراديو بموجات اذاعة خاصة لا بغيرها حينما توجهه الى تلك الموجات

وقد روى لي صديق ثقة ان كلبا سرق من بلدة بحمدون في لبنان وأخذه سارقه الى صيداء . ثم هرب الكلب من صيداء وعاد الى بحمدون وبين البلدين وعور وجبال وأودية . فهل يعقل ان الكلب استرشد بالشم والرياح والاهوية تتلاعب بذرات الرائحة من كل صوب ؟ وهل يمكن تعليل هذه الظاهرة بسوى انفعال دماغ الكلب بموجات

كهرطيسية صادرة من موطنه الاصلى الى كل ناحية ؟

وقرأت فى كتاب لاخوفسكى نفسه المشار اليه آنفا ان حمام الزاجل اطلق من مكان فيه محطة اذاعة لاسلكية لكى يعود الى موطنه . فكان يحوم حول المحطة وهو حائر لا يدرى الى أين يتجه لان موجات الاذاعة شوشت عليه الموجات الواردة من محل اقامته الاصلى . فلما سكتت الاذاعة انطلق فى سبيله بسلام . وقيل والعهدة على الراوى ان هذه العملية جربت فى برج ايفل اذ اطلق حمام الزاجل من البرج وفى قمة البرج محطة اذاعة لاسلكية فلم يستطع الحمام ان يتجاوز محيط البرج

وحاصل القول ان خليات جميع الاجسام الحية على الاطلاق انما هى اجهزة كهرطيسية مختلفة القوات الموجية من حيث طول الموجة وعدد الموجات فى الثانية . وكل نوع منها ينفعل بدرجة خاصة من الامواج كما انه يصدر ذلك النوع نفسه . كل خلية تصلح ان تكون مذيعة وان تكون قابلة للمذاع ، فما يسمونه « تليثى » انما هو من هذا القبيل: أمواج كهرطيسية خاصة تصدر من خليات دماغ واحد فتصدم خليات دماغ آخر قابلة لتلك الامواج فتصدر هذه الخليات المتصدمة تفكيرا كتفكير الدماغ الاول الذى اصدر الموجات

ولكل دماغ نوع موجات خاصة من حيث طول الموجات وعددها كما هو الامر فى محطات الاذاعة وفى أجهزة الراديو القابلة الاذاعات . فاذا تشابه دماغا شخصين فى اصدار الموجات الفكرية وقبولها ورد فكر الواحد على دماغ الآخر فنقول تواردت خواطرهما . يكثر هذا التشابه بين أفراد الاسرة الواحدة لان أدمغتهم « مدوزنة » على نسق واحد . ويليهم فى التشابه الاقرباء فالجيران فأبناء البلد الواحد الخ

وبناء على هذا التفاعل الدماغى الكهرطيسى يتوارد الخاطر بين المنوم المغنطيسى والنائم المنوم لانهما تمرنا طويلا على هذا التفاعل . ويمكن ان يتمرن الناس بعضهم بين بعض على هذا الايحاء الكهرطيسى . واذا تمادوا فى هذا التمرن فلعلهم فى المستقبل البعيد يتفاهمون من بعيد بلا كلام بفعل الراديو الدماغى

نقولا الحداد

قال أبو الزناد : كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب الى عبد الحميد عامله على المدينة فى المظالم فيراجعه فيها ، فكتب اليه أمير المؤمنين : انه يخيل الى أنى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة ، لكتبت الى أضأنا أم معزا ، ولو كتبت اليك بأحدهما لكتبت الى ذكرا أم أنثى ، ولو كتبت اليك بأحدهما ، لكتبت الى أصغيرا أم كبيرا ؟ فاذا كتبت اليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها

فلسفتي في الحياة

بقلم الأستاذ فكري أباظة بك

قد يرسم « الفيلسوف » خطة نظرية لا يطبقها فى حياته وإنما ينشرها درساً للناس . ولكن « فلسفتى أنا » ليست علماً ، وإنما هى أمر واقع ! وليست درساً وإنما هى « تطبيق » !

وبناء عليه : لست فيلسوفاً وان كانت لى فلسفة . أو قل أنها ليست فلسفة وإنما هى سليقة وطبيعة و « خلقة » ...

الحوادث والأحداث هى التى رسمت لى فلسفتى الخاصة . واليك بعضها :

١ ـ كنت يوما فى قهوة « لونابارك » وقد جلس بجوارى رجل طيب من زبائن القهوة . أخذ يحادثنى وهو على مائدته عن مشروعات مالية كبرى شرع يعد معداتها ومر « بائع فسيخ » فأخذ يفاصله ثم سكت والفسيخة فى يد البائع .. سكت .. ثم سكت .. واذا به قد مات !

٢ ـ كان الشيخ « سيد الخشن » من أعيان ناحيتنا يلعب الطاولة مع « عم ميرغنى » . ورمى عم ميرغنى الزهر ثم لم يلعب . وكان الرهان على خمسة قروش صاغ . وكان « الأوين » الاخير . واستشاط الشيخ سيد غيظا وأخذ يصيح فيه : ألعب ! يا ميرغنى ألعب .. انت « حاتفلس » يا ميرغنى ؟ عيب يا ميرغنى !

كل هذا وميرغنى لا يتحرك . لان ميرغنى كان قد مات !

٣ ـ كنت فى سينما « المتروبول » فى حفلة من حفلات الحزب الوطنى . وكنت بجوار « على بك فهمى كامل » انتظر دورى فى الخطابة ، وخطب قبلى على بك .. ولما انتهى وسط ضجة من التصفيق قبلته . فقال لى انه يريد السفر باكر للزقازيق لزيارة الأستاذ الكبير وجدى بك . فقلت نسافر سويا ، وجاء دورى فبدأت أخطب . ولكنى شعرت بلغط ورائى فظننته « عدم استحسان » ، والتفت ورائى فاذا بعلى بك فهمى كامل قد مات!

٤ ـ فى أسرتى توفى فجأة أصدقاء وأقرباء أعزاء . لم افارقهم يوما واحدا : أحدهم مات فى القهوة وهو يمزح مع أصدقائه ـ والثانى مات فى ليلة دخلته على عروسه ـ والثالث قضى نحبه وهو يلبس حذاءه ـ والرابع اختاره الله لجواره وهو بين يدى فى وليمة غداء يداعبنى وأداعبه ـ والخامس مات وهو نائم بهدوء فى فراشه ـ والسادس سقط صريعا

وهو فى انبل مواقفه على منبر مجلس الشيوخ ـ والسابع ، والثامن .. الخ الخ
٥ ـ وكثيرون كثيرون من اصدقائى ومعارفى وافاهم الاجل المفاجىء المحتوم فى الدواوين وفى القطار ، وفى الترام ، وفى النادى ، الى آخره ..

***

من هذه الحوادث والاحداث أخذت « فلسفتى فى الحياة » وتشبعت بها وملأت ذهنى وسادت خطتى فى دنياى !..

اذا كان الامر كذلك فلماذا لا تتعظ ؟ ولماذا لا تقنع ؟ ولماذا تخاصم ؟ ولماذا تنتقم ؟ ولماذا لا تعف ؟ ولماذا لا تعلو ؟ ولماذا لا تجمع ثروة القلوب لا ثروة الجيوب ؟!

***

ما الحياة ؟!

الحياة فى نظرى ونظر الناس جميعا بتعريف جديد هى :

١ ـ عمل .. ٢ ـ صحة .. ٣ ـ زواج .. ٤ ـ أولاد .. ٥ ـ عاطفة ..

هل فى الحياة أكثر أو أقل من هذه العناصر الخمسة ؟ زدت أو أنقصت فلا بد أن الحياة كلها تدور معركتها وحركتها حول هذه العناصر الخمسة ..

فاستمع الى فلسفتى ازاء كل عنصر منها :

١ ـ العمل

أؤديه كما يجب . وبما أن العمل ليس ملكى وانما ملكى وملك غيرى . فيجب أن أجيده . ما دمت أقبض أجرى كمحام أو صحفى أو .. أو .. الخ ففلسفة الذمة « النظيفة » تقضى بأن لا أخون فى كمال الاداء ودقة الاداء . وفى هذا الميدان اختلف مع غيرى أو تختلف فلسفتى مع فلسفة غيرى فى انى لست من غواة الطفرة ! ولا من غواة الاستغلال ! فأنا لا أقفز .. أنا « سلحفائى » ولست « أرنبيا » فى الجرى الى الهدف . دستورى أن أرضى واجبى قبل أن أرضى أطماعى . وطالما وبخونى وطالما حرضونى وطالما همسوا فى أذنى قائلين : استغل ! اقفز ! ولكن كانت فلسفتى تقف دائما حائلا دون ذلك . كانت تقول لى : القفز والاستغلال يستلزمان حتما أن أدوس بقدمى بعض المبادىء الاخلاقية .. الاطماع الواسعة السريعة تتطلب تنكرا ، تمردا ، حملة ، حربا ، نفاقا ، غدرا ، « مسح جوخ » ، فتنة ، وهذه كلها أساليب لا تتفق والفلسفة ، ولا تحيا فى حياة الفلاسفة ..

ومن هنا قيل انى تنوع ! انى مهمل ! انى متهاون ! انى زاهد ! انى فيلسوف .. ـ وشكرا للمتهكمين : انى لسعيد !

٢ ـ الصحة

لا تفهمها فلسفتى فى الحياة كما يفهمها الناس . أنا لا أرهق جسدى ولا ذهنى لدرجة الاستحالة . فأنا حريص كل الحرص على أن أتناول طعامى بنظام . وفى بيتى . ولا أذكر انى سمحت لعملى بأن يطغى على مواعيد طعامى . ولا أظن ان « غول الاستغلال » قد أكل يوما واحدا من وقتى المنظم . والصحة عندى هى أكل منظم ، وسهر منظم ، وبرنامج يومى منظم . ولا أظننى سمحت لاعصابى بأن تتألم أكثر مما يجب ، أو تفرح أكثر مما يجب ، أو تثور أكثر مما يجب . كنت أروضها وأمرنها على أن تظل هادئة بقدر ما تستطيع الطاقة البشرية . وبعض كبار « المرضى » انما يتابعهم المرض من عدم النظام . فأغلب الموظفين يأكلون بعد الساعة الثالثة . ويشتغلون صباحا وظهرا ومساء . ولا أظن أن مستر « تشرشل » يفعل مثلما يفعلون . فهى بلادة طبع واجراء وعدم كفاءة فى التنظيم والترتيب ولذلك فان «فلسفتى الصحية» تستند الى مبدأ « الوقاية » لا «العلاج» وأظنه المبدأ الأصح ..

٣ و ٤ ـ زواج وأولاد

لم أتزوج ولم ألد . وفلسفتى هنا فلسفة لا يقرها الدين ولا العرف . ويعتبرها البعض « أنانية » أو « جبنا » .. لكن ! أنا لا أتكلف وانما أنا رجل ترى فلسفته انه صان أخلاقه ومبادئه حتى الكهولة . وتعتقد فلسفته ان « الزواج والاولاد » مبخلة ومجبنة !!

فلسفتى تقول لى فى هذا الصدد : أنت رجل بطبعك وسليقتك ضعيف أمام السيدات والآنسات . وتجاربى تؤيد فلسفتى . فاذا ثبت انى ضعيف فى دنيا لا تربطنى بها واجبات مقدسة فمن باب أولى أكون « اضعف » فى دنيا الزوجة ودنيا الاولاد . وهذا الضعف المتنقل يجر الى ضعف فى الاخلاق والمبادىء تحت ضغط الضعف الزواجى والبنوى وهذا ما أخشاه وما أتفاداه !

٥ ـ العاطفة

مثل هذه الفلسفة فى الحياة لا تلد الا عاطفة ناضجة فوارة . فأنا رجل عاطفى بكل معنى الكلمة : مخلص اذا أحببت ـ مخلص اذا تعاقدت ـ مخلص اذا صادقت ـ مخلص اذا جاملت ـ مخلص اذا فرحت واذا حزنت ..

العاطفة القوية دعامة شخصية قوية . والانسان بدون عاطفة حية خصبة فياضة لايصح أن يسمى « انسانا » اذا كان اللفظ وثيق الصلة بالانسانية !!

***

هذه الفلسفة قد تقبض جزاءها متأخرة جدا عن غيرها من « فلسفات » الآخرين ولكن شعور الانسان ازاء نفسه بأنه يحترم نفسه رأس مال كبير ..

فكرى أباظة

المسرح المصري في هذه الحرب

للاستاذ زكي طليمات

مدير معهد فن التمثيل العربي

ان المتقصي مدارج المسرحية في تاريخ الأدب يلاحظ ظاهرة جديرة بالتنويه فيما نحن بصدده ، فالتأليف المسرحي لا يعمل على أحسنه في زمن الحرب الا فيما ندر ، واذا عمل فانه يكون لتسجيل النزعات الطارئة والانفعالات المرتجلة التي يبعثها وحي الساعة العصيبة ، فيأتي تسجيلا شاحبا كابي اللون يفتقر الى العمق والدسم والخصب ، وهي من عناصر المسرحية الكاملة . وعلى هذا فان أكثرية المسرحيات القيمة التي تزخر بانفعالات الكائن الانساني وهو يواجه الحرب ، وتكشف عن سريرته ازاءها ، لا تبرز الا بعد أن تضع الحرب أوزارها وينقشع دخانها

ومرجع هذا أن الذهن في أثناء الحرب ، وهو الحدث الجلل ، يكون ايجابيا من ناحية مواجهته كوارث الحرب ، الانسان اذ ذاك ، كما هي الحال الآن — ولا سيما في البلاد المحاربة — يكون منصرفا بكل قواه العقلية والجسمية الى تدبير شؤونه الحيوية ، موزعا بين المحافظة على كيانه وبقائه ، وبين القضاء على خصمه المحارب ، وهو في هذا يجري أحكامه وينجز أعماله وثبا ونهبا ، بت عاجل في الأمور وانجاز سريع لها ، وسط جو ملبد بدخان تتعذر فيه الرؤية الفاحصة . وحال هذا شأنها لا تساعد الذهن على أن يبتدع عملا فنيا ، من مذكيات عناصره الهدوء وبعض الاستقرار الذي يساعد على التأمل والبحث والتمحيص وجلاء البصر وصفاء البصيرة

غير أننا نبالغ بعض الشيء اذا قررنا أن الذهن الانساني تشل فيه ملكات التوليد والخلق في عالم المسرحية وذلك بفعل مشاغل الحرب وضائقتها . الواقع أن هناك بعضا من مسرحيات ومشاهد تمثيلية تكتب في زمن الحرب وتخرج على الناس ، ولكنها مسرحيات نفعية مرتجلة ، منها ما هو للدعاية ، ومنها ما هو للاستحثاث على الجهاد والسير فيه قدما ، ومنها ما هو للتفكهة واثارة الضحك في وقت يعز فيه الضحك ، وجلها من الأدب المائل والفن الهزيل لافتقارها للقيم الانسانية الثابتة والحقائق الباقية التي هي من عمل التفكير العميق والحس البعيد في أغوار النفس

كذا شأن التأليف المسرحي في زمن الحرب ، وفي البلاد التي تكابد ويلاتها ويشهد أهلوها بأنفاس دورهم وأشلاء قتلاهم

أما في البلاد التي تكون الحرب على أبوابها ، أو هي تجري في أطرافها وعند مشارف

حدودها ، فالأمر يختلف بعض الشىء ، ومرجع هذا أن الواعية لدى الكتاب تقف من أحداث الحرب موقف المتفرج العاجب ، وقد اتفت عنها بواعث الفزع المزعج ، فتكون ايجابية فى عملها ، اذ يوقظ الخطر البعيد حواس النفس وملكات الذهن ، فتبرى بعض الأقلام متوفزة فى هدوء تجوس مسالك المشكلة القائمة الملوحة باخطارها وتنقب فى حنايا النفس المنفعلة فيكون لبعضها وزن من الفن الصادق والأدب القيم . وعلى الجملة فان القدرة على معالجة شؤون الحرب بطريق المسرحية تكون حسب شعورنا بالحرب ، واكتوائنا بويلاتها ، وتأثرنا بفعالها المباشرة ، أو بوقفنا منها موقف الشاهد

مصر والحرب

كيف تحس الحرب فى مصر ؟ الحرب عندنا ضائقة مادية وأزمة نفسية ، ارهاب وفزع ، وتلويح بدمار ، بل ودمار مرتجل يقع من وقت لآخر فى الصحراء الغربية وفى اطراف شواطئنا بفعل غارات جوية ، أو زحف من جانب جيوش المحور فى الصحراء سرعان ما يتلاشى تلاشى أعاصيرها ، هذا والقتال تنهض به جيوش الحليفة بريطانيا وانصارها . فأغلبيتنا الساحقة تحس الحرب ولا تراها ، وتشم دخانها ولا تكتوى بلظاها ، والمقام هنا ليس لتحديد موقفنا من الحرب من الناحية السياسية والعملية ، وانما نقول اننا بمركزنا القائم أصبحنا فى نجوة من دمار الحرب وويلاتها ، تنعم بشعور نسبى من الاستقرار والامان ، ولكنه شعور تشوبه مخاوف الخطر القائم وملل الانتظار : استقرار واضطراب ، أمان ومخاوف ، تياران عنيفان من شأنهما أن يسلما النفس الى الضيق ، فينبعث فيها لاعج لا شعورى ، مأتاه رد فعل هذه الحال ، ينساب فى جنبات الوعى ينشد التفكهة والتسرية والترفيه الذى يخفف عن النفس تحمل الضيق المعنوى ، والضائقة المادية

لم يكن عجيبا أن نرى نتاج أقلامنا فى تأليف المسرحية يتخذ ألوانا ، ان اختلفت فى الصيغة والمظهر ، فانها تتفق فى الباعث والمخبر . ويمكننا أن نجمع هذه الالوان فى ثلاثة أقسام :

١ ــ مشاهد تمثيلية للدعاية ولمعالجة توافه الامور الجارية
٢ ــ مسرحيات ذات وزن تعالج قيما انسانية ثابتة لها اتصال مباشر بالحرب
٣ ــ مسرحيات فكاهية ليس لها اتصال بالحرب

فى القسم الاول لدينا فيض لا ينقطع معينه نراه فى مسارح العرض الموسيقى Music Hall ، أكثرنه ، ان لم يكن كله ، مصطبغ بألوان فاقعة من الدعاية يهلل لانتصارات الديمقراطية على الاوتقراطية ، ويقدم على المسرح الشخصيات الهامة التى تلعب دورها الآن فى عالم السياسة والحرب . وأقلية هذه المشاهد تعالج معالجة سقيمة موقفنا من الحرب فى نواحيها المبذولة التى هى شغل رجل الشارع كاظلام الطرق وتغير وجه الرغيف الذى له لون فى كل يوم الخ . .

وكل هذه المشاهد التمثيلية هزيلة سقيمة مصطنعة لا قيمة لها ، مبذولة من أجل الكسب الهين العاجل ، مرتجلة لتملق احساس الجمهور ، بيد أنه على هزالها وسقمها ترسم في شحوب أطياف القلق الاجتماعي السائد في مصر

أما القسم الثاني ، وفيه تدخل المسرحية الحقة التي هي من وحي الحرب في جدية النظر اليها وعمق التأمل فيها وتقصي الاحاسيس التي تطلق بمؤثراتها ، فان نتاجه قليل ونادر ويا للأسف ، اذ لم يصل الى يدي منه ، وذلك بطريق المطابع ، غير مسرحيتين هما « المخبأ رقم ١٣ » و « قنابل » (١) وفي اسميهما دلالة ناصعة على انهما من وحي الحرب وللحرب التي لم نعرف عنها غير المخابىء والغارات وبعض القنابل

(المخبأ رقم ١٣) و (قنابل)

وكلمة « المخبأ » كافية لان تبعث الى الاذهان تلك الغارات الجوية التي كابدنا مخاوفها ، ولم نكابد فعالها أيام كانت جيوش المحور تهدد حدودنا الغربية . تلك الغارات كانت همنا وشغلنا الأوحد فلا عجب أن تكون عاملا يبعث الكاتب على انشاء مسرحية في صددها ، وقد وقع . بيد أن الكاتب لم يقصر همه على تسجيل مظاهر الانفعالات التي تعصف بنفوس اللاجئين الى هذا المخبأ ، وهم اخلاط متباينة من طبقات مختلفة يشد وثاق الالفة بينهم حذر الموت وخشيته ، ولم يكن الكاتب في مسرحيته هذه لزف المهاترات التي تقع أحيانا في مثل هذا الموقف ، ثم ابراز الطابع المحلي للحوادث والاشخاص ، بل تجاوز كل هذه المظاهر قادرا الى ما هو أعمق وأبقى وأثبت ، تجاوزه الى الدلالة في تلويح لطيف على أن النفس البشرية لا تقيم على حال ، بل هي تغير من لبوسها بتغير العواطف التي تسرى قوية فيها ، فهي أبدا متغيرة متقلبة كوجه الماء ، له لون كلما تغير الضوء الذي ينصب عليه . فعل المؤلف هذا بعد أن شد حوادث روايته الى هذا المحور جاعلا من مثول خطر الموت وزواله ، من الفزع والطمأنينة ، مبعث الضوء الذي يصب أشعته المختلفة اللون على شخوص المسرحية، فاذا هم يتغيرون عواطف وشعورا ويتناقضون فيما بينهم وبين أنفسهم كلما تغير لون الضوء الذي يغمرهم !

وفي مسرحية « قنابل » نرى المحور الذي تدور عليه حوادث الرواية هو خوف الموت وقد تجسم في قنابل الطائرات المغيرة . هذا الموت الذي يؤمن العقل بأنه نهاية محتومة فلا خوف ولا مفر منه ، وهو أيضا هذا الموت الذي تفزع الغريزة من طيفه وتحاول الفرار منه بدوافع لا شعورية ! نضال عنيف بين العقل والغريزة في هذه المسألة الحتمية شرعه المؤلف على شخوص المسرحية ، فاذا هم يتطوحون بين المنطق الذي هو من فعل العقل الظاهر ، وبين الغريزة التي هي من عناصر العقل الباطنة ، فكأن أن حسر التام

(١) المسرحيتان المذكورتان من تأليف محمود تيمور بك القصاص الكبير

عن نواح من مغلقات النفس التى هى واحدة فى كل زمن

وبهذا لم تتجاوز مسرحية الحرب الحقة لدى مؤلفينا غير معالجة اخطار الحرب من ناحية الموت وقد لوح بتجله مهددا بالفناء ، وكان هذا أمرا طبيعيا يتفق تمام الاتفاق والمحسوس والمقروء والمسموع لدينا من أهوال هذه الحرب وقد وقفنا على هامشها نراقب حوادثها تارة فى هدوء وفرح ، وأخرى فى فزع وغم . وفيما عدا هذا لم تقرأ قصة ، ولم نشاهد مسرحية تناولت الحماس القومى وقد التهب بلهيب الحرب ، ولم نطالع شيئا يعالج ناحية من فلسفة الحرب ، من حيث انها ضرورة اجتماعية ومظهر من مظاهر التجدد والبعث المستمر

مسرحيات فكاهية ليس لها اتصال بالحرب

والى جانب القسمين السابقين جاء فيض من المسرحيات الفكاهية بمختلف أوضاعها الفنية من « كوميدى » أخلاقية و « فودفيل » صاخب بشوقاته المفتعلة ، و « هزلية » تنوء بحمولة من النكات اللاذعة والعبارات المملحة بالمحكومات الحرب وسخريات الضائقة المالية . ومأتى هذا ولا شك هو رد فعل الحالة القائمة التى تسود المجتمع ، وميل أصيل فى الطبع المصرى الى التفكهة وتهوين المحن

ومصداق ما أذهب اليه فيما تقدم أولا وأخيرا ، تلك المسرحيات التى تقدمت الى لجنة مباراة التأليف المسرحى — وهى مباراة أقامتها وزارة الشؤون الاجتماعية بين المؤلفين المصريين — فقد تجاوز عدد هذه المسرحيات المقدمة مائتين واربعين ، كلها من النوع الفكاهى ، الا عشرا للجد الخالص والمأساة ، وليس بينها واحدة تعالج مشكلة من مشاكل الحرب . وبين هاته المسرحيات ثلاث مكتوبة بالشعر

لغة المسرحية

فشت العامية مزهوة وانزوت الفصحى بعض الشىء فى كبريائها . وهذه ظاهرة غير مستغربة لان أكثرية المسرحيات التى كتبت اثناء الحرب من النوع الفكاهى المقصور على معالجة نواح من حياتنا المحلية . ومن المعلوم أن حسن استقامة المعقول La vraisemblance من جانب المسرحية الفكاهية يقضى بأن يتكلم شخوصها كما لو كانوا فى الحياة الواقعية ، ونحن فى الحياة الواقعية يندر أن نتكلم بالفصحى الخالصة

وقد يمتد لهذه الظاهرة أصل الى أن مجال التجويد فى اللغة العربية ، وقد خضعت لمقتضيات الحوار المسرحى ، لا ينهض به غير المقتدرين من الكتاب الذين لهم عرق أصيل فى اللغة . وقد يكون لحالة القلق السائد ، ولاننا ننتهب الحياة انتهابا فى هذه الآونة ، دخل فى نزوع الكتاب المسرحيين الى الاخذ بالعامية لسهولتها ولانها مبذولة النال لكل

كاتب ، ولا تتطلب الحذق الفني والمراجعة والتقصي وما اليها من مستلزمات لا بد أن يأخذ بها المؤلف المسرحي اذا أزمع أن يكتب مسرحيته بالفصحى (١)

وتتضمن لغة هذه المسرحية الفكاهية استعارات وعبارات مألوفة فيما نطالعه في الصحف من أخبار الحرب ، « فزمارة الانذار » و« رجعت الى قواعدها سالمة » و «الانوار الكاشفة» و « الدبابة » و « O.K. » استقرت في حوار بعض المسرحيات من غير افتعال . وهكذا غدت المسرحية صفحة في سجل لغة الزمان الذي نعيش فيه الآن

الاقبال على دور التمثيل

اذا قررنا أن المسرح المصري يسعد الآن بأيام زاهرة من حيث اقبال الجمهور على حفلاته لما قررنا غير الواقع ! ومأتى أكثر هذا نزعة الترفيه التي ساورت الجمهور في مختلف طبقاته بتأثير ضائقة الحرب فجعلته يتلمس أسباب التسلية اينما كانت وكيفما كانت . وكذلك اليسر المادي الذي هبط على طبقات خاصة من الناس بفعل ارتفاع أجور الايدي العاملة ، وزيادة كسب التجارة ، وظهور طبقة من أغنياء الحرب ، فأصبحنا نرى في دار الاوبرا الملكية مثلا ، وجوها ما كنا نطالعها قبل الحرب . وفوق هذا فان الجمهور في أكثريته حد من تهافته على ارتياد المراقص وصالات العرض وأوكار المتعة الحسية ، تدفق أفواج الجنود عليها من كل جنس ـ ومن الخير الابتعاد عن أناس تلبسهم نزعة جامحة الى الاستمتاع باعتبار أن لا غد لهم ـ كما أن الاوامر العسكرية الخاصة بتقييد السهر وتقديم المشروبات سلبت هذه الاماكن بعض ما كان يألفه فيها روادها القدماء . وقد يكون لاكتظاظ دور السينما بالجنود المحاربة تأثير في أن يتجه الجمهور نحو المسارح

فن الممثل وفن الاخراج

الممثل في فنه ، يصدر عن طبعه وقد اتجه في محاولة صبيرة للتطبع بشخصية الدور الذي يكون بين يديه ، كما أنه قد يتأثر ، الى حد ما في اختيار لون أدائه ـ وذلك من حيث الجنوح الى المبالغة أو الاخذ بأسباب الأداء الطبيعي الخالص السهل ـ بمزاج النظارة ولا سيما في الظروف التي يكون النظارة بفعلها خاضعين لنزعة بادية المعالم والحدود

الممثل اليوم مغموم بفعل ضائقة الحرب ، والنظارة كذلك ، فهما سواء في طلب التفكهة ، وكل منهما يحاول استخراجها من أتفه الاشياء . فلم يكن عجيباً أن يتسم فن الممثل الفكاهي بجنوح الى المبالغة في اثارة ضحك النظارة بكلام دوره ، بل هو يرتجل

(١) بيد أن العربية الفصحى لم تعدم أنصارها ، فقد ظهرت مسرحية « قيس ولبنى » للشاعر النابه عزيز بك أباظه و « ولاده » للشاعر الحاذق علي عبد العظيم . ومثلت الفرقة المصرية المسرحية الاولى في العام الماضي

أحيانا عبارات ليس لها أصل فى المسرحية ، وان كانت مما يصح أن تجرى على لسان دوره ، ابتغاء توليد النكتة البارعة. واساق الى هذا الجنوح الممثل الجدى فى تأدية أدواره الجدية ، ولكن بقدر هين ، فهو يكتفى فى تملق رغبة النظارة الى التفكهة بأن يبرز موطن الفكاهة فى دوره وينبه اليه تنبيها لا يخلو من مبالغة

أما فن الاخراج ، وذلك من الناحية الخاصة بالمناظر المسرحية والتأثيث وكل ما من شأنه أن يعمل على احياء الصبغة المحلية للرواية ، فقد رانت عليه نزعة الى توخى الاقتصاد نظرا الى غلو الخامات ، فاضطر المخرجون الذين لا يأخذون الا (بالواقعية) فى احياء الصبغة المحلية للرواية ، الى أن يخففوا من غلوائهم فى ايراد التفاصيل والزخرفة الزائدة فى رسم المناظر ، وان يقصروا التأثيث فوق المسرح على الأثاث اللازم الذى يلعب دورا مع الممثلين (١)

النقد والدعاية

انكمش النقد حتى صار أسطرا فى المجلات بعد أن كان يملأ أنهارا من الجرائد وصفحات من المجلات ، وعلة هذا ضائقة الورق وطغيان أخبار الحرب على كل ما عداها . ولم يتغير النقد فى جوهره عما كان عليه ، فهو اما للتشيع والمناصرة ، واما للتخذيل والمنازلة . وفى الحالتين يشكو هزال المعرفة . ولكن أخبار المسرح فى حوادثه ومظاهر نشاطه وتفاهات الممثلين ، ومغامرات الممثلات ، بقيت محتفظة بأهميتها

اما الدعاية فصارت متواضعة فى لغتها وفى الحيز الذى تشغله من الصحف واعلانات الحائط ، ومرجع هذا ارتفاع اسعار النشر بالجرائد ، وغلاء الورق . وثمة وسيلة جديدة فى الدعاية ظهرت لأول مرة على يدى الفرقة المصرية ، وهى الاعلان عن المسرحيات ومواضيعها بطريق الراديو من محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

هذه حال المسرح المصرى ، وقد دخلت الحرب فى عامها الخامس . وهى حال ترسم فى جلاء موقف الذهن المصرى من تأليف المسرحية ومن سائر فنون المسرح ، وتبين مدى تأثير الحرب على ناحية من نواحى التعبير الانسانى فى فن انتحلناه قريبا من فنون الغرب

زكى طليمات

---

(١) أخذت أنا شخصيا بمبدأ الايحاء والتبسيط والتركيز حتى فى اخراج المسرحيات الواقعية والأوبريت وأهمها « شهرزاد » و « يوم القيامة » . كما أخرجت مسرحية « يوليوس قيصر » وأحييت صبغتها المحلية بواسطة ست عواميد رومانية ، وتمثال لذئبة روميلوس ، فأستار من القطيفة على ثلاثة ألوان فحسب . هذا فى حين ان المسرحية المذكورة تجرى فى أكثر من خمسة عشر منظرا مختلفا

أدب العامة

بقلم الدكتور احمد ضيف

عرف المصرى بصفات ولدتها فى نفسه الحوادث التى مرت به من استبداد الحكام الماضين ، وشظف العيش الذى تذوقه وحرمانه من الحرية والاستقلال الذاتى . فأكسبته هذه الحياة الخضوع للحاكم خوفا من بطشه ، والاستسلام الى القضاء والاستهانة بأهوال الحياة ، والنظر الى الدنيا نظر الفيلسوف أو المتوكل على الله ، ومقابلة المصائب مقابلة المستهزىء بها . والمصرى بطبعه صبور قنوع يكفيه فى يومه ما سد رمقه ، يتحمل أشق الاعمال غير متألم ولا جزع

ولكن هذه الحال ملأت نفسه حرارة ، فغلت غليان المرجل فكان لا بد من كشف الغطاء اتقاء الانفجار ، وان يتنفس هذا البائس المسكين فألهمته نفسه أو ألهمه الله الميل الى المرح ، لينسى به هذه الآلام فمال الى المزاح والدعابة والفكاهة الحلوة و « التنكيت والتبكيت » . ومزج الجد بالهزل وكثرة الضحك والتهكم والنقد اللاذع والفكاهات الطريفة والتغافل أحيانا عن النظر فى المسائل الجدية المؤلمة ، حتى لقد كان يقابل كلمة السوء تصيبه من عدو بقهقهة أو « نكتة بلدية » أو يستسيغ الكلمة المرة التى غص بها غيره ، وبه كثير من السذاجة الفطرية التى قد تغلب على عقله وحضور ذهنه ولباقة لسانه، وقد يحمله أحيانا طيبة قلبه وسلامة سريرته على أن يكون ضعيف الارادة كثير التسامح

هذه الصفات النفسية والاجتماعية كان من حقها أن تظهر فى الأدب المصرى ولكن أدباءنا الفصحاء ساروا على منهج القدماء فى محاكاة الشعر القديم والنثر البليغ ، حتى لانكاد نجد من كلامهم أثرا واضحا يدل على أن هذا شعر مصرى ، أو أن ذلك نثر نشأ على ضفة وادى النيل . ولكن من حسن الطالع أن ظهر لدينا طائفة من الأدباء ، أو جماعة من عامة المثقفين وخاصتهم كانت تجتمع فى مجالس خاصة ، أو فى بيت من بيوت أحدهم أو فى دكان عطار أو فى قهوة على قارعة الطريق ، فيتناوبون الاحاديث فى الشؤون العامة أو يتطارحون الاشعار أو يقصون قصصا وحكايات جدية أو هزلية فى لهجة من المرح والتهكم والنقد اللاذع ، ولا يبقون على أحد من العامة أو الخاصة سواء أكان أميرا أم صعلوكا أم غنيا أم فقيرا أم عالما أم جاهلا ، وهم يمزجون فى أحاديثهم الجد بالهزل والحق بالباطل

وكان منهم الشعراء والادباء يقطعون الوقت قبل أن يقطعهم وكثير منهم كان من المتعطلين الذين لا هم لهم ولا عمل فى الحياة الا النقد والتشنيع على ما يرونه من فساد

أو شر ، يعملون على توجيه الناس اليه يواسى بعضهم بعضا ويسلى كل صاحب صاحبه ينفثون آلامهم ويبثون أحزانهم ويكشفون عما فى صدورهم فى عبارات تشبه لهجة العامة فى معانيها وتقرب أحيانا من عبارات الخاصة فى أساليبها والتعبير عنها ، ينظمون هذا كله فى موازين ومقاييس يحاكون غيرهم فيها أو يبتكرونها ، يملأونها بالنقد الحلو والفكاهة العذبة ويسمون ذلك زجلا

وكان من بين هؤلاء الشيخ حسن الآلاتى صاحب كتاب مضحك العبوس ورئيس جماعة المضحكخانة وكان مقره أمام مسجد السيدة سكينة ، ومنهم عبد الله نديم الخطيب المفوه والوطنى الكبير والزجال الشهير ، ومنهم محمد عثمان جلال صاحب العيون اليواقظ فى الامثال والمواعظ . وممن شاهدناهم امام العبد وحاشيته وغير هؤلاء من أدباء القهاوى والشوارع ودكاكين العطارين ممن كان يثور على الاجتماع الفاسد اذ ذاك وعلى الاحكام الجائرة

وكان من أشهر هؤلاء فى الزمن الاخير الشيخ محمد النجار العالم الازهرى المعروف وهو القائل فيما أظن :

يا موضه يا جيل الوز	يا خيبه من غير بز
يا موضه جيلك معروش	فات السنه والمفروض
يبقى صغار لسه ومأروش	ويروح آل يسكر ويز

***

الجامع يوم الجمعه	فاضى والخماره جامعه
والفيه فى شهره وسمعه	تدبح فى الرقبه وتجز

***

الموضه راكبه فيتون	والعاشق فيها مفتون
والعازب عقله مجنون	من كيدته يغتن ويبوز

***

الموضه بطربوش وذكه	والفلاح بالتوب البفته
قولوا له السته بسته	دى اللبده من عرقه تنز

***

هذا أدب مصرى جدير بالعناية

احمد ضيف

قصة مصرية

موعد مع السعادة

بقلم الأستاذ حلمى مراد

ليلة رأس السنة ..

أقبل الليل ، وتقدم ، وهو ما يزال فى مكتبه .. مكبا على العمل ! كانت قد مضت عليه ساعات وهو فى جلسته ، والغرفة مقفلة ، والاوراق متناثرة أمامه ومن حوله .. حتى أحس بالضيق ، والملل ، وحانت منه نظرة الى الساعة المعلقة تجاهه ، فنحى الاوراق جانبا وقام الى النافذة يفتحها ويطل منها على الميدان

وانتابه شعور من يفيق فجأة من كابوس ثقيل !

كانت الانوار الزاهية تشع من واجهات المراقص والمقاهى والدور ، وتتراقص على الاسفلت اللامع الذى غسلته الأمطار .. والضحكات الطروبة ترن فى الطرقات .. والموسيقات المرحة الصاخبة تنفذ من الحانات وتختلط فى الآذان .. وكل شىء ينادى ويدعو الى ارتشاف كؤوس اللهو والمتع ، نخب العام الجديد !

وأحس (هو) بشىء يتجمع فى اعماقه وينفث فى وعيه شيئا كالسم البطىء .. شيئا كأنه يقول « أنا الحياة !.. هيت لك .. فارحم نفسك وشبابك .. وتعال »

يا للفظ الشباب ! ان له فى نفوس الشباب لمفعول السحر أو أكثر . انه يحمل حشدا من المعانى يفتح مغاليق الاحساس ، ويفرش بالرمل الاحمر طريقا معبدا .. الى الملذات !

ووجد (هو) نفسه يتدثر بمعطفه ويدلف الى الطريق ..

كانت عيون السماء قد جفت ، وكفت عن البكاء حزنا على العام الذى يحتضر .. فمضى على قدميه ، حائرا ، تتنازعه الاضواء وتتقاذفه الارصفة ، كأى شخص بلا برنامج مرسوم . انه لم يكن ينوى أن يسهر الليلة . لقد سئم هذه السهرات المتشابهة منذ بعيد ، وصارت نفسه تتوق الى شىء جديد ، لم يكن يدرى ما هو .. لكنه لا ينى يبحث عنه ، وان انتهى به المطاف دائما الى نفس الحيرة .. وخيبة الأمل !

وجذبت بصره أنوار ملهى كبير ، فأقبل على بابه وهو يحس انه انما يغالط نفسه ، وانه ليس مشتاقا الى الدخول . وكان المدخل مزدحما فوقف خارجه يرقب الوجوه المتعطشة للهو ، واللهفة البادية فى العيون ، فلم يملك نفسه من العجب .. لهم .. ولنفسه ، وانفتح فى وجهه باب داخلى فهب عليه من صالة المرقص الكبرى دخان الانفاس المخمورة .. وصدم سمعه خوار السكارى ، وضحكات النسوة المتبذلات .. فأحس بالراحة ! كمن

كان يتلمس شيئا يصرفه عن الدخول .. ويرده الى الطريق
ومضى متثاقلا ، لا يعرف الى أين يسير ..

حتى لفظه شارع الملاهي الى أحد الميادين ، ولم يحس الا وهو يتأمل ـ دون وعي ـ سلما خضراء لسيارة أتوبيس أوقفتها اشارة المرور فجأة عند قدميه . وقبل أن يفكر رآها تتحرك .. فتنبه الى نفسه وهو يتعلق بها فتنطلق به مسرعة .. الى الحي الذي يسكنه
وباغته الأسى . آلمته حيرته ، ووحدته . فأحس كأن شبابه يفر منه هباء ، وأعوامه تمر .. بلا معنى ! ولذ له ان يفكر في أمره ويخلو الى نفسه طويلا ، في جو من الصفاء ، بعيدا عن الضجيج . لقد أحسن صنعا بالهرب من جو المدينة الصاخب .. الكريه
وتركه الاتوبيس قرب منزله ، فسار اليه متمهلا وقد راعه السكون الشامل ، والليل الساجي .. وثابت نفسه الى بعض السكينة ..

***

واستلقى في غرفته على مقعد طويل ، وأمسك كتابا .. ثم تنبه بعد زمن ، فاذا هو لم يقرأ أكثر من ثلاثة سطور ، فأعاد الكتاب الى مكانه ووقف يتأمل صفوف الكتب المتراصة . ما جدواها ، وغناها ؟ لقد بدأ يكفر بهذه الالهة التي طالما عبدها ووجد في صحبتها غنى عما عداها !.. ان في الدنيا اشياء أخرى ممتعة تطيب بها الحياة وتحلو . ولكن أي شيء من هذه الاشياء لم يجربه ويتصرف عنه ، متبرما ؟ لقد ذاق كل شيء .. وعافه دون أن يجد في شيء مبتغاه الغامض ، أو تخلد نفسه الى الراحة ، أو السلام العذب الذي تنشده !

ولمح مجموعة كتب تولستوى . ان الزاهد الروسي قد وصف أزمة كهذه لازمته طويلا .. لكنه كان قد جاوز الخمسين ، وبدأت تدبر عنه الحياة . أما هو فانه لم يزل في مستهل الشباب .. سن الاقبال على الدنيا ، والتفتح ، والاشراق
واستدار عن خزانة كتبه الى خزانة اسطواناته المحبية . منذ متى شغله عمله عن الاستمتاع بقسط من الفراغ ، وصفاء الذهن ، يتيح له الخلوة بها والاستغراق في جو ألحانها الخالدة ، في صحبة اصدقائه الغابرين : شوبان ، وتشايكوفسكي ، وشوبرت ؟.. منذ متى لم يسمع لحنه المفضل (سيريناد دى شوبرت) ؟.. ومد يده الى مكان الاسطوانة فمسح عنها الغبار ، وأدارها
واستلقى مسترخيا ينصت للحن الحزين ، ويحس بانغامه ترقرق الى أعصابه
وذكر آخر مرة سمعه فيها ، و (هي) الى جواره .. ليلة لقائهما الاخير !

***

في تلك الليلة من الشتاء الاسبق ، دعاها الى لقائه وهو يخدع نفسه ، ويوهمها أن الفتور الذي لازمهما في المقابلات الاخيرة لن يندس بينهما هذه المرة . لن يعرف المكان الذي

سيجلسان فيه ، فانه مكان جديد ، بهيج ، حافل بالناس . لكن ما اشفق منه قد وقع . لم تكد تفرغ من حديثها التافه المعتاد حتى عاد الصمت يضرب بينهما ، ويطرح عليهما ظله الثقيل . فأحس هو بالحرج ، والاسى .ان محاولته الاخيرة قد منيت بالفشل ، وجذوة حبه التى ينفخ فيها قد انطفأت . . صارت رمادا ! لماذا زهد فتاته ؟ كان يسائل نفسه وهو يختلس نظرات قلقة الى محياها ، فتزداد حيرته ، واحساسه بأنه عاجز عن الجواب . ان جمالها الذى فتنه فى البداية ما يزال يفتن الناس ، الجالسين من حولهما . هذه نظراتهم لا تكاد تلمحها حتى تعلق بها وتتشبث ، وتفيض حسدا له ! أما هو . . فزاهد فيها ، وفى حسنها الذى ملك يديه ! وأمضه هذا الاحساس . . احساس الشبعان يصدف عن اللقمة الشهية التى أمامه ، بينما انظار الجياع تلتهمها من بعيد . لكن الذى أمضه اكثر ان الواحة التى استراح فى ظلها زمنا ، لم تعد تكفل السعادة لروحه القلقة . . وأنه مضطر الى مواصلة طوافه الشاق فى طلب هذا الصيد الهارب المستعصى !

* * *

وكان صمتهما قد طال وبدأ يلفت اليهما الانظار ، فاقترحت عليه أن يخرجا من المكان وسارا فى طريق منزلها . كان الهواء رغم برودته صافيا حلوا ، والسماء مرصعة بالنجوم الضاحكة التى تغرى بالتأملات . . والاحلام ! وانعطفا الى شارع صغير فامتلأ الهواء فجأة بانغام ناعمة ، تنساب من نافذة فيلا قريبة

فاستأذنها هو فى الوقوف ، والاصغاء الى لحنه الحبيب (سيريناد دى شوبرت) ، ثم نسى وجودها . . ووجوده . . انه لا يسمع هذا النغم الحزين حتى يرق وجدانه ، ويشف حسه ، فتسرى قشعريرة عذبة فى أوصاله . . وتنساب الى حلقه أشباه دموع ! ماذا كان يشقيه ؟ بم كان يحلم ، وماذا كان يضطرب فى رأسه من الأمانى ؟ لم يكن يدرى . كل ما يدريه انه يطلب السعادة ، فى صورة غامضة . . غير محددة ، وفى أى ثوب يروقها ان تتقمصه

* * *

ورفع بصره الى الطابق الثانى من أحد المساكن ، الى غرفة تسبح فى النور الاحمر الباهت . لا ريب انها مخدع غرام . . ورقصت فى ذهنه صورة غانية تتمرغ على فراش من حرير ، يحتضنها النور الاحمر ويغمر بدنها الوردى . . فدارت رأسه ، واختلطت فيها الصور ، ثم تحددت فى صورة ، هى هذه ! . . لا شك ان هذا ما كانت نفسه القلقة الحائرة تطلبه دائما وهو لا يدرى . لقد عاش عزوفا عن اللذات الرخيصة ، يعاف الجمال المبذول . . ويعف عن صحبة الغانيات ! لكنه قد تغير . . بل السعادة التى تغيرت . خلعت ثوب العذراء الحالمة التى يهيم الطهر فى عينيها . . واتخذت ثوب امرأة ، يأوى الى بدنها الشيطان

وأفاق من خواطره وقد بلغا منزل الفتاة . مد يده اليها ، وأوشكت ان تفلت منه كلمات التواعد على اللقاء التالى .. لكن لسانه ثقل فى حلقه ، فتركها تمضى .. بخطوات متعثرة . وحين مرقت الى سلم البيت خيل اليه انه لمح شيئا يلمع .. فى عينيها !

***

لماذا يذكر دقائق تلك الليلة ، بعد مضى عامين .. بالحسرات ؟ لماذا يحس ، بعد أن مرت ، انها كانت أياما سعيدة .. ويتمنى عودة تلك الليلة بالذات ؟ .. انها حاسته السادسة .. حاسة الماضى ، التى تنغص عليه دائما امتع المسرات .. حاسة تذوق المتعة بعد فواتها ، وتذوق الحاضر بعد أن يمضى .. كأنما هو يتذوق الحياة برأسه دون حسه !

لطالما وقفت هذه الحاسة بينه وبين السعادة . فى صباه كان يتطلع دائما الى الرجولة .. فلما بلغها ، أمست ذكريات الصبا ترسل الدموع الى عينيه ! وفى أيام دراسته كان يتحرق شوقا الى الحياة الرحبة ، والعمل ، والكفاح ، خارج تلك الاسوار . فلما نالها .. كلها .. غدت أحلى ساعاته تلك التى يعثر فيها بزميل قديم يتذاكر واياه أيام الدراسة .. السعيدة!

فى فجر شبابه كان يحلم بالحب ! فلما احب العذارى .. اشتهى الغانيات ..

ودائما كانت الايام تسخر منه ، فتحقق له أمانيه .. ويبلغها .. فاذا اطماعه قد تطورت فجاوزت أحلامه القديمة .. وسبقتها ! انه فى سباق دائم ، لا يعرف الهوادة ، مع نفسه .. ومع الحياة . سباق تجرى فيه جياد متعددة الاسماء : الحاضر . القلق . المستقبل . الامل . الماضى . الحنين . العاطفة . الذاكرة . الحواس

ظلت تدور فى رأسه هذه الخواطر ، والتأملات ، وهو مسترخ فى مقعده الطويل .. حتى أفاق على دقات ساعة قريبة .. فأجفل . انه يستقبل العام الجديد فى هذه المرة .. وحيدا ! حتى الاسطوانة قد صمتت منذ زمن ، فلم تجد من ينتبه لها .. أكان هذا يدور فى خلده حين استقبل العام الماضى ، فى مخدع يسبح فى النور الاحمر ، وبين ذراعيه .. غانيته ؟

***

كانت قد اعترضت حياته بعد تلك العذراء بقليل .. كما تمنى ! وضرب له شبابه المضطرم موعدا مع السعادة !.. فمضى الى أرض الموعد بلا ابطاء ، يلهبه شوقه اليها ، وتدفعه سورة الحرمان الطويل الذى فرضه عليه اعراضه القديم عن الجمال المبذول . لكنه حين وصل لم يجد السعادة فى انتظاره ، كما وعدت !.. وجد بدلا منها بديلتها الزائفة .. ذات الرضاب المسموم ، والرأس الخاوى ، والقلب الصغير ! ورغم ذلك فقد بقى معها فى أرض الموعد .. شهورا . فلقد أشفق أن يعود أدراجه كى يستأنف طوافه المضنى ، قبل ان يستريح من عناء السفر الطويل !

فلما آنس من نفسه القوة على ترك واحته أخذ رحاله .. وزاده من التجارب ،

والذكريات .. وخرج الى العراء ، يضرب فى صحراء العمل معرضا أعصابه للدمار وبدنه للتلف فى مهب الاعاصير ، والحر ، والصقيع . حتى كانت تصادفه واحة فى الطريق فيأوى اليها فترة قصيرة ، يأخذ فيها زادا جديدا من الذكريات ، ثم يمضى .. ويمضى

وها هو العام الجديد قد أقبل عليه ، وهو ماض فى تخبطه لا يقر له قرار

ترى ماذا يحمل له العام فى طياته من المسرات .. أو الاحزان ؟

وأغمض النعاس اجفانه ، فنهض لينام

***

فتح عينيه فى الصباح ، وارتدى ثيابه متثاقلا ثم وجد نفسه فى الطريق ! كانت امطار الامس قد جفت والشمس تضحك للكائنات، لكنه لم يجد بنفسه ميلا لان يبادلها الضحكات .

انه لا يعرف أين يذهب .. فى يوم عطلته !

وقادته خطاه الى منزل صديق .. ليزوره ، فأحس بنفسه تسخر منه ، ومن هذا « البرنامج » الممتاز !

وفى حديقة البيت ، وجد صديقه ، مع زوجته ، وطفلتهما تمرح على الحشائش التى تستحم فى الشمس . وكانت معهم رابعة قدموه اليها . انها شقيقة الزوجة ، التى طالما سمع عنها واشتاق ان يراها . أحس ، وبصره يستريح على محياها النضير وثوبها الرياضى البسيط ، بالحرارة تدب فى أوصاله . لماذا لم يتنبه الى جمال الحديقة ، وخضرة الاشجار التى غسلها المطر ، ودفء الهواء ، وذلك الانتعاش الغريب .. الا حين امتد بهم الحديث وانطلقت هى تكلمه بطلاقة كأنها تعرفه منذ شهور ؟

واقترح أن يمضوا الى السينما .. فاختارت فيلما قالت انها قرأت قصته فى كتاب فأعجبتها .. وان موسيقاه مأخوذة من الحان شوبان !

وجاءت جلسته فى السينما .. الى جوارها

ماذا قال لها ؟.. وماذا قالت له ؟ المؤكد انهما لم يتبادلا كلمة يسوؤهما أن يسمعها الناس !

***

لو قدر لاحد أن يراه وهو مسترخ على مقعده الطويل فى عصر ذلك اليوم ، لرأى على شفتيه شبح ابتسامة حائرة ، مترددة ، تأبى أن تسفر .. وتأبى ان تغيض !

ابتسامة كأنها تتساءل : ترى هل قدر له أن توافيه السعادة .. أخيرا ؟

أم ان السعادة امرأة .. دائما تخلف الميعاد ؟

وسرح ببصره الى الافق البعيد .. المجهول . كأنما يتلمس عنده الجواب

حلمى مراد

المرأة في شيخوخة الرجل
والرجل في شيخوخة المرأة

بقلم الدكتور أمير بقطر

الشيخوخة ، عند الرجل والمرأة ، من أسعد مراحل الحياة ، طالما كان صاحبها قد أدى رسالته في الحياة على الوجه الاكمل . ولا سبيل للرجل أو المرأة الى الحياة الكاملة بغير شريك من الجنس الآخر ، يغذى ما يتغلغل في نفسه من عواطف ، وما تجيش في خاطره من آمال وأمان

يظن الكثيرون أن الشيخوخة هي المرحلة الحزينة ، التي يلقى فيها على الآمال ظلال الشحوب ، وتصاب فيها شجرة الحياة بذبول الاغصان . والحقيقة أنها لا تختلف عن سواها من مراحل الحياة في شيء ، اذا نظرنا اليها من ناحية فلسفية عامة ، واعنى بها ناحية السعادة النفسية ، وراحة البال ، واطمئنان الفكر ، وعزاء الروح . قد يكون الرجل في ريعان صباه ، قوى الجسم ، حاد الذهن ، ولكنه محطم الآمال ، مصدع الوجدان . وقد تكون سنواته في وادى الكهولة والشيخوخة كالشجيرات العجاف ، يذبل فيها البدن ، ويضعف فيها العقل، ولكن القلب يظل فيها فتيا ينبض بالحب، ويترقرق بالامل والاشراق

ولعل عنصر المرأة في شيخوخة الرجل ، أو عنصر الرجل في شيخوخة المرأة ، من أكبر العوامل في اسعاد الرجل أو المرأة . فالحب في الكهولة والشيخوخة والشباب على السواء ، دفين في الفطرة ، تتفتح له العواطف كالورود والرياحين ، يسقيها الغيث كلما هما ، وتمدها العناصر ، ويغذوها الثرى الخصيب . والشيخوخة كالشباب ، اذا ما رعتها عين الحبيب ، بدت فيها رؤى الصبا تتسلل الى نفس صاحبها ، فتذكره بالليالى الخوالى ، وتعيد الى ذهنه الامس الذى ولى وراح . وسعادة الشيخوخة اكثرها ذكريات خوال ، اذ ان الشيخ يعيش في الماضي ، في حين ان الشاب يعيش في المستقبل ، والطفل الوليد يعيش في الحاضر . وبينما نرى الشيخ الهرم الذى لا يشع في قلبه حب امرأة ، أو العجوز الشمطاء التي لا يشع في قلبها حب رجل ، بينما نرى الحياة الشاعرة في كل منهما تنساب من نفسه وجسمه شيئا فشيئا ، وتتضاءل حتى تغدو ظلا باهتا حزينا يتوارى وراء الافق ، اذ بنا نرى الشيخ الذى يحب ويحب ، كالعذراء أو الفتى المراهق ، يحلم بالاشجار النائمة ، والازهار المتأرجحة ، والطيور المغردة بين ثنايا الغصون

ومعالجة هذا الموضوع في كلمات قليلة لا تخلو من صعوبة ، اذا نظرنا اليه من وجوهه

المتعددة . والى هنا حاولنا أن نبين للقراء صراحة أو ضمنا ، ان كلا من الرجل والمرأة فى مرحلة الشيخوخة يسعى الى شريكه من الجنس الآخر ، سواء أكان هذا الشريك زوجا أم خليلا ، لان عنصر الواحد فى الآخر مكمل لسعادته وآماله ، فاذا خلا هذا العنصر مات صاحبه قبل أن يدفن بسنوات ، قد تبلغ العشرين أو الاربعين أو اكثر من ذلك أو أقل

ولعل مهمة المرأة فى هذا السعى فى المرحلة الاخيرة من مراحل الحياة ، أشق من مهمة الرجل لاسباب عدة ، بيولوجية واجتماعية واقتصادية . منها ان عدد النساء فى جميع انحاء المعمورة فى مرحلة الشيخوخة ضعف عدد الرجال ، ومعنى هذا ان ضعف المتزوجات منهن أرامل ، يفتقدن عطف الازواج ، وقلما يفزن بعطف الخلان . اما غير المتزوجات منهن فأقل حظا من المتزوجات . ومن هذه الاسباب ان المرأة فى جميع مراحل العمر تقريبا تجد فى الرجل جاذبية جنسية ـ قلت أو كثرت ـ حتى فى شيخوخته ، لاستمرار حيويته الجنسية الى أخريات أيامه ، طالما كان سليما أو شبه سليم ، فضلا عن قدرته فى غالب الاحايين على رعايتها والذود عنها ، وتوفير لوازم العيش لها . ومنها ان المرأة فى سن الشيخوخة تنافسها المرأة فى سن الشباب وتكاد تقضى عليها ، فى حين ان منافسة الشاب للشيخ تكاد تكون قليلة الاثر ، بل يشاهد فى كثير من الاحايين ان الشيوخ أوفر حظا من سواهم من الشبان ومتوسطى الاعمار ، لما لهم من وسائل الدراية والخبرة فى تفهم طبائع المرأة وميولها ورغباتها ، والقدرة على سد حاجاتها ، واشباع هذه الميول والرغبات . ومنها ان الرجل بطبيعته مثالى ، خيالى ، « رومانتيكى » فى حين ان المرأة عملية أو تكاد تكون كذلك

على ان هذا لا يفهم منه ان المرأة ، فى جميع مراحل العمر ، قليلة العناية بالناحية الجيوانية . يقول الكاتب الفرنسى الاجتماعى « اندريه موروا » ان المرأة اكثر انغماسا فى مطالب « الجسد » مما يخيل الينا ، وانها فى غالب الاحايين تؤثر الرجل الذى يجيب مطالب « الجسد » أى الذى يحبها حبا جسديا على كل رجل سواه ، يحبها حبا بريئا ، وان بلغت صداقته ذروة الكمال

وليس معنى هذا ان الصداقة البريئة بين الرجل والمرأة قليلة الاثر فى توفير السعادة فى مرحلة الشيخوخة ، اذ لو صح ذلك لكانت الحياة الزوجية فى هذه المرحلة معدومة السعادة ، اذ ان حب الزوجين فيها ما هو فى الواقع الا صداقة بريئة أو ما يوشك ان يكون كذلك ، مضافا اليها عنصر الزمن والاستمرار والثبات وقوة الدعامة . والفرق بين الصداقة والحب ان الصداقة تسود فيها عناصر الرزانة والطمأنينة وكياسة المعاملة ، فى حين ان الحب تسود فيه عناصر العنف والبهجة والخوف . وفى حين ان الصداقة يغلب فيها الهدوء والصفاء ، فان الحب تغلب فيه الزوابع والعواطف الصاخبة الجامحة والخوف ـ خوف الحبيب من افلات شريكه من يده

وليس من السهل التفريق بين الصداقة والحب ، كما ان التفاوت فى الاعمار لا يحول

دون توطد العلاقة فى كل من الحالتين . وتدلنا الحوادث والتاريخ ان شابا أو رجلا فى مقتبل العمر قد يقع فى غرام « كوكيت » على الاستيداع ، مثال ذلك ان الشاعر اللورد بيرون أحب ليدى ملبورن ، وقد تقع شابة يافعة فى حب شيخ مغرور

وقد ذكر لنا فكتور هوجو أمثلة من الحب الصاخب بين رجل وامرأة فى سن متأخرة وفى جسمين ابلاهما المرض ، مثال ذلك مدام ركاميه وشاتوبريان ، وكان احدهما اعمى والآخر مشلولا . وقد كان « دزرائيلى » أكبر ساسة انجلترا وليدى « برادفورد » عاشقين ولهانين وهما فى سن الشيخوخة ، وبراثن المرض . وقد كان هـ. د. لورنس من أشد كتاب العالم صراحة (ووقاحة احيانا) فى المسائل الجنسية ، الى آخر ايام حياته — وقد توفى حديثا — من أشد الناس تعلقا بزوجه على كبر سنهما ، وقد اعترفا بذلك جهرا . وقد اعترف كذلك بمثل هذا الحب الفيلسوف برتراند رسل وزوجه ليدى دورارسل ، ولولا طلاقهما أخيرا لظلا مثلا أعلى فى الحب الزوجى فى سن الشيخوخة

ويقول الثقات ان هناك حلين للعلاقة بين الرجل والمرأة ، احدهما مشروع والآخر غير مشروع . اما الحل المشروع فهو ان يكون هناك مزيج من الصداقة والحب أى أن يكون بين الشريكين رباط روحى جنسى (حيوانى) . اما الحل غير المشروع فهو ان يكون لكل من الشريكين حياة جنسية فى معزل من الآخر ، وألا يحاول احدهما فى هذه الحالة عبثا تحويل الصداقة الى حب ناقص . والخلاصة فى نظر هؤلاء الثقات أنه ليس من طبيعة الانسان ، رجلا كان أو مرأة ، ان يحاول ان يعيش وكأن لا « جسم » له

على ان دراسة المرأة فى شيخوخة الرجل ، أو العكس ، تؤدى بنا الى اغرب ما يشاهد فى الطبائع الانسانية ، من المتناقضات والخروج عن المألوف ، ولست أجد دليلا على ذلك أبلغ من أن أحيل القارىء الى ناحيتين : الناحية الاولى فى البنوك الكبرى ودور الاعمال ومكاتب كبار الموظفين فى أمهات المدن فى أوربا وامريكا ، والناحية الثانية فى دور الملاهى والمراقص وردهات الفنادق الكبرى فى تلك المدن . فى الناحية الاولى تجد الوفا من الشيوخ من علية القوم ، يتعلق كل منهم بسكرتيرته ، وتنتهى العلاقة فى كثير من الاحوال اما بالزواج أو بالصداقة الدائمة . ولعل القارىء يذكر لويد جورج وقد تزوج منذ شهور بسكرتيرته بعد ان جاوز الستين . وقد تزوج منذ عامين فيلسوف كبير فى امريكا بسكرتيرته بعد وفاة زوجه ، وقد كانت تعمل فى مكتبه منذ سنوات عديدة ، وهو الآن يناهز السبعين . وفى الناحية الثانية تشاهد عددا كبيرا من النساء المثريات العجائز يترددن على تلك الاماكن الفاخرة بانتظام ، وبصحبتهن فتيان فى مقتبل العمر لا يفارقونهن لحظة ، رافلين فى ثياب العز ، وهم الذين يطلق عليهم اسم gigolo ، كما تشاهد شيوخا على حافة القبر بصحبة فتيات فى سن المراهقة ، يقتلون معهن الوقت حديثا ورقصا وسمرا

اميربقطر

الضمـــير

بقلم الدكتور كارل فننجر

مدير مستشفى الأمراض العصبية بوسطن

فى الانتحار تتجلى لنا ظاهرة غريبة ، يكاد يتخيلها العامة منافية لطبيعة الانسان ، وهذه الظاهرة هى رغبة صاحبها فى أن يقتل . وهذه الرغبة هى أقصى حدود الاستسلام ، كما ان رغبة القاتل فى القتل هى أقصى حدود العنف . وليس الانتحار سوى مظهر واحد من مظاهر تعذيب النفس وعقابها ، اذ ان علم النفس الحديث قد برهن لنا بأدلة لا تفتقر الى شك ، ان الاستمتاع بالألم والهزيمة والاستسلام والموت ، لون من الوان الارتياح كالاستمتاع باللذات ، كما أن علم الامراض العصبية قد برهن لنا بأمثلة قاطعة أن الكثيرين من المرضى يأبون فعلا أن يشفوا من أمراضهم ، ويجدون لذة وارتياحا فى آلامهم وأوجاعهم وعطف الغير عليهم

فما تفسير هذا التناقض فى طبيعة الانسان ، أى ارتياحه للألم والموت أحيانا ، ارتياح سواء للذة ؟ نجد تفسير هذه الظاهرة فى الضمير . فما هو هذا الضمير ؟ لم يدرس الناس هذه الناحية من الذات الانسانية دراسة علمية الا منذ عهد قريب . الضمير كما تدل عليه الدراسات الحديثة ، سفير أو ممثل لسلطة عليا ، وهذه السلطة هى فى الاصل والدا الطفل والقائمون بتربيته ، ثم تطورت بنمو الطفل الى التقاليد والعادات الاخلاقية والدينية والاجتماعية التى يفرضها المجتمع على الفرد . وهذا السفير أو الممثل عضو حى جبار ، يتكون فى عهد الطفولة فى نفس صاحبه ، ثم يأخذ فى النمو تدريجيا ، بتعرضه للقوانين الحكومية والشرائع والمبادىء الادبية وتقاليد الأسرة والبيئة المحلية والوطن والعالم بأسره . وقد تتغير البيئة ، وتتغير المبادىء ، ولكن هذا السفير - الضمير - شديد المحافظة ، يتمسك بالقديم ، وقد يكون أحيانا رجعيا ، دون أن تشعر ، ورغم ارادتنا

□

والى هذا يعزى جور الضمير وطغيانه واستبداده بانا فى كثير من الاحايين . فكلنا يذكر حالات ووقائع ، يضطرنا هذا الطاغية فيها الى أعمال لا صالح لنا ولا لغيرنا فيها ، وكلنا يذكر وقائع يحرم علينا فيها أن نخطو خطوة واحدة الى الامام ، بالرغم من رغبة ملحة فى معالجتها ، وبغير أن يكون هناك أسباب منطقية لهذا المنع وهذا التحريم . ويتوهم العامة أن الضمير دليل الخير . وهذا صحيح ، ولكنه كذلك دليل السوء . ومن الغريب أن بين الضمير وصاحبه تجوز المساومة ، كما تجوز بين البائع والشارى ، وأغرب من

ذلك أن الضمير قد يكون أحيانا كالموظف قليل الذمة ، يقبل الرشوة من مرءوسه ، مثال المساومة أن ينتهر الضمير صاحبه اذا فكر فى قتل عدوه ، ويبعث فى نفسه أشد المخاوف ، ويهدده بأقسى العقوبات . ولكن « القاتل » يأخذ فى مساومة الضمير ، ويقنعه بأدلة قاطعة بوجوب ضرب العدو ، أو الاكتفاء بقطع يده بدلا من قتله ، فيقتنع الضمير ، ويرتاح بهذه المساومة لهذا الحل . أما مثال الرشوة أن يصمم رئيس على طرد مرءوس فقير، عديم الحيلة ، فيثور الضمير، ويكرر التهديد والنذير، ولكن هذا الرئيس، مع بقائه على عزمه وتمسكه برأيه ، يقدم للضمير ترضية ـ رشوة ـ وهى أنه يطرد الموظف حقيقة ، ولكنه يزوج ابنته لاحد أقاربه

ومما لا يعرفه أكثر الناس عن الضمير ان جزءا منه فى الشعور ، والجزء الآخر فى اللاشعور . والعلم لم يتوصل بعد الا الى معرفة النزر اليسير من هذا اللاشعور ، ومعنى اللاشعور هنا ، أننا كثيرا ما نوجه فى الحياة توجيها ، بغير أن نحس بهذا التوجيه ، أو بمصدره ، وأن نأتى اعمالا ، أو نمتنع عن القيام بها ، بغير ان نعلم ان هناك قوة دافعة تدفع بنا الى هذا العمل أو تكرهه علينا . وكثيرا ما نحس بوخز ، فنبحث عن مصدره ، فلا نجد فيما أتيناه من الاعمال اثما أو وزرا أو ما يشتم منه رائحة الاثم أو الوزر

ومن الناس من يحاول عبثا أن يتجاهل الضمير ، أو يزعم أنه لا يتألم مما يسميه الناس وخز الضمير ، ولكن الواقع لا يؤيد ذلك . فكثيرا ما يشب طفل فى أسرة محافظة كثيرة التقاليد ، شديدة الحرص على مبادىء اسلافها ، الدينية منها والخلقية ، فما يكاد يبلغ سن الرشد حتى ينفجر ثائرا على هذه وتلك ، ويهرع الى بيوت الرذيلة ، فينغمس فى صنوف اللهو والاسراف . بيد اننا اذا تتبعنا هذا الثائر ، اتضح لنا انه بالغ فى اسرافه ، والطيش فى لهوه ، بكيفية صارخة مصطنعة ، ولكنه فشل فى ثورته على الضمير ، وأن كل حلاوة ذاقها فى كؤوس الصهباء ، أو ثغور الحسان ، لم تكن الا مزيجا من مرارة الندامة وعذاب الضمير

□

ويقول علماء النفس ان قوة الضمير مشتقة من غريزة أساسية فى الانسان وهى غريزة الاعتداء ، وبدلا من أن يتجه هذا الشطر منها اتجاها هداما نحو البيئة ، استحال حكما أو قاضيا أو ملكا ظالما اذا شئت أن تسميه كذلك . وقد اتضح من اتصال الكاتب وزملائه بمرضى المستشفيات العصبية ، أن الآلام التى يسببها الضمير للذات (١) ، تزداد وتنقص بازدياد أعمال الاعتداء ونقصها . أى أن الفرد اذا اعتدى على غيره ، أو حاول ذلك ، كان عذاب الضمير بنسبة هذا الاعتداء شدة وضعفا . كما اتضح أيضا ان الذات تواجه

(١) يقسم علماء النفس باطن الانسان الى الذات السفلى « id » وهى الجزء الحيوانى فينا قبل أن تهذبه المدرسة والدين والمجتمع ، والى الذات « ego » أى ما وصلنا اليه بعد التهذيب والتمدين والصقل ، وأخيرا الى الذات العليا « super-ego » وهو ما نسميه الضمير

أشد المصاعب فى التوفيق بين مطالب الغريزة ، وما تسمح به البيئة من اجابة هذه المطالب من ناحية ، وما يمليه الضمير من الاوامر من ناحية أخرى

وسبق القول ان الضمير، بالرغم من ظلمه وطغيانه وجبروته ، قابل للرشوة والمساومة ولذا فان الذات تتحين كل فرصة ، وتسعى الى كل حيلة ، حتى تمهد الصعوبات ، وتخفف من آلام الضمير ، ووطأة عقوباته

على أن مطالب الضمير وأوامره ، قد تبلغ من العنف والشدة حدا ، لا تقوى الذات على احتماله ، وهنا يكون الضمير كالقوة الغشومة الهمجية ، لا تلين ولا ترحم . وهنا تختلف وجهات النظر بين علماء النفس وسائر الناس . فالناس عادة ينظرون الى الرجل نظرة التقدير والاحترام ، نظرة القوة وكبر الشخصية ، طالما كان ضميره شديد الحيوية، قوى الشكيمة . أما علماء النفس وأطباء الامراض العقلية فيعدون مثل هذا الرجل مريضا ، كأن يكون مصابا بالمنخوليا مثلا ، أو على أقل تقدير لا ينظرون اليه نظرة فيها شيء من الاعجاب والتقدير . وقد يصعق الناس عامة عند سماعهم هذه العبارات ، ولكنها الحقيقة . فلماذا ؟ لان الضمير بهذه المطالب غير المعقولة ، قد يدفع بهم الى الانتحار ، أو الكمد ، واذا ما دفع بهم الى اتيان الخير أحيانا ، فانهم يفعلون ذلك كرها منهم ، فيحرمون اللذة التي يحصدونها من ثمرة مجهوداتهم. ولكن الناس فى هذه النقطة يتساءلون : وما العمل اذن ؟ أتريدون أن يلقى الرجل بضميره عرض الحائط ؟ والجواب كلا . ولنعلم أولا انه ما من انسان فى الوجود يستطيع ان يلقى بالضمير عرض الحائط ، وانما كل ما يستطاع بلوغه اضعاف شطر منه ، وهو ذلك الشطر العنيد الذى حجرته التقاليد ، فأصبح جامدا غير قابل للتهذيب أو الاخذ والرد . ولكن ينبغى أن نعلم ثانيا أن الانسان فى هذه الحالة يستطيع ان يستبدل هذا الشطر من الضمير بالعقل — أى بالذكاء والتفكير وقوة الحيلة

▭

ولا غبار على المرء استبدال هذا الجزء العنيد من الضمير بالعقل ، وانما يعد هذا العمل فى الواقع مفخرة لصاحبه من الناحية الخلقية . فالرجل الذى تأبى نفسه ارتكاب جريمة القتل تجنبا لوخز الضمير فحسب ، ليس بالرجل القوى النبيل الخلق ، اذ أن هذا أضعف الاسباب التى تمنع صاحبها من اتيان المنكر . أما الرجل الذى يتجنب القتل أو ما عداه من الآثام لاسباب ايجابية انسانية معقولة ، أساسها حب الخير والبشرية ، فهو سيد عواطفه ، متصف بضبط النفس والحلم وهما سيدا الاخلاق . ولنذكر أخيرا تلك الآثام الخالدة فى بطون التاريخ التى لم ترتكب الا باسم الضمير ، فعانت منها الانسانية أشد ضروب القسوة والوحشية والفساد . فهذه قصة « ديمترى » فى رواية « الاخوة كرامازوف » للكاتب الروسى الشهير « دستوفسكى » شاهد على ما أقول . قد يستطيع الرجل المتزن ، القوى الاعصاب ، أن يوفق بين مطالب الضمير وحالته الراهنة ، ولكن ليس كل الناس متزنين أقوياء الاعصاب . يذكر كاتب هذه السطور قصة يائس من الذين ترددوا على

عادته ، وقد كانوا فريسة للضمير ، حدث أن هذا البائس قتل ابنه الصغير خطأ ، فبلغ به وخز الضمير أن قطع ذراعه بيده تكفيرا لهذا الخطأ . أى انه ارتكب جريمة الانتحار تقريبا . ولما سئل عن سبب هذا الجنون الوحشى ، قال انه قضى الليالى ساهدا وصوت الضمير يناديه بالقول المأثور « الجزاء من جنس العمل » وبآية الانجيل الشريفة « اذا اعثرتك يدك اليمنى فاقطعها والقها عنك » .وقد كانت ذراعه اليمنى القاتلة ، فقطعها والقاها عنه ، وبهذا جاء الجزاء من جنس العمل . وعاش صاحبها بعد ذلك « مرتاح الضمير » فيا لها من قسوة !

هذا المثال ، وسائر أمثلة الانتحار ، أقصى ما يؤدى اليه تعسف الضمير وتحكمه فى صاحبه ، على أن الحوادث اليومية مليئة بالأمثلة التافهة التى قد لا يأبه لها الناس ، اذ انها تكون فى غالب الاحيان رمزا للرغبة فى العقاب ، وقد ترقى على مدى الايام فتصبح عقوبة يعتد بها . فشد الشعر ، وقرض الاظافر بالاسنان ، وحك الجلد بغير مسوغ كلها رموز وأدلة لرغبة باطنة كامنة فى عقوبة الذات ، بناء على طلب النائب العام ــ الضمير

قد يبدأ الطفل بقرض أظافره بأسنانه قرضا خفيفا لا يخشى من عواقبه ، ولكنه قد يتمادى فى ذلك فيصبح أمرا ذا بال . أذكر ان سيدة احضرت الى عيادتى فتاة ، كانت تقرض أحد اظافرها بأسنانها حتى قضت عليه ، وانهالت على جزء من لحم اصبعها تنهشه نهشا ، مما ترتب عليه التهاب وتلوث بالجراثيم . ولما أخذ الجراح فى اجراء العملية ــ وقد كانت مؤلمة طبعا ــ لم تأبه لها الفتاة ، بل على النقيض من ذلك بدت عليها علائم الفرح والشماتة ، وأخذت تنظر الى الجراح وكان رأسه أصلع ، وتقول له متهكمة : « لست معجبة بالحلاق الذى « قص » لك شعرك » . ولعل هذه العبارة لم تصدر عن هذه الفتاة اعتباطا ، فان هناك ما يحمل على الاعتقاد ان فكرها قد اتجه ، من حيث لا تدرى ، الى العلاقة بين رأس الجراح الاصلع واصبعها العارى

▭

وعلى ذكر « قرض الاصابع » نقول انه قد اتضح لنا فى حالات كثيرة ان هناك تلازما الى حد كبير بين هذه العادة والعادة السرية . ومعنى هذا أن الطفل الذى يمارس العادة السرية ، يلازمه وخز الضمير ، فيرغب ــ بغير ان يشعر بذلك ــ أن يعاقب ذاته ، وقرض الاظافر ــ فى بادىء الامر ــ من أخف هذه العقوبات وطأة . ولعل أفضل علاج للقضاء على عادة قرض الاظافر عدم تخويف الطفل ، لان هذا التخويف يشعره بجسامة الجرم ، فيطلب لنفسه العقاب . ولو علم الوالدون أن اكثر ما كتب عن العادة السرية فى القرن الماضى وأوائل القرن العشرين ، لا أساس له من الصحة ــ لو علموا ذلك ، للجأوا الى وسيلة أخرى غير التخويف

وتدلنا حوادث الانتحار على أن الضمير لا يدفع بصاحبه الى القتل فحسب ، وانما الى تعذيب الذات فضلا عن ذلك . ومن المعلوم أن الانتحار يشمل ثلاثة عناصر : (١) رغبة

الشخص فى أن يقتل و (٢) رغبته فى أن يقتل و (٣) رغبته فى أن يموت . وقد يحدث أن المنتحر يريد الثانى ولا يرغب فعلا فى الثالث ، بدليل انه اذا أنقذ يتوسل الى الطبيب ليعمل على شفائه ، كما أنه يحدث أنه يريد أن يقتل ويموت فى نفس الوقت ، بدليل انه يعود الى الانتحار مثنى وثلاث ورباع اذا ما أنقذ . ولو كان الغرض من الانتحار مجرد التخلص من الحياة فحسب ، لما رأينا المنتحر يعمد الى أشد الوسائل قسوة ، كصب مقدار كبير من الكيروسين على جسمه واشعال النار فيه ، رغبة فى تحويله الى كومة من الرماد ، أو دق وتد من الحديد فى أعلى الرأس مخترقا المخ ، أو قطع اعضاء التناسل وشق البطن واخراج الامعاء ، أو ادخال قضيب من الحديد ملتهب الحرارة داخل الحلق ، أو دفن الجسم عاريا بين الواح من الجليد ، أو القاء الشخص نفسه من قمة شجرة عالية فوق مناشير بخارية لتقطيع الخشب ، أو الوقوع داخل مدخنة أو برميل ابتداء من الرأس وانتهاء بالقدمين ، أو قذف الجسم فى فوهة بركان ثائر أو اتون متقد ، أو ابتلاع عناكب وحشرات سامة ، أو شد الرأس الى ذيل جواد جامح بين تلال وأكمات وصخور ، أو التغطس فى حوض كبير من الزجاج السائل فى درجة الغليان ، أو ضم مرجل مملوء بمعدن ذائب الى الصدر . ومن الغريب أنه وجد بالاختبار أن الوسيلة التى يلجأ اليها المنتحر ، كثيرا ما تكون رمزا لرغبة فى العقل الباطن مكبوتة . فالرجل الذى يضم الى صدره مرجلا من المعدن المذاب لم يكن موفقا فى الحب ، والذى ينتحر مصلوبا يغلب ان يكون شديد الرغبة فى التمثل بالمسيح ، والذى يلقى نفسه فى اليم شديد الرغبة فى العودة الى الرحم فى ذلك الجو الهادىء البرىء ، فى بطن الام ، وبدء الحياة من جديد (١) . ومن الغريب كذلك أن الانتحار كالعادات يتلقاها الافراد أبا عن جد ، كما أن الوسيلة التى يقضون بها على حياتهم تكاد تتشابه بين فرد وآخر من أفراد الأسرة

وقد اتضح كذلك أن فى أكثر الحوادث التى يفشل فيها المنتحر فى ارتكاب جريمته ، يكون معناها أن الضمير يوعز الى صاحبه بأن يعاقب نفسه بالقتل ، ولكن الشخص فى عقله الباطن لا يريد أن يموت ، رغم محاولته الانتحار ، ورغم ما يلاقيه من العذاب فى هذه المحاولة . مثال ذلك أن رجلا شنق نفسه بحبل مشدود الى ثريا ، فسقطت الثريا . ثم ذبح نفسه بموسى فأنقذ فى اللحظة الاخيرة ، ولم يكد يتم شفاؤه حتى قطع الوريد بزجاجة مهشمة ، ولم يمت رغم ما أهرق من دمه ، فقطع شريانا فى ذراعه ، وحضر رجال البوليس وقرروا أنه ميت ، ولم يكد المحضر يتم وقد هم الجنود بالخروج ، حتى انتصب المنتحر واقفا وانهال عليهم بالضرب واللكم ، وعاش فى النهاية .. بالرغم من الضمير ، أى أنه نفذ الحكم بالتعذيب أضعاف الاضعاف ، ولكنه لم ينفذ الحكم بالموت

---

(١) وقد ذكر لهذه الرغبة عدة أمثلة مستقاة من الادب الانجليزى والشعر والتوراة فى كتاب « العقل البشرى » لصاحب هذا المقال

رجال صنعوا التاريخ

ورجال صنعهم التـــاريخ

بقلم الأستاذ محمد فريد ابو حديد

لفظ التاريخ من الالفاظ الشائعة التي يسمعها كل فرد في مناسبات كثيرة ويدرك منها معنى بغير أن يقف لحظة للتفكير فيه ومع ذلك فهو لفظ لا يتل عند الكثيرين صورة واضحة ، هو مثل لفظ « الزمن » يسهل على الانسان أن يدرك منه معنى مبهما ، اذا لم يقف طويلا عنده للتأمل . فاذا مرّ أراد أن يتحقق من معناه ، وجـده عسيرا يفلت من التأمل كما يفلت شـعاع الشمس من بين أصابع الطفل الذي يريد أن يقبض عليه

حقا ان هناك تاريخا مكتوبا لكثير من الحوادث التي مرت بالانسانية في انحاء العالم المختلفة ، وفي أزمنة الدهر المتعاقبة . وهذا التاريخ المكتوب ليس سوى سلسلة من صور ارتسمت في أذهان الاشخاص الذين كتبوه . فعند ما كتب الرحالة هيرودوت وصف الحوادث التي رآها ، أو دون الاخبار التي سمعها ، لم يفعل أكثر من أن ينقل في ديوانه ما ارتسم في ذهنه من صور تلك الحوادث وتلك الاخبار . وهكذا كان حال كل رواة الاخبار الذين كتبوا ما شاهدوه أو ما سمعوه عن غيرهم . ولكن هذه الصور اذا كانت صادقة ، لا يمكن أن تكون سوى لمحات من سير الانسانية ، لانها لا تنقل الينا سـوى القليل من وصف ذلك التيار العظيم الذي انطلق منذ أول ظهور الجنس البشري فوق هذه الارض ، وتشعب ألوفا وألوفا من الشعب ، كل منها اتجه الى ناحية ، ثم تعرج وتثنى في سيره ، واختلطت شعابه وتداخل بعضها في بعض ، ثم عادت فتفرقت بعد حين وسار كل منها في سبيله بعد أن أخذ بعضها من بعض . فاللمحات المدونة من التاريخ لا تزيد على أن تكون صورا متفرقة تشبه المناظر التي تختطفها عدسة (الكامرا) في يد سائح متجول يشهد بعض المشاهد وتغيب عنه أكثرها

ولكن التاريخ الاوسع ، التاريخ الحقيقي للانسانية هو التاريخ المنطوي في وجودنا الحاضر ، ذلك الوجود الذي يتمثل في الحياة الشاملة . فكل ظاهرة من ظواهر الحياة الحاضرة في أرجاء الارض الفسيحة ما هي الا خلاصة لتاريخ الانسانية منذ أقدم العصور التي وجد فيها الانسان فوق الارض . فكما أن الشجرة التي تراها اليوم هي خلاصة تاريخ نوعها منذ وجدت أصولها على الارض ، وكما أن الحيوان الذي تراه اليوم هو

خلاصة تاريخ نوعه منذ وجدت أصوله على الارض ، كذلك الانسانية الحاضرة انما هي خلاصة تاريخ الانسانية منذ نشأتها الى اليوم

فالانسان نفسه — الانسان الحي نفسه — بمجتمعاته وآرائه وعقائده ونظمه ، هذا الانسان المتمثل في الحياة الحاضرة هو التاريخ الحي للانسانية

ولكن الحقيقة الخالدة في الانسانية هي أن سيرها كان دائما يتجه بدفع أفراد كانوا دائما يمثلون خير ما فيها من العناصر . هؤلاء الافراد هم العباقرة الذين وهبهم الخالق بعض الاسرار التي توجه الانسانية نحو مصيرها . هم الذين وهبهم الخالق مفاتيح سبل المستقبل مفتاحا بعد مفتاح بما تقتضيه الحكمة الازلية التي تدبر مصائر الكون

فاذا نحن أردنا أن نبحث عن هؤلاء الذين دفعوا الانسانية منذ القدم حتى جعلوها على ما هي عليه اليوم ، كان علينا أن نرجع الى ألوف وألوف من الافراد الذين قد انطوى أكثرهم في الظلام التام . ذلك لان التاريخ كما قدمنا لم يدون الا لمحات ضئيلة من الحوادث والاخبار ، ولا يحوى سجله الا ما اتفق لكتابه أن يشهدوه بانفسهم ، أو يأخذوه رواية عن سواهم ، وهو الجزء الاقل من حقائق التاريخ . ولكنا مع ذلك لا نزال نذكر بعض أسماء بقيت لنا من هذه الالوف المؤلفة ، وفي هذه الحدود يصح لنا أن نتحدث عمن صنعوا التاريخ

يتنازع رجال الفكر ورجال العمل شرف التأثير الاعظم في حياة البشر . أو بقول أدق يتنازع الباحثون فيما بينهم جدالا طويلا في أي الطائفتين كان لها الاثر الاول في توجيه تاريخ البشرية . ولسنا نريد أن نشارك في هذه المجادلة لاننا نرى أن الانسانية مدينة لرجال الفكر ورجال العمل معا

الانسان مثل كل الكائنات الاخرى يميل في حياته الى البقاء على الحالة التي هو فيها . فهو خاضع لقانون الحركة والسكون ، اذا تحرك مضى في سبيله حتى يصطدم بما يقف حركته ، واذا سكن بقي ساكنا حتى يحركه محرك . وليس يسهل على الناس أن يغيروا ما وجدوا عليه الحياة من قبل ، وما تعودوا السير عليه منذ نشأتهم

ولكن ظروف الحياة تتغير ولا تستقر على حال ، والنظم الانسانية في سيرها مع الزمان تشبه كرة الثلج التي يدحرجها الاطفال في الشتاء في أوربا ، فهي اذا دحرجت فوق السطح لا تزال تتعلق بها ذرات بعد ذرات من الثلج ، تتراكم حولها مع كل دورة حتى تكبر وتتضخم ، ويأتي وقت تصير فيه شيئا آخر غير الكرة الاولى التي بدأت تتدحرج

هكذا تتغير نظم المجتمعات الانسانية جيلا بعد جيل حتى تصبح بعد حين في حاجة الى التعديل . وهنا يتدخل المفكرون من بني الانسان . يتأملون في تلك النظم حتى يعرفوا حقيقة ما طرأ عليها من التغير ، وما يجب لها من التعديل والتبديل ، وعند ذلك تقابلهم العواصف العنيفة والعداوات الشديدة من طوائف المجتمع التي يهمها بقاء الامور على حالها . ولكنهم يطلقون آراءهم في الهواء قائلين : « انها كلمات حق أو صيحة في

واد ان ذهبت اليوم مع الريح فستذهب غدا بالاوتاد ، فلا تزال هذه الكلمات ترن فى الآذان حتى تتفتح العيون الى الحقائق ، ثم تتحرك العواطف وتطلع الآمال الجديدة على القلوب ، وعند ذلك يصير من المحتوم أن تتغير النظم ، ويتحرك الناس بعد السكون لتغير وجهة الحياة

هذا هو أثر المفكرين

ولكن الناس عند ما يتحركون يكونون فى حاجة الى قواد يسيرون وراءهم . وهؤلاء هم القادة العمليون الذين يمتازون بالصفات التى تؤهلهم للزعامة ، وهم القادة الذين يحدثون الاثر المباشر فى حوادث التاريخ

فالمفكرون والقادة العمليون جميعا هم أفراد الانسانية الذين يوجهونها ويصنعون لها تاريخها . وهؤلاء هم جميعا من يليق أن نسميهم صناع التاريخ

وقد يجتمع فى بعض الاحيان صاحب الفكرة وصاحب الزعامة فى شخص واحد . فاذا وجد هذا الشخص كان الصانع الاعظم للتاريخ بغير منازع . وقد شهدت الاجيال طائفة من هؤلاء بين حين وحين ، لانهم من الافذاذ الذين لا يفدون الى هذه الارض الا فى فلتات بين القرون . وقد كان لهم فى أغلب الاحوال صفات ممتازة تخرجهم من صفوف العظماء الى ما هو أعلى من العظمة . فلسنا نرى اقحامهم فى هذا الحديث . وأما هذا الحديث فسنختصره فى أمثلة ممن هم دون هذا القدر من الافذاذ

اذا نحن نظرنا الى العالم الحاضر نظرة شاملة ، وأغفلنا التفاصيل الصغيرة التى قد تغطى الحقائق العامة لم يصعب علينا أن نتبين عاملا من أهم العوامل التى كانت ولا تزال تسير الحياة وتدفعها فى سبيلها ، وهو تنافس الامم على موارد الارض . هذا التنافس هو الذى أثار الحروب بين الامم الكبرى منذ قرون ، وما زال يثيرها بينها فى أوضاع مختلفة وميادين متباعدة . وهو الذى أدى إلى سلسلة حوادث كبرى فى أوربا وآسيا وافريقيا ، وهو الذى أدى الى ابتكار الاساليب المختلفة فى الصناعة والتجارة ، وهو الذى كان له أكبر الاثر فى وجود المشاكل بين العمال ورأس المال . أو بقول آخر كان هذا التنافس هو الدافع المحرك لتاريخ العالم منذ أربعة قرون الى اليوم . فاذا نحن تلفتنا الى الوراء عبر السنين الطويلة ، أمكننا ان نقف عند بعض أفراد قلائل من الرجال كانوا هم أول من حرك الانسانية فى سبيل هذا التنافس العظيم . هؤلاء الافراد القلائل هم الذين وجهوا تاريخ العالم نحو السبيل الذى اتخذه فى هذه القرون الاربعة الاخيرة. ومن العجيب أن هؤلاء الافراد الذين يمكن أن نسميهم من أكبر صناع التاريخ لم يفطنوا فى أثناء حياتهم الى أنهم يقودون خطى الانسانية مدة أجيال طويلة مقبلة ، ولم يفطن أحد فى زمانهم الى أن أعمالهم سوف يكون لها هذه الآثار الكبرى التى تعود على الانسانية بطائفة كبيرة من الخير وطائفة كبيرة من الشر معا . فالانسان لم يوهب المقدرة على اختراق حجب الغيب ، وهو مهما بلغ من الذكاء لا يستطيع أن ينظر الى أبعد مما تؤهله

له طبيعته البشرية المحدودة . ولذلك يمكننا أن نقول ان هؤلاء الافراد لم يخطر ببالهم في أثناء حياتهم شيء من الحوادث الكبرى التي كتب لها أن تكون نتائج أعمالهم

عاش في أواخر القرن الخامس عشر رجلان احدهما أمير برتغالي وهو الأمير هنري ابن الملك حنا ملك البرتغال ، ويسميه التاريخ هنري الملاح لانه كان مشغوفا بالملاحة ، وقف على مغامراتها كل ثروته واهتمامه . وكان العصر الذي يعيش فيه هذا الأمير يهتز بحماسة دينية قوية ، زادها قوة زهو النصر الذي أحرزته المسيحية على المسلمين في اسبانيا ، فكان يطمع في أن تؤدي مغامرات الملاحة الى مواصلة الكفاح ضد المسلمين في افريقيا ، واحراز انتصارات جديدة عليهم في الشواطىء المجهولة وراء الصحراء المخيفة، التي كانت ترسل الى الاندلس جموعا من فرسان المغاربة يغيرون عليها بين حين وحين . فأخذ ذلك الامير يرسل البعوث البحرية بعضها في اثر بعض ، تتحسس خطاها على سواحل افريقيا الغربية ، وما زالت السفن تذهب في رحلاتها الى الشواطىء ، وتهبط على أراض جديدة مرة بعد مرة حتى انتهى بها الامر أخيرا بعد وفاة الامير هنري الى أن دارت حول ساحل افريقيا وعرفت أهل أوربا لاول مرة أن تلك القارة المجهولة تمتد الى الجنوب امتدادا بعيدا ثم تنتهي الى رأس تنفتح البحار بعده نحو الشرق . وعند ذلك طلع على أهل أوربا أمل جديد ، انهم يقدرون على مواصلة السير نحو بحار الشرق والوصول الى بلاد الهند الغنية ، التي طالما تحدثت عنها الاساطير ووصفت ثراءها الذي يخلب الالباب ، فسمى هذا الرأس برأس (الأمل) أو كما يقال عنه أحيانا (رأس الرجاء الصالح)

وفي الوقت الذي كانت بعثات البرتغال تتوالى على سواحل غرب افريقيا ، كان رجل آخر من مدينة جنوة الايطالية يتردد على بلاط ملوك أوربا يعرض فكرة غريبة ، امتلأ بها قلبه ووقف عليها حياته . هذا الرجل هو خريستوف كولمبس

قرأ كولمبس فيما قرأ أن الارض مثل الكرة ، فآمن بهذا ايمانا صادقا ، وقاده ايمانه الى أنه يستطيع اذا وجد السفن أن يضرب في المحيط الغربي ، ويسير فيه قدما نحو الغرب حتى يبلغ طرف الارض اليابسة ، التي كان الناس من قبل لا يصلون اليها الا بالسير نحو الشرق . ورأى انه اذا سار في المحيط الغربي أمكنه أن يجد سبيلا مفتوحة لا تعترضه فيها عداوة الدول الشرقية ، ولا تقف فيه دونه تلك الكتلة العظيمة من قارة افريقيا السوداء التي كانت سفن البرتغال تزحف بطيئة على سواحلها . وكان رجلا مسيحيا متحمسا . فكان يعلل نفسه بالامل أن يبلغ بلاد الصين العظمى — بلاد (قوبلاي خان) التي طالما وصفها الرحالة القدماء بأنها يكثر فيها الذهب كأنه تراب الارض — فكان يرجو اذا بلغها أن يجمع من ذهبها ما يهبه القوة على تحقيق أمان عزيزة عليه ، وهي أن يعود الى بيت المقدس فيرفع عليه لواء المسيحية ، ويعيد بناءه شامخا متلألئا بالدر والجوهر . ولكن أقواله كانت تحمل على محمل السخرية والانكار . وأي شيء كان

أصدق فى نظر أهل ذلك العصر من أن الذى يريد الذهاب الى الشرق فما عليه الا أن يذهب الى الشرق . كان هذا فى نظرهم أمرا بديهيا لا يكابر فيه الا مجنون أو خادع . ولكن كولمبس استطاع بعد خيبة متكررة أن يجد من يصدقه وهى الملكة ايزابلا ملكة اسبانيا . وأمكنه أخيرا أن يفوز منها بثلاث سفن صغيرة لا تزيد حمولة احداها على مائة طن ، وركب معه فيها بضع عشرات من البحارة الذين تجرأوا على الدخول فى لجج بحر الظلمات . ولما غابت السفن الثلاث وراء أفق الغرب كان المشيعون الواقفون على الشاطىء يرثون لهؤلاء المساكين الذين سوف يذهبون طعمة للشياطين فى الاعماق السوداء

وكان ذلك فى ميناء بالوس فى الثالث من اغسطس من عام ١٤٩٢

وسار الاسطول الصغير فى المحيط الرهيب ، ولكم خطر على قلب كولمبس من المخاوف، ولكم سمعت أذنه من همسات الشك والحنق من ملاحيه، ولكن ايمانه كان لا يتزعزع فى أنه سيبلغ شواطىء الصين بعد أن يقطع عرض المحيط . وأخيرا بعد التجارب القاسية والقلق المتصل لمح أحد البحارة نورا يخفق فى الليل من بعيد . وفى يوم ١٢ اكتوبر نزل كولمبس ومن معه على شاطىء جزيرة صغيرة وهم يحسبون خطأ انها بعض جزائر شرق آسيا ، وكان الاميرال المتواضع يلبس سلاحه ودروعه ويحمل فى يمينه العلم الاسبانى

ولم يدر فى خلده عند ذلك انه كان يفتح للانسانية عهدا جديدا

لم يعرف كولمبس فى أواخر القرن الخامس عشر ، كما لم يعرف من قبله الأمير هنرى البرتغالى فى أواسط ذلك القرن الخامس عشر ، أن العالم سيتجه بعد هذه المغامرات البحرية وجهة جديدة ، ولم يخطر لاحد منهما أنه كان بعمله ذاك يمهد السبيل لحوادث تهز العالم لمدة قرون . ولكن هذا هو الذى حدث فقد كانت رحلات البرتغال حول افريقيا ، أول حركة الاستعمار الكبرى التى انتهت بحلول أمم أوربا فى شواطىء أفريقيا ، وفى وسط مجاهل قلب القارة ، ثم امتد الاستعمار الى آسيا ، وكان له أبعد الآثار فى تاريخ البشرية كلها فى الغرب والشرق على السواء ، وكانت رحلة كولمبس فى سفنه الثلاث الصغيرة أول خطوة فى سبيل كشف قارة أمريكا العظمى وهبوط أمم من شعوب أوربا فى سهولها الفسيحة ونجودها الضخمة الممتدة بين أكناف القطب الشمالى والقطب الجنوبى

ثم كانت هذه الرحلة بعد ذلك كله أو قبل ذلك كله أول خطوة فى سبيل خلق دولة أمريكا العظيمة ــ دولة الولايات المتحدة التى نراها اليوم تتجه بالمدنية نحو القصارى المقدورة لها فى العلم والصناعة والثقافة ، والتى نرى سلاحها العظيم يجاهد اليوم فى سبيل خلق عالم الغد لاجيال مقبلة كثيرة

وانا اذا عدنا بالنظر الى حوادث التاريخ منذ آخر القرن الخامس عشر، تبين لنا أن الكثير منها لم يكن سوى شعاب صغيرة تفرعت من التيار العام الذى انحدر من أيام هنرى وكولمبس . حتى حوادث عهد نابليون نفسه لم تكن سوى تفاصيل للحادث الاعظم العام.

فتاريخ العالم فى القرون الاربعة الماضية ليس سوى تاريخ نهضات دولة البرتغال واسبانيا ثم هولنده وفرنسا ثم انجلتره ، وكانت أكبر مشاغل تلك القرون هى التى ثارت بين بعض هذه الدول وبعض من وراء المنافسة على سيادة العالم . لقد كانت الدول جميعا تسير فى الموكب الذى يسير فى طليعته هنرى وكولمبس

على ضوء هذه الحقائق يمكن أن ننظر الى الرجال الذين يسميهم التاريخ عظماء وأفذاذا وعباقرة ، فنرى سحنهم تتخذ أشكالا جديدة غير التى تحاول الاخبار أن ترسمها فى سجلها . فالرائد الذى يسير فى المجاهل لاول مرة قد يصبح اسما منسيا بعد حين ولايلبث الناس بعده أن يسيروا فى آثاره ألوفا وألوفا فى تيار ضخم ، فلا يسع التاريخ الا أن يسجل حركة هذه الالوف ويصف أعمالهم ، ويذكر أسماء الزعماء المبرزين من بينهم ويسميهم أبطالا عظاما ، مع أن الحقيقة انهم لم يفعلوا أكثر من أن يندفعوا مع التيار الذى يحملهم فى سبيله . ولنضرب مثلا لهؤلاء بالملك شرلكان الذى يتغنى التاريخ بعظمته

كان شارلكان ملكا عظيما تردد الاصداء باسمه فى مشارق الارض ومغاربها فى القرن السادس عشر ، وكان يجمع ملك النمسا واسبانيا تحت عرش واحد فآلت اليه الامبراطورية العظمى فى القارة الاوربية والامبراطورية الاستعمارية الكبرى فيما وراء البحار . كان أكبر ملك غير منازع فى العالم كله ، ويحوى سجل التاريخ من ذكره أضعاف ما يحمله من ذكر غيره من الملوك والقادة والنوابغ . ولكن شارلكان أو شارل الخامس ، لم يكن سوى رجل صنعه التاريخ لان المصادفة قد شاءت أن يكون وارث ملك عظيم تكدست فيه عبقريات ألوف من بناة الدول

فاذا كان هنرى الملاح وكولمبس من كبار صانعى التاريخ ، فان شارلكان من كبار من صنعهم التاريخ

ولم يكن شارلكان بالرجل الوحيد الذى صنعه التاريخ فى القرن السادس عشر ، فقد كان يعاشره رجال آخرون صنعهم التاريخ معه ، وهم فى الحقيقة لا يزيدون على أنهم كانوا محمولين مثله على تيارات منحدرة من نواح أخرى ، ومن أظهر هؤلاء سليمان القانونى امبراطور تركيا ، الذى لا يزال اسمه يتردد فى سجلات التاريخ على أنه أعظم عظماء ملوك الترك ، وهو فى الحقيقة لا يزيد على أن يكون رجلا حملته موجة عظيمة فى تيار لم يكن له مفر من أن يحمل عليه

ففى الوقت الذى كان فيه أفق الغرب يضطرب برحلات هنرى الملاح . كانت جيوش الترك تزحف من آسيا الصغرى فى أوائل القرن الخامس عشر حتى عبرت الدردنيل الى أرض الدولة العتيقة الرومانية الشرقية ، ثم جاء السلطان محمد الفاتح يدب فى بطء وحذر حتى وقف بجيوشه حول القسطنطينية وحاصرها ثم فتحها فى سنة ١٤٥٣

ولم يكن فتح القسطنطينية فى ذاته سوى عمل حربى مما يكثر وقوعه بين الدول جيلا بعد جيل ، ولكنه مع ذلك كان حادثا فذا فى تاريخ العالم ، لان آثاره الكبرى شملت

العالم كله فى مئات مقبلة من السنين

انتهت دولة الروم الشرقية بفتح القسطنطينية ولم يكن انتهاؤها عجيبا ، فقد كانت تعانى آلام النزع الأخير منذ عشرات السنين . ولكن فناء هذه الدولة الهرمة حرك أوربا حركة عنيفة ، لم تتحرك مثلها منذ أيام الحروب الصليبية وعادت فى أوربا صيحات الدعوة الى الكفاح ضد الشرق ، فكانت هى الباعث الاكبر لتشديد الهجوم على العرب فى اسبانيا ، ثم كانت باعثا قويا لمواصلة الحرب مع المسلمين فى افريقيا

واتجهت الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية نحو قلب أوربا ، وكانت مضطرة الى الحرب المستمرة مع دول أوربا لانها كانت لا تستطيع ان تلقى السلاح مع تحفز دول أوربا وتحديها . وكان لعودة هذا الروح العدائى بين الشرق والغرب أكبر أثر فى العراك المستمر الذى انتهى باستعمار أوربا لاكثر بلاد الشرق

لقد كان الروح الصليبى قد خمد بعد القرن الثالث عشر ، وكاد العالم ينساه نسيانا كاملا ، بل لقد كانت دول أوربا فى اثناء القرن الرابع عشر تتعاون مع مصر وهى أكبر الدول الاسلامية ، يحل تجارها فى أرض مصر ، ويشاركون فى جهودها مشاركة الصديق للصديق . ولكن فتح القسطنطينية حرك العداء من جديد بين الشرق والغرب ، فاذا بالبحر الابيض المتوسط يصبح ميدان حرب خطيرة ، واذا بأساطيل أوربا تدور حول افريقيا لتنزع من العالم الاسلامى أسواق الهند والشرق الاقصى

ولم يقتصر أثر فتح القسطنطينية على ذلك بل كان له أثر عظيم فى تاريخ مصر ذاتها ، فقد كانت مصر الى ذلك الحين قلب العالم الاسلامى ، وكانت كل الدول الاسلامية تلتف حولها ، وتجعلها قبلة زعامتها فلما فتحت القسطنطينية تسنمت الدولة العثمانية ذروة الزعامة الاسلامية ، وكان لا مفر من وقوع الاصطدام بينها وبين مصر ، وهو الاصطدام الذى خرت مصر فيه صريعة أمام هجمات سليم الاول

وهناك نتائج أخرى لفتح القسطنطينية ليس لها علاقة بالفتح ولا بالاستعمار ولا بحوادث الحروب . فمنذ فتحت تلك العاصمة القديمة ، هرب من كان فيها من الامراء والعلماء الذين لم يرضوا لانفسهم البقاء تحت حكم العثمانيين ، وكانت هناك بقية عظيمة من مخلفات الآداب والعلوم القديمة التى ورثتها دولة الروم الشرقية من الحضارات اليونانية والرومانية

ولما هاجر هؤلاء العلماء ، وحملوا معهم طائفة من تلك الكنوز القديمة ، حلوا فى دول أوربا الوسطى والغربية لاجئين اليها . فنشروا ما عندهم من الكنوز الادبية والعلمية فى بلاد متعطشة لها وبهذا كان لهم الفضل فى اذكاء النهضة العقلية الناشئة فى أوربا . وكانت شعوب أوربا فى ذلك الوقت مستعدة لالتهام ما يقدم لها من غذاء عقلى لان نفوسها كانت قد تحركت نحو الاستزادة من المعرفة منذ حين بفضل ما استمدته من الاتصال بالعرب فى اسبانيا وفى أعقاب الحروب الصليبية

واتفق عند ذلك كشف الطباعة فى أوربا ، وشيوع صناعة الورق التى نقلها الاوربيون عن الشرق . فاجتمعت كل هذه الظروف لاحداث المعجزة الكبرى : معجزة النهضة الشاملة فى بلاد الغرب وهى النهضة التى مهدت السبيل لتقدم أمم أوربا وسبقها فى ميادين العلم ، وانتزاعها من الشرق علم المدنية الذى لا يزال مرفوعا فى يدها الى الوقت الحاضر

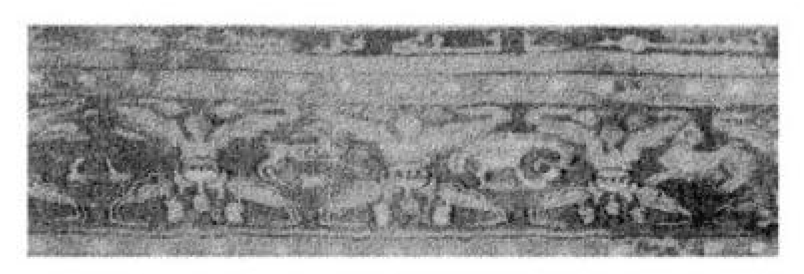
فالسلطان محمد الفاتح عند ما فتح القسطنطينية ، كان بمثابة عملاق يحفر للتاريخ مجرى جديدا ، يحتم عليه تغيير وجهته ، ويجعله ينساب فى سهول لم يكن لولاه ليهبط اليها . فهو بغير شك من أكبر صناع التاريخ ، وان كان سجل الأخبار يحتفظ بالمجد الاكبر ، فى الدولة العثمانية لحفيده السلطان سليمان القانونى الذى كان معاصرا لشارلكان

والسلطان سليمان العثمانى شبيه بالخليفة العباسى الذى سبقه بسبعة قرون وهو هرون الرشيد الذى بقى اسمه مخلدا فى أخبار التاريخ ، وفى خيال القصص تكاد الصورة التى خلقها التاريخ له تكون شيئا آخر غير الصورة الحقيقية التى وهبها الخالق له . فهو كذلك مثل واضح من أمثلة الاشخاص الذين يصنعهم التاريخ صنعا بدعاية الاخبار ، وأحاديث الكتاب الذين بهرتهم مظاهر الميراث العظيم الذى لم يكن له فضل فيه

ولسنا نستطيع أن نذكر صناع التاريخ بغير أن نشير الى رجل كان له الفضل الاول فى خلق مصر الحديثة وهو محمد على باشا . فقد جاء الى مصر فى أوائل القرن الثامن عشر ، وكانت لا تزال صريعة تعانى أشد الآلام عقب الصدمة التى صدمتها بها الدولة العثمانية فى أيام سليم الاول . لم تكن بها حكومة تستقر البلاد فى ظل حكمها ، بل كانت تشملها فوضى عنيفة ترتع فيها الجيوش العثمانية حينا ، وفرسان أمراء المماليك حينا ، والكتائب الأجنبية الآتية من وراء البحار حينا . غزاها الفرنسيون مع بونابرت فلم يجدوا بها من يقف أمامهم من حماة البلاد ، وخرج الفرنسيون منها بعد حروب طاحنة اشترك فيها الانجليز فى البر والبحر ، وعادت اليها الجيوش العثمانية والباشوات العثمانيون وأمراء المماليك وفرسانهم ليعبثوا فيها ، ويخربوا ما بقى من عمرانها . وجرت الفوضى معها كل مفاسد الفقر والكساد والجهل والمرض

فكانت مصر عند ما جاء اليها محمد على باشا بلادا لا أمل فى نجاتها من موت محقق . ولكن ذلك الرجل العظيم استطاع ان يدرك بذكائه حقائق الموقف وعرف الجوهرى والعرضى منه ، وكانت عزيمته الماضية لا تردد . فرسم لنفسه غاياته وأقدم على تحقيقها مغامرا بحياته ، فاقتحم مخاطر الموقف نحو غاية بعد غاية حتى استطاع بعد أربعين عاما أن يخلف وراءه قطرا مستقرا ، واقفا عند أول الطريق . واذا كانت الظروف السياسية العالمية قد هدمت كثيرا مما بناه فى حياته ، فانه بغير شك صانع مصر الحديثة والمستقبلة وسيقترن اسمه بتاريخ مصر الحديثة فى كل ما يقدر لها من تقدم بين أمم العالم المستقبل فى الغد المجيد المأمول

محمد فريد ابو حديد



قطعة من القماش من القرن الثامن الميلادي يتجلى فيها ميلاد الفن المصري الإسلامي في زخرفة المنسوجات ممثلا في تلك الكتابة العربية التي تزينها من أعلى « بسم الله بركة من الله »

صفحة من صفحات الفن المصري قبل الإسلام

المنسوجات الأثرية المصرية

بين القرنين الثالث والثامن الميلاديين (١)

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية

من مزايا مصر أن الانسان يستطيع أن يتابع فيها تطور الحضارة الانسانية في أدوارها المختلفة ، ففيها ترك الانسان آثاره منذ دب على الأرض حتى اليوم : فيها آثار ما قبل التاريخ ، وفيها آثار العصور القديمة وآثار العصور الوسطى وآثار العصور الحديثة ، والفضل في ذلك راجع أولا الى النيل واهب الحياة والحضارة لمصر ، وثانياً الى التربة التي جمعت بين الخصوبة والجفاف ، وثالثاً الى ذلك المناخ الجميل الذي ساعد على بقاء ما خلفه الأولون من آثار قيمة تفصح عن تقدم الانسان في تلك الأيام الخالية

ومن خير ما احتفظت به مصر في جوفها ، لنا وللعالم أجمع ، تلك الكميات الوفيرة من المنسوجات القديمة التي أظهرتها الحفائر الأثرية أو التي تلقي ضوءاً باهراً على مدى رقي صناعة

---

(١) أقامت جمعية الآثار القبطية معرضاً بالسراي الكبرى بالجزيرة تفضل بافتتاحه مولانا الملك المعظم في السابع من ديسمبر سنة ١٩٤٤ . وقد كان من أهم المعروضات مجموعة قيمة من المنسوجات المصرية الأثرية كانت مبعث الوحي لهذا البحث



قطعة من الحرير منسوجة بالاسكندرية فى القرن السادس الميلادى يتجلى فيها التأثير المسيحى ممثلا فى صورة البشارة وميلاد السيد المسيح (من مجموعة المتحف المسيحى بالفاتيكان)

النسيج فى حوض البحر الأبيض المتوسط عامة، أو تكشف بنوع خاص عن مقدار ما بلغته مصر من التقدم فى هذه الصناعة فى كل عصور تاريخها السابق : فى العصر الفرعونى ، وفى العصر القبطى ، وفى العصر الاسلامى

وفى الحق لقد وصلت مصر فى العصر الفرعونى الى أوج العظمة فى هذه الناحية ، فتلك الأقمشة التى عثر عليها فى مقبرتى تحتمس الرابع وتوت عنخ آمون تعد من أقوى الشواهد على ذلك ، إذ تدل برقة نسيجها، ودقة رسمها ، وجمال تلوينها على أنها نتاج مجهودات طويلة وتطورات عدة تقلب فيها فن النسيج فى مصر قبل سنة ١٤٤٧ ق . م . وتكاد تنطق بمقدار ما بلغته مصر من الدرجة السامية فى هذه الصناعة فى ذلك العصر السحيق الذى كانت تفوق فيه غيرها من الأمم فى مدارج التقدم الفنى

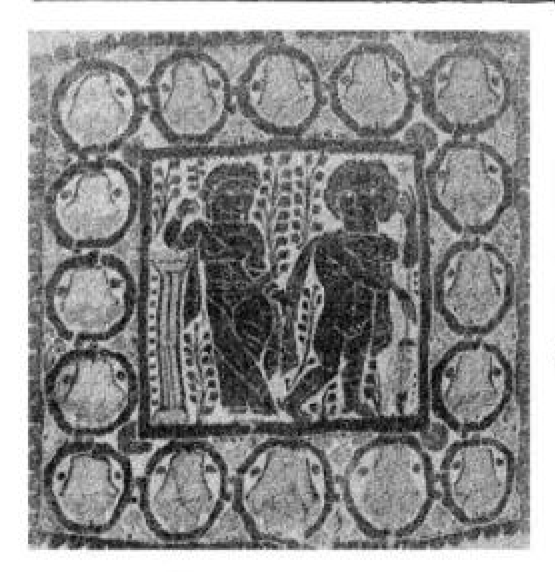
واذا كنا نشهد فى منسوجات العصر الفرعونى جمال الفن المصرى الخالص فان للمنسوجات التى ترجع الى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث والثامن الميلاديين ، أو بعبارة أخرى الى العصر القبطى ـ كما اصطلح بعض علماء الآثار على تسميته ـ تجلو لنا فناً لا شك فى مصريته ولكنها مصرية ليست خالصة بل تشوبها عناصر أجنبية تسربت اليها من الدول التى غلبتنا على أمرنا ، والواقع أن الفترة التى ترجع اليها هذه المنسوجات هى التى وقعت فيها مصر تحت النير الأجنبى ،

فدخلت تحت حكم اليونان والرومان ثم الفرس ثم الرومان مرة ثانية ، ولكنها استطاعت بقوة حيويتها أن تهضم هؤلاء الغزاة ـ كما يقول جوستاف لوبون ـ وأن تغلبهم بقوة شخصيتها كما غلبوها بقوة سلاحهم ، فاحتفظت فى ظلهم بلغتها وعقائدها وفنها ، بل وأثرت بهذا الفن فى فنونهم فتركت فيها آثاراً لا تزال الى اليوم لسان صدق ينطق بهذه الحيوية ، ولعل أحسن ما يترجم عن هذه الحقيقة هى هذه المنسوجات القديمة التى نسجها أجدادنا فى الفترة الواقعة بين القرنين الثالث والثامن الميلاديين على أرجح الآراء ، والتى عادت الى الظهور على أسنة معاول علماء الآثار ، وانبعثت من تحت الرمال التى طمرتها قروناً عدة لتعطينا صورة من فنون هذه الأمم الأجنبية بعد أن تمصرت

واذا اتخذنا الزخرفة أساساً فى دراستنا لهذه المنسوجات ، استطعنا أن نقسمها الى خمسة أقسام ، قسم نلمس فيه مظاهر الفن الفرعونى ، وقسم ينم عن التأثير اليونانى الرومانى ، وقسم يشعرنا بظهور الدين المسيحى ، وقسم يعرض علينا أهم خصائص الفن الساسانى ، وقسم يبشر بميلاد الفن الاسلامى

أما القسم الذى يذكرنا بفن الفراعنة فأهم ما يلفت النظر فى زخارفه نبات اللوتس الذى قدسه أجدادنا ، واتخذ الفنانون منه وحدات زخرفية غاية فى الجمال والروعة زينوا بها أبنيتهم ومصنوعاتهم

وأما القسم الثانى المتأثر بالفن اليونانى الرومانى فيجمع الى سحر ألوانه ورقة نسيجه طرافة الموضوعات التى تتناولها زخارفه ، فهذه الزخارف مستمدة من الحياة الاجتماعية لليونان والرومان ومن أساطيرهم وعقائدهم الدينية . ولا يستقيم لنا فهم هذه الزخارف المختلفة إلا اذا استحضرنا فى أذهاننا صور تلك الحياة التى كان يحياها اليونان بما فيها من صيد ورقص وخمر وحرب ، وتذكرنا أنه كان لليونان مخلوقات خرافية وكانت لهم آلهة تجمع بين الناسوت واللاهوت ، لهم مظهر البشر وفيهم قوة الخلود والجبروت ، يأكلون ويشربون ويتزوجون من بنى البشر وأحياناً يزوجون بناتهم منهم ، وفيهم الطمع والجشع ، وفيهم الغدر والحسد ، ولهم وقائع شتى مسرحها هذه الدنيا أحياناً والآخرة أحياناً أخرى . ولقد رقم النساج على هذه المنسوجات صور الكثير من آلهتهم ، إله الحب ، وإله النصر ، وآلهة الفناء ، وإله الخمر . كما رسموا بعض مخلوقاتهم الخرافية مثل حوريات البحر وجنيات البر ، والسنطور الذى يتمثل فى مخلوق مكون من شطر انسان على شطر حصان ، والأمازون أى النساء اللائى كرسن حياتهن للقتال وكن يخالطن الرجال حتى اذا ما حملن منهم هجرنهم فاذا ما وضعن حملهن استبقين البنات دون البنين ، وكن يحرقن ثديهن الأيمن حتى لا يعوقهن عند رماية النبال ، كما صوروا كذلك كثيراً من قصصهم القديمة



قطعة قماش مصرية من القرن الرابع الميلادى يتجلى فيها التأثير اليونانى الرومانى ممثلا فى منظر من قصة « هرقل وأمفال » . من مجموعة المغفور له الملك فؤاد الأول بدار الآثار العربية

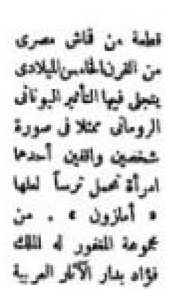
مثل قصة أوربا ابنة ملك فينيقيا ، وقصة هرقل وأمفال ، وقصة هرقل وأسد غابة نيان ، وقصة ليدا زوجة زيوس كبير الآلهة ، وقصة أورفيوس الموسيقى العظيم

ولقد شقت العناصر الزخرفية المستمدة من الدين المسيحى طريقها الى القسم الثالث من هذه المنسوجات ، وذلك بعد أن أصبحت الديانة المسيحية هى الدين الرسمى فى القرن الرابع الميلادى وزينت المنسوجات بصور استلهمها الفنانون من التوراة والأنجيل ، واعتزم الناس رسم صور القديسين ومناظر القصص الدينى على ملابسهم وأسرفوا فى هذا السبيل إسرافاً أطلق لسان النقاد فيهم حتى لقد قال أحدهم : « إن الناس أصبحوا يحملون الانجيل على ملابسهم بدلا من أن يحفظوه فى صدورهم »(١) . والمنسوجات التى وصلت الينا من هذا القبيل قليلة ولعل أروعها تلك القطعة الحريرية التى نسجت فى الأسكندرية فى القرن السادس الميلادى والتى تزدان بزخارف تمثل البشارة وميلاد السيد المسيح وهى موجودة الآن بالمتحف المسيحى بالفاتيكان

وتتجلى خصائص الفن الساسانى فى القسم الرابع من هذه المنسوجات ، وهذا الفن هو فن الدولة الساسانية التى حكمت بلاد إيران بين سنتى ٢٢٧ ، ٦٤٩م وكان ملوكها من الايرانيين

(١) راجع ص ٥٧٧ من كتاب : Dalton : Byzantine Art and Archeology

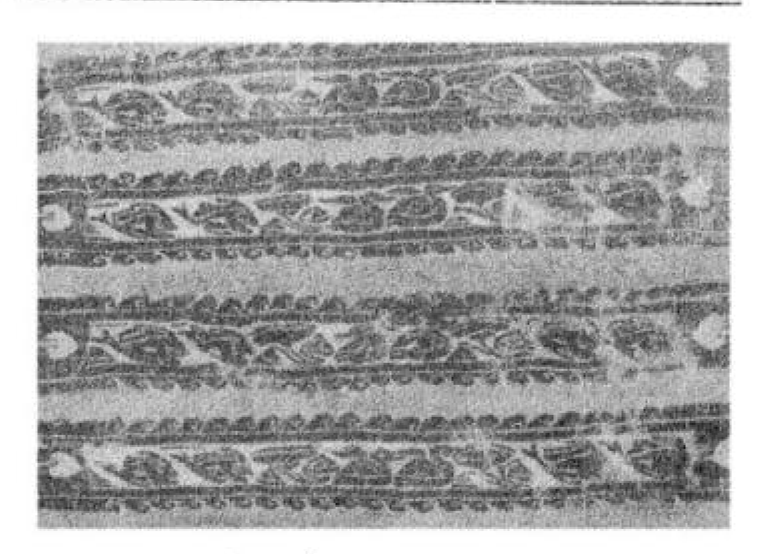




قطعة من قماش مصرى من القرن الخامس الميلادى يتجلى فيها التأثير اليونانى الرومانى ممثلا فى صورة شخصين واقفين أحدهما امرأة تحمل ترساً لعلها « أمازون » . من مجموعة المغفور له الملك فؤاد بدار الآثار العربية

الوطنيين فعملوا على إحياء الفن الايرانى القديم ، ولكن ما وقع من الاحداث فى الحقبة الطويلة التى تفصلهم عن هؤلاء الاجداد لم يجعل هذا الفن الذى أوجدوه إيرانياً خالصاً بل كان مشوباً بكثير من العناصر الفنية اليونانية بسبب خضوع إيران فترة من الزمن للاسكندر الاكبر ثم لخلفائه السلوقيين من بعده ، ولقد استطاعت الدولة الساسانية أن تنزع مصر من أيدى الروم ، ولكن سرعان ما أخرجت منها وعادت البلاد الى سيطرة الروم ، ويستبعد أن تكون هذه الفترة القصيرة من الحكم الساسانى ذات أثر فعال فى الفن المصرى، لان التطور الفنى بطىء ويحتاج الى وقت طويل ولذلك يغلب على الظن أن تأثر المصريين بالفن الساسانى انما مرجعه الى العامل الاقتصادى ، فلقد كانت للمنسوجات الساسانية شهرة عالية واسعة . فأقبل المصريون على تقليد طرقهم فى زخرفة المنسوجات رغبة فى الكسب وترويجاً لما تنتجه أنوالهم فزينوا منسوجاتهم بكثير من عناصر الزخرفة الساسانية كالأشرطة التى تموج فى الهواء من رقاب الطيور ، وذوات الأربع المجنحة ، والنقط البيضاء التى تمثل حبات اللؤلؤ ، وشجرة الحياة التى تحف بها الحيوانات المتقابلة أو المتدابرة

وتسلم العرب زمام البلاد ، وبدأوا فى تاريخها صفحة جديدة ، ورأوا بثاقب نظرهم انه أجدى عليهم أن يثبتوا أركان النظم القائمة وقت الفتح من أن يكدوا أذهانهم فى استنباط نظام جديد .



قطعة قماش مصرية من القرن الرابع الميلادى يتجلى فيها التأثير الفرعونى ممثلا فى نبات اللوتس وفى السمك النيلى وفى البط المصرى — من مجموعة المغفور له الملك فؤاد الأول بدار الآثار العربية

وكذلك لم يقطع الفتح العربى لمصر سلسلة التقدم فى حياتها الفنية أو الاقتصادية ، بل احتفظت مصر تحت ظل العرب بما كان لها من مكانة سامية ، وازدهرت فى عصرهم صناعة المنسوجات حتى بلغت قمة العظمة. وأعادت الى الأذهان عهد الفراعنة فى هذه الناحية. واذا كانت المنسوجات المصرية قد بدأت تفقد قبيل الفتح العربى شيئاً من فنها الجميل ،وأصبحت زخارفها بعيدة عن الليونة ، فانها فى الواقع قد احتفظت حتى فى عهد هذا الانحلال الفنى بميزة لا سبيل الى انكارها هى تآلف ألوانها وتناسقها . على أنها سرعان ما استردت مكانتها السابقة فجمعت بين الزخرفة الجميلة والتلوين الرائع فى العصر الاسلامى . وفى الحق أن ما أجراه العرب من التغيير فى زخرفة المنسوجات قد انحصر فى منع النساج من رقم الصور الدينية والرموز المسيحية وإبقاء ما عدا ذلك . وأضافوا الى هذا ما يثبت سلطانهم فى البلاد فنسجوا مع الزخرفة جملا عربية تشعر بالدين الجديد الذى أتوا به

وهكذا يتجلى لنا ميلاد الفن المصرى الاسلامى فى زخرفة المنسوجات فى تلك القطع التى تجمع بين الزخارف المصرية قبل الاسلام وبين عبارات دينية عربية مكتوبة بالخط الكوفى

محمد عبد العزيز مرزوق

حول المؤتمر النسائي العربي:

قالت إحداهن:

بقلم السيدة «بنت الشاطئ»

« . . . وبعد فقد كنت ، منذ دعت الداعيات إلى «المؤتمر النسائي العربي» ، أشفق عليه من الارتجال ، والاشتغال بالعرض دون الجوهر ، والسعي نحو الأهداف القريبة دون الأهداف البعيدة العليا ، والدعوة إلى إلغاء ظواهر الفروق بين الجنسين ، حين تأبى الطبيعة والحياة أن تسوى بينهما . . .

« فلما كان بعض ما خفت أن يكون ، رحت وعذرت ، لأن المرأة لم تنضج بعد بتجارب الانتقال ولم تنج من صدماته ، ولم يوكل إليها قيادة الحركة كي تتولاها في تدبر وأناة . . .

« فإن يكن من نسائنا من تستهويهن الدعاوى المنحرفة التي أطلقت في أفقنا ، والألفاظ الضخمة التي استحدثت في حركتنا ، فإن منهن — بعد ذلك — من برئن من ذلك الاستهواء ، وهذا صوت إحداهن . . . »

بنت الشاطئ

انتهت أعمال « المؤتمر النسائي » الذي انعقد في القاهرة ، في ديسمبر الماضي . وسكنت الضجة التي أثارها بحفلاته وقراراته ، وهذا أوان الدرس الجاد المتزن ، لأعمال ذلك المؤتمر ، الذي يعد من أظهر الأحداث الاجتماعية في الموسم الحاضر

لقد كان المؤتمر موضع اهتمام كثير من رجال الصحافة والأدب والاجتماع . ولكن المؤلم ، أن أكثر النقد والتعليق كان مطبوعاً بطابع الفكاهة ، فهذا أديب يرى أن تمنح النساء حق عضوية (الشيوخ !) — وذاك ثان يروى لنا قصصاً هزلية عن نساء روسيا (الشيوعيات !) — وذلك ثالث يقترح أن تحذف واو الجماعة ، إذا أجيب المؤتمر الى طلبه الخاص بحذف نون النسوة — وهؤلاء محررو بعض المجلات ، يرون في المؤتمر مادة دسمة (للنكت والصور الهزلية !)

ولئن طاب لفريق من الرجال أن يتفكهوا بهذا الموضوع ، فإنا — معشر النساء — نراه جداً وما هو بالهزل ، وليس ذلك لأننا نتعصب للجنس ، أو نقر أعمال المؤتمر ، أو نرى فيه صورة صادقة للنساء الشرقيات ، ولكن لأننا نلمح فيه ظلال التيارات المختلفة التي تتجاذب الحركة النسوية في وقتنا الحاضر ، ونسمع فيه صدى الانفعالات العنيفة التي تكابدها المرأة الشرقية في نهضتها المستحدثة الطارئة . .

لقد خضعت نساء هذا الجيل وفتياته لتجربة قاسية : إذ كتب عليهن أن يشقين بمحنة الانتقال ، وأن يحملن أثقالها وأوزارها ، ويدفعن ضحاياها . وعسير على مثل هؤلاء ، أن يتخذن من أية حركة نسوية ، مادة للتفكه والعبث ، بعد الذى ذقن من مرارة . .

إنهن يرقبن اليوم ، فى جد رهيب ، حركات المرأة الشرقية وهى تتخبط إثر التجربة القاسية كى تطمئن بها قدماها على الطريق الجديد . وقد يشهدن ــ بين حين وآخر ــ حركة طائشة ، أو خطوة بلهاء ، فلا يرين فى شىء من ذلك ما يبعث على الضحك أو العجب

وأنا واحدة منهن . . من هؤلاء الشرقيات اللائى عبرن الجسر الرهيب من تيه الظلمات ، إلى وادى العلم ، وعالم النور . . وقد تتبعت خطوات المؤتمر ، وأصغيت إلى كل ما قيل فيه وما قيل عنه ، فلا والله ما وجدت فى ذلك إلا كل جد . .

ولست من أعضاء المؤتمر ، ولا أنا ممن يرضين عن برنامجه ، ويوافقن على أهدافه ، ويؤيدن قراراته ، لكنى ــ مع ذلك ــ أشعر نحوه بكل عطف ، وأحمل له كل تقدير ، لأنه يعبر ــ فى صدق وصراحة ــ عن عدم استقرار المرأة الشرقية فى وضعها الجديد

* * *

حين أذيع خبر المؤتمر ، سعيت إلى تعرف أهدافه ومراميه ، فتفضلت صاحبة العصمة السيدة الجليلة « هدى هانم شعراوى » فبعثت إلى ما طلبت ، ثم دعتنى الى التحدث فى المؤتمر ، واقترحت على أن يكون موضوع حديثى : « المرأة الريفية وما ينالها من خير ، إذا ظفرت المصرية بحقوقها السياسية » ،فأجبتها أن الكلام فى مثل هذا سابق لأوانه ، لأننا ــ فى ريف مصر ــ نجاهد لكى تأخذ بيد المرأة الريفية ، حتى تقف على قدميها وتخطو أولى الخطوات فى سبيل الحياة الانسانية ، ونسعى لكى تفتح عينيها ، حتى ترى ما يحيط بها ، وتبصر الشعاع الأول من نور الحياة الكريمة . والذين عاشوا فى الريف مثلنا ، وشاهدوا عن كثب ما ران على أهله من ظلم وظلام ، وما ضرب عليهم من حرمان ومرض ومسكنة ، يرون من العبث التكلم الآن فى الحقوق السياسية للمرأة الريفية ، لأن فى هذا سخرية بشقائها المر ، وتجاهلا لواقعها الأليم

ان الحق السياسى هو أرقى الحقوق التى يسمو إليها الانسان الذى يشعر بوجوده ، فهل يجوز لنا أن نتحدث فى ذلك الأفق العالى ، لمن لم تظفر بعد بحقها فى الحياة ؟ !

أما أنا فاعتذرت عن التحدث فى ذلك ، احتراماً لشقاء هذه المواطنة المجاهدة ، واعترافاً بانسانية تلك المخلوقة التعسة . .

* * *

وكنت أتمنى ، لو يسعفنى برنامج المؤتمر ، فأتحدث عن شىء آخر غير « الحق السياسى للمرأة ، وما ينال الريفية من خير وراء الظفر به » . كنت أتمنى أن أتحدث عن الجهاد الأكبر فى هذا العالم الذى تتخاطف فيه الأممُ الحياة ، وتستشهد من أجل الحرية والكرامة ، ثم أتحدث بعد ذلك عن المسائل الكبرى فى قضية المرأة الجديدة

لكن برنامج المؤتمر ــ كما أذيع ــ كان يسعى ــ قبل كل شىء ــ الى تقرير حق المرأة فى

الاشتراك فى الحكم ، والى المطالبة « بتقليدها المناصب والوظائف التى تؤهلها لها مؤهلاتها العلمية »

وقد سادت نفسى طويلا : هل خلص لنا الوطن حتى نفكر فيمن يحكمه منا ؟ هل يحكمه رجالنا حقاً ، فنحن نطلب أن نشاركهم فى هذا الحكم حتى لا يستأثروا به دوننا ؟ ! من زعمت ذلك منا فهى ضالة أو واهمة ، والمرأة — فى دقة حسها وصفاء وجدانها — جديرة ألا تخدع بهذا الزعم الباطل ، وفى أذنيها أصداء صيحات الشعوب الشرقية التى تئن من الاغتصاب ، وفى قلبها قبور الشهداء من أبناء الشرق الغالى . . .

هى جديرة ألا تخدع بهذا الباطل ، وهى ترى دماء الضحايا منا تخضب أرض الوطن الاكبر : من أقصى الشرق فى الهند ، إلى أقصى الغرب فى الجزائر . . .

فيم الخلاف إذن على حكم أوطان لم تسلم لأهلها ؟ وفيم التحدث عن أشخاص الحاكمين منا ، وهذه أوطاننا لم تنقذ بعد من براثن الاحتلال الذى يهدر كرامتنا وانسانيتنا ؟ !

كان حق السياسة عندنا فى هذا الشرق أن تكون تدبيراً عالياً للجهاد الاكبر فى سبيل حق الحياة والكرامة ، أما وقد آلت الى حزبية بغيضة تمثل صورة الحاكمين ، وتتناحر فى سبيل الظهور على هذا المسرح الزائف ، فانا — معشر النساء — أهل لأن نعف عنها ونزهد فيها ، بل نحن أهل لأن نرفض التفرج على مهازلها . لان المرأة — بطبيعتها — هى حارسة المثل العليا ، والحافز الذى يغرى الرجل باقتحام الصعاب فى سبيل هذه المثل ، كى يرضيها ويظفر باعجابها . فاذا تخلت اليوم عن هذه الحراسة النبيلة ، فمن سواها يعصم الرجل من الأعنباء تحت ضغط الواقع وأمام قسوة الظروف ؟ !

من غيرها يسمعه صوت الحق والخير والجمال ؟ !

من عداها يدعوه الى الجهاد والاحتمال ، ويغريه بالبذل والفداء ؟ !

ان السياسة عندنا قد غدت أداة تمزيق فى الشرق ، فكانت عوناً للأجنبى علينا ، بل كانت — ولا تزال — يده التى يضربنا بها . . .

انقسمنا شعوباً وقبائل ، ثم انقسم الشعب الواحد طوائف وأحزاباً يضرب بعضها بعضاً ، ثم انقسم الحزب الواحد بعد ذلك فرقاً متناحرة ، وأفراداً متباعدين متباغضين ، وكلما نجونا من انقسام أتانا الى انقسام جديد ، حتى دبت بيننا العداوة والبغضاء

أفينقصنا — فى هذه المحنة الأليمة — أن يتسلل داء الحزبية وهوى الحكم الى نفس المرأة ، فيكون للنساء أحزاب أيضاً ؟ وكأنما وصلنا الى الاهداف السامية العليا ، وبقى علينا أن نحقق الأهداف الطائفية أو الفردية الخاصة ؟ !

***

ثم ما هذه الوظائف التى نطلبها للنساء ؟ إن الحركة النسوية عندنا قد نهضت بها فى فجرها

الاول نساء كريمات . لا يستهويهن مطمع مادى ، ولا ينتظرن ربحاً من جهادهن ، بل يسعدهن البذل فى سبيل غاية كريمة . وهذه هى زعيمة الحركة ، لم تؤجر على ما بذلت من جهدها وما لها بأجر مادى ، أو منصب حكومى ، فكان جهادها مثلا عالياً نبيلا ، فى الوقت الذى أذلت فيه المطامع أعناق الرجال ، فأمست الوطنية ارتزاقاً مهينا ، والسياسة حرفة رخيصة . وأخشى — إن نحن اتجهنا الى طلب المناصب — أن تضل قافلتنا ، فتنصرف عن غايتها النبيلة وهدفها العالى

ومن الغريب، أن المؤتمر تعرض لوظائف النساء، وطالب بها، من غير أن يقول كلة واحدة عن موقفهن القلق المضطرب بين البيت والوظيفة ، أو يشير بشيء ما ، إلى التوجيه الخاطىء الضال ، الذى يخلط بين تعليم الفتاة عندنا وبين احترافها ، فيدفعها — عن غير ضرورة قومية عامة ، أو فردية خاصة — إلى معاناة شذوذ الاحتراف وأخطائه ومتاعبه ، وتلك هى إحدى المشكلات الهامة فى حركتنا الحاضرة . . .

***

على أن كبرى الكبائر ، أن ينسى بعضنا الفروق الطبيعية بين الجنسين ، أو يتجاهلها ، أو يسعى إلى الغائها ، مع أن الطبيعة والحياة تأبيان علينا مثل هذا المسخ الذى يريد الأنثى مخلوقاً شاذاً : هو امرأة بطبعه ، ورجل فى تطبعه . وكان المرجو من نسائنا أن ينادين باحترام الأنوثة ، ويتشبثن بها فى حرص وإعزاز ، ويأبين على الرجال تجاهلها وإغفالها ، ويحاربن كل دعوة عابثة ، تنحرف بالمرأة عن فطرتها ، وتنأى بها عن عملها الطبيعى ، ووظيفتها المحترمة ، فى الأسرة ، والبيت ، والمجتمع ...

***

وبعد فقد كنت — منذ دعت الداعيات الى هذا المؤتمر الكبير — أشفق عليه من التسرع ، والارتجال، والاشتغال بالعرض دون الجوهر، والسعي نحو الاهداف القريبة دون الاهداف البعيدة العليا، والدعوة الى إلغاء ظواهر الفروق بين الجنسين، حين تأبى الطبيعة والحياة أن تسوى بينهما ...

فلما كان بعض ما خفت أن يكون ، رحمت وعذرت ، لان المرأة لم تنتفع بتجارب الانتقال ، ولم تنج بعد من صدماته ، ولم يوكل اليها قيادة الحركة ، كى تتولاها فى تدبر وأناة ، وبذلك حرمت الحركة النسوية عندنا من الاستقرار الذى يتيح لها السعي السدد ، والنظرة المطمئنة ، والاتجاه الرشيد . . .

فان يكن من نسائنا من لا تزال تخدعهن أكاذيب المبطلين ، وتستهويهن الدعاوى المنحرفة التى أطلقت فى أفقنا ، والألفاظ الضخمة التى استحدثت فى حركتنا ، فان منهن — بعد ذلك — من يرثى من ذلك الاستهواء ، وهذا صوت إحداهن . . .

شوشاى — بنت الشاطىء

قصة مصرية

ملاريا الحب

بقلم الاستاذ محمود تيمور بك

شغل الطبيب بموضوع محاضرته فى مكافحة الملاريا ، وملك عليه التفكير كل منفذ ، ولكن المصادفة التى دبرتها يد القدر من حيث لا يدرى أحد ، أرادت له أن يكون فى طريقه بين القاهرة ومصر الجديدة موضع تجربة رائعة للاصابة بالملاريا . . ملاريا الحب!

حمدت الله على أنى أنهيت عملى مبادرا فى عيادتى ، فقد كانت الساعة السادسة مساء حين ودعت آخر من قدموا على من المرضى . وقلت لحسن الممرض ، وقد خلعت معطفى الابيض وتركته له :

ـ حسبنا من جاءنا اليوم .. انتهت عيادة الليلة .. أريد أن أخلو بنفسى حينا حتى أستعد لحفلة نادى الاطباء

وقصدت الى الصنبور أغسل يدى ، وسمعت حسنا يقول :

ـ موعد الحفلة التاسعة يا سيدى

ـ على مراجعة المحاضرة التى أعددتها لألقيها ضمن محاضرات الليلة .. وأحب أن أستقل سيارتى متنزها بعض الوقت .. انها على باب العمارة فى الموضع الذى تركتها فيه، أليس كذلك ؟

ـ لقد أوصيت بها حارس السيارات

ـ خيرا فعلت

وكنت قد فرغت من غسل يدى ، فمضيت الى حجرة عملى ، وجلست الى مكتبى ، وبسطت أمامى أوراق المحاضرة ، وشرعت أطالع وأراجع ..

وما كادت الساعة تقترب من السابعة ، حتى كنت خارجا من باب العيادة ، وقد حملت حقيبتى الصغيرة محتوية المحاضرة . وكنت جد مسرور من نفسى ، اذ استطعت أن أجمل فى هذه المحاضرة زبدة وافية لاحدث الآراء فى مكافحة الملاريا . فقد كانت حفلة الليلة خاصة بها

مرقت من باب العمارة ، واتجهت الى السيارة ، فلمحتها قابعة فى مكانها الذى تركتها فيه . وكانت من السيارات الصغيرة ذوات المقعدين

صعدت فيها على عجل ، وسرعان ما أدرت مفتاحها فانطلقت تطوى الطريق . وكانت حفلة الليلة تستغرق تفكيرى كله : ماذا هو مقدر لمحاضرتى ؟ كيف يكون وقعها على الأسماع ؟.. وكنت قد أبقيت معطفى الاسود على المقعد الآخر من السيارة ، فلمحته عينى فى مكانه . واجتزت شارع ابراهيم باشا ، وما ان أشرفت على شارع الملكة نازلى حتى أيقظتنى من أحلامى حركة صادرة من ناحية المعطف ، فالتفت التفاتة عجلى ، فاذا المعطف على حاله . ولكنى ما لبثت أن سمعت حركة أخرى أشد وقعا ، فوجدتنى أخفف من سرعة السيارة ، وأحدق بجوارى مستطلعا ، فاذا بالمعطف يتحرك ، ففزعت وهاجتنى الظنون . فوقفت السيارة مهتاج النفس ، وأضأت المصباح على الأثر . وظهرت فى الحال يدان من المعطف بساعدين بضاوين ، فتحفزت فى حذر وقد توجست شرا ، ولم أكد أفتح فمى متسائلا ، والذهول يملكنى ، حتى طالعنى وجه حسناء . واذ بى أسمعها تقول :

ـ الى أين تريد أن تذهب بى يا سيدى ؟

فبادرتها بقولى ، وعيناى محملقتان :

ـ من أنت ؟ وماذا جاء بك الى السيارة ؟

ووجدت الفتاة تستوى فى جلستها ، وتنحى عنها جانبا من المعطف الذى كان يخفيها ، وقالت :

ـ معذرة اذ اتخذت معطفك لى غطاء بعض الوقت .. أردت أن أتقى به بوادر البرد !

وتبادر الى ذهنى أنها حيلة تبغى بها احدى الغوانى معابثتى، فقلت فى شىء من الخشونة:

ـ ما شأنك ؟ تكلمى .. وقتى أثمن من أن أضيعه فى مثل هذه المهازل !

فرمتنى بنظرة يتجلى فيها أسف وعتاب ، وراحت تصلح من هندامها وتصفف شعرها . وتبين لى أن وسامتها يكسوها ظل من النحول والامتقاع ، وأنها لم تمن بزينتها ، ولكنها مع ذلك ذات فتنة ظاهرة . وقد استرعى انتباهى على الفور لون شعرها ، اذ كان متميزا بحمرته القانية ، مسترسلا على كتفيها متموجا يبهر النظر

وسمعتها تهمهم :

ـ انه لاتفاق غريب ذلك الذى جعلنى أدخل سيارتك .. ثق أنى لم أتعمد ذلك .. كانت أول سيارة واجهتنى فدخلتها .. لم يكن من ذلك بد .. وأنت الآن بين أمرين : اما أن تسمح لى بالنزول ، واما أن تبلغنى دارى . ولك أن تختار بملء حريتك أحد الامرين

وكانت تكلم فى أدب واحتشام ، بلهجة تنطوى على أنفة واعتداد بالنفس . وأزاحت المعطف كله عنها ، فاذا هى فى لبوس المنزل : رداء حريرى سابغ ، سماوى اللون ، رشيق على الرغم من سذاجته . ولاحظت أنها عاطل لا تتحلى بشىء . وقد فطنت الى

دهشتى لما هى عليه من زى ، فقالت وعلى فمها ابتسامة مهملة :
ـ حتى الحذاء لم ألبسه كما ترى .. انظر .. خرجت بخف المنزل !
وحركت قدميها لترينى الخف ، ثم واجهتنى بقولها وهى تعالج فتح باب السيارة :
ـ سأتركك يا سيدى .. شكرا لك على أية حال !
وكانت عيناها سوداوين عميقتى التأثير تزخران بعواطف غامضة ، على الرغم مما يلوح عليهما من اعياء وجهد . واستهوانى صوتها الموسيقى ذو الرعشة المحببة والغنة الآخاذة . ذلك الصوت الهادىء الطبيعى الذى ينساب الى أعماق النفس فيثير فيها شتى الاحاسيس
وجعلت تبحث عبثا عن مقبض الباب ، فقلت لها :
ـ ليس للسيارة الا مدخل واحد هو الذى يلينى ..
ـ اذن أرجو أن تفسح لى !
ونظرت اليها مليا أتأملها ورأسى تطوف به أفكار متضاربة . ثم وجدتنى أطفىء المصباح ، وأدير مفتاح السيارة على مهل ، فخطت بنا خطواتها الهينة . وسمعت الفتاة تقول : لماذا لم تدعنى أبرح السيارة ؟
ـ لقد اخترت الامر الآخر .. سأبلغك دارك .. أين تسكنين ؟
ـ مصر الجديدة ..
ـ هى وجهتى أنا أيضا !
ـ كيف ؟
ـ انى أطلب النزهة واستنشاق الهواء الطلق ..
ـ ولكن يا سيدى ..
ـ لا أستطيع أن أدع سيدة فى عرض الطريق ، وهى فى لبوس المنزل !
ـ لا بد أن شتى الهواجس تنازعك فى شأنى .. امرأة فى هذه الساعة ، فى سيارتك على غير معرفة ، فى لبوس المنزل !..
ـ لا أخفى عنك دهشتى ، ولكننى قليل الفضول !.. تستطيعين أن تصونى سرك عنى
ـ أشكر لك .. كل ما أريد أن أخبرك به هو أن تثق بحسن نيتى ..
ـ لم يسؤ بك ظنى !
ـ ولم هذه الثقة العاجلة المرتجلة ؟
فابتسمت وأنا أحرك فى يدى عجلة القيادة وقلت : الحق أنى لا أدرى لماذا ؟
ـ أخشى أن تكون مخطئا ؟
ـ أرجو الا أكونه !
ومضت السيارة تخترق شارع الملكة نازلى فى سير وئيد .. كان الهواء رخاء يحمل فى أطوائه تباشير الشتاء بنشاطه وانتعاشه ، وكان الليل ساجيا والطريق يكاد يكون خاليا

الا من بعض سيارات الجيش الضخمة ، تمر بنا فى ضجة وجلبة ، فتتزلزل لها سيارتى الصغيرة ، ثم لا تلبث السكينة أن تخيم على جانبى الطريق ..

وتولانا الصمت وقتا ، ورحت أفكر فى أمر هذه الفتاة التى رمانى بها القدر فى تلك الساعة : ما شأنها ؟ أمن الغانيات هى ؟ أمن الأسر الكريمة ؟ أمن تلك الفتيات اللواتى تسميهن أنصاف العذارى ؟ هل قصدت سيارتى قصدا ؟!.. وسمعتها تقطع على تفكيرى كأنها تحدث نفسها :

ـ ألم تحرز نصرا فى حياتك تعتد به يا سيدى ؟

فقلت : لم تخل حياتى من ساعات نصر !

ـ أقصد نصرا حاسما .. كأنك خضت معركة دامية كان لها أثر فاصل فى حياتك ، معركة خرجت منها وأنت تشعر بأنك دفنت عهدا مدبرا واستقبلت عهدا جديدا ..

ـ لا أدرى على وجه التحقيق !

ـ أما أنا فقد نلت هذا النصر .. تلك الليلة .. يا له من نصر عظيم !

كانت تقول ذلك بلهجة ملؤها الزهو والاعتزاز . وبعد لحظة واصلت حديثها قائلة وهى تحدق أمامها تحديقا ثابتا :

ـ ان ثمة لذة لا تفوقها لذة أخرى ، هى تلك الوقفة التى يقفها المحارب وقد سقط خصمه بين يديه صريعا ، ذلك الخصم الذى طالما ناوأه وأعياه وأذله . . انها لنشوة عجيبة ، وانه لشعور عظيم حقا .. كنت أنكر على المقاتلين قسوتهم ، وأنعى على الحرب ويلاتها ، ولكننى حينما خضت معركتى ونلت فيها نصرى عذرت كل مقاتل سفاك !

ـ يدهشنى أن أسمع ذلك الرأى من مثلك .. المرأة ينبوع الشعور المرهف ، ومستودع الرحمة والحنان !

ـ الطبيعة الانسانية لا تختلف بين الرجل والمرأة ..

ـ قد تكون الطبيعة واحدة بين الجنسين ، ولكننى أراك تمتغين فى التعبير عن هذا الشعور !

ـ لو كنت يا سيدى ممن يخوضون المعارك الدامية ويمارسون المقاتلة والصراع ، لما رأيت فيما أقول شيئا من المغالاة !

ـ اننى أخوض معارك الدماء منذ أمد .. ولكن فى صورة خاصة !

ـ لست بجندى على ما يلوح لى ..

ـ لا صلة لى بالجندية ..

ـ هل لى أن أسألك الى أية الهيئات الاجتماعية تنتمى ؟

ـ الى الهيئة التى يلقبها الناس بجزارى بنى آدم الذين يحميهم القانون !

ـ أنت اذن جراح !..

ـ أصبت ..

وانطلقت منها ضحكة رقيقة ، فقلت لها :

ـ أقدم لك نفسي : دكتور شهدى ، عيادتي في العمارة التي على بابها أضافتك سيارتي المتواضعة ..

ـ تشرفت يا سيدى الدكتور

وكنا قد شارفنا منشية البكرى ، وازداد الطريق اقفارا ، وتغلغل فيه الصمت والسكون وتتابعت نسمات الليل تهب علينا باردة منعشة . ورأيت جارتى تتحسس معطفى وتدس يدها في طياته . فقلت من فورى : ألا تبلين هذا المعطف شرف تدثرك به مرة أخرى ؟

ـ أشكر لك هذه العاطفة يا دكتور ..

وبادرت بسط المعطف عليها ، واذا بها تقول :

ـ ألست الدكتور عبد الحميد شهدى صاحب المباحث الطبية التي تطالع بها الصحف بين حين وحين ؟

ـ قد أكونه !

ـ قرأت لك في الاهرام منذ أيام بحثك في الملاريا ، ووجدت لك في مجلة الحكمة هذا الشهر بحثك في البنسلين وأثره في الجراحات . وأذكر أني قرأت لك منذ أشهر نصائحك في التعقيم ..

ـ عجبا !.. أتتابعين أمثال هذه المباحث الجافة ؟

ـ لى بالطب ولع .. أتسمح بأن أقدم لك نفسى ؟.. سميرة عزت .. وانتسابى انما هو لأبى ..

ـ أكان لك أن تنتسبى لغير أبيك ؟

ـ كان لى زوج .. يرحمه الله !

ـ أمات منذ مدة ؟

ـ دفنته الساعة ..

ـ الساعة ؟!

ـ دفنته ونفضت منه يدى ، ونزلت فاستقبلتنى سيارتك !

ـ سيدتى ؟

ـ لقد صرعت هذا الزوج وانتهيت من أمره ..

ـ انها لألغاز !

ـ ألم أقل لك انى نلت نصرا حاسما ؟.. ما زلت أتمثله وهو صريع أمامى .. انتهى .. انتهى كل شيء !

وصمتت ، فقلت مدهوشا : أفصحى ..

فقالت في لهجتها ذات الرعشة المنغمة :

ـ انه قتيل في نظرى .. أما في نظره فليس يهمنى أن يعتبر نفسه حيا !

فتنفست في ارتياح ، وواصلت هي حديثها :

ـ أمر لا يؤبه له .. انها خزعبلات الحياة .. لنعد الى قصة الطب . أرغب فى أن تعلم أنى من أسرة جل رجالها أطباء .. كان جدى طبيبا .. أحمد عزت باشا ..

ـ الدكتور احمد عزت باشا .. من يجهل هذا الاسم ؟ ان نظرياته الصائبة فى جراحة العين غزت معاهد العلم فى أوربة ، وحظيت بأكبر تقدير ..

ـ وعمى كان طبيبا فى الجيش .. ولى أخ أتم دراسته فى كلية الطب المصرية وهو الآن فى لندن يتخصص فى جراحة العظام .. فلا يأخذك العجب اذا وجدتنى أهوى الطب وما يتصل به .. انى أعيش محوطة دائما بأدواته : مشارط ، محاقن ، ضمادات .. أنفى متشبعة أبدا برائحة العقاقير ، حتى انى لأشعر بأن الهواء الذى أستنشقه يحمل من ذراتها أوفر نصيب !

وطفقت تستنشق الهواء حولها ملء رئتيها ، ثم عادت تقول :

ـ انى معجبة ببحثك الاخير فى الملاريا .. لقد طالعته غير مرة !

ـ حقا ؟

ـ ان طريقتك فى تبسيط العلم بذلك الاسلوب السهل المحبب لا يجاريك فيها طبيب آخر .. كنت أقرأ هذا البحث فكأنى أستمتع بقصة طريفة .. هذا فضلا عما يتجلى فى مباحثك من نزعة انسانية كريمة ..

ـ انى لجد مغتبط بإطرائك هذا ، ولكن يلوح لى أن ..

فقاطعتنى ، كأنها غير معنية بقولى :

ـ لما عرفتك الساعة تبين لى على الاثر وجه الصلة بين شخصك وبين ما تخطه أناملك. ان مباحثك لمرآة صافية تتراءى على صفحتها المصقولة صورة نفسك فى جلاء ..

ـ سيدتى .. انك تغمريننى ..

فتابعت قولها ، كأنها لم تسمعنى :

ـ ان الكاتب ليظل مجهولا كل الجهل عند القارىء ، مهما يقرأ له ، فاذا ما تعرف به ..

ـ وقعت الكارثة !

ـ .. فاذا ما تعرف به رأى نفسه تجاه حالتين : فاما انهار ذلك الصرح الشامخ بما يحويه من فتنة وسحر انهيارا لا قيام بعده ، واما أن يزداد هذا الصرح تمكنا وسموا ، وحينئذ تتوثق صلة الكاتب بالقارىء وترتفع مكانته عنده درجات ..

ـ أهو شعور يشاركك فيه كل قارىء ؟

ـ يخيل الى ذلك . وعلى أية حال فهو شعورى الخاص . وقد تعلمت منه أن أتجنب معرفة من أقرأ لهم ، اذ طالما منيت بخيبة أمل قاسية ..

فتنحنحت قليلا ، ثم قلت : هل لى أن أعرف موقفى فى هذه القضية ؟ ..

فتلاعبت بطرف معطفى ، وقالت : حسبك أن تحزر ..

وانتبهت فاذا « بمصر الجديدة » تلوح أمامى دون سابق انذار أو تمهيد كأن الليل

القارق فى ظلمته وصمته قد انشق عنها دفعة واحدة ، فبدت حيال ناظرى كأنها مدينة مسحورة من مدائن الأساطير .. وهمهمت جارتى :

ــ انى أسكن فى شارع الخليفة المنصور ..

ــ أعرفه جيدا .. طالما عدت فيه بعض المرضى .. سأبلغك اياه ..

وسرت ووجهتى شارع الخليفة المنصور . وأظلنا الصمت وقتا . ورأيت فتاتى تعبث بزر من أزرار معطفى وعيناها تحدقان أمامها لا تطرفان .. وأردت مواصلة الحديث ، فأعيانى الأمر ، وبدرت منى سعلة خفيفة ، وألفيت جارتى تقول وهى على حالها :

ــ وددت أن أجد لى عملا فى الحياة .. انى تواقة لان أمارس أية مهنة !

ــ أى عمل تصبو اليه نفسك ؟

ــ أقبل أى عمل .. أريد أن أشغل وقتى .. أملأ ذلك الفراغ الذى يحيط بى .. أدفع تلك الوحشة التى تشيع فى نفسى ..

وكان الهلال الوليد قد بدأ يلوح فى الافق البعيد شاحبا ضئيلا يتعثر نوره الوجل بين الأبنية الضخمة ، فكأنه يحاذر أن يكشف الستر عن أسرار خليقة بالكتمان .. وانتشرت خيوطه الواهية على وجه جارتى فأكسبتها سحر الأطياف ، وتسللت الأضواء الى شعرها القانى سابحة مضطربة على موجاته اللطاف .. ووجدتنى أقول :

ــ أتحسبين أن المرأة للعمل خلقت ؟

ــ لاى شىء خلقت اذن ؟

فأمسكت عن الجواب ، ورأيتنى أخفف من سرعة السيارة ,وأبطأ بها تباطؤا جعل سيرها أقرب الى سير الأقدام .. وخيل الى أنى آخذ بيد فتاتى أجوز بها الطريق مترجلا هين الخطوات ..

واختلجت شفتاى بقولى : المرأة لم تخلق الا لامر واحد ..

ــ وما هو ؟

ــ انها خلقت « للحب » !..

فراعتنى من عينيها نظرات ملتمعة . وقالت : الحب ؟!

ــ الحب وظيفة المرأة .. وظيفتها الاولى فى المجتمع !

وعلا صوتها أكثر من ذى قبل ، وقالت :

ــ واذا كان هذا الحب هو أصل بلائهـا ، وجحيم حياتها ، لم تنل منه غير الخيبة والاذلال ، فماذا تصنع ؟

ــ تبحث عن حب آخر ، حب جديد يحل محل الحب القديم ويطارد فلوله .. لا يفل الحب غير الحب !.. ألم تسمعى قول الشاعر : وداونى بالتى كانت هى الداء ؟!

فتضاحكت فى رفق ، وقالت :

ــ واذا أصابها الاخفاق فى حبها الجديد ؟

ـ تبحث عن سواه ..

ـ وهكذا !

ـ نعم .. الحب .. الحب دائما .. الحب فى حياة المرأة عنصر لا يقل خطرا عن الماء والهواء ، بل انه ليفوقهما .. انه عنصر الحياة الاول !

ـ انى لأراه عنصرا من عناصر الدمار .. انه جرثومة مرض خطير فتاك !

ـ هبه مرضا .. هبه أى شىء آخر .. هو فى نظرى ألزم للمرأة من أى شىء !

ـ تريدنا أن نكون دائما صرعى هذا المرض العضال ؟

ـ ان لبعض الامراض تأثيرا سحريا فى النفس ، فتنجذب اليها وتشغف بها ولا ترضى عنها بالصحة بديلا .. والحب مرض ساحر جميل يضفى على حياة المرأة لونا بديعا أخاذا . انه ليدفعها الى الاخذ بطراز رائع من العيش كله رومانسية وفتنة .. لن تصيب المرأة كل هذه المتع وهى مكتملة الصحة فى رحاب الواقعية المبتذلة !

فلاذت بالصمت هنيهة ، تائهة النظرات حالمة ، ثم همهمت :

ـ يبدو لى أنك شديد الايمان بالحب !

ـ بل انى لشديد الايمان بأن المرأة لم تخلق الا للحب .. انها دمية فاتنة فياضة القلب بهذه العاطفة النورانية الوضاحة .. انها ..

فقاطعتنى بصوتها المنغم الهادىء :

ـ أنتم أيها الرجال تريدوننا تماثيل عواطف لا أكثر ولا أقل ، تنصبونها فى أبهاء منازلكم ، لتفزعوا اليها اذا استبد بكم الضيق ..

ـ بل ننصبها فى أعز مكان وأعلاه قدسية وطهارة ، ننصبها فى قلوبنا !

ـ انكم لتسرون بهذه التماثيل لترووا منها نفوسكم الصادية ، وتشبعوا نظراتكم المنهومة ، ثم لتتخذوها أفكوهة وسلوى ..

ـ بل لنخر لها ساجدين ضارعين ..

ـ كلام معسول !.. ان الانانية لتحتل من حياتكم أكبر مكان !

فأرسلت طرفى اليها متفحصا ، فوجدتها هادئة القسمات ، غارقة فى عذوبة فياضة ، وقد أسبلت جفنيها كأنها مقبلة على نعاس خفيف .. فقلت فى شبه همس :

ـ أأعد نفسى ضمن من تعنين من الرجال ؟

فتخايلت على وجهها ابتسامة رقيقة ، وتحركت شفتاها تقول :

ـ وهل أنت الا رجل ؟

ـ أذكر أنى سمعتك منذ قليل تشهدين بأن فى نزعة انسانية !

فتضاحكت ، واندفعت تعبث بزر من أزرار معطفى ، فقلت :

ـ حذار يا سيدتى أن تقطعى الزر .. ان مثل هذه الازرار عزيزة المنال فى الوقت الحاضر ..

ـ لن ألحق ضررا بمعطفك .. سأتركه لك كله .. ألم نبلغ شارع الخليفة المنصور ؟
وتلفتت حولها مليا ، ثم همهمت :
ـ أحسبنا قد تجاوزناه .
ـ يبدو لى أن الخليفة المنصور غير متعجل أن يستضيفنا !
ـ ألا تعود بى ؟
ـ حتما ..
ووقفت السيارة ، ونزلت فقالت : ماذا ؟
ـ على ربان السفينة أن يتبين مكانه من المنطقة التى حل فيها ، لكى يستطيع أن يعود أدراجه فى أمان !

وأدرت عينى حولى ، فاذا نحن على أبواب طريق السويس .. وتجلت لى عظمة الصحراء ، الصحراء المترامية الأطراف التى لا يحدها النظر ، الصحراء العظيمة بسكونها السابغ ورمالها المنبسطة تحت ضوء الأفلاك كأنها بسط من اللجين موشاة بثمين اللؤلؤ .. ومصر الجديدة رابضة على مرمى البصر كأنها حيوان ضخم من الحيوانات المنقرضة فى العصور القديمة دهمه السبات فتجمع بعضه على بعض !..

وشاهدت فتاتى تترك السيارة ، وتقول : ماذا تقصد بوقفتك هذه ؟

فتطلعت اليها أتأملها لحظة ، معجبا بقوامها اللدن . لم تكن بالفارعة ولا بالقصيرة ، ولم تكن بالبدينة ولا بالضامرة . عود خصب ريان وجسم متناسق التكوين لا تنكر العين منه شذوذا ولا هجنة .. وراح الهواء يهاجمها فى عنف ، ويضرم الثورة فى شعرها وملابسها ، فانبعثت جاهدة تصلح من شأنها ، وهى تقول :
ـ أين نحن الآن ؟
ـ عن كثب من السويس ..
فصاحت : السويس ؟!
ـ أقصد أننا منها على بعد ساعتين !
واشتد عبث الهواء بها ، فهرعت الى السيارة ، وسرعان ما عدت حاملا معطفى ، وقلت :
ـ أطلب اليك باعتبارى طبيبا أن ترتدى المعطف ..

فلم تبد اعتراضا ، وساعدتها على ارتدائه ، وكان سابغا فضفاضا ، فتهدل كماه على يديها . فكركرت فى الضحك ، وهى تدور على عقبيها تتأمل نفسها وتقول :
ـ ليس فى الامكان أبدع مما كان !
ـ فى رأيى أنه منسجم عليك أبدع انسجام .. كأنك فى لبوس المحاماة ترسلين دفاعك على منصة القضاء ، أو فى جبة الاستاذية تلقين محاضرتك فى مدرج الجامعة !

وأخذت يدها ، وسرنا متمهلين ، ورأيتها تطوف ببصرها متوسمة . واستقرت عيناها على القمر الفتى يحاول أن يبدد حلوكة الليل .. وهينمت :

ـ ان الحياة ليست كريهة كما يبدو للانسان بعض الاحيان .. انها تنطوى على جوانب لطيفة ..

ـ انها ملأى بالسعادة لمن أراد أن يكون سعيدا ..

ـ وهل يكفى أن يرغب الانسان فى السعادة ليظفر بها ؟

ـ هذا رأيى ، وأرجو الا أكون فيه مخطئا !

ـ لقد حاولت السعادة فلم أصب منها شيئا على الاطلاق ..

ـ لم تكونى فى رغبتك مخلصة !

فطمحت بعينيها الى وقالت : قد فعلت المستحيل ..

ثم مالت ببصرها عنى ، وأطرقت شاردة اللب برهة ، ولمحت قطرات من الدمع تنتثر على صفحة خدها ، وألفيتها بغتة تخفى وجهها فى منديلها . ثم أخذت تجفف دموعها عجلة . وتدانيت منها وأنا أقول فى صوت رفيق :

ـ لقد حدثتنى الآن بانتصار باهر نلته فى معترك الحياة .. فكيف يبكى القائد والنصر حليفه ؟

فهمست بقولها :

ـ يستوى النصر والهزيمة فى نظر من كان موحش القلب فارغه .. الدنيا التى تتجاوب فيها الحركة والنور ليست فيما أحس الا صحراء مقفرة داجية !

فلاطفت يدها وأنا أردد مبتسما :

ـ ألم أقل لك : وداونى بالتى كانت هى الداء ؟!

فتوهجت عيناها ، وقالت متهدجة الصوت :

ـ أفحسبت أنى ما برحت أحبه ؟ محال أن يكون فى قلبى ذرة من هذا الحب !

وراحت ترسل النظر أمامها ، وهى لا تنبس . وبعد حين وجدتها تهمهم :

ـ انى لاعجب كيف أحببته يوما ؟.. كنت غريرة طائشة .. استهوانى بمعسول الاحاديث وخلاب الامانى ، فوثقت به .. وثقت ثقة راسخة .. وكان الزواج .. وتوالت أيام صفاء وهناء ، وما هى الا أن تبعتها أيام محنة وشقاء .. انقلب هذا الزوج الصفى مخادعا أثيما متغلغلا فى الاثم والخداع .. أصبحت حياتى معه جحيما لا يطاق فيها العيش .. ورضى أخيرا بالطلاق بعد أن بذلت له فى سبيله أسخى العروض وهو يسرف فى مساومة دلت على خسة وضعة نفس .. كان هذا الذى تسميه « الحب » أو على الاصح هذه الجرثومة الخبيثة تنفث فى دمى سمومها ، فلبثت حينا أروض نفسى على الخلاص من شرها ، فمرة أوفق وتارة أخفق ، حتى لقد عن لى فى ساعة من ساعات يأسى شبح الانتحار يستدنينى اليه ، فكدت أسقط بين براثنه .. وقضيت فترة كلها كفاح وعناء ، حتى وقعت حادثة اليوم ، فكانت ختام المأساة وفصل المقال .. ثق أن كل شىء قد انتهى الآن !

ـ أو على وشك الانتهاء !

ـ بل انتهى كل شيء الى غير رجعة .. تصور أني تلقيت منه اليوم بطاقة صغيرة خط فيها كلمات مفادها أنه مريض مشف على الموت يطمع أن أزود عينيه بنظرة وداع . وقلبت البطاقة فى يدى لحظة ، مريض يلفظ آخريات أنفاسه ، يدعو مطلقته الى أن تودعه الوداع الاخير ، لست بالقاسية حتى أمتنع عن تلبية دعوته فى هذا الموقف الحرج .. ما زال قلبه عامرا بحبى .. لمت هذه الخواطر فى رأسى ، فوجدتنى أقفز نحو الباب دون أن افكر فى تغيير ثيابى .. وصعدت فى أول سيارة لقيتنى ، وحثثت السائق ليمضى سريعا الى البيت . وكنت فى السيارة وهى تعدو بى ألوم نفسى على ما قد بدر منى فى حقه ، أقسوت عليه كثيرا ؟ أعاندته طويلا ؟ أما كان أجدر بى أن أصابره وألاينه ؟ وصعدت اليه لاهثة الانفاس ، ودخلت حجرته .. فماذا تظن أنى رأيت ؟

ـ ممددا على سريره يعانى سكرات الموت !

ـ بل فى مناماته الحريرية الأنيقة ، يتوسط حجرته شرق الطلعة يتوقد مرحا ويقظة . وعن كثب منه مائدة تتزاحم عليها أكواب الشراب وصحاف الطعام .. وتقدم منى ثملا يتخلع والكأس فى يمينه ، وقال لى : « ها قد حضرت » . ووقفت مصعوقة لا أبدى حركة ولا ألفظ حرفا . واستأنف قوله : « اجلسى ، اجلسى . انك تلهثين . ما أشد حبك لى » ولما وجدنى جامدة فى مكانى أنظر اليه مأخوذة اللب ، اقترب منى وأمسك بيدى وأقبل على .. وأحسست أنفاسه المخمورة تصافح وجهى ، وفمه المتدلى يتدانى الى فمى .. ووجدتنى بغتة وقد ارتفعت يدى وأهوت عليه بصفعة اختلج لها وترنح ، وطارت الكأس من يده .. وحدجته بنظرة نكراء ، وصحت به : « انى أكرهك... أمقتك.. من تظنني أيها النذل ؟ » ..

والتفتت الى ، وكأن عينيها بقعتا دم فائر ، وقالت :

ـ أقسم لك انه لو كان معى حينئذ سلاح لقتلته شر قتلة !.. وخرجت أعدو من مسكنه ، لا أكاد أستبين طريقى ، وصادفت سيارتك فدخلت فيها على الأثر ، ثم انكبيت على يدى أبكى.. وأبكى.. وأبكى.. وتخاذلت قواى ، وخدرت أعصابى ، وأحسست بالقشعريرة تسرى فى أوصالى ..

وسرت معها جنبا الى جنب دون أن نتناقل الحديث . وبعد هنيهة ألقيت عليها نظرة ، فاذا هى تعبث بين أصابعها بحلية مشبوكة فى صدرها ، فهمست : حلية لطيفة !

ـ لا بأس بها ..

وخلعتها ، وناولتنى اياها ، فأخذت أردد فيها النظر . وكانت حلية ذهبية نقشت عليها صورة أبى الهول ، وتحت الصورة بضع كلمات لم أستطع تبينها . فقالت :

ـ مكتوب فيها : « تذكار لمتطوعات الملاريا » . لقد منحتنى هذه الحلية لجنة فتاة النيل تقديرا لعملى فى جمع التبرعات

ـ أكنت فيمن يجمعن التبرعات ؟

ـ جئت وحدى مائتى جنيه ..

ـ كثيرا ما حاصرتنى هؤلاء المتطوعات وسلبتنى ما فى محفظتى من نقود .. أكنت من هؤلاء السارقات ؟

ـ يجوز ..

ـ بل أؤكد ذلك !

ـ كيف تؤكد ؟

فصمت برهه وأنا أحدق أمامى ، وقلت فى لهجة لينة خافتة :

ـ على أية حال أشعر شعورا قويا بأنك سلبتنى شيئا ..

ـ أتعنى محفظتك ؟

ـ بل شيئا أغلى وأعز ..

ورنوت اليها ، فرأيت ابتسامة هادئة ترف على محياها ، ومدت يدها الى ، وقالت :

ـ هات الحلية

فناولتها اياها ، فشبكتها فى مكانها من صدرها ، فقلت : يظهر أن كلا منا مهتم بالملاريا. ان هدفا من أهداف الحياة قد بدأ يجمع بيننا ويؤلف !

فعادت تعبث بحليتها ، وهى تقول :

ـ ان للملاريا جرثومة أرجو يا صديقى الدكتور أن تكون بنجاة منها !

فألفيت نفسى أندفع قائلا :

ـ لقد كشف الطب حديثا أن لجرثومة الملاريا فضلا فى القضاء على جراثيم بعض الأمراض المستعصية !

فأجابت خافضة الصوت ، وهى تنظر فى حليتها ، وتعبث بها :

ـ أتظن أن جرثومتك الخاصة بالملاريا قادرة أن تقضى على مرض عضال كاد يودى بحياة ؟

ـ انى باعتبارى طبيبا تعمقت فى دراسة هذه الناحية ، وباعتبارى أيضا صديقا تنطوى جوانحه على اخلاص وثيق ـ أقول والأمل ملء قلبى : سيتحقق ذلك بلا ريب !..

فرفعت عينيها الى ، فلمحتهما نديتين . فأخذت يدها بين كفى ، وجعلت ألاطفها .. وعيناى لا تفارقان عينيها ..

وتشابكت نظراتنا وقتا ونحن صامتان ..

واذا بى أميل بفمى على يدها ، فأودعها قبلة حافلة حرى !..

محمود تيمور

هل تصبح الانجليزية .. .. لغة التفاهم بين الأمم ؟

بقلم الدكتور احمد زكى بك

مدير مصلحة الكيمياء

يسمع القارىء ذو اللسان العربى هذا السؤال ، فيخطر له حتما سؤال آخر ، لم لا تكون العربية لغة التفاهم بين الأمم ؟

تقول ان هذا لا يحتمل الآن ؟ وأنا معك ، واذن فكفى الله المؤمنين القتال

وسؤال ثان يعرض للقارىء العربى وغير العربى ، هل معنى هذا أن اللغة الدولية ـ الانجليزية كانت أو غير الانجليزية ـ قد تحل فى كل الأوطان محل العربية والفرنسية والطليانية الى آخر ما هنالك من ألسن ؟ والجواب بالطبع لا . فلن يقول بهذا غير كاتب مخبول من سكان هذه الارض ، أو ملك معصوم من أهل السماء . ولست بهذا ولا بذلك ، ولو قال بهذا كاتب مسته الخبلة أو لاحقته العصمة لخرج وراءه ألف كاتب ووراءهم ملايين الرجال من مختلف الألسنة والالوان ، كل بسلاحه من صاروخ نازى الى سيف هندى الى نعل فاسى ، يطلبون رأسه يحطمونه ، أو عظمه يدقونه ، أو جلده يسلخونه . فاللغة التى تختارها اذن لتفاهم الأمم لن تكون الا لغة ثانوية الى جانب لغة البلاد الأصلية

وقد يقال : هل ظلت هنالك حاجة بين الأمم الى لغة دولية ؟ والجواب نعم . ودليلنا على هذا تلك المحاولات العديدة التى قام بها اللغويون فى العصور الحديثة ، يصطنعون بها لغة جديدة تكون هى لغة التفاهم بين الأمم جميعها . ولقد سجل التاريخ الى الآن من هذه اللغات ما يقرب من ٢٠٠ لغة مصنوعة ، شاع فى الناس بضع منها . ومن أوائل ما شاع منها لغة الاسبرانتو ، ومؤلفها طبيب عيون ، ألفها فى عام ١٨٨٧ . ومن أواخر هذه اللغات المصنوعة ، لغة نوفيال ، وكان تأليفها عام ١٩٢٨

واذن فهل فشلت هذه اللغات المصنوعة مع وجود هذه الرغبة وهذا الاحساس ؟

والجواب نعم . لان الصناعة التى أفلحت فى تغيير أزياء ملابسنا وأطرزة مساكننا ، وبدلتنا من الحمير والبغال سيارات وطائرات ، لا بد فاشلة اذا ما أرادت أن تصطنع لألسنتنا لغات . فاللغات ليست ألفاظا تبتدع بين عشية وضحاها ، ولكنها ألفاظ وأساليب هى أوعية المعانى الانسانية ، والخلجات النفسية ، والعواطف القلبية ، وهذه كلها من أنتجة تفاعلات الارواح ، وهى أبدية تأبى الا الأوعية القديمة العتيقة ذات المجد والتاريخ . ان لغات الناس لا تزال الى الآن أسرارا ليس الى فضحها من سبيل ، فالصناعة من أجل ذلك فى تقليدها عاجزة

وستقول أيها القارىء ، أما وقد فشلت اللغات الصناعية أداة لتفاهم الأمم ، فلم يبق أمامنا الا اللغات الطبيعية

وهذا حق لا مرية فيه ، ولكن الصعوبة فى أى اللغات نختار ، وعلى أى أساس نختارها

أنختار الصينية ؟ ولم لا ؟ أليس الصينيون بأعدادهم يبلغون ما بين الخمس والربع من سكان العالم ؟ ولكنك ستقول معى ان الاعداد وحدها لن تكفى . وعدا هذا فاللغة الصينية لغة أساسها ، فى منطوقها ومكتوبها وتأديتها للمعانى ، أساس يختلف كل الاختلاف عما تعود فى لغاتهم سائر الخلق . وقد حاولت من صديق صينى أن أفهم السبب فى أن لغة الصينيين كتابتها معقدة الصور ، وهل هناك احتمال بامكان كتابتها بالحروف اللاتينية ، فعلمت أن هذا متعذر لأسباب تتصل بطبيعة اللغة ذاتها ، واستطرد فى ذلك استطرادا زادنى جهلا واختلاطا

ثم أنختار الهندية ؟ ولم لا ، والهنود قوم لهم عزة العدد ؟ ولكن هذا أيضا غير ممكن لسبب بسيط ، هو أن اللغة الهندية الواحدة لم توجد بعد . فهناك عدة لغات حملت كثيرا من الباحثين الى اعتبار الهند قارة ذات أمم عدة لا أمة واحدة ، لان الأمة الواحدة بلغتها الواحدة . والانجليز كثيرا ما يذكرون أن لهم فضلا على الهند بأنهم أعطوها لغة للتفاهم واحدة ، هى اللغة الانجليزية

ثم أنختار اللغة الروسية ؟ فالروس أمة تأتى بعد الهند بأعدادها ، وهى تمتاز أيضا بقلة لهجاتها بالنسبة لسعتها . وهى لها فوق الاعداد الخطر والسلطان ، ولكن ليس لها فى العلوم والآداب عراقة بعيدة ، وليس عندها من ذخائر الماضى محصول كبير . وقد يغتفر هذا لحيويتها الحاضرة ، وما يرجى منها فى المستقبل القريب . ولكن تبقى بعد ذلك صفات لغتها عقبات قائمة فى سبيل تداولها . فطريقة كتابتها ليست مألوفة ، ومنطوق مكتوبها ليس يسيرا ، وهى كاللغات القديمة من اغريقية ولاتينية تتغير كلماتها بحسب وظائفها فى الجملة تغيرا كبيرا ، فأجروميتها عسيرة . ولغات الأمم انما تتجه فى تطورها الى البساطة والسهولة

ثم اللغة الالمانية ، وهى بأعداد أهلها لها حق الطموح والمنافسة . وهى لغة علم كثير وآداب رائعة . ولكنى لا أحسب أن أحدا من الأمم فى أمزجتها الحاضرة ، ترضى أن تكون لهذه اللغة سيادة ، خشية أن يكون من سيادتها سيادة أهلها ، والناس لا تزال تعانى من هذه السيادة الأمرين . أما من حيث صفاتها ، فهى لغة من أحسن ما فيها أن الناطق ينطق بها كما يكتبها ، ويكتب حتى ما لا يعرف من كلماتها فلا يخطىء لها رسما . ولكن يقابل هذا أن كلماتها تتغير تبعا لوظائفها . حتى أداة التعريف تتغير تبعا لما تلحق به من أسماء . فهى تتغير للمذكر والمؤنث والجماد ، وللمفرد والجمع ، وللمرفوع والمنصوب والمجرور . وتتغير كذلك الاسماء والصفات والافعال . فتحصيل هذه اللغة صحيحة يحتاج الى مجهود كبير لا يأتلف مع صفة اللغة الدولية أبدا

ثم اللغة الفرنسية ، فهذه لغة الحب ، وقد شاركها في هذا اليوم سائر اللغات . وهي لغة الدبلوماسية ، وقد تأخرت في هذا الميدان وتقدم غيرها . فهي لغة الماضي الزاهر ، والحاضر العاثر ، والأرحام التي تزداد عقما على الزمان

وقد كان في الطليانية والأسبانية مطمع لأهلها . وهي لغات من السهولة بمكان ، ولكن السهولة وحدها لا تكفي لبلوغ غاية

فماذا بقي ؟ بقيت لغة تلك الجزيرة التي سموها انجلترا . واذا قلنا اللغة الانجليزية ذكرنا كندا والولايات المتحدة وجنوب أفريقيا واستراليا ونيوزيلنده . فهي لغة أصلية بكل هذه البلاد ، وهي بلاد بلغتها هذه اللغة استعمارا . والهند وأكثر أفريقيا بلغتها اللغة الانجليزية فتحا . وهناك أمم أخرى ، على استقلالها ، قد بلغتها هذه اللغة تجارة ، لما سيطرت انجلترا وسيطرت أمريكا على بحار الارض السبعة . ومن هذه البلاد الصين واليابان . فبالاستعمار والفتح والتجارة سيطرت اللغة الانجليزية فعلا على أكثر أهل الارض وأكثر بقاعها ، حتى لدارت حول الكرة تلفها لفا . وبالفتح والتجارة قديما سادت اللغات ، فبهما امتدت اللغة العربية ، وبهما امتدت الرومانية ، أعني اللاتينية . وزادت العربية فسادت بالدين ، وبالدين سادت اللاتينية حتى عمت أوربا النصرانية . ولكن عابها وخذلها أنها كانت للرجال دون النساء ، فلم تكن لغة الحب ، ولا لغة البيت ، فما أسرع ما تقلصت عند ما حان حينها

والسفن التي تحمل التجارة ، تحمل العلوم وتحمل الثقافات ، فحملت تلك السفن الثقافة الانجليزية العتيقة ، وثقافة أمريكا الفتية ، وحملت علومهما الى أكثر الأمم . فصارت بذلك اللغة الانجليزية اللغة الثانية بأكثر البلاد اذا اعتبرنا مرافق العيش عامة ، وهي في كثير منها تكاد تكون أصيلة اذا اعتبرنا جانب العيش الذي تسكنه العلوم والفنون والصناعات

وزاد في انتشار اللغة الانجليزية صفات لازمة فيها ، فهي لا نحو فيها ، وأما صرفها فقليل تافه ، يقابل هذا هجاؤها فهو عسير ، ولكن اصلاحه ميسور

فهي بهذا وذاك لغة اجتمعت لها كل أسباب النجاح ، من أسباب في أهلها وأسباب في كنهها . فهي بهذا صائرة برغمي ورغمك الى أن تكون لغة الأمم الثانية التي يتم بها التفاهم على ظهر هذا الكوكب

والرجل العامي يحب اللغة بأهلها ، ويبغضها لاهلها . والرجل المثقف ينظر الى اللغة بأنها وعاء ثقافة ووعاء أفكار ، ووعاء فن ووعاء جمال ، فهو يحبها لما فيها من غذاء ومتعة . وهو قد يقدسها كما يقدس كلمات الله ، فما هذه اللغات الا كلمات الله ، تظهر بها ارادته ، وتتجلى صورته ، على أي لسان خرجت ، وأي اللحوم البشرية تقمصت

احمد زكي

هذه قصة أديبين عظيمين ، ظلا فى ملعب الحياة « طفلين »
لا يتلاقيان الا ليتشاجرا ويضيق كل منهما بالآخر ويعمل
على تكدير صفوه وجرح شعوره والنيل من كرامته

بين تولستوى وترجنيف

بقلم الأستاذ على أدهم

لا تستطيع الانسانية أن توفى أصحاب المزاج الفنى حقهم ، فهم الذين يجملون الحياة، ويؤكدون قيمها ويخلدون مظاهرها الفانية ، وعلاقاتها المتقلبة الزائلة ، ويسمون بنفوس الناس فوق المنافع العاجلة ، والغايات القريبة ، والمآرب الذاتية ، ولكن مخالطتهم فى الاعم الاغلب ليست من الامور السهلة الميسورة ، وقد وجد بين كبار الفنانين من ظفر بالحياة الزوجية السعيدة ، والصداقة الروحية النبيلة ، ولكننا نستطيع أن نقول ان هذا كان الشذوذ عن القاعدة ، وذلك لان أساس المعاشرة الصالحة ، والصداقة الحقة ، هو تبادل الاخذ والعطاء ، وهو أمر متعذر مع أصحاب المزاج الفنى ، لان الفنان يحاول أن يفيد من كل شيء ، ويسخره لانماء مواهبه وممكناته وتجويد آثاره ، ويظل خلال تلك الفترة ملفوفا فى طيالس أحلامه ، ذاهلا عما حوله ، حتى يستوى خلقه الفنى فيرد ما أخذه من الناس مضاعفا ، ولكن بعد أن يتسم بسمة الجحود والنكران خلال دور الحضانة

وقد كان تولستوى وترجنيف كاتبين كبيرين قل أن يسمح الدهر باجتماع مثلهما فى عصر واحد ، ولكنهما كانا من أصحاب المزاج الفنى ، فلم يصف الجو بينهما ، وظلا طوال حياتيهما فى خلاف متصل وشقاق لا ينتهى الا ليتجدد ، مما يجعل الانسان يعجب من تقلبات القلب البشرى وأطوار النفس الانسانية مهما اهتدى الى العلل والأسباب التى تخفف من أثر هذا العجب ، فحتى تولستوى العظيم وترجنيف الكبير ظلا فى ملعب الحياة « طفلين » لا يتلاقيان الا ليتشاجرا ، ويضيق كل منهما بالآخر ، ويعمل على تكدير صفوه ، وجرح شعوره ، والنيل من كرامته !

فى سنة ١٨٥٢ ظهر كتاب « الطفولة » لتولستوى ، وكان أول كتاب أخرجه تولستوى ، ولكنه برغم ذلك كان آية فنية دلت على اصالة الكاتب ورسوخ قدمه ، وقوبل الكتاب بالاعجاب الشديد والتقدير العظيم ، وردد النقاد أن نجما لامعا جديدا قد أشرق فى سماء الأدب الروسى ، وكان فى طليعة المعجبين بهذا الكتاب والقادرين لعبقرية مؤلفه الكاتب الروائى الروسى ايفان ترجنيف ، وقد كتب الى صديق له عقب اطلاعه

على الكتاب يقول من رسالته : « لم أقرأ الكتاب فحسب وانما ارسلت صيحة الاعجاب وشربت نخب المؤلف »

وكان ترجنيف فى ذلك الوقت كاتب روسيا الاول ، وقد قرأ فصول الكتاب لشقيقة تولستوى ، فأرسلت الى أخيها خطابا ساحرا تصف كيف تعرفت الى ترجنيف ، وتزف اليه اعجابه الشديد بكتابه ، وتبادل الكاتبان بعد ذلك رسائل التعارف والتقدير ، وتحيات الود والاعجاب ، وقدم تولستوى دليلا على صدق مودته وعرفانه بجميل ترجنيف وذلك باهداء قصته « قطع الاخشاب » لترجنيف مؤلف كتاب « صور صياد » التى يحبها ويقدرها ، وكان تولستوى قد أزمع الذهاب الى بطرسبرج ، فتلقى دعوة من ترجنيف ليقيم فى داره ، وقبل تولستوى الدعوة ونزل فى ضيافة ترجنيف أثناء اقامته ببطرسبرج ، وكان تولستوى حينذاك فى عفرة الشباب ، وقد أطلق لنفسه العنان ، وأعطاها الليان ، وأخذ ينهل ويعل من متع الحياة ولذاتها المشروعة والمحرمة ، وكان يسرف فى ذلك اسرافا يتفق مع مزاجه العصبى ، وميوله المحتدمة ، وحيويته المتدفقة ، قال عنه ترجنيف فى هذه المرحلة من مراحل حياته « لقد حاولت تقويمه فلم أوفق »

لا ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

وكان فى بطرسبرج جماعة من الكتاب والأدباء ، وكانت تصدر هناك مجلة «المعاصر» التى أسسها بشكن سنة ١٨٣٦ ، وكانت فى طليعة مجلات روسيا التقدمية ، وظهرت بها مقالات وفصول لترجنيف وجونشاروف وستروفسكى وغيرهم من أعلام الادب الروسى وأعد نركاسوف وبانيف — وهما فى طليعة أدباء بطرسبرج — حفلة عشاء تكريما لزميلهم الجديد تولستوى ، وأشرفت على تنظيم الحفلة مدام بانيف ، وكانت متزوجة من بانيف أحد القائمين بأمر مجلة المعاصر ، وكانت تشارك زميله الآخر آراءه الادبية ، فلقبهما الادباء « بالزوجين » ، وأوقف ترجنيف تولستوى على ذلك قبل حضوره الحفلة ليكون على بينة من الامر ، وفى أثناء العشاء دار الحديث حول جورج ساند الروائية الفرنسية المعروفة ، وكانت صديقة ترجنيف ، وأثنت عليها الجماعة ، ولم يعجب ذلك تولستوى فظل ملتزما الصمت وقد تجهم وجهه ، وأخيرا لم يطق صبرا ، وأبدى فى شىء من العنف ملاحظة مضمونها « ان المرأة التى تقول بمثل هذه المبادىء يجب أن تعلق بعربة الجلاد وتجر فى الشوارع لتكون عبرة لغيرها » وأعقب ذلك صمت طويل محرج وتبادل الحاضرون نظرات القلق والدهشة وأبدت مدام بانيف ثباتا وتجلدا

وكان تولستوى وترجنيف مختلفى الطبائع بحيث لا يستطيعان أن يظلا على وفاق ، وكان ينقص تولستوى رقة الحاشية التى تستلزمها آداب المجتمع ، وكان يرى أن من الشرف والشهامة أن يوضح للغير رأيه فى كل أمر من الامور التى تعرض بلا مواربة ، ولم يكن يرى بأسا فى أن يبالغ ويسرف ليعبر عن وجهة نظره ، وكان ترجنيف يكبره

بعشر سنوات ، وله شهرة بعيدة ومكانة فى الأدب سامية ، ومركز اجتماعى ممتاز ، وهو فوق ذلك رجل مصقول الحواشى ، ملم بآداب المجتمع ، له ثروة وجاه ، ووجه وسيم ، وطلعة مهيبة ، وصوت جذاب ، وكان يرى عيوب نظام روسيا الاجتماعى ويظل مع ذلك ثابت الجأش ، مطمئن النفس ، معتزا بما يملك من ضياع وعقار ، فخورا بالألفى نفس من الفلاحين التابعين له !

وكانت عناصر طبيعة تولستوى لا تزال متناقضة متصارعة واستعداداته لا تزال كامنة وملكاته العقلية وكفاياته الفنية لم يتسقا ويتوازنا بعد

وكان ترجنيف على ما يبدو عليه من مظاهر الهدوء والاتزان ، والتهذيب والرقة ، قد ورث من أمه الاستعداد للغضب والثورة ، وكان كثيرا ما يخشى ان يفلت من يده زمام نفسه وهو فى ثورة من ثورات الغضب ، ولم يكن هناك معدى لهذا الشاب الازرق العينين الذى لا يزال فى ريعان الشباب عن ان يقف من تولستوى موقف الذى يتعهده ويرعاه ويشرف عليه ويأخذ بيديه،ولكن تولستوى المتكبر التياه لم يستطع أن يستسيغ ذلك!

ومن ثم بدأت بينهما الخلافات وتكررت المواقف المدهشة ، وسرعان ما أخذ ترجنيف يقول عن صاحبه « كل كلمة من كلماته متكلفة وكل حركة من حركاته مصطنعة وهو لا يكف عن التكلف والتصنع ، ويدهشنى اعتزاز رجل له مواهبه وملكاته بلقب الكونتية التافه »

وبارح ترجنيف بعد ذلك بطرسبرج ليعيش عيشته المتنقلة ، فكتب تولستوى الى عمته تاتيانا من رسالة « ان ترجنيف الذى بدأت أحبه ـ وأنا الآن متأكد من ذلك ـ برغم اننا كنا لا ننقطع عن المشاجرة؛ والخلاف قد غادرنا ، ولذا أشعر الآن بعزلة لا تحتمل » . وجددا معرفتهما بالضواحى فى الصيف التالى ، ولكنهما ظلا طول حياتيهما لا يشعران بالصداقة ولا يتبادلان العطف والمودة الا عند ما يفترقان ، فبعد مضى عام على لقائهما الاول كتب ترجنيف الى تولستوى من باريز :

« انى أشعر بأنى احبك رجلا ـ وحبى لك كاتبا لا يحتاج الى بيان ـ ولكن فيك صفات كثيرة تثير أعصابى ، وقد تأكدت أخيرا انه خير لى ان ابتعد عنك ، فاذا ما تلاقينا مرة أخرى فلنحاول الاستمساك بالصبر وربما تسير الامور بيننا سيرا حسنا ، وشعورى وأنا بعيد عنك هو شعور الحب الأخوى ولو ان ذلك قد يبدو غريبا »

وأدرك ترجنيف أنه ليس عنده ما يقدمه لهذا الشاب الثائر، فكتب اليه من خطاب آخر « ربما كانت مؤلفاتى قد ادخلت عليك السرور ، وربما كان لها بعض التأثير فيك ، ولكن ذلك كان فى الفترة التى كنت تبحث فيها عن نفسك ، ولا حاجة بك الآن الى دراستى ، واذا قرأتنى فى المستقبل فسوف لا تجد غير اختلاف طريقتى عن طريقتك ولا ترى غير اخطائى وعيوبى وحدودى ، وعليك الآن أن تدرس قلبك والنفس الانسانية والكتاب العظماء عظمة حقيقية »

وظل تولستوى سنوات بعد ذلك وهو يردد قوله « ان ترجنيف رجل لا يستطيع الصداقة ، وقد كان يحبنى كاتبا ولكنى انسانا لم أجد منه مودة قلبية ، ولم يكن يحب سوى النساء »

هذا ما كان يقوله تولستوى عن الرجل الذى قال فيه موباسان بعد موته :

« كان من أفذاذ الكتاب فى هذا القرن (القرن التاسع عشر) وكان فى الوقت نفسه أصرح الناس واكثرهم استقامة ، وأوفرهم اخلاصا ، واكثرهم عطفا ، وكان البساطة مجسمة ، وكان مخلصا الى أقصى حدود الاخلاص ، وكان أطيب الناس نفسا ، وكان جم العطف على أصدقائه شديد الولاء لهم سواء كانوا فى عداد الاحياء أو فى حيز الهلكى »

ولكن ترجنيف كان يؤمن بالحب الجنسى ، الحب بين الرجل والمرأة ، اكثر مما يؤمن بالصداقة ، ذكر عنه الاخوان جونكور فى يومياتهما انه قال فى مجلس كان فيه دوديه وزولا : « الحب هو مصدر الالهام جميعه ، وأنا نفسى لم يكن لى الهام سواه ، فحياتى غارقة فى النسائية ، والحب وحده هو الذى يمد من حدود الروح ويوسع آفاقها »

وذهب تولستوى الى باريز ، واعجبته فى بادىء الامر ، وكان قد سبقه اليها نكراسوف وترجنيف ، ووقع خلاف شديد بينه وبين ترجنيف ، وطلب تولستوى الى ترجنيف أن يبارزه ، وتوسط بينهما نكراسوف وما زال بهما حتى قضى على أسباب الخلاف ، وسافر الروائيان معا الى ديجون ، وتلاقيا بعد ذلك فى بادن بالمانيا لان تولستوى لم يستطع البقاء فى باريز بعد أن شاهد تنفيذ حكم الاعدام فى أحد المجرمين ، فهجر فرنسا الى سويسرة وانتقل منها الى المانيا

ولما عاد تولستوى الى روسيا شعر بالوحدة واحس بأنه فى حاجة الى رؤية أصدقائه القدماء ، وتلقى دعوة من ترجنيف يدعوه فيها الى زيارته فى سباسكوى ، ولبى تولستوى الدعوة ، وحدث بينهما فى أثناء الزيارة خلاف شديد وضع حدا للصداقة بينهما سنوات عدة

فقد أحضر ترجنيف أصول روايته « آباء وابناء » وأعطاها تولستوى ليقرأها ، وكان تولستوى متعبا فأدركه النعاس وهو جالس على الاريكة ، فاستخلص ترجنيف من ذلك ان كتابه لم يرق تولستوى ، وكاد ينتهى الامر عند هذا الحد لولا أن ترجنيف جاء الى الحجرة فوجد تولستوى قد أخذته سنة من النوم فخرج من الحجرة وتنبه تولستوى فابصره يسير على اطراف أصابعه ، واسر ترجنيف ذلك فى نفسه ولم يفاتح فيه تولستوى وكان لهذه الحادثة تأثير فى الخلاف الشديد الذى ثار بينهما فى منزل صديقهما فت فقد بدأ ترجنيف يتمدح مربية ابنته غير الشرعية ، وذكر فى معرض التدليل على روحها الطيب ونزعتها الخيرة انها كانت تحرض الفتاة على أن تصلح بيديها ثياب بعض الفقراء البالية الممزقة وتعنى بهم

فسأله تولستوى وفى صوته شىء من العنف والانكار « اتراها على صواب فى ذلك ؟ » فأجابه ترجنيف « لا شك فى ذلك فان هذا يجعل المحسن أقرب الى الاحساس بالحاجة »

ولم يكن الامر هينا فى رأى تولستوى الذى كانت تتضارب فى نفسه الآراء ويتجه اتجاها لم يكن قد ظهرت بعد بوادره وتكشفت خوافيه

فأجاب تولستوى محتدا « انى اعتقد ان الفتاة التى ترتدى ملابس انيقة وتتناول الملابس القذرة القبيحة الرائحة لترقعها تمثل رواية هزلية سخيفة »

فقال ترجنيف « اطلب اليك الا تسترسل فى هذا الحديث » وأخذ يبدو عليه الغضب وبخاصة لان مدام فياردو هى التى تولت الاشراف على تربية ابنته منذ نعومة اظفارها

« ولماذا لا أقول ما اعتقد »

« انت اذن تظن أنى لا أنشىء كريمتى تنشئة صالحة »

فقال تولستوى انه لا يريد الخوض فى هذا الموضوع وأنه يؤمل أنه قد أوضح رأيه

ولم يتبين ترجنيف ان تولستوى انما يدافع بذلك عن رأى من أخص آرائه ، ورغم حساسيته الفنية لم يستطع ان يقدر أهمية الناحية الاخلاقية عند تولستوى ، وانما شعر بأن تولستوى يتحداه فتملكه الغضب وأبرق وأرعد وهدد تولستوى بأنه سيدق رأسه اذا مضى فى ترديد مثل هذه الآراء ، ولم يطق بعد ذلك البقاء فى الحجرة فخرج غاضبا حنقا ، وعاد بعد ذلك بدقائق معدودة وتعمد تجاهل تولستوى والاغضاء عنه واعتذر لمدام فت قبل مبارحة المنزل

وتفرق شمل الجماعة بعد ذلك ، ولم يكن تولستوى يقدر أن ملاحظته ستثير غضب ترجنيف الى هذا الحد ، ولم يستطع أن يلتمس له عذرا أو أن يدرك انها كانت من بعض الوجوه مهينة وجارحة لترجنيف ، وأخذ يقتل غضبه ، ويشتد اهتياجه ، فكتب اليه رسالة سريعة يقول فيها :

« آمل أن تكون قد وجدت متسعا من الوقت لتتبين خطأك حينما اهنتنى فى حضرة مدام فت ، فارسل الى اعتذارا مكتوبا استطيع ان اطلع عليه أسرة فت ، واذا كنت ترى أن طلبى هذا غير معقول فليس عندى ما أزيد عليه وسأنتظر ردك فى بوجيسلوف »

فأجابه ترجنيف « لا استطيع سوى أن أردد ما قلته عند أسرة فت ، وهو انى اهنتك لاسباب لا افهمها ، وارجوك الصفح ، وقد اثبتت الحادثة ان لا يمكن التوفيق والتقرب بين طبيعتين جد مختلفتين كطبيعتى وطبيعتك ، وهذا الكتاب هو بلا شك آخر كتاب بيننا وآمل أن تجد فيه الترضية التى تريدها ، وتستطيع ان تفعل به ما تشاء »

واخطأ حامل الرسالة ، فذهب تولستوى الى بوجيسلوف فلم يجد رسالة تنتظره ، فاستوقد ذلك غضبه ، وأخذت نوبة الغضب بزمام نفسه فارسل الى ترجنيف تحديا للمبارزة ، وندم بعد ذلك على تسرعه ، وكتب الى فت يوضح له ما حدث ، وقال له انه يسترد رسالته اذا علم ان ترجنيف قد أجاب عن الرسالة الاولى ، واطلع ترجنيف على رسالة تولستوى فكتب اليه « انى اتلقى نارك بارتياح لكى أزيل أثر الكلمات الطائشة التى صدرت منى ، ومجرد تفوهى بهذه الكلمات مخالف لعادتى وشيمى ولست

أعزو ما بدر منى الا الى الغضب الناشىء من الاختلاف الشديد والتناقض الحاد بين آرائنا»

وفض تولستوى هذا الخطاب فأثار ثائرته وأرسل اليه ردا شديد اللهجة ، وكان فت يحاول التوفيق بينهما ، فكتب اليه تولستوى انه سيهمل رسائله اذا عاد الى الكتابة اليه فى هذا الموضوع

ولم تنته المهزلة عند ذلك الحد ، فبعد أشهر قلائل أخذ تولستوى يشعر أن موقفه فى هذا الخلاف لم يكن بريئا من النقص ، فكتب الى ترجنيف يرجوه الصفح ، ولسوء الحظ لم يصل الكتاب الى ترجنيف فى الوقت المناسب ، وأخذت ألسنة السوء تذيع أن تولستوى يصرح فى مجالسه الخاصة بأنه يحتقر ترجنيف ويغض منه ، وترامت الاشاعات والاقاويل حتى بلغت مسامع ترجنيف وهو فى الخارج ، ولم يكن أقل رهافة حس وتوتر أعصاب من تولستوى ، فارسل الى تولستوى رسالة يدعوه فيها الى المبارزة ، ووافت هذه الرسالة تولستوى وهو فى حالة من حالات الهدوء والاتزان وقد سئم الخلاف الطويل بينه وبين ترجنيف ، ومل المسألة بحذافيرها فكتب اليه « سامحنى اذا كنت قد أسأت اليك ويحزننى أن تكون فى نفسك موجدة على ، وحقيقة انك قد عبت على سلوكى وهددتنى بدق رأسى ولكنى برغم ذلك كله أرفض رفضا تاما ان اشتبك معك فى مبارزة »

وتلقى ترجنيف بعد ذلك رسالة تولستوى السابقة التى سأله فيها الغفران والصفح فكتب الى فت « تستطيع أن تخبر تولستوى اننى أحبه كثيرا من بعيد وأراقب سيرته الادبية بعطف كثير ، ولكننا اذا اجتمعنا فسرعان ما يتغير كل شىء ، ولا حيلة لنا فى ذلك ، ويلزم ان نسلك فى المستقبل سلوك رجلين يعيشان فى كوكبين مختلفين أو فى أزمنة متباينة»

وطالت القطيعة فلم يتلاقيا الا بعد عشرين سنة

وكان ترجنيف يقرأ مع مزيد الاعجاب ما يخرجه تولستوى ، فلما اطلع على كتاب القوزاق وبوليكوشكا كتب الى فت يقول له « لقد قرأت بوليكوشكا وقد أدهشتنى قوة نبوغه العظيم فهى تجرى رعدة فى سلسلتى الفقرية التى أصبحت صلبة متحجرة ، انه استاذ متمكن » واثنى على القوزاق كذلك ثناء جما حاسيا وساعد على اذاعة أدب تولستوى فى فرنسا

ولكن ترجنيف كان يعجب من مؤلفات تولستوى بالصفات التى تشبه صفاته ، فى حين ان عبقرية تولستوى كانت قائمة على قدرته الباهرة فى ادماج القيم الاخلاقية بمؤلفاته مع الاحتفاظ بالقالب الفنى ، وكان ذلك يضايق ترجنيف ولا يرضيه وكانت تسوءه حماسة تولستوى الاخلاقية ونزعته الدينية

على ان ملكة ترجنيف الناقدة قد خانته عند تقديره الاول لرواية تولستوى العظيمة ودرته اليتيمة المسماة « الحرب والسلام » فقد كتب الى فت يقول له « الجزء الثانى منها ضعيف والرواية برمتها متكلفة تافهة ! وما هذا الحديث عن سيكلوجيا الحرب ؟ وأين ملامح العصر ووصف معالمه التاريخية ؟ »

وفى السنة التالية كتب يشكو قائلا « ان رواية تولستوى رديئة لان المؤلف لم يدرس شيئا ولم يعرف شيئا » وفى سنة ١٨٦٨ كتب الى أحد أصدقائه « الصورة التاريخية التى تطالع القراء وتنمنم ليست سوى مهزلة ودجل وليس هناك اغاء حقيقى للشخصيات »

ولما ظهر الجزء الرابع حسن رأيه وعدله ، على أنه مما يدل على اخلاص ترجنيف لتولستوى سواء فى ذمه لرواياته أو فى مدحها ان الروائى الفرنسى العظيم فلوبير قرأ رواية الحرب والسلام فأعجب بها وأثنى عليها ثناء مستطابا وقال انه يعتبر تولستوى أعظم روائيى العصر وكتب الى ترجنيف يشكره لانه أتاح له فرصة قراءتها ويقول « أى فنان وأى عالم بالنفس الانسانية ، ويبدو لى فى بعض الأحايين ان هناك اشياء مثل شكسبير لقد كنت أردد صيحات الاعجاب اثناء قراءتى »

فكتب اليه ترجنيف « لا تستطيع ان تتخيل مقدار السرور الذى ادخله على نفسى كتابك وحديثك عن رواية تولستوى ، وموافقتك تقوى رأيى فيه ، نعم انه رجل عظيم »

وكذلك خذلته ملكته الناقدة فى تقدير رواية تولستوى الاخرى « أنا كرنينا » فكتب الى صديق له « ان ملكاته عظيمة ولكنه فى أنا كرنينا قد اتجه اتجاها خاطئا »

وفى أواخر سنة ١٨٧٨ ساء تولستوى أن يكون بين الأحياء انسان علاقته به ليست على ما يرام ، فصمم على أن يجدد علاقته بترجنيف فكتب اليه « بعد ان اختبرت بعناية مشاعرى نحوك وجدتنى واثقا الثقة كلها انى لا اضمر لك سوءا ، وارجو الله ان يكون شعورك نحوى كذلك ! فابسط الى يدك ولننس الماضى ! وانى أعرف معرفة جيدة انك أظهرت مرة عطفا عظيما على وأنا مدين لك بالشكر لشهرتى الادبية ، وفى مرجوى انك لا تزال تضمر لى القليل من الحب فى اعماق قلبك ، وأنا أقدم خالص الصداقة ويسرنى ان تزول اسباب سوء التفاهم بيننا جميعها »

ولما تلقى ترجنيف هذه الرسالة كتب الى تولستوى يقول « لقد سرنى كتابك واثر فى نفسى تأثيرا عميقا ، وأنا جد سعيد لعودة صداقتنا القديمة الى سابق عهدها وأصافح بحرارة اليد التى بسطتها الى ، وانت محق فى ظنك انى لا اضمر لك شعورا عدائيا ، ولو كنت يوما ما قد شعرت بمثل هذا الشعور فانه قد زال واختفى من عهد بعيد ولست أذكر سوى الرجل الذى كنت منجذبا نحوه انجذابا قويا ، والذى خطت خطواته الاولى قبل غيرى ، والذى كان كل مؤلف له جديد يثير عظيم اهتمامى ، وانى لمبتهج لان سوء التفاهم الذى كان بيننا قد امحى ، وفى مأمولى ان اذهب فى هذا الصيف الى مقاطعة أوريل ، وأرجو أن يتيح لى ذلك فرصة رؤيتك ، واتمنى لك كل خير »

ولكن هذه الخطابات كانت اكثر حرارة وحماسة وأحفل بآيات الود والاخلاص من العلاقات المتجددة التى تلتها ، فقد عادا الى المصادقة وتبودلت الزيارات ولكن لم يجد كل منهما فى تجدد الصداقة وعودة المياه الى مجاريها ما كانا يحلمان به من الود الصافى والتحاب الخالص

ومهما كانت نياتهما فان كليهما لم يكن له من السيطرة على نفسه ما يحول دون عودة الخلاف والتنافر ، وسرعان ما راح ترجنيف ينشر الاشاعات عن موقف تولستوى الجديد من الحياة ، فى حين ان تولستوى أسر الى فت قائلا « انه لا يزال كعهدى به » ، ونحن الآن نعلم الى أى مدى يتقرب كل منا من الآخر » وكتب اليه بعد ان تلقى رسالة من ترجنيف ضايقته « انه فى الواقع رجل لا يتيسر الاتفاق معه ، وقد صممت على ان ابتعد عنه وعن الجريمة جهد الطاقة »

وفى صيف سنة ١٨٨٣ عرف ترجنيف ان الموت يحث اليه فقال « لقد نلت كل ما اشتهيت فقد عملت ووفقت وأحببت وأحببت ، ومن المؤلم ان يموت الانسان قبل وقته ولكن بالقياس الى قد حان وقت الموت » وكانت أفكاره وهو على فراش الموت تتجه الى تولستوى وكان قد قرأ كتابه « اعتراف » وكتب عنه « انه كتاب باهر لما تضمنه من صدق واخلاص ويقين حار ، ولكنه قائم على أفكار زائفة ، وهو يفضى الى رفض الحياة رفضا تاما محزنا »

وترامت اليه اشاعات مختلفة عن تولستوى تدور حول تركه للفن ، وأدرك ترجنيف أخيرا ان تولستوى على عبقريته شخص غريب الأطوار وانه من أرق الناس قلبا واكثرهم عطفا ، وانه — أى ترجنيف نفسه — غير جدير بأن ينحنى أمامه ويحل له رباط حذائه فارسل اليه خطابا مؤثرا ربما لم يكتب مثله كاتب الى نظير له فى قوة التأثير وصدق العاطفة

« عزيزى نيقولافتش

« لم أكتب اليك منذ زمن لانى فى الواقع كنت ولا ازال على فراش الموت ولا يمكن ان تتحسن صحتى ولا فائدة من التفكير فى ذلك ، وأنا أكتب اليك لاخبرك انى كنت جد سعيد لانى من معاصريك واليك أمنيتى الاخيرة ، عد يا صديقى الى الادب ، انه موهبتك وقد هبطت اليك من المحل الارفع الذى يأتى منه كل شىء ، وما أسعدنى لو علمت ان كلماتى قد تؤثر فيك »

وبعد موت ترجنيف طلبت جمعية « المعجبين بالادب الروسى » من تولستوى ان يلقى خطابا جامعا عن معاصره العظيم ، وبالرغم من انه لم يتعود الخطابة الا فى الفترات النادرة فقد وافق على ذلك ، وأخذ يراجع بدقته المعهودة ونشاطه المعروف مؤلفات ترجنيف ، واكتشف من جديد « انه فنان عظيم وأنه يحبه حبا جما » ، وأجهد نفسه فى اعداد المحاضرة وترقبتها موسكو بفارغ الصبر ، ولكن وزير الداخلية أمر بمنع القائها لان الحكومة كانت ناقمة على ترجنيف منذ ظهور روايته « الترى العذراء » ، ولم يضايق ذلك تولستوى الذى كان لا يميل الى ان يخطب الجماهير والذى قبل ذلك مكرها رعاية لعهد صديقه ترجنيف وتكريما لذكراه

على أدهم

التبرج عند قدماء المصريين

بقلم الاستاذ محرم كمال

الأمين بالمتحف المصرى

كان الشعب المصرى القديم من أشد شعوب العالم القديم ولعا بالزينة والتأنق وبكل ما يزيد مظهرهم جمالا ، وسحرا جذابا . فنحن اذا عدنا بالمصريين القدماء الى أقدم عصورهم ، أى الى عصر ما قبل الأسرات ، لوجدنا فى أقدم مقابرهم وأبسطها ، أى فى تلك الحفر البيضية الشكل ، مجموعات مختلفة من أدوات الزينة كالعقود ـ التى كانت تتخذ حباتها من الحجر الجيرى والكوارتز والشست أو الاحجار الكريمة كالعقيق والاماتيست ـ والأساور والامشاط التى كانت تصنع من العاج والعظم والصدف . وقد وجد فى كثير من هذه المقابر الى جانب رأس الميت ألواح من الشست الاخضر متعددة الاشكال ، فمنها المربع والمستطيل ، ومنها ما يماثل فى شكله الحيوان أو الطير كفرس البحر والسلحفاة والسمكة والعصفور . وكانت تستعمل كالواح يصحن عليها الكحل ليتكحل به الرجال والنساء على السواء . وقد وجدت هذه الالواح عالقة بها آثار الكحل ظاهرة بجلاء

وفى الأسرة الاولى عثرنا فى مقابر آبيدوس (العرابة المدفونة) على أربعة أساور من الذهب والفيروز والاشست وجدت على ذراع ملكة كانت مدفونة هناك ثبت منها أن فن الصياغة وصل الى درجة عظيمة من الرقى حتى فى هذا العصر القديم كما عثر على مجموعات أخرى من العقود اتخذت حباتها أشكالا مستطيلة أو مستديرة أو وريدات صغيرة ، كما عثر على مجموعة أخرى من الحلى بجهة نجع الدير يرجع تاريخها الى الأسرة الاولى أيضا تتميز من بينها حلى جميلة للصدر صنعت من صفائح الذهب

فهذه المجموعات المختلفة من الحلى تدل دلالة واضحة على أن المصريين القدماء كانوا منذ أقدم عصورهم مولعين بالتجمل وبأن يزينوا أنفسهم ، بكل ما هو حسن وجميل ، على حد تعبيرهم

وفى أواخر الأسرة الثالثة وأوائل الأسرة الرابعة نجد لدينا من الامثلة ما يثبت لنا أن المصريين القدماء كانوا شديدى التأنق فى ملبسهم ، يرتدون ثيابا هى وان كانت بسيطة فى بعض الاحيان الا انها تكتسب جمالها وأناقتها من بساطتها ومن ذلك الذوق السليم الذى يوحد بين أجزائها ويفيض عليها انسجاما بديعا وتناسقا خلابا

فالثوب الذى ترتديه الاميرة (نفرت) بسيط ، فهو ثوب رقيق محبوك يلتصق بجسدها وينفتح من الامام عند الصدر ، وهو فى مجموعه مهلهل ضيق يكسو الجسم من الثديين الى القدمين ، ولكنه فى بساطته هذه يبرز محاسن الجسم ومفاتنه فى ابداع جيل جعل منه نموذجا رائعا للاناقة وحسن الذوق ولعل هذه الظاهرة هى التى تلمسها أيضا فيما بقى من زينتها . فالشعر المستعار الذى يحيط بوجهها توج بشريط مزخرف بزهيرات جميلة ، كما أن الشعر الطبيعى الذى يرى على الجبهة صفف بعناية فائقة فزادها جمالا ورشاقة . أما العنق فقد حلى بقلادة عريضة انحدرت فوق الصدر . ولكن السحر كله تنفثه عيناها ، فان بريقا خلابا يتلألأ فيهما ، وان أثر الكحل فى تجميلهما لقوى شديد. ونحن نستطيع بقليل من الخيال أن نتصور جارية نفرت (الجميلة) وقد فتحت صندوقا صغيرا يحوى ألوانا من الدهون والطيوب والخطوط والكحل ، ونستطيع أن نتصورها وقد أغمدت فرشاة فى الاثمد المائع ، ومست به أهداب سيدتها ، ونستطيع أن نراها وهى تخرج مرودا من مكحلة تخط به خطين أسودين يمتدان الى ما على لحاظ عينيها نحو الصدغ ، ثم وهى تطلى جفنيها وما حولهما من محجريها بمسحوق رصاصى أدكن ، ثم وهى ترجج حاجبيها بعناية ودقة وتطلى شعرها ووجهها وعنقها وصدرها وجسمها بالطيب والزيت الثمين ، ثم وهى تدهن شفتيها ووجنتيها بمسحوق أحمر تم به زينتها

ومع هذا كله ، بل بالرغم من هذا كله ، فاننا لسنا فى حاجة الى كثير من الخيال لتصور ما قدمنا ذكره ، فلدينا من الوثائق والاسانيد والآثار نفسها ما يثبته كله ، فقد ورد فى ورقة تورين البردية رسم يمثل سيدة تطلى شفتيها بالاحمر وهى تتأمل أمر زينتها فى مرآة أمسكتها بيدها اليسرى وفى نفس اليد حق به أحمر الشفتين . بل ان لدينا نقشا آخر ورد على تابوت السيدة (كاويت) احدى محظيات منتوحتب ، من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، نرى فيه « كاويت » جالسة وفى يدها قدح شراب بينما تشتغل احدى الوصيفات فى ترجيل شعرها وتصفيفه ، تعقصه وتجبكه ثم تشبكه بدبابيس شعر لعلها من الذهب الخالص ، بينا نرى (كاويت) ممسكة فى يدها الاخرى بمرآة من المعدن المصقول كانت لا شك تستخدمها لترقب أصابع جاريتها وهى تنساب وتتلوى بين غدائر شعرها الفنى الغزير .

ولعل أول ما يلفت نظر المطلع على الصور المصرية القديمة أو المشاهد للتماثيل المصرية، مبلغ تعلق قدماء المصريين باظهار آثار الكحل فى عيونهم . فهم كماتنا الآن ــ والشعوب الشرقية على وجه العموم ــ كانوا يعتقدون ان الكحل يوسع فى عيونهم ويجلوها ويساعد على اظهار ما فيها من فتنة وحيوية . وهذه العادة ظهرت منذ أقدم العصور . وكان أحسن أنواع الكحل يدعى عندهم (مسدمت) وكانوا يضعونه فى أوان (مكاحل)ذات أشكال لطيفة أما الدهون والطيوب والزيوت الثمينة فقد كانت عنصرا هاما لازما فى الحياة اليومية

فى مصر القديمة يعادل فى أهميته الطعام الذى يقتاتون به . ففى أحد النصوص يشكو العمال من انهم لا يجدون لقمة عيش يبلغون بها ، ولا طيوبا يتجملون بها . على أن هناك أنواعا من الطيوب كان يستجلبها أثرياء القوم من البلاد الاجنبية (وخاصة من الشواطىء الجنوبية للبحر الاحمر) وكانت تباع فى مصر بأثمان مرتفعة واهمها نوع يدعى (كمى) ورد ذكره كثيرا فى النقوش وكان يستعمل على الاخص فى الدولة الحديثة لتضميخ الشعر . ومن هنا نستطيع ان نفهم حب المصريين للعطور ولتكرار ذكرها فى أغانيهم عند ما تراهم يترنمون فى حفلاتهم الموسيقية فيقولون : « لو كنت جاريتها السوداء التى تتبع خطواتها لاستطعت ان ابين حقيقة لون بشرتها ، ولو كنت اعمل فى دارها ماشطا ولو شهرا واحدا لاستطعت ان اغسل الدهان الذى تخضب به عصابة رأسها » أو حين يقولون : « اذا هممت بعناق حبيبتى وانفتحت ذراعاها لمقدمى فعندئذ أحس كأن طيوب بلاد بونت (بلاد الصومال الحالية جنوب البحر الاحمر) تنسكب على ويتضمخ بها بدنى »

وكانت الزيوت والعطور فى مصر القديمة رمزا على البهجة والسرور . ففى المهرجانات التى كانت تقام عند مرور الموكب الملكى كان يصب الناس « زيتا عطريا على رؤوسهم وعلى عصابات رأسهم » كما أنه قلما كانت تخلو حفلة من حفلاتهم من الجرار الملأى بالطيوب والزيوت العطرية يغمسون فيها قطعا من القماش ويمسحون بها فى رفق شعرهم وجلدهم ثم يدلكون بشرتهم وأجسامهم . وكان الملك اذا أراد أن يكرم شخصا فى احدى هذه الحفلات أمر رجال بلاطه بتضميخ بدنه بالطيوب وان يلبسوه ثيابا جميلة ويعطوه حليا فاخرة

ولم يقتصر المصريون القدماء على تدليك بشرتهم بالدهون ، بل انهم كانوا يجهزون الطيوب بشكل خاص ثم يضعونها على النار وعندئذ تصير « رائحة المنزل والملابس زكية مستحبة » كما تقول النصوص المصرية ، كما انهم كانوا يخلطون على هذه الطيوب والعطور عسلا ويشكلون هذا الخليط حبوبا تمضغها « النساء فتجعل أنفاس أفواههن طيبة الرائحة » كما ورد فى نص مصرى قديم

أما غرام المصريين القدماء بالحلى فيدل عليه ذلك العدد الوفير الذى عثرنا عليه منها فى مقابرهم . ولعل أظهر أمثلة لها تلك المجموعة البديعة التى اتحفتنا بها مقبرة توت عنخ أمون . وهى تتكون من قلائد وعقود وتمائم وأساور وخواتم وأقراط وغيرها . وكانت الأقراط تعلق فى الاذن بواسطة أزواج من أنابيب صغيرة من الذهب ، تدخل الواحدة منها فى الاخرى . وعند أطراف هذه الانابيب أقراص يختلف بعضها عن بعض فى الحجم وجمال الزخرف ، وهى تزين باشكال الحيات المقدسة أو رؤوس الطيور التى



مجموعة من المكاحل تحتوى احداها على خمسة عيون يوضع فى كل عين منها مسحوق يختلف فى نوعه أو لونه من الآخر . أما المكحلة الوسطى فقد زينت بشكل الاله (بس) اله المرح والسرور مثل وكأنه يمسك بالمكحلة . أما اليسرى فهى على شكل عمود والى جانبها مرودها

الى اليسار : اناء على شكل ملعقة لحفظ الطيوب وعلى المقبض غادة تمسك باقة من الزهور

تصنع من الذهب أو العقيق أو الزجاج . ويتدلى من بعض الاقراط عدة سلاسل على شكل حيات أو فروع صغيرة من الخرز

أما حلى الصدر فهى تصنع فى المعتاد من الذهب أيضا وتطعم بالزجاج والاحجار وتصاغ فى أشكال جميلة جذابة تحليها الآلهة والرموز المقدسة . وفى واحدة منها وجدت بمقبرة توت عنخ أمون نجد الحلية تتكون من سفينة من الذهب تحمل قرص الشمس من الفضة وهى عائمة فى بركة برزت فوق سطحها سيقان اللوتس من الذهب المطعم باللازورد وحجر الفلسبار الاخضر . أما السلسلة فتتألف من أربعة صفوف متوازية ، من خرز طويل وآخر مستدير من الذهب والاحجار نصف الكريمة والراتنج . والثقل يمثل باقة من اللوتس تنتهى بخرز منظوم فى فروع صغيرة . وفى حلية أخرى صنعت من

الذهب المطعم بالاحجار تصف الكريمة تجد جعلا كبيرا من اللازورد فى سفينة ويحيط بهذا الجعل ثعبانان . أما السلسلة فمزينة بألواح صغيرة وجعلان أخرى ومحلاة برموز مختلفة وتنتهى بعقابين ناشرين اجنحتهما وحاملين ثقلا عليه ثعبانان

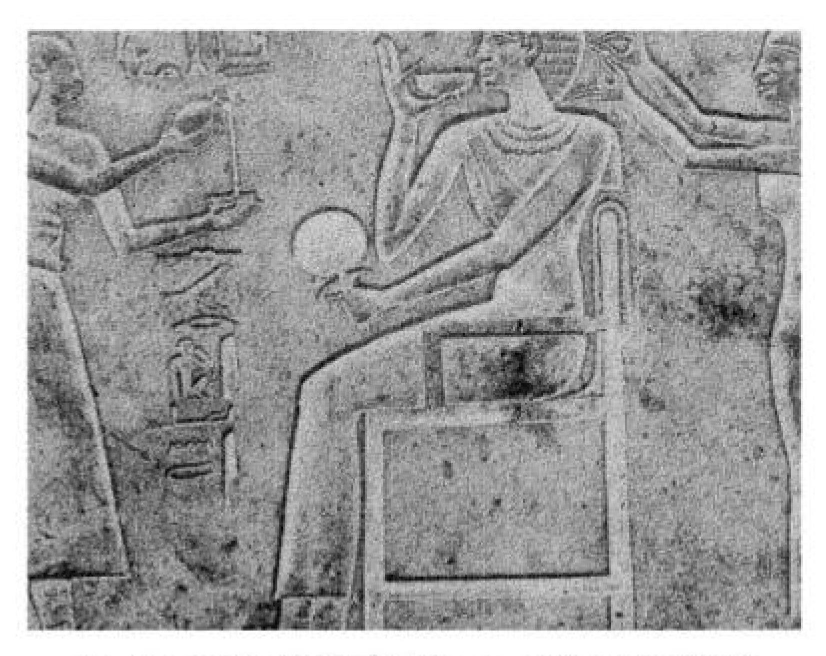
أما الاساور فكانت تصنع فى المعتاد من الذهب وتطعم بالاحجار وتحلى بجعلان كبيرة من اللازورد أو بصقور جاثمة أو بعيون رمزية من العقيق أو غيره من الاحجار . وبعضها كان من النوع القابل للالتواء وهو يتكون من خرز من الالكتروم واللازورد والعقيق والزجاج ويوجد على قفله (مشبكه) فى المعتاد جعل كبير من اللازورد أو الامتست أو غيرهما من الاحجار

أما الخواتم فكانت تصنع من الذهب فى المعتاد ، وتتخذ فصوصها اشكالا أنيقة فبعضها صنع فصه على شكل جعل من العقيق الابيض أو الفيروز أو سفينة الشمس ، وبعضها من النوع المزدوج أو الثلاثى ، فصوصه مرصعة بالزجاج أو اللازورد أو حجر اليشب . وبعض الخواتم يصنع على شكل الثعبان وبعضها يكون مركبا من صلين (ثعبانين) متجاورين من الذهب المرصع بعجينة الزجاج . وكان المصريون القدماء يكثرون من لبس الخواتم، فعلى بعض أصابع السيدات تجد خاتمين أو ثلاثة فى أصبع واحدة . وفى أمثلة أخرى تجد جميع أصابع اليدين وقد تحلت بالخواتم النفيسة . على أن اليد اليسرى كانت تفضل فى المعتاد لوضع الخواتم فيها وبخاصة الاصبع الثالثة منها الذى كانوا يختصونها بعدد أكبر من الخواتم

أما أدوات الزينة التى عثر عليها فى مقابر المصريين القدماء وتمتلىء بها متاحفنا الحديثة فأهمها ، قنانى وأحقاق وأوان للعطور والطيوب والزيوت الثمينة ، ومكاحل مع مراودها ومرايا من المعدن مع العلب التى كانت تحفظ فيها ، ودبابيس الشعر والامشاط ، وملاعق مساحيق الزينة وغيرها

والامشاط المصرية كانت تصنع فى المعتاد من الخشب وذات حدين أحدهما أسنانه كبيرة والآخر صغيرة ، وهى تشبه على العموم فى شكلها أمشاطنا البلدية الحالية . أما الجزء الاوسط منها الذى يقع بين الحدين فينقش فى المعتاد بنقش محفور أو بطعم . على أن بعضها الذى كان يصنع من حد واحد كان يزخرف بأشكال الحيوانات

أما المكاحل فقد كانت تصنع فى المعتاد من الحجر أو الخشب أو العظم أو العاج ، أو الفخار . وبعضها كان يحتوى على عينين أو أربع أو خمس عيون يوضع فى كل عين منها مسحوق يختلف فى لونه أو نوعه عن الآخرين . وبعض المكاحل بسيط الشكل لايعدو أن يكون علبة صغيرة أو أنبوبة بسيطة أو اناء صغيرا ، والبعض الآخر كان يزين بأشكال حيوان الاله بس (اله المرح والسرور والموسيقى) يمثل وكأنه يمسك بالمكحلة

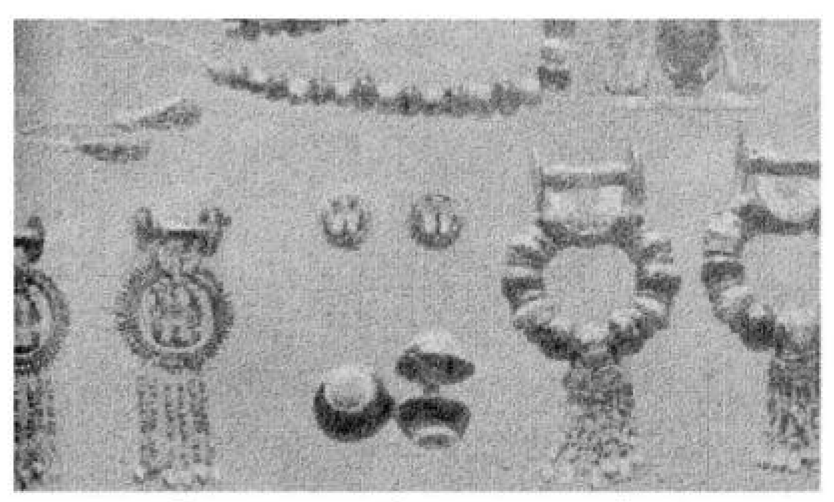


السيدة (كاويت) إحدى محظيات منتوحتب ، من ملوك الأسرة الحادية عشرة جالسة وفى يدها قدح شراب وفى اليد الأخرى مرآة من المعدن المصقول كانت لا شك تستخدمها لترقب أصابع وصيفتها وهى تنساب وتتلوى بين غدائر شعرها الغزير ، تعقصه وتحبكه ثم تشبكه بدبابيس شعر أنيقة

أما الدبابيس فهى فى المعتاد طويلة ولها رؤوس من الذهب وتستعمل فى شبك الشعر عند عقصه وحبكه

ويظهر أن عادة تخضيب الأصابع واليدين بالحناء عادة قديمة جدا فى مصر والشرق القديم على وجه عام

ويجدر بنا ألا ننسى أداة هامة من أدوات الزينة هى المرآة . وكانت تصنع فى مصر القديمة من المعدن الذى يكون عادة النحاس أو البرونز أو الذهب أو الفضة ، ويصقل صقلا تاما بحيث يصبح شديد اللمعان . وتوضع المرآة التى تكون عادة شبه مستديرة فى يد أو مقبض من الخشب أو العاج أو المعدن أو الحجر . ويد المرآة تتخذ أشكالا طريفة ، فمنها ما يكون على شكل ساق النبات (أواز) الذى يدل على الشباب والقوة والنضارة . ومنها ما يكون على شكل امرأة أو زهرة أو عمود أو ساق تعلوه رأس هاتور الهة الحب والجمال والفرح أو رأس (بس) اله السرور والمرح . وكانت تحفظ المرايا فى علب أنيقة تتخذ أشكالا مختلفة بعضها على شكل (عنخ) رمز الحياة وبعضها



مجموعة من الحلى والأقراط يختلف بعضها عن بعض فى الحجم وجمال الزخرف ، ونرى فى أسفل الصورة الى اليسار قرط من الذهب والعقيق والزجاج يتدلى من قفله لوح مستدير من الذهب يحيط به حلية مكونة من أفراس صغيرة ونرى الملك فى الوسط واقفاً بين صلين ، ويتدلى من القرط ستة فروع صغيرة من الخرز

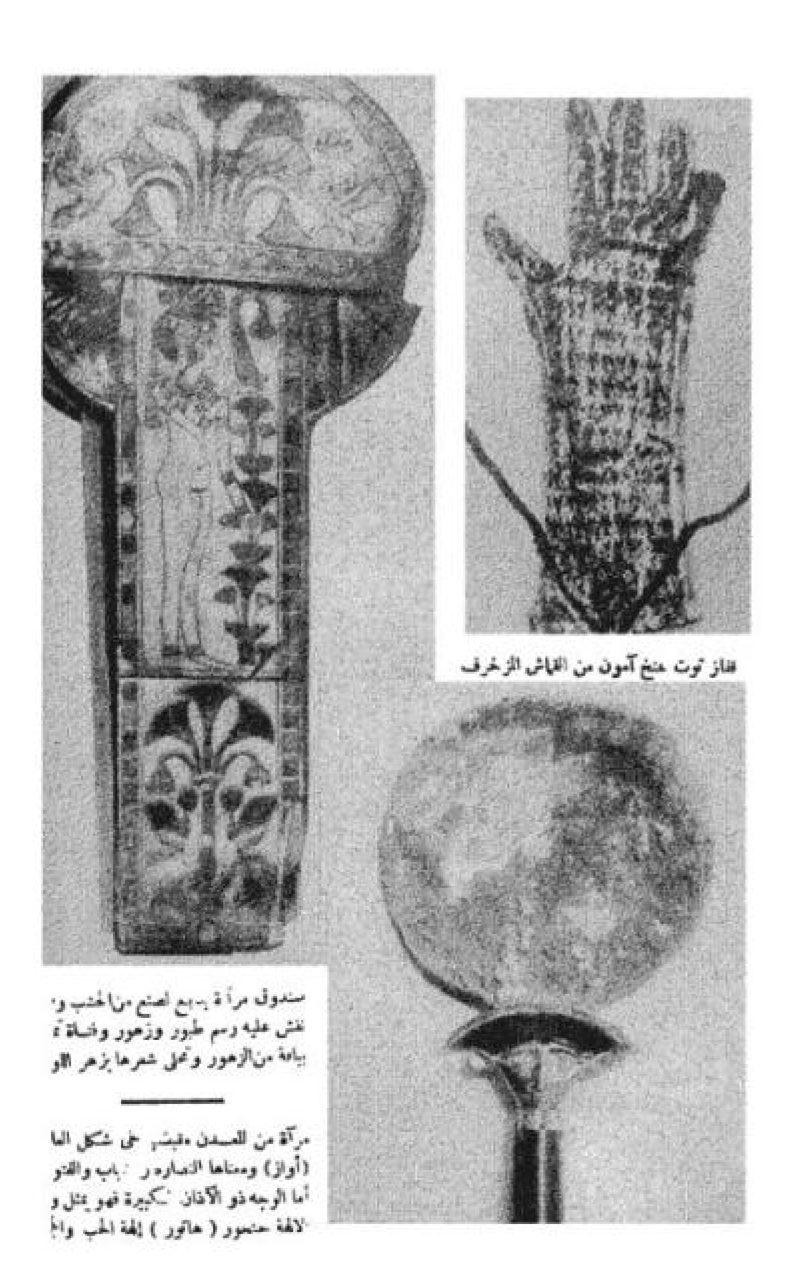
على شكل رمز ملايين السنين . وهذان الشكلان وجدا بمقبرة توت عنخ أمون وهما من الخشب المكسو بأوراق من الذهب . وكان الكثير منها ينقش برسوم الزهور والطيور أو برسم فتاة تحمل باقة زهور كالمثال الذى عثر عليه فى مقبرة الملكة (حنت توى)

أما القفازات فلدينا منها أمثلة رائعة وجدت فى مقبرة توت عنخ أمون صنعت من أقمشة مزخرفة وملونة وتنتهى باشرطة تربطها من أطرافها (بدل الأزرار الحديثة)

وليس ثمة شعب كالمصريين القدماء أغرم باستعمال الزهور فى كل مناسبة يزين بها النساء ثيابهن الثائقة وأرديتهن الجميلة ويضعنها فى شعورهن ويقدمنها لازواجهن . وكان الضيوف يعطون عادة زهرة من اللوتس واكليلا يوضع حول الرأس أو قلادة حول العنق ، بل ان باقات الزهور والقلائد المصنوعة منها كانت تزين بها القواعد التى توضع فوقها الاوانى فى غرف المنادمة وكان يلبس الخدم تيجانا من الزهر عند حمل الخمر الى الجلساء ، بل كانت آنية الخمر تكلل أيضا بالزهور

فكل ما أوردناه من صور ونصوص وأسانيد قاطعة فى الدلالة على غرام المصريين القدماء بالتجمل وحبهم للزينة والتأنق ، ليس فى ملابسهم فحسب ، وانما فى طرائق معيشتهم وكل ما تقع عليه أنظارهم

محرم كمال



قفاز توت عنخ آمون من القماش المزخرف

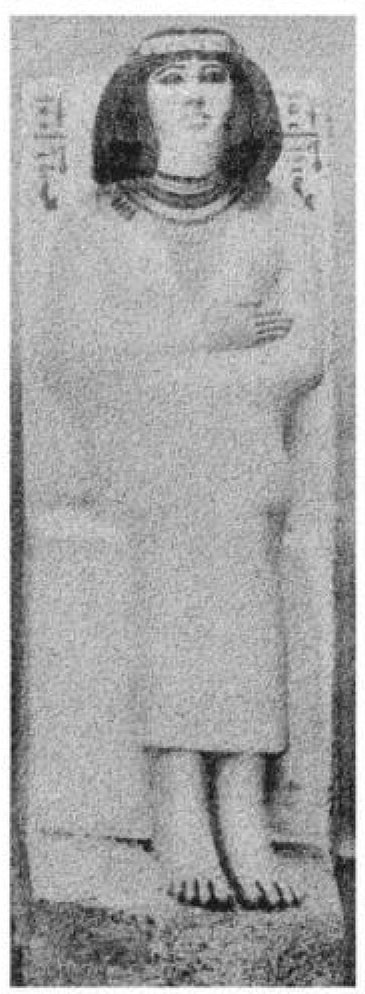
صندوق مرآة بديع لصنع من الخشب و
نقش عليه رسم طيور وزهور وفتاة
باقة من الزهور وتحلي شعرها بزهر اللو

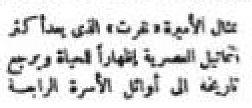
مرآة من المعدن مقبضها على شكل الـ
(أوراق) ومساعا النصار ر باب والفتو
أما الوجه ذو الآذان الكبيرة فهو يمثل و
الالهة حتحور (هاتور) إلهة الحب والج





إناء اسطواني للعطر، من المرمر، سطحه مزخرف بمناظر تمثل آساداً تهاجم ثيراناً، وكلاباً تطارد ظباء وغزلاناً، والغطاء يعلوه أسد رابض





تمثال الأميرة «نفرت» الذي يعد أكثر التماثيل المصرية إظهاراً للحياة ويرجع تاريخه الى أوائل الأسرة الرابعة

العلم والعالم

الوراثة والبيئة

يزعم دعاة «العنصرية» ان هناك فروقا جسمانية كبيرة بين الطوائف المتباينة من الناس بحيث يتجلى أثرها في سلوكهم وذكائهم وطرق تفكيرهم . ولكن ابحاث الدكتور فرانز بواس وهو من كبار علماء الانثروبولوجيا دلت على ان هذا المذهب خاطيء لا أساس له من الصحة ، وان السلوك الاجتماعي مرده في المقام الأول الى الاختبار وان رجالا من طراز بيولوجي واحد يسلكون سلوكا مختلفا في موقف واحد اذا نشأوا في بيئات مختلفة أي اذا كان اختبار أحدهم مختلفا عن اختبار الآخر . كما ان رجالا من أطرزة بيولوجية مختلفة يتصرفون تصرفا واحدا بوجه عام اذا نشأوا في بيئة اجتماعية واحدة

إطالة العمر

قام كثيرون من العلماء بمحاولات عديدة لاطالة العمر وتجديد الشباب ، وقد كانت جل تجاربهم مبنية على تجديد الغدد الجنسية ، فأسفرت عن تحسن كبير في الصحة العامة وعن نشاط في الوظائف الجنسية . ولكن تأثيرها كان عابرا مؤقتا . وقد دلت البحوث الحديثة على ان مثل هذه المحاولات لن تؤدي الى اطالة أمد الحياة

ولكن أحد أساتذة جامعة كولومبيا أثبت انه من الممكن اطالة العمر بنسبة عشرة في المائة من متوسط العمر المألوف عن طريق الاكثار من الاطعمة الغنية بفيتامين A والريبوفلافين والكلسيوم والفواكه والخضر واللبن . هذا الى جانب ملاحظة الاستقرار الانفعالي وعدم التعرض للاضطراب العاطفي ، فان الانفعال الشديد يطلق في الدم مواد كيمائية قوية الفعل يزداد بها خفقان القلب وانقباض عضلات الشرايين وارتفاع ضغط الدم، وازدياد ما ينفقه الجسم من طاقة الحياة بوجه عام مما يؤدي الى قصر العمر

آدم وحواء

عني أحد معاهد الابحاث الامريكية بدراسة الفروق بين الرجل والمرأة فكتب رجاله تقريرا بنتيجة أبحاثهم نجتزيء منه ما يلي :

« دماء الرجل تحوي عادة نسبة أقل من الماء وكمية أكبر من كريات الدم الحمراء وضربات قلبه أبطأ ، ورغم أن معدته اصغر حجما من معدة المرأة وعملية الهضم عنده أبطأ الا انه يأكل عادة أكثر منها » . والمرأة تفوق الرجل في حاسة اللمس وحاسة الذوق وحاسة البصر . وقد دلت الاحصاءات على أن عدد العمي والصم بين الرجال أكثر منه بين النساء وان كان الرجل يسمع في الغالب على مدى أكبر

وبينما يزهو الرجل بوجود عدد كبير من العباقرة بين الجنس الخشن ، الا أن عدد ضعاف العقول الذين يترددون على مستشفيات الامراض العقلية من الرجال يربو على عدد النساء . وقد دلت البحوث على أن المرأة اكثر استجابة للتنويم المغناطيسي وان ذاكرتها أقوى من ذاكرة الرجل، ولعل ذلك هو السر في أن متوسط درجات الطالبات في الامتحانات يفوق عادة متوسط الدرجات عند الطلبة ، كما أن الفتاة أسرع من الفتى في تعلم القراءة والكتابة . والمرأة اكثر كياسة ولباقة في حديثها وسلوكها كما انها اكثر شغفا بالزينة والتأنق

المستقبل للزراعة

كان لكثرة المخترعات في العصر الحاضر واعتماد الانسان على الآلة في كثير من مرافق الحياة ان ازداد استهلاك المرء للمواد المعدنية التي لا تتجدد كالنفط والفحم والحديد والرصاص وغيرها من ضرورات الحضارة الحديثة التي تجمعت في باطن الارض خلال الملايين من السنين بتأثير العمل الجيولوجي . وواضح انه لا بد ان يأتي وقت تستنفد فيه هذه المواد ان عاجلا أو آجلا . وقد قدر العلماء ان مقادير النفط الموجودة في شتى بلدان العالم لا يمكن ان تكفي أكثر من ٢٥ سنة على معدل ما يستخرج منه الآن . وقد شغلت هذه الحقيقة أفكار كثيرين من أساطين العلم ، فراحوا يفكرون في ضرورة الاستعاضة عن هذه المواد . وقد نجحوا فعلا في صنع كثير من أعواض النفط والمطاط والمعادن من المواد النباتية . ولذلك فان كثيرين منهم يرون أن الصناعة في المستقبل ستعتمد اعتمادا كبيرا على منتجات الحقول

السيارة الطائرة

جاء في خطاب لكبير مهندسي مصانع لانكشير: فكر كثيرون فيما مضى في انشاء نفق يصل انجلترا بفرنسا عبر المانش ، وكثيرا ما وجدت هذه الفكرة من يحبذها ويناصرها . أما اليوم فقد فقد هذا الاقتراح قيمته وأهميته ، فقد توصلنا الى اختراع سيارة طائرة أتخيلها سائرة على الطرق البرية فاذا ما وصلت للشاطىء أمكنها بحركة بسيطة ان تطير في الهواء فتصل الى فرنسا في لحظات قصيرة لتستأنف سفرها على الارض مرة أخرى الى الجهة التي تقصدها . وقد قال اللورد نوفيلد مبتكر هذه السيارة : ليست السيارات الطائرة من السخافات أو الاوهام كما يبدو ذلك لاول وهلة . وانني واثق أن مصانعنا ستبدأ في اخراج هذا الاختراع الى حيز الوجود في غضون العشر سنوات القادمة

الأرق

جاء في محاضرة ألقاها الدكتور ميتشيل ميللر في احدى النقابات الطبية ، أن تناول الطعام بدون ملح قد أفاد في معظم الحالات التي يشكو اصحابها من الارق وقد قال ان الارق ليس شائعا أو خطيرا بالصورة التي يظنها ضحاياه اذ كثيرا ما يغالي المريض في وصف حالته . كما أكد ان الارق لا يسبب اضطرابا عقليا ولو ان بعض المصابين بالامراض العقلية مصابون بالارق أيضا

البندقية بيات

اختراع بريطاني جديد يتميز بقدرته على اختراق الدبابات ووقفها على مدى ١١٠ ياردة منها ، كما تستطيع قذيفة هذه البندقية اختراق القواعد والاستحكامات المصنوعة من الاسمنت المسلح . وتبلغ زنة هذا السلاح ٣٣ رطلا انجليزيا فهو أخف من البندقية المتوسطة المضادة للدبابات التي كانت تزود بها قبلا القوات البريطانية . وتطلق هذه البندقية قنبلة زنتها رطلان وثلاثة أرباع الرطل

وتتكون من انبوبة خفيفة من الصلب بداخلها « زنبرك » متين يحدث ضغطا يزيد على مائتي رطل انجليزي . فاذا اطلق الزنبرك من عقاله دفع ابرة من الفولاذ فتدخل في مؤخرة القنبلة فتشعل خرطوشة تؤدي الى انفجار يدفع القنبلة الى الامام نحو الهدف ، ويرتد « الزنبرك » للخلف الى مكانه تأهبا لقذف القنبلة التالية ، دون ان يتأثر الضارب بأية صدمة

وكلمة « بيات » مشتقة من الحروف الانجليزية .P.I.A.T وتعني قاذفة المشاة المضادة للدبابات

حمار الماء

الاسم الذى اطلقه الالمان على آلة استحدثوها أخيرا، وهى غواصة صغيرة مجهزة تجهيزا خاصا لقطر الغواصات الكبيرة بواسطة سلك يزيد طوله على الميل . وهذه الغواصة مزودة بأجهزة صوتية وصمامات خاصة لارسال فقاقيع من الزيت الى سطح الماء ، وما الى ذلك من الاجهزة التى تحمل العدو على الظن بأن هناك غواصة تغرق ، فى الوقت الذى تكون فيه الغواصة المقطورة قد استعدت لمباشرة هجومها بدون ادارة محركاتها حتى لا يهتدى اليها العدو بواسطة أجهزة تتبع الصوت

دارعة الهواء

طائرة امريكية جديدة فى مقدمتها ستة رشاشات آلية يطلقها مدفعى واحد وفيها برجان أحدهما أعلى جسم الطائرة والآخر أسفله ، فى كل اربعة رشاشات ومدفعى واحد . ثم برجان فى مؤخرة جسم الطائرة ، فى كل خمسة رشاشات اثنان منها كرشاشات احتياطية . وفى طرف ذيل الطائرة اربعة رشاشات يديرها مدفعى واحد هذا فضلا عن رشاشين آخرين يستطيع اطلاقهما عامل اللاسلكى

والدارعة الجوية أعدت لتتقدم القلاع الطائرة ولتشق لها الطريق وتحميها حتى تصل الى أهدافها

المدفعية الطائرة

أمكن أخيرا صنع طائرات اطلق عليها اسم « ميتشل ب ٢٥ » مسلحة بمدافع عيار ٧٥ مليمترا . وقد كان أكبر مدفع حملته طائرة هو المدفع عيار ٤٠ مليمترا الذى تحمله الطائرات الانجليزية « الهريكين » مدمرة الدبابات . ويبلغ طول المدفع تسع أقدام وست بوصات ويوضع عادة فى الجانب السفلى لمقدمة الطائرة ويقوم قائد الطائرة بنفسه بتوجيهه واطلاقه ، كما يتولى ادارة الرشاشين عيار نصف بوصة اللذين فى مقدمة الطائرة وعلاوة على ذلك يسيطر على رشاشين آخرين يطلقان بضغط الكهرباء

وقد استخدمت هذه الطائرات بمدافعها الجديدة أخيرا فى الباسفيك فتالت بوزا كبيرا ازاء المدمرات اليابانية

المنتجات الصوفية

كانت استراليا ونيوزيلاندا وجنوب أفريقيا تنتج قبل الحرب الحالية نحو خمس الانتاج العالمى من الصوف ، كما كانت تساهم بأكثر من ثلاثة اخماس الصادرات العالمية منه . ولكن ظروف الحرب حدت من تصدير الصوف كما أفضت الى تضاؤل كميات المصنوعات الصوفية المعدة للاستهلاك المدنى بسبب نقص الآلات وقلة الايدى العاملة، مما أدى الى تراكم كميات كبيرة منه . وتدل الاحصاءات الرسمية على ان الفائض المخزون من الصوف الخام فى مناطق الانتاج سوف يزيد على ٣٠١٠ مليون رطل فى منتصف هذا العام .

وقد استغرق تصريف فائض من الصوف لا يزيد على ٨٠٠ مليون رطل عقب الحرب الكبرى الماضية نحو ثلاث سنوات ونصف سنة . لذلك يتوقع الخبراء ان تكون مسألة الصوف عقب هذه الحرب أكثر تعقيدا ولاسيما لان الخيوط والالياف الصناعية قد اصبحت اليوم عنصرا هاما بين عناصر الغزل والنسيج وأضحت منافسا خطيرا للصوف

تقاوى البطاطس

تجرى الآن بحدائق كيو بالقرب من مدينة لندن تجارب لاستنباط طريقة يتيسر معها تقليل حجم ووزن تقاوى البطاطس المصدرة من بريطانيا للاقتصاد فى الامكنة التى تشغلها هذه التقاوى فى البواخر ووسائل النقل

وقد اجريت تجارب مبدئيـة للانتفاع بالجزء من « حبة » البطاطس الذي كان متصلا بساق النبات عن طريق تجفيفه واستعماله بدلا من التقاوى العادية . وقد نجحت التجارب الاولية الى حد ولكن الامر لا يزال فى حاجة الى كثير من الدراسة والبحث والاستقصاء

أغذية جديدة

أجريت منذ سنوات عدة تجارب للافادة من الفضلات الزراعية ، عن طريق تحليلها الى موادها الاولية ثم اعادة تركيبها تبعـا لحاجة الانسان الغذائية والصناعية . وقد كللت هذه التجارب بالنجاح ابان الحرب . فتمكن المستر عزرا ليفين أحد علماء هندسة الكيمياء الحيوية من الحصول على أغذية لذيذة الطعم غنية بالفيتامين والمواد المعدنية من « نخالة » القمح التى كانت تلقى قبلا كغذاء للماشية . وتستعمل بعض هذه المنتجات الآن فى ميادين القتال . وقد قدر الخبراء ان ما يمكن تحضيره من بقايا القمح التى يلقيهـا فلاحو امريكا وحدهما يكفى لسبعة ملايين طفل سنة كاملة

التلقيح الصناعى للماشية

نجحت تجربة التلقيح للماشية فى فلسطين ، وأمكن استخدام نطفة واحدة من حيوان واحد فى تلقيح مئات من الاناث الموزعة فى البلدان المختلفة والتى بلغ عدد البقر الحلوب بها فى سنة ١٩٤١ نحو ١٢٫٠٠٠ من الهجن العالية الادرار

وقد أمكن حفظ المادة وبقاؤها صالحة للتلقيح فى فترة النقـل الداخل بل والنقل الخـارجى بالطائرات اذا تطلب الامر الحصول على لقاح من بلدان أجنبية . ونتج من هذا التدبير فوائد كثيرة منها الانتفاع على أوسع نطاق بالذكور الاصيلة ذات الصـفات الطيبة . كما أصبح من غـير الضرورى وجود عدد كبير من الذكور بدون مبرر وبذلك أمكن توفير كميات كبيرة من العلف والغذاء

وتشير بعض المراجع العلمية الى أهمية التلقيح الصناعى للحيوانات ومدى تقدمه والافادة منه . وقد استطاعوا فى روسيا تلقيح ٥٠٠٠ بقرة من نطفة واحدة من ثور واحد

ادارة وقائية

يقول الاستاذ كانون العالم الامريكى : ان فى جسم الانسان « ادارة وقائية » تعمل للمحافظة عليه ازاء العوامل المعاكسـة الطارئة . وأهم أركان هذه الادارة الفسيولوجية الغدة الادرينالية وخاصة قسمها البـاطن الذى يفرز فى الدورة الدموية مادة قوية فعالة هى « الادرنالين » وهذه المادة يزداد افرازها بكثرة فى حالات الطوارىء وتلعب دورا هاما فى تمكين الجسم من مواجهة بعض المواقف الطبيعية الخطيرة

فيتامين « ج »

مصر من الاقطار التى تكثر فيها الخضروات والفواكه صيفا وشتاء وثمنها فى العادة يجعلها فى متناول كل الطبقات بكميات وفيرة . ولذلك فانه من النادر ان يتعرض المصريون لنقص هذا الفيتامين فى الاوقات العادية ولقد عززت ابحاث الدكتور الفلمى بقسم الكيمياء الحيوية هذا الرأى

ولكن بحثا مماثلا أجرى أخيرا عـلى المرضى المترددين على مدرسة طب الاسنان ، فظهر منه ان كمية هذا الفيتامين فى دم العدد الكثير من هؤلاء المرضى أقل مما يجب ان يكون . وقد ظهر أيضا ان كثيرا من الامراض الجلدية التى يشكو منها المصريون فى الوقت الحاضر ترجع الى نقص الفيتامينات فى أغذيتهم بسبب الغلاء الذى جعل الحصول على كميات مناسبة من الخضر والفواكه الطازجة أمرا عسيرا ليس فقط على الطبقات الفقيرة بل وعلى الكثيرين من الطبقات المتوسطة ايضا

الحركة الفكرية

مفتاح الشرق : تركيا

يؤثر عن نابليون انه قال : ان من يسيطر على الدردنيل يسيطر على أوربا بأسرها

وهذا حق ، فربما استطاع الالمان ان يسيطروا على أوربا جميعا ، بل على الدنيا القديمة بقاراتها الثلاث ، لو انهم استطاعوا ان يقتحموا المضايق ويبسطوا عليها سيادتهم . وربما كان فى وسع الاتراك ، حماة الدردنيل ، ان يعجلوا بانتصار الامم المتحدة لو انهم فتحوا لهم هذا الباب الخلفى ليقتحموا منه قلعة هتلر حين كان يبدو انها مسورة محصنة من الغرب ومن الجنوب

فدراسة تركيا : جغرافيتها وسياستها ، من أهم موضوعات الحرب الحالية وكل حرب أوربية فى الماضى أو فى المستقبل . والكتاب الذى نعرضه ، وهو من تأليف الباحث الامريكى مستر توين ، يوضح لنا هذا الموضوع توضيحا مستقلا نزيها ، لا يتحيز الى اى جانب من الجوانب

ويصف المؤلف تركيا فيقول ان ما تلقته من معونة الحلفاء لم يكن كافيا لتزويد جيش قوى يصمد للعدوان الالمانى ، ولو فعلوا لكان من الارجح ان تقف روسيا معهم كتفا لكتف فى ميدان القتال . ويرى أن بريطانيا يجب ان تحرص على محالفة تركيا ، فهى الدرع الذى يقى امبراطوريتها فى الشرق من خطر اطماع الدولة الاوربية القوية ، سواء كانت هذه الدولة ألمانيا أو روسيا

ومن الآراء القيمة التى تضمنها الكتاب أن سياسة تركيا تؤثر دائما فى سياسة الشرق الاوسط جميعه . والتاريخ القديم والتاريخ الحديث شاهدان على ذلك . فالقسطنطينية فى عصر الرومان، وفى عصر العثمانيين كانت صاحبة الكلمة فى هذه البقعة الفسيحة الخطيرة من العالم والنهضة الكمالية الحديثة جعلت أنقرة مرمى أنظار الشعوب الناهضة فى أرجاء الشرق الاوسط فاذا أضيف الى ذلك سيطرة تركيا على جزء مهم من موارد البترول ، ووقوعها فى طريق التجارة بين أوربا وآسيا وما يلى آسيا من الآفاق ، أمكن ان نقدر أهمية تركيا فى ميدان السياسة الدولية والتجارة العالمية المتصارعة فى هذا القتال

فهو يبين لماذا أدخلت امريكا تركيا فى نطاق قانون الاعارة والتأجير فأمدتها بكميات كبيرة من العتاد والذخيرة والآلات . ويبين لماذا قدرت ألمانيا أهمية تركيا ، فأوفدت اليها أحد دهاتها الدبلوماسيين وهو فون بابن . ثم يبين لماذا سلكت تركيا مسلكها السياسى المعروف . لماذا سمت نفسها «حليف الدول المحالفة غير المحارب» أى الحليف الذى يبذل للدول المحالفة كل عون ميسور لها دون أن ينزل ساحة الحرب ذاتها

وفى رأى الكاتب ان تفسير هذه السياسة يرجع الى غموض السياسة الروسية تجاه تركيا ومشروعاتها القادمة بصدد المضايق . ويرى ان فون بابن نجح فى ايهام الساسة الاتراك بأن روسيا تطمع فى السيطرة على المضايق والنفوذ منها الى البحر الابيض . فأدى هذا الخوف من روسيا الى وقوف تركيا موقف الحياد ، انتظارا لما تنجلى عنه وقائع الحرب وأحداث السياسة

مكافحة البطالة

كان من جراء امتداد فترة الحرب الحاضرة واستيعابها لنشاط مختلف الطبقات الاجتماعية ان اجتذبت جمعا غفيرا من الرجال والنساء من الحقول والمصانع والمدارس والجامعات وغيرها ، للعمل في ادارة دولاب الحرب . سواء في ميادين القتال أو مصانع الذخيرة . كما كان من جراء ذلك حدوث اضطراب في توازن الانتاج بصدد أعمال السلم وتوقف الكثير منها في سبيل موالاة انتاج الحرب

غير ان المشكلة الكبرى هي كيفية توفير العمل لهؤلاء العمال والجنود رجالا ونساء بعد ان تضع الحرب أوزارها ويبدأ عهد السلم . وقد تألفت أخيرا في كل من بريطانيا وامريكا لجان من علماء الاقتصاد والاجتماع ، فضلا عن أرباب المال والاعمال وزعماء نقابات العمال لدراسة هذه المشكلة . ومن أبرز الموضوعات التي تعني باستنباط الوسائل لتحقيقها ما يلي :

■ وجوب الانتفاع بجميع المواد البشرية والمادية والموارد الفردية والمشروعات الاقتصادية والمخترعات العلمية الى أقصى حدود الانتفاع حتى يتوطد المركز الاقتصادي في جميع البلاد ويرتفع مستوى المعيشة فيها

■ العمل على ألا يبقى فرد من القادرين على العمل والراغبين فيه من الرجال والنساء عاطلا مدة أطول مما تقتضي نقله من صناعة الى أخرى أو تعليمه صناعة جديدة

■ وجوب توافر الغذاء والملبس والمسكن والدواء الكافي لحاجات جميع الطبقات في كل دولة من الدول

■ اشتراك المجموع في تحمل أعباء الفرد اذا طرد من عمله أو اذا أصبح عاجزا عن مواصلته

■ وجوب احترام حرية الفرد في اختيار العمل الذي يريده وترقيته تبعا لمؤهلاته ومواهبه

■ وجوب ازالة جميع العوائق التي تقف في وجه التجارة حتى يتيسر لكل دولة الحصول على المواد الاولية والبضائع المصنوعة

■ توافر وسائل الانتاج الحديثة لجميع الشعوب باتخاذ تدابير دولية تتصل بمسائل التعمير والانشاء ومحاولة ازالة جميع الحواجز التجارية

ويقول المستر ستيوات تشيز الاقتصادي الكبير بأنه ليس هناك ما يدعو الى القلق وبأنه في الامكان توفير العمل للجميع بعد الحرب . فان تهافت المستهلكين على البضائع بعد ان حرموا منها اثناء الحرب وحاجة العالم الى بناء الدور والمنازل التي تهدمت وكثرة الاقبال على الاطعمة والمؤن سوف تكون من العوامل الهامة في حل هذا الاشكال

التأمين الاجتماعي في انجلترا

أثارت الحرب الحاضرة موضوع التأمين الاجتماعي في معظم البلدان، وفتحت أعين الساسة وعلماء الاجتماع على مواطن الداء في مشاكل العمال العصرية . ولقد تقدم السير وليام بيفردج بمشروعه المعروف باسمه الى الحكومة البريطانية فأحدث في البرلمان وفي الصحافة ضجة كبيرة . وعكف انصار السياسة المعتدلة على دراسته وتنقيح مواده حتى تستقيم للتطبيق العملي دون أن تسبب اختلالا في التوازن الاجتماعي بين كتلة العمل وكتلة رأس المال . ولقد أصدرت الحكومة البريطانية أخيرا مرسوما جامعا لتنظيم قواعد التأمين ضد البطالة والمرض والشيخوخة

ويحتاج تنفيذ هذا المرسوم الى ٦٥٠ مليون جنيه سنويا وهو يمنح كل شخص في بريطانيا حقوقا واسعة مقابل مبلغ زهيد يدفعه اسبوعيا وفيما يلي أهم ما نص عليه المرسوم :

تمنح عائلات العمال مرتبات اسبوعية قدرها خمسة شلنات عن كل طفل وبذلك يشترك الشعب بأكمله في تحمل عبء تربية الجيل الجديد

ويستمر دفع هذا المرتب الى ان يبلغ عمر الطفل ١٦ سنة

وتدفع اعانة للمتعطلين لمدة ثلاثين اسبوعا على الاقل بمعدل ٤٠ شلنا للرجل وزوجه و٢٤ شلنا للاعزب و١٠ شلنا لمن هم دون الثامنة عشرة

ويمنح المرضى اعانة معادلة لاعانة البطالة لمدة ثلاث سنوات وبعد ذلك تحل محلها اعانة خاصة تسمى اعانة التقاعد بسبب المرض

وتدفع معاشات التقاعد ومقدارها ٣٥ شلنا للمتزوج و٢٠ شلنا للاعزب عند بلوغ سن الخامسة والستين بالنسبة للرجال وسن الستين بالنسبة للنساء . أما الاشخاص الذين يتكسبون بعد سن التقاعد فان معاشاتهم تنخفض بنسبة خاصة

وتمنح هبة الامومة ومقدارها أربعة جنيهات لكل امرأة عند ما تضع طفلا ، وتعطى السيدات اللواتي يتكسبن اعانة قدرها ٣٦ شلنا اسبوعيا لمدة ثلاثة عشر اسبوعا اذا تخلين من العمل

وثمة منحة تعطى عند الوفاة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ جنيها

التعليم بعد الحرب

برامج التعليم ونظم الدراسة بعد الحرب من المسائل التى تشغل بال المفكرين وقادة الرأى فى الوقت الحاضر . وقد بدت فى ميدان التربية اتجاهات جديدة خلقتها ظروف الحرب نلخصها فيما يلى :

■ لاحظ أولو الامر انه كان من الميسور اقتصاد ثلثى الزمن الذى يقضيه الجنود الآن فى ميادين الطيران ومصانع الذخيرة والآلات فى فترة التدريب ، لو أن الدراسات الرياضية والطبيعية فى المدارس الثانوية والعالية كانت وافية بالغرض المنشود . ولما كانت جميع البلدان حتى الديمقراطية منها تميل الى جعل التجنيد اجباريا فى المستقبل صونا للسلام الدولى من عبث الامم ذات النزعة العسكرية ، ولما كانت جميع الشعوب تزداد حياتها اتصالا بالآلات والصناعة على مدى السنين ، لذلك كان لزاما على معاهد التعليم فى المستقبل ان تعنى بهذه المواد عناية كبيرة

■ ولكن بعض رجال التربية يخشون أن تطغى العلوم الطبيعية والرياضية فى السنوات القادمة على غيرها من المواد فيصبح ابناء الجيل الجديد عمليين جامدين ، ويرون ان الآداب والفنون والفلسفة لا تقل فى أهميتها عن العلوم الرياضية

■ وثمة اتجاه متطرف يرمى الى العودة الى الدراسة « الكلاسيك » . فتهتم المعاهد الدراسية والجامعات بتدريس اللغات القديمة وآداب اللغات الحية والفلسفة . ويرى أنصار هذا الرأى ان كل كتاب وضع بعد سنة ١٨٠٠ لا نفع فيه من الناحية الثقافية ، وان تهذيب النفس وصقل الوجدان لا يمكن بلوغه الا باستيعاب المؤلفات الانسانية القديمة من عهد الاغريق والرومان الى أواخر القرن السابع عشر . كما يعتقدون ان اخلاق الناشئة قد تدهورت فى هذا العصر لشدة عنايتها بالماديات والدراسات العملية على حساب غيرها من المواد الثقافية المهذبة للنفوس ، التى صقلت أذهان الاغريق ورجال العلم فى العصور الوسطى

■ وهناك اتجاه يكاد يكون مجمعا عليه فى جميع البلدان وخاصة فى امريكا وانجلترا ، وهذا الاتجاه خاص بتعليم الكبار . وفى ذلك يقول السير ريتشارد لفنجستون فى كتابه « مستقبل التربية » ان الحاجة فى تربية الكبار ليست الى تعليم من لم تمكنهم الفرص من الدراسة فى طفولتهم وانما الى من تلقوا علومهم فعلا . والحكمة فى هذا الاتجاه ان المتعلمين الذين يتمكنون من مواصلة الدراسة وتتبع ما جد من الآراء أكثر نفعا لامتهم من أمى تعلم مجرد القراءة والكتابة ولا يكاد يفهم شيئا مما يقرأ

الكتب الجديدة

فرانسيس باكون

للاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة المعارف فى ٢٠٢ صفحة

هذا الكتاب حلقة جديدة من سلسلة الكتب القيمة التى أصدرها الاستاذ النابغة عباس محمود العقاد فى السنين الاخيرتين عن عباقرة التاريخ. وقد عنى فى هذا الكتاب الذى تقدمه للقراء بدراسة فرانسيس باكون. وقسم بحثه قسمين: قسم « عن باكون » ويشمل النظر فى عصره ونشأته وأخلاقه ورسالته الفكرية ومكانته الادبية . وقسم « من باكون » ويشمل المختارات من كتبه التى يخلد بها بين رجال القلم ولا تنقضى قيمتها الفكرية أو الادبية بانقضاء فترة من فترات الثقافة الانسانية أو الثقافة الاوربية

ولا يقال انفرانسيس باكون — شىء جديد — فى تاريخ الحركة الفكرية من قبيل الاعتراف بمكانه الملحوظ فى تلك الحركة وكفى .. ولكنه — شىء جديد — من قبيل النوع الذى يضاف اليه بين ذوى المكانة الملحوظة فى حركات الفكر البشرى عامة

ففيه قبس من الفيلسوف لانه يبحث ويعلل ويعمم ويراجع مذاهب الفلاسفة ويصحح منها ما يراه موضعا للتصحيح . ولكنه لم يخلق للفلسفة كما خلق لها رجل مثل فيثاغورس فى الاقدمين أو رجل مثل كانت أو هيوم فى المحدثين

وفيه قبس من الشاعرية لانه يتخيل ويتوق للمعانى الجميلة ويستخدم فنون المجاز . ولكنه لم يكن بين الشعراء فى طبقة ملتون أو بيرون

وفيه ملكة العالم ولكنه لم يكشف قانونا من قوانين العلم . ولم يحاول فيه محاولات العلماء المطبوعين من أمثال باستور وفاراداى

وهو مؤرخ أو كاتب فى التاريخ والسير ، ولكنه لا يدرك فى هذا الباب شأو جيبون أو بلوتارك

وهو فقيه من فقهاء زمانه المقدمين ، ولكنه هو نفسه لم يكن معتدا بمكانته من الفقه ولم يحفل بنشر قضاياه أو بحوثه القانونية فى حياته

وهو خطيب فصيح اللهجة حسن البيان ولكنه لو لم يصنع شيئا غير الخطابة لما بقى له ذكر بين رسل المعرفة والبيان

وهو أديب ولا سيما فى باب الكتابة النثرية، ولكنه مع هذا أكبر من قدرته الادبية وأعظم ممن يضارعونه فى اصالة المعنى وبلاغة الاسلوب

فهو « شىء جديد » لانه يشترك فى جميع هذه الاشياء ولا يستوعب كله فى واحد منها ، ولا ينتظم مرة واحدة تحت عنوان واحد من هذه العناوين

لذلك قام المؤلف بدراسة هذه النواحى وتحليلها بما عرف عنه من دقة ابحاثه وغزارة علمه وقوة بيانه . فكان البحث شاملا أفرغ فى اسلوبه القوى المعروف وعبارته الانيقة

مع الزمان

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

مطبعة المعارف فى ١٩٠ صفحة

الاستاذ فريد أبو حديد عالم كبير وأديب موهوب له جولات قلمية طيبة ، وابحاث طريفة قيمة فى مسائلنا الوطنية والتاريخية والاجتماعية، وهو يقدم الى القراء فى كتابه الجديد مجموعة من

القصص أوحتها اليه وقفات جبانة بالسجون بعضها الم بالاطلال الجيدة التي لا تزال الى اليوم قائمة شامخة برأسها تتحدى عظمتها مع تقادم الزمن وعبث صروف الدهر بها ، وبعضها تأمل في أخبار القرون الغابرة التي تطوى في سجلها أصداء متكررة من مسرات البشرية واحزانها ومن تساميها واسفافها

وقد عنى المؤلف بأن يجعل هذه القصص سلسلة تسير « مع الزمان » . فقام برحلة روحية موفقة عبر الماضي فجاس خلال عصور الفراعنة ، ثم عرج على العروبة فلمح لمحة من جاهليتها الهوجاء ، ثم نفذ بعد ذلك الى الاسلام في علوائه وسموه ، ثم في اضطراب احزابه مع الاهواء وأخيرا في نضاله مع أمم الغرب . وقد عاد من رحلته بمجموعة نادرة من القصص الممتع الطريف

يقول المؤلف في تقدمة هذا الكتاب : لقد سارت البشرية في سبيلها منذ ألوف الالوف من السنين وهي دائبة في سيرها نحو ألوف أخرى من ألوف السنين للغاية المقدورة لها في سجل الابد . ولن نستطيع نحن أحياء اليوم ان نتجه بها في السبيل الجديرة بالحياة اذا نحن لم نعرف من أين ينبعث الينا مجراها

فالنظرة الى الوراء نحو القرون الخالية انما هي لفتة التحفز الى الانطلاق نحو الامام

ونحن في مصر والشرق في أشد الحاجة الى تأمل حاضرنا على ضوء الماضي الطويل الذي عاشرته أممنا . لقد قام الشرق قرونا طويلة على اشاعة المدنية وبث روح السلام في أقطار الارض ونشر ألوية العلوم والفنون في مجاهل البشرية . فاذا كان اليوم يطلب المشاركة في جهود العالم المتمدن فلا غنى له عن ان يتجه في سبيله على هدى ماضيه الكريم

فالى قراء العربية أهدى هذه الطاقة المؤتلفة ، التي تحريت في جمعها واحتفلت في عرضها ، واحمد الله على انني من أشد الناس تهيبا للقارىء لا أحب ان اقحم عليه ما اظن انه يحمل اليه ظلا من العبث أو اللغو

موجز النقود والسياسة النقدية

لزكريا مهران باشا

مطبعة مصر في ١٦٣ صفحة

مسألة النقود والتضخم النقدي من المسائل التي ابرزتها الحرب الحاضرة . ولا ريب في أن هذه الحرب ستتمخض عن مستقبل مفعم بالمعضلات الاقتصادية ، وقد بدأت بوادر هذه المعضلات تبدو في ذلك التضخم الذي عم جانبا كبيرا من بلاد العالم وفي تراكم الديون عند الدول المتحاربة . والكتاب الذي نقدمه للقراء في جزأين تناول فيهما سعادة زكريا مهران باشا أصول النقد وقواعده في نطاقه العام . فلم يقصره على المعنى الضيق الذي ينصب على العملة وحدها ، وانما جرى فيه على المعنى الاعم الذي يستفاد من كونه مالا سواء أكان مصدره الحكومة أو المؤسسات المالية . وقد تكلم في الجزء الاول عن أصل النقود وكيف قامت ليستعيض بها الناس عن المبادلة عينا . ثم ذكر نقود الشعوب القديمة من فرس واغريق ورومان وعرب ، ثم عالج موضوع النقود في العصور الوسطى وهي أساس التطور الاقتصادي والمدنيات الحديثة . ثم انتقل الى الكلام عن التقدم الذي أصابه العالم في القرنين الماضيين ، ثم تحدث بعد ذلك عن النقود في الحرب الماضية وفي الفترة التي أعقبتها

أما الجزء الثاني فانه يتناول نظريات النقود وتطبيقها العملي وكذلك تأثير البنوك على النقود وأسعار الصرف وما بين النقود من صلات في المعاملات الدولية وعلاقة النقود بالاسعار في الرخاء والغلاء وأثرها في احداث الازمات

وسعادة المؤلف من خير من يكتب في الشؤون

الاقتصادية ، فهو من كبار رجال المال وقد اشتهر بدقة ابحاثه وغزارة علمه . وقد استند في بحثه على كثير من المصادر الحديثة والمراجع الموثوق بها . وقد وضع كتابه في اسلوب سلس جذاب وطبعته مطبعة مصر طبعا متقنا رشيقا

مبادىء علم التشريح ووظائف الاعضاء وعلم تشريح جسم الانسان وتشريح الحوض للسيدة

للدكتور شفيق عبد الملك

ثلاثة مؤلفات طبية نفيسة تظهر دفعة واحدة باللغة العربية ، فكانت دليلا ساطعا على ان لغة الضاد تسع المصطلحات الطبية ، وان اللغة وان قصرت أخيرا فان ذلك ليس لنقص منها كأداة للتفاهم والتأليف ، ولكن لان رجالها وقفوا منها حيث كانت منذ أجيال ولم يتمشوا مع التطورات العلمية الحديثة

يقول الدكتور ومسيس جرجس عضو المجمع اللغوى للغة العربية في تقدمة هذه الكتب : « وقف التأليف بالعربية منذ أول هذا القرن بسبب تغلغل النفوذ الاجنبى ، لذلك كان اقدام المؤلف على وضع هذه الكتب بالعربية خطوة أساسية بل حجر زاوية في بناء نهضتنا القومية الشرقية . وانك تقرأ هذه الكتب من أولها لآخرها فلا تشعر بالملل الذى تحس به عادة عند قراءة الكتب العلمية المليئة بالحقائق الجافة ولاسيما كتب التشريح » . ويقول الدكتور سليمان عزمى باشا بصددها : « لقد أسدى المؤلف خدمة للاطباء لا تقدر فان من تعلم منهم بالانجليزية عند مايكتب تقريرا شرعيا يضع اصطلاحات عربية غير سليمة أو يضعها بالانجليزية فاذا ما راجع هذه الكتب يجد فيها بكل سهولة الاصطلاحات العربية الصحيحة المعترف بها »

وقد تناول المؤلف في كتاب « تشريح الحوض للسيدة » بالاشتراك مع الدكتور ناشد فهمى جميع الحقائق الخاصة بتشريح الحوض فأسهب في وصف المفاصل والعضلات والصفاقات وأعضاء الحوض الخفيفى وأعضاء التناسل الظاهرة وأوعية الحوض وأعصابه . فكان الكتاب فريدا في بابه يمتاز بروائه ودقته ولا يقل عما سائله من المؤلفات الاجنبية

خريف امرأة

للاستاذ ابرهيم المصرى

مطبعة مكتبة مصر . في ١٦٨ صفحة

يعرف قراء الهلال الاستاذ ابرهيم المصرى كاتبا اجتماعيا مجيدا ، وقصصيا مشرقا ، وناقدا محللا نزيها . وقد طالعهم في الهلال بطائفة من فصوله وقصصه ، تعد ولا شك من خير آثار الادب العربى الحديث . وهذا الكتاب الجديد يضم طائفة من هذه القصص ، ظهر بعضها في الهلال ، وبعضها في ابنة الهلال « مجلة الاثنين » وهى في مجموعها ترسم طبقة معينة من طبقات الشعب هى الطبقة الوسطى . وهى طبقة ضئيلة العدد في مصر اذا قارناها بمثيلتها في بلد كانجلترا ، ولكنها مع هذا تمثل الشعب اكثر مما يمثله سواها

والاستاذ المصرى شديد العناية بالتحليل النفسى وفق قواعد علم النفس الحديث . وقصته الاولى « خريف امرأة » هى تصوير فنى شائق للعقدة النفسية المعروفة بعقدة « أوديب » التى تجنح بالمرء أو بالمرأة جنوحا عاطفيا وجنسيا من نوع شاذ

وقصته الثانية « الباب الذهبى » تعالج مشكلة الزواج في مصر ، فهى تمثل هذا الموظف الذى أراد أن يدخل الدنيا من بابها الذهبى ، باب الزواج ، فلم يهتد الى هذا الباب اذ تزوج من فتاة تناقضه نشأة وبيئة وتفكيرا وأخلاقا

وهكذا سائر ما فى الكتاب من القصص ، فهى أما ترسم حالات نفسية معينة أو تصور صورا منتزعة من البيئة المصرية الصميمة ، وذلك فى الاسلوب الذى عهده القراء فى المؤلف ؛ وهو اسلوب قوى ، دافق ، مشرق

محمود تيمور

للاستاذ نزيه الحكيم

مطبعة النيل فى ١٠٧ صفحات

دراسة تحليلية لرائد القصة العربية ، صيغت فى اسلوب قوى رصين . أبان فيها الاستاذ نزيه الحكيم كيف بدأ تيمور عمله فى ميدان القصة وهو قليل العدة ضئيل الزاد ، ولكنه انتج فى عشرين سنة عملا جديرا بالرضى والتقدير . وهو فى ذلك يقول ؛ كان تيمور البناء الذى يقتطع حجارته بيده من مقالع الجبل ، يدأب فى صبر طويل على نحتها وركزها واحدة جنب أخرى حتى تستقيم قصرا منيفا . لم يتعجل ولم يحاول المستحيل ، بل عاش فى قلب الشعب المصرى كل حياته ، وثقف خياله وراض لغته ، وكان كثيرا ما يأتى بالجديد فى بناء هذا القصر الحى ليقدمه نموذجا للناس ، يخفق أو ينجح ولكنه فى كل حال يفتح لهم الباب المغلق ويعبد أمامهم الطريق الوعر

كانت القصة فى الغالب قبل تيمور قطعة من الادب مترجمة أو شبه مترجمة ، لا مصرى فيها الا أسماء الاشخاص ولغة الحديث . ولكن تيمور بدل هذا الوضع وفتح لادبنا القلق طرقا جديدة يسير فيها وأساليب فى الاداء كانت لا تعرفه ألوانها

لم يأت تيمور بفلسفة جديدة ولا أبدع مذهبا لم يكن . ما فعله تيمور هو انه طاوع الحياة التى تجرى فربط بينها وبين الادب . وأدرك ان الحب ليس وحده كل النفس البشرية ، وان هناك نواحى أخرى فى هذه النفس كثيرة غامضة المسالك جديرة بأن تدرس وان تصور

وهذا ما حدا بالمؤلف الى كتابة هذا المؤلف النفيس ليعالج فيه حياة تيمور ورسالته وألوان أدبه

دروس الفلسفة

للاستاذ جميل صليبا

مطبعة الترقى بدمشق فى ٤٤٠ صفحة

ان للمباحث العلمية طرقا يسير عليها العلماء فى كثير من الاحايين عفوا دون ان يعرفوا قيمتها . فالرياضى يقيس ويستنتج وعلماء الطبيعة من فيزيائين وكيماويين وفزيولوجيين يستنبطون من ملاحظاتهم وتجاربهم الجزئية قوانين عامة . فما هى قيمة الاستنتاج والتعميم والاستقراء ؟ ان الفلسفة تبحث هذه الامور وتقايس بينها وتنتقد طرق العلم وتسمى هذه المسائل الانتقادية بالمسائل المنطقية

وموضوع هذا الكتاب بحث هذه الناحية المنطقية . وقد اسهب المؤلف فى بعض موضوعاته رغبة فى الاحاطة والتبسيط وتحبيب المنطق الى القراء وتقريب مسائله من أذهانهم . وقد تناول فى الجزء الاول مسألة المعانى والحدود ثم تحدث عن القضايا والاحكام ، ثم تكلم عن الاستدلال واشكاله ، ثم أفاض فى توضيح قيمة المنطق الصورى وفائدته . وعالج فى الجزء الثانى طرق العقل العامة وموضوع العلم والروح العلمية ، ثم العلوم الرياضية والعلوم الفيزيائية والكيميائية ، وكشف القوانين وتحقيقها ، ثم عرج على علم الحياة وعلى علم النفس ثم التاريخ والاجتماع

ولا ريب فى أن المكتبة العربية ترحب بمثل هذه المراجع التى حرمت منها زمانا طويلا ، رغم ما اشتهر به التراث العربى من التعمق فى الفلسفة والمنطق

والمؤلف استاذ فى الفلسفة بمدرسة التجهيز بدمشق ، جم الثقافة واسع الادراك ، له مؤلفات كثيرة فى الفلسفة وجولات موفقة فى علم النفس

الباب الذهبي

للاستاذ محمد أمين حسونة

مطبعة رواية الجيب فى ١١٦ صفحة

مجموعة من القصص والمسرحيات العالمية لطائفة من كتاب الغرب وفحول الروائيين الاوربيين ، امثال لويجى براندللو ، وآرثر شنتزلر ، وجون بيتل، وبلاسكو ابيانيز، وبيير دولف، وشارلس مورجان

وقد سبق للمؤلف ان نشر جانبا منها متفرقا على صفحات مجلة الهلال ، وهى فى مجموعها باقة عاطرة من الادب الرفيع تجمع بين روعة الوصف ودقة التصوير والبراعة فى العرض والحوار ، فضلا عما تزخر به من حياة وحركة

كما نحا المؤلف فى تلخيصها نحوا جديدا ، وقدمها الى قراء العربية فى أسلوب فنى جميل ، وزين الغلاف برسم رمزى ساحر من ريشة الفنان بيكار

سحر أمريكا

للاستاذ حسن فريد

المطبعة العصرية فى ٦٦ صفحة

تتجه الانظار الآن الى امريكا بلاد العلم والحضارة والمستقبل ؛ والكتاب الذى بين أيدينا وصف لرحلة موجزة وسياحة خاطفة ، قام بها أحد شباننا المثقف الى المعرض العالمى الذى أقيم فى نيويورك فى منتصف عام ١٩٣٩ لمناسبة مرور قرن ونصف قرن على دخول جورج واشنجتون ولاية نيويورك واعلانه الاستقلال

وقد عنى المؤلف بتدوين ملاحظاته الدقيقة فى عبارات جذابة ، واسلوب رشيق ولغة طيبة تتخللها الفكاهات والحوادث المثيرة

سفينة النجاة

للاستاذ نجيب ميخائيل صوايا

دار الطباعة والنشر بالبرازيل فى ١٧٤ صفحة

مجموعة من الصور الانتقادية لبعض نواحى الحياة ، يعرضها المؤلف عرضا بارعا فى اسلوب سهل ساحر ونقد قاس صريح . وهو فى ذلك يقول : انى اكتب بصراحة مع علمى بأن من صارح الناس عاداهم . ذلك لانى لست ضعيفا لاحتال وأخادع كما يفعل المراءون ، بل أقول ما أراه حقيقة راهنة كما يفعل الاقوياء المتصررون المتمسكون بالحق

والمؤلف من الكتاب اللبنانيين الذين هاجروا الى البرازيل ، له جولات قلمية طيبة ومؤلفات كثيرة تعبر عن روح وثابة طموحة متحررة

وحى الرافدين

للاستاذ الحومانى

مطبعة الكشاف فى ٤٠٠ صفحات

مجموعة من المقالات الموجزة التى تعالج أبرز مشاكل العرب فى الفترة الراهنة ، كما تتناول سير بعض العظماء من رجالات العراق وكتابها ومفكريها . وروح المؤلف كما تبدو من كتابه روح وثابة طموحة ، تفيض صراحة واخلاصا ووطنية . فهو يريد كما يريد شباب العرب بأسره ان تتم وحدة الامم العربية عاجلا حتى تصبح أسعد حالا وأوفر حرية وأكثر قوة . وهو فى ذلك يقول : ان حلفاءنا اليوم يعقدون مؤتمراتهم فيسنون الانظمة ويقررون مناهج الاعمال خلال

أيام معدودة . ولعل تلك الانظمة وهذه المناهج تنظم العالم بعد الحرب . فما بالنا وقد مر عامان ونحن نتغنى باسم الوحدة العربية ونعد لها العدة وندعو ممثل الحكومات العربية ونكثر من الكتب والاستعارات والتلميح والتعريض بمكان المؤتمر وزمانه ؟

ولعل الحرب أقرب أجلا من هذا المؤتمر . فاذا كانت قد أوشكت أن تضع أوزارها ولم يتألف هذا المجلس ولا تقرر مكان تأليفه أو زمان انعقاده فمتى يكون ذلك ؟ أبعد أن يكون الطامع قد اشبع طبعه واشتدت الايدى القوية الجشعة لازدراد الشعوب الضعيفة كما رأينا بعد الحرب الماضية ؟

رسالة الملائكة

املاء أبى العلاء المعرى

مطبعة الترقى بدمشق فى ٢٨٤ صفحة

ظفر المجمع العلمى العربى فى دمشق بهذه الرسالة ، فأكبرها وبادر الى طبعها بمناسبة المهرجان الذى أقامه المجمع لمرور ألف سنة على مولد أبى العلاء المعرى . وقد عهد الى الاستاذ الكبير محمد سليم الجندى عضو المجمع بتحقيقها وشرحها وضبطها

وتشتمل هذه الرسالة على مقدمة ، وعلى الاجوبة عن المسائل التى سئل عنها أبو العلاء . أما المقدمة فقد ذكر فيها احدى وعشرين مادة فيها كل باقة زهرة . وقد أراد ابو العلاء ان يجعل لها مناسبات تجعل منها وحدة جامعة ، فجعل نفسه كأنه أشرف على الموت وأراد ان يدفع عنه ملك الموت ويشغله بالبحث عن اصل ملك واشتقاقه ، ثم تصور انه دخل القبر فذكر اسماء بعض الملائكة ، ثم خرج الى المحشر فتصدى الى البحث عن اسماء مسميات تكون فى الجنة أو النار . وجعل من ذلك صورة خيالية رائعة

وتمثل لنا هذه الرسالة صورة صادقة لما وصل اليه علم الصرف فى عصر ابى العلاء وفى العصور التى سبقته ، كما تصور لنا ما كان يتمتع به العلماء من حرية القول والاقدام على تلك الائمة ودحض حججهم ومناقشتهم فى الدقيق والجليل من المسائل

ولا ريب فى ان الادب العربى مدين للمجمع العلمى فى دمشق لطبعه هذا الاثر الجليل

هاروت وماروت ، وسارق النار

مسرحيتان للاستاذ خليل هنداوى

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

يعتقد المؤلف ان الاساطير — سواء كانت شرقية أو غربية — ينبغى أن تكون مرجعا لتفسير الافكار والمعتقدات الضاربة جذورها فى حياة الانسان . لانها تحمل بصدق وصراحة كل ما كان يرتعش فى قلبه وعقله يوم ارتعشت به الحياة

فاقتبس قصته الاولى عن أسطورة شرقية قديمة تمثل صراع النفس بين السمو والانحطاط وبين الروح والمادة وبين الارض والسماء . ومن ذا لا يحس هذا الصراع فى نفسه حين تنحدر مرة وحين تتسامى تارة ؟

والمسرحية الثانية مأخوذة من اسطورة يونانية مغرقة فى عبارة سلسة وأسلوب رائع . ولقد صدق المؤلف فى تقديره للاساطير اليونانية ، فما هى بالخرافات التى يتلهى بها الفكر الخامل كما يتلهى الصغير بحكايات جدته وجده . ولكنها على سذاجتها تنطوى على خيال بعيد المدى وحقائق رائعة خالدة

ثروة مصر المعدنية

(اسيوط ــ مصر) قارئ

هل يوجد الذهب حقا فى الصحارى المصرية ؟ وهل هناك معادن أخرى جديرة بالاستغلال ؟

ــ كانت مصر فى عهود الفراعنة أهم البلاد انتاجا للذهب فى العالم . ولم تتمكن حتى الآن من اكتشاف بقعة واحدة لم يستغلها أجدادنا الفراعنة . فلما أعيد فتح مناجم الذهب القديمة فى أوائل القرن الحالى ، استمر استغلال بعضها استغلالا متصلا حتى عام ١٩١٩ . فبلغ مجموع ما انتجته نحو ٨٥ ألف أوقية من الذهب الخالص كانت قيمتها نحو ٣٥٠ ألف جنيه تقريبا . وفى عام ١٩٣٥ بدأت اسعار الذهب ترتفع ارتفاعا سريعا ، فرأت مصلحة المناجم المصرية ان تعيد استغلال بعض المناجم . فاختير من بينها منجم الذهب القديم بجبل السكرى وقامت المصلحة بأعمال بحث جدية فيه الى أن تحولت الى أعمال استغلالية عام ١٩٣٧ . وقد أصبح ما تنتجه هذه المناجم نحوا من أربعة آلاف أوقية سنويا

■ وصحارينا غنية بالفوسفات . ويرجع عهد استغلالنا لها الى عام ١٩٠٨ عند ما اكتشفت مناجم الفوسفات بمنطقة سفاجة على شاطئ البحر الأحمر . ويبلغ مجموع ما تنتجه المناجم المصرية فى كل عام أكثر من نصف مليون طن كانت تصدر كلها للخارج حيث تحول الى سوبرفوسفات وهو السماد المعروف

■ ومن أهم المنتجات المعدنية بالقطر المصرى البترول . وقد بلغ ما انتجته الحقول المصرية عام ١٩٣٩ نحو ٦٦٦ ألف طن . وفى عام ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ بلغت نيفا ومليون طن . والمأمول ان تسفر الابحاث عن اكتشاف كميات أخرى كبيرة

■ وقد اكتشف الحديد فى مناطق مختلفة من الصحراء الشرقية بعضها على مقربة من البحر الاحمر والبعض الآخر على مقربة من وادى النيل . وعلى الرغم من ان الكميات التى كشف عنها البحث فى هذه المناطق جميعا تكفى فى كل واحدة منها لاقامة صناعة جديدة ، الا ان هذه الصناعة فى حاجة الى الوقود بقدر حاجتها الى خامات الحديد

لذلك بقيت هذه الخامات مهملة اللهم الا أكاسيد الحديد الموجودة قرب اسوان ، فقد استغلها المهندس المعروف الاستاذ لبيب نسيم فى صناعة «الاصباغ» . على ان ما يستغله منها لهذا الغرض لا يعدو ألف طن فى كل عام وهى كمية ضئيلة اذا قيست بملايين الاطنان الموجودة من هذه المادة

الديانة الكنفوشية

(البصرة ــ العراق) محمد احمد التلمسانى

من هو مؤسس الديانة الكنفوشية ، وما هى أهم العقائد التى نادى بها ، وكم عدد الذين يعتنقون هذه الديانة فى العالم ؟

ــ أفرد الاستاذ حبيب سعيد فى كتابه عن أديان العالم الكبرى فصلا عن الموضوع الذى تسألون عنه ، نقتبس منه ما يلى :

■ مؤسس هذه الديانة هو كنفوشيوس وقد ولد سنة ٥٥١ ق.م وكان أبوه ضابطا حربيا توفى ولما يبلغ ولده الثالثة من العمر وخلف أسرته فى فقر . وقد انصرف الغلام كنفوشيوس منذ حداثته الى الدرس والبحث ولا سيما درس آداب القدماء . ولما بلغ أشده عين فى وظيفة

حكومية وأخذ يتقلب فى المناصب بكفاية نادرة. وكان فى خلال تلك السنوات يفكر تفكيرا عميقا فى أحوال بلاده ويكون فلسفته الاجتماعية والسياسية .. وفى نهاية الامر هجر وظيفته الحكومية وانقطع الى وظيفة التعليم

■ ويقال ان كلمة واحدة ـ يشار اليها فى اللغة الصينية بحرف واحد ـ هى التى تلخص كل تعاليم كنفوشيوس ، وهى لفظة « التبادل » اذ يقول ان جوهر الحياة الصالحة ، للفرد وللامة يقوم على حسن أداء الفرد لواجبه ورعايته للروابط التى تربط الناس بعضهم ببعض . وثمة علاقات رئيسية خمسة : علاقة الامير بالرعية ، وعلاقة الاب بالابن ، وعلاقة الاخ الاكبر بأخيه الاصغر ، وعلاقة الزوج بزوجه ، وعلاقة الصديق بصديقه . فان روعيت هذه العلاقات حسن حال الدولة .

■ وقد دارت تعاليم كنفوشيوس الادبية حول الدولة وعلاقة ابنائها بها ، والصفات التى ينبغى ان تتوافر فى مليكها وحاكمها . ولقد استمد مبادئه الادبية من تاريخ السلف . وأراد أن يوطد حياة الامة على تلك المبادىء التى أثبت التاريخ الماضى صلاحيتها . أما عن ضمير الفرد وعلاقته بالله فلم يقل الا القليل

وكان اهتمامه متجها الى علاقة الانسان بالانسان . لقد سلم بعبادة الآلهة الصينية القديمة وكذا عبادة الاسلاف وأباح شيئا من عبادة الارواح لغرض الثقافة الرسمية العامة . ولكن عقله الكبير المفكر امتهن هذه العبادة جملة واحدة ، وخيل اليه أن عبادة القوى غير المنظورة من الامور غير الضرورية اذا قيست بمهام الانسان الاخرى . ومن أقواله « لم نقدر حتى الآن ان نؤدى واجباتنا نحو الانسان فكيف نؤديها نحو الارواح ؟ »

ويبلغ عدد الكنفوشيين فى العالم ٣٥٠٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة

مؤتمر العمل الدولى

(القاهرة) شفيق خليل

ما هى أهم القرارات والتدابير التى اتخذت لحل مشاكل العمال فى المؤتمر الدولى الذى اشتركت فيه مصر ؟

ـ أهم الموضوعات التى عرضت على المؤتمر لبحثها ودراستها :

اولا ـ التوصيات التى تقدم الى الامم المتحدة بشأن السياسة الاجتماعية فى الحاضر والمستقبل

ثانيا ـ نظام التوظف فى فترة الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلم

ثالثا ـ الامن الاجتماعى

■ وقد أقر المؤتمر بالنسبة للموضوع الاول الاقتراحات التى قدمت له وهى تتلخص فى ضرورة الاخذ بنظام التأمينات الاجتماعية والعمل على رفع مستوى معيشة العمال والعناية بالاحداث والنساء ، ومنح العمال المصابين التعويض المناسب لما يحدث لهم من الاصابات ومنحهم اجازات اسبوعية وضمان حرية العمال للاشتراك فى النقابات ، وتهيئة الفرصة للعمال ولاصحاب الاعمال على السواء ليتعاون كل فريق منهم مع الدولة على اعادة تعمير البلاد

■ وأقر المؤتمر أيضا توصية خاصة بتنظيم مكاتب التخديم حتى تقوم بمساعدة الدولة واصحاب الاعمال على استخدام العمال وتوجيههم الى المهن الشاغرة : كما أقر ضرورة تنظيم التعليم المهنى للعمال البالغين وتسهيل انتقالهم من منطقة الى أخرى طبقا لحاجة العمل

■ وقد جاء فى خطبة الرئيس روزفلت لاعضاء مؤتمر العمل الدولى عقب قراقهم من مهمتهم : لقد أكدتم حقوق البشر فى الرفاهية المادية والتطور الفكرى والنمو الروحى . والولايات المتحدة توافق على جميع المبادىء الانسانية التى تنطوى عليها قراراتكم . ويقينى ان جميع الامم المتحدة ستجيز هذه المبادىء وتؤيدها

فهرس الهلال

الجزء الأول من المجلد الثالث والخمسين



مايو ١٩٤٥

الهلال

صاحباها : اميل وشكرى زيدان

رئيس التحرير : اميل زيدان

الجزء الثانى ـ السنة ٥٣

مايو ١٩٤٥ ـ جمادى الأولى ١٣٦٤

عنوان المكاتبات :

دار الهلال : مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt

(May 1945)

قيمة الاشتراك

٥٠ قرشاً فى مصر والسودان

٧٠ « فى الخارج أو ما يعادلها ٣٫٧٥ دولار

١٥/٥ جنيه انجليزى

Subscription Rates : Egypt and Sudan P.T. 50. — Other countries P.T. 75 or £-/15/5 or $3.75.



ربيع الحياة

حورية تدعى « دفن » ، وبجانبها أبولو آله الشعر والجمال والرجولة والموسيقى وقد أدهله جمالها وفتنتها وأسكره شبابها وسحرها . وهذا التمثال من صنع المثال الايطالي لورنزو برنلت [أنظر مقال عقلية الفنان].



بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

أو على الأصح صاحب الجلالة الوهم ، أو صاحبة الجلالة العادة ، اذ لولا الوهم الذى ولدته العادة لتجرد المال من ثلاثة أرباع القوة التى يصول بها الآن ، ولهبط من مرتبة التيجان الى مرتبة النبلاء ، بل الاعيان

فالحقيقة التى لا مراء فيها ان الناس يهابون « مظهر » المال دون ان يبحثوا فى معناه أو فائدته أو الدلالة التى يدل عليها

فصاحب المليون يكفيه المليون ويربى على جميع حاجاته وحاجات أبنائه من بعده ، ولكنه يطلب المليونين والثلاثة الملايين لان الناس يرجحون صاحب الملايين الثلاثة على صاحب الاثنين أو صاحب المليون الواحد ، ويفعلون ذلك وهم لا يحتاجون الى أحد منهم ، ولا يعقدون لهم أملا بهذا أو بذاك ، ولكنه « مظهر » المال يبهرهم من بعيد دون حقيقته ومعناه

وقصة المتنبى تدل على كثير فى هذا المقام :

كان أيام الفقر والخصاصة يطوف بأسواق الكوفة فلمح البطيخ ببعض الدكاكين واشتهاه ، وسأل صاحب الدكان : بكم تبيع هذه البطاطيخ الخمس ؟ فرفع الرجل اليه عينا ثقيلة ونظر الى ملابسه وازدراه ولم يزد على أن قال : اذهب يا صاح . ليس هذا من آكلك .. فصدم هذا الجواب السخيف نفس أبى الطيب فى كبريائها ولجت به الكبرياء فهالت عليه الدراهم وقال لصاحب الدكان : يا رجل! دع ما يغيظ وهات البطاطيخ ودونك عشرة دراهم ثمنا لها وهو أغلى ما تباع به فى هذا الاوان . وانه ليحاوره ويساومه اذ أقبل بعض التجار فأسرع اليه صاحب الدكان وتلقاه قبل ان يبلغ دكانه وقال فى خضوع وملق هذه البطاطيخ من أجود نوعها وهى تستحق مائدتك فهل لك يا مولاى فيها ؟ فقال التاجر دون ان ينظر اليه : احملها الى البيت ولك فيها خمسة دراهم .. فحملها الرجل وترك أبا الطيب يتلفت من الدهشة والعجب ، وظل فى موضعه ليعرف سر هذه الصفقة التى خسر فيها صاحب البطاطيخ نصف ثمنها . فلما عاد سأله ولامه على حماقته التى سولت له ان يجبهه بالكلام السخيف وهو يعرض عليه عشرة دراهم ثم يقبل نصف الثمن ويحمل البطاطيخ الى المنزل فى ذلة وضراعة . فلم يحفل به الرجل وقال وهو يشيح عنه كأنما

يلقى اليه بفصل الخطاب : ويحك ان من تذكر يملك مائة ألف درهم !

قال أبو الطيب : فما زال من همى منذ ذلك اليوم ان أجمع المال الذى يهاب الناس ذويه وهم منهم خاسرون ويعرضون عن الفقير وهم منه رابحون

ولسنا نظن ان أبا الطيب قد صدق فى تعليل بخله ، فان البخل لا يولد فى الطبائع لامثال تلك الاسباب ، ولكنه قد صدق ولا ريب فى تعظيم الناس للغنى ولو لم ينلهم منه خير ولم يكن لهم فى صاحبه مطمع ، لانهم يهابون « المظهر » قبل ان يفكروا فى الفائدة أو الغاية من هذه المهابة

وصاحب المال نفسه لا يستفيد منه لحاجاته وحاجات أبنائه بمقدار طمعه فيه ، واذا قيل ان المال الكثير ييسر للغنى سبل المآرب والشهوات فانما يرجع هذا التيسير كذلك الى المظهر لا الى الفائدة أو الى الحقيقة . فالحسناء التى تستهويها الاقراط والحلى والجواهر لا تؤخذ بها لانها تزيد محاسنها كما تؤخذ بها لانها تظهرها فى مظهر الوجاهة والنفاسة وتسلكها فى عداد العقائل الكريمات ، أو تخيل الى الناظرات والناظرين انها استحقت تلك النفائس لانها أجمل من فلانة التى لم ترزق زوجا أو عاشقا يهب لها الجواهر والاموال

فاذا جردنا هؤلاء الناس جميعا من الوهم الذى ولدته العادة ظهر صاحب الجلالة المال وفى طيلسانه بقعة وفى أكاليله رقعة ، ولم يبهر الانظار ولا وقع ذلك الموقع من القلوب

والذى يزعم انه يجمع المال لابنائه من بعده هو أيضا مخدوع فى عقيدته بينه وبين نفسه ومثله كمثل أبى الطيب فى مسألة البطاطيخ ، فما كان البخلاء من احب الناس للابناء ، بل لعلهم يقسون عليهم فى التربيـة والنفقة قسوة لا تخامر قلوب المسرفين ، ولـكنهم يحرصون على المال أولا ثم يبحثون عن السبب بعد الحرص عليه ، ولو نظروا الى الحقيقة لعلموا بالتجربة والمشاهدة ان عدد الابناء الذين أفلحوا فى حياتهم بغير ميراث أكبر جدا من عدد الابناء الذين آلت اليهم أعظم التركات . فمن هؤلاء من يبدد ميراثه فيما يضيره ، ومنهم من يصونه وينقضى به العمر وهو بمعزل عن تجارب الدنيا قد حرم طعم العيش الذى يلتذه من عرف الآمال والشكوك والمخاوف والجهود ، ومنهم من لا يشعر بحماية الثروة لانه لم يشعر بخطر الحرمان ، وكلهم بعد هذا أقل عـددا ممن يبدأون العمر بالسعى وينعمون فيه بثمرات النجاح

كنت أعرف يونانيا له مكتبة افرنجية بالاسكندرية ، فوجدته يوما يفكر فى تصفية المكتبة والسفر الى افريقية الجنوبية ليبدأ هناك عملا جديدا فى غير الكتب والاوراق . فسألته : ولم تصفى المكتبة وهى ناجحة ولك أبناء لا تأمن عاقبة هذه المغامرة على أرزاقهم حين تشيخ ويكبرون ؟ فقال فى ثقة الرجل الذى يوازن بين الحقائق ويتكلم بالبداهة : اتراني أقضى الحياة كلها على طعم واحد ؟ لقد جربت مصر فلاجرب افريقية الجنوبيـة ، وقد عرفت تجارة الكتب فلاعرف تجارة غيرها . اما أبنائى فانى أوثر لهم أن يعرفوا الحياة من تحت الى فوق ولا يعرفوها من فوق الى تحت . وسأضعهم على أول درجات السلم

واترك لهم هم ان يصعدوا بقية الدرجات

فأيقنت ان يونان التي كانت تخرج سقراط وديوجنيس لم تقفر بعد من بقية تلك الارواح ، وعجبت لنظرة هذا التاجر الى لباب الحياة . ولكنني لم اتهمه بالجنون كما يتهمه أي سامع آخر من رواد مكتبه ، سواء من المصريين أو اليونان

فالحق ان التاجر الفيلسوف كان أقرب الى الحقيقة واجرأ على الوهم من كل سمسار في سوق الاسكندرية ، ومن كل مليوني يملك المليون ويطمع في المليونين أو الثلاثة الملايين

وسيزول سلطان الوهم هذا في يوم من الايام . بل هو قد أخذ في الزوال منذ توقلت النزعة المادية الى قمتها العليا في العصر الاخير

وانما يتكفل بزواله ان القيم الانسانية تتعدد في الحياة الحديثة كل التعدد بنجوة من سلطان الاغنياء . فقد تفتحت ابواب الحياة الحديثة لاناس من الاقوياء بالملكة السياسية دون الثروة والحطام ، واناس من الاقوياء بالملكات العلمية أو الفنية أو الصناعية أو الادبية ، وتعلم الناس ان يوقروا رجالا ونساء كانوا قبل اليوم لا ينالون التوقير الا بما يتلقونه من مال الاغنياء ، وكل زيادة في القيم الانسانية وتعدد لانواعها هو في بعض وجوهه نقص من سلطان صاحب الجلالة المال

وأصبح الاغنياء يحتاجون الى كل هؤلاء وقد كان كل هؤلاء قبل اليوم يحتاجون الى الاغنياء ، لانهم كانوا يومئذ قلة لا يحسب لها حساب

وارتقاء المرأة كفيل من جانب آخر بانتقاص ذلك السلطان المهدد بالزوال ، لان ارتقاءها يربأ بها شيئاً فشيئاً ان تكون سلعة في اسواق الشهوات ، ويجعل للقيم الانسانية المتعددة سبلا شتى الى رضاها بجانب سبل المال ، وقد وجد اليوم من يسرها ان تنتمي الى عالم أو فنان أو شاعر أو أديب ، ولم يكن للغانيات قبل الزمن الحديث فخر بالانتماء الى هؤلاء !

كذلك ينقص سلطان المال كلما توزع في الايدي وضاقت آماد التفاوت بين أغنى الاغنياء وأفقر الفقراء ، فيستطيع صاحب القناعة الفقير ان يعيش مع صاحب الجلالة المال وهو غير مأخوذ برهبة « المظهر » التي أخذ بها بائع البطاطيخ ومن جرى مجراه

وكلما تعود الناس أن يبحثوا عن دلالة المال وفوائده ، وان يقرنوا بينها وبين دلالة المزايا الاخرى وفوائدها هبط صاحب الجلالة المال وارتفع معه رعاياه المتمردون

ولن يزول الوهم من دنيانا هذه في عصر قريب أو بعيد ، ولن يبطل سلطان العادة بين فريق من الناس ، ولكن الوهم تحاربه اوهام والعادة تكافئها عادات ، فلن يستأثر المال وحده بلقب الجلالة ومعه منافسون كثيرون ، وان يهبط المال فيما نحسب حتى يسمى في المستقبل البعيد بالمال المسكين ، ولكنه سيهبط فيما نرجو حتى يهون عليه ضياع التاج والصولجان

عباس محمود العقاد

القاضي بين صوت العدالة ونصوص القانون

بقلم الدكتور عبد الفتاح السيد بك المحامي
رئيس محكمة النقض والابرام سابقاً

العدل هو الغاية السامية التي يجب على كل من ولى القضاء أن يضعها نصب عينيه ، ويجعلها هدفه في كل خطواته . وأن يتخيلها اسمى صفة يتحلى بها مخلوق . وحسبنا أن تكون صفة الاله جل جلاله نتوجه بها اليه خاشعين كلما حاق بنا الضر أو مسنا الشر من بني الانسان

وصوت العدالة ينادى القاضي في جميع خطواته ، ويناجيه في روحاته وغدواته ، فينفذ الى اعماق قلبه فيعمل على تلبية هذا النداء ، ولا يغمض له جفن ولا تقر له عين الا اذا أيقن أنه أجاب طلبته وحقق رغبته فاعتقد أنه أدى رسالته على أكمل صورة وأجمل وجه

القانون ميزان

وما القانون الا تلك القواعد التي رسمها الشارع ليسترشد بها الناس في معاملاتهم ، ويهتدوا بها في علاقاتهم ، ولتكون الميزان الذي تقدر به تصرفاتهم وأعمالهم ، لينال كل ما يستحق ويحاسب على ما قدمت يداه ، ولا ريب في أن كل ما توخاه الشارع في وضعها أن تكون دستورا يتبع لتوزيع العدل بالقسط بين الناس ، وأساسا صالحا لاستقرار الحقوق وطمأنينة البشر . وبهذا صدرت عن الشارع وهو مملوء اليقين بأنها متفقة ومبادىء العدل والانصاف . وبهذه المثابة يكون من واجب القاضي ألا يستنكرها ضميره في التطبيق على الحوادث التي تعرض له والمنازعات التي تطرح لديه لكي يفصل فيها بتقديره الذي يوحيه اليه وجدانه . ومن أجل هذا يجب عليه أن يعلم انه ما ولى القضاء الا على هذا الاساس وهو العمل على مقتضى القانون ونصوص أحكامه

فما اسمى مهمة القضاء وما انبلها مقصدا ، وكل ما على القاضي في سبيل حسن القيام بها على الوجه الذي يرضى منه الضمير الا أن يكون ملما بأحكام القانون ، عالما بأغراض الشارع ، سليم التقدير ، وأن يبذل الجهد في تحصيل وقائع الدعوى وتفقه موضوعها والاحاطة بظروفها ، وأن يطبق على ذلك كله حكم القانون العادل . ولا شك في أن القاضي اذا أدى رسالته على هذا الوجه ارتاح منه الضمير واطمأن الخاطر ، ولا شأن له بعد ذلك أن يكون القانون قاسيا في حكمه أو متراخيا في نصه . فالقانون هو القانون

ليس من حق القاضى أن يحيد عنه بل يجب ان يوطن النفس على الارتياح اليه ويروضها على احترامه ونفاذ مفعوله حتى لا يعتريه الاضطراب فى عمله ويستولى عليه القلق فيكون لذلك أسوأ الاثر فى نفسه وفى قضائه

وثمة أمر آخر هو مهمة القاضى فى تفسير نصوص القانون وتعرف روح الشارع وغايته من وضع الاحكام . وهى لعمر الحق مهمة دقيقة غير هينة يسترشد القاضى فى القيام بها بعبارة النص أولا ثم بظروف اصداره وبمذكرته الايضاحية وبالمناقشات التى جرت حول اقراره من الهيئات النيابية وغير ذلك ، ولا غاية للقاضى من وراء هذا كله سوى اطمئنانه الى قضائه الاطمئنان التام

دستور القضاء فى رسالة عمر

ويجمل بى فى هذا المقام ان أشير الى رسالة الخليفة عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس حين ولاه قضاء الكوفة فهى والحق يقال رسالة قيمة قمينة بأن تكون دستور القضاء ، فاذا ما وعاها قلب قاض واستقرت مبادئها فى نفسه سار فى عمله قوى العزيمة مرتاح الضمير ـ وهاك نص هذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس : « سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . فافهم اذا أدلى اليك الخصمان ، وانفذ اذا تبين لك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، وآس الناس فى مجلسك وفى وجهك وقضائك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حلل حراما أو حرم حلالا ، ومن ادعى حقا غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه ، فان بينه اعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية ، فان ذلك هو أبلغ للعذر وأجلى للعمى ، ولا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق ، فان الحق قديم لا يبطله شىء ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه شهادة زور أو مجلودا فى حد أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ، ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الامور عند ذلك واعرف الامثال ثم أعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق

« واياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصوم ، فان القضاء فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر ، فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله ، فان الله

تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله »

لا غرو أن هذه الآيات البينات لجديرة بأن تحفظ عن ظهر قلب ويترسمها القاضى فى قضائه ويتخذها نبراسا له فى عمله ولا شك انه ان فعل ذلك اطمأن منه الخاطر فى قضائه

لقد كانت تجاربى فى حياتى كقاض ان استلهم ضميرى الحل العادل ثم أبحث عن التطبيق القانونى واستطيع أن أؤكد أنى كنت أجد من نصوص القانون واجتهادى فى تفسيرها ما يساعدنى على وجهة النظر التى ارتحت اليها

حدث لى . . .

حدث لى وأنا قاض باسوان فى سنة ١٩١٣ أن قضيت فى دعوى بناء على ما فسرت به حكم القانون تفسيرا ارتاح اليه ضميرى وبعثت بصورة من الحكم الى ادارة المجموعة الرسمية لكى ينشر بها كمبدأ قانونى ولكنه لم ينشر مع أن حكما آخر كنت بعثت به بعده فنشر ، ثم حدث أن عرض على مرة أخرى مثل النزاع السابق الفصل فيه فاتبعت المبدأ ذاته وبلغت بى جرأة الشباب حينذاك ان بعثت بصورة من الحكم الى ادارة المجموعة طالبا منها النشر أو الجبارى بالمانع ، فجاءنى الرد من الرئيس المختص بان كلتا الصورتين وصلتا وان السبب فى عدم النشر كان عدم مشاطرتى ما ذهبت اليه فى التفسير ولو أن ما قضيت به هو عين العدالة . ولقد كان اغتباطى بالغا أشده بهذا الرد وعددت نفسى سعيد الحظ فائزا رغم عدم نشر الحكم واذاعته بين رجال القانون . وبقيت متبعا المبدأ ذاته ما دمت قد ارتحت اليه ، ووجدت من تفسيرى لنص القانون ما استند اليه . ولم يغير من اقتناعى بصدق التفسير المتفق والعدالة انى لم أحظ من قبل المنوط به اختيار الاحكام المقررة لمبادىء باقرار نشر الحكم ، اذ له شأنه فى عمله أما أنا كقاض فحسبى ان أوفق بين الحق والقانون ولا رقيب على فى ذلك سوى ضميرى ووجدانى

وتقدمت لى وأنا فى مستهل حياتى القضائية امرأة تطالب شخصا بدين ولم يكن لديها دليل كتابى وكان المبلغ يزيد على ما يجوز اثباته بالبينة ، ولاح لى من خلال روايتها انها لا بد أن تكون صادقة القول وان خصمها خبيث ماكر ، فلو أنى طبقت حكم القانون على عجل لحكمت برفض الدعوى على مضض ، ولكنى آثرت التريث وفكرت فى الامر مليا ثم رأيت ان القانون يملى على القاضى فى مثل هذا الظرف طريقة استجواب الخصمين، فحددت جلسة لمناقشتهما فى ظروف الدعوى ، وما بينهما من صلات ومعاملات لعلى آنس من هذا رشدا ، ومن حسن التوفيق ان نقاش الطرفين والاخذ والرد بينهما ، اسفر عن نتيجة مرضية هى امكان اعتبار ما أجاب به المدعى عليه مبدأ ثبوت بالكتابة . فكان هذا مفتاح الفرج الذى امكننى به احالة الدعوى الى التحقيق ، فأتت المدعية بشهود صادقين

قرروا ان لها فى ذمة غريمها المال الذى تدعيه ، وعجز المدعى عليه عن النفى. وعندئذ ارتاح منى الضمير واطمأن الخاطر واصدرت الحكم على هذا الاساس

وعرضت لى دعوى ، وأنا قاض بمحكمة العطارين ، كان المدعى فيها يستند الى عقد ارتكب فيه تزوير بطريق التحشير ، وكان التزوير خفيا لا تستطيع العين ادراكه بسهولة ، ولم يكن من مصلحة المدعى عليه اظهاره والتحدث عنه رغم انه كان عالما به كل العلم ، وان هذا لحقا حادث غريب فى الخصومات ان تتفق المصلحتان المتعارضتان على عدم الكشف عن التزوير المختبىء الواقع من أحدهما فى تعاقد بينهما

حرت فى حل هذه الدعوى الغامضة ، ولم يرتح ضميرى لتطبيق حكم القانون على ظاهرها ، فاحجمت عن سرعة الفصل فيها ، لعل الله ينير بصيرتى ويلهمنى الصواب فى فك لغزها . واعتزمت اذا لم أوفق ، ان أدعو الطرفين لدى فقد أصل الى الاصلاح بينهما تفاديا من اصدار حكم لا يرتضيه ضميرى . ولكن طول البحث هدانى الى العثور على هذا التحشير الدقيق ، واذ صرفت النظر عنه فى تقديرى ، استقامت لدى وقائع الدعوى، وفاز حكم القانون بحسن التطبيق ، واطمأن الخاطر وارتاح البال

دهش الخصوم لما تكشفت عنه بصيرتى حين كانت لهم جميعا مصلحة فى بقاء الامر خافيا على ضمير القاضى ، ولا شك ان الغرض مرض يعمى ويصم وقد استغرب المحامون فى الدعوى كيف انى وصلت الى هذه النتيجة ، وما دروا انه ضرب من ضروب الجد والمثابرة لا أكثر من ذلك . ومما هو جدير بالذكر انى بعد ان انقضى على هذا الحادث نحو من ثلاثين عاما لقينى محام قديم ذو ماض ناصع جليل — وقد كان ممارسا مهنته فى الثغر السكندرى مهبط رأسى واول أرض مس جلدى ترابها — اعاد لى ذكرى هذه الدعوى فى معرض التحدث عن اجتهادى وأنا فى شرخ الشباب فشكرته على هذا المديح شكرا جزيلا رغم انه احيا لدى ذكريات مضت عليها عشرات السنين ، وبعث فى نفسى التحسر على شباب ولى وأدبر ، ورغم ان مديحه أصبح عديم الاثر منتفى الثمرة بعد ان قطعت مرحلة المناصب الحكومية ، وسلكت سبيل الحياة الحرة وأصبحت محاميا ، اذ عز على هجر دور القضاء فآثرت ان استمر مساهما — من طريق آخر — بقسط متواضع فى هذا الصرح الشامخ الذى تفخر به مصر وبنوها

أحكام القانون تيسر التصرف

ومحصل القول أن أحكام القانون كفيلة بأن تيسر للقاضى سبيل التصرف بما يريح وجدانه ، فله فى القضاء المدنى امهال المدين المعسر فى تنفيذ التزامه ، والتوفيق بالصلح بين المتخاصمين ، اذا ما قام الشك لديه وأراد ارضاء الطرفين عن طريق حل وسط ، وله عرض اليمين المتممة ، وله اذا عز النص أن يلجأ الى مبادىء العدل لحل الاشكال المعروض

عليه ، وله فى الدعاوى الجنائية الحكم بالبراءة اذا انعدم لديه الدليل أو ضعف ، وتخفيف العقوبة بقدر المستطاع اذا رأى فى ظروف الدعوى ما يسمح بذلك ، وله وقف التنفيذ فى كثير من العقوبات . ومتى اتسع نطاق التطبيق لاحكام القانون الى هذا المدى الفسيح ، أمكن القول بأن ضمير القاضى قلما يصطدم بهذه الاحكام

وعلى كل حال فان القاضى ليس الا مطبقا لارادة الشارع منفذا لأوامره ونواهيه . فاذا ما تملكه هذا الشعور ، أصبح بعيدا عن الحرج مرتاح الضمير فى قضائه ، بحيث لايثور على القانون ثورة تجعله يحيد عنه أو ينحرف عن نصوصه وما يمكن ان تؤدى اليه

وهب ان ضمير القاضى اصطدم بحكم القانون وحاول الاطمئنان الى تطبيقه فلم يستطع الى ذلك سبيلا ، فهل له أن يثور على القانون ويخالف نصه الصريح ؟ الجواب فى نظرى كلا . فالقانون هو القانون واجب الاحترام على كل حال . وحسبى هنا أن أردد ما جاء فى كتاب الأستاذ راتسون القاضى بحكمة السين « فن القضاء » الذى نقله الى العربية فى أجمل صورة زميلى الفاضل محمد رشدى بك فقد جاء بالترجمة بصحيفة ١٤٢ ما يأتى :

« ان القاضى ممنوع لاى سبب كان من أن يتناول النص القانونى بالطعن والتجريح فى حكم من أحكامه ، انه خادم القانون وأول واجب عليه هو تطبيقه . فاذا رأى يوما ان هذا الواجب لا يتفق وذمته فليعتزل القضاء وان كان فى ذلك تضحية شاقة »

ولست أجد فى هذا الرأى تطرفا كما لاحظ زميلى المترجم ، لان قاضيا هذا مثله فى حكم النادر ، ففى اعتزاله القضاء راحة له وراحة للقانون ، والراحتان مطلوبتان لاطمئنان الناس الى احترام القانون وعدل القضاء

عبد الفتاح السيد

الحياة الزوجية

- الزواج قوام العالم وهو الذى يبنى المدن ويملأ البيوت والمعابد « تلر »
- الزواج حصن حصين يتمنى الذين يقيمون بداخله الخروج منه ، والخارجون عنه الدخول فيه « حكمة يابانية »
- من كانت له زوجة وأولاد فقد أعطى الرهائن للاقدار لانهم عقبة فى طريق كل عمل عظيم للخيرات كان أو للشرور « باكون »
- ان الزوجة هى الصديق الذى تمنحه الآلهة للرجل « من قصيدة هندية »
- اذا كنت قد شعرت فى هذه الحياة بشىء من السعادة ففى الاوقات التى قضيتها فى بيتى مع زوجتى وأولادى « قاسم أمين »
- لا يمكن للرجل أن يحيا حياة فاضلة ما لم تكن بقربه زوجة « رشستر »

هل غيرت المدنية طبيعة الأفراد والجماعات

بقلم الدكتور أمير بقطر

قد يحمل الرجل المتدين في مخه مصباحا مضيئا ،
ولكن غرائزه الاصلية لا تزال تتحرك في ظلام دامس.
ومن هذا الظلام يستمد المرء نشاطه واتجاهاته وحيويته

يحمل الانسان بين جوانبه ، أسوة بسائر الحيوانات ، بقايا الاسلاف والإجداد في كل شيء ، ومنها الحياة العقلية أو النفسية . ومن أهم العوامل التي تعين الانسان على التطور والارتقاء من الناحية العقلية ، تفهم الطبيعة البشرية ، أي التوغل في أعماق الحياة النفسية واغوارها الدفينة ، التي منها تستمد الدوافع والميول والرغبات . وفي مقدمة القوانين الطبيعية التي تسري على الأفراد والجماعات ، ان التطور اما ان يتقدم بصاحبه الى الامام ، أو أن يرجع به الى الوراء . ومعنى ذلك انه لا يوجد هناك طريق ثالث ، اللهم الا الانقراض والزوال من الوجود . وما يقال في هذا الشأن عن الانسان ، يقال عن سائر الحيوانات حتى أحطها مرتبة . فالحيوان ذو الخلية الواحدة ، كالاميبا مثلا ، قد زودته الطبيعة بالدوافع والغرائز ، التي تعينه على اظهار شخصيته الى أقصى حد تسمح به البيئة . وقد يفنى في هذا السبيل ، أو يتخطى جميع الحواجز والعوائق

والجماعات كالأفراد ، مآلها التطور — الى الوراء أو الى الامام — والا فنصيبها الانقراض والزوال . أما لماذا لا يكون ثمة طريق ثالث — الثبات والجمود أي الوقوف — فلان البيئة في تغير مستمر ، وعلى الأخص المدنية الحاضرة . وهذا ما يدفع بالامم الراقية أن توالي تعديل دساتيرها ، وقوانين محاكمها ، ولوائح أحزابها وأنديتها ، وجماعاتها ومنشآتها ومؤسساتها ، ومناهج التعليم فيها ، وفلسفاتها العامة — حتى الدينية منها — وفقا لمقتضيات الاحوال . وما يقال عن الجماعة ينطبق على الفرد ، فهو كالحيوان ذي الخلية الواحدة ، اذا عاش في بيئة أجنبية عنه ، أصبح خبيثا ، ولا سبيل للابقاء عليه . وما السرطان الا مجموعة من الانسجة التي تتألف من خليات لا تمت لما حولها من الأنسجة بصلة

مدى التطور الانساني

يقول العلماء انه ليس من المحتمل ان يتطور جسم الانسان ، ولكن لا بد من تطور

حياته النفسية . ومما يتطلبه هذا التطور التعاون بين الافراد والجماعات . ولا يقصد به التعاون التلقائي الفطري الذي يشاهد في النمل والنحل والذئاب وبعض الطيور ، وانما يقصد به التعاون الارادي ومصدره العقل والتفكير ، لا العاطفة والوجدان . والانسان في حالته الراهنة ، أقوى وجدانا منه عقلا ، أي انه اذا تنازع العقل والوجدان السلطة والسيادة ، انهزم العقل في الغالب . والسبب في ذلك ان مراكز التفكير العليا في الجهاز العصبي ـ الغشاء السحائي في المخ ـ أحدث في الخليقة من مراكز الوجدان « تلامس » . وكلما كان العضو حديثا في خلقه ، كان أشد تأثرا بالعلل والأمراض ، ولذا يرجع الانسان في تفكيره الى الحياة البدائية الفطرية ، كلما أصابته علة بدنية أو صدمة نفسانية

وفي الواقع أن الانسان البدائي فينا يحاول التحكم في تصرفاتنا ونواحي نشاطنا ، كلما عجزنا عن ضبط أنفسنا والتحكم في عواطفنا عن طريق العقل . وتبدو الطبيعة البدائية الفطرية فينا عند ما توحي الينا النفس الابتكار ، خصوصا في الفنون الجميلة . ألا نرى في الكثير من الشعر وعيون الادب ، والموسيقى ، والرسم ، والتصوير ، وصناعة التماثيل ، والرقص ، والتمثيل ـ ألا نرى في هذه كلها شذوذا عن المألوف ، وخروجا عن العقل والمنطق ـ والتقاليد أحيانا ـ ومع ذلك نولع بها وتستسيغها ؟ ولم تعرض هذه الفنون في صور معوجة ، تقبلها العاطفة ويعشقها الذوق ، ولا يسلم بها العقل ؟ لأنها صورة طبق الأصل لوجدان صاحبها ، أي اللاشعوري ، أو عقله الباطن . وهذه المبتكرات التي يبدع رجل الفن في اخراجها ، من أهم ما يعين المحلل النفساني على تفهم نفسية صاحبها

وهناك أدلة مادية تعزز القول بأن الانسان لا يزال يعيش على حالته الفطرية الى حد كبير . مثال ذلك انه حينما كان من ذوات الاربع ، كان يعتمد على حاسة الشم في تفهم الاشياء ، كالكلب . ولما ارتفعت قامته ، بعدت الروائح المنبعثة من الارض عن انفه ، فقلت حاجته اليها وانحطت حاسة الشم ، حتى كادت تكون عديمة النفع عنده ، في حين ان هذه الحاسة عند الكلب تكاد تكون العامل الرئيسي في ادراكه الاشياء ، ولذا تحتكر نحو ثلثي المخ . ولكن بالرغم من كل هذا ، فان جميع العمليات العقلية في الانسان الى يومنا هذا متجمعة في المخ حول مركز الشم . وكما ان علم الجيولوجيا يدلنا على ان الارض التي نعيش عليها تتكون من طبقات ، فكذلك علم النفس يبين لنا ان المخ البشري يتألف من طبقات ، السفلى منها لا تزال حيوانية أو شبه حيوانية « Sub-human strata » وهناك ما يحمل على الاعتقاد ان الذكريات مرتبة في المخ ترتيبا يتفق وهذه الطبقات حتى في المراكز العليا منها . مثال ذلك ان الرجل الذي يلم بلغتين ، لغة بلاده ولغة أجنبية ، ويصاب مخه في حادث من الحوادث ، ينسى اللغة الاجنبية ، ولا ينسى لغة بلاده ، فاذا كانت الصدمة أو الاصابة قوية نسي كليهما

ولا يفهم مما تقدم ان الانسان يعيش بالفطرة كالحيوان ، وانما نعني ان الكثير من حياته لا تزال فطرية . بيد ان الفرق بين غرائز الحيوان وغرائز الانسان ، ان الاولى كاملة

التكوين ، بعكس الغرائز الانسانية . مثال ذلك أن البعوضة تلدغ بعد ولادتها بثوان . وقد رأى كاتب هذه السطور حديثا خنزيرة تلد ثمانية عشر خنزيرا ، فكان من أغرب المناظر ان الصغير لا يكاد يهبط الى الارض حتى يهرع فى ثوان - لا فى دقيقة - الى ثدى يرضع منه . ولم يهبط آخر خنزير حتى كانت الثمانية عشر جميعها عالقة بأمها ترضع . وقد رأينا منذ سنوات فى واجهة حانوت تجارى فى لندن آلة كهربائية للتفريخ فى عيد الفصح ، وكان الجمهور يشاهد فيه الكتكوت يفقس من البيضة وبعد دقائق يرونه يقاتل كتكوتا آخر يفقس من بيضة أخرى ، لان كلا منهما كان ينافس الآخر فى التقاط الحنطة، وقام قابيل على أخيه هابيل وقتله

لقد تطورت آراؤنا بتطور العقل ، وبذا نكون نحن اليوم غير أسلافنا بالامس . أما فيما يتعلق بوجداننا وعواطفنا ، فان المادة المصنوع منها الانسان لا تزال القرد ، على حد تعبير العلماء . قد يحمل الرجل المتمدين فى مخه مصباحا مضيئا ولكن غرائزه الاصلية لا تزال تتحرك فى ظلام دامس ، ومن هذا الظلام يستمد المرء نشاطه واتجاهاته وقوته المحركة وحيويته

تطور الجماعات

الجماعات فى تطورها كالافراد . فكما ان هناك تصادما فى تطور الافراد ، فان هناك كذلك تصادما فى تطور الجماعات. وترجع أهم النزاعات الدولية الى هذه الحقيقة، ألا وهى ان الجماعات لا تصل الى مستوى واحد من التطور فى وقت واحد . ومن أشد العوامل أثرا فى تأخر الافراد والجماعات ، الماضى . فالماضى عقبة فى سبيل تطور الافراد وتقدمهم لأسباب خاصة بالوراثة . والماضى عقبة فى سبيل تطور الجماعات لاسباب تتعلق بالتقاليد والعادات والاديان وغيرها من الاشياء المكتسبة . ويمكن القول باختصار ان اسباب التأخر فى كلتا الحالتين الوراثة . كل ما هنالك انها فى حالة الفرد وراثة بيولوجية ، وفى حالة الجماعة وراثة اجتماعية . ومن أغرب ما قيل فى هـذا الصدد ، وأبدعه تعبيرا عن سيكولوجيا الجماعات ، ما ذكره العالم الاجتماعى « ليونرد ولف » ، من ان فلسفة الجماعة واتجاهاتها ، ما هى الا آراء موتاهم ، ورغباتهم ، وأمانيهم ، وعقائدهم . وهى آراء مختمرة متبلورة ، متحجرة ، مخزونة فى ثنايا الزمان وتاريخ هذه الجماعة . وقد عرف بعضهم العقيدة - فلسفية كانت أو سياسية أو اقتصادية - بأنها ما يتلقاه الاحياء من الأموات فى صورة أوامر ونواه

والامم فى تطورها ، أسوة بسائر الجماعات ، تصطدم اليوم بقوتين متضادتين . وهما القومية المتطرفة ، والدولية

ويرى المفكرون نتيجة هذا التنازع بين القوتين فى ظاهرة غريبة ، تشبه أعراض المرض عند المصابين بالعلل العصبية أو النفسية . وذلك انه بينما توجد حواجز طولية

تفصل حدود المملكة عن سواها فى أوربا ، اذا بنا نرى السياسيين قد اخترعوا حواجز عرضية عكسها ، واعنى بها نوع الحكم — نازى ، فاشى ، شيوعى ، ديمقراطى . ويقول علماء النفس ان هذا دليل على ان النظام الدولى كالافراد المصابين بالهستريا أو غيرها من الامراض العقلية ، وما هذا النظام سوى نتيجة لازمة لرغبات طبيعية مكبوتة

هل الانسان منطقى بالطبع ؟

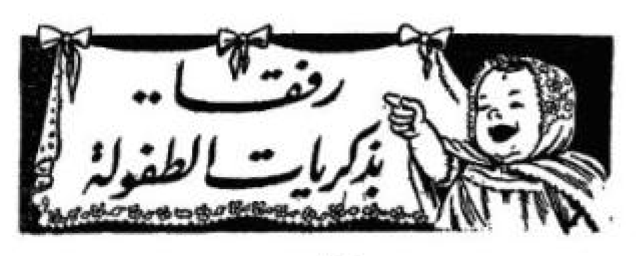
من الاقوال المأثورة أن الانسان منطقى بالطبع ، على ان الواقع يخالف ذلك . اننا بهذا القول انما نعبر عن رغبة وأمل ، لا عن حقيقة واقعة . وأقصى ما يمكن أن يقال ان الانسان فى طريقه الى ذلك، وهو طريق طويل شاق ، يستغرق مئات الالوف من السنين. ومن الغريب ان الانسان يصعب عليه ان يبلغ هدفه فى الحياة بغير المنطق ، وبالرغم من ذلك لا يلجأ اليه الا مضطرا ، أى متى كانت هناك منفعة وشيكة دانية . أما فى غير ذلك فهو أسير عواطفه وشهواته ، ساذج ، سهل التصديق ، قابل للايحاء الناتج عن طبيعته وغرائزه ، أو من أشد المصادر بعدا عن الحقيقة وأقربها للريبة والشك

وكما ذكرنا فى الكلام عن الجماعات ، يرجع الكثير من سذاجة الانسان وقابليته للايحاء الى الآراء والعادات والمعتقدات التى يتركها السلف للخلف فيأخذها هذا قضية مسلمة . ويقول العلماء ان فى مقدمة الاسباب التى تحمل المرء على قبول هذه الآراء ، واطاعتها طاعة عمياء ، بقايا عوامل الوراثة (genes) الكامنة فى جسمه ، المنحدرة اليه من اجداده وأسلافه . وعوامل الوراثة هذه هى التى تجعل للموتى هذا السلطان القوى على الاحياء، فتفرض عليهم أوامرهم فرضا ، أو كما قال صمويل بطلر ، ان مخلفات الاجيال وارثها المتراكم تجعل السلف يعيش فى الخلف ، وكأن صوتا بعيدا، خافتا رهيبا ، يخرج من قبور الأجيال الخالية مناديا متوسلا آمرا ناهيا « افعل هذا ، لا تفعل ذاك . لقد فعلنا هذا ، ولم نفعل ذاك ، فكان النجاح حليفنا »

ولما كان العقل أحدث من العاطفة فى الخليقة كما سبق القول ، فان الانسان لا يزال يلجأ للسحر والشعوذة والتنجيم والزار وغيرها من الاشياء التى لا يقبلها المنطق . وليس هذا مقصورا على الجهلة ، ولكنه يشمل سواهم من الذين نالوا من التربية قسطا وافرا . وتعزى مقدرة الدجال والسحار وغيرهما على التأثير فى الرجل المثقف أحيانا ، الى ان هؤلاء يرجعون بنا الى الحياة البدائية ، وهى ليست بعيدة عنا . ومن اسهل الامور عند حلول الازمات ان يفقد الانسان توازنه ، فيخرج العقل البدائى من الكهف الذى حاول التطور ان يسدل عليه الستار فيه ، ويعود صاحبه الى الانسان الاول — أو الحيوان أحيانا — وكأنه لم يتعلم من حضارة الأجيال حرفا واحدا

والخلاصة ان المدنية لم تغير من طبيعة الافراد والجماعات الا قليلا

أمير بقطر



بقلم أم أميركية

اذكرى أيها الأم ، واذكر أيها الأب ، ان ابنكما سيفيق يوما من حلم الطفولة ، واذا به فى يقظة الرجولة يستعرضكما فى مخيلته ، وينشر ماضيكما كما ينشر الوارث أوراق مورثه

ذكريات الطفولة ، سعيدة كانت أو مؤلمة ، ترافق صاحبها مدى الحياة ، فرفقا ببنيك وبناتك ، واعلم ان كل عبارة ، أو حادثة ، أو ثورة غضب ، أو نشوة فرح ، تحفر فى جهاز الطفل العصبى اخدودا ، وتسجل فى كتاب الحياة آثارا ، تبقى معه ما تمشت أنفاسه فى صدره . لقد دلنى الاختبار — كما دلنى العلم الحديث — على أن الذاكرة عند بنى الانسان واسعة الحيلة ، ماكرة ، مخادعة ، فوق انها فى كثير من الأحوال مزعجة ، تعكر الصفاء ، وتبلبل الوجدان . قد تسمع لحنا شجيا ، أو صياحا مزعجا ، أو جملة عارضة ، لا اهمية لها فى الظاهر ، وتمر باطوار الطفولة والشباب والرجولة ، وتطوى مرحلة من مراحل الكهولة أو الشيخوخة ، وفى طرفة عين يجول فى خاطرك ذلك اللحن الشجى ، أو ذاك الصياح المزعج ، أو تلك الجملة العارضة ، التى طرقت اذنيك وانت بعد فى المهد صبيا ، فلم تعبأ بها أو تعرها ذرة من العناية ، بل ربما لم تدرك لها معنى فى ذلك الحين

***

سمعت أمس لحنا تذيعه محطة الاذاعة على اجنحة الاثير ، فطافت بى صورة جميلة من صور الطفولة ، وشعرت بذلك الدفء الذى يسرى فى جسم الطفل ، فيشع من وجهه نور الغبطة ، وترتسم على فمه تلك الابتسامة الطاهرة العريضة ، التى يزدان بها الصغار . تمثلت أمامى فى تلك الصورة والدتى ، تلعب أناملها بأوتار البيانو ، وعلى مقربة منها أبى يطالع صحيفة الاحد المسائية أمام المدفأة ، وأنا اداعب دميتى الجديدة قبل ان يرخى الليل سدوله ، فتحملنى مربيتى الى سريرى . فيا لهذه الذاكرة ، كيف استطاعت ان تنشر صفحة

الماضي المطوية ، في هذا الثوب القشيب الواضح ، بعد ان مضى عليها عشرات من السنين ؟

لم يخطر ببال أمي في ذلك اليوم ، ان تلك الأنشودة التي عزفتها على البيانو ، ستترك ذلك الأثر في نفس ابنتها الصغيرة ، ولم يخطر ببالها ان تعزف لحنا خاصا ، ولكن العقل الباطن لا يهمه هذا أو ذاك ، وسواء عنده أكانت الحوادث مقصودة ، أم جاءت عرضا ، وانما كل ما يهمه أن يحتفظ بالذكريات ، السيئة منها والحسنة ، ويغلق عليها الابواب والنوافذ ، ولا يفرج عنها الا في مناسبات خاصة ، وقد يكون ذلك بعد سنوات طوال

***

وكثيرا ما تزعجني غرائب الذاكرة ، فأفكر في مصير أبنائي وبناتي الصغار ، وأسائل نفسي : ترى هل تستطيع — زوجي وأنا — ان نهيىء لاولادنا ذلك الجو البيتي السعيد ، الذي من شأنه ان يثير في نفوسهم تلك الذكريات ، فيشعرون بالدفء الذي يسري في أجسام الاطفال ، ويشع في وجوههم أنوار الغبطة ، ويرسم على أفواههم البسمات الطاهرة البريئة ؟ ولعل هذه الفكرة هي التي تحدو بنا ان نجلس أمام الموقد كل مساء ، نستمع للمذياع ، ونقص على الاطفال الاحاجي قبل أن يأووا الى فراشهم ، بدلا من ان نهرع الى دور السينما ، أو نقيم الولائم لاصدقائنا ومعارفنا . ولعل هذه الفكرة هي التي توحي الى الغناء والصفير اثناء تأدية اعمالي المنزلية — وأولادي مولعون بالغناء والصفير — ومن يدري ، لعل تلك الاغاني ، بعد عشرات من السنين ، ترجع بهم الى الطفولة والبيت ، وتعيد اليهم ذكريات بديعة سعيدة !

هذه البسط الغالية ، وهذه الاواني الفضية التي تزين المائدة ، وهذا الاثاث الفاخر ، وذلك المال والعقار — يظن الناس ان هذا كل ما ينتقل من السلف الى الخلف جيلا بعد جيل . كلا ! ان جو البيت : أحاديثه الساحرة ، ولياليه الجياشة ، وصرخاته المجلجلة ، وحوادثه ، المرحة منها والمروعة ، كلها آثار خالدة ينقشها الآباء والاجداد على صفحات الابناء والاحفاد ، رضوا بذلك أو لم يرضوا

***

أتدرين أيتها الام ان ما سيذكره ابنك في مستقبل حياته من الطعام الذي تقدمينه له على المائدة ، لن يكون مقصورا على جودة الطهي أو سوئه ، ولا على وفرته أو قلته ، وانما سيشمل ما هو أهم وابقى ، ألا وهو حديث المائدة ؟ هل تتبادلين الناس في حديثك ، وتشكين وتتألمين ، وتتذمرين وتختصمين ؟ اذن ، سيغتاب ابنك الغير في حديثه على المائدة بعد عشرات السنين ، وسيشكو ويتألم، ويتذمر ويختصم، ويمزج الطعام بالعلقم، والشراب بالسم المذاب . أم تجعلين فترة تناول الطعام متعة سارية ، يتناول فيها أفراد الأسرة اعذب الاقوال وأشهاها ؟ اذن ، سيتناول ابنك طعامه بعد عشرات السنين على مائدة تسرد فيها

أعذب الاحاديث واشهاها ، وتستحيل فيها فترة تناول الاكل وليمة فاخرة ، يمزج فيها الطعام بالمرح ، والشراب باللهو والمزاح

تتفقين معي ان في حجرة المائدة يجمع شمل الاسرة ، وتعذب أحاديث أفرادها ، ولكنك تعترفين كذلك ان فيها يلقى كل منهم قبيله . فالوالد يحمل معه من مكتبه حقيبة الهموم ، ويخرج منها كومة من الاحقاد والاغلال ، ويد مرتعشة واعصاب متصدعة ، يبسطها بين الاقداح والاطباق. والام تبث شكواها من الاطفال والخدم وتصرفات الزوج، وهي تختنق بالعبرات . والاخ يقيم الدعوى على أخيه واخته ، ويطالب بتوقيع الجزاء مضاعفا . أتعلمين أن الاطفال الأبرياء قد ينسون هذه الهنات في بادىء الامر ، ولكنها لن تلبث ان تبعث من خفايا النفوس وبواطنها ، فتلقى على وجوه اصحابها كلفا من الوجوم واليأس ، والنظر الى الحياة بمنظار حالك السواد؟ كم من الامهات لا هم لهن سوى اسكات اولادهن وكم أفواههم ؟ وكم من الآباء ، لا يكاد الواحد منهم يدخل البيت حتى يدفن وجهه في صحيفة المساء ، ولا يرفع منها رأسه ، الا وهو يصدر لاولاده البلاغ النهائي تلو البلاغ ، منذرا ومهددا ومطالبا بالسكوت التام ، والا فحرمانهم من الحلوى ومصروف الجيب ؟

***

وهذا يؤدي بنا الى الحديث عن العقاب والثواب . ان الطفل لا ينسى العقاب ولا ينسى الثواب . قد يكون العقاب رادعا ، وقد يكون في القصاص حياة ، طالما كان ملائما لمقتضيات الاحوال نوعا وزمانا ومكانا ومنطقا . فاذا ما لم يكن كذلك ، كانت العقوبة اهانة للطفل لا تمحى ، وهدرا لكرامته وتحقيرا ، تتابعه كالظل طول حياته . العقوبة في غير مكانها وزمانها ، والتي لا تتفق والذنب ، شدة وصرامة ومنطقا ، من اسوأ الذكريات وانفذها ايلاما . وقد تترك في نفس الطفل عقدا نفسية يصعب التغلب عليها . ولو علم الوالدون شيئا مما يلاقيه الاطباء النفسانيون من عناد هذه العقد ، في معالجة مرضاهم ، لفكروا كثيرا وضبطوا اعصابهم قبل انتهار أولادهم أو تقريعهم أو توقيع العقوبة عليهم . ان العقوبة ككل شيء آخر في حياة الاطفال ، تتبع قانون الاسباب ومسبباتها ، وعلى هذا القانون يتوقف كونها آيلة للهدم أو للبناء

وهناك الاعجاب والتقدير ، وهما من أهم ما يعلق بذهن الطفل . ان الكبير يعني بالاطراء والمديح اذا ما أتى عملا جديرا بالاطراء والمديح ، أفلا يكون الطفل بطبيعته أشد ميلا لذلك من أبيه أو أمه ؟ كم تتألم الزوجة اذا لم يثن الزوج وغيره من أفراد الاسرة ، على لون من ألوان الطعام ، تعبت في اعداده ، أو على ثوب من الثياب تعبت في تفصيله وحياكته ؟ أفلا يتألم الطفل اضعاف ذلك اذا لم يثن عليه أبوه أو أمه أو كلاهما ، اذا نجح في الامتحان ، أو حاز درجات ممتازة ، أو نال جائزة لتفوقه في لعبة رياضية ، أو لسرده قصة طلية في نظره ؟ ان الام ــ أو الأب ــ التي تهمل التعقيب على نكتة لطيفة

بدرت من ولدها ، أو تتجاهل عملا جديرا بالثناء أتاه ولدها ، انما تصب ماء باردا على جذوة متقدة من الذكاء والنشاط والثقة بالنفس فى صدره ، وتترك فى نفسه ألما وحزنا وحسرة ، تثبط من همته بعد ذلك بعشرات السنين . الام الحكيمة لا تفوتها فرصة ، تبعث فيها بكلمة ثناء فى أوانها لاصغر اطفالها سنا ، وبذلك تغذى ذلك اللهب الصغير الخافت ، بنسيم رقيق عليل ، فلا يلبث هذا اللهب الخافت ان يصبح على مدى الايام نارا تتأجج

وهناك شىء آخر يهجس بخاطر المرء بعد فوات عهد الطفولة بسنوات كثيرة ، واعنى بذلك تبادل العواطف ، وليونة الكلام ، ورقة العبارة ، فى الحياة اليومية بين أفراد الاسرة . ان البيت الذى ترن فى جوانبه القبلات ، وتغمر افراده عبارات الحب والتدليل والتصبى ، كالبستان الظليل الفواح ، تبقى ذكرياته حتى الموت . « شكرا لك يا عزيزى . ما اجمل هذه الزهرة فى فستانك يا أماه ! يعز على بكاؤك يا بنى ! كم أنا مشتاق لرؤيتك يا أبى ! دعنى أقبلك يا أختى ! » هذه العبارات وأمثالها من أجمل الذكريات التى يحملها الاطفال بين جنباتهم فتنفذ الى سويداء القلوب ، وتصيب مواقع الوجدان ، ثم تصبح عند استكمال الرجولة ينبوعا للدعة واللطف وجميل الطباع ، ومستودعا لرقة المعاملة وطيب العشرة وحسن العلاقات نحو الغير

***

أيها الاب ــ وأيتها الام ــ احذر الاقوال النابية التى لا تلتئم جراحها . قد تكون هذه الاقوال موجهة لغير أولادك ، ولكنها تترك فى نفوسهم آثارها ، خصوصا اذا كانت الفريسة الام أو الاخت أو قريبا أو صديقا عزيزا عندهم محببا اليهم . قد تنفعل أمام الاطفال ، فتصدر منا أعمال وتصرفات تافهة فى نظرنا ، ولكنها قد تكون جسيمة فى عيونهم . اذكر حادثة لا تزال عالقة بذهنى ، وكلما جاشت بخاطرى غمرتنى بالهم والاسى . كنت فى ذلك الحين فى الثانية عشرة من عمرى ، وقد تغيبت أمى عنا بضعة أسابيع ، فشعرت بوحشة وتألمت لفراقها ، اذ كانت معبودتى وأملى ورجائى . بيد اننى فى خلال هذه الفترة ، انغمست فى الاكل وكان نصيبى من الطعام كميات وافرة لا ضابط لها ، فازداد وزنى وانتفخت أوداجى وامتلأ بدنى بغير ان أدرى. ولما عدت يوما من المدرسة فوجئت بوصول أمى من رحلتها الطويلة ، فاندفعت بكل قوتى نحوها ، وأنا لا أعى ، وأخذت اضمها الى صدرى كالمجنونة . ولكنها بدلا من ان تقابل المثل بالمثل ، دفعت بى قليلا الى الوراء ، وألقت على نظرة تشوبها الدهشة وعدم الرضا وقالت بصوت أجش : « ما هذا يا فرنسيس ، انك مكتظة بالشحم واللحم ! »

لقد مضى على هذا الحادث التافه اكثر من عشرين عاما ، ومع ذلك امتعض كلما مر بخاطرى ، وأحس باهانة لحقت بى لا حول لى على تحملها . قد يبدو هذا غريبا ، ولكن

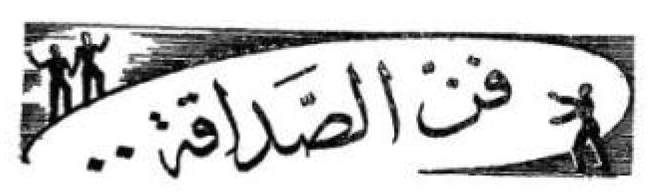
أليس الواقع ان الحوادث مهما صغرت ، والعبارات مهما بلغت من التفاهة وعدم الاهمية، تترك أشد الاثر فى نفوسنا ، طالما صدرت من أعز الناس وأقربهم الينا ؟

***

ومن الامور التى يجدر بالوالدين مراعاتها ، عدم المغالاة فى حمل أطفالهم على الاعتذار ، فى كل مناسبة وبغير مناسبة . الا يكون الاب مخطئا والطفل مصيبا أحيانا ، وبالرغم من ذلك يضطر الاب ابنه على الاعتذار تعسفا وظلما وعدوانا ؟ قد يقول الطفل مرغما « أنا آسف » أو « أنا مخطىء » أو « أرجو المعذرة » ولكن كلا من الاب وابنه يعرف فى هذه الحالة ان هذه كذبة ، وهى لون من ألوان الاكاذيب الصارخة ، وليست من الاكاذيب البيضاء . قد يعلم الكثير من الآباء ان الاعتذار اشق على النفس الابية من العقوبة ، ولكن القليل منهم يدرك ان بين اصغر الاطفال سنا نفوسا كريمة أبية ، يشق عليها الاعتذار ، عند ما لا يكون ثمة وجه للاعتذار ، وان الاثر الذى يبقى فى نفس الطفل من تعسف الاب أو الام قد ينساه العقل الواعى ، ولكنه يبقى دفينا فى العقل الباطن ، ويطفو من حين الى آخر من اللاشعور ، كلما أثاره ثائر ، فيسبب ألاما واحزانا

اذكرى أيتها الام ، واذكر أيها الاب ، ان ابنكما سيفيق يوما من حلم الطفولة ، واذا به فى يقظة الرجولة يستعرضكما فى مخيلته ، وينشر ماضيكما كما ينشر الوارث أوراق مورثه ، وكلما آوى الى فراشه واغمض عينيه ، يحدث نفسه ، وهو بين الحلم واليقظة : « كان أبى مرحا بشوشا ، وكان « اسبور » يلعب مع اخوتى ومعى ، ويخطف الحلوى من أيدينا ، ولا يغضب اذ شددنا أذنيه ، وعضضنا خديه وكان يسر كلما رأى دمية جديدة صنعناها من الصلصال بأيدينا ، ويصحبنا معه للصيد فى البحيرة ، والسباحة فى احواض السباحة . وكانت أمى تغنى فى رواحها ومجيئها ، وهى تقوم بطهى الطعام ، واعداد المائدة . وغسل الاطباق وحياكة الثياب ، وكانت تفرح عند عودتنا من الخارج ، وتقدم لنا الحلوى من صنع يديها ، وتقص علينا الاحجية قبل النوم » . أو على النقيض من ذلك يلح عليه لا شعوره مثل هذه الاقوال : « كان أبى عبوسا قاسيا ، يضطرنا الى السكوت حالما يعود من عمله ، ويحرم علينا اللعب فى حضرته ، ويقذف بالدمى من النافذة ، اذا ما اصررنا على اللعب بها ، ولا يصحبنا معه فى نزهته أو سيارته ، ويعامل أمى واخوتى بأشد صنوف القسوة ، وكانت أمى ترفسنى بقدمها كلما اعترضتها فى طريقها الى غرفة الضيوف ، لاريها قلمى الجديد ، وكانت تحرم على أكل ما أحب ، وترغمنى على أكل ما اكره . . » فرفقا أيها الأب ، وأيتها الأم ، بذكريات الطفولة ، لانها باقية

(عن مجلة الوالدين)



بقلم الأستاذ أحمد أمين بك

الصداقة الصادقة نعمة من أكبر نعم الحياة ، ومن رزق صديقا وفيا فقد رزق كنزا ثمينا هو خير من الأخ الشقيق ، اذ لا قيمة للأخ الا اذا كان صديقا

هل لاحظت مرة جماعة من الموسيقيين يوقعون قطعة موسيقية على آلات مختلفة من عود وقانون وناى ورق ، فيتوافق الايقاع ويتناغم وينسجم ، حتى كأن الآلات المختلفة آلة واحدة فى ارتفاعها وانخفاضها وجهارتها ورقتها وبدئها وانتهائها ؟

وهل رأيت مرة نجارا دقيقا يصنع ما يسمى فى النجارة « بالعاشق والمعشوق » فيؤلف بين الاسنان فى قطعة ومكان التحامها فى القطعة الاخرى حتى اذا تعاشقتا كونتا ما يشبه القطعة الواحدة بل أمتن وأقوى ؟

تلك هى الصداقة ــ مزاجان متناسبان ولا أقول متحدين وغرضان متناسبان ولا أقول متحدين أيضا ، فلا بد من التنوع كالتنوع بين نغمة العود والقانون ، والتنوع بين العاشق والمعشوق ، ولكن هذا التنوع يعتمد على ذوقين متشابهين كتشابه ذوقى العواد والقانونى.. ولا بد أن يدعم هذا كله بالتناسب فى المركز الاجتماعى واستعداد كل للسير على قانون الاخذ والاعطاء لا الاخذ من جانب والاعطاء من جانب ، فهذه شروط لا بد منها فى دوام الصداقة والا كانت عرضة للتفكك السريع

***

ومن التناسب فى الصداقة ما نرى من غضوب يصادق حليما ، ومرح يصادق رزينا ، ونشيط يصادق خمولا ، وثرثار يصادق مقلا . فان فى هذا تناسبا لا اتحادا كأن كلا يشعر بناحية من نواحى نقصه أو من نواحى مبالغته ، ويجد فى الآخر ما يكمل نقصه أو يحدد من مبالغته فتكون الصداقة

ونلاحظ فى الحياة اليومية أن بعض الاشخاص سريع الصداقة سرعان ما يألف ويؤلف ، وأشخاصا آخرين لا يألفون الا ببطء ولا يؤلفون الا ببطء ، ويرجع ذلك فى الغالب الى

طبيعة النفوس ، فهناك نفوس مكشوفة تعرف بمجرد النظر اليها ، كالماء الخفيف الصافى يظهر ما تحته ، ليس بين ظاهره وباطنه الا نسيج شفاف لا يحجب ما وراءه . وهناك نفوس غامضة لا يدل ظاهرها على باطنها قد سترت بنسيج كثيف ، أو غطيت بطبقة سميكة لا تظهر الا بعد طول المراس ، بل كثيرا ما يدل ظاهرها على خلاف باطنها . ومن هذا قد يكره الشخص ثم يحب ويعادى ثم يصادق ، لان نفسه لم تنجل لاول وهلة انما تجلى بالمران والاحتكاك واختلاف المواقف ومواطن الجد التى تظهر النفوس على حقيقتها

والصداقة كالبذرة توضع فى الارض ، فان صادفت تربتها الصالحة وغذيت الغذاء الصالح وتعهدها صاحبها بما يناسبها كبرت ونمت وصارت شجرة يانعة ، والا ماتت فى مهدها أو فى أثناء نموها . كذلك الصداقة قد تكون بنت ساعة ، وبنت شهر ، وبنت سنة ، وقد تكون صداقة العمر . ولا شىء يغذيها وينميها كالشعور بالتعاطف وبذل التضحية فى المواقف الحرجة ، ولا شىء يسمم الصداقة كشعور الصديق بأن صديقه يستغله ويصادقه لمنفعته هو ، فيوم يأتى دور التضحية ينفض يده . وأبعد الناس عن الصلاحية للصداقة من كان انانيا يتخذ الصداقة وسيلة من وسائل التجارة

***

ثم هذه الصداقة درجات كدرجات السلم ، تبتدىء بالمعرفة ثم رابطة العمل كالرابطة بين الموظفين فى مصلحة أو محل تجارى ، أو الرابطة بين أعضاء فى حزب سياسى ، أو أعضاء جمعية من الجمعيات لتحقيق غرض فاذا زال الغرض زالت الرابطة . وهكذا تتدرج حتى تصل الى أن تصبح نفس الصديقين نفسا واحدة فى جسمين ، هى فوق المنافع المادية، وفوق تحقيق الاغراض ، وانما هى غذاء الروح وسراج الحياة وملء فراغ النفس حيث لا يملأ بدونها

والناس يختلفون فى الاستعداد لدرجات الصداقة ، وذلك بمقدار استعدادهم للتعاطف . فمن حرم التعاطف حرم الصداقة ولم يكن له الا معارف . ولذلك ترى الماديين الجشعين لا يتذوقون الصداقة ، ولا يفهمون لها معنى الا انها وسيلة من وسائل الكسب كدة المرابين ، وقبض الفوائد . وكلما أمعن الانسان فى التعاطف ، كان أقرب الى تذوق الصداقة بمعناها الصحيح . كذلك من أبعد الناس عن تذوق الصداقة المتشائمون الذين لا يرون فى الوجود ما يستحق التقدير ، ولا فى الناس من يستحق الاعجاب ، فهؤلاء لا يريدون صديقا يبادلونه حبا بحب ، ولكن يريدون سميعا يسمع شكواهم ووصف آلامهم، وسبهم للدنيا وما فيها . وأكثر استعدادا للصداقة من تفتحت نفسه ، وتفتح العالم أمام عينيه ، ورأى فى الوجود شرا قليلا وخيرا كثيرا ، وانه مملوء بوسائل السعادة وعلى رأسها الصداقة

***

وكثير هم الذين نعرفهم ، ووسائل التعارف يسيرة متعددة ، في القطارات وفي المجتمعات ولأدنى المناسبات . ولكن قليلا من هذا التعارف هو الذي ينضج بكثرة الاختلاط وبمعرفة المزاج وباكتشاف النفوس ، فيتحول من معرفة الى صداقة

وأثر الصديق في الصديق كبير وهذا الاثر يختلف باختلاف قوة الشخصية في كل من الصديقين ، فقد يكون أثر أحدهما أكبر من أثر الآخر ، لان الاول أكبر شخصية والثاني أكبر تأثرا . ثم قد يكون للشخص الواحد جلة أصدقاء مختلفين كل الاختلاف ، وذلك عند ما يكون للشخص نواح متعددة ، فهذا صديق تربطه به الناحية العقلية والفكرية وهذا صديق آخر تربطه به ناحية الشعور الوطني ، وهذا صديق ثالث تربطه به ناحية مادية أو ناحية الاشتراك في متعة من متع الحياة وهكذا . وهذا هو السبب في أنه ليس من اللازم أن يكون صديق الصديق صديقا ، لان الصديق المشترك قد تكون صداقته مع طرف مؤسسة على غرض ليس موجودا في الطرف الآخر

***

ثم الصداقة لا بد أن تتغذى لتدوم فاذا انقطعت الزيارات والمقابلات والمحادثات والمكاتبات أمدا طويلا أخذت الصداقة تذبل شيئا فشيئا حتى تنعدم أو تكاد ، وغذاؤها تبادل العواطف وتبادل المشاعر ، وتبادل تفتح النفس

ولا بد لدوامها كذلك من دوام الاساس الذي اسست عليه الصداقة ، فاذا أسست على ما بين الصديقين من مزاج أو عقلية أو تحقيق غرض من الاغراض ، ثم زال هذا الاساس زالت الصداقة . وهذا يفسر لنا ما يعرض كثيرا من أن صديق الصبا غير صديق الشباب غير صديق الشيخوخة ، لان الانسان في كثير من أحواله يتغير مزاجه أو تتغير ثقافته أو تتغير نظرته الى الحياة . فيرى بطبيعته أن الرباط الذي كان يربطه بصديقه قد تحلل وانه محتاج الى نمط آخر من الناس ليؤلف معه صداقة جديدة

وبعد فالصداقة الصادقة نعمة من أكبر نعم الحياة ، ومن رزق صديقا وفيا فقد رزق كنزا ثمينا هو خير من الاخ الشقيق . اذ لا قيمة للاخ الا ان كان صديقا ، هو نور في الظلماء وعدة في البأساء وأنس من وحشة وفرجة من كربة

***

والصداقة الصادقة علامة رقي الأخلاق اذ هي امتزاج الارواح وتعانق النفوس وفيض من اخلاص ودرس في التضحية ، ومن تهيأت نفسه للصداقة تهيأ للخير يفيضه على الناس

وأدنى حدود الصداقة أن يسوءك ما يسوء صديقك ، وان يسرك ما يسره . وأعلاها ألا تعد نفسك شيئا بدونه ، ولا يعد نفسه شيئا بدونك ، وان ينبض قلبك بما ينبض به قلبه . وان تتناغم مشاعرك ومشاعره

احمد امين

مصر: أم العجائب

بقلم الأستاذ فكرى أباظة بك

لعلهم وضعوا هذه « الاسطورة » فى الزمن القديم تحت تأثير سحر القديم ، وعجب القديم ، وطلاسم وألغاز القديم . .

وأظن أن محرر « الهلال » اذ فرض على هذا البحث كان متجها نحو « عجائب الزمن الحاضر » فما أنا بالمؤرخ ، ولا أنا بالاثرى ، ولا أنا بالفلكى ، ولا أنا بحلال الطلاسم والالغاز . .

***

اذا كان الامر كذلك فاسمع يا سيدى « عينات » عجيبة من الاعاجيب الحاضرة :

١ ـ أعجوبة الوضع السياسى

فى الدنيا كلها وضع واحد أو وضعان : دولة مستقلة أو غير مستقلة . ولكن معجزتنا السياسية ، واعجوبتنا الفقهية الدولية ، أن عندنا استقلالا واحتلالا فى آن واحد . وللاستقلال مظاهر وحقائق . وللاحتلال مظاهر وحقائق . وحين تمترك هذه مع تلك تتجلى الاعجوبة المصرية وتلد الفوضى حتى يشاء الله . .

٢ ـ الاعجوبة البرلمانية

طغى أثر هذا الخليط من الاستقلال والاحتلال على وضعنا البرلمانى . فالبرلمان فى كل أمة ودولة هو صاحب السلطان الاعلى والرأى النافذ ، أما اعجوبتنا المصرية فيه فهى انه احتفظ بالسلطان الاسمى وفقد السلطان الفعلى . وتمخض هذا الوضع العجيب عن أن الوزارات هى التى تسقط البرلمانات وتحل البرلمانات ، فما استطاع برلمان واحد ان يسقط وزارة واحدة . ولا أن يحل وزارة واحدة

٣ ـ الاعجوبة الحزبية

وفى كل الدنيا احزاب تتلون وتختلف بحسب ألوان المبادىء والخطط وتباين المبادىء والخطط . ولكن أحزابنا المرشحة للحكم جميعا تتفق فى المبادىء والخطط ولكنها تختلف فى أسماء الاحزاب فهى « تشكيلات » سياسية مبدؤها الزعيم ، وخطتها الزعيم ، وهدفها « لاظوغلى » وهذه اعجوبة مصرية لا مثيل لها فى العالم أجمع

٤ ـ الاعجوبة الجغرافية

عند ما تمنح الطبيعة أمة من الامم منحها الطبيعية تستغلها تلك الامم وتستفيد منها وتقوى وتدعم . وقد منحتنا الطبيعة وضعا جغرافيا عديم النظير فكنا « همزة الوصل » بين القارات والبحار ، نصل حضارة الشرق بالغرب ، ومدنية الدنيا القديمة بالدنيا الجديدة ، فنحن « الجمرك الدولى » للتجارة والصناعة والمواصلات . ولكن الاعجوبة ان هذه الميزة الطبيعية كانت علينا كارثة ، فلم نقبض وانما دفعنا من خيراتنا ، وحرياتنا ، واستقلالنا ، الضريبة القاسية للعالم أجمع ـ ولا نزال ندفع ـ ولا ندرى الى متى نستمر ندفع !

٥ ـ الاعجوبة الوزارية

عند ما تتألف وزارة جديدة فى الدنيا بأسرها يكون « رأس مالها » الاصلاح العام الذى يكون « شهادتها » أثناء الحكم وبعد الحكم . ولكن كثيرا من الوزارات فى مصر تبدأ « بحماية نفسها » و « التلقيم لغيرها » وهذه السياسة تسمى سياسة « حفر الآبار وتسميمها » فالمزاد العلنى الذى جعلته الوزارات تقليدا لارضاء الجماهير وكسب معركة الدعاية ورط وسيورط « خزانة الدولة » ولو استمر الحال على هذا المنوال فالمصير المحزن أمره عند الله . .

وعلاجه عند الله . .

٦ ـ أعجوبة الحزبية المدرسية

هذه اعجوبة من نوع غير النوع الذى تكلمت عنه . أقصد الحزبية فى المدارس ، فقد اكتوى كل حزب حكم بنار الطلبة . واكتوى الطلبة بنار الاحزاب . واكتوت الامة بالنارين معا . ومع ذلك لا تزال تجد فى الجامعة وفى كل مدرسة فروعا للاحزاب المختلفة بين الطلبة . وفرقا للاحزاب المختلفة بين الطلبة . ولو كان هؤلاء القساة الغلاظ الاكباد ـ واقصد بهم زعماء بعض الاحزاب ـ يدركون البدهى من الواجبات الابجدية لاتفقوا على حل هذه الفروع وهذه الفرق لمصلحتهم أولا ـ ولمصلحة الطلبة ثانيا ـ ولمصلحة الوطن أخيرا

ولكنها : اعجوبة . .

٧ ـ أعجوبة التعليم والقضاء

فى الدنيا كلها « مدرسة واحدة » و « قضاء واحد » . ولكن اعجوبتنا المصرية أن الاسرة الواحدة يتبع أبناؤها مدارس متعددة : فعندنا « الازهر » ـ والمدارس الفرنسية ـ

والمدارس الانكليزية ـ ومدارس الطوائف ـ وخريجو هذه الالوان المختلفة قد يجتمعون كلهم فى بيت واحد بثقافات متباينة وأذواق متباينة وهنا الارتطام والاصطدام !

وفى القضاء اختلفت الالوان والاختصاصات فعندنا محاكم شرعية ـ ومختلطة ـ واهلية ـ ومجالس حسبية ـ ومجالس ملية ـ وكل هذه وتلك ترتطم أحكامها وتتصادم وتولد المشاكل فلا بد من « توحيد القضاء » !

***

أما تكفيك يا سيدى المحرر هذه « الاعاجيب السبع » ؟!
أليست مصر هى أم العجائب ..
حسبنا الله ..

فكرى أباظة
المحامى

جوائز نوبل

أعلنت أخيرا أسماء العلماء الذين منحوا جائزة نوبل فى علوم الطبيعة والكيمياء والطب ووظائف الاعضاء عن عامى ١٩٤٣ و١٩٤٤ ، ونذكر فيما يلى بيانا بأسماء هؤلاء العلماء ونبذا موجزة عن أعمالهم :

الطبيعة : نالها عن عام ١٩٤٣ الاستاذ شترن من معهد كارنيجى فى بتسبرج بالولايات المتحدة تقديرا لابحاثه فى قياس العزم المغنطيسى للنواة والبروتون والالكترون . وهو أحد الفارين من ألمانيا عام ١٩٣٣

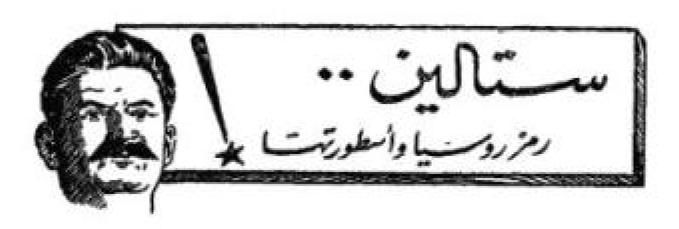
ونال الجائزة عن عام ١٩٤٤ الاستاذ رابى استاذ علم الطبيعة بجامعة كولومبيا تقديرا لابحاثه الخاصة فى استخدام الاشعة الجزيئية فى دراسة خواص نوى الذرات ، وفى قياس العزوم المغنطيسية وعزوم اللف الذرية والجزيئية قياسا دقيقا

الكيمياء : استحقها عن سنة ١٩٤٣ الاستاذ هفسى من معهد الطبيعة النظرية فى كوبنهاجن تقديرا لابحاثه على راديوم د وتتبع الخطوات المتوسطة فى التفاعلات الكيميائية والحيوية العادية بجعل بعض العناصر الداخلة فى هذه التفاعلات مشعة قبل التفاعل

واحتفظ بجائزة ١٩٤٤ ولم تمنح لاحد

الطب وعلم وظائف الاعضاء : منحت للاستاذ دام والاستاذ دويزى مناصفة عن عام ١٩٤٣ وقد أكتشف الاول فيتامين ك بينما حقق الثانى تركيبه الكيميائى . والاول دانيمركى والثانى أمريكى

ومنحت جائزة ١٩٤٤ للاستاذ أرلانجر المدرس بجامعة سان لويس سابقا والاستاذ جاسر مدير مؤسسة روكفلر فى نيويورك مناصفة لابحاثهما على الجهاز العصبى



بقلم الصحفي الامريكي ريتشارد لوترباخ

الجميع في روسيا يمجدون ستالين ، بقصيدهم ان واناهم الشعر ، ويهتافهم ان كانوا لا يقرضون شعرا . فالجنود يتدفقون في ساحات القتال هاتفين ، من أجل ستالين Za Stalina ويا له من هتاف يتضاءل أمامه هتاف الالمان : هيل هتلر !

الرجل الخالد

بلغ ستالين سن الخامسة والستين يوم ٢١ ديسمبر من العام المنصرم . والروسيون على يقين بأنه لن يعود شابا مرة أخرى وانه لن يخلد فى هذه الحياة، ومع ذلك فانهم لا يفكرون مطلقا فى موته وما يعقبه من النتائج . كنت ذات مرة أتناول العشاء فى بيت من بيوت موسكو ، وأردت أن أثير هذا الموضوع متسائلا ، من الذى سيخلف ستالين ؟ وكانت العائلة التى تستضيفنى من عائلات الطبقة الوسطى فيما مضى ، فكانت اجابة أفرادها دلالة طيبة على وجهات النظر التى تتخذها الاجيال المختلفة : جيل الشباب ، وجيل الآباء ، وجيل الاجداد

أما الأم ، وهى ممثلة فى الاربعين من عمرها ، فقالت فى نبرة تدل على الثقة والاقتناع، انه من أهل جورجيا ، فهو لن يموت مطلقا ، ان هؤلاء القوم يعيشون الى الابد

اما الجدة العجوز ، التى تساقطت أسنانها ، والتى ظلت طول حياتها متمسكة بأهداب الدين والعبادة ، فقد قالت فى كلمة خاطفة منزعجة ، وهل يرضى الله بذلك !

اما الحفيد الشاب الذى أصيب بجرح خطير فى كتفه ، اذ كان يحارب مع جماعات « الانصار » فقد نظر الى أمه وقال وكأنه يقرر الامر الواقع ، أظن ان ستالين « الرجل » سيموت يوما ما ، أما ستالين « المثل الاعلى » فسيظل حيا الى الابد

لقد هبطت موسكو منذ بضع سنوات بعثة أجنبية واستفتت الرأى العام فى موقفه من ستالين ، على الطريقة التى تتبعها معاهد الاستفتاء الامريكية . فتبين لها أنه يوجد فى روسيا من يكره ستالين ، ولكن ليس فيهم من له شوكة نافذة أو صوت مسموع . اما

اليوم ، بعد اربع سنوات فى هذه الحرب التى سماها ستالين « الحرب الوطنية الكبرى » ، فقد اتحد الشعب الروسى كله أكثر مما اتحد فى أى يوم مضى وراء الديكتاتورية القائمة . فلم يعد فى وسعه أن يتصور الاتحاد السوفيانى الا وعلى رأسه ستالين ، كما لا يستطيع الامريكيون أن يتصوروا الولايات المتحدة دون الدستور ، أو الانجليز أن يتصوروا انجلترا دون مجلس العموم .. بل لقد صار ستالين محاطا بجو من الاوهام والأسرار ، كهذا الجو الذى يحيط بالانبياء والقديسين !

انهم ينسبون اليه كل شىء فى روسيا . ففى آخر ترجمة رسمية لحياته ذكرت له أعمال باذخة ومشروعات خطيرة تملأ ميادين الزراعة ، والتعليم ، والجيش ، والقتال ، وشق القنوات ، والاكتشافات القطبية ، وقوانين المزارع الاجتماعية . وهو كذلك واضع دستور سنة ١٩٣٦ . وقد أعلن أحد زعماء الحزب الشيوعى ذات مرة : « انه ليس من اليسير أن تلم بشخصية ستالين بجميع نواحيها المتعددة الجبارة ، فما من اصلاح خطير فى حياتنا ، وما من تجديد فى دولتنا ، وما من اتجاه سياسى ذى أهمية ، بل ما من شعار اتخذناه فى أية ناحية الا كان من وضع الرفيق ستالين وتفكيره »

ولا يفكر الروس فى أن ستالين لا يمكنه ان يصدر كل ما ينسب اليه من افكار وأن يؤدى كل ما يتسم باسمه من أعمال ، الا اذا قام بست معجزات فى وقت واحد كما يقولون .. وهم لا يفكرون فى هذا لان الافكار تصدر والاعمال تؤدى ، وكل ما يقرأونه وكل ما يسمعونه يقول لهم ان ستالين ، وستالين وحده ، هو الذى فكر وقدر ، وهو الذى عمل وأدى ..

وأول مظهر من مظاهر هذا الجو الذى يغمر ستالين بالاوهام والأسرار ، ما يذاع عن هذه الثقافة الحافلة الضخمة التى يزخر بها رأسه الجبار . وهى ثقافة نظرية وعملية من الطراز الاول يقصر دونها المتفرغون للعلم والدراسة . فخطبه وأحاديثه مرصعة غالبا بمقتطفات من الادب الاغريقى ومن فلسفة أفلاطون وارسطو ، ومن آراء هيجل ونيتشه ومن آيات الانجيل والتوراة ، ومن أقوال ماركس وانجلز ولينين . ثم هو على علم وثيق بجميع الكتاب والادباء العظماء الذين انجبهم الشعب الروسى طوال تاريخه الادبى ، ومن المفروض فيما يذاع عنه من ألوان الدعاية انه يعلم عن شكسبير وديكنز وكوبر مثلما يعرف الاستاذ فى جامعة اكسفورد . ومن الطبيعى أن يكون حول ستالين ، ما حول روزفلت وتشرشل ، من الأعوان الذين يساعدونه فى اعداد خطبه وأقواله وتلخيص ما يعنيه من المؤلفات الاجنبية ، بل ويعملون معه فى صقل الكلمات التى يرسلها لتكون شعارا للشعب تتداوله الالسن وتمتلىء به الاذهان . ولكن الروس لا يعلمون شيئا عن هؤلاء الأعوان ، واذا علموا فانهم ينكرون على عقولهم ان تصدق أن ثمة من يعمل شيئا سوى ستالين ذاته !

وربما كان السر فى قدرة ستالين على ان « يقوم بست معجزات » هو انه لا يقوم بها

جميعا فى وقت واحد . بل ان عنده القدرة على ان ينحى كل شىء جانبا ليركز جهده وفكره ووقته فيما يعرض له من المسائل حتى ينتهى منها . فيقول لك الروسى مثلا انه عند ما كان « سيرجى اليوشن » يضع تصميم طراز جديد من الطائرات أبعد ستالين عن مكتبه كل شىء سوى هذا التصميم الذى انكب على دراسته طويلا حتى ألم بجميع تفاصيله ودقائقه ، ثم اقترح على صاحبه اقتراحا مهما أدى الى التبسيط فى بناء الطائرة والاقتصاد فى الزمن اللازم لبنائها . وسيقولون لك انه عند ما أزمع « بابانن » الرحلة الى القطب الشمالى صار ستالين اخصائيا فى مناطق القطب واجوائه ، وتولى بنفسه الاشراف على الجهود التى بذلت لانقاذ الرحالة وبعثته حين تقطعت به السبل فى بعض انحاء القطب . وعند ما أريد اعادة النظر فى نظام تموين موسكو بالماء ، تفرغ ستالين لدراسة خريطة المدينة وما يقتضيه المشروع الجديد من جهد ومال ، فأدت هذه الدراسة — فيما يقول الروسيون — الى الكشف عن نقائص فى هذا المشروع ترتب على تلافيها اقتصاد ملايين من الروبلات

حياته الخاصة

ويعرف الروسى العادى عن ستالين أقل مما يعرف الامريكى العادى . وقد رآه أهل موسكو بضع مرات فى أثناء الحفلات العامة التى تقام فى الميدان الاحمر فى الاعياد والمناسبات ثم هم يرون صورته فى كل صحيفة ، وفى كل منتدى عام ، وفى كل مكتب من مكاتب الحكومة ، كما يرون تمثاله فى كل ميدان وعلى ناصية كل طريق . وهم يستطيعون ان يقولوا لك انه الآن فى الخامسة والستين ، وانه قصير القامة الى حد ملحوظ اذ يبلغ طوله خمس أقدام وخمس بوصات ، وانه ثقيل الوزن فيبلغ مائة وستين رطلا انجليزيا . وان كتفيه مقوستان ولكن بذلته الرسمية تبديه عريض المنكبين . وهو ضخم الرأس ، منفوش الشارب ، داكن البشرة . ولكن الروسيين لا يعرفون أن أسنان فكه الاعلى سوداء وسمراء ، واسنان فكه الاسفل متآكلة متعفنة . وهم يعرفون أنه يدخن فى غليونه دائما ، ولكنهم لا يعرفون أنه يؤثر الطباق الامريكى على الطباق الروسى

ويعرف اكثر الروس ان ستالين تزوج مرتين ، وانه أنجب ثلاث مرات . وهم لا يعرفون عن حياته العائلية سوى هذا . . أما الذى يعرفونه عنه جميعا معرفة تامة فهو انه سجن ثمانى مرات ، وانه نفى الى سيبريا سبع مرات ، وانه فر من منفاه ست مرات . وانه من ابوين فقيرين من أهل جورجيا ، وكان وحيد والديه فأرادا ان ينشأ قسيسا ، ولكنه وجد فى نفسه استعدادا للآراء الثورية اكثر من استعدادها للاتجاه الدينى . وسيقول لك الروس انه بينما كان لينين وتروتسكى يعيشان خارج روسيا ويدبران الثورة بالرأى والمشورة فحسب ، كان ستالين يعيش فى روسيا ، فى سواد الثورة وأتونها ، حيث ساهم فيها بكتابة المنشورات وطبع الجرائد وتخريب المصانع وحمل السلاح ضد أعداء الثورة

ويصوره الروسيون فى صورة الرجل الوديع المتواضع . ولكن هذا لم يؤد به الى انكار ما يقام له فى كل مكان من مظاهر التجلة والاكبار . ففى كل جهة من انحاء روسيا تجد اسمه على كل شىء : على الحدائق الكبيرة ، وعلى المصانع الضخمة ، وعلى خطوط السكك الحديدية ، وفى روسيا خمس مدن كبيرة تحمل اسمه، هى ستالينجراد، وستالينبار، وستالينو ، وستالينسك ، وستالينا جورسك . وكل موسم موسيقى يشتمل برنامجه على نشيد خاص بستالين تبدأ وتختم به الحفلات . وفى الصيف الماضى عند ما كان الهجوم الروسى على أشده ، والصحف لا تجد مجالا لاذاعة جميع أنبائه ، لم تجد صحيفة برافدا بأسا فى أن تخصص صفحة من صفحاتها الاربع لقصيدة أنشأها أحد الشعراء فى مدح ستالين وتمجيده . وأدنى الموضوعات الى قلوب شعراء روسيا وأقلامهم هو انشاء الشعر فى أمجاد ستالين وجلائله . وهذه فقرات من احدى هذه القصائد :

« انه قوة الفقير وسنده

« فقد جمع فى نفسه دموع الأجيال الماضية

« وجمع فيها أفراح الأجيال الماضية

« وملأ قلبه بحكمة الاجيال الماضية

« وأعد نفسه بقوة الاجيال الماضية

« انه ، كضوء الصباح ، يغمر الدنيا بأسرها ! »

والجميع فى روسيا يمجدون ستالين ، بقصيدهم ان وانامم الشعر ، وبهتافهم ان كانوا لا يقرضون شعرا . فالجنود يندفعون فى ساحات القتال هاتفين: من أجل ستالين Za Stalina ويا له من هتاف يتضاءل أمامه هتاف الالمان : هيل هتلر !

والنساء المجندات يسرن كل مساء فى شوارع موسكو ، عائدات من مصانع الذخيرة والسلاح الى الحمامات العامة حيث يغتسلن ، وقد عقدن المناشف فوق الرؤوس والاكتاف العريضة ، وهن ينشدن الاغانى والاهازيج باسم ستالين

ويعرف الروسى العادى أن ستالين يعيش فى الكرملين . والكرملين ليس بناء واحدا ، بل أربعين بناء تحيط بها أسوار ضخمة شاهقة، وهذه المبانى قصور، ومتاحف، وكنائس، وثكنات ، ومكاتب ، وردهات كبرى . ولكن قليلا من الروسيين من يعرف ان ستالين قلما يبيت فى الكرملين ، بل فى بيت يبعد عن الكرملين بالسيارة الخاطفة اربعين دقيقة . وكان هذا البيت ملك أحد أصحاب الملايين التى جمعها من منجم ذهب كان يمتلكه فى عهد القيصرية

ويستيقظ ستالين من نومه فى الحادية عشرة صباحا ، وبعد فترة وجيزة ، يندفع فى سيارته الكبيرة السوداء ، المصنوعة من فولاذ مضاد للقذائف ، الى مقر قيادة الجيش الاحمر ، حيث يمضى بضع ساعات فى دراسة التقارير التى ترد باللاسلكى من جبهات القتال . ثم ينتقل الى مكتبه فى الكرملين ـ هذا المكتب الفسيح الذى كسيت جدرانه بأربع

صور لفلاسفة الشيوعية وزعمائها : ماركس وانجلز ولينين وستالين . وقد أضيفت الى هذه الصور بضع صور أخرى فى سنة ١٩٤٣ حينما صار ستالين « مارشالا » ، وهذه هى صور القواد النوابغ الذين أظهرتهم روسيا القيصرية وهم الكسندر نفسكى بطل روسيا فى القرن الثالث عشر ، وسيفوروف الذى استولى على وارسو سنة ١٧٩٤ ، وكيتوزوف الذى هزم نابليون عند سمولنسك سنة ١٨١٢

ويمضى ستالين وقته فى عمل دائب عنيف ، حتى تكون الثالثة أو الرابعة بعد الظهر فيتناول غداءه فى مكتبه ، ويجرع كوبا من الشاى البارد، ويستأنف عمله توا حتى الحادية عشرة مساء ، حيث ينتقل الى جناحه الخاص فى الكرملين فيتناول عشاءه الذى يستغرق من ساعة الى ثلاث ساعات ، يتباحث فى خلالها مع مدعويه من رجال الجيش والحزب والدولة فى أمور الحرب والسياسة والادارة . ويأكل ستالين كثيرا ولكنه يقتصد فى شرابه، وان كان فى بعض المآدب يجرع ثلاثين كأسا من الفودكا ، وهو شراب قوى التأثير ، دون أن يبدو على وجهه أثر ملحوظ الا نفحة من نفحات المرح والظرف

وقد أجهدت هذه الحرب ستالين اجهادا عنيفا ، وهو يحس فى اطرافه واعصابه هذا العبء الثقيل الذى احتمله طوال الحرب ، ليقود أضخم جيوش الارض ، وليدير أكبر دول العالم ، وليتولى أمر أكبر وأقوى حزب عرفه التاريخ .. ولهذا فان كلمة « اذا عشت » تقفز الى خاطره ولسانه كلما تحدث عن أمر من أمور المستقبل . والارجح ان يتخفف من أعبائه الثقال بعد ان تضع الحرب أوزارها ، ويقنع بوظيفته الاولى ، وظيفة سكرتير الحزب الشيوعى . وثمة ثلاثة رجال يعدهم ستالين ليقتسموا العمل الذى يقوم به بمفرده ، هم زوكوف فى شؤون الحرب ، ومولوتوف فى رئاسة الحكومة ، وزادانوف فى رئاسة الحزب الشيوعى

وزادانوف هو المرشح الاول لخلافة ستالين فى زعامة الشعب الروسى ، وهو رئيس الجمهورية الروسية، احدى وأكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتى الست عشرة، وهو سكرتير الحزب الشيوعى فى لينتجراد ، وهو خطيب شعبى ممتاز وعلى جانب كبير من الثقافة السياسية الدولية . وهو الى هذا من رجال الجيش ، وقد حارب فى الحرب الماضية ، ثم تحول الى البلاشفة منذ بداية الثورة ، وقد تولى أمر الدفاع المجيد عن مدينة لنتجراد فارتدت عنها القوات الالمانية مهزومة كسيرة . وله مركز ممتاز فى الحزب الشيوعى ، فكان رئيس مكتبه للدعاية ، كما كان رئيس اللجنة السوفيتية العليا للشؤون الخارجية . وقد قال أحد السياسيين الانجليز ان زادانوف هو واضع السياسة الخارجية الروسية اما مولوتوف فهو الذى ينفذها فحسب . وكل هذه المؤهلات تزكيه ليكون خلفا لستالين ، بعد أن كان المظنون فيما مضى أن أحق الناس بخلافته هو فوروشيلوف القائد ، أو مولوتوف السياسى

طرائف عن ستالين

يمتاز ستالين بنواح انسانية جمة يطيب للكتاب الروسيين والاجانب ان يتحدثوا عنها. فهو الى حد ما ، رجل لبق الحديث طيب الفكاهة . سأله ويلز : هل تفكر فى تغيير وجه العالم تغييرا كاملا . فأجابه فى بساطة : لا ، لا تقل تغييرا كاملا ، بل تغييرا بسيطا . فهو يدرك الدور الخطير الذى يؤديه فى تاريخ الانسانية المعاصرة ، ويدرك النتائج الكبيرة التى ترتب على كل ما يقوم به فى ميدان السياسة والقتال

وستالين محافظ كل المحافظة من الوجهة الخلقية . فمنذ سنوات كان الاديب السوفيتى الشاب كونستانتين سيمونوف ينشر فى الصحف مقطوعات غزلية موجهة الى احدى الممثلات البارزات . وكان الناس يتتبعون هذه القصة الغرامية بقلوب واجفة كأنهم يعيشون فى العصور الخيالية الماضية . ثم طبع الشاعر هذه القصائد فى كتاب ، فلما سئل ستالين فيها ، قال : مثل هذه الكتب لا يصح ان يطبع منها أكثر من نسختين : نسخة للعاشق وأخرى للعشيقة . وسرعان ما سحب الكتاب من المكتبات ، لان الشعب الروسى لا يحب أن يقرأ شيئا يستهجنه ستالين . أما الشاعر فقد تزوج من الممثلة ولكنه أقلع عن الشعر وعكف على الصحافة والتأليف المسرحى

وستالين يقرأ ويقرأ كثيرا حتى فى هذه الايام . فمنذ ما أصدر ايليا اهرنبورج الجزء الاول من قصته عن « سقوط فرنسا » استدعاه ستالين بعد صدورها بأيام ، وقال له انه لم يقس على الالمان القسوة الواجبة ، فصدر الجزء الثانى حافلا بالحقد المرير على النازية ورجالها

ومنذ سنوات اذاعت بعض الصحف الامريكية أن ستالين مات ، وان رجاله يخفون هذه الحقيقة عن الناس . والصحف الامريكية الصفراء تميل دائما الى نشر مثل هذه الانباء التى يقرأها الناس وأفواههم فاغرة من الدهشة . وأرسل أحد هؤلاء الصحفيين الى ستالين يسأله : لماذا لا يكذب هذا الخبر ؟ فرد عليه ستالين قائلا : « ان المرء لا يستطيع أن يكذب الصحف الامريكية والا حذف اسمه من قائمة المتمدينين . ولهذا فانى أرجوك أن تصدق هذه الصحف ، ولا تقلقنى فى حياتى الهادئة فى العالم الآخر ! »

ومن الفكاهات التى اذاعتها موسكو عن ستالين انه فى مؤتمر طهران اهدى امبراطور ايران لتشرشل فتاة فى الحادية عشرة من عمرها ، احياء للتقاليد الشرقية القديمة التى كانت تجيز اهداء الفتيات للملوك والامراء . وكان هذا المؤتمر معقودا لبحث مسألة فتح الجبهة الثانية فى أوربا ، فأخذ ستالين يندد بتباطؤ الانجليز فى فتح هذا الميدان . فلما سأل روزفلت : وماذا يفعل تشرشل بفتاة فى الحادية عشرة ، أجاب ستالين من فوره : انه الى أن يعزم تشرشل على التزوج منها تكون هذه البنت الصغيرة قد بلغت سن الزواج ، بل جاوزته كثيرا

(من مقال فى صحيفة لايف للصحفى الامريكى ريتشارد لوتربانج)



وادى الذهب

بقلم الأستاذ كامل كيلانى

كان صاحبى - أيها القارىء - مولعا بالاساطير الاصيلة يرى فيها - كما أرى - أنها تعبر عن الحقائق المستترة الخافية أصدق تعبير ، وان خيالها الرائع يجلو من الغوامض والخفايا ما لا تجلوه المقالات المستفيضة . كما تجلو الصور الكاريكاتورية من دقائق المعانى التى يرمى اليها المصور ما لا يجلوه البيان العالى . وكما يجلو مجهر العالم من خصائص الذرة ما لا تجلوه ألف عين مبصرة

وكان لهذا يعجب بمحاورات كليلة ودمنة وأمثالها ولا يفتأ يفسر رموزها البارعة ويوضح الصلات الفنية التى تربطها بحقائق الحياة ، وربما جرى فى أسلوبه - على طريقتها - عن غير قصد منه

وقد دار بينى وبينه منذ أيام حديث ممتع أنا محدثكم بطرف يسير منه ، قال :

لقد حدثتنى أمس عن ذلك الوادى الخصيب ، ورويت لى كيف كان مضرب الامثال فى وفرة الغلات وطيب الفاكهة وناضج الثمر ، حتى اطلق عليه القاصى والدانى اسم « وادى الذهب » ، لوفرة ما يحويه من فنون الثراء . وقلت لى إن الاخوين البخيلين اللذين آل اليهما ملك هذا الوادى ، قد حرما أخاهما الثالث ، كما حرما سكان الوادى جميعا كل ما يفيض به من خير عميم ، وان قسوتهما لم تقف عند هذا الحد ، بل تمادت بهما فدفعتهما الى مطاردة طيوره والقضاء على بلابله وكروانه ، ليستأثرا وحدهما بكل ما ينتجه من كنوز وخيرات

وقد وقف بك الحديث عند الخاتمة المفزعة التى انتهى اليها بخلهما وقسوتهما وما افعمت به نفساهما من أنانية واستئثار ، وكيف اعماهما الطمع عن ذلك الاصغاء الى نصيحة أخيهما الثالث الكريم القلب الطيب السجايا . وكيف انتهى ذلك كله الى النهاية المحتومة فعصفت بالوادى عواصف هوج بعث بها الغضب الالهى ، فالتهبت اشجاره ، واحترقت ثماره ، وغاض بهاؤه ، وجف ماؤه

فحدثنى - أيها الصديق - كيف استرد ذلك الوادى نضرته ، واستعاد بهجته ، وماذا فعل الاخوة الثلاثة فى رحلاتهم ، بعد أن قص عليهما ثالثهما حديثه العجيب مع الملك السماوى الذى أفضى اليه بسره المضنون به على غير أهله ؟ فقلت له :

زعمت الاسطورة ان الاخوين القاسيين تسابقا الى السفر ، وكلاهما يضمر لصاحبه

الشر ، وأسرع الاول الى زجاجة فارغة فملأها من النبع المبارك الذى اطلع الملك أخاه الثالث على سره ، وما كاد يملأ الزجاجة حتى بادر الى هدفه وظل يواصل السير فى جبال الوادى وهضابه ليالى وأياما حتى بلغ منها مكانا مجدبا قائظا ، وما لبث أن أضناه السير وأجهده العطش ، ففتح الزجاجة ليشرب قليلا من مائها ، وما كاد يدنيها من فيه حتى أبصر كلبا صغيرا يحتضر وقد تدلى فوه وجفت شفتاه وتوسل اليه الكلب أن يمنحه قطرات قليلة من الماء يستعيد بها الحياة ، فلم يأبه له ، بل شرب من الزجاجة ما أروى ظمأه ، ثم سار فى طريقه بعد أن ركل الكلب بقدمه

وهنا تحدثنا الاسطورة: أن الغضب استولى على كل ما يكتنفه من أرض وسماء فضاعفت الشمس من حرارتها ، وتشققت الصخور من قسوة ذلك الاناني ، فامتلأ الطريق اخاديد وحفرا ، وامتلأ الجو بالاعاصير والزوابع ، فرفع الزجاجة الى فيه وقد عاوده الظمأ ، ولم يكد يدنيها من شفتيه حتى أبصر طفلا صغيرا يعانى من الظمأ المهلك أضعاف ما يعانيه، وقد استسلم للردى ، واستعطفه الطفل أن يجود له ببضع قطرات من الماء ، فلم يبال به ، وتجرع من الزجاجة ما روى ظمأه ، وسار فى طريقه لا يلوى على شيء ، فاشتد الغضب الالهى عليه ، وضوعفت مصاعب الطريق ومتاعبه ، وزاد به الظمأ فرفع الزجاجة الى فيه ليشرب منها ما يرويه وانه ليهم بذلك اذ ابصر شيخا يعانى من سكرات الردى وآلام الاحتضار ما يذهله ، وقد علت وجهه صفرة الموت وغارت عيناه . وأشار اليه الشيخ مستعطفا أن يمنحه قطرات من الماء تعيد اليه الحياة ، فلم يعبأ به، بل تخطاه مزدريا به ساخرا منه ، ثم شرب ما بقى من الزجاجة ولم يبق منها الا ثلاث قطرات من الماء ليلقى بها فى منبع النهر — كما أوصى الملك أخاه — ليعود النهر سيرته الاولى ويسترد الوادى بهجته ونضرته

قال راوى الأسطورة : وما كاد يفعل حتى زلزلت الارض زلزالها ، وقذفت الجبال نارها ، ودوت الرعود واشتد قصفها وغاصت به الارض فابتلعته ثم لفظته من جوفها الى ظهرها مرة أخرى فاذا هو صخرة من الفحم صماء ، أو فحمة من الصخر سوداء

قال صاحبى : لقد لقى جزاء أنانيته وبخله وقسوته ، فماذا لقى أخوه الثانى من جزاء ؟

قلت : مثل ما لقيه أخوه الاول بالسواء ، ومسخ الى جانب أخيه فحمة من الصخرة قاتمة ، أو صخرة من الفحم قاتمة

قال : فماذا صنع أخوه الثالث الرحيم

قلت : سقى الكلب الظمآن ، والطفل العطشان ، والشيخ الدالف الى رمسه ، وآثرهم جميعا على نفسه ، لانه كان ممن يؤثرون على أنفسهم ، ولم يبق فى الزجاجة قطرة واحدة من القطرات الثلاث التى أوصاه الملك بقائها فى قارورته لانجاح سعيه والظفر بطلبته

قال صاحبى : وهل عاد من رحلته صفر اليدين ؟

قلت : بل ناجح المسعى قرير العين

قال : وكيف حصل على القطرات الثلاث ؟

قلت : ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، فقد لقيه ملك الوادى وأهدى اليه زهرة عليها قطرات ثلاث من الندى ثم هزها الملك مترفقا باسما فاستقرت فى الزجاجة ولم يكد ذلك المحسن يلقى تلك القطرات فى منبع النهر حتى فاض بالخير العميم وعاد النهر سيرته، واسترد الوادى بهجته ، وتبدل الشقاء نعيما ، والجدب خيرا عميما ، وهكذا سعد جيران الوادى وساكنوه ، وأصحابه وأهلوه ، وتفتحت اكمام الازهار ، وامتلأ الشجر بأطيب الثمار ، وتكدست الاقوات ، وعادت الطيور على أغصانها مغردات ، وحلت البلابل والكروان مكان البوم والغربان ، وغنت شادية بأعذب الالحان

قال صاحبى : ما أروع مغزى هذه القصة ، فقد رأينا الثروة التى أضاعتها الانانية والبخل والقسوة ، ترجعها الى أصحابها الرحمة ، ولكن بقى فى الاسطورة لغز لم أهتد الى حله ، فكيف كذب الملك فى نبوءته ، ألم يقل ان قطرات ثلاثا من الماء المبارك تكفى لاعادة الحياة الى النهر ؟

قلت : لم يفت ذلك واضع الاسطورة فهى طويلة لا يتسع لها المقام ، وقد سأل الاخ الثالث هذا السؤال فأجابه الملك : « ان البخل والقسوة والانانية قد أفسدت ذلك الماء المبارك الذى جلبه أخوه ، ودنسته ، كما أن الايثار والمحبة وانكار الذات قد باركت له دونهما فى كل ما يتصل به من بعيد أو قريب . وصدق الله العظيم حيث قال : « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا »

قال صاحبى : ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أقرب الاسطورة الصادقة الخيال من الحقيقة النادرة المثال :

قلت : صدقت ، وعفو ابى العلاء اذ يقول :

أفهم عن الايام فهى نواطق ... ما زال يضرب صرفها الامثالا
لم يمض فى دنياك أمر معجب ... الا أرتك لما مضى تمثالا

كامل كيلانى

من رأى الحق ولم يأخذ جانبه فهو جبان — « كونفوشيوس »
ليس الفخر ألا نسقط ، بل أن ننهض كلما سقطنا — « جولد سميث »



ذكرى الخمسين لوفاة اسماعيل باشا

كان رحمه الله حاكماً بصيراً واسع الأفق، فعمل على أن يربط مصر بحضارة الغرب فكللت جهوده بالنجاح ، وكان صاحب الفضل الأكبر في بناء مصر الحديثة



الفاروق وأقطاب العرب تفضل جلالة الملك ودعا مندوبي الدول العربية لتناول طعام العشاء على المائدة الملكية وقد أخذت هذه الصورة التذكارية الرائعة أمام المقصف في قصر عابدين العامر . وقد وقف جلالته في الوسط وإلى يمينه دولة جميل مردم بك فمعالي السيد أرشد العمري فدولة سمير الرفاعي باشا فلورد كيلرن . وإلى يسار جلالته سماحة الشيخ يوسف يس فدولة السيد عبد الحميد كرامي فدولة محمود فهمي النقراشي باشا فدولة السيد فارس الخوري

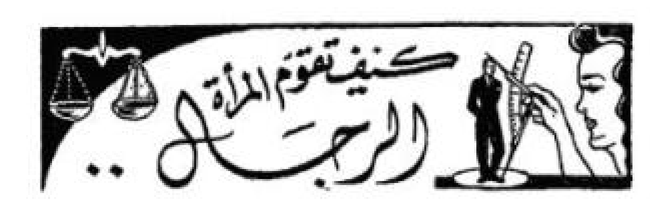


ميثاق الجامعة العربية في اليوم الثاني والعشرين من شهر مارس الماضي، وقع مندوبو الدول العربية ميثاق الجامعة العربية ويبدو في الصورة حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا وهو يلقي خطابه في حفلة التوقيع وقد بدت دلائل الاهتمام على وجوه المحتفين



وردة التاج الناشئة

يسرنا أن ننشر هذه الصورة الرائعة لحضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة نورية ، بمناسبة عيد ميلادها السادس من عمرها السعيد المديد ، مشفوعة بأخلص التهاني نرفعها إلى مقام صاحبي الجلالة مع أصدق آيات الإخلاص والولاء.



بقلم السيدة بنت الشاطىء

« .. وبعد فقد يسأل سائل : أكل النساء سواء فى تقويم الرجال ؟ فأجيب إننا جميعاً نعرف فى نفوسنا جوهراً واحداً ، تختلف صوره باختلاف كل منا ، وإن اتحدت حقيقته . إننا لا نغفر النقص فى « رجولة الرجل » ولا نحتمله ، بل تعافه نفوسنا وتشمئز منه .. ولكل منا بعد ذلك صورة للرجل المثالى ، تصورها فى عالمها الخاص ، وتطبعها بطابعها المتميز ، وترسمها بألوانها المحببة ، وتضفى عليها ما تعكسه ظروفها ، وشخصيتها ، وتجاربها ، من أضواء وظلال . . ثم لا ترضى ـ باختيارها ـ عنه بديلا ولو أوذيت فى سبيله ، وعبرت اليه على جسر رهيب من الآلام »
بنت الشاطىء

عندما سئلت : « أى طراز من الرجال يعجب النساء ؟ » مرت بذاكرتى هذه الصور الشاذة الخاطئة التى يعرضها نفر من الادباء عن المرأة وموقفها من الرجل ورأيها فيه . وتلك الاوهام التى تنطلق فى أفقنا ، متحدثة عنا ـ معشر النساء ـ بلغة غريبة لا تعرفها فطرتنا ، وواصفة عواطفنا وأهواءنا وميولنا ومثلنا ، بأوصاف عجيبة لا نحسها فى نفوسنا ، ولا نجدها فى دنيانا ، ولا تخطر لاحدانا على بال . .

وما يعنينا أن تكون هذه الصور قاسية أو رحيمة ، ولا يهمنا أن تكون جميلة أو دميمة ، إنما الذى يعنينا حقاً أن نقرر شذوذها وغرابتها ، وأن نعلن أنها من صنع الوهم المريض والخيال الكليل ..

***

والآن أسأل نفسى عن «طراز الرجل الذى يعجب النساء» فأجد فى الأمر شيئاً من الصعوبة والحرج .. فلكل منا صورة تخرجها للرجل المثالى ، متأثرة بظروفها الخاصة وشخصيتها المتميزة . أفلا يكون من التجنى على الحقيقة ، وإغفال الواقع ، وتجاهل الفروق المميزة للنساء ، أن تنفرد « إحداهن » بعرض صورتها المختارة ، ثم تدعى أنها فى ذلك تتحدث عن جنسها وتقول كلمته فى الرجل ؟ بلى هو كذلك !

لكنى أعود فأتساءل : أليست هناك حقيقة مشتركة تجمع بيننا ـ معشر النساء ـ وإن اختلفت ظروفنا ، وتباينت أحوالنا ، وتفاوتت ثقافتنا ؟ !

أحسب أن هذا حق، ومن هنا جاز لى أن أتحدث عن المرأة والرجل ، متجاوزة عن الظاهر والاغراض التى تختلف باختلاف الاشخاص والظروف والزمان والمكان ، ومصغية الى صوت هذه الحقيقة الواحدة المشتركة التى ألتقى فيها مع بنات جنسى جميعاً ، حين أتحدث عن مقياسنا فى تقويم الرجال ، هنا أو هناك أو هنالك ، أمس أو اليوم أو غداً ..

***

يتحدث المتحدثون اليوم عن المرأة وصلتها بالرجل ورأيها فيه ، فيدورون حول الألفاظ الشائعة ، والمعانى القديمة التى ظلت الاجيال ترددها منذ ذكرت القصة تعرض آدم للاغواء حتى ذاق الثمرة التى نهى عنها فأخرج من الجنة شريداً مطروداً ..

ولعل القاموس الاجتماعى لايذكر ألفاظاً واهمة طال عمرها، كما طال عمر الفاظ « الحية ، والشجرة والتفاحة، والاغراء ، والخطيئة » .ولسنا نضيق بهذا أو نكترث له ، غير أن النظرة النفسية الحديثة، تبتسم فى اشفاق عند ما تقرأ اليوم هذا الاسلوب التقليدى المكرر المعاد ، وذلك التفسير السطحى الساذج لما بين المرأة والرجل . إنها تنظر الى الامر على هدى الفهم النفسى لفطرة الانثى ، من غير أن تلتفت الى مواعظ السذج الذين لا بضاعة لهم الا التشهير بخطيئة الانثى الاولى ، والبكاء على الجنة التى طرد منها الرجل الاب ، ناسين أن الجنس البشرى ـ على تفسيرهم السطحى وفهمهم الساذج ـ مدين بوجوده لما يسمونه خطيئة حواء ، وإخراجها آدم من جنته . والا فكيف كان تم بناء العالم ، وعمارة الكون ، لو بقى الاثنان ناعمين فى جنتهما ، فارغين لمتعتهما ؟

وما أحب أن أمر بهذا ، دون أن أشير الى خطأ الذين يردون هذه القصة الى « الاديان الكتابية » . فالقرآن ـ كتاب الاسلام ـ لم يعرفها على هذا الوجه المزعوم . إنه لم يسم « حواء » ولم يفردها بعمل ، ولم يوجه اليها خطاباً مستقلا ، ولم يتحدث عنها منفردة ، ولم يذكر مطلقاً أنها أغرت « آدم » أو ناولته الثمرة المحرمة . وإنما جعل آدم وزوجه معاً ، وعلى السواء ، ضحية الشيطان . فهو الذى وسوس لهما « وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » وهو الذى أزلهما عنها « فأخرجهما مما كانا فيه » ـ بل لعل القرآن يميل الى القاء التبعة على آدم حيث يقول : « وعصى آدم ربه فغوى » « وعهدنا إلى آدم من قبل فلم نجد له عزما » . على أنه قد هدم بالتوبة فكرة الخطيئة التى كثر فيها الكلام وطال

ولكن ما شأننا نحن بهذا ؟ أهى رجعة بالفن الى العصور الوسطى ؟ أم تلك عودة الى الأفق اللاهوتى ولسنا أهل ذلك ولا زماننا بزمانه ؟ ! إننا اليوم فى عصر مفتون بالمنهج العلمى ، يريد أن يقيم عليه كل شىء حتى القضايا الخلقية ، والأحكام الفنية ، والدراسات النفسية . وهو يجد فى تناول هذه المسائل تناولا معللا مفهوماً ، فاذا ما عرض اليوم لموقف الأنثى من الرجل ، نظر الى أعمالها وحركاتها على أنها تحقيق لغايات طبيعية ، وأداء لوظائف اجتماعية بها عمارة الكون ..

وعليها بقاء الحياة ، مهما يكن الرأى الفلسفى فى هذه العبارة وذلك البقاء

فإذا شئنا أن نعرف كيف تقوم المرأة الرجال ، التمسنا من أنفسنا — على هدى الفهم الصحيح لها — جواباً تقره فطرتنا السليمة ، وترضى عنه عقولنا التى أدركت وبلغت رشدها !

***

والذى نعرفه ، أن المرأة خلقت لتكون أماً ، وأنها تسير فى الحياة محكومة بهذا القانون الفطرى الصارم لا تملك أن تحيد عنه ، لأن تركيب بنيتها ، وتكوين غرائزها قد وجهها نحو هذه الغاية المحتومة ...

ولن يدخل فى حسابنا ، ما قد يوجد — فى القليل النادر — من مخلوقات مسكينات ، امتحنت بمسخ فطرتها فجاءت الى الدنيا شاذة شوهاء . .

كما نسقط من حسابنا ، هؤلاء الآبقات اللائى تمردن على القانون الفطرى ، فانحرفن عن الغاية المرسومة ، وانطلقن فى الدنيا يلتمسن غايات أخر ، ويمارسن حياة ضالة مضطربة

وأكثرهن ضحايا ، قد أكرهن على الخروج ، وأرغمن على التمرد ، لكن الطبيعة لا تتأثر بهذا « الظرف المخفف » حين تحكم عليهن فى محنتهن . . . إنها تسومهن سوء العذاب : تبتليهن بالضجر والملال ، وتذيب فى كؤوسهن العلقم والسم والظلام ، وتغص منهن قطرات الحياة ، لأنهن — فى حكمها — غير أهل للحياة !

***

المرأة إذن ، تسير فى الحياة محكومة بقانون قد رسم لها غايتها ، فلا تتمرد عليه إلا اذا غرر بها فقامرت بحياتها وخسرت سعادتها

وهى فى نظرتها الى الرجال ، تخضع لهذا القانون ، فيعجبها منهم ذلك الذى يمثل « الرجولة » بمعناها الأصيل . الرجولة التى تتجلى بجانبها أنوثة الأنثى ، وتزهو بها ، وتتكامل معها ، بحيث تتكون منهما تلك « الشركة الأبدية » التى تحقق فيها الأنثى غايتها ، وتؤدى رسالتها التى خلقت من أجلها

فقومات الرجولة عند المرأة ، تصدر من هذا النبع الفطرى فتتمثل فى الرجل القوى الأمين ، المقدر لمكانه من تلك الشركة الاجتماعية الطبيعية ، القادر على احتمال نصيبه من عبئها

وتشمئز المرأة من ذلك الطراز الذى عاقه شذوذه أو ضعفه عن احتمال العبء ، فوقف من المرأة موقف الثعلب من العنب ، وراح يشتق منها بالتفنن فى رسم صورة مشوهة لها ، لا وجود لها إلا فى خياله الشاذ السقيم

كما تشمئز من ذلك الصنف المخنث الذى يشتبه عليها أمره ، إذ تفتقد فيه شمائل الرجال ، وطبيعة النساء ، فإذا هو مسخ مرذول ، لا من هؤلاء ، ولا من هؤلاء ...

والأمر هنا غير مقصور على المرأة حين تختار الزوج ، وانما هو عام شائع ، تخضع له فى كل حالاتها وظروفها ، ما بقيت فطرتها بريئة من الشذوذ والانحراف . فهى تزن الرجال بذلك الميزان الفطرى المنضبط وإن لم تربطها بهم رابطة من قرابة أو زوجية . وقد يبدو ذلك غريباً عند النظرة العجلى ، لكنا اذا حققناه ألفيناه طبيعياً مألوفاً لا غرابة فيه . أو لسنا نمر بالشيء لا تصلنا به صلة ، فنحكم عليه بمقدار صلاحيته لتحقيق الغاية التى نراه خلق من أجلها ؟ أو لسنا نزور المعارض ، فنزن ما فيها من معروضات بهذا الميزان ، وان لم تكن بنا اليها حاجة ؟

كذلك شأن المرأة فى تقويم الرجال . . تحكم عليهم بمقدار حظهم من الرجولة كما تتمثلها بفطرتها السليمة ، وان لم تجمعها بهم صلة أو تربطها اليهم رابطة

* * *

وقد كثر الحديث الواهم عن «التعويض» وأثره فى نظرة المرأة الى الرجل وحكمها عليه ، يعنون به هنا ، أن نقص الرجل فى ناحية من نواحيه ، تعوضه زيادة فى ناحيه أخرى . والواقع أن اطلاق مثل هذا الحكم العام ، فيه كثير من الوهم والخطأ ، فان نظرية التعويض هذه تصح اذا أريد بها الصفات العرضية التى لا تتصل بجوهر الرجولة الحقة كما تراها المرأة . فاذا تجاوزت هذه الأعراض بطلت ولم يعد فيها غناء . فالرجولة تعوض أى نقص فى المظاهر الشكلية والصفات العرضية ، ولا شيء غيرها يمكن أن يقوم مقامها أو يعوض النقص فيها . وقلما تخطىء المرأة فى هذا التقدير ما لم تخدع أو تضلل ، فيتشابه عليها الأمر ، ويختلط العرض بالجوهر ، فتغفر النقص فى رجولة الرجل اذا صحبه جمال مظهر ، أو خلابة منظر ، أو ضخامة ثروة ، أو دوى شهرة . لكنها لن تلبث أن تثوب الى فطرتها فتعرف خطأها وتأسى عليه

* * *

وبعد فقد يسأل سائل : أكل النساء سواء فى تقويم الرجال ؟ فأجيب إننا جميعا نعرف فى نفوسنا جوهراً واحداً تختلف صوره باختلاف كل منا ، وتتعدد أشكاله تبعا لظروفنا وبيئاتنا ، وإن اتحدت حقيقته . . إننا لا نغفر النقص فى « رجولة الرجل » ولا نحتمله ، بل تعافه نفوسنا وتشمئز منه . ولكل منا بعد ذلك صورة للرجل المثالى : تصورها فى عالمها الخاص ، وتطبعها بطابعها المتميز ، وترسمها بألوانها المحببة ، وتضفى عليها ما تعكسه ظروفها وشخصيتها وتجاربها من أضواء وظلال . ثم لا ترضى ـ باختيارها ـ عنه بديلا ولو أوذيت فى سبيله ، وعبرت اليه على جسر رهيب من الآلام . . .

شوشاى بنت الشاطىء

دومبارتن اوكس ..
افضل من عصبة الأمم

بقلم « أبى عصبة الأمم » الفيكونت سيسيل

« أبو عصبة الامم » هو اللقب الذى يطلقونه فى صحافة العالم ومحافله السياسية على الفيكونت سيسيل ، فهو أحد الذين وضعوا ميثاق عصبة الامم ، وأحد الذين أرادوا تمكينها من أداء رسالتها . وهو لهذا خير من يقارن بين عصبة الامم القديمة وبين الهيئة الجديدة التى قرر مؤتمر دومبارتن أوكس اقامتها ، وخير من يتبين ما فى هذه الهيئة من عناصر القوة ومناحى الضعف ، وما يرجى منها للعالم القادم من اقرار السلام وتهيئة الرخاء

كانت الفكرة التى يقوم عليها ميثاق عصبة الامم هى وجوب « التمهل » قبل اعلان الحرب ، ليتيسر فى أثناء هذه « المهلة » بحث النزاع الذى يؤدى الى نشوب الحرب ، وذلك بأن تمتنع الاطراف المتنازعة طوال هذه الفترة عن الاخذ بأى عمل عدائى

وهكذا لم يقصد الميثاق الى منع الحروب مهما تكن الاسباب الداعية اليها والظروف المهيئة لها . بل كان كل ما قصد اليه الا تلجأ الدول الى الحرب الا بعد ان تستنفد جميع الوسائل الاخرى الكفيلة بفض كل نزاع يحتمل ان يؤدى الى القتال.

هذه هى الفكرة الأساسية التى قام عليها ميثاق عصبة الأمم . أما فى الهيئة الجديدة التى اقترح مؤتمر دومبارتن اوكس انشاءها ، فتقوم هيئة جديدة هى « مجلس الامن » الذى تقرر أن يحمل المسئولية الاولى فى المحافظة على السلام . فالعصبة القديمة كانت ترى أن هناك من المنازعات الدولية ما لا يمكن فضه بالوسائل السلمية ، وما لا بد أن يفض فى ساحة القتال . أما العصبة الجديدة فتريد ان تستبعد الحرب بين الدول بتاتا ، اذ ترى أن كل نزاع دولى يمكن أن يحل على مائدة المفاوضة بدلا من الزج بالشعوب فى اتون الحرب

فمهمة مجلس الامن هذا « استقصاء أى نزاع أو أية حالة قد تؤدى الى احتكاك دولى لكى يقرر ما اذا كان من المرجح أن يترتب على استمرارها تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر » . فاذا قرر ان من الخطر استمرارها « وجب على طرفى النزاع أن يلتزما قبل كل شىء بالسعى الى حل النزاع بطريق المفاوضات ، أو الوساطة ، أو التوافق ، أو التحكيم ، أو تحقيق تسوية قضائية ، أو اتخاذ غير ذلك من الوسائل السلمية التى يختارانها. وينبغى على مجلس الامن أن يستدعى طرفى النزاع لحسمه بهذه الوسائل »

ولهذا سيكون مجلس الامن ، مزودا بالسلطة التى تبيح له اختيار أية تدابير دبلوماسية أو اقتصادية أو اية تدابير أخرى لا تنطوى على استعمال القوة المسلحة ، يجب استخدامها لجعل قراراته نافذة ، وان يكون له حق استدعاء أعضاء الهيئة لتطبيق هذه التدابير . وقد تتاول هذه التدابير التعطيل الشامل أو الجزئى للمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والتلغرافية واللاسلكية ووسائل المواصلات الاخرى . وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية .

واذا رأى مجلس الامن ان مثل هذه التدابير غير كافية ، فينبغى أن تخول له السلطة التى تمكنه من استخدام القوات الجوية أو البحرية أو البرية، على النحو الذى يراه ضروريا لحفظ السلم والامن الدوليين أو استعادتهما . وهذا العمل قد يشتمل على التظاهر والحصار ، والعمليات الاخرى التى تضطلع بها قوات جوية أو بحرية أو برية لاعضاء الهيئة .

وينبغى على كافة أعضاء الهيئة المساهمة فى حفظ السلم والامن الدوليين، وذلك بتعهدهم بأن يقدموا لمجلس الامن بمجرد طلبه القوات المسلحة والتسهيلات والمساعدة اللازمة . ويقرر المجلس — طبقا لاتفاقات خاصة مبرمة بين أعضاء الهيئة — مبلغ وانواع القوات والتسهيلات والمعونة الواجب توفيرها

هذه هى السلطات الرئيسية المخولة لمجلس الامن ، وله الى جانب هذا سلطات اضافية أخرى . فله « لجنة اركان حرب » تتألف من كبار الخبراء فى الشؤون الحربية ، ليسدوا النصائح الواجبة لاعداد القوات التى تصد كل عدوان . فمهمة هذه اللجنة « تقديم المشورة والمساعدة لمجلس الامن فى كافة المسائل المتصلة بمطالبه الخاصة بحفظ السلم والامن الدوليين . واستخدام قيادة القوات الموضوعة تحت تصرف المجلس ، وتنظيم الاسلحة ونزع السلاح الممكن . وينبغى أن تكون هذه اللجنة مسئولة ، تحت اشراف مجلس الامن ، عن الادارة الاستراتيجية لقوات المجلس المسلحة »

ولكن مجلس الامن هذا يشبه مجلس عصبة الامم القديمة من وجهة تشكيله . فهو يتألف من أحد عشر عضوا يندب كل منهم عن عضو من أعضاء الهيئة ، على أن يكون خمسة منهم أصحاب مقاعد دائمة وهم ممثلو الدول الاربع المحاربة : الولايات المتحدة الامريكية ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، وجمهورية الصين . ثم ينضم اليهم مندوب فرنسا فى الوقت المناسب . أما المندوبون الستة الآخرون الذين يشغلون المقاعد غير الدائمة ، فينتخبهم المجلس العام لمدة عامين على ان ينسحب ثلاثة منهم فى كل عام

وهناك فقرة فى وثائق دومبارتن أوكس تتطلب امعان النظر والفكر مليا . فهى تقول: « ينبغى أن ينظم مجلس الامن بحيث يكون قادرا على العمل باستمرار . وذلك بأن تمثل كل دولة من أعضائه تمثيلا دائما فى مقر الهيئة . وله أن يعقد اجتماعات فى اماكن أخرى على النحو الذى يراه حقيقا بتسهيل عمله على أحسن وجه . وينبغى ان تعقد اجتماعات

دورية يمكن لكل دولة من أعضاء مجلس الامن أن تمثل فيها ، اذا رغبت فى ذلك ، بواسطة عضو من أعضاء حكومتها ، أو مندوب آخر خاص .

والذى أريد أن أوجه اليه النظر هو ألا تتحول هذه الهيئة التى نريد انشاءها الى مجرد لجنة دبلوماسية تتخذ مقرها فى أحد الاقطار الثانية . فانى أخشى فى هذه الحالة أن تصبح ضئيلة السلطة ضعيفة النفوذ . ولهذا فانى أرجو ألا تهمل مسألة ارسال أعضاء الحكومات ووزرائها لحضور اجتماعات الهيئة . بل انه اذا أريد انشاء هيئة ذات سلطة نافذة فعالة ، فان من الواجب ان تؤلف من هؤلاء الوزراء الذين يستطيعون ان يوجهوا سياسة بلادهم. فتنقل المجلس من عاصمة الى عاصمة حسب الظروف ، وحضور رئيس الحكومة أو أعضائها المسئولين اجتماع المجلس ، من شأنه أن يضفى عليه قوة لم يظفر بها مجلس عصبة الامم الذى كانت الدول تنظر اليه على انه مجرد هيئة دبلوماسية مقرها جنيف ، فلم يكن لقراراته التأثير المعنوى ولا التأثير المادى المنشود

وهناك نقطة أخرى أرى ان لها أهمية كبيرة . وهذه هى السلطة المخولة للسكرتير العام للهيئة الدولية الجديدة . فان « له الحق فى لفت نظر مجلس الامن لاية مسألة قد يرى انها تهدد السلم والامن الدوليين » . وأرى ان هذا الحق سيكون له من الوجهة العملية أهمية كبيرة . فليس من الميسور لممثل أية دولة ان يتهم دولة أخرى بأنها تتأهب للحرب ، وخصوصا اذا لم يكن بينها وبين دولته عداء ما . واذا وجه مثل هذا الاتهام فى مجتمع دولى كعصبة الامم فانه يؤدى حتما الى افساد العلاقات بين الدولتين . ولهذا كان من الافضل تعيين موظف خاص – لا يمثل دولة من الدول – يتولى تنبيه المجلس الى هذه المسألة التى لا يرغب ممثلو الدول فى اثارتها خشية ما تجره من العواقب

ولكن هناك أمورا أخرى أرى أن مؤتمر دومبارتن اوكس لم يتخذ فيها قرارا حاسماء ولست أدرى على أية صورة تعالجها الهيئة الدولية القادمة

فليست هناك فكرة واضحة عما سيتبع فى شأن الدول التى كانت واقعة تحت الانتداب، ولا عن القواعد التى سيقوم عليها حل مشاكل الاقليات المنتشرة فى شتى دول العالم

ثم هناك مسألة الاسم الذى يطلق على هذه الهيئة الدولية . والظاهر ان الرأى قد انتهى الى تسميتها « هيئة الشعوب المتحدة » . ولكنى ارتاب فى أن يكون هذا هو خير الاسماء وأنسبها . فانى اذكر اننا عند ما كنا نبحث هذا الامر فى باريس منذ ثلاثين سنة ، رأينا انه من اللازم ان نتخذ اسما لا يمت الى الحرب بصلة مباشرة . وكلمة « الشعوب المتحدة » تحمل معنى حربيا ، اذ انها الكلمة التى اطلقت على الشعوب التى حاربت « المحور » . ولهذا فانى أظن انه ليس من المرغوب فيه ان نطلق على الهيئة التى نقيمها لاقرار السلام نفس الاسم الذى أطلقناه على الهيئة التى تولت شن الحرب وادارتها.

أما الامر الحقيقى الذى يريد أن يعرفه كل فرد فهو : هل تستطيع هذه الهيئة الدولية أن تؤدى رسالتها ؟ هل تستطيع ان تمنع الحرب وتقر السلام ؟ وكل ما يمكنى أن أقوله

ردا على هذا التساؤل هو أن الامر يتوقف على مدى التأييد الذى تظفر به هذه الهيئة من الرأى العام . ذلك أن أية هيئة دولية لايمكن أن تقوم بعملها مثلما تقوم به الهيئات المحلية . فالحكومة المحلية تعتمد — فى القيام بعملها — على كونها تسيطر سيطرة تامة على مرافق الدولة ، سواء كانت مرافق معنوية أو مرافق مادية . فكل قرار تتخذه هذه الحكومة المحلية يمكن فرضه بالقوة اذا أراد أحد المواطنين ، أو ارادت جماعة من المواطنين ، ان تخرج عليه وتقاوم تنفيذه . ولكن الامر ليس كذلك فى الهيئات الدولية ، فانها لا تستطيع ان تصدر الاوامر وأن تفرض اطاعتها ، بل كل ما يمكنها أن تعقد اتفاقا بين اعضائها على تنفيذ أمر ما ، بوساطة ما يقدم كل عضو من المعونة اللازمة لهذا التنفيذ . وعلى ذلك كان من أهم الامور أن تظفر هذه الهيئة بتأييد الرأى العام الذى سيقدم لها ما يلزمها من القوة والمعونة . وتراخى الرأى العام أو انصرافه هو السبب الحقيقى فى اخفاق عصبة الامم

واذا تكلمنا بصراحة ووضوح فلنقل ان الدول الكبرى ، لا الدول الصغرى ، هى التى ضنت على العصبة بالتأييد والمعونة . وقد انتقدت سياسة الدول الصغرى تجاه عصبة الامم انتقادا شديدا ، وقيل انها — بمشاكلها المتعددة المعقدة — هى المسئولة عن اخفاق العصبة فى تأدية رسالتها . ولكن الواقع الذى اعلمه أن هذه الدول الصغيرة كانت راغبة كل الرغبة فى نجاح العصبة ، خوفا من الحرب واشفاقا من ويلاتها . والدول الكبرى هى التى ظنت ان فى قواتها الخاصة ما يغنيها عن قوة عصبة الامم ، فتهاونت فى تأييدها وتدعيمها . ولهذا أحسن مؤتمر دومبارتن اوكس اذ وضع على كاهل الدول الكبرى العبء الاكبر فى منع الحرب واقرار السلام ، وذلك بتمثيلها تمثيلا دائما وكاملا فى « مجلس الامن » بينما جعل تمثيل الدول الصغرى مؤقتا وجزئيا

أعود ثانية فأقول ان نجاح الهيئة الدولية القادمة واخفاقها متوقف على مدى ما يتاح لها من تأييد الرأى العام . ولهذا نسى رجال دومبارتن أوكس أمرا هاما ، هو أمر « الدعاية » . فلا بد أن تضم هذه الهيئة جهازا قويا للدعاية يجمع حولها الرأى العام ، باطلاعه على اسباب ما ينشب من النزاع ، وعلى ما ينبغى عليه ان يقدمه من المعونة أو من التضحية فى سبيل حسم هذا النزاع بالحسنى أو بالقوة

بل ان الدعاية وحدها لا تكفى ، بل لا بد ان تهتم هذه الهيئة بأمر التعليم . نعم ، يجب أن تعلم الشعوب تعليما جديدا يبين لها مدى ما تصبه الحرب من النقمة والبلاء ، ومدى ما يحققه السلام من الرقى والرخاء . ويجب ان يعلم كل فرد فى العالم ان هذه الهيئة الدولية تعنيه بمفرده ، كما تعنى وطنه بأكمله ، وكما تعنى العالم جميعا . ويجب ان يعلم ان العالم لا يستطيع ان يثير حربا هائلة كل عشرين أو ثلاثين سنة الا اذا كان راغبا فى تحطيم كل ما تعتز به من مرافق الحضارة واسباب الحياة

(عن صحيفة الغد « تورونتو »)

النهضة العربية
بين مجهود الحكومة والفرد

بقلم الأديبة اليس قندلفت قزما

ان النهضة الحقيقية ليست الا نتيجة للتفاعل المستمر بين مجهود الحكومة ومجهود الفرد ، أي بين المجهود الذي يثبت ويركز ويسم ، والمجهود الذي يبدع ويكتشف ويولد

اني ممن يعتقدون ان هذه الفترة من الزمن هي من أفضل الفترات للتفكير في نهضتنا وللسعي في سبيل توطيدها وتعجيلها . وان هـذا العمل يتطلب مساهمة الحكومة أو الحكومات من ناحية ، والفرد أو الافراد من ناحية أخرى ، ليتسنى لنا القيام به بأسرع وقت ممكن ، وعلى أكمل وجه مستطاع . أجل ، يمر العالم اليوم بمرحلة عصيبة مفجعة ، بل بأفجع مرحلة عرفها التاريخ ، جعلت الكثيرين من الناس لا يفكرون في شؤون المجتمع الا بقدر ما تؤثر هذه الشؤون على حياتهم اليومية الخاصة . على ان الافراد الذين يشيدون العمران ، والامم التي تتسلق قمم العظمة ، لا تسمح لضغط الظروف القاسية ان تسيطر على أعصابهم ، بل يظلون رابطي الجأش في وسط العاصفة . يرون صعوبات الحاضر فيعملون على تذليلها بالاجراءات الفعالة ، ويدركون معضلات المستقبل فيحاولون اجتيازها بالحلول الحكيمة . وهذا ما يضمن لهؤلاء الافراد ولاممهم حياة عزيزة مجيدة ، ويؤهلهم لتبوء أعلى المراكز في المجتمع الانساني

أقول ان هذا الظرف من أحسن الظروف ملاءمة لبحث النهضة والعمل على تحقيقها ، لان هذه الكارثة الكبرى ، التي تنتاب العالم بأجمعه ، قد أيقظت الناس من رقاد طويل ، وجعلتهم في حالة تنبه حاد . ارهفت أذهـان الناس ، فأصبحوا يتفهمون اليوم ما كان يستحيل عليهم فهمه في الماضي . فتحت آذان الناس ، فتمكنوا من سماع أقوال ما كان باستطاعتهم بالامس سماعها . وأنارت بصائر الناس ، فتمكنوا من رؤية حقائق عميقة ما كان بمقدورهم في الامس أن يروها . هزت أسس الانظمة والعادات والتقاليد هزا عنيفاً فاقتلعت منها البالي الحقير غير الصالح للحياة ، ومدت ألسنة لهيبها الى عالم الفكر ، فالتهمت ما كان متراكما فيه من الهشيم اليابس

لذلك وجب علينا أن نضاعف منذ الآن المساعي والجهود ، لرفع مستوى حياة مجتمعنا كما تفعل الامم العظيمة التي برغم اشتراكها في القتال لم تنقطع عن الاهتمام بكل مناحي

الحياة ومشاكلها ، مما ليس له علاقة مباشرة بالحرب . وما فتئت تضع الخطط الاصلاحية الانشائية ، للحاضر والمستقبل . بل وجب علينا نحن العرب ان نكون فى هذا المضمار أكثر اسراعا من تلك الامم ، وأشد حرصا على عدم ضياع الوقت فى التوافه ، لعلنا نعوض بعض التعويض عن التقصير الذى لحق بنا فى الماضى

لقد تسنى لنا ولكل من عمل فى حقل التربية والتعليم ، أو فى غيره من حقول القضايا العامة ، أن نسمع المتشائمين من أفراد الامة يدعون ، ان عالمنا العربى لم يخط فى ربع القرن الأخير خطوة الى الامام . بل يغالون فيقولون انه ، من بعض الاوجه ، قد تقهقر خطوات الى الوراء . وطالما سمعناهم أيضا ينحون باللوم على الحكومات ، فيحملونها كل التبعة فى التقصير ، ويسندون اليها كل ما يعتور حياتنا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية من وهن أو خلل أو فساد

وانى ، وان كنت من الذين يرغبون فى النقد لانه حافز على الاصلاح ، ويحبذون الاصرار فى طلب الكمال ، لانه دافع الى الجدّ والاجتهاد ، لا أذهب مذهب هؤلاء المتشائمين بل أعتقد اننا فى مختلف أطوارنا ، قد خطونا فى ربع القرن الاخير ، فى مضمار التقدم خطوات ملموسة ، تنبىء الى حد ما ، عما تتحلى به العروبة من مواهب ، تؤهل أبناءها للحياة ، وتضمن لهم فى المستقبل اشباه مجد لا يقل خطورة وعظمة عن مجد أسلافهم الخالد . ولكنى اعتقد فى الوقت نفسه انه كان بالاستطاعة ان يكون هذا التقدم أعمق وأعم وأسرع ، لو لم يكن نتيجة عمل عفوى مفكك . بل كان نتيجة عمل قصدى منظم ، ناشىء عن شعور عام بالمسئولية ، وتآزر وثيق فى الجهود

على ان لهذا التقصير من الاسباب ما يتجاوز احيانا كثيرة حدود الامة العربية ، ولذلك فليس من الصواب تحميل حكوماتها كل تبعاته الثقيلة . أجل ، ان حكومات العالم أجمع لم تقم بواجباتها دائما خير قيام . فكلها مسئولة عن بعض التقصير ، ولو بدرجات متفاوتة . والنقد من هذا القبيل لا يمكن ان يتناول حكوماتنا وحدها ، اذ ان هذا الاستثناء ظلم يأباه الانصاف

ولتقصير الحكومات العربية فى هذا الشأن اسباب عديدة ، تفسره وان كانت لا تبرره تبريرا تاما . منها انهماك أبرز رجال العرب فى النضال القومى والنشاط السياسى اللذين اقتضتهما عملية انشاء هذه الدول العربية الحديثة والحصول على استقلالها ، فى ظروف قاسية لم تسمح الا جزئيا بتخصيص الجهود لغير ذلك من الامور . ومنها أن هذه الحكومات العربية لم تكن فى بعض الاوقات حرة فى تصرفاتها . بل كانت مقيدة احيانا بارادة لم توافق مع ارادتها ، ورغبات لم تنسجم مع رغباتها . ومنها حداثة عهد العرب المعاصرين فى ممارسة الحكم الذاتى والاشراف بأنفسهم على ادارة شؤون بلادهم . ومنها أيضا عجز ميزانيات هذه الحكومات العربية عن تحمل النفقات الباهظة التى يتطلبها تحقيق المشاريع الاصلاحية الواسعة ، والقيام بالاعمال الانشائية الجبارة

ليست غايتي من تعداد هذه الاسباب أو غيرها مما لا يتسع المجال لذكره الآن ، دفع تبعة التقصير عن عاتق الحكومات ، فقد كان بوسعها ولا شك رغم العراقيل والصعوبات المعروفة ، القيام بأعمال كثيرة لم تقم بها . وانما اتوخى في بحثي هذا وضع الاشياء في موضعها ، وابراز الحقيقة منزهة من كل تشويه والتطلع الى المستقبل الذي نريده زاخرا بالحياة ، اكثر من التطلع الى الماضي الذي لا نريد الالتفات اليه الا لنأخذ منه عبرة نفيد منها فيما نحن مقدمون عليه

اما وقد أصبحنا على عتبة عهد جديد ، نأمل ان تنال فيه البلاد العربية كلها استقلالا تاما وسيادة قومية غير منقوصة . اما وقد بدأت بعض هذه البلاد تتمتع الى حد ما بهذه السيادة وذاك الاستقلال ، مما يسمح لهـا ان تدير بحرية القسم الاكبر من أمورها الداخلية على الاقل ، اما وقد تم ذلك ، فان مفعول تلك الاسباب الناشئة عن ارادة غير ارادة العرب قد زال بعضه ، وسيزول ان شاء الله في وقت قريب

وها نحن نرى أنفسنا من جراء ذلك أمام حادث جديد في حياتنا القومية العصرية . فقد أصبح في يدنا تقرير مصيرنا ، وتدبير أمورنا ، والسير سيرا حثيثا في طريق النهضة الحقيقية ، اذا أحسنا استعمال ما استرجعناه من الحقوق . على ان هذا الحادث الجديد يحملنا تبعات جسيمة ، تتطلب منا علاوة على الشعور الوطني الصادق ، وعيا عميقا لادراك حاجاتنا ، وكفاءة تامة لوضع الخطط المحكمة الدقيقة وارادة حازمة للتنفيذ . واتكالا على أنفسنا يجعلنا نقدم على حل معضلاتنا بتجرد واخلاص ودون تردد. لاننا أصبحنا وسنصبح قريبا ، المسئولين الوحيدين عن مصيرنا . وستضعنا الحياة في الميزان ، ثم تصدر حكمها فينا ، فاما معنا واما علينا

ومن الطبيعي أن نتساءل في مثل هذه الساعة التاريخية الخطيرة ، التي نجتاز فيها الحدود الفاصلة بين ذاك العهد الذي أوشك ان ينتهي ، وهذا العهد الذي أوشك ان يبدأ « كيف يجب علينا ان نسلك ليكون حكم الحياة علينا حكما يرفعنا الى مصاف الشعوب الجادة في السير نحو ذروة المجتمع الانساني ؟ » . والجواب الذي لا أجد له بديلا ، هو ان كل فرد واع من أفراد أمتنا ، حكومة وشعبا ، يجب ان يعتبر نفسه كأنه مسئول عن حياة الامة بكاملها ، فيبذل من تلقاء ذاته أقصى مجهود باستطاعته بذله خدمة للمصلحة العامة . وأقول حكومة وشعبا ، لان الاعتقاد السائد بأن النهضة تقوم على مجهود الحكومة وحدها ، خطأ شائع عندنا ، يؤدي حتما الى تأخير النهضة الحقيقية الشاملة . ولا بد لنا نحن العرب ، في فجر يقظتنا الجديدة هذه من مكافحة هذا الاعتقاد بكل قوانا ، حتى نقتلعه من جذوره . لان اعتناقه أو التأثر به ، يعرضنا لاخطار كثيرة ينبغي ان نتحاشاها ، حرصا على نجاح مساعينا ، وسهرا على سلامة كياننا

ان هذا الخطأ الشائع يدفع بالكثيرين الى احضان الاتكالية ، فتقضي على فعاليتهم ويصبحون أعضاء خاملين جامدين . لا يجني المجتمع من وجودهم أية فائدة ، كما انه يدفعهم اذا

ما خاب اتكالهم ، الى احضان معارضة عقيمة تهدم ولا تبنى

ونحن نعلم ان استئصال هذا الاعتقاد ليس بالأمر الهين . لان الاتكالية اسهل من الفعالية ، والمعارضة العقيمة التي تهدف الى الهدم فقط ، اسهل من المعارضة المنتجة التي ترمى الى البناء . فالاتكالية والمعارضة العقيمة لا تستلزمان جهودا ، واما الفعالية والبناء فيستلزمان جهودا جدية متواصلة . وكلنا يعلم أيضا ان العظمة الحقيقية ، عظمة الافراد والجماعات ، لا تقوم الا على الجهود المتواصلة الجدية . فهذه الجهود هي في المجتمع الانساني ، الحركة المبدعة التي تنبثق عنها الحياة كل يوم متجددة متسامية . ومن البديهي اذن انه كلما تكاثر عدد الذين يبذلون هذه الجهود ، ازدادت حيوية الامة التي ينتمون اليها ، وتضاعفت سرعة تحقيقها لما تصبو اليه من الاماني والاهداف

ان تاريخ العالم ، من أبعد العصور حتى عصرنا هذا يثبت ان رقي الشعوب ما هو الا نتيجة للتفاعل المستمر بين هذين العملين أو المجهودين ، مجهود الحكومة ومجهود الفرد ، من تباين ينشأ عنه التنوع والتنافس والتجدد ، ومن توافق ينشأ عنه الانسجام والتعاون والتسارع . وهذا يجب ان يتجلى في حياة أمتنا العربية المقبلة اليوم على تطورات عميقة واعمال خطيرة ، يتوقف عليها مستقبل أبنائها وما قد يلحق بهم من سعادة أو شقاء

ولا شك ان الصدمة الهائلة التي منى بها العالم في الزمن الاخير قد زعزعت كل القيم ، ووضعت في كفة الميزان كل التقاليد ، قد لفتت نظر الحكومات النيابية الى نقط الضعف التي تعتور كيانها . فرأيناها تسرع لاصلاحها ، فتستدرك وتحاول ان تتلمس تيارات الفكر واتجاهاته ، وان تتفهم حاجات الشعب ورغباته ، فتعمل على مصالحة القضايا قبل أزماتها ، وعلى حل المعضلات قبل استفحالها

وأمل الانسانية الواعية ان يكون هذا السير مطردا فيزيل ، الى الحد الممكن ، نقائص الماضي . فيصبح النظام الديمقراطي البرلماني ، وفقا للفلسفة التي انبثق عنها ، جسما حياً ذا عقلية متحركة ، نافذة البصر ، مجردة عن الاهواء الذاتية ، لا تتأثر الا بتأثيرات الفكر المبدع والمصلحة الاجتماعية العامة . ونحن واثقون انه لو تحقق هذا التكامل وعم ، لما اضطر شعب لانقلاب ولما انغمس العالم في حرب

غير أن الجهاز الحكومي مهما تكامل ، ومهما تحرر من الاستمرارية وانعتق من مختلف التأثيرات التي تشل نشاطه أو تفسده ، فسيبقى له من تكوينه الطبيعي المعقد ، عوائق تجعل عمله أقرب الى عمل التركيز والتثبت والتعميم منه الى عمل التوليد والابداع ولذلك فسيبقى المجتمع الانساني دائما في سيره المستمر نحو الكمال ، في حاجة الى مصدر آخر للمجهود غير المجهود الحكومي ، بانعتاقه من التعقد . وهذا المصدر الثاني هو الفرد ، خاصة اذا تأمنت له حرية الفكر والمبادءة والنشاط

وهذا أمر بديهي ناشىء عن أسباب طبيعية عديدة

فالفرد أقرب الى تفهم حاجاته والتحسس بحاجات محيطه الصغير ، تلك الحاجات التي

لم تصبح بعد معضلة عامة ليتناولها التشريع . وبامكانه لعدم تقيده بسلك اداري له انظمته وتقاليده ومراتبه ، ان يقوم بمحاولات لسد تلك الحاجات ، دون ان يضطر الى اقناع غيره، أو الى تغيير حرف واحد من القوانين والدساتير .

والفرد يتصرف بوقته وماله وقواه كما يشاء ، دون ان يؤدي عن ذلك حسابا لاقران أو رؤساء . وباستطاعته كذلك ان يبذل ما يرى ضرورة بذله ، في سبيل استقصاء حقيقة لا تخطر على بال الناس ، أو في سبيل القيام بعمل يهزأ منه الناس لمجرد انه في نظرهم غير مألوف أو غير معقول

فالعمل الابداعي في العلم والفهم والاجتماع والاقتصاد وفي كل ناحية من نواحي الحياة ، لم يكن مرة الا نتيجة مجهود الفرد . والعالم مدين لمجهود الفرد بكل الاكتشافات التي غيرت مجرى التاريخ ، وقلبت عقلية الاجيال ، واقامت حدودا فاصلة بين مختلف الازمنة

ويمكننا ان نشبه مجهود الحكومة بعمل مصنع أدوية ضخم ، ينتج انواعا معينة من العقاقير حازت على موافقة المراجع الطبية الرسمية . والمطلوب من هذا المصنع ان ينتج كميات كبيرة كافية لسد حاجة الاستهلاك . اما المجهود الفردي فيشبه عمل مختبرات صغيرة كثيرة ، تقوم بتجارب جريئة ، لاكتشاف علاجات جديدة أفضل من الموجودة . فاذا فشلت لا يحدث فشلها خللا في المجتمع ، واذا نجحت نال المجتمع من جراء نجاحها خيرا عظيما

ولا شك ان المصنع الكبير والمختبر الصغير يكملان بعضهما ، وكل منهما ضروري للآخر . لذلك كانت النهضة الحقيقية ليست الا نتيجة للتفاعل المستمر بين مجهود الحكومة ومجهود الفرد، أي بين المجهود الذي يثبت ويركز ويعمم، والمجهود الذي يبدع ويكتشف ويولد . والمثل الاعلى الذي يجب ان تصبو اليه الانسانية الواعية ، هو ان يتمكن هذان المجهودان من القيام كل منهما بعمله دون ان يصطدما، وان لا يضع الواحد منهما المصاعب والعراقيل في طريق الآخر . بل المثل الاعلى للتعاون بين هذين المجهودين ، هو ان ينتقد الفرد العمل الحكومي بجرأة وحرية واستقلال تام في الرأي ، وان تنشط وتشجع وتساعد الحكومة المجهود الفردي ، دون ان تحاول السيطرة أو حتى الاشراف عليه ، لئلا تزيف طبيعته وتفسد نتائجه

واني أتمنى ان يتحقق هذا المثل الاعلى في أمتنا العربية ، التي هي الآن بحاجة ماسة ، ليس لمجهودات حكوماتها فحسب ، بل ولمجهودات كل أفرادها . لان تحقيق هذا المثل الاعلى في حياتها الجديدة ، يفتح امام أبنائها الموهوبين أبواب النشاط الفكري والعملي ، ويفسح المجال لمواهبهم الكامنة ، فتتمكن من الظهور والنمو والتحقق تحققا تاما ، يساعد على تكامل نهضتنا ، التي لا اخالها الا أعظم من التي سبقتها اشعاعا واشراقا

الياس فرانسيس فرح

الشعـــر الأندلسى

وتأثيره فى شعر المطربين[1]

ملخص بحث بالفرنسية للسيد هنرى بيرس[2]

الأستاذ فى كلية الآداب بالجزائر

ازدهر الشعر الاندلسى فى عهد ملوك الطوائف فى القرن الخامس للهجرة لا أيام عز الخلافة الاموية . ففى حدود ذلك العهد نبغ شعراء عدلوا عن الاغتراف من أساليب النظم السائدة فى المشرق ، فامتازوا بصفات أندلسية ، منهم أبو عمر بن شهيد صاحب « رسالة التوابع والزوابع» وابن حزم الاندلسى صاحب « طوق الحمامة » ، ثم المعتمد وابن زيدون وابن خفاجة وابن عمار

وهذه الصفات موضوع هذا البحث . وبه يتضح تجاهنا موضوع آخر مداره منبع شعر المطربين الافرنج فى جنوب فرنسا

قد فطن الشعراء والنقاد فى الاندلس للتحرر من قيود النظم المتوارثة فى المشرق . ومن هذا قول ابن بسام فى الذخيرة (ط . القاهرة ج ١ ص ٢) : « حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما » .

وان أول ما يمتاز به الشعر الاندلسى وصف الطبيعة . وقد يكون هذا الوصف مستمدا أحيانا من شعر المشرق ، ولكنه كثيرا ما يستلهم طبيعة الاندلس نفسها بما فيها من جبال وأودية وغدران ورياض . ويغلب على الوصف تجسيم لمظاهر الارض . ومن الامثلة على هذا « روضيات » الاندلسيين . فقد نظم البحترى وابن المعتز والشريف وغيرهم فى محاسن الرياض غير أن نظم الاندلسيين فيها أرق ايحاء بفضل ألفاظ أوفر تعبيرا . من ذلك قول ابن خفاجة :

والريح تنفض بكرة لمم الربى ... والطل ينضح أوجه الاشجار
متقسم الالحاظ بين محاسن ... من ردف رابية وخصر قرار

و « النوريات » تأخذ مأخذ « الروضيات » فى الشعر الاندلسى . فهى أوفر صدقا فى

---

(١) المطربون (أو الطرابون ؟ Les Troubadours) هم المنشدون الافرنج فى جنوب فرنسا فى القرون الوسطى . وفى رأينا ان الكلمة الفرنسية مشتقة من « طرب »

(٢) من كبار المستشرقين الفرنسيين ، له دراسات نفيسة فى أحوال المغرب وكتاب جليل فى « الشعر الاندلسى بالفصحى » . وهذا البحث لخصه الدكتور بشر فارس ، وهو غير منشور

التعبير مما نظمه شعراء المشرق . فوصف الورود قريب من الدقة من طريق المشاهدة والتلذذ بالاسترواح . وقد أثارت ألوان الأزهار فى مخيلاتهم صورا طريفة ، فالصفراء تذكر بالعاشق الولهان والبيضاء بالمعشوقة القاسية . ومثل هذا تجده عند « المطربين » الافرنج . ولم يلتفت شعراء المشرق الى الازهار كل ذلك الالتفات ولم يستوحوها على ذلك النحو الرقيق . بل ان الاندلسيين شغفوا بالرياض والانوار حتى انهم استلهموها فى مطالع قصائد المدح والنسيب . من ذلك قول ابن لبانة :

لولا ذبول الورد قلت بأنه   خد الحبيب عليه صبغ حيائه

وسيكون هذا من شأن « المطربين » ولا سيما فى القرن الثانى عشر للمسيح

ومما راق شعراء الاندلس أيضا منظر الفجر ، فقد فتنوا بانسلال النهار من رداء الليل وذهبوا فى « التمثيل » ألطف مذهب . يقول أبو الفضل بن شرف :

وألاح الفجر خـدا خجلا   جال من رشح الندى فى عرق

وللمرأة والحب جميعا مكان رفيع فى مجموع أشعار الاندلسيين . والحق أن المعشوقة الاندلسية لا تختلف كثيرا عن أختها المشرقية من جهة الوصف ، ولكن للاندلسيين خفة ورشاقة فى الحديث عنها لا تكاد تجدهما الا عند بشار بن برد . وفى غزلهم ، فوق هذا ، قلق ، وفيه على التخصيص شغل بالموت المقترن بالحب . ألم يقل ابن زيدون فى «ولادة»:

ترى المحبين صرعى فى عراصهم   كفتية الكهف ما يدرون ما لبثوا

وهذا الشعور الأليم يدل على أن الحب فى الاندلس كان بعيد الغور ، موفور الصدق . وقد أثر بفضل ذلك فى شعر « المطربين » من الافرنج . حتى ان المعنى الواحد تجده هنا وهنا . مثال هذا الاتفاق : أن العاشق الحق عبد لمعشوقه ، وانه «أسير الوجد والطرب» وأن الحب موزع بين الالم والسرور (السرور الذى يعبر عنه المطربون بلفظ joy وأن المعشوق يلقب بالسيد أو المولى ، وانه يكنى عنه باسم مستعار ، وأن الرقيب والواشى قائمان دون السعادة التامة . ومن المعانى أيضا الحب العذرى المترفع عن الجسد . فهذا ابن حزم يقول فى « طوق الحمامة » :

ووصل الروح ألطف فيك وقعا   من الجسم المواصل ألف ضعف

ويتصل بهذا قدرة الحب على رفع النفس وترقية الضمير . وأما المرأة فى الشعر الاندلسى فهى محل اجلال . وهذا يذكرنا باللطافة courtoisie الشائعة فى شعر المطربين

بقيت كلمة فى شكل الشعر الاندلسى . فالموشح والزجل فسحا لتنويع القافية ولاطلاق الخيال

* * *

تلك خصائص الشعر الاندلسى فى عهد ملوك الطوائف . وفى هذا العهد بعينه خرج الادب الفرنسى من حال الى حال اذ انصرف الشعر الى الغناء والنسيب والرقة واحترام المرأة ، على حين أن المجتمع كان ميالا الى الخشونة والعنف والبطش . وقد حير هذا

التناقض جماعة من الذين نظروا فى نشأة الشعر الفرنسى . فرأى بعضهم خطأ ان هذا الشعر مستمد من شعر أوفيد اللاتينى ، ورأى غيرهم انه مستلهم من الأغانى الشعبية دون أن يتنبه الى طابع الفن الذى يميز شعر المطربين ، ورأى آخرون ان هذا الشعر سليل الشعر الاندلسى . وهو الرأى الادنى الى الصواب ، وان فنده علماء من الطبقة الاولى ، أمثال « رينان » المستشرق الفرنسى و « دوزى » المستشرق الهولندى . على أن الموازنة بين آثار الشعرين ترد على المفندين . فقد مر فوق تشابه كثير فى المعانى بين الشعرين ، وهنالك تشابه فى الافتنان فى سوق القوافى والمراوحة بينها . ودونك زجلا :

يا مليح الدنيــــا قول
على اش انت يا ابن ملول
أى انا عنـدك وجيـه
يتمجج منه وفيـه
ثم فاحـلى ما تيـه
ترجـع أنسك وصـول

(من ديوان ابن قزمان ، زجل ٩٩)

وأما كيف وقع التأثير فمن جهة الصلات التى كانت قائمة بين الافرنج والاندلسيين من طريق الرحلات والسفارات والمخالطات والاجتماعات على اللهو والغناء . وفى « الذخيرة » لابن بسام أخبار كثيرة عن كل ذلك ، بل فيه من الاخبار ما يدل على أن الافرنج أخذوا عن المسلمين عادة السماع ، فكانوا يطربون للالحان العربية التى يغنيها على العود قينات مسلمات (« الذخيرة » جزء ٣ ص ٥٠ وجها وظهرا ، ص ٨٥ وجها ، مخطوط فى خزانة غوطا)

والادلة على الاتصال المستمر بين المسلمين وأهل جنوب فرنسا واضحة فى ميدان الفنون ، فأقواس البناء مأخوذة من العمارة الاندلسية ، والنقوش منقولة عنها . ثم هل تخفى عن الصلات الثقافية فننسى طليطلة حيث قامت ترجمة العلوم من العربية ؟

***

وخلاصة البحث أن شعر المطربين نشأ بفضل عوامل كثيرة ، فربما تأثر بالشعر اللاتينى أو العامى ، ولكن تأثير الشعر الاندلسى الصرف فيه جلى وبعيد

المرأة العراقية

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

العراقى والمصرى يتشابهان فى الخلق – بفتح الخاء – تشابها عظيما ، فلولا اللهجة والنبرة وبعض الالفاظ العامية المحلية ، لما أحس المصرى أنه انتقل الى بلد آخر وشعب غير شعبه ، ومثل هذا يقال عن المرأة، فانها شبيهة بالمرأة المصرية فى خلقها وعاداتها

المرأة العراقية نساء شتى ، كأختها المصرية ، فهناك الريفية التى تعمل ولا تحتجب ، والبدوية التى تجرى على عرف القبائل – أو العشائر – وتقاليدها . والتى تعيش – ولا أقول تحيا – فى المدن وكأنها فى صندوق مغلق ، ولا يراها من الرجال سوى أبيها أو بعلها أو أخيها ، ولا تبدى وجهها أو زينتها حتى لزوج أختها ، أو أبناء عمومتها أو خؤولتها ، فاذا خرجت الى الطريق رأيت شيئا ملففا كأنه فى غرارة ، حتى لتعجب لها كيف تستطيع أن تبصر موضع قدمها ، أو تتقى الاصطدام بغيرها – بالناس أو بالاشياء – وهناك التى أصابت حظا من التعليم ولكنها ما زالت على الحجاب ، تؤثره لنفسها لانها شبت عليه ، أو يفرضه عليها الرجال لانهم لم يستطيعوا ان يروضوا أنفسهم على ما يقتضيه السفور ، أو التطور مع الزمن ، وهناك أخيرا الفتاة الحديثة التى تتلقى مبادىء العلوم فى مدارس للبنات وتتلقى التعليم العالى مع البنين

فاذا قلنا « المرأة العراقية » فالقارىء خليق أن يحتار فلا يدرى أى هؤلاء نعنى ، فانهن كما نرى كثر ، متفاوتات ، ولكنا نعتقد أننا نظلم المرأة العراقية اذا عنينا غير الفتاة الحديثة، لان هذه هى التى عليها المعول ، وفيها الامل ، وأمامها – أو فى يدها – المستقبل . اما الأخريات فينقرضن على الأيام ، ويمضى عليهن الزمن فيمضى بهن ، وعهدهن ذاهب لا محالة ، ولن يبقى الا الفتاة الحديثة على درجات من التهذيب والتثقيف متفاوتة بحسب طبقات المجتمع

والفتاة الحديثة تخرج سافرة ، ولكن البعض يسدلن فوق الثياب ما يسمى « العبا » أو العباءة أو الملاءة ، وهى لفقان من حرير أسود رقيق ، تشبك بالشعر ، ولا تستر الوجه ولا الصدر ، ولا فائدة لها ، وانما هى أثر متخلف من أيام الحجاب ، وبقاؤها على هذه الصورة ، خطوة الى السفور التام ، ستتلوها بلا شك خطوة أخرى ، فتطرح لانها تزيد لا خير فيه وكلفة لا داعى لها .. وأكثر الطالبات يذهبن الى معاهد التعليم وعليهن

هذه « العبا » ويخلعنها أثناء الدروس ، ويلبسنها حين ينصرفن ، على انى رأيت كثيرات من طالبات المدارس العليا يستغنين عن العباءة فى الطريق ولايتخذنها

وحدثنى مدير التعليم بلواء البصرة ، بعد أن زرت معه مدرسة متوسطة للبنات أنهن طرحن العباءة اكراما لى واحتفاء بى ، وانهن يلبسنها حتى فى الفصول اذا دخل عليهن زائر أو مفتش جديد لم يألفنه

وسألت مفتشة بوزارة المعارف رأيتها تصر على العباءة ولا تنزعها أبدا ، عن علة تمسكها بها فقالت انها عادة ، وانها لا تشعر بضيق منها ، وانها تراها فضلا عن ذلك زينة جميلة ! ولا شك أنها تكسب الوجه الجميل وضاءة ، ولكنى مع ذلك استسخفتها ، ولم أكتم رأيى فيها

ويغلب أن تلزم الفتاة العراقية الحديثة بيتها بعد الغروب ، ولها العذر ، فما ثم ما يغرى بالتلكؤ خارج البيت بعد ذلك ، الا لشهود السينما ، وقد اضحكتنى حيرة صديق لى فى الايام الاولى من زيارتى لبغداد ، أراد ، فوق الاكرام، ان يعيننى على معرفة المرأة العراقية الجديدة ، ففكر أولا فى اقامة مأدبة عشاء ، يدعو اليها مع الرجال سربا من النساء ، وكان لا بد أن تكون المأدبة فى فندق ليتسع للمدعوين والمدعوات ، ولكن العشاء لا يكون قبل منتصف الثامنة ، فلا يكون الفراغ منها الا فى الساعة التاسعة أو نحوها ، ومن العسير ان تبقى الفتاة العراقية الى مثل هذه الساعة المتأخرة . اذن ماذا يصنع ؟ قلت اجعلها حفلة شاى ، وكانت لى عليه ، كما له على ، دالة ، فاعترضتنا صعوبة أخرى مماثلة لتلك هى أن الشاى يبدأ فى الساعة الخامسة وأخلق به أن يمتد مع الحديث والخطب الى قريب من السابعة ، وهذه أيضا ساعة متأخرة ، والتوقيت العراقى يسبق التوقيت المصرى بساعة كما يعرف القراء أو لا يعرفون . فلم يسعنى الا أن أرجو منه أن يعدل عن الامر كله ، فأبى، ولكنه أراد شيئا وأراد الله خلافه ، فمرضت ، ولم تبق له حيلة الا الصبر ، وما زال صابرا !

والفتاة العراقية — كأهل العراق جميعا — تحب الشعر وتطرب له ، وتنظمه أيضا ، ولم أر أكثر من شعراء العراق ، رجالا ونساء ، وعسى أن يكون مما ساعد على كثرة الشاعرات أنهن أخلى من المشاغل ، وأبعد من اللهو ، ولكن كثرتهن مع ذلك عجيبة ، وما أكثر من سألتنى منهن لماذا طلقت الشعر ؟ كأنما كنت طلقت امرأة ! فكنت أقول لهن انى انما كففت وتبت الى الله ، ولم أطلق ، وانى استثقل لفظ الطلاق ولا استمرئه . فلا يقنعن بهذه السفسطة ، ويأبين الا الالحاح فى بيان السبب ، وأى سبب هناك غير الاخفاق والعجز

ولقيت سيدة اشتركت فى المؤتمر النسوى بالقاهرة ، وأحست انى غير راض عن مطالبة المؤتمر بحذف نون النسوة فقالت ان التى اقترحت ذلك مصرية . قلت ولكن العراقيات وافقن فهن شريكات لها فى التبعة

والعراقية — كالعراقى — تأخذ الامور جادة ، وهى مرهفة الاحساس ، وشعورها دقيق

بمركزها المتخلف فى المجتمع العراقى ، وثورتها على ذلك حادة ، ولكن بلسانها ، ولفظها بالمساواة لا يكاد ينقطع ، وقد قلت لاحداهن فى اجتماع خاص ببيت صديق « ما هذه المساواة التى تطلبين وأنت لم تخلقى خلقة الرجل ؟ ثم انك مخطئة حين تظنين ان اختلاف الوظيفتين معناه ان الرجل اسمى مقاما من المرأة ، أو ان المرأة أحط منزلة . كل ما فى الامر ان لكل منهما اختصاصه ، ووظيفته الموكولة اليه فى الحياة . وليس هناك — ولا ينبغى أن يكون هناك — مفاضلة . واذا كانت الحرية مطلبك فاقدرى عليها تفوزى بها ، ولكن لا تنتظرى أن ينزل لك الرجل عن شىء مختارا ، كما لا يجوز ان ينتظر الرجل ان تنزل له المرأة عن شىء ولها الخيار . وكل من بيده شىء يحرص عليه . فحررى أنت نفسك ، بالعلم وافادة القوة المستمدة منه ، وباستحقاق الاحترام فى نظر الرجل . وحسبك من الرجل أنه يعلمك ويثقفك ويضع رجلك على السلم ، وعليك أنت أن تصعدى وترتقى فيه . ولا شك أن الرجل لا يفعل ذلك لوجه الله فانه أنانى ، والحياة مع امرأة مهذبة مثقفة أطيب منها مع الجاهلة الغبية . ولكن أنانية الرجل هى فرصة المرأة ، فلتنتهزها على أحسن وجه والى أبعد مدى . اما اللفظ بالمساواة فهراء لانه شىء أبته الطبيعة »

ولا تزال الحياة الاجتماعية فى العراق فى بداية المرحلة الاولى ، أى انها موجودة كمعدومة ، فالرجال يذهبون الى الاندية أو المقاهى أو الفنادق ، ويقضون السهرة هناك ، والمرأة تقعد فى البيت ، مع قريباتها أو صواحبها اذا شاءت . وبعض الرجال يؤثرون الاجتماعات المنزلية ، وهؤلاء هم القلة لا الكثرة . فالحال شبيهة بما فى مصر . وان كانت الحياة الاجتماعية أوسع نطاقا ، ووسائل التسرية عن المرأة أوفر وأيسر

ولا شك أن المرأة العراقية ماضية الى السفور التام ، ولست اعنى بالسفور مجرد الخروج بوجه غير مستور فان هذا حاصل ، وانما أعنى الحياة الاجتماعية التى لا تفرد فيها المرأة بمكان والرجل بمكان ، ويكون كل منهما بمعزل عن الآخر ، وهذا شىء يزول بانتشار التعليم ، واعتياد الحياة المختلطة شيئا فشيئا

ولا خوف من ثورة المرأة العراقية فى الوقت الحاضر ، لانها فى الحقيقة ليست الا مظهر تململ من قيود واهية باقية ، حتى الرجال يشعرون أن العادات العتيقة لم يبق لها مسوغ ، وان حياتهم ناقصة بغير المرأة ، ومتى استقرت قواعد الحياة الجديدة ، وألفت المرأة نفسها بعد أن تؤدى وظيفتها الموكولة اليها ، تشارك الرجل فيما عدا ذلك من وجوه حياته ، فأخلق بها أن تشعر بالرضى والاطمئنان ، لأن كل ما يضايقها ويثقل عليها وبعضها هو الحرمان ، فهى ستظل ساخطة متبرمة ما بقيت بمعزل عن حياة الرجل ، ولكنها ستقر وتسكن متى رفعت الحوائل وأزيلت الحواجز . أما المساواة بالمعنى الصحيح فلست أعتقد أن فى الدنيا امرأة تؤمن بها فى سريرتها وقرارة نفسها ، ومتى نالت حقها المعقول فاخلق بها حينئذ أن تفىء الى ما هو أرشد

ومما يستحق الذكر هنا ان الطالبات باحدى دور التعليم العالية ثرن — وأنا بالعراق —

على نظام فرضته الدار ، وهو يقضي بأن تكون لهن أمكنة خاصة يزاولن فيها ألعابهن الرياضية ، فأبين هذا الانفصال ، وأضربن عن اللعب والرياضة ، وعن حضور الحفلات المدرسية . وكانت حجة الطالبات أنهن يحضرن الدروس مع الطلاب ، ويلتقين بهم في الابهاء والأفنية لأنهن معهم في مدرسة واحدة ، فلماذا يفصلن منهم في أماكن اللعب إلا اذا كان الاستاذ الذي قضى بهذا الفصل حاضرا يرى بعينه ويسمع بأذنه . وكانت حجة الاستاذ انه يخشى عاقبة هذا الاختلاط اذا لم تكن هناك رقابة ، وقد تركت العراق والثورة ما زالت قائمة ، والاضراب عن اللعب مستمرا . فلا علم لي بما انتهى اليه الامر ، ولكني واثق ان الطالبات سيفزن في النهاية لان هذا هو الاتجاه العام للتيار ، لا لان الاستاذ مخطىء

والعراقي والمصري يتشابهان في الخلق (بفتح الخاء) تشابها عظيما ، فلولا اللهجة والنبرة وبعض الالفاظ العامية المحلية ، لما أحس المصري انه انتقل الى بلد آخر وشعب غير شعبه ، ومثل هذا يقال عن المرأة ، فانها شبيهة بالمرأة المصرية ، في خلقها وعاداتها ، ومن المضحكات التي يؤدي اليها اختلاف اللهجة والالفاظ المألوفة ، ما قصه علي ، عراقي زار مصر ، وكان معه آخر من مواطنيه ، فضلا ، في بعض الطريق ، ورأى أحدهما سيدة أنيقة الثياب فقال لصاحبه يحسن أن نسأل هذه « المرة » عن الطريق — والعراقي يقول « المرة » ويعني المرأة . واللفظ لا يدل هناك على ما يدل عليه هنا من التحقير والمهانة — وسمعت السيدة ذلك وأقبل عليها أحدهما يسألها فثارت به واوسعته تقريعا ، ففطن الى السبب وشرح لها الامر واعتذر

واعترف ان لفظ « المرة » كان يثقل على سمعي ، ولا سيما حين تقوله سيدة ، حتى اعتدت ذلك فخف وقعه قليلا ، ولكني بقيت الى آخر لحظة استثقل أن يقال عن المرأة « مرة » وأنفر من ذلك وأحس بشيء من الخجل — ولا مسوغ لذلك الا من اختلاف مألوفهم ومألوفنا

ابراهيم عبد القادر المازني

من لا يستطيع أن يفكر يكون مجنونا ومن لا يريد أن يفكر يكون متعصبا ومن لا يجرؤ على أن يفكر يكون عبدا « جست »

تيارات جديدة
في نظم العالم الاجتماعية

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

يقول بعض الناس ان الحرب جزء لا يتجزأ من مكونات نظام البشر

فاذا صح هذا كان تفسيره ان الانسانية مريضة وعلى أطبائها ان يجدوا لها الدواء ،

فاذا استعصى في الماضي وفي الحاضر فلا شك من الوصول الى اكتشاف جرثومة المرض ووصف العلاج في المستقبل

فالقول – مثلا – ان السرطان والسل وما اليهما من الامراض القتالة المستعصية شر وقسم من الجسم الانساني ، معناه اليأس من تعقب سير العلم حتى تصل الانسانية الى الشفاء ، ومثل ذلك القول بأن الحرب من مستلزمات البشرية

انها في الواقع مرض وشر فلا بد اذن للذين يتولون الزعامة الانسانية من البحث عن ميكروب هذا الداء ثم القضاء عليه

أهم أسباب الحرب

لعل الناس لم يجمعوا على شيء اجماعهم على أن اسباب الحرب تكاد ان تحصر في أمرين: السياسة والاقتصاد

وعندنا ان الشأن الاقتصادي هو العامل الاكبر وان كانت الحروب الماضية تغطيها السياسة بغطاء شفاف

فلقد جهل المؤرخون أو كذبوا عند ما أضاعوا وقتهم وكتبوا لنا تاريخ الحروب بأنها سعي الى مثل أعلى أو انها ضمان لسياسة عليا

ولم تكن في الواقع الا تنفيذا لمطامع شخصية ، تظهر تارة في الملوك أو الزعماء عند ما كانوا دون سواهم الآمرين الناهين في الرعية ، وتارة أخرى في الجماعات القومية عند ما أخذت السلطان من الحاكمين

فالعاهل القاضي بأمره كان يتخذ الفتح سبيا لمجد موهوم يلصقه بنفسه أو ذريعة لرد هجوم يأتيه من قرين يفعل فعله

والرجلان في الحالين سيرتهما الحالة الاقتصادية ، اما اتقاء للجوع أو ضمانا للشبع أو طمعا في الترف ، ولكن الوهم الاكبر كان في الماضي منصرفا الى التستر على الامور المادية والتظاهر باحتقارها والمباهاة بما سموه « مجدا »

ذلك لان الرؤساء الحاكمين لو أنهم قالوا الحقيقة بأن الغرض الكسب المادى لطالبهم الشعب بشيء من الغنيمة ، وهم لم يكونوا يفهمون الشعب الا انه سلعة مما يستغل ، فاذا كانوا على شيء من الذكاء وسعوا له في الكسب حتى يعودوا ويتقاضوه منه ضرائب ومكوسا

على أن الخطوة التي جاءت بعد ثورات عديدة سياسية واجتماعية ودينية ، والتي لم تكن الا احتجاجا يقيمه الفقر على الغنى ، قد نقلت السلطان الى أيد كثيرة مثلت في البرلمانات وما اليها من الطبقات التي استأثرت بالتعليم وبالمال واتسع نطاق التبادل الفكرى والمادى بين الامم ، فصارت الحروب يعلن عنها أنها بغى يريده الذين ليس عندهم على الذين عندهم وهذا ما كانت تقوله المانيا واليابان وايطاليا قبل هذه الحرب

ولم يعد من شك بأن الحرب تنشأ من تقلقل في الامور الاقتصادية يوجهها القادة تارة توجيها اجتماعيا وأخرى سياسيا بألفاظ تستهوى الجماهير فيساقون سوق الانعام ، فيقال لهم انا نحارب لاجل الدين كأن الله لم يخلق غيرهم وكلاء عنه ويقولون مرة أخرى اننا نحارب لاجل الحرية والاستقلال كأن العبودية من الداخل أشرف من عبودية تأتى من الخارج

وهكذا حتى جاء ملء الزمن وأصبحنا نسمع الآن ونقرأ بأن هذه الحرب دخلتها أميركا ومن قبل روسيا وبريطانيا حتى لا تتحكم المانيا بهم وبما ملكت ايمانهم

وصار أمرا معقولا أن نسمع بأن الغرض من النصر سيكون نصرا للرجل العادى . وتمهيدا لمستوى من العيش يأمن فيه هذا الرجل الجوع والعرى وما اليهما من مواليد الفقر

الرجل العادى

فالحرب سواء أصدق الزعماء أم مكروا ستكون عقباها خدمة الرجل العادى . هذا الرجل الذى قضى دهره يساق به الى اليمين والى الشمال ثم ينتهى الى الذبح . هذا الرجل الذى كان عليه كل الغرم وقليل من الغنم في شتى الحروب الماضية . ويلوح لنا أنه بلغ أشده الآن وأصبح وعيه منصرفا الى تحسين أموره المادية والايمان بمتاع متواضع في هذه الدنيا مؤجلا متاع الآخرة

لذلك لا نكاد نقرأ الا المشروعات الآيلة الى تحسين حالة هذا الرجل في معظم انحاء العالم

فالصوت الصارخ في روسيا يكاد ان يكون الصوت الصارخ في بريطانيا والصوت الآخر عبر الاتلنتيكى في أميركا : ارفعوا مستوى العيش للناس ومكنوهم من العمل ومن الصحة ومن التعليم

وقد تختلف الوسائل ولكن الهدف واحد

فليست الاشتراكية أو الرأسمالية أو ما شئت من الانظمة الاقتصادية التي تختلف

باختلاف الشعوب أو التربية أو الاستعداد العقلي ـ ليست هذه الأنظمة كتبا منزلة لا يتناولها التغيير وانما هي محاولات ترمى الى توزيع الثروة والانتاج توزيعا يقلل من عدد المعوزين المستائين ما أمكن

فسياسة الدول قائمة الآن بصراحة على أن تخدم كل دولة شعبها خدمة عامة تتناول كل الأفراد

ويبقى على الزعماء أن يختاروا الطريق الامثل أو يحاولوا ان يختاروا ما استطاعوا الطريق الذى لا تصطدم به مصالح شعب مع شعب آخر

وهذا هو كل السياسة الآن ، أو ما يجب أن تكون عليه

موقف بريطانيا

ولعلنا اذا لخصنا موقف كل دولة من الدول الكبرى التى تم النصر على يدها نرى توجه سياستها ونلمس لمس اليد ان الغرض اقتصادى اجتماعى قبل ان يكون سياسيا وان السياسة يجب أن تكون خادما لا مخدوما

فبريطانيا دولة تعيش على ما تستورده من الخارج وعلى ما تصدره الى الخارج

اما ما تستورده فقد قدره الخبيرون بأنه ما يساوى نحو ألف مليون جنيه فى السنة ويدخل فى هذا نحو أكثر من نصفه ثمنا لمواد غذائية

ولا بد لمن يشترى من أن يؤدى الثمن

فكيف كانت تؤديه بريطانيا ؟

كان باصدار بضاعة لها الى الخارج مثل الآلات والمصنوعات القطنية والحريرية والوسكى وما الى ذلك من انتاج مصانعها ، هذا أولا ، وثانيا باقتضاء أموال لها مستغلة فى الخارج ، ومما تتقاضاه من دخل بواسطة سفن الشحن وشركات التأمين

وقد جاءت هذه الحرب فأزالت أكثر من نصف صادرات انجلترا وفقدت نحو نصف ايرادها الخارجي من استغلال رؤوس أموالها وأضاعت مركزها الممتاز فى سفن الشحن. فيتعين والحالة هذه على أية حكومة انجليزية تقوم لها قائمة أن تعيد مركز انجلترا التجارى الى ما كان قبل الحرب بل وأفضل مما كان عليه. والا اضطرت أن تخفض مستوى المعيشة فى الشعب وهذا غير ما وعد هذا الشعب به

فكيف السبيل الى هذا ، أتحيط انجلترا نفسها وامبراطوريتها بحائط من السياج الجمركى ، وتكتفى بالتجارة داخل نطاق الامبراطورية ؟ ان فعلت هذا أوغرت صدور دول أخرى فتمنع عنهم أسواقها ، هذا فضلا عن أن الامر قد لا يرضى بعض شركائها فى الامبراطورية مثل كندا وافريقيا الجنوبية

واذا أباحت أسواق امبراطوريتها للجميع ، فهل تستطيع ان تزاحم الصناعة الاميركية ؟ وتبقى روسيا عاملا اقتصاديا عظيما للتجارة البريطانية والاميركية ، فكيف السبيل الى

التوفيق بين المحافظة على تشغيل كل الناس فى كل دولة ، ورفع مستوى معيشتهم وبين التزاحم مع الغير تزاحما يؤدى فى النهاية الى الحرب

موقف امريكا

أما الولايات المتحدة فقد أظهرت لها هذه الحرب سعة طاقتها الصناعية ، فأصبح الشعب الذى حول مصانعه الى الانتاج الحربى ، ونجح فيه أى نجاح يرى أن تحويل هذه المصانع الى الانتاج السلمى انفع وأفنى

وهذا أحسن

فان الاصدار الاميركى برفع مستوى المعيشة الاميركية ويخلق عملا للايدى فلا تتعطل. ولكن الاصدار معناه البيع ، ومعنى البيع ان يكون هناك من يشترى أو بتعبير أصح من يستطيع الشراء . فاذا أرسلت أميركا صناعتها الى مصر مثلا كان حتما على مصر أن تؤدى ثمن ما تشتريه ، ومن أين لها الدولارات اذا لم تشتر منها أميركا ما تستطيع بيعه لها وقس على مصر انجلترا أو كندا أو فرنسا أو أى بلد آخر

فالذى يبيع يجب عليه أن يشترى حتى يستوفى ماله ، فاذا اشترت أميركا القمح أو القطن أو بضاعة مصنوعة وجب عليها خفض الرسوم الجمركية التى تحمى هذه الاصناف عندها . فاذا خفضتها قامت قيامة منتجى هذه المواد كالمزارعين أو الصناع الذين تحمى الجمارك بضاعتهم من مزاحمة البضاعة الأجنبية

فالامر كما ترى صعب المراس لا يمكن الاهتداء الى حله بارضاء فريقين فما بالك بارضاء الاجنبى أيضا

فانه اذا وفقت أميركا بين صناعتها وتجارتها الخارجية ، أغضبت زراعها واذا خفضت الرسوم الجمركية لتمكين الاجنبى من شراء صناعتها آل الامر الى خفض مستوى العيش فى الفلاحين فتقوم القيامة

فما هو الطريق الى ملافاة كل هذا ؟

موقف روسيا

لعل روسيا هى الدولة الوحيدة التى أخذت بمبدأ اقتصادى معلوم ، ووضعته موضع التنفيذ فى شعب يكاد أن يبلغ مائتى مليون نسمة

ولقد نجح نظامها بمعنى انها توصلت الى تمكين تسعة أعشار الشعب من معيشة محددة على حساب عشر زال ولم يعد له اثر

والسياسة السوفيتية قائمة على تمكين هذا الشعب من رفع مستوى عيشه من كل النواحى المادية والعلمية

ولكن روسيا أصيبت فى هذه الحرب بما لم تصب به دولة من قبل بتخريب مدن وتدمير مصانع وافساد أرض وتقتيل نحو عشرين مليونا من سكانها فلا بد لها من فترة طويلة تعيد ما تخرب ولا مندوحة لها من عون بلاد صناعية غنية كأميركا وكانجلترا

فقد يتيسر لروسيا أن تصبح بعد عشرين أو ثلاثين سنة أعظم دولة فى الارض انتاجا زراعيا وصناعيا ولكنها حتى يأتى هذا الاوان لا بد لها من تبادل الاخذ والعطاء مع اميركا ومع انجلترا حتى تستعيد قوتها وتنهى دور نقاهتها . ثم ماذا يحصل بعد هذا ؟ وكيف يستمر التعامل بين شعوب اكتفت بنفسها عن غيرها وكيف يسيرون فى معاملة الغير أو فى تدبير أمورهم بعضهم مع البعض الآخر

الحل الطبيعى

فأنت ترى من هذه النظرة المختصرة الى شؤون الدول الثلاث الكبرى ان التوجه ظاهر وهو يرمى الى تبادل التجارة لتحسين مستوى العيش لرجل الشارع

ورجل الشارع الذى دعوناه الرجل العادى هو قوام العالم اليوم

فاذا صح هذا ولا نخاله الا صحيحا كان أهم غرض يرمى اليه الذين بيدهم الزمام هو اقرار السلام مدة طويلة

كما ان هذا التوجه نفسه يوحى فى صميمه بأن لا غنى عن أمة لاخرى وان العالم متضامن مع اختلاف فى درجات هذا التضامن

فاذا قال لك قائل ان أميركا ــ أو أية دولة أخرى ــ تريد ان ترفع مستوى العيش فى كل انحاء العالم ، الفقير منه قبل الغنى ، والمتأخر قبل المتقدم ، فمعنى ذلك انها تريد ان تجعله قادرا على الشراء ومن يستطيع الشراء لا بد له من ثروة فى يده

فاذا كانت عقبى هذه الحرب أنها اظهرت للملأ ان منافع الناس متشابكة ، وان فائدتهم فى التعاون وفى الاخذ والعطاء زال سبب الحرب الاساسى . وعاد الناس الى التفكير بما نادى به قوم كثيرون منذ مئات من السنين بان الخلاص آت عن طريق النظم الدولية لا عن طريق النظم القومية . وهذا ما يعبرون عنه بقولهم Internationalism وليس من فرصة مواتية مثل هذه لافهام الذين لا يزالون يفكرون بأسلوب خيالى قديم ، بأن العالم وحدة أو يكاد أن يكونها ، وان أساس الروابط بين الشعوب هو تبادل المنافع وان لا شىء يهدم هذا الاساس مثل الحرب . وانه اذا أمكن لدولة قوامها ٢٠٠ مليون من السكان ان تنظم أمورها الاقتصادية ، بما يكاد أن يشبع الجميع فأخلق بالدول الكبرى أن تفرض على نفسها وعلى العالم نظاما يضمن المستوى الاقتصادى المعقول للرجل العادى يتبعه مستوى علمى ثم يسير الجميع فى سبيل تنازع الطرق المؤدية الى رفع هذين المستويين دون أن يكون أثر للعامل القومى فى هذا التنازع

سامى الجريديني

قصة عصرية

سلطان المثل الأعلى

بقلم الأستاذ ابراهيم المصرى

« هذه قصة حدثت وقائعها فى قصر من قصور اسبانيا ، قصها على أديب اجنبى ، فراقنى موضوعها لما انطوى عليه من معنى انسانى عميق »

لمن خلقت هذه السماء الصافية ، وهذه الشمس الساطعة ، وهذه الاشجار الباسقة ، وهذا النسيم الناضر العليل ؟.. كل ما فى الطبيعة شائق الحسن ، باهر اللألاء ، جم الفتون ، ولكن الطبيعة مع ذلك صامتة وقاسية ومعرضة ، لا تقبل مختارة على جميع الناس ، ولا تخاطب منهم غير السعيد .. فالسعيد فى نفسه وقلبه ، السعيد فى فكره وحياته ، هو الذى يرى الطبيعة ، وهو الذى ينعم بجمالها ، وهو الذى يعيش فى جنة الجسد لان قلبه يعيش فى جنة الروح !.. وما دامت الروح هائمة حائرة ، يعذبها القلق ، ويضنيها الشقاء ، فالطبيعة لا تبتسم ، والدنيا لا تضحك ، والنور لا يمكن أن يمحو من الكون الظلام !..

هذه التأملات لم تخطر ببال الصبى جوزيف . لم يفكر فيها . ولكنه أحس بها . أحس بها احساسا طاغيا مفاجئا . أحس بها الآن فقط وهو منبطح على الارض ، ينظر الى السماء تارة ، والى البئر العميقة تارة أخرى ، ويتلهى بتجريد أوراق زهرة سقطت فجأة بين يديه

وكان البستانى العجوز يلقى دلوه فى البئر العميقة ويروى الاشجار وهو يغنى ، فانصت اليه جوزيف ، وتأمله لحظة ، ثم اختلج وانهمرت من عينيه الدموع !.. هذا البستانى وحده هو السعيد .. سعيد بفقره ، سعيد بصبره ، سعيد بحديقته ، يرى الطبيعة ماثلة فيها ، والجمال نابعا منها ، والبهجة الخالصة منسكبة عليها من فيض قلبه الساكن الطاهر البرىء !..

وحزت فى صدر جوزيف هذه السعادة الكاملة ، ومزق سمعه وقلبه رنين الاغنية الشجية ، فجفت دموعه ، والتهب خياله ، وتصور فى مثل خطف البرق حياته التعسة المخزية أين أمه الآن ؟.. اخواته الثلاث ؟ أين شقيقه الاكبر ؟ أين أسرته التى كان يحبها

ويطمئن لها ، ويعتز بها ، ويفزع اليها كلما أصابه مكروه ؟.. لا أحد هنا !.. خرج الكل منذ الصباح ولن يعودوا الا عند الظهر .. لن يعودوا الا ليتناولوا طعام الغداء ثم ينصرف كل منهم الى عبثه ولهوه ومتاعه كأنهم قد اقتسموا فيما بينهم جميع مسرات هذه الدنيا !.. أجل ، لا أحد هنا . انه وحيد ! وحيد فى هذا القصر الهائل ! فى هذه الابهاء الرحبة ! فى هذه الحجرات الواسعة ! فى هذا البيت الصاخب كالبحر ، الشاسع الهامد كالصحراء ! لا شىء حوله غير الخدم ! القصر أصبح مرتعا لهم .. لهم وحدهم ! ها هم .. انه يراهم يروحون ويغدون ، يعبثون ويضحكون ، يأكلون ويشربون ، ينظرون اليه نظرات التأفف الساخر ويولون عنه ويعرضون !.. ولكن أين والدته ؟ لقد ارتدت اجمل أثوابها ، وانطلقت لزيارة صديقاتها منذ الصباح ! وأين أخواته الثلاث ؟.. لقد ذهبت الاولى الى السينما ، والثانية الى ملعب التنس ، والثالثة الى حفلة موسيقية فى دار الاوبرا ! وأين شقيقه الاكبر ؟.. لقد انسل من البيت كالعادة قبيل الفجر، وخرج للصيد والقنص ولن يعود الا ليأكل وينام ويتهيأ لقضاء الليل فى الحانات والمراقص ودور اللهو !.. تلك هى حياتهم . يعيشون فى الخارج ويتركون البيت نهبا للخدم ! وهو .. هو جوزيف .. يعيش بين أولئك الخدم ، وحيدا ، شريدا ، معذبا ، لا حب ولا حنان ، لا عطف ولا اهتمام ، لا رحمة ولا رثاء ، لا أم ولا أب ولا اخوة ولا أخوات !..

ولقد انقضت شهور طويلة وهو يحيا فى هذا القصر هذه الحياة .. يحياها منطويا على نفسه ، منكبا على همه ، متخبطا فى عزلته ، مستغرقا فى أساه ، لا يكاد يفكر فى والده الحنون وكيف انطفأ بغتة ومات ، حتى يفكر فى حظه ، وفى الناس ، وفى الخير والشر ، والظلم والعدل ، والجمال والقبح ، وهو بعد لم يتجاوز العاشرة من عمره المثقل بالهموم والحسرات ..

ولقد أشاعت الوحدة فى نفسه ضربا من الكآبة الصامتة ، والجهامة الساهمة، والسوداء الخاملة ، فاهمل دروسه ، ورسب فى امتحان النقل ، وعصفت به الحسرة ، فازداد توحشا ونفورا ، وخيل اليه انه غريب .. لقيط .. أشفق عليه رب هذا القصر ثم مات دون أن يوصى به أحدا ..

هذه الفكرة احتلت مخيلة الصبى وانتشرت فى ذهنه ، وتملكت من حواسه ، فخامره بالرغم عنه شعور عميق بالخزى ، أذل كبرياءه ، وامتهن كرامته ، واقض مضجعه ، واحال الدنيا فى نظره الى مجتمع بغى وعدوان

رأى الشر ماثلا فى كل شىء . فى الانانية المروعة المستولية على قلب صاحبة القصر . فى وقاحة بناتها المستهترات الماجنات ، فى قسوة ابنها المترفع المتغطرس ، فى زلفى الخدم ونفاقهم الساخر البغيض ، فتاقت نفسه الى بصيص من النور ، الى ضوء من الرحمة ، الى قبس من الخير ، فتلفت حوله ، فلم يجد غير البستانى !..

وكان البستانى الشيخ هو الرجل الطيب الوحيد بين أهل هذا القصر . كان فقيرا ،

وكان يحب الاطفال ، ويحب النبات ، ويحب الحيوان ، وكل ما هو مسلوب الحول ضعيف ، يدب فى عزلة وخوف على هذه الارض ، فاحبه جوزيف ، واعجب به ، واستراح اليه ، وجمع فى شخصه صفوة الفضائل جميعا

أجل . كان يرى فى جبهته المنفضة العالية صورة النزاهة ، ويلمح فى نظرته الهادئة الباسمة معنى الرحمة ، ويلمس فى ضحكته الطائشة الناضرة فيض القناعة ، ويسمع فى اغنيته الساذجة الشجية رنين القلب الظافر ، غمرته فرحة الخير ، واسكرته خمر الصفاء

وكان البستانى يحب جوزيف ، ويستشعر ألمه ، ويواسيه ويطيب خاطره ، ويدعوه فى كل يوم أحد لتناول طعام الغداء فى غرفته الخشبية فى صحبة امرأته وطفليه ..

وها هو ذا البستانى الشيخ يلقى دلوه فى البئر العميقة ويغنى ، وجوزيف يشرب انغامه بأذن ظمأى ، ويحدق اليه ذاهلا شاردا مفتونا ، كما يحدق الانسان الى مثله الأعلى !

وظل البستانى يغنى وجوزيف يحدق اليه ..

وكان غناؤه فى هذا اليوم أوقع شجوا ، وامتع رخامة ، واغزر بهجة وتطلقا واشراقا ، فاستغرب منه الصبى هذا الاسراف فى المرح . ولاحظ ، لاول مرة ، فى صوته وحركاته ونظراته ، شيئا طارئا جديدا .. شيئا من التحول والتبدل غامضا مبهما ، ضاعف استغرابه وزاده تفرسا فيه وتحديقا اليه ..

وارتفعت الانغام ، وجلجلت فى الفضاء الساكن ، وتساقطت رناتها الفضية على الاشجار والازهار تساقط الندى المنعش فى فجر النهار

وخيل الى جوزيف انه ينطاد ويحلق ، ويضرب فى عرض السماء مع النغم الطائر فلبث شاخصا الى الشيخ ، وقد استحوذ عليه شعور عميق بالدهشة ، وشعور أعمق منه بالراحة والسكينة والامتلاء ..

وعندئذ ، وفى نشوة هذا التجلى ، سمعت ضجة كبيرة فى الداخل ، وشوهدت « ماريا » أصغر الاخوات الثلاث ، تقبل من القصر مسرعة ، وتعدو بين أشجار الحديقة ، وتنادى الصبى لاهثة ساخطة :

ــ انت هنا ؟ .. ماذا تفعل هنا ؟ .. لقد عدنا منذ لحظة وكشفنا فعلتك ! فتعال .. اتبعنى ! .. اتبعنى حالا .. ستعترف ! واياك .. اياك والانكار !

فاختنق النغم فى صدر الشيخ ، وانكمش الصبى مذعورا ، فاهابت به الفتاة ثانية ، فنهض ذاهلا ملتاعا ، فجذبته من ذراعه ، وساقته أمامها وهى ترعد

وما كاد يدخل القصر ، وتطأ قدماه حجرته الفسيحة حيث اعتاد ان ينام على فراش صغير ممدد بجوار فراش أخته ماريا ، حتى أبصر أمه وأختيه « كارمن » و « ستيلا » جالسات على حافة سريره ، عابسات الوجوه ، مقطبات الجباه ، متحفزات متربصات

وأجال فيهن الطرف دهشا ، وهاله جمودهن ، فوقف مرتبكا ينظر الى اخته الصغرى ، وقد انعقد لسانه ، ودب فى صدره الخوف ..

وفجأة ، وفى مثل لطم اليد ، أو وقع السوط ، أو لسع العصا ، قذفت أمه فى وجهه بهذه الكلمة :

ـ انت هو السارق !

فأخذ الصبى ، وتلفت مبهوتا ، فعاجلته بقولها وهى تزفر :

ـ كانت هنا ! هنا ! فى هذا الدرج الخفى الصغير ! الساعة ! الساعة الذهبية الثمينة المرصعة بفصوص من الماس ! ساعة اختك ماريا ! افتقدتها الآن فلم تجدها !.. لا.. محال ! لم يسرقها الخدم ! فى القصر ما هو اثمن منها بكثير ومع ذلك فلم تمتد اليه يد !.. فأين الساعة ؟ انت وحدك كنت تعلم أين هى ! أنت .. أنت الذى سرقتها !..

ففغر الصبى فاه كأبله وغمغم حائرا مستهولا :

ـ أنا ؟.. أنا ؟..

فصرخت فيه اخته ماريا قائلة :

ـ نعم أنت ! طالما رجوتنى ان اعيرك ساعتى ولو يوما واحدا .. دائما كنت تطمع فى أن تحمل ساعة كأبن عمك الكبيس .. كنت لا تنفك تسأل أمك ان تحقق لك هذه الرغبة !.. ولقد وعدتك بها فيما لو نجحت فى امتحان النقل .. ولكنك سقطت .. سقطت ولم تعد جديرا بحمل ساعة كالرجال ، فتجاسرت وسرقت ساعتى ! فقل أين هى؟ تكلم ..

ورمقته بنظرة ثاقبة هائلة . ووثبت به أمه مستشيطة مهددة . وأحاطت به شقيقتاه الكبيرتان وجعلتا تلاطفانه فى خبث ، وتستدرجانه فى لؤم ليتشجع ويعترف . فجاشت نفس جوزيف ، وسحقته الاهانة ، واثارته لوعة الكمد والعجز والظلم ، فأجهش بالبكاء ، وطفق يضرب صدره ووجهه بكلتا يديه ويصيح :

ـ لم أسرق شيئا !.. لم اسرق شيئا !..

فكبر على أمه ان تراه ينكر جريمته بمثل هذه الحرقة الصادقة المضللة ، فامسكت به ، ولوت ذراعه فى عنف ورددت :

ـ اعترف !.. تكلم !..

فافلت منها شامخا وهتف : لم أسرق !

فاستفزها اباؤه ، واسخطها اصراره ، فرفعت كفها الغليظة ، وهوت بها على وجهه

ولم يكد يحس اللطمة تلهب خده كالنار ، حتى تاه فكره ، وجن جنونه ، وطغى حقده فصرخ فى أمه واخواته ، زائغ العينين ، مزبد الشفتين ، غير مكترث لشىء :

ـ انى اكرهكم ! اكرهكم كلكم !.. كلكم ..

واندفع صوب الباب كحيوان مطارد مطعون ، ومرق منه مروق السهم ، وهم باجتياز الدهليز الطويل المفضى الى الحديقة . واذ ذاك ، وفى جوف الظلمة الخفيفة المنتشرة فى الدهليز ، لمح شبحا .. شبحا غريبا .. شبح انسان كان يسترق السمع ولا ريب خلف

الباب ، فذهل الصبى وتراجع ، ثم غامر واقدم ، ثم تبع الشبح وقلبه يخفق ، وانفاسه المتعاقبة تكاد تخنقه

ولما بلغ الحديقة أبصر الشبح فى أقصاها ، ينكمش وينحنى ، وينسل انسلال الظل ويندس بين الاشجار ، فتعقبه فى صمت ، وتأثره فى حذر ، فألفاه ينطلق نحو الجانب البحرى، ثم يمر بكن الدجاج، ثم يتحول ويتجه صوب الغرفة الخشبية حيث يقطن البستانى الشيخ

وقبل ان يدخل الشبح الغرفة ، أو يصل اليها ، غافله جوزيف ، والتف حوله ، وقطع عليه الطريق ، فاستوى الشبح فجأة ، وكشف عنه الغلالة التى كان يتستر بها ، فحدق اليه جوزيف وارتعد اذ ابصر نفسه أمام امرأة البستانى وجها لوجه !

وجثت المرأة عند قدميه وهمست : ارحمنا يا جوزيف !

وجذبته من ذراعه ، وادخلته الغرفة ، واوصدت خلفه الباب

وكان البستانى الشيخ جالسا القرفصاء بقرب طفليه ، ثابت النظرات ، جامد التقاطيع ، ساكنا صامتا كتمثال . فلما دخل جوزيف لم يتكلم ، ولم يتحرك ، ولم يلتفت اليه ، وظل شاخصا الى الفضاء شخوصا عميقا غريبا زاده فى عين الصبى روعة وجلالا وهيبة

ودفعت المرأة زوجها بمرفقها وصرخت : والآن ؟..

فأفاق البستانى من سباته ، وحول رأسه فى بطء ، واستقر بعينيه الثابتتين على محيا الصبى ، وغمغم :

ـ ماذا فعلوا بك ؟..

فأجابت المرأة وصوتها يتهدج :

ـ لقد حقروه واهانوه .. عذبوه وضربوه .. فثار ثائره ، وخرج هائما على وجهه !

فأرخى البستانى اهدابه ، وندت عنه زفرة ، وقال :

ـ والى أين كنت تنوى الذهاب ؟

فهتف جوزيف :

ـ الى هنا !.. اليك !.. اليك يا عماه !..

فتأمله الشيخ لحظة وقال :

ـ اتحبنى الى هذا الحد ؟..

فصاح الصبى من اعماق قلبه :

ـ لا أحب بعد الله غيرك انت !

فمد البستانى ذراعه الضامرة وطوق بها ظهر الصبى ، ثم انحنى على كتفه ، وتفرس فيه ، وصب فى أذنه هذه العبارة وهو يرجف :

ـ اذن فاعلم يا بنى أنى أنا .. أنا الذى سرقت !..

فصعق جوزيف ولم يفهم ، فصرخ الشيخ فى قسوة وعنف :

ـ الساعة معى !.. انت الذى لم تكف عن التحدث الى عنها .. انت الذى اغريتنى بها !.. انت الذى زينتها لى !.. انت الذى أشرت الى الدرج الخفى الصغير حيث أودعتها شقيقتك !.. ولقد غافلتك اليوم وسرقتها !.. سرقت لانى فقير !.. لم أر الذهب أبدا ! لم أر العالم أبدا !.. كل ما اعرف من الدنيا هو هذه الرقعة الضيقة الخضراء التى التهمت كل شبابى !.. لا !.. لن استمع لامرأتى !.. لن أرد الساعة !.. لن أشفق عليك ! أريد أن أعيش واتمتع ولو عاما ، ولو شهرا ، ولو يوما ، قبل ان اموت !..

وكان يتكلم فى غلظة لم يعهدها فيه الصبى أبدا . كان يتكلم وكأنه انسان آخر . كان يتكلم فى جشع مروع وحشى يثير العجب والسخط والذعر . وكان جوزيف ينظر اليه ، وقد جحظت عيناه ، وانخلع بدنه ، وارتعدت فرائصه ، ومزق قلبه ألم هائل فظيع .. أهذا هو الرجل الذى كان يحبه ويلوذ به من دون أهله والناس جميعا ؟.. أهذا هو الرجل الطيب القانع العادل النزيه الذى كان يجله ويغبطه ، ويعبده ويقدسه ، ويرفعه تارة الى مرتبة الملوك وتارة الى مصاف الآلهة ؟.. نعم .. انه هو .. هو بعينه . لم يتغير .. تلك نزوة ضعف طارىء عبث بلبه ولا يمكن ان تكون قد اصابته فى الصميم !

وتشبث جوزيف بهذا الأمل . واشفق على حبه الوحيد ان يتبدد ، وحلمه العظيم ان يتقوض ، فدنا من الشيخ وقال مترفقا متوسلا :

ـ اعطنى الساعة !.. سأردها الليلة حيث كانت وينتهى الامر !

واردف وهو يكاد يبكى :

ـ لتضربنى أمى ما شاءت !.. أنا لا احفل بنفسى !.. لا يهمنى ان اتهم واعذب ! أنا انظر اليك انت !.. اعتصم بك انت .. لا أريد ان تكون أنت .. انت سارقا !..

فاختلج الشيخ ، وعض على شفته ولم يجب . فتعلقت به زوجته ، واحاطته بذراعيها ، ولاطفت خده بأناملها ، وقالت وهى تهم بتقبيل يديه :

ـ استمع لجوزيف !.. أيرضيك أن يتهم وأنت تعلم أنه برىء ؟.. ألم تشفق عليه ؟ ألم ترسلنى فى اثره لارى ما سوف يحل به ؟.. انك تحبه ! فاستمع له وانبذ الاوهام .. لقد عشت فقيرا وكنت سعيدا ، فاذا أخذت اليوم ما ليس لك فهذا هو فى الحقيقة بدء الشقاء

فزجرها الشيخ بنظرة حانقة متوعدة ، وقال فى صوت حاد المخارج ، بائر النبرات ، ينبض بالعزم والعناد والتحدى :

ـ لن اضيع فرصة العمر يا امرأة ، ولن استمع لانسان !

فصاح جوزيف بالرغم منه :

ـ واذا اتهمتك أنا ؟.. اذا ارشدت اليك ؟..

فانتفض الرجل ، وتصلبت عضلاته ، وقال وهو يلوح بذراعه ، وقد غشت وجهه الطيب قسوة فاتكة تكرته وشوهته :

ـ لو نطقتما بكلمة واحدة ، انت أو هي ، فلن اتردد في اخماد صوتيكما قبل ان يبلغ مسامع ربة القصر !

واندلعت عيناه ، وضحك ضحكة هادرة ، واردف :

ـ لم أعد أخشى الجريمة بعد ان سرقت !

وظل واقفا ، ملوحا بذراعه ، مشرئبا الى الصبي بعنقه ، يتأمله ويتحداه وينتظر ..

وعندئذ ، عندئذ فقط ، في تلك اللحظة الفاصلة ، وامام هذا الاصرار المروع على الشر ، وهذه الرغبة الطاغية في احداث الاذى ، وهذا التحول المطلق العميق يصيب نفسا كانت بالأمس انضر واجمل النفوس الطاهرة ، اسودت الدنيا في عيني جوزيف ، وماجت به الارض ، وانهار وتقوض في مثل لمح الطرف ، صرح مثله الاعلى !

واحس الشر في كل شيء ، ولمس الاذى في كل انسان ، واستشعر العزلة حيال كل مخلوق . وفقد حبه ، وفقد ايمانه ، وفقد راحته . وصرعته الخيبة ، وسحقته الحسرة ، وملكه اليأس ، وخنقه الاشمئزاز

ولم يستطع ان ينظر الى الشيخ ، ولا الى امرأته التي عقد لسانها الخوف ، فحجب وجهه بكلتا يديه ، ونهض وهم بالخروج . واذ ذاك ، وقبل ان يخطو خطوة ، سمع صوت أمه تناديه باحثة عنه ، وسمع طرقا عنيفا على الباب ، فلم يضطرب ، ولم يجزع ، وتقدم بنفسه وفتح الباب وهو ساكن مطمئن . ولم تكد أمه تتشبث به ، وتجذبه الى الخارج ، مهددة بضربه أيضا لو عاد الى التملص والانكار ، حتى اقصاها عنه في هدوء ، ورفع اليها طرفه الساهم ، ثم قال في صوت جهير وهو يلقى على الشيخ وامرأته وطفليه نظرة وداع :

ـ نعم . أنا الذي سرقت !.. سرقت الساعة وفقدتها . ولولا ذلك لما انكرت ..

فصرخت الأم :

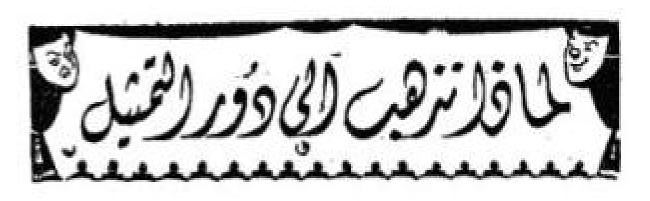
ـ فقدتها ؟.. كيف فقدتها ؟.. أين ، ومتى ؟..

وانقضت عليه وامسكت به ، ولكنه انتهرها في غلظة ، ودفعها في عنف ، وراغ منها ، وانطلق يعدو في الحديقة كمخبول

وظل يعدو وفكرته الثابتة تلاحقه ، وعزمه الراسخ يتبعه ، ورغبته في الخلاص تحث خطاه وتطارده ، حتى أدرك البئر ، البئر العميقة التي كان البستاني الشيخ يلقي دلوه فيها ويغني

وهناك ، تجاه البئر المظلمة الساحرة ، وفي رجع صدى الاغنية الرخيمة المشجية ، وأمام دعوة الموت العاتية الجارفة ، استجمع جوزيف قواه ، واتأد لحظة ، ثم نظر الى السماء ، ثم اندفع وألقى بنفسه في عمق الهاوية !

ابراهيم المصري



بقلم الأستاذ زكى طليمات

مدير معهد فن التمثيل العربى

المسرح سجل لخفقان القلب البشرى ، اساويه يرمز ولا يفصح ، ويوحى ولا يبين . هو نشاط حى للانسانية تتجاوب فى انحائه اصداء أملها وقنوطها، مسراتها ومخاوفها

ان الاجابة التى عليها أكثر الناس ردا على سؤالنا : « اننا نغشى دور التمثيل للتسلية وقضاء وقت لطيف » . وهذا جواب سرعان ما يتضح قصوره عند امعان النظر ، والبحث فى ماهية التسلية وعناصرها ، وهل هى واحدة فى نظر كل انسان ولا تختلف باختلاف الامزجة ، وهل حق ما أراه مسليا وطريفا لا يراه غيرى تافها مجلبا للسآمة والضجر ؟

ثم اجابة أخرى مفادها « اننا نرود المسارح لننعم فيها بما ينعش وينبه فى قوة » وهذه اجابة أكثر وزنا من سابقتها ، ولكنها تضفى على هذه الدور مسحة تافهة اذ تنزلها الى مستوى أوكار المنبهات والمنعشات . هذا فضلا عن مجافاتها للحقيقة ، اذ لا يخفى أن بيننا من يغشى دور التمثيل مرتين فى الاسبوع ، هذا وتعاطى المنبهات انما يلجأ اليه تحت تأثير حالات عارضة ، أى فى ظروف غير مطردة ! فكيف يكون ذهابنا الى المسارح مثل تعاطينا حقنة « استركنين » أو « زيت الكافور » وما على غرارهما من المنبهات ذات الاثر !

وينبرى جواب ثالث أثقل حولة من سابقيه من حيث انسراح المخيلة ، اذ يقرر « ان المسرح انما هو وسيلة لان يتجرد الانسان من نفسه ويغيب عن مشاغله » كأن المسرح فى زعم المجيب الحالم مخدرا أو منيا مضمون الاثر ، وله مبقاته فى التخدير والتغيب ، وكأن التخدير لا يعقب رد فعل من صحو مرير أو تبلد عميق !

والواقعيون الذين لا يعرفون غير الملموس ، يزعمون بدورهم أن هذا الحافز « انما هو لمطالعة صور من الحياة وأطياف من الواقع » . وذلك باعتبار أن المسرح متنقل ألوان الحياة وأطيافها . وهذا رأى له وزنه من حيث وظيفة المسرح فى سطحيتها وظاهرها ، ولكن سرعان ما يهب نفر آخر مفندين هذا الزعم ، وتتوالى الادلة من جانبهم على اننا

انما نغشى المسارح « لنرى غير ما فى الحياة من مبذولات الواقع ، وحسبنا ما نشهده منه كل يوم . وقد تأنقت الحياة نفسها فى اخراجه على المسرح الاكبر ، وهو الدنيا ، وأن خير ما فى الحياة ما أنساك ذكر الحياة والاحياء » !

وتأتى فوق ما ذكرت اجابة أخرى لعلها أوفى روية من السابقة ومضمونها «ان المسرح يجتذبنا بما يقدمه لنا من متنوعات لكل واحدة منها جدتها التى تجتذب وتفتن » والاجابة فى ظاهرها اقحام لتغير المتدبر الحذر ، لانها تنهض على سبب له خطره وأثره الفعال ، اذ لا شك فى أن المتنوع المختلف فى الجديد من المشهود والمسموع يجتذبنا حقا لان النفس فطرت على أن تحس المتعة فى مطالعة كل جديد

بيد أن لهذا الرأى جانبه المنهار باعتبار أن الجدة مبذولة فى غير ما يقدمه المسرح ولها مصادرها التى لا تحصى . واذا أردنا الجدة الذهنية الخالصة فهى موفورة فى القصص والشعر ، وكل كتاب له وزن ، بل هى مبذولة بلا ثمن فى الاحكومات الجارية والنكات المتداولة والجدة الحسية لها موارد خصبة فى الالعاب الرياضية وغيرها . ولو صح أن المسرح انما هو معرض لكل جديد فحسب ، وانا نقبل عليه من أجل هذا ، وليس من أجل شىء وراءه لاستعاض الناس عنه بعامل آخر تكون الجدة فيه أيسر تناولا وأخف مشقة وأرخص ثمنا ، ولما تجشموا سهر الليل فى دور التمثيل ودفع أجور أماكنهم فيها وانتقالهم اليها من منازلهم

هذه ألوان من اجابات ، ان خلت فى نظرتنا من النفاذ الى بواطن الباعث الحق وعجزت عن استبطان دخائله ، فهى لا تخلو من الصدق والصراحة والاعتدال

***

أما المثاليون وعلماء التربية وفقهاء الوعظ والارشاد ومن يحاول أن يلتصق بهم عن غير عقيدة الا عن هوى فى نفسه غالب عليه فلهم اجاباتهم ، وهى اجابات على لمعتها البراقة لا تخلو من الحيف والاجتلاب لتأثرها بوجهات نظرهم

فالمثاليون ، يذهبون الى أن المسرح معبد فن وهيكل للجمال ، فنحن مسوقون اليه بدافع الجرى وراء التنعم بمظاهر الجمال

وعلماء التربية يذهبون الى أن المسرح مدرسة أولية وابتدائية وثانوية وعالية ، فنحن نقبل عليه لان الانسان مشغوف بالمعرفة ، وعلى الانسان أن يتعلم من المهد الى اللحد

وفقهاء الوعظ والارشاد يذهبون الى أن خشبة المسرح شأنها شأن منصة الخطيب ومنبر الواعظ ، فلا بد أن يذهب الناس اليها ليسترشدوا ويتعظوا ويعتبروا

هذه المذاهب تبدو خلابة عند النظرة المجلى لانها تحمل أسماء الادب والجمال والتعليم والارشاد . وهى عناصر تمتد أطرافها بحق الى فن التمثيل من حيث أن المسرح فى تمثيلاته للادب واللغة ، وهو للجمال من حيث الاخراج ووسائل التعبير المادى عن جو

المسرحية ، وهي الأستار والاضاءة والالوان وما اليها من المهمات المسرحية وما يمت الى الفنون الشكلية من نحت وتصوير وزخرفة . وقد خضعت فى ابرازها لوحدة الفن ولشرعة الانسجام والائتلاف والتلاؤم ، وهو للاخلاقيات من حيث أن المسرحية فى الموضوع تنزع دائما الى اعلاء الحق واخفاض شأن الباطل وتبصير الناس بما يجب أن يكونوا عليه ليسعد الجميع ، بيد أن هذه الاسباب وان استندت الى شيء له وزنه ومنها لحمة التمثيل ، فانها لا ترتكز على الدعامة الاولى والاخيرة التى هى منه كما العامود الفقرى من أجسامنا وذلك من حيث ان الفن التمثيلى قوامه التعبير ، وانه لمعالجة النفس البشرية أولا وأخيرا ·

فاذا صح جدلا ان المسرح للجمال وللادب وللتعليم وللارشاد فحسب ، فهل حقا اننا نغشى دور التمثيل من أجل مطالعة مظاهر الجمال ، وفى سبيل الاستزادة من العلم ، وابتغاء سماع الوعظ والارشاد ، ما أظن هذا ، وفيما يلي حجة ما أذهب اليه

اذا صح ما يزعمون من أن المسرح معبدجمال فحسب، فالجمال اعتبارى محض ومقاييسه ومعاييره تختلف باختلاف الامزجة . وما يراه البعض جميلا يراه بعضنا الآخر غير جميل . وفوق هذا فان مظاهر الجمال مبذولة على وجه أكمل فى المتاحف والمقتنيات الفنية وفى الآثار القديمة ، بل فى الطبيعة المبدعة التى تشملنا . لو صح ما يزعمون لكانت المتاحف والآثار وما اليها مستزادنا فى كل وقت وتجتذبنا أكثر من المسارح ، الامر الذى ينقضه الواقع . بل لكان فى الجلوس الى مقهى تعبر أمامه السابلة ، ومن بينها أمثلة من الجمال الحى غناء لنا عن الذهاب الى دور التمثيل ، وعوض عن تحمل مصاريف مادية غير قليلة فى سبيله

والزعم بأن المسرح مدرسة ، صدق لا مرية فيه باعتبار أن المسرح يكشف عن جديد ويبصر بما غاب . ولكنه صدق لا يختص به المسرح وحده دون غيره من سائر الفنون بل هو صدق ينطبق على كل عنصر فى الوجود من شأنه أن يوحي بالمعرفة، حتى الايام على كرورها فانها مدرسة وأية مدرسة . ومتى كان الانسان يقبل على المدارس مختارا بعد أن يستكمل مقومات شخصيته ومعارفه فى مراحل الدراسة المختلفة وفى مدرسة الزمان والتجاريب ، ويستقيم له منهج فى الحياة ، وتخلص له غاية يمضي لتحقيقها ؟ ثم .. لا تنسى أن الانسان لا يرتاح الى التفكير الدائم كما قال جان جاك روسو !

وشأننا مع الزاعمين بأن المسرح للوعظ والارشاد لا يختلف مع ما تقدم ، دفع لبس واستخلاص تفاريق ألوان . فنحن نساق الى حلقات الوعظ والارشاد تحت ظروف طارئة ، أشرفها دائما حينما نحس أن الارض تميد تحت أرجلنا لاحداث وقعت بنا ، والوعظ والارشاد لا تستساغ منهما الأقوال والحكم فى كل وقت ، لان الانسان بطبعه يكره ما يذكره بالنقص ، خلقيا كان أو جسمانيا . وحسبنا ما نعيه كل يوم من وعظ الايام وارشاد التجاريب

واذا سلمنا بأن بيننا جمهورا يدأب على غشيان دور العلم مختارا وحضور حلقات الوعظ من غير اجبار ، وانه يرتاد المسارح بدافع الاستزادة من التعلم والاسترشاد ، فان هذا الجمهور قلة لا يكفل عديده ملء دور التمثيل ليلة واحدة

وبأذيال مذاهب المثاليين وعلماء التربية وأهل الوعظ يتعلق أصحاب النقد المغرض وأهل التفج ، وطلاب الاستثارة والتحدى ، ويتحدثون بلسانهم بل ويزيدون كلما ألهبهم لاعج للتعالم أو لانتقاص قدر فرقة تمثيلية وتمهين القائمين عليها ، ولم يجدوا من الحجج ما يرد أقوالهم ، ويدعم مزاعمهم وكأن المسرح لم يوجد الا للتعليم والتثقيف والارشاد ومعالجة مشكلات الحياة المتحولة

***

وهكذا ترى أجوبة يضيق المقام بتسجيلها ، وكل منها تخالف الاخرى في رسم ذلك الحافز الحق الذى يسوقنا الى دور التمثيل . وليس بينها واحدة تميط اللثام عن ذلك الباعث الذى يدفعنا من حيث لا نشعر الى أن نكون للمسرح أكثر مما نكون للمتاحف ودور العلم ومحافل الوعظ والارشاد

ومأتى هذا الاختلاف فى الاجوبة ، اننا اذ نعالج الموضوع نخلط بين فن التمثيل فى مظهره وغاياته ، وبينه فى جوهره وبواعثه . وقد يكون فيما أوردناه من أجوبة بيان عن ماهية المسرح فى ظاهره وغاياته ، ولكن ما لنا ولهذا ؟ البادرات بحوافزها المضمرة لا بدوافعها الظاهرة والامور ببواعثها لا بنتائجها ، والجوهر أصل والبواعث صدق ، أما المظاهر ففرع وأما الغايات فنتائج مصيرها جميعا الى تحول على مر الزمن

اذا أردنا استكناه الباعث فيما نحن بصدده فلنبحث عنه فى ماهية فن التمثيل فى جوهره الاول :

فن التمثيل فى جوهره واصله تعبير وتعبير . . هو كذلك قبل أن يكون لاى اعتبار آخر والتعبير من الشعور ، والشعور من النفس ، ومعلوم أنه لا غنى لنا عن التعبير كما انه لا منصرف لنا عن المأكل والمشرب ، بل نحن مضطرون الى التعبير ما دام الحس قائما . ونحن نعبر من غير غاية نتوخاها لانه وسيلتنا الاولى والاخيرة ، مهما اختلفت ألوانه فى الاجابة على ما تتأثر به النفس من العوامل الداخلة عليها بواسطة الحس . وبالتعبير يفهم الانسان نفسه ويفهمه الناس

وعليه فلما كان المسرح مسترادا يزخر بالتعبير ، وعليه تتعاقب صوره المختلفة ، فنحن منجذبون اليه للتنفس عما هو مطوى فى أعماق سرائرنا مما هو مبهم علينا كنهه ومما نحيط باطرافه ولا نقدر على تحقيقه ، هذا والانسان تواق بلا انقطاع الى ارتياد المجهول من كل شىء . فحضورنا التمثيل انما هو مطالعة ألوان من التعبير الانسانى ، هى منا وفيناء نتأملها وسرعان ما تتجاوب أصداؤها مع ما هو كامن فى ثنايا وعينا الباطن ، فتكون شرارة

الانفعال بعد أن يتم التجارب بين الحس وما هو مبذول أمامه ، وتكون لحظة تزخر فيها الحياة بالواقع وبما وراء الواقع ، مما هو مكبوت فينا ولا يجد منفذا للانطلاق ، فاذا بنا نشترك مع الممثل فى التعبير ونتجاوبه بشعورنا من غير وعى ، فتتألق اللذة الذهنية ويكون الرضاء على أتمه ونحس بأن المسرح ضرورة لازمة لنا باعتبار انه يفسح لنا مجالات للتعبير عن طريق المشاركة مع الممثل الذى يقدم ألوانا منه قد لاتتاح مجالاتها فى حياتنا التى نحياها. وقد تنتقل فينا بواعث لا شعورية على التعبير بدورنا ، فيجرى صامتا فيما بيننا وبين نفوسنا وتكون مظاهره الملحوظة انقباض وانكماش فى أعضائنا تارة ، وانسراح وانبساط تارة أخرى، وقد ينكسر جفن وتختلج شفاة وتتزوى ساق وينطوى خصر فتتألق المتعة الذهنية، وقد تخالطها لذة حسية ويكون الرضاء على أتمه ، ونحس ان المسرح ضرورة لا غنى لنا عنها ، باعتبار انه يجاوب رغبة فينا هى أبدا ملحة وقائمة

واذا أخذنا بآراء « فرويد » من حيث ان كل بادرة ظاهرة من جانبنا مأتاها الغريزة الجنسية ، فقد لا نبرىء ذهابنا الى دور التمثيل من دافع لا شعورى نحو تملق هذه الغريزة من ناحيتها المتخيلة ، ولهذا الرأى خطره بيد أننا نقصر الدافع الحق الى ارتياد المسارح على انه بحث عن نواح تائهة فى نفوسنا ، ونفقد أحاسيس غريبة عنا . فيغدو المسرح أشبه شىء بمخزن فسيح تعددت فيه معروضات متباينة من خلجات النفس ولماتها . وفى اهتدائنا الى المطلوب منها ، وفى تجاوبه مع ما هو قائم فينا هزة ونشوة ، وعلى هذا النحو تكون كل زيارة منا لدور التمثيل بمثابة مغامرة لطيفة لارتياد أفق جديد ، ومخاطرة شيقة فى سبيل مطالعة اشراق ينفتح له الوجدان ، متع ، وهزات ، واشراقات لا تضم عليها غير الانامل ، ولكنها أبدا تغرينا بطلاوتها الى متابعتها ، فنحن وراءها فى سعى مستمر وشوق لا ينقضى

المسرح سجل لخفقان القلب البشرى ، اسلوبه يرمز ولا يفصح ، ويوحى ولا يبين . هو نشاط حى للانسانية تتجاوب فى انحائه اصداء أملها وقنوطها ، مسراتها ومخاوفها . ويكون الفارق بين الكتاب والمسرحية، ان الاول يحكى عن هذا كله، فى حين ان المسرحية تجسمه أطيافا مقومة أحسن تقويم بما نفخ فيها من أنفاس الحياة نفسها

بعد هذا كله ، وقد أعلينا الجوهر على الحواشى ، ورددنا الفرع الى الاصل فى سبيل استخلاص الباعث الحق على ارتيادنا المسارح ، تتضح لنا ماهية فن التمثيل فى جوهره ولبابه ، كما تبدو عناصره وترتسم غاياته . والغايات غير الجوهر ، فقد تختلف الغايات باختلاف وجهات النظر وتقلبات المزاج العام ، ولكن الجوهر لا يتبدل ولا يتحور ومنه تنفلت البواعث ، وهى قائمة على الدوام وان خفيت معالمها على العين العابرة ، وهى لا تتغير لان مصدرها النفس البشرية التى هى واحدة على الزمان وفى كل مكان

زكى طليمات

السلوك الانسانى

بقلم الدكتور ابرهيم ناجى

لست مجرد شىء ، انى شىء ذو قيمة . قد لا أستطيع أن أعمل كل شىء ، ولكنى استطيع أن أعمل شيئا على كل حال

اذا أردنا أن نعرف أخلاق شخص على حقيقتها ، وجب علينا ان نرى أولا ماذا يصنع . اننا نتوقع أن يكون كلامه مطابقا لافعاله ، ولكن الواقع غير ذلك ، فكم من كلمات جميلة تستر فعلا قبيحا . قال جيته لتلميذه اكرمان : اذا سمعت رجلا يتحدث ربع ساعة دعه يتحدث ساعتين . يعنى انه فى زمن وجيز يستطيع ان يتنبأ بسلوك الرجل فيما بعد ، لا من الاستماع الى أحاديثه فقط ، بل من ملاحظة اشاراته وتعابير وجهه، وايماءاته، الى غير ذلك من الحركات التى هى ضروب من « الفعل » الذى هو السلوك الانسانى فى جوهره

فيجب اذن ان نؤمن أن هناك عاملا مشتركا ، أو عوامل مشتركة بين الجميع يتضح منها ان الانسان انسان فى تصرفاته، فعلى ذلك يتشابه السلوك الانسانى عند ما تتشابه الظروف، وتكون الاستجابة لعامل أساسى فى الطبيعة الانسانية . واثبات الذات والمحافظة عليها أول الخصائص الانسانية المشتركة فى جميع الناس . وهى خاصة تتوقف على « الوعى » بمركز الانسان فى الدائرة التى تحيط به وهى المجتمع . وحتى علاقة الانسان بعالم الفكر والقيم لا تتيسر الا عبر هذا المجتمع ، ويرمى اثبات الذات الى جعل هذه الذات حقيقة مطلقة ، وهذا مستحيل التنفيذ . ولقد أعطى نيتشه « اثبات الذات » وصفا مبدعا ، اذ دعا هذه الخاصة « ارادة القوة » واستعارها ادلر فى كتابه « السيكولوجية الفردية » بل جعلها نواة لكل دراسته السيكولوجية عن الخلق الانسانى . ولا نزاع فى أن هاته الخاصة اساسية فى الطبيعة الانسانية ، فى حياة الانسان والجماعة ، ولو انها تبدو أحيانا تحت ستار خداع ينخدع به أمهر الناس . ولولا السدود والحدود المفروضة على هاته الخاصية بالقوانين والتقاليد التى تنظم المجتمع لاندفعت فى سبيلها بلا توقف . ومن المهم أن نعرف أن السدود والقيود لا تميت هاته الخاصة بل تستثيرها دائما . والواقع أن هاته المقاومة هى التى خرجت بالانسان من درجة الهمجية الى درجة الحضارة . و « القوة » هى الطريقة البدائية الاولى التى بها قابلت ارادة اثبات الذات كل عقبة فى طريقها . على انه لا بد لاثبات الذات من « دافع » وقد نسمى هذا الدافع « بالغريزة » اذا شئنا ، أو نعده شيئا لاصقا بها ، فالمهم أن

تعرف ما هو هذا « الدافع » . ان هذا الدافع يعادل كلمة « القوة » فى علم الطبيعة ، والسلوك الانسانى هو نتيجة تلك القوة التى ليست شيئا مستقلا قائما بذاته متأهبا فى النفس الانسانية ، بل هى شىء مشابه « للعمل الانعكاسى » reflex act الذى يعرفه طلبة الفيسيولوجيا والتشريح ، ويعرفه المرضى « بالعصبى » حين يقرع الطبيب ركبتهم بمطرقته فتهتز عدة مرات . والفرق الوحيد بين هاته المنعكسات وبين الدوافع النفسية ، هو أن المنعكسات خارجة عن وعينا واختيارنا ، بينما الدوافع تصدر عن وعينا . فاذا كان الهدف الذى يتجه اليه الدافع حيويا محضا ، صادرا عن شىء عضوى أو ذاتى أو غير مفكر ، فانه يصير قريبا جداً من المنعكسات الفيسيولوجية . واذا صدر عن التفكير راميا نحو هدف فكرى ، تدخل فيه الوعى والاختيار معا . وعلى ذلك يمكن ان نقول ان ارادة القوة هى جزء راق متخصص من الدافع بغيته المحافظة على الذات بارادة واعية مفكرة

و « ارادة القوة » موجهة نحو أفراد المجتمع الذين يكونون « الوسط » الانسانى . ولقد ذكرنا ان ارادة القوة شىء بدائى اذا تركت لحالها انطلقت بلا قيود ، على ان هاته القوة تصطدم بالمجموع اولا ثم بعوامل فى النفس الانسانية تحد من سلطانها، منها « ارادة المجتمع » ، ثم بعوامل أخرى تمنع انطلاق ارادة القوة انطلاقا غير محدود . وما دامت الارادة البدائية على أتم صورة فى الطفل ، فلنبدأ بدرسها هناك لنعلم ما هى العوامل التى تقويها أو تضعف سلطانها . فهناك عقبات طبيعية ملازمة لحالة الطفولة ، وهذا بيانها :

١ — ينظر الطفل الى أهله الكبار كما ينظر الانسان البالغ الى أعلى شاعرا بضآلته بالنسبة للكون العظيم

٢ — لا تستند معلومات الطفل الى شىء ثابت فان الطفل يكون معلوماته بالمقابلة والتعميم. فاذا عرف ان معدن الذهب اصفر اعتقد ان كل معدن اصفر ذهب . فاذا اتضح له يوما ان النحاس معدن اصفر وهو ليس بذهب فجع فيما كون لنفسه من المعلومات

٣ — اتباعا لطريقة التعميم التى يفهم بها الأشياء اذا وجد ان كوبا وقع فانكسر اعتقد أن كل كوب يقع يجب أن ينكسر ، فاذا وقع كوب بدون ان ينكسر تقلقل يقينه وارتد الى الشك فى النظام العام

فتكون نتيجة ذلك عدم استقرار وضياع ثقة وقلة اطمئنان ، تجعله يطلب الحماية والامان ، ويفتقد السند الذى يرتكن اليه ، والصدر الذى يشعره بحنان وعصمة . وهذه كلها عقبات غير واعية وهى فى طبيعة الطفل ، ومن هنا تدرك سقم رأى الذين يقيمون التربية على مبدأ كسر ارادة الطفل فهى مقيدة مغلولة من الاصل . فالمهارة اذن فى توجيه تلك الارادة توجيها صالحا مع الاجتهاد فى ازالة الشعور بعدم الثقة ، ذلك الشعور الذى دعاه آدلر بحق « الشعور بالنقص » . ومن الواضح أن ذلك الشعور يحدث اما فى التكوين الجسمى أو البنية Constitution وهى شىء موروث ثابت الصفة ، ولها علاقة وثيقة جدا بالخلق . وقد أعطاها كريتشمر فى كتابه « البنية والخلق » أهمية مبالغا فيها

فالواقع أن البيئة والخلق لايسيران فى خطين متوازيين بل فى خطين متشابكين متداخلين. بدليل ان العلاج بالتحليل النفسى أمكن ان يغير من أخلاق خاصة لبيئة خاصة . وبدليل أن فى أمراض الغدة الدرقية وهى التى تطبع الخلق بشكل خاص نجد أحوالا تختلف اختلافا بينا فى الخلق

فالجسم والروح وحدة لا تتجزأ ، فمن الصواب أن نقول ان فى مخيلتنا شعورا بحقيقة أجسامنا وأوضاعها واتجاهاتها ، لا بل اننا نشعر بحدود هذه الاجسام فالواحد منا يقول ذات يوم « انى لا استطيع » ومعنى هذا ان الشعور بالتعب أو الملل ، يقصد به أن الجسم وهو الآلة التى يعبر بها الانسان عن ارادة القوة واثبات الذات بلغ الحد الذى عنده « لا يستطيع » . ومعنى ذلك أن عندنا وعيا حيويا يصبغ حركات أجسامنا كما يصبغ تجاربنا وأعمالنا ودوافعنا . ومن هذا نستخلص أن الضعف الجسدى والشذوذ المتعلق بالبنية يرتسمان فى الوعى « كحدود » . وهذه الحدود تقلل من ثقة الانسان بنفسه وتؤكد له عجزه عن الكفاح ، وبالتالى تشعره بنقصه . وهنا يقول آدلر : « اذا وجد عضو ما من الجسم فى حالة تقصير فان الجسم يحاول أولا أن ينبه هذا العضو ويزيد فى نشاطه ، فاذا لم يجد ذلك أخذ الجسم يقوى عضوا آخر متصلا بالعضو المقصر حتى تصير النتيجة « تعويضا » compensation أو « فوق التعويض » overcompensation وهذا بالضبط ما يحدث عالم النفس والخلق ، فان ظرفا خاصا يطرأ على النفس الشاذة أو المقصرة أو الضعيفة ، فترتسم حدود العجز فى المخيلة ، فيكون أول حافز هو بث النشاط فى ارادة القوة لتنهض بالعبء المطلوب . فاذا أمكن ذلك فكفى وان لم يمكن تحتال النفس بطرق أخرى للحصول على التعويض أو ما يفوق التعويض ، والغالب أن يكون التعويض فى ذات النقص ، فاذا لم يمكن ذلك تحول الى دوائر أخرى

ان التشابه بين ما يحدث فى الجسم والنفس يدل على انهما وحدة ، وأهمية نظرية التعويض هى فى اثبات هاته الوحدة . وخاصة اذا أدركنا أن النقص الجسدى يؤدى الى التفوق الفكرى عن طريق التعويض ، كما نلاحظ من سير الأبطال والنوابغ . ويجب تطبيق نظرية التعويض فى التربية ، وتقول ايلا لتس : يجب ان يوحى للطفل بهذا : « لست مجرد شىء انى شىء ذو قيمة . قد لا استطيع ان أعمل كل شىء ، ولكنى استطيع ان أعمل شيئا على كل حال »

الآن نتكلم عن العقبات المتعلقة بالبيئة ، فلنؤكد أولا ان الاحصائيات دلت على أن ٩٠ ٪ من أحوال الشذوذ والضعف الخلقى والامراض العصبية الشائعة كالهستريا والعقائد الثابتة هى من أخطاء البيئة . وبخاصة الوالدين . فمن أهم العقبات مركز الطفل فى الأسرة — ولد وحيد أو الاكبر أو الاصغر ذكر أم انثى — فقد اتضح من الاحصائيات والمراجع أن أكثر المرضى بالامراض العصبية ذوو مراكز خاصة فى الأسرة ، فأكثر المرضى بالهستريا نساء

واخطاء المربين تتلخص فى عدم المساواة ، والمحاباة ، والقسوة بلا مبرر ، والتساهل بغير داع ، والتردد بين الشدة واللين والقدوة السيئة من جانب هؤلاء ، وجعل كبار الاولاد مشرفين على صغارهم . وأخيرا هناك اليتيم وابن الزوجة وابن المطلقة فهؤلاء كثيرا ما يعاملون معاملة خاصة تؤدى الى كل ما نراه من الشذوذ والأعوجاج فيما بعد . اما التناهى فى الشدة فيحطم ارادة القوة ويخرج للعالم عجزة فى الفكر وكسيحين فى الكفاح . وقد تكون الشدة بالعقوبة البدنية ، أو بجعل هوة سحيقة بين الطفل ووالديه بحيث يجهل الطفل معنى الحب ، ولا يفهم عن الوالدين الا انهم « اسياد » لهم الاحترام والطاعة المطلقة ، وهم مصدر الخوف والارهاب . ومن أنواع الشدة سوء تطبيق العقاب ، فالعقاب لازم بشروط سيكولوجية ــ لا مجال هنا لتفصيلها ــ يعرفها الذين يدرسون تربية الطفل ويطبقونها عمليا . خلاصة هذا ، ان ارادة القوة هى العنصر الاول فى تكوين الخلق ، وانما اختصصنا الطفولة بهذا الحديث لاننا نعلم من تقارير المعلمين ان اصلاح الخلق صعب أو مستحيل بعد الخامسة ، أى أن البيت هو كل شىء . حقيقة ان التحليل النفسى أمكن ان يعالج مشكلات كثيرة ويقوم اعوجاجا كبيرا ولكنه يعالج عقدا نشأت فى الطفولة، وكان من السهل ألا يكون لها وجود لو أن الوالد ألم بنفسية الطفل وعرف كيف يوجهها

ارادة الجماعة

يقول آدلر « ان الانسان قادر على تكوين الجماعة ، ومنظم لوجوده وفق حال هذه الجماعة » . ولقد قضى بهذا القول على فكرة ان الوسط هو كل شىء . اذ جعل للانسان قيمة بارادة القوة التى تكون شخصيته وتجعلها شيئا ذا قيمة تتفاعل مع شىء آخر ذا قيمة وهو الوسط . ولكن الوسط شىء مائع متموج فليس من الممكن أن يكون الانسان سمكة فى ذلك البحر بل الصحيح ان الانسان مرفأ قائم على شاطىء البحر يتلقى أمواجه ويتفاعل معه

والتفاعل بين الانسان والوسط ، بين المرفأ والبحر قائم على تبادل العطف والمحبة فى أى شكل من أشكالها ، على شرط ألا يفقد الانسان شخصيته بالغراق حبه فى غمار الوسط والا ابتلعه الوسط وقضى عليه . ومن الواضح انه اذا امتنع التبادل بين المرء والوسط ، زالت الروابط الثقافية وانمحت الحضارة . ولقد قال فاورباخ : ان كلمة « أنا » لم توجد لها أهمية الا عند ما وجدت كلمة « انت » ، حتى روبنسون كروزو الذى كان « أنا » فى الجزيرة القاحلة ما كان يمكن ان يكون « أنا » لولا ما علمه وأخذه من « أنت » قبل أن ينزل الجزيرة . والواقع انه لا ثقافة ولا مدنية من غير « أنا » و « أنت » والعلاقة بينهما . فالانسان لا يتلقى شيئا عن نفسه ، ولقد ذكر مارك توين فى كتابه « ما هو الانسان » ان الانسان حيوان ناقل عن غيره ، وناقل لغيره والحقيقة ان الطفل قبل ان ينطق ، وقبل أن يتكون له شعور بذاته ، يدرك شعور الآخرين نحوه ويجيب عليه بابتسامة أو عبوسة قبل ان تتكون ذاته وينمو فكره ويصير لنفسه كيان وشأن

قلنا فيما سبق ان عند كل انسان شعورا طبيعيا بالنقص ، فاذا احتضنته الجماعة وبادلته حبا بحب وعطفا بعطف تخفف حدة الكبرياء المثلوم ، لان الانسان سيعرف ان هذا العجز شيء بشرى عام ، وسيدرك انه بمعاونة هذه الجماعة سيحقق من الامانى ما استعصى عليه وهو منفرد وحيد ، وسينقلب هذا الكبر المجروح الى تواضع ، أو على الاقل سيصير تسليما بحدود القوة الممنوحة للبشر . أو على الاقل اعترافا بانه لا يمكن تحقيق الامانى والمطامع بغير التضامن والعطف والمحبة. ولقد ذكرنا انه لا بد من توازن الارادتين ليكون السلوك الانسانى معقولا طبيعيا ، فلننظر الآن فى العوامل التى تخل بهذا التوازن . لقد تكلمنا عن « التعويض » وأهميته فى التربية والحياة على العموم ، فالتعويض فى الطفل يكون عن طريق اللعب والخيال وأحلام اليقظة . والخيال وأحلام اليقظة يلعبان دورا هاما فى التعويض عند الكبار ، فاذا تجاوزا منطقة التعويض ، ولم تعد الافكار افكارا بل حقائق متزاحمة متوالية فقد صدق القول القائل « ان الافكار المتناقضة قد تعيش معا ولكن الحقائق تتزاحم تزاحما مقلقا » . والعيب ليس فى التخيل ولا فى الامانى وانما فى الخلط بين الامنية والطلب . فالطلب فى الواقع مساومة ، جزاء ينتظر عن عمل . والطلب يقترن بالعمل والعمل يتطلب الجزاء. والخيبة جزاء الطلب الذى لا يتناسب مع الواقع. وتستتر وراء كل ذلك ارادة للقوة طاغية وغير محكومة بشكيمة ولا لجام . ولاصلاح ذلك يجب ان يفهم الطفل ان مجرد اجابة الرغبات شيء غير جائز ولا متيسر . وان عليه ان يعمل الصواب والخير لانهما صواب وخير ، سواء لقى جزاءا يوافق رغبته أم لم يلق

أخيرا ما هى العقبات التى تضعف ارادة الجماعة ؟

١ ــ كل العوامل التى تؤدى الى اضعاف القيمة الشخصية للطفل تجعله غير قادر على أخذ مكانه فى الجماعة اذا سنحت الفرصة

٢ ــ كل العوامل التى ترسم للطفل حياة الجماعة رسما كئيبا ، أو تلقى عليها ظلا قاتما ، تجعله لا يقبل الاندماج فى جماعة هذا وصفها

٣ ــ كل العوامل التى تباعد بين الوسط الصغير والوسط الكبير .فاذا سمع الطفل ذما فى العائلات الاخرى وقدحا فى العالم ، لا تجعله مقبلا على الاندماج فى الناس اندماجا طبيعيا

٤ ــ سوء اعداد الطفل لحياة الجماعة كايثار الولد الوحيد ، والمبالغة فى الخوف عليه من الناس

مما سبق يتضح أن سيكولوجية الاخلاق تتلخص فى الموازنة بين الارادتين ، ارادة القوة وارادة الجماعة وكل اعوجاج يمكن رده الى خطأ فى التربية فى السنوات الاولى . وتستطيع بتدارك هاته الاخطاء خلق رجال عندهم قوى نفسية مهذبة حرة متوازنة ــ وهذا ما نسميه فى العرف « بالخلق الحميد »

ابرهيم ناجى



للكاتب الانجليزى « يفرلى باكستر »

اذا جاءت اليك ابنتك يا سيدتى تنبئك أن أحد الشبان استرعى بصرها واجتذب قلبها، فاسأليها فيما تسأليها عن شاربه فلسوف تعرفين الكثير من طباعه وأخلاقه ومناحى حياته

ما من سمة من سمات الرجل تكشف عن أخلاقه ، ونواياه ، وأطماعه ، ومهنته ، ومركزه الاجتماعى ، كما يكشف عنها شاربه . وعند الفرنسيين مثل يقول ان الرجل هو الاسلوب ، أى كما يكون الرجل يكون أسلوبه ، ولكن يمكن أن يقال قياسا على هذا ان الرجل هو شاربه ، فكما يكون الرجل تكون طريقته فى حلق شاربه أو اعفائه

فالبولنديون والهنغاريون مثلا قلما يطلقون لحاهم وشواربهم ، لان هذه شعوب ينقصها الهدوء والاستقرار ، كما انها شعوب منطلقة فى عالم الوهم والخيال ، بينما تدل اللحى على هدوء النفس واستقرار الحياة ، وتدل الشوارب على استقامة الطبع واعتدال المزاج

وقد كان شارلمان أول من رأى أن يطلق السادة والاعيان شواربهم ، بينما يطلق الفلاحون والعامة لحاهم ، وربما كانت هذه هى العلامة الوحيدة التى تميز بين الفريقين فى تلك الأيام . أما بطرس الأكبر فذهب الى أبعد من ذلك ، فقد كان الروسيون يطلقون حول وجوههم وعلى صدورهم لحى كثة طويلة حتى ليتعذر على من يراهم أن يتبين من ملامحهم ما يجيش برؤوسهم من افكار ، ففرض القيصر ضرائب باهظة على اللحى وأعفى الشوارب من هذه الضريبة

وكان شارل الاول ملك انجلترا وقتيل ثورة كرومويل ، معجبا بهيئة الرسام الهولندي فان ديك ، فقد كان له شارب دقيق ممشط من تحته سبلة (١) صغيرة رقيقة تكسو طرف ذقنه وعنفقته (٢) ، وكان الشارب والسبلة متسقين معا اتساقا بديعا . وخير من اتخذ لنفسه هذه الهيئة مونتاجو نورمان مدير بنك انجلترا وديكتاتورها المالي . وهذه الهيئة تدل على أن أصحابها يحبون أن يتميزوا من الناس ، ويأبون أن يعيشوا في غمرتهم وزحامهم ، وانهم يؤثرون أن يضحوا بكل شيء — كما ضحى شارل الاول برأسه — على أن يضحوا بأناقتهم وما يتصل بالاناقة من منصب ومال وجاه !

□

والشارب متفش في الجيش البريطاني ، ويعد تقليدا لا مفر من اتباعه في بعض كتائبه . وقد كانت كتيبة « ورسستر شير » أول كتيبة بريطانية اتخذ رجالها الشارب « رسميا » فلا يجوز لاحد منهم أن يكون حليق الشارب . وكان ذلك في سنة ١٧٩٨ ومنذ ذلك الوقت انتشر الشارب في سائر الجيش . وما زلت أذكر في شيء من الدهشة أني عند ما التحقت بالجيش في الحرب الماضية اخبرت بأنه لا يسمح لي بأن أمر بالموسى على الشفة العليا ، وانه لا بد أن ينمو عليها الشعر اذا أردت ان أكون ضابطا

ولكن سرعان ما يتبين الانسان فروقا كثيرة بين الشوارب الحربية ، أعني الشوارب التي يتخذها رجال الجيش . « فالباشجاويش » يمتاز بشارب حاد عنيف ينتهي بطرفين مدببين كأنهما رؤوس الحراب . وقد ترى أحيانا أحد الضباط يتخذ مثل هذا الشارب ، فاذا سألت وجدت أنه اطلق شاربه حين كان « باشجاويشا » في حرب البوير ، ثم تقدمت به السن وهو على هذه الهيئة فلم ير من اللائق تغييرها

وكنا نحن الضباط الناشئين نفكر في شواربنا كثيرا ونعنى بها جيدا . فكان لا بد أن نترك خطا رقيقا من الجلد بين الشارب وحافة الشفة العليا . ولا بد أن نفرع الشارب فرعين ينتهيان بطرفين رقيقين مدببين يداعبان الوجنتين ، ولا بد أن يتوسط الفرعين تحت أرنبة الأنف خصلة كثة من الشعر تدهن بالزيت وتمشط بأناقة

أما القواد في تلك الايام فكانوا لا يلقون بالا الى شواربهم ، بل يتركونها تنمو كثة كثيفة حيث تشاء ، وتنتهي مشعثة منفوشة حيث تشاء ! وكانوا يحسبون أن مثل هذه الشوارب تضفي عليهم مسحة من الحكمة والوقار ، وتكسبهم هيئة الأبوة والرئاسة . . أما الآن فقد تغير الأمر . فصار في القواد من يطلق شاربه كما يطلقه مونتجومري ، ومن يحلقه كما يحلقه ايزنهاور

ومسألة الشارب أهم في عالم الحب منها في ساحة الحرب . وقد كان للشارب دائما

---

(١) السبلة : مقدم اللحية أو ما على الذقن الى طرف اللحية (٢) المنطقة ما بين الذقن وطرف الشفة كان عليها شعر أو لم يكن

تأثيره فى النساء ، فان أوضح ما يحمله من المعانى معنى الرجولة والنضوج . ثم ان فى طريقة اطلاقه وتشبيطه دليل على ميل الرجل للاناقة أو استهتاره بها . وتكاد تتبين فى الرجل المعنى بشاربه ميله الى النساء ، والرجل الذى يظهر بشارب أشعث أو حليق انصرافه عن عالم المرأة

□

وقد صور برنارد شو فى قصته « الاسلحة والرجل » ضابطا بلغاريا يجتذب النساء بشىء واحد : هو هذا الشارب الذى يطرف أعينهن بطرفيـه المدببين النافذين اذا هم بتقبيلهن ، فاذا بهن يتراخين ويتهافتن بين ساعديه متأثرات ، بل مخدرات ، بهذا الشارب الصارم العنيف !

والواقع ان الشارب القوى المقوس الى أعلى من أبرز سمات الرجال الذين يريدون فتنة النساء . وكثيرا ما أضل هذا الشارب المرأة التى لا تأخذ حذرها وحيطتها ، وكثيرا ما كان عدة الرجل فى اغتيال براءة المرأة وطهارتها

ولكنك اذا قلبت هذا الشارب من أعلى الى أدنى ، وجعلت طرفيه ينتهيان الى ما دون الذقن بدل أن يصلا الى جفون العين ، وجدت صاحبه يمتاز بالقسوة والشراسة ، بدل أن يمتاز بالقوة والدماثة . وهذا هو الشارب الذى كان يصطنعه السفاحون الصينيون ومن اليهم من قطاع الطرق ورؤساء العصابات . وكما ينبغى للمرأة أن تحذر الرجل الذى يفتل شاربه الى أعلى ، فكذلك ينبغى للرجل ان يحذر ذلك الذى يرسل شاربه الى أدنى ، فهذا هو الذى يستبيح دم الرجل مثلما يستبيح ذلك حرمة المرأة ! وشارب جنكيزخان هو أبرز مثل فى هذا القبيل ، وشهرة صاحبه فى القتل والفتك لا تعلوها شهرة أخرى

وللشارب أهميته كذلك فى عالم السياسة . ولويد جورج مدين لشاربه بقسط كبير فى حياته السياسية ، فعند ما كان شاربه داكنا فى شبابه كان يتحدى به أصحاب الالقاب وأصحاب الأملاك وحزب المحافظين ومن اليهم من ذوى الشوارب الشائبة البيضاء . فلما تقدمت به السن وصار أبيض الشارب كان ذلك دليلا على أن الفتى الثائر الناقم قد صار شيخا سياسيا محنكا

□

ولاتنونى ايدن شارب بديع يليق برجل أبرز مزاياه شبابه الباكر . وايدن سليل أسرة حادة المزاج ، ولهذا كان فى حاجة الى هذا الشارب . فبدلا من أن يواجه ما يلقى عليه فى مجلس العموم من عبارات التعنيف والتنديد بالبديهة الحاضرة والاجابة المفحمة ، تجده يلجأ الى شاربه ، يفتله تارة وينفشه تارة أخرى ، ويمسك طرفه الايمن مرة ويتركه الى طرفه الايسر مرة أخرى ، وهكذا يهدىء ايدين أعصابه بالعبث فى شعيرات شاربه ، كما تهدىء المرأة أعصابها بالعبث بابرتها فى بعض الخيوط

نعم ، ان الشارب دليل لا يضل الى الكشف عن طباع الرجل واخلاقه . وهو أصدق

دلالة عليها من سائر سمات الرجل وملامحه . لان الرجل يولد بهذه السمات والملامح فلا يملك تغييرها أو تعديلها ، أما الشارب فهو ملك يديه يفعل به كيف يشاء ، ولهذا فانه يصوره على الصورة التى تلائم نفسيته ومزاجه ، وتتفق مع مركزه ومكانته

لقد بدأ ابراهام لنكولن حياته السياسية حليق الذقن والشارب . فلما مرت به السنون وتفاقمت فى عهده الاحداث ، رأى نفسه يقوم من الشعب الامريكى مقام الاب من بنيه وبناته ، فمن ذا الذى يتصور « الاب ابراهام » الآن الا رجلا كث اللحية مرسل الشارب شأنه شأن الاب فى الأسرة الكبيرة ذات الاولاد والاحفاد ؟

وكذلك سما لورد سالسبورى على زملائه رجال البرلمان الانجليزى بشارب ولحية كثين يجمعان بين القسوة والشراسة ، وبين الرقة والدماثة ، حتى كان الرجل يبدو بهما مزيجا من الوحش الكاسر والقديس العطوف

وكان للورد كتشنر شارب صارم عنيف يلقى الرعب فى قلوب اعدائه، ويجعل مواطنيه وأجناده ينظرون اليه نظرة الرهبة والاستقامة . واستطيع أن أذكر شعور الثقة الذى داخلنى ، وما زلت طفلا صغيرا ، حين رأيت فى الصحف صورته وهو ذاهب ، بشاربه هذا ، ليحارب البوير! ولما علقت صورته فى الحرب الماضية فى جميع مدن انجلترا على جدران البيوت والمبانى ، وفى أرجاء الشوارع والميادين ، كان لشاربه من التأثير فى الشعب الانجليزى والايحاء له بالثقة واليقين ، مثلما لعينيه الزرقاوين الحادتين ، وسبابته المدببة الصارمة

والخلاصة أن الشارب يجب أن يكون أداة من أدوات فن الفراسة الذى اقتصر حتى الآن على السمات والملامح . فاذا جاءت اليك ابنتك يا سيدتى تنبئك أن أحد الشبان استرعى بصرها واجتذب قلبها ، فاسأليها ، فيما تسألينها ، عن شاربه ، فلسوف تعرفين الكثير من طباعه وأخلاقه ومناحى حياته

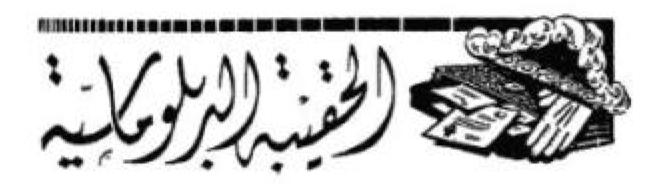
وأنت يا سيدى اذا أردت شريكا فى عملك ، فلا تسأل كثيرا عن ماضى الشريك وحياته وكفاءته ، بل انظر الى شاربه مليا

وصدقنى ان الشارب مفتاح الشخصية ، أما أولئك الذين يحلقون شواربهم فانهم يخفون عنا كثيرا من نواحى شخصياتهم ، ويتركوننا فى حيرة من أمرهم المخبوء

وهل كانت المرأة لغزا لا يفهم ، وطلسما لا يحل ، الا لانها خلقت بغير شارب ؟

(عن مجلة ستراند)

قد تأتيك النصيحة النافعة على لسان مجنون ! « برنارد شو »



بقلم الأستاذ على بك اسماعيل

وزير مصر السابق فى بولونيا

كانت الحكومات فى الأزمان الغابرة ، تتصل بممثليها فى الخارج بوساطة رسل يوفدون من قبلها ويحملون رسائلها ، ويسمى هؤلاء الرسل كوريه "Courriers" . وكان لهؤلاء الرسل امتيازات خاصة معترف بها مثل الحصانة الدبلوماسية ، وحق الاعفاء من دفع الرسوم المختلفة ، وعدم قابلية المنقولات للتفتيش بأى حال من الاحوال ، ثم حق الاعفاء من فض الرسائل . وكان دليل تلك الامتيازات جواز السفر الذى يحمله الرسول

ومن الواضح أن اتباع هذه الطريقة ، كان يكلف الحكومات نفقات باهظة ، اذ أن الرسول يجب أن يكون موظفا موثوقا به ، ويجب أن يحوط سفره وسائل الراحة والطمأنينة ، كيما يحافظ على الرسائل التى يحملها ، وكان عليه أن ينزل فى الفنادق الكبرى الموثوق بها . وكان من واجب الدول المحافظة على حياته كل المحافظة من يوم اجتيازه حدودها الى ساعة مغادرته بلادها . وبعد ما تقدمت المواصلات التقدم الملحوظ وزاد عدد السفارات والبعثات الدبلوماسية ، عمدت الدول الى استعمال البريد العادى فى محرراتها أو البرقيات السلكية واللاسلكية فى مخابراتها التى تتطلب العجلة . ولا شك فى أن فى ذلك ضمانا كافيا ، فضلا عن سرية المكاتبات العادية بين الأفراد فى أوقات السلم ، تلك السرية التى تضمنها كل القوانين الوضعية للدول ، فان القانون الدولى العام يؤكد تلك السرية ويؤيدها ويعتبر نقضها مخالفة صريحة لاحكامه ولروحه

وعلى الرغم من هذين الضمانين لسرية المكاتبات ، ضمان القوانين الوضعية فى كل دولة ، وضمان القانون الدولى العام ، لا سيما الرسائل الممهورة بأختام دبلوماسية ، فان التاريخ السياسى مشحون مع الأسف بحوادث انتهكت فيها حرمته فى هذا المضمار سواء أكان ذلك علنا أم سرا

أما الطريقة العلنية لفض الرسائل فلا تحتاج الى شكل خاص ، ففى أوقات الحرب يفض الرقيب كافة الرسائل . ونحن نعتقد ان من حق الدول المحاربة ــ اذا كانت سلامتها فى خطر ــ أن تفض الرسائل أيا كان نوعها ، دبلوماسية أو غير دبلوماسية

نعم ، هناك كثير من أساطين القانون الدولى الذين يعارضون هذه النظرية ، ولكن من

الواضح أن سلامة الامم يجب ان توضع فوق كل الاعتبارات

وتتلخص الطريقة السرية لفض الرسائل فى انه كان فى بعض وزارات الخارجية غرف تعرف بالغرف السوداء Cabinets noirs مهمتها فض الرسائل دون أن تشعر السفارة أو المفوضية ، اذ أن الغرفة السوداء تحتوى على آلات خاصة وأجهزة كيميائية يمكن بواسطتها شف الاغلفة وقراءة ما بداخل الرسالة . كما أن هناك طرقا مختلفة لفض الرسائل حتى ما كان مبصوما منها بخاتم الدولة واعادة كل شيء الى ما كان عليه بعد تصوير الرسائل

ولعل الخطر على سرية المكاتبات هو الذى حدا ببعض الدول ـ خصوصا الكبيرة منها ـ للعودة الى نظام ايفاد الرسل مصحوبين بالحقائب الديبلوماسية ، أو نظام ارسال الحقائب دون ايفاد رسل تصحبها بعد اغلاقها اغلاقا دقيقا سريا محكما

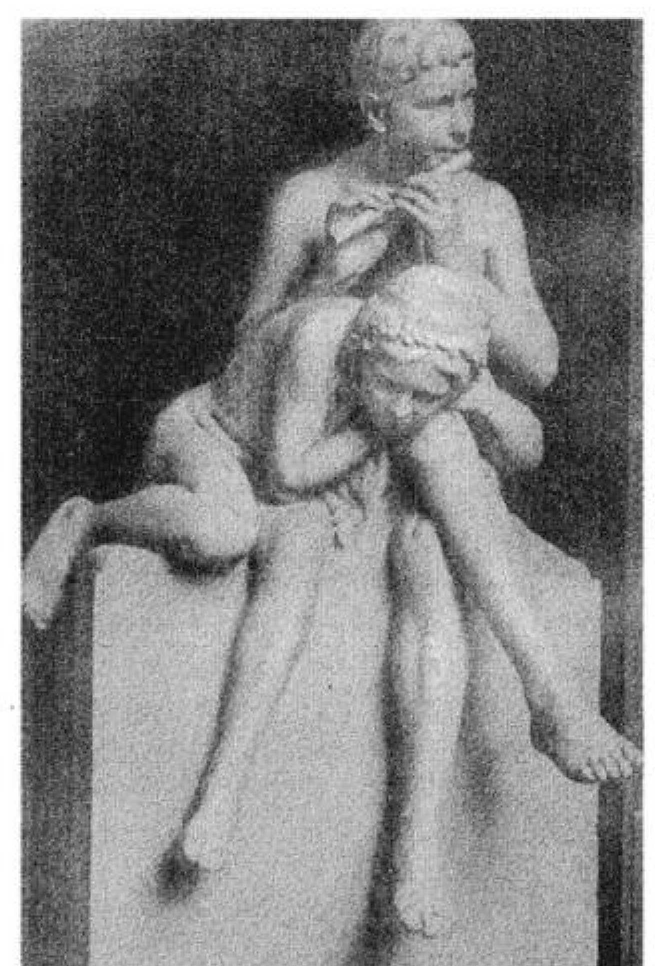
وكانت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية ـ قبل نشوب هذه الحرب ـ تدرجان على نظام ايفاد الرسل مصحوبين بالحقائب ولكن فى حالات محدودة ، فكان الرسول يسافر من لندن فى فترات معينة ـ كل شهر أو كل خمسة عشر يوما ـ صوب موسكو ومعه حقيبة طولها متر وعرضها نصف متر تقريبا ، وفيها بريد السفارات البريطانية فى باريس وبرلين وفرسوفيا وموسكو وبالعكس

واذكر ان الحكومة الفرنسية كانت توفد الرسل ومعهم الحقائب الى اسبانيا وايطاليا . أما مصر فلم تستخدم بعد نظام الحقائب الديبلوماسية على الرغم من محاولة معالى فخرى باشا وزيرنا المفوض فى باريس ادخال ذلك النظام منذ أكثر من عشرين عاما

ويحتاج استعمال الحقائب الديبلوماسية الى عقد اتفاق دولى مع البلاد التى تدخلها ، وهذا الاتفاق ينبغى أن يوضع على قاعدة المعاملة بالمثل . ويجب ان يكون مفهوما ان قاعدة المعاملة بالمثل تتضمن ان تكون مصر هى التى تطلب ذلك لنفسها اولا . فاذا كنا فى حاجة ماسة الى استخدام نظام الحقيبة مع دولة معينة بالذات وجب أن نطلب اليها ذلك على أساس السماح لها باستعمال الحقيبة فى الاراضى المصرية ، فاذا قبلت وضعنا اتفاقا معها

ومع أن الحقائب الديبلوماسية معفاة من كل رقابة أو تفتيش ، غير انه يجب مراعاة استخدامها فى الغرض الذى وضعت من أجله وهو احتواؤها على المكاتبات الرسمية فقط . واذكر أن بعض مكاتب وزارات الخارجية فى دول ما ـ اتكالا على المجاملة الدولية ـ عمدت الى التوسع فى تطبيق هذه القاعدة ، فقد شاهدنا زجاجات الشمبانيا والخمور المعتقة والفواجرا والكافيار ترد بالحقيبة الديبلوماسية . وقد لا يكون هناك حرج فى هذا اذا لم يسأ استعمال هذا الحق . أما ارسال الاقمشة والملابس وغير ذلك فيحسن تجنبه على قدر المستطاع ، والا عرضت الدول نفسها الى التنازع على الامتيازات التى تتمتع بها الحقيبة الديبلوماسية

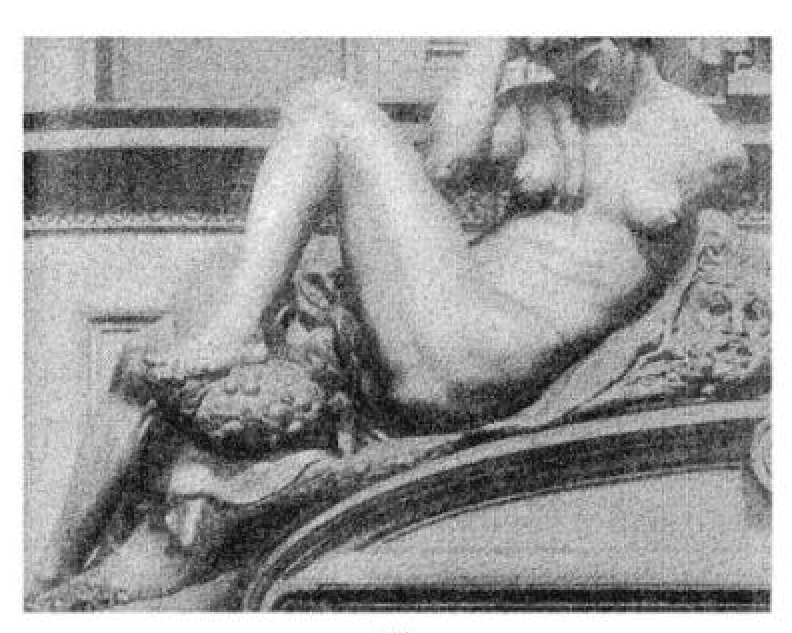
على اسماعيل



حب الطفولة

صبية هامت بغلام
اندفعت اليـــه
وأسندت صدرها
الى ركبته فامتزجت
النفوس وتعانقت
الأرواح وتآلفت
المشاعر ، وطفقت تعب
الى خمر الغرام الطاهر
الرى ، وراح هو
بير عن شعوره
عواطفه بأعذب
لسان ـ المثال
كانتيت

فى خلق صاحبها ، وحياته اليومية . ولكن تزول الدهشة إذا أدركنا أن الفنان المبتكر بالمعنى الصحيح قلما يعى ما يبتكر ، إذ أن فنه لا ضابط له من عقله ، ومتى زال ضبط النفس ، رجع صاحبها الى الانسان البدائى الحيوانى ، فزالت عنه كل كلفة ، والتى العرف والتقاليد فى زوايا النسيان . وهذا ما يحدث لجميع الناس فى الحياة اليومية ، عند ما يضطرون الى ذلك عند شدة الغضب أو الخوف أو الكراهية أو الحب ـ أو حلول الأزمات الشديدة ـ أى عند زوال ضبط النفس .



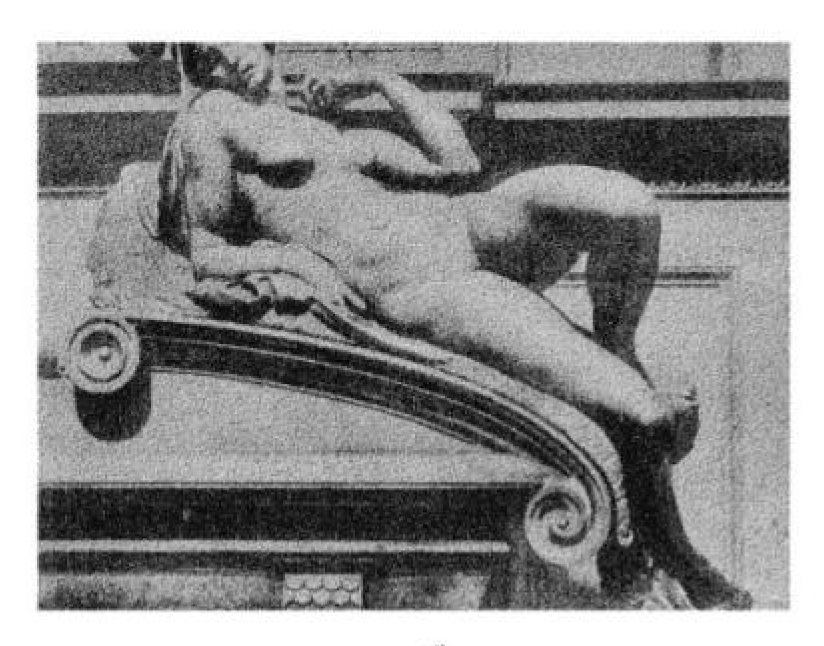
الليل

الحياة البشرية فى مرحلة الأنحلال والشيخوخة للفنان ميكل أنجلو، وهو من أكبر فنانى ايطاليا فى عصر النهضة

ومن الشاهد أيضاً أن ما يقوله الناس خصوصاً فى حالة الأزمات النفسية ، يصدر من العقل الواعى أو الشعور ، أما كيف يقولون ، فانه يصدر من العقل الباطن أو اللاشعور

يقول الشاعر الأنجليزى « كيتس » ان النغمات المسموعة جميلة ، ولكن أجمل منها النغمات غير المسموعة ، ولعل هذا يفسر لنا كيف ان أحسن ما أخرجه لنا بيتهوفن من الموسيقى هى السمفونيا الشهيرة ، التى وضعها بغير أن يسمع شيئاً منها ــ لفقده حاسة السمع قبل ذلك ، ومعنى هذا بتعبيراتنا السابقة ، ان أعذب النغمات ، وأحلى الألحان ما صدرت من اللاشعور أو العقل الباطن

قلنا إن الانسان يعجز عن ضبط نفسه ، والضغط على ميوله ورغباته ونزعاته البهائية الفطرية الحيوانية ، عند حلول الأزمات النفسية . ومن هذا ندرك المبدأ المعروف عند رجال الفن وغير رجال الفن ، وهو ان الرجل المرتاح ، المطمئن ، الشبعان ، قلما يكون فناناً بالمعنى الصحيح . إذ إن من أهم خصائص الفنان ، أن يكون جائعاً ، أو حزيناً ، أو غاضباً ، أو خائفاً ، أو مضطرباً ، أو مغرماً ولهاناً . الجوع هنا يشمل جوع العاطفة ، كما أن الخوف والحزن والغضب ، والاضطراب قد يكون مصدره الحب . ولم يخف عنا الروائى الشهير « مورلى روبرتس » هذه الحقيقة ، إذ قال صراحة ان كل رواياته انما صدرت عن سخط ، وتبرم ، وقنوط ، ويأس



الفجر

يمثل نهوض الحياة البشرية فى عنفوان شبابها وهو من صنع ميكل أنجلو . وكلا التمثالين بكنيسة مديتشى بفلورنسا

وقال الموسيقى الشهير شوبرت « إن أبدع ما أنتجت من الموسيقى ثمرة آلامى وأشد أساى وأحزانى ، ولعل اشد الآلام فى حياة الفرد ، قد تكون مصدراً للأفراح والمسرات فى حياة الجماعة » . ويقول علماء النفس فى ذلك إن القطع الفنية العبقرية النادرة ، شعراً كانت أو نحتاً ، أو تصويراً ، أو موسيقى ، دليل قاطع على نزاع وجدانى ، ومعركة عاطفية . وإنه ينبنى على ذلك أن سيمفونيا شوبرت الرائعة الخالدة ، التى مات قبل اتمامها ، حجة قاطعة على أنه أخفق فى فض الشكل ، الذى تحاول نغمات هذه السمفونيا أن تصف وقائعه وأسبابه ، أى انه خسر المعركة النفسية

ومن الخطأ الشائع أن نتصور أن الفنان والفن سيان ، أو أن الفن يعبر تعبيراً صادقاً عن طبيعة صاحبه ونفسيته . الحقيقة أن الفن والفنان كثيراً ما يكونان على طرفى نقيض . وكثيراً ما يثور الفن فى وجه صاحبه ، كما يثور الطفل على أبيه . وطالما رأينا الفنان ينظر الى فنه ، كما ينظر الرجل الطيب الى ولده المجرم ، الفاسق ، المستهتر ، فيبرأ منه ، ويسائل نفسه ، كيف أنه ورث ابنه صفات قذرة ، شائنة ، لم يتلوث بها هو . وطالما رأيناه بعكس ذلك ينظر الى فنه كما ينظر الرجل المجرم ، الفاسق ، المستهتر الى ولده الطاهر ، النبيل ، عف اللسان ، ويسائل نفسه ، كيف نقل الى ابنه صفات كاملة ، لم تهبه الطبيعة اياها



اللورد لويد جورج

توفى أخيراً اللورد لويد جورج ، رئيس الوزارة البريطانية الأسبق ، بالغاً من العمر ٨٢ سنة ، وهو السياسى البريطانى الشهير الذى قاد بريطانيا الى النصر فى الحرب العالمية الماضية ، والذى أدى لبلاده خدمات جليلة إبان السلم والحرب ، جعلته من أكبر أقطاب الأمبراطورية البريطانية فى تاريخها المجيد . وقد اشتهر بما أدخل فى بلاده من نظم وإصلاحات اجتماعية ، سبقت بها بريطانيا معظم الدول الديمقراطية . وقد عرف باهتمامه بالشؤون الزراعية ، لذلك كان كثيراً ما يقضى أوقات فراغه بين المزارع والحقول . ويرى فى الصورة وهو يقضى عطلة آخر الأسبوع فى عزبته



للخبير الحربي الانجليزي « ليدل هارت »

يرى الناس أن « زى النساء » يتغير كثيرا ويتبدل سريعا بحيث لا يمكن التنبؤ بما يجد عليه من التغير وما يعتريه من التبدل . ولكنى أرى نقيض ذلك ، أرى أن ثبات « زى النساء » واستقراره هو الملحوظ المعهود ، وأن ما يعتريه من التغير والتعديل من الوضوح بحيث يتيسر التنبؤ به قبل ظهوره

فليس الزى ، كما ترى جمهرة الناس ، مجرد مظهر من مظاهر أهواء النساء ورغائبهن وهى كما نعهد تتغير وتتقلب من يوم الى يوم . بل انه ، على النقيض من ذلك ، دليل على ما يضطرم فى العصر الذى ابتكره من التيارات الصاخبة العنيفة . انه يكشف عن الروح التى تحدد اتجاه هذا العصر فى السياسة وأهدافه فى الاجتماع

ولهذا فان « زى النساء » ليس أمرا تافهـا يسيرا ، بل انه يستحق اهتمام المؤرخين الجادين المحققين ، واهتمام السياسيين الذين تعنيهم شؤون المستقبل القريب وما سوف يضطرب فيه من أحداث وما يجرى من تيارات

على أن هـذا الرأى ينطبق ، على الاخص ، على الأقطار الحية التى تأخـذ بالحضارة الغربية ، أى التى تبدو فيها النساء شـديدات الاستجابة لما يجرى حولهن من الشؤون والاحداث ، فيسجلن هذه الاستجابة فيما يتخذن من لباس وما يبتكرن من زى ، كأن ملابسهن بارومتر يسجل حالة الجو الذى يتنسمن هواءه ويتأثرن بمواصفه .. أى أن هذا الرأى صحيح فى الأقطار التى يقوم نساؤها بدور بارز فى الحياة العامة ، بدل أن يعشن فى عزلة تحول دون تأثرهن بما حولهن من حياة ثائرة صاخبة، أو حياة هادئة مستقرة

فلو أن مؤرخا ــ درس هذا الموضوع وأجاده ــ انتقل من العصر الذى يعيش فيه الى عصر سواه ، لما كان عليه الا أن يلقى نظرة على زى النساء فيدرك ما يتصف به هذا العصر من الصفات وما يسوده من الأوضاع ، أى يدرك ما اذا كان هذا العصر فى حالة آمنة مستقرة ، أم يعانى حالة ثورية عنيفة . وليس على هذا المؤرخ ان يبذل وقته فى دراسة تفاصيل اللباس ودقائق الزى ، فان هذه لا تؤدى فى الغالب معنى جديا هاما ، بل حسبه أن ينظر الى الصورة العامة لملابس النساء ، وعلى الأخص ، الى حزام الخصر ، وما يليه من

اللباس « الجونلة » والاكمام ، ولباس الرأس . فان أشكال هذه الاشياء وأوضاعها هي التي تؤدي معنى خاصا يدل على حالة الحياة وشؤونها

ففي الاوقات التي تنشب فيها منازعات سياسية عنيفة ، تنطوى على فورات اجتماعية صاخبة ، يلاحظ أن حزام الخصر يتزحزح عن مكانه المألوف ، اما الى ما فوقه واما الى ما دونه . وكذلك يلاحظ أنه لا يكون مشدودا على الخصر ضيقا ، بل يكون متراخيا متسعا ، شأنه شأن جميع ما يربط المجتمع من أحزمة وروابط فانها في هذه الفترات تتفكك أو تتراخى . والعلامة الثانية المحققة من العلامات التي تبدو في فترات النزاع والجيشان تضخم لباس الرأس وجعله على صورة تسترعى الانظار . وكذلك اتساع الاكمام وهلهلتها من مميزات الزى في هذه الفترات . وقد كان من الظواهر الملحوظة في القرون الحديثة كثرة التغير في شكل الجزء الادنى من رداء المرأة ، وذلك أن هذه القرون شهدت كثيرا من الظروف التي تراوح بين الثورة العنيفة والاستقرار الهادىء ، والحياة القلقة بين تلك الثورة وهذا الاستقرار

وكل « زلزال » سياسي أو اجتماعي تسبقه وتنبىء عنه موجة من البذخ والاسراف في ملابس النساء . وقد تظهر هذه الازياء الباذخة المسرفة في السنوات التي تسبق الانقلاب السياسي مباشرة ، وقد تظهر قبل ذلك بفترة طويلة . وفي الحالة الاخيرة قد تحدث نكسة



نموذج من أزياء سيدات البلاط الانجليزى في عصر الملكة شارلوت ، يبدو فيها الخصر ضامراً مشدوداً . وترى الصدرية الدقيقة وقد انحسرت عن النحر والصدر ، والاكمام المتقنة تكشف عن الساعدين ، وترى القبعة الصغيرة مصنوعة من الحرير الأبيض وفي أعلاها ريشتان من ريش النعام . وعلى الجبهة قطعة براقة من الماس

بسيطة قبل وقوع الانقلاب السياسى ، أى قد تعود الازياء الى شىء من البساطة والاتزان مما يدل على الاحساس بأن الخطر مقبل زاحف ، والرغبة الغريزية فى تجنبه وتفاديه . ومثل هذه الرغبة وذلك الاحساس يتفق مع الزى البسيط المتزن الذى يخلو من البذخ والمبالغة

أما الانقلاب ذاته فيصحبه جو من الاهمال فى اللباس . وهذا أمر طبيعى ، فان الناس عندئذ يكونون فى شغل بما هو أهم من الملابس والازياء . فاذا ظلت موجة الاهمال أو الاستهتار هذه بعد انتهاء الانقلاب وسكون الزلزال ، فان معنى ذلك ان الحياة السياسية لم تستقر الا فى الظاهر فحسب ، أما فى الباطن فما تزال تختزن كثيرا من أسباب القلق والاضطراب ، تفصح عنها هذه الازياء المهملة المضطربة التى لم تعد الى ما يجب أن تكون عليه من أناقة واتساق

أزياء الثورة الفرنسية

ويمكن أن نستنتج هذه النتائج من تتبع تاريخ الازياء بتصفح المجلات النسائية التى كانت تنشر « لوحات الازياء » منذ أواخر القرن الثامن عشر ثم أخذت تنشر « فوتغرافيات الازياء » منذ منتصف القرن التاسع عشر . فالثورة الفرنسية أوحت بأساليب خاصة فى ملابس النساء ، منها ارتفاع حزام الخصر عن موضعه الطبيعى ، ومنها اتساع اللباس وتهلهله ، حتى صارت الفوضى الماثلة فى ملابس النساء دليلا على ما يضطرم به العصر من روح الثورة على نظام المجتمع القائم حينذاك

ومع أن الثورة لم تنتقل من فرنسا الى انجلترا ، الا ان ازياءها عبرت البحر وغزت المجتمع الانجليزى . فكان الزى السائد فى سنتى ١٧٩٤ و١٧٩٥ يرفع حزام الخصر عن الخصر كثيرا . ولم تنقض سنتان حتى ارتفع الحزام كثيرا حتى بلغ موضع الابطين، وصار اللباس كله اشبه بكيس كبير ليس له شكل معين متسق . ذلك انه وان لم يقم الشعب بالثورة الا أن روح القلق والتمرد سرت اليه من فرنسا مدمجة معها ما يلائمها من الملابس والازياء . ولهذا تجد أن الدوائر الراضية المستقرة ، دوائر البلاط الملكى وما يتصل به من المجتمعات ، ظلت محتفظة بملابس وازياء دقيقة انيقة وسط أمواج من الملابس والازياء المهلهلة المضطربة . فكنت ترى فى أزياء سيدات البلاط الحزام الوثيق ، والقمط المشدود وما دونه من كتيب مهيل ، والكم الملتصق بالساعد والرسغ

أما خارج دائرة البلاط وما يتصل بها اتصالا مباشرا ، فان الأزياء الانجليزية فى العقد الاخير من القرن الثامن عشر تغيرت تغيرا كاملا . فبعد ان استقر النظام الجديد الذى أقامته الثورة الفرنسية ، صار الزى الشائع هو « نصف العرى » فارتفع حزام الخصر حتى صار حزاما للصدر يمر فوق النهدين . وهجرت النساء « الكورسيه » الذى كان يمسك الارداف من أن ترتج فى أثناء المسير . وحذفن اكثر الملابس الداخلية . وقصرن الجزء

الادنى من الثوب وضيقه كثيرا . وصارت جميع ملابس المرأة « الحديثة » تقل وزنا عن ثماني أوقيات .. وكذلك قصرت النساء من شعورهن ، بل منهن من حلقن رؤوسهن كما يفعل الرجال ، مثلما فعلن بعد ذلك بأكثر من قرن عقب الحرب الماضية

فلما انتهى عهد الثورة وعهد نابليون ، وعاد السلم واستقرت الدنيا ، عادت الازياء الى حالها الاولى ، عاد حزام الخصر الى مكانه الطبيعى ، واتسع الجزء الادنى من الثوب وطال وأرسلت الشعور والجدائل الطويلة مرة أخرى

وعند ما أشرف العقد الثانى من القرن التاسع عشر على نهايته ، أى حوالى سنة ١٨٢٠ وجدنا القبعات والاكمام تتسع فجأة اتساعا غريبا ملحوظا . وكذلك وجدنا حزام الخصر يتردد فى أن يستقر فى مكانه ، ويريد ان يرتفع عنه قليلا .. لماذا ؟ اننا نجد تعليل هذا فى التاريخ ، فقد كان ذلك العقد تمهيدا لحالة القلق التى ظهرت فى سنة ١٨٣٠ فى صورة زلزال سياسى صغير . ولكن لم يكد ينتهى الزلزال وتستقر الامور حتى عادت القبعات والاكمام الى حجمها الطبيعى وشكلها المألوف ، وكذلك ظهرت الصدرية الانيقة التى تليها « الجونلة » المنتفخة المتسعة

واستقر هذا الزى طوال عصر الملكة فيكتوريا حتى نهاية القرن الماضى ، فقد كان عصر استقرار فى النظام السياسى والاوضاع الاجتماعية ، الا فى حالة قصيرة واحدة ، ففى نهاية العقد الرابع من ذلك القرن بدت موجة ثورية جديدة فى الجو السياسى ، فظهرت آثارها فى تراخى حزام الخصر شيئا ما . فلما انحسرت هذه الموجة بانتهاء ثورة سنة ١٨٤٨ شدت النساء الحزام على خصورهن ثانية ، فبدا من فوقها صدر ناهد ومن تحتها أرداف مهيلة !

الحرب الكبرى الماضية

وحدث فى القرن العشرين حدث خطير فى أزياء النساء . وكان ذلك قبل وقوع زلزال ١٩١٤–١٩١٨ ، الذى سمى بحق « الحرب الاوربية الاهلية » ، ببضع سنوات . فقد رأينا قبعات النساء تكبر وتتسع الى حد كبير . ورأينا الاجزاء الدنيا من اثوابهن تضيق وتلتصق بالاجسام ، ورأينا حزام الخصر يأخذ فى الارتفاع عن مكانه . فلما انتهت تلك المعركة الدامية الكبرى انخفض هذا الحزام فجأة الى ادنى ، حتى جاوز الخصر الى مافوق الردفين مباشرة . وكذلك أخذت النساء يخففن من ثيابهن فيقصرن أطرافها ويقللن من عددها . أى أن كل الظواهر التى تميزت بها ملابس عهد الثورة الفرنسية تكررت مرة أخرى ، فاختفى « الكورسيه » وسرت موجة مجنونة من الرغبة فى العرى ، وقصت شعور النساء حتى سمين فى بعض القصص الفرنسى « بالغلاميات »

وفى أثناء فترة الفوضى التى بدأت منذ سنة ١٩٢٠ تكونت جراثيم النزاع الحاضر الذى نعانيه الآن . فكان المفروض أن تخرج الازياء عن صورها وأوضاعها المألوفة دلالة على



نماذج أخرى من ملابس النساء فى القرن الثامن عشر تبدو فيها الملابس كاسية تغطى جميع أجزاء الجسم فلا تكشف عن شيء من الصدر أو الظهر وكذلك أطراف اليدين والقدمين ، كما ترى القبعات السائدة حينذاك وهي قبعات صغيرة تغطى أكثر الرأس ويلتف حولها حزام من الحرير الأبيض

ما يضطرم فى النفوس من القلق والثورة . ولكن ، كما قلنا سابقا ، قد تحدث نكسة بسيطة قبل وقوع الانقلاب السياسى ، فتعود الازياء الى شيء من البساطة والاتزان ، دلالة على الاحساس بأن الخطر مقبل زاحف ، ودلالة على الرغبة الغريزية فى تجنبه وتفاديه . وهذا ما حدث فى تلك الفترة ، ففى سنة ١٩٣٠ وجدنا الزى بوجه عام ، وحزام الخصر بوجه خاص ، يعودان الى شكلهما ووضعهما الطبيعى ، علامة على الرغبة المطوية فى النفوس فى تجنب الحرب والاستمتاع بالسلم

ان هذه السلسلة من الاتفاقات التاريخية من الوضوح بحيث لا يمكن تجاهلها . فهى تعبر عن العلاقة الوثيقة بين الزى والنظام ، أو عن الصلة بين ازياء اللباس السائدة و يجيش فى الرؤوس من آراء وما تضطرب به الحياة من أحداث

ففى ضوء هذه النظرية نجد أنه مما يستحق مراقبته وملاحظته اتجاه ازياء النساء بعد هذه الحرب . فاذا عادت هذه الازياء فاتخذت اشكالا مقوسة ، غير مستقيمة ، دل ذلك على أن ثمة داعيا قويا يحملنا على أن نتوقع للدنيا عهدا طويلا من السلام والاستقرار . لان الاشكال المقوسة تنبيء عن رغبة فى التأنق والاستمتاع ، وعن اتجاه الى المسالمة والمصالحة ، على نقيض الاشكال المستقيمة الحادة فانها تنبيء عن اتجاه الى الحسم القاطع والفصل العنيف ، وعن روح باتة حازمة . ولهذا اذا وجدنا ازياء النساء بعد الحرب تأخذ بالخطوط والاشكال المستقيمة كان لنا أن نجد فى ذلك سببا واضحا كل الوضوح للقول بأن الحالة السائدة حالة قلق واضطراب ، وان العالم ما يزال مستهدفا لمتاعب وخطوب أخرى

(عن صحيفة ليليبوت)

المرأة والرجل ..
.. في كفتي الميزان

بقلم الأستاذ نقولا الحداد

المرأة والرجل في ميزان القوى الجسدية والعقلية متوازنان لا متفاضلان ، وانما النظام الاجتماعي جعل لكل وظيفة ، تقتضي القوة للواحد واللطف للاخرى . فاذا تركا للعوامل الطبيعية ظهر توازنهما في الميزان

لا أقصد في هذا البحث المرأة المصرية على الخصوص ولا المرأة الشرقية على العموم بل المرأة على الاطلاق شرقية أو غربية

ينكر على المرأة ولا سيما الشرقية حق المساواة بالرجل بناء على دعوى تفاوت وتفاضل بينهما في الامور التالية :

اولا : المرأة احط من الرجل عقلا بدليل ان دماغها أخف وزنا من دماغ الرجل

ثانيا : المرأة أضعف بدنا من الرجل لأن ناموس التطور جعلها اضعف عضلا وعقلا

ثالثا : ان طبيعتها الفسيولوجية قضت عليها ان تكون وظيفتها غير وظيفة الرجل، الحمل والحضانة وتربية الطفل

رابعا : ان طبيعة الاجتماع قضت عليها بأن تكون وظيفتها في البيت لا خارجه

وكلتا هاتين الوظيفتين كانتا في رأى منكري حقوقها من اسباب ضعفها العضلي والعقلي . وبسبب هذه الفروق بينها وبين الرجل أنكرت عليها الحقوق المدنية والاجتماعية التي للرجل ، وفيما يلي تفنيد لهذه الحجج :

١ — انحطاط المرأة العقلي

غفر الله للدكتور شبلي شميل المشهور فضله . لا أدري أين وجد بحثا في المقابلة بين الرجل والمرأة من الناحية الفسيولوجية وطنطن فيه بأن المرأة أضعف عقلا من الرجل بدليل ان دماغها اصغر من دماغه واخف وزنا . واذاع هذه النظرية في العالم العربي ، فجرت على السنة القوم كأنها الوحي المنزل . وصار كل رجل يتبجح بها ويشمخ على المرأة . ولم يعد في امكان عواصف القطب الشمالي اذا اكتسحت البلاد العربية ان تطهر جوها من « غاز » هذه الاذاعة الخانق حتى اليوم

وبالامس حدث بيني وبين صديق عزيز جدال بهذا الصدد فأكد لي انه قرأ صحة هذه النظرية في دائرة المعارف الفرنسية . فعدت أنا الى دائرة المعارف الانكليزية وهي

أحدث موسوعة عالية الآن . هى الطبعة الرابعة عشرة ، وقد كتبها من جديد نحو ٣٦٠٠ عالم انكليزى وأوربى وأميركى ، لا يزال معظمهم أحياء . فهى اذن الثقة العظمى فى مباحثها . وطالعت ما كتب فيها عن الدماغ فى نحو ١٩ صفحة ، فلم أجد تمييزا بين دماغى الرجل والمرأة الا فى مسألة الوزن . وفيما سواه فللدماغين شكل واحد وتركيب واحد لا فرق بينهما . على ان وزن الدماغ ـ انثى أو ذكر ـ يتبع وزن البدن وطول القامة والعمر أيضا ، ولا شأن له فى العقل والذكاء البتة . واليك محصل ما قرأته بهذا الصدد :

متوسط وزن الدماغ فى أوائل بلوغ الرجل ١٤٠٩ جرامات ومتوسطه فى أول بلوغ المرأة ١٢٦٣ جراما ، والفرق بينهما ١٤٦ جراما ، ولكن اذا ادخلنا فى الحساب وزن بدن الرجل ووزن بدن المرأة تعادل الدماغان ، لان المرأة على العموم أخف بدنا من الرجل

يبلغ وزن دماغ الرجل حد النضوج فى السنة العشرين من عمره ووزن دماغ المرأة قبل هذه السن . وبعد ان يستتم الدماغ نضجه يشرع ينقص بمعدل جرام واحد كل عام

طوال القامات أثقل دماغا من قصارها ، وانما هؤلاء اكبر جمجمة من أولئك ، على أن المراكز العقلية فى الدماغين سواء ، فالعقل لا يتوقف على وزن الدماغ ولا على حجمه بل على صحة المراكز العقلية ونشاطها وكيفية عملها . بدليل أن دماغ النابغة اناتول فرانس الكاتب الفرنسى المشهور الذى مات فى الحادية والثمانين من العمر كان يزن ١١٣٨ جراما ، فاذا أعدنا اليه ما فقده بسبب العمر وهو ٦١ جراما ، يكون وزنه فى ابان نموه ١١٩٩ جراما وهو أخف من دماغ المرأة المتوسط فى ابان نموه نحو ٩٤ جراما ، واخف من متوسط دماغ الرجل نحو ٢١٠ جرامات . ولكن ذكاء اناتول فرانس كان فوق المتوسط كثيرا ، اذن فوزن الدماغ لا يدل على مقدار الذكاء

والاحصاءات المتعددة فى المقابلة بين ذكاء الاناث والذكور فى الجامعات لا تدل على ان الدماغ الأثقل اذكى . وقد دلت الاحصاءات فى جامعة كولومبيا منذ اكثر من ٣٠ سنة على ان معدل تفوق الفتيات أعلى من معدل تفوق الفتيان . ويعتذرون عن تقصير الفتيان هذا بانهم يضيعون وقتهم فى اللهو والبطالة ، ولكن هـذا العذر لا يقلل من قيمة ذكاء الفتيات

ويقول أحد كبار اساتذة الطب فى قصر العينى ان اختباره يدل على ان الفتيات لسن أقل تفوقا من الفتيان . وان معدل علامات الدراسة والامتحانات تتعادل بين الجنسين . وفى بعض الاحوال تفوقت بعض الفتيات على الفتيان . وفى هذا العام ربح جوائز جلالة الملكة المعينة لمتفوقى الطلبة فى مصر العليا والسودان ثلاث فتيات فى مدرسة البنات فى الخرطوم بين ٨٠٠ طالب وطالبة

ذلك يدل على ان قوة العقل لا تتوقف على وزن الدماغ ولا على حجمه ولا على عدد ما فيه من الخليات النخاعية بل على قيام هذه الخليات فى المراكز العقلية بوظائفها . لان

العقل ليس نتيجة عدد الخليات ولا ثقلها بل هو نتيجة افعال هذه الخليات . والغريب انه كلما نقص وزن الدماغ بسبب التقدم فى السن كان العقل أقوى والفهم أسرع والمعرفة أوفر

فقوة العقل ترجع الى كيفية تركيب الادمغة ووظائفها الفسيولوجية . وبهذا الاعتبار يفوق عقل الانسان عقل أرقى الحيوانات اشباه الانسان كالغورلا والاوران والشمبانزى والبابون لان تركيب ادمغة هذه الحيوانات المشابهة للانسان يختلف عن تركيب ادمغة الانسان . ووظائف خليات الفريقين مختلفة . ولذلك كانت قوة الادراك فيهما مختلفة

وعلى هذا يكون شأن الادراك والذكاء متوقفا على كيفية الدماغ وشكله لا على كميته ووزنه ، فاذا قدمنا للمشرح الفسيولوجى الهستولوجى مخى رجل وامرأة فلا يمكنه ان يعرف ايهما مخ الرجل وايهما مخ المرأة اذ لا يجد أقل فرق بينهما . وحاصل القول ان المرأة والرجل متساويان فى ميزان الذكاء والفهم والادراك وان تفاوتا فى وزن الدماغ

٢ – لا شأن لناموس التطور الدروينى

والذين يتفون ان يشوا حياة المرأة على سنة التطور يقولون ان الحمل والحضانة اللذين من اختصاص المرأة مضعفان لها بحكم الطبيعة . وتربية الاطفال وتدبير المنزل قضيا عليها بالاحتباس فى البيت فزادها هذا الاحتباس ضعفا . وعلى تمادى الزمان صارت بحكم الطبيعة والاجتماع اضعف من الرجل جسما . وعدم اندماجها بالمجتمع كالرجل وقلة ثقافتها جعلاها أيضا على تمادى الزمن اضعف من الرجل عقلا . والذين يتشبثون بهذه الفكرة يريدون ان يطبقوا قضية المرأة على مذهب التطور الدروينى ، بمعنى أن هـذا الضعف توارثته المرأة بحكم قانون الوراثة الدروينى وبحكم عوامل البيئة . وهو تطبيق سخيف لان المرأة ليست من سلالة غير سلالة الرجل حتى تتحكم فيهما سـنة التطور تحكما مختلفا . كلا الذكر والانثى خاضعان لهذه السنة على السواء ، فما يغير فيها يغير فيه ، وما يضعف فيها يضعف فيه ، وما يقويه يقويها . كلاهما من سلالة واحدة ، وقد يكونان من صلب واحد وبطن واحد ويعيشان فى بيئة واحدة . وقد يكونان توأمين ، فلا يمكن ان يكون بينهما تفاوت فى القوى العقلية حتى ولا الجسدية

يولد الطفل ، ذكرا أو انثى ، سليما مستوفيا جميع النزعات الحيوية والعقلية حتى اذا تولته العوامل الاجتماعية طرأ عليه التغير بمقتضى هذه العوامل

يولد الذكر والانثى متساويين بالقوى العقلية والجسدية الى ان يفصل بينهما النظام الاجتماعى ، أى نظام التربية والتعليم والعمل . فمن جهة يوجـه الفتى الى الثقافات المختلفة لكى يستعين بها على تحصيل الرزق والى الرياضة البدنية استعدادا للاعمال العضلية الشاقة واهمها الجندية . ومن جهة أخرى توجه الفتاة الى الثقافة البسيطة – أو

لا توجه بتاتا الى ثقافة ـ والى الاعمال المنزلية التى لا يتقوى بها العضل ولذلك تظهر بإزاء الفتى ضعيفة

ولكن اعكس هذا التدبير ان شئت، وجه الفتاة الى الثقافات العليا والوسطى والى الاعمال العضلية الشاقة فتحصل منها على عقل نابغ وعلى بدن قوى كالفتى . يمكنك حينئذ ان تجعل منها مصارعة ومقاتلة ورافعة اثقال وقاهرة ابطال وفارسة الخ . ووجه الفتى الى الثقافة البسيطة والى الاعمال التى لا شأن فيها للعضل ، تجده أضعف من المرأة عقلا وجسدا . تجد الآن بين الرجال كثيرين من المتخنثين ، وبين النساء كثيرات من المسترجلات . وترى منهن فى الحقول من يمارسن الاعمال الزراعية التى يقوم بها الرجال ، فاذا مارست المرأة الاعمال العضلية العنيفة استطاعتها كالرجل

اما من حيث القدرة العقلية فقد وجدت فى التاريخ وتوجد الآن سيدات نابغات من ملكات ووزيرات وسفيرات ونائبات وعالمات وفيلسوفات وشاعرات وممثلات ، يفقن الرجال فى كل ضرب من ضروب الفنون والاعمال

لا أريد أن أشير بأن تخرج المرأة من البيت وتترك وظيفتها فيه لكى تعمل أعمال الرجال . ولكنى أريد أن أقول ان المرأة اذا اضطرت أو رغبت ان تعمل عملا من اعمال الرجال كان ذلك فى استطاعتها ، لان استعدادها الحيوى العضلى والعقلى كاستعداد الرجل تماما ، وانما وظيفتها الاجتماعية غير وظيفته ، فعليها أن تلازمها ما استطاعت لكى يقوم العمران على القواعد الاجتماعية

***

ويقول بعضهم : اذا كان الرجل والمرأة متساويين منذ القدم فى القوى الجسدية والعقلية فلماذا تركت المرأة الرجل يستقوى ويستفحل وهى تضعف وتستكين الى ان صارت الآن أضعف منه جسدا وعقلا وصارت تخضع له كأمة لسيدها

والجواب ان المرأة كانت منذ القديم ولا تزال حتى اليوم فى بيئة الجهل تحمل من أثقال الزوجية ما لا يحمله الرجل وما ينوء به ، فنسح له هذا العبء الذى عليها سبيل الاستقواء . فهى مثقلة بالحمل ومقيدة بالحضانة وتربية الاطفال وتدبير المنزل . فلا قبل لها وهى فى هذه القيود على مقاومة الرجل اذا استحكم واستبد . ولم يكن عند الرجل من روح العدالة والانصاف والشفقة ما يردعه عن الاستبداد بالمرأة كلما سنحت له الفرصة ان يستبد . ولذلك استطاع ان يتحكم فيها ويحرمها حقوقها فى الحياة الاجتماعية وعلى الخصوص فى التعليم والتثقيف والجنى . فى زمن الجهل وفى بيئته يحبس الرجل المرأة فى المنزل ويحرمها العلم والاكتساب حتى متى شبت كانت مستكينة ومقتنعة بأن حظها من الدنيا ان تكون أمة له يستعملها كما يريد وله الحق فى ذلك وليس لها ان تعصاه . فعلى هذه المثلة ازداد الرجل عتوا ، وازدادت المرأة استكانة وخضوعا ورضى . ولكن لما أتيح لها ان تتثقف وتفهم الواجب والحق شرعت حالها تتغير وشرعت تعلم مركزها

فى المجتمع ، وتفهم انها ليست أمة للرجل بل هى شريكة له فى الحياة ، وكلاهما متعاونان وان هذه الشركة تخولها حقوقا كان الرجل ينكرها عليها . واذا كانت الطبيعة والنظام الاجتماعى قد عينا لها وظيفة فى المجتمع تختلف عن وظيفة الرجل فليست بحكم وظيفتها دون الرجل مركزا وقيمة وحقوقا

* * *

يقولون ان المرأة مخلوقة لكى تكون انسانة جيلة لطيفة حنونا عطوفا فقط والرجل مخلوق لكى يكون نشيطا شديدا لان طبيعتهما الفسيولوجية تختلف . فما هو الجمال ؟ اذا لزمنا الجمال الطبيعى فكلاهما جيل كل فى نظر الآخر . واذا عدنا الى التبرج ففى وسع الرجل ان يتبرج حتى يضارع المرأة ويفوق عليها ،كما أن فى وسع المرأة ان تنشط وتقوى على الرجل ، فليس الجمال ولا اللطف ولا النشاط والاستقواء من اختصاص احدهما دون الآخر

لا ابتغى ان تسترجل المرأة ولا أن يتخنث الرجل وانما قصدت ان اثبت انهما فى ميزان القوى الجسدية والعقلية متوازنان لا متفاضلان ، وانما النظام الاجتماعى جعل لكل وظيفة تقتضى القوة للواحد واللطف للاخرى ، ولكن اذا تركنا للعوامل الطبيعية ظهر توازنهما فى الميزان ، فبمقتضى العوامل الطبيعية اللبوءة والاسد متعادلان

وقد كانت المرأة فى زمن من الازمنة القديمة اقوى من الرجل ، ولا تزال حتى اليوم فى بعض القبائل الهمجية الافريقية والهندية والتبتية أقوى منه . وكانت فى تلك الازمنة سيدة الرجل وسيدة الأسرة وزعيمة القبيلة . وكانت الأسرة تنسب اليها ، وكانت تتزوج عدة أزواج فى وقت واحد اذا شاءت . والآن يسمى ذلك العصر عصر الامومة أو نظام الامومة

ليست المرأة ضعيفة ولم تولد ضعيفة . ولكن النظام الاجتماعى جعلها ضعيفة . فاذا حلت قيود هذا النظام وجدناها قوية . وها نحن نراها تقوى فى اميركا وأوربا لما اضطرها النظام الرأسمالى ان تسعى الى رزقها ، فحلت هى نفسها قيود الاجتماع وسرحت فى رحبة العمل تعمل لكى تعيش ، ولا تستطيع قوة أرضية أو سماوية ان تمنعها عن العمل فهو حق لها

ويقول المعارضون ان نزول النساء الى ميدان العمل انما هو مزاحمة للرجال ، وهذه المزاحمة من أهم أسباب البطالة التى منى بها هذا العصر . هذا صحيح ، ولكن هل من الحق ان تعالج البطالة بمنع النساء من الاسترزاق اذا كان جنى الرجال من العمل لا يكفى الفريقين معا

٣ — اختصاص كل منهما بوظيفة

نأتى الآن الى وظيفة كل من الرجل والمرأة فى المجتمع وهى ما يحجنا خصومها به

ويحسبونها أقوى الحجج ضدها فى حين انها أوهاها واسخفها

يقولون ان المرأة مخلوقة للمنزل ولحضانة الطفل وتربيته . هذه هي وظيفتها الطبيعية التى خلقها الله لها منذ البدء ، فاذا تجاوزتها خرجت من المنطقة التى وضعها الله فيها ، وكانت متمردة على سنته وأنظمته

نعم ان الحضانة من اختصاص المرأة بحكم الطبيعة الفسيولوجية ، وادارة المنزل وظيفة لها بحكم النظام الاجتماعى الذى قضت به الحضارة والمدنية الحالية لا بحكم القضاء الالهى ولا القضاء الطبيعى ، لانه اذا اقتضت الاحوال والظروف ان تخرج المرأة على هذا النظام أى ان تعمل عمل الرجال لكى تعيش فليس فى طبيعتها الفسيولوجية ما يمنعها من ذلك أو يعجزها عنه ، لان لها من العقل والفضل ما للرجل ففى وسعها ان تشتغل فلاحة وعمارة ونجارة وحدادة ومهندسة وطبيبة وصيدلية ومحامية وتاجرة وممثلة الشعب فى البرلمان ووزيرة وحاكمة الى جميع ضروب الاعمال . يمكنها ذلك متى كانت خالية من واجبات الحضانة ونحوها لان لها كل الاستعداد لهذه المذكورات . واذا كانت عانسا أو ارملة أو عزباء ولا بعل لها فهى مضطرة ان تتقلد اية وظيفة من هذه الوظائف لكيلا تبتئس أو تشذ عن دائرة الصون

فاذن هي والرجل بصدد المقدرة فى الوظائف الاجتماعية متعادلان فى الميزان

نتقدم الآن الى اهمية وظيفة المرأة الخاصة بها والتى لا يمكن ان تكون للرجل بتاتا . هى تمتاز على الرجل بشيء وهو لا يمتاز عليها بشيء . وظيفة الرجل السعى الى الرزق وهى تستطيع ان تسعى مثله . وهو لا يستطيع ان يحتضن الطفل ، فهما من هذا القبيل غير متوازنين فى ميزان الوظائف . بل هي ارجح منه لانها تستطيع ما لا يستطيعه وهو لا يستطيع شيئا هي لا تستطيعه

٤ — قيمة وظيفة المرأة

فهمنا ان الطبيعة والنظام الاجتماعى عينا وظيفة لكل من الرجل والمرأة . فعلينا ان نبحث فى قيمة كل من الوظيفتين لنعلم أيهما أهم للمجتمع وأغلى . وظيفة الرجل محصورة فى الارتزاق أى فى تحصيل الرزق ، وهى عملية بسيطة ليست من الخطورة بمكان عظيم . كل حى يستطيع ان يسترزق بسهولة ، واذا كانت ثمة صعوبة فى تحصيل الرزق فالسبب فى ان هذا النظام الاجتماعى الاقتصادى الحالى ردىء جدا . فوظيفة الاسترزاق ليست عسيرة على المرأة ، واليوم فى الغرب ، وحتى فى الشرق ، نسوة اثرين . ولكن وظيفة المرأة لا يستطيعها الرجل . فحمل المرأة لجنينها فى بطنها تسعة اشهر ثم حضانته فى حضنها وعلى صدرها بضعة عشر شهرا ، ثم العكوف عليه فى ضعفه ومرضه بحنو ليس مثله عند الرجل ، ثم الصبر على تربيته وتعليمه الى ان يشب — لهو أعظم عمل يقوم به الفرد الانسانى — الام — للمجتمع

الدنيا أم ، والأم تصنع الامة . ومصنع الامة هو حضن الام لا كتف الرجل ، فكفة المرأة اذن في ميزان قيمة الوظيفة هي الراجحة

٥ – الأمم تعمل الأمة

وعندي شاهد عظيم الشأن على هذه النتيجة . في عيد ذكرى جورج وشنطون محرر الولايات المتحدة الاميركية من ربقة الاستعمار البريطاني تكتب الجرائد الاميركية عادة شيئا عن وشنطون أو الاستقلال أو حقوق الانسان . وفي عيد من الاعياد كتب الصحفي الاميركي المشهور برزبان مقالا في نيويورك جورنال عنوانه « من عمل جورج وشنطون » وكان فحوى المقال ان أم جورج وشنطون عملت جورج وشنطون

وكان جورج يتيما وأمه ربته وأبوه ترك له عزبة يستغلها هو وأمه . ودخل جورج في سلك الجندية وترقى الى رتبة كبيرة في الجيش . وفي سنة ١٧٨٧ شبت الثورة ضد الاستعمار الانكليزي لأن الشعب وان كان معظمه انكليزيا في الأصل لم يطق الاستبداد والظلم . وانبرى جورج وشنطون لقيادة الثورة

وطالت الحرب ولم يأخذ الانكليز من الثوار لا حقا ولا باطلا ، فارسلوا وفدا الى جورج يقول له : لك مليون جنيه ورئاسة وزارة انكلترا كل حياتك اذا كنت تسلم وتتفق على تسوية مرضية للامة الاميركية

فكان جواب جورج وشنطون الخالد : ان تاج ملككم وثروة الامبراطورية البريطانية لا يكفيان ثمنا لاستقلال بلادي .. حاربوا تفنونا أو نفنيكم

فلما رأى الانكليز أن الاستمرار في الحرب عبث انسحبوا وتولى كبار البلاد تنظيم الحكومة الجديدة . واما وشنطون فعاد الى عزبته يشتغل في زراعته . وفي ذات يوم وفد اليه وفد يقول له هلم الى دار الحكومة فان الامة انتخبتك بالاجماع رئيسا لجمهوريتها ، فأجاب ان هذه الامة مغفلة . تريد أن تضيع الاستقلال الذي اشتريناه بدماء شبيبتها . أنا لا اصلح لرئاسة الجمهورية . ان كنت قد صلحت لزعامة الثورة فلأني كنت سيف الحق في يد الله ، وكنت اضرب الانكليز بسواعد الشبيبة . الثورة هدم والحكم بناء والهدم اسهل من البناء . عندكم فلان وفلان وفلان من اساطين السياسة والعلم فانتخبوا أحدهم

قالوا : لقد تم الانتخاب ولا يعاد

قال : خذوا من كان له بعدي أكثر الاصوات

قالوا : لا صوت لاحد بعدك

قال : لا اذهب معكم

قالوا : لا تستطيع ان تعصى أمر الامة

قال : واذا عصيت

قالوا : تأتي قوة من الشرطة تأخذك عنوة

قال : اذن اسمحوا لى ان استشير أمى أولا

قالوا : وهل كنت تستشيرها حين كنت تقود الثورة

قال : نعم ونعم ونعم . جورج وشنطون لا يعمل عملا الا بمشورة أمه

قالوا : اذن لقد توفقت الامة الاميركية الى أفضل رئيس لجمهوريتها . رجل يسعى الى رضى أمه قبل ان يعمل عمله لهو خير قدوة لقومه . هلم بنا اليها

ولما اطلعت أمه على الخبر قالت : لماذا تعصى يا بنى أمر أمتك

قال : لست أهلا للحكم يا اماه لان معارفى بسيطة والحكم يحتاج الى علم عال ودراية فى الادارة والسياسة والاقتصاد والقضاء ، وأنا قليل العلم بهذه

قالت : الحكم يا ولدى لا يحتاج الى علم وفلسفة . فى رجال الدولة كثيرون يعرفون هذه المعرفة . الحكم يحتاج الى اخلاق ، فهل لا تزال لك الاخلاق التى ربيتها فيك وغرستها فى نفسك ؟

فتقدم جورج الى أمه وقبل يديها فقبلته وقالت : سر اذن على بركات الله والله يعينك

وتولى جورج وشنطون رياسة الجمهورية مرتين ولو شاءها مدى العمر لنالها ، ولكنه لم يشأ ان يجعل تكرار الرئاسة لواحد سابقة لئلا تتحول الى دكتاتورية

فترى مما تقدم ان أم جورج وشنطون عملت جورج وعملت الامة الاميركية ، فالام تصنع الامة . قال حافظ :

الأم مدرسة اذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

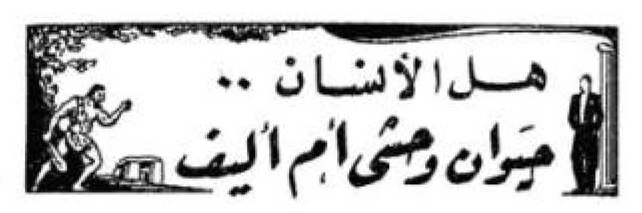
وقال قاسم أمين : يكون الرجل فى كبره كما هيأته أمه فى صغره

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « الجنة تحت أقدام الأمهات » . وما الجنة الا البنون والبنات ، فربوا أمهات لكى يعملن أمة من جنات

نقولا الحداد

شوبنهور والمرأة

- يسألوننى عن الأفعى اللينة الملمس ومن أمامهم فى كل وقت بل فى كل لحظة .. تلك هى المرأة
- لتكن المرأة ملاكا طاهرا أو شيطانا رجيما، فما لنا ولها أجارنا الله من شرها وأذاها
- الحب وردة والمرأة شوكتها
- ان المرأة الجديرة بالتقدير والاحترام لم تخلق بعد
- اتركوا للمرأة حريتها ولاتجعلوا عليها رقيبا،ثم قابلونى بعد عام واخبرونى بالنتيجة



بقلم سير ارثر كيث العالم الانجليزى

ما بالنا نرى أبطال الحضارة وحملة أعلامها ، من سكان اليابان في الشرق الاقصى ، الى سكان أوربا في الغرب الادنى ، الى احفادهم الامريكيين في الغرب الاقصى ، أشد المحاربين وحشية، وأقربهم الى أشد السلالات البرية من الحيوانات والوحوش المفترسة؟

الحيوان الوحشى يعيش حرا ، طليقا من كل قيد ، عدا ما تفرضه عليه غرائزه ، أو ما تمليه عليه العقلية الفطرية التى ولد بها . اما الحيوان الداجن فقد تنازل عن حرياته ليفى الانسان ، فأصبح خاضعا لارادته ، بدلا من أن يكون عبدا للطبيعة خاضعا لغرائزها . وفى اعتقادى ان الانسان ليس من الحيوانات الاليفة ، ولا من الحيوانات الداجنة ، وانما هو برى أسوة بكل حيوان آخر ، يقال انه حر ، طليق ، برى ، طالما عاش خاضعا لسنة التطور عبدا لها . وليس ثمة من شك بأن الحضارة تحاول الضغط على الغرائز الفطرية فى الانسان ــ تلك الغرائز التى كان لها فيه منذ القدم ، ولا تزال ، النصيب الاوفر فى عملية التطور والارتقاء ــ وتسعى الى الحد من سيطرتها عليه . فهناك قوانين لآداب السلوك ، يفرض عليه مراعاتها ، وهناك الحيوان الكامن فيه يحتم عليه اخفاءه فى المناسبات الاجتماعية . وبالجملة قد اضطر بحكم كونه انسانا متمدينا ان يكبت كل ميل ، أو دافع ، أو وجدان أو غريزة ، أو عاطفة ، تتصادم ومبادىء المجتمع الحديث ، وقوانين الحضارة وما تتطلبه من آداب السلوك

ولكن اذا كانت الحضارة الحديثة من شأنها ان تنتزع من الحيوان الانسانى ــ أو الانسان الحيوانى ــ الخداع والمكر والغش والغدر والخيانة والقسوة والهمجية والوحشية وغيرها من الدوافع والنزعات الفطرية الاصلية البرية التى اتصفت بها طبيعته منذ القدم ، فما بالنا نرى أبطال الحضارة وحملة أعلامها ، من سكان اليابان فى الشرق الاقصى ، الى سكان أوربا فى الغرب الادنى ، الى أحفادهم الاميركيين فى الغرب الاقصى ، ما بالنا نرى هؤلاء جميعا ، أشد المحاربين وحشية ، واكثرهم غلظة وهمجية وقسوة ، واقربهم الى أشد السلالات البرية من الحيوانات والوحوش المفترسة ؟ أليس الجواب ان الحروب تجرد

الانسان من هذه الغلالة الشفافة التى ألبسته اياها الحضارة ، فتبدو تحتها طبيعته الاصلية العارية ؟ فهل من الحق أن نزعم أن هذه الشعوب قد صقلتها المدنية ، فأصبحت أليفة أو داجنة ؟

وهل جاز لنا القول أن طبيعة الانسان فى حاجة ملحة الى اعادة بنائها من جديد ، وبذلك يمسى صاحبها حيوانا داجنا بالمعنى الصحيح ؟ لنرجع قليلا الى الوراء لندرس الطرق والحيل والوسائل التى لجأ اليها الانسان فى تأليف الحيوان ، وصقل عقليته تدريجيا الى أن أصبح داجنا . اننا اذا أمعنا النظر فى الحيوانات التى نجح الانسان فى جعلها أليفة داجنة ، كالماشية والخيل والغنم والماعز والكلاب ، لتبين لنا ان جميعها كانت فى حالتها البرية تشترك فى صفة أو ظاهرة واحدة ، وهى ان كل نوع منها كان عضوا فى جماعة أو قطيع ، أى أن هذه الحيوانات كانت اجتماعية بالطبع . والحيوان الاجتماعى كالانسان الاجتماعى له عقلية مزدوجة . ومعنى ذلك انه من الجهة الواحدة يتصف بالرحمة ، واللطف ، والدعة ، والنعومة ، وحب الاجتماع — ولكن هذه الصفات مقصور ظهورها على أهل عشيرته . وانه من الجهة الاخرى يتصف بالقسوة والغلظة والعنف والخشونة والعداء للمجتمع — وهذه الصفات يلجأ اليها عند تعرضه للغرباء والاجانب عن أهل بيته وعشيرته

▭

وقد كانت مهمة الانسان مدى العصور والأجيال أن يتخير من السلالات الحيوانية ، تلك التى تتغلب فيها صفات اللطف وحب الاجتماع ، على صفات الخشونة والعداء للمجتمع . وقد كان يحتفظ بكل حيوان يقبل ان يتنازل عن نصيبه من الحرية ، وشدة شغفه بها ، ويشجعه على التناسل مع مثيله والاكثار من ذريته . وكان يرفض كل نوع من الحيوان الذى يأبى أن يحبس فى حظيرة أو يشد الى وتد فى مربضه . وبهذه المثابة استطاع الانسان على ممر الاجيال ، أن يقوى فى الحيوانات التى نجح فى تأليفها ، الصفات الاجتماعية ، وأن يضعف فيها الصفات البرية ، العدائية ، المفترسة ، الوحشية . ولكنه بالرغم من هذا الزمن الطويل لم يستطع أن يستأصل هذه الصفات استئصالا تاما ، ولذا تراه فى كثير من الاحوال يعمد الى عملية جراحية ، يحول بها ذكور الخيول والجاموس والقطاط الى حيوانات داجنة أليفة

وقد نجح الانسان فيما يتعلق بأسرة الكلاب أن يقضى على الكثير من صفاتها البرية ، كالشراسة والخبث والريبة — أو أن يخفف من حدتها على الاصح — واستطاع ان يعزز فيها الصفات المرغوب فيها كالحب والوداد والذكاء . وقد حرص الانسان على تربية فصائل من الكلاب التى احتفظت ببعض خاصياتها الاصلية ، أى التى تغلبت فيها بعض الصفات البرية على الداجنة الأليفة ، مثال ذلك كلاب الصيد ، وكلاب الرعاة ، والكلاب البوليسية والحربية وأمثالها

ومما لا يفتقر الى اثبات ، ان طريقة الانتخاب الطبيعي هذه ، التي تستعمل في تذليل الحيوانات وترويضها وتأليفها ، يمكن اتباعها في « ترويض » الانسان ، وبذلك يقضي على خاصياته البرية الوحشية — أو على الأقل يخفف من حدتها — ويصبح لدينا سلالات جديدة للانسان وفصائل تتغلب فيها الصفات الداجنة الاليفة على الصفات الهمجية الحيوانية ولنفكر مليا في أهم هذه الصفات البدائية ، الفطرية ، الحيوانية ، البرية في الانسان . ما هي ؟ ان أهم هذه الصفات وأظهرها هي تلك الغريزة التي تبدو جلية في طبيعته حال ولادته ، وعند أول عهده بهذه الدنيا ، الا وهي الرغبة في الحرية الفردية . وليست هذه الفكرة بدعة من ابتكارات القرن العشرين ، فقد أبدى رأيه فيها سنة ١٨٧١ العالم الانجليزي فرنسيس جالتون — ابن عم دارون — في قوله ان الانسان يكون اسعد حالا ، اذا ما أقصيت من طبيعته غريزة الاجتماع ، التي يعبر عنها في الأصل الانجليزي بغريزة القطعان (للغنم والماشية) ، ولم يدر بخلد ذلك العالم الشهير أن هذه الخاصية في الانسان ما هي الا صورة مكبرة من تلك الغرائز والميول والنزعات الاجتماعية التي تربط الناس برباط التعاون ، فتكون منهم طوائف وجماعات واندية ومؤسسات . فاذا ما أقصينا هذه الخاصية من الجماعات لم يتبق لنا فيها سوى خليط غير متجانس من أفراد ، تنافرت أغراضهم ، وأصبح من طبيعتهم اضمار العداء للجماعة بدلا من حبهم لها

□

ولكن هبنا توصلنا الى ترويض الانسان بالقضاء على حريته ، أسوة بالحيوانات الأليفة فماذا تكون فلسفته في الحياة ونظرته العامة اليها ؟ يكون كالثور في حظيرته ، لا هم له في الحياة سوى أن يعيش ، طالما كان سيده يتولى رعايته ودفع الاذى عنه . ولكن امرءا لا غاية له في الحياة ولا هدفا ، ميت أو في حكم الاموات . ويستخلص من ذلك ان الانسان لا يمكن ان يستحيل حيوانا داجنا ، واذا ما تيسر لنا جعله كذلك ، جردناه من انسانيته

على ان بين الأجناس البشرية ، درجات من صفات الخضوع والاذعان ، وسهولة الطبع ولين العريكة . وهذا يجرنا الى الكلام عن الاسترقاق أو النخاسة . الرقيق كالثور ، يباع ويشترى ويؤجر ، أو هو في الواقع متاع منقول . وقد كان افلاطون يعد العبد آلة حية ، أو اداة ذات روح ، فالعبد اذن قد تنازل عن حريته لسيده . ولكنى لم أعثر في جميع ابحاثي ودراساتي على ما يدل على ان أحدا من هؤلاء الاسياد ، حاول ان يربي أو ينتج فصائل من العبيد ، تتناسل فيولد لها على مدى السنين ذريات تتوافر فيها صفات الرقيق ، ولعل أولئك الاسياد قد تعلموا بالاختبار ان شراء العبد ارخص ثمنا « واسهل » من تربيته

واذا اعتبرنا ابتكار الزراعة وممارستها بدء الحضارة ، وأول عهد الانسان بالمدنية ، جاز لنا القول بأن الحضارة والاسترقاق توأمان ، أي انهما جاءا في وقت واحد . أليس أساس المدنية الكد والعناء والكدح وعرق الجبين ؟ أو ليس في الوقت الذي علم الانسان

فيه ان يعرق جبينه ليأكل خبزه ، ولد الرق ، وخلق العمل ؟ كان الانسان قبل بزوغ فجر المدنية يقتل عدوه فى ساحة الوغى ، ولكنه بعد ذلك آثر الابقاء على فريسته ، فأخذه أسيرا وسخره فى عزق الارض وحرثها ، وحمل الاثقال ، والقيام بشتى الاعمال . وكلما أصبحت الحضارة فى متناول التاريخ ، كان الاسترقاق فى المدن والممالك والامبراطوريات أمرا لا مفر منه . وعلى هذا المنوال دارت رحى التاريخ حتى سقوط الامبراطورية الرومانية ، وظلت النخاسة معمولا بها فى صورة مصغرة حتى سنة ١٨٦٣ ، وهى السنة التى حررت فيها ولايات أميركا المتحدة عبيدها ، وهى آخر دولة عظمى ألغت نظام الاسترقاق

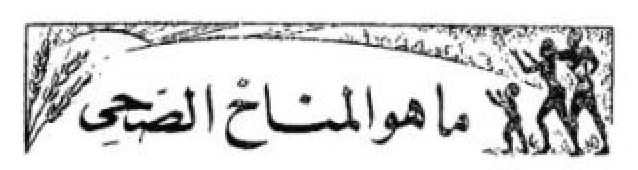
▭

وهنا دعنا نتساءل ، هل هناك رجال ونساء ، عبيد بطبيعتهم ؟ أجاب ارسطو عن هذا السؤال بالايجاب . وزعم هربرت سبنسر ان الطبيعة الانسانية مرنة ، وقال دين سوفت ان اشد الطبائع الانسانية وحشية يمكن ترويضها الى حد محدود ، ومن رأى زنغون ان الانسان أقل الحيوانات قابلية للترويض ، والحقيقة ان بين جميع السلالات والاجناس البشرية فروقا فردية عظيمة فى طبائعهم . فمن الافراد من تشتد فيه الرغبة فى الحرية اشتدادا يؤثر فيه الموت على التفريط فى قيد انملة من حقه فيها . ومنهم من يسهل عليه بيع حريته رخيصة ، فى مقابل عيشة سهلة هادئة هنيئة

وهناك شعوب وسلالات بشرية تغلب على الاكثرية فيهم صفات الحرية الانفة والنزوع للاستقلال ، كما أن هناك شعوبا وسلالات ، تغلب على السواد الاعظم منهم صفات الخضوع والاستسلام . وقد شاهد كولومبوس عند نزوله فى جزائر الانتيل بين أهليها نوعين من السلالات ، يختلف الواحد منها فى طبائعه اختلافا كليا عن الآخر . فنوع منها ــ يسمى الاراك ــ يتصف بالجبن وحب السلام والالفة والخضوع ، والآخر ــ ويسمى الكريب ــ ميال للقتال ، محب للخصام ، عنيف ، مسرف فى استقلاله وحريته . ومن قبيل التفاوت فى هذه الصفات ما نراه فى هنود أميركا الحمر ، الذين أبوا أن يكونوا أرقاء ، وقاتلوا وهدرت دماؤهم فى سبيل حريتهم ، ورفضوا العمل تحت لواء الغزاة من السلالات الاوربية البيضاء ، وآثروا الموت فى سبيل الحرية على الحياة بدونها

أما زنوج افريقا فقد برهنوا على لين عريكتهم ، وسهولة انقيادهم ، وعدم تشبثهم بتلك الخاصية الاصلية فى الانسان ــ وهى الحرية ــ ولذا استطاع البيض ان يشحنوا منهم دفعة واحدة تسعة ملايين من الانفس الى العالم الجديد ، فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . ومن أشد الشعوب المعروفة استسلاما ، زنوج افريقا الغربية الجنوبية ، وهم قبائل الدماراس ، التى كان يصفها العالم الانجليزى فرنسيس جالتون بقوله ان الاسترقاق بين أهلها لون من ألوان الغرام ، اذ ان العبد منهم يتبع سيده الابيض كما يتبع الكلب صاحبه

(ملخصة عن مجلة الدليل الادبى الانجليزية)



ربما لم يكن من مجرد المصادفة ان نهضة اليونان وروما قد تبعت اختراع وسائل التدفئة ، وأن سقوط الامبراطورية الرومانية قد تلا العدول عن تلك الوسائل

ان المناخ الامثل هو المناخ الذى لا يجعل الانسان يرتعش أو يعرق اذا قعد يستريح وقد يكون الانسان أسمى ما فى عالم الحيوان ، وخلاصة التطور والارتقاء ، وأذكى المخلوقات وأقدرها على مسايرة الظروف ، ولكن سيطرته على درجة حرارة جسمه ضئيلة بالنسبة لكثير من الحيوانات التى جهزتها الطبيعة بوسائل شتى لتحمل البرد والقيظ. وقد يصاب الانسان بضربة الشمس اذا كانت درجة الحرارة ٨٠ ف والجو رطب ، بينما يتحمل درجة ١٠٠ ف اذا كان الجو جافا دون أذى يصيبه . على ان الجو الشديد الجفاف يحدث تهيجا فى الاعصاب ويؤدى الى الارق . وكثير من الاجواء تخلق على العكس خمولا وانحطاطا فى القوى . وبصرف النظر عن المكان الذى يوجد به الانسان فى أرجاء العالم ــ ما عدا منطقة خط الاستواء ــ فان الجو الامثل الذى يساعد على النوم الطبيعى ، هو الذى تكون درجة الحرارة فيه بين ٧٥ و٨٠ ف ، مع الظلام الشامل عند النوم . فاذا كانت درجة الحرارة فى الغرفة أقل من ذلك ، فانه يسعى فى رفعها بوسائل التدفئة أو بالغطاء ، أو على الأقل بالانكفاء على نفسه . واذا بقى الرأس فى جو أكثر برودة فان الجسم يحتاج الى مزيد من التدفئة لتعويض ذلك . أما عند الراحة فيحتاج الانسان الى جو تكون درجة حرارته أيضا بين ٧٥ و٨٠ ف مع تحرك الهواء تحركا خفيفا

وقد يسأل سائل : ما هى درجة الحرارة والرطوبة التى يشعر الانسان عندها بالخمول والميل الى النوم ؟ ان خبرتى الشخصية التى كسبتها من الاقامة عدة شهور فى الهند وأفريقيا وجزر الهند الشرقية ، قد دلتنى على انه كلما زادت درجة الحرارة على ٨٠ فى المائة فان الانسان يتملكه شعور الخمول والانحطاط ، غير ان هذا الشعور يقل كثيرا اذا سرى فى الجو نسيم بسرعة ٢٠ ميلا أو اكثر فى الساعة . وعلى العكس من ذلك يشعر الانسان بالبرد اذا تعرض أى جزء فى جسمه لدرجة حرارة تقل عن ٥٠ ف ، الا اذا كان الجسم فى حالة حركة . فاذا انخفضت درجة الحرارة عن ذلك الحد تملكت الانسان القشعريرة . وعلى العموم كل درجة حرارة فوق ٨٠ ف أو تحت درجة ٥٠ ف تضايق

الجسم المعرض لها ، فاذا اضطر الانسان الى تحملها مدة طويلة أثرت فى نشاطه وفى صحته . ولعل العمال فى نواحى العالم — سواء أكانوا فى مصر أم فى اسكتلنده — يبذلون أقصى جهدهم فى العمل ، اذا كانوا يشتغلون فى العراء مع تفاوت درجة الحرارة يوميا بين ٦٠ و٧٦ ف ، مع وجود رطوبة معتدلة ، ونسيم رقيق ، وشمس مشرقة . ففى مثل هذه الظروف تجد الجسم البشرى أصح ما يكون ، والمرض أقل ما يمكن ، والنشاط أكثر ما يبعث . ولا ريب أن الشعوب التى تتاح لها هذه المزايا ، مع توافر الشروط الصحية فى السكنى ، مقدر لها ان تفوق غيرها

قبل سنة ٦٠٠ قبل الميلاد ، لم تتقدم المدنية الا فى المناطق الخصبة التى تتراوح درجة الحرارة فيها حول درجة ٧٠ ف ، وهكذا ظهرت المدنية وترعرعت لدى الفينقيين والمصريين والاشوريين وفى بابل وفارس والهند . وتجد خط تلك الدرجة يمر فى جزء كبير منه وسط مناطق صحراوية مجدبة . ففى الجهات التى تشتد فيها الرطوبة ، مثل بورما والهند الصينية ، يلاحظ انه لم ينشأ الا قدر محدود من المدنية . ولم تكن الجزيرة ووادى النيل مهدا للمدنية الا لان جوهما ساعد على النشاط أكثر من الاجواء الرطبة فى نواح أخرى . غير ان كونهما لا يستمتعان بجو أمثل طوال العام ، قد دل منذ البداية على بطء تقدم المدنية فيهما . ولقد ظلت مصر والعراق وايران آلاف السنين وهى تقود العالم فى سبيل المدنية ، وتخرج به من الهمجية الى الحضارة . ويلاحظ أن المناطق الاقل سكانا مثل كريت وقبرص ومالطة والتى ازدهرت فيها المدنية القديمة ، تقع أيضا قرب ذلك الخط

ولقد أتاح تقدم المدفأة والمدخنة للسراة من القدماء ، جوا منزليا تمكن السيطرة عليه طوال شهور السنة ما عدا أشدها حرارة . وربما لم يكن من مجرد المصادفة ان نهضة اليونان وروما قد تبعت اختراع وسائل التدفئة ، وان سقوط الامبراطورية الرومانية قد تلا العدول عن تلك الوسائل . وقد ظلت أوربا — ما عدا الجزء الجنوبى منها الواقع على شاطىء البحر الابيض المتوسط والاستانة — من سنة ٥٠٠ قبل الميلاد الى سنة ١٣٠٠ ميلادية وهى تعانى تأخر القرون المظلمة . وكانت صناعة ضرب الطوب غير معروفة عند الهمج ولا يدريها السكسونيون والنورمان ، وانما كانت وسيلة الحرارة الوحيدة التى يدرونها هى اشعال نار مكشوفة . وفى خلال تلك الحقبة من الزمن صدت المدنية عن التقدم فى أوربا ، وعادت الى جنوب شرقى آسيا والشاطىء الجنوبى للبحر الابيض المتوسط ، وبينما كانت أوربا ترتعش من البرد ، خلصت شعوب الشرق الادنى نفسها من آثار النير الرومانى وعادت شعوبا غازية فاتحة . ولكن منذ القرن الثالث عشر ، حصلت تطورات غيرت وجه العالم ، ونقلت مراكز المدنية من خط درجة ٧٠ ف الى جهات أكثر برودة

وقد ظهر أول تغير هام فى تكييف الهواء ، منذ القرن الحادى عشر . فقد ظلت جميع التحصينات غير الرومانية فى شمال غربى أوربا — الى نقطة ما فى التاريخ — مشيدة من الطين أو من طابق واحد من الخشب . ولكن فى ناحية ما ، حول سنة الف ميلادية ،

شرع النورمان يبنون ابراجا مثلثة من الحجر . وفى بداية القرن الثالث عشر ساعدت عدة تغيرات فى الصناعات والاجهزة ، على وضع أسس المستقبل ـ ومن ذلك العودة الى ضرب الطوب وصنع ألواح النوافذ الزجاجية واستخدام الفحم واختراع المدفأة والمدخنة

وقد كثر استخدام المدفأة فى شمال أوربا فى ذلك الحين ، وكان الوقود المعتاد هو الخشب ، حتى صار فحم نيوكاسل يصدر بوفرة الى أوربا حوالى سنة ١٦٠٠

ولهذا التطور أهمية بالغة ، فقد مكن شعوب شمال غربى أوربا من تخفيف قسوة الشتاء ، ولم يعد نشاطهم ينحصر فى مقاومة البرد ، بل اتاح لهم الدفء فى داخل بيوتهم جوا للعمل والعيشة كالجو الذى يستمتع به أهالى الجنوب فى العراء . وتولت بريطانيا قيادة هذه المدنية المنزلية بفضل اعادة اكتشافها للفحم ومواردها الغنية منه ، وسرعان ما صارت البلاد الواطئة وشمال فرنسا والمانيا تابعة فى هذا المجال بعد اذ كانت متبوعة

والمناطق التى لها الآن مناخ أمثل ـ ونعنى به الجو الذى تمكن السيطرة عليه طوال السنة والذى يتيح أحسن الظروف المنزلية ويسمح بالرياضة فى العراء فى معظم الايام ـ والتى تملك فى الوقت نفسه وسائل رخيصة ناجعة لتكييف الهواء ، هى زيلندا الجديدة ، وشمال غربى أوربا ، وأجزاء مختلفة من أمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية واستراليا . وتمتاز زيلندا الجديدة على جميع البلدان الاخرى ، بان لها جوا تسهل السيطرة عليه ، ومنابع للحرارة الصناعية وافرة بسعر رخيص . ومتى عم تكييف الهواء فان المناطق الممتازة ستكون أدنى الى الجنوب ـ أو الى الشمال فى نصف الكرة الجنوبى ـ وربما حوالى خط ٥٨ أو ٦٠ ف من درجات الحرارة

ان المدنية تحل حيث يتمكن الانسان من التحكم فى بيئته . واعتقد اننا مقبلون على تطورات أعظم مما حدث فى الماضى ، لان تكييف الهواء وتقدم الكهرباء سيساعدان الانسان ، لا على التحكم فى الرطوبة والبرد فحسب ، بل فى الحرارة والجفاف ، واذا لم تزدهر الصحراوات كالورد ، فانها قد تزدهر مرة أخرى بالعقول المستنيرة . وقد يصل الزنوج الى درجة من التقدم الذهنى لم يحلم بها بوكر واشنجتن . وقد يقفز الساميون والعرب واللاتينيون واليونانيون مرة أخرى الى موكب التقدم العلمى

ولكن قد يخلق النشاط الجديد خصومات جديدة ، فان التاريخ يدلنا على ان المدنية تمد الحروب بأهوال جديدة ، والاغنياء بأنواع أخرى من الحمى ، والاستغلال البشرى بوسائل مبتكرة . ولعل أعظم درس يلقنه التاريخ ، هو انه اذا كان للمناخ والسيطرة على الجو نصيب كبير فى خلق النشاط البشرى وبالتالى فى ايجاد المدنية ، فان المثل العليا الروحانية هى التى تسير النشاط وتشكل المدنيات فى أغلب الاحوال

(ملخصة من كتاب « المناخ ونشاط الامم »)
بقلم س . ف . ماركهام

تستطيع أن تستمتع بالشيخوخة

يتوقف استمرار الحيوية لدرجة كبيرة على نوع العمل الذى تمارسه، وتوزيع ساعاته ، وحالة السكنى ، والغذاء والكساء ، والراحة والرياضة ، ومدى الانفراد بالنفس ، ودرجة الضمان الاجتماعى

لا معنى للاعتقاد السائد بأن الانسان اذا بلغ السبعين من عمره وجب عليه أن يترقب الموت ، ولا ضرورة لان يتحمل كل من يبلغ الكبر مذلة الوهن والركود . ففى هذه البلاد يوجد آلاف من الناس يبلغون المائة من العمر ، ولا يزالون يعيشون عيشة هنية فى هذه السن

وانما تسيطر على أذهاننا ، بشأن الكبر ، أوهام متوارثة ، وتقاليد فات أوانها . ولا نزال نعمل وكأن معدل الحياة للانسان هو سن الخامسة والثلاثين كما كان قبلا ، لا الثالثة والستين أو أكثر كما هو الآن

واننا لنعامل كبار السن منا وكأنهم جثث حية ، غافلين عن عددهم الذى لا يفتأ يزيد باطراد . واذا لم نول هذا الامر حقه من العناية فانه لا يلبث ان يؤدى بنا الى كارثة

منذ بضع عشرات من السنين كان العامل الصناعى يتقاعد عن العمل اذا بلغ الاربعين من عمره ، لانه كان عادة اذا وصل الى هذه السن اصبح منهوك القوى وعلى حافة القبر . اما الآن فان الحالة قد انعكست حتى قيل فى الامثال : « الحياة تبدأ فى سن الاربعين » . ومع هذا اذا كان العامل يأبى التقاعد فى سن الاربعين فانه يرغم على ذلك بتصرفات قصيرة النظر من أرباب الاعمال

ان كبار السن لهم قيمة كبيرة ونشاط مدخر وخبرة مكتسبة ، ولكن هذه المزايا تبدو كلها وتخمد عمدا . ولقد كان معدل العمر فى سنة ١٩١٠ هو ٤٦٫٣ سنة . فما وافت سنة ١٩٣٥ حتى ارتفع ذلك المعدل الى ٦٠٫٢ سنة ، أى بزيادة أربع عشرة سنة تقريبا . وان كبار السن ليعدون عندنا بالملايين ، وهم فى ازدياد مستمر ، ولسوف يكبر عدد المعمرين باطفالنا وأحفادنا على كر الزمن . ومع هذا ففى تلك الفترة من الزمن التى ذكرناها ، لم يزد طول الحياة بالنسبة لشخص فى الخمسين من عمره الا بمعدل ٢٫٨ سنتين فقط . وبيان ذلك ان الذى فى الخمسين من عمره سنة ١٩١٠ كان يحق له أن يأمل البقاء فى قيد الحياة ١٨٫٣ سنة أخرى ، بينما الشخص الذى بلغ تلك السن فى عام ١٩٣٥ لا يحق له ان يأمل العيش الا ٢١٫١ سنة .

ان عملية الكبر تبدأ منذ يوم الميلاد . غير ان الفترة الخامسة من حياة الانسان ، التى تحدد فيها ساعة الوفاة أو تهيأ فيها العدة للانحطاط والوهن ، هى الفترة التى تقع بين الثلاثين والخمسين من العمر . ويبدأ التغير والتكاثف فى الشرايين فى باكورة الشباب ، ويتطور ذلك تطورا سريعا منذ تكامل النمو الجسمانى . وفى سن الثلاثين تبدو عند خمسين فى المائة من الناس أعراض ذلك المرض من أمراض الكبر . ويتضح من هذا اننا نكون قد أصبحنا فى ظل الكبر فى الوقت الذى نشعر فيه بأننا أحسن ما نكون قوة وصحة . والكبر لا يقوى الجسم البشرى باعتباره وحدة واحدة . بل يعترينا الكبر على مراحل وفى اجزاء ، يختلف تأثرها باختلاف الاشخاص . ويحصل انحطاط وانحلال جزئيان منذ الطفولة ، ولكن يستمر معهما نمو وتطور جزئيان الى أخرى مراحل العمر

وتهبط نسبة التغير الكامل هبوطا حادا من دور الطفولة الى سن العشرين ، ثم تبقى تلك النسبة ثابتة لا تكاد تتغير حتى الكبر . وتصل القوة الجسمانية الى أشدها فى سن العشرين ثم تبدأ فى الانحطاط ببطء واطراد بعد ذلك

وتبلغ قوة الانسان الى غايتها بين العشرين والثلاثين ، ثم يتبع ذلك دور هبوط حاد ، يصل الى منتهاه عند الذكور حوالى سن الخامسة والخمسين ، وعند الاناث حوالى سن الخامسة والاربعين

ويرتفع خط القوة الذهنية ارتفاعا حادا لغاية سن الاربعين ، ثم يبطىء معدل ارتفاعه الى غايته عند سن الستين ، وبعد ذلك يأخذ فى الهبوط البطىء الى سن الثمانين . ومعدل المستوى الذهنى عند سن الثمانين يوازى معدله عند سن الخامسة والثلاثين . وغنى عن البيان ان هذه الحدود التى ذكرناها هى حدود عامة

وتجد النشاط الذهنى فى سن الثمانين مختلفا عنه عند الخامسة والثلاثين ، ولكنه لا يقل عنه قيمة . وعلى العموم فان فقدان جانب من القوة الجسمانية والحركة فى الكبر ، يعوض تعويضا حسنا بالمزيد من المثابرة والدقة والخبرة . وعند بلوغ سن النضج الذهنى — أى سن الستين — تظهر فى خلايا المخ فضلات ملونة تعد عادة من أعراض الكبر . غير انها لا تحدث أى ضرر بالنشاط الذهنى ، بل على العكس : لا يتاح الا لمثل ذلك المخ أن ينتج أسمى ما ينتجه العقل البشرى ، وأعنى « الحكمة »

ان الشخص العجوز يعامل الآن وكأنه مخلوق شاذ . أما فى الغد فلعل العجائز هم الذين يستطيعون ان يحسنوا فهم المشاكل البشرية . اننا لم نعش قط فى مجتمع بلغ الغاية من النضج . وأكثرنا يموت وفى نفسه شعور بفوات الفرص ، وخيبة الآمال ، وضياع الوقت أو قصره . أما طبيعة عقول العجائز ، العقول الكبيرة السليمة ، فانها توحى بالتعمق فى مشاكل الجنس البشرى ، واصلاح نظمه فى المستقبل

ولسنا ندرى بعد هل يختلف معدل الكبر باختلاف الاجناس والشعوب . لا ريب ان البيئة لها تأثير كبير فى طول الحياة وفى بدء الكبر وتقدمه . ويبدو ان جيل الحرب تظهر

عليه قبل الاوان أعراض تصلب الشرايين نتيجة للاجهاد الجسمانى والتوتر العاطفى . كذلك للمناخ تأثير ظاهر فى سن الكبر

ويتوقف استمرار الحيوية لدرجة كبيرة على نوع العمل الذى تمارسه ، وتوزيع ساعاته وحالة السكنى ، والكساء والغذاء ، والراحة والرياضة ، ومدى الانفراد بالنفس ، ودرجة الضمان الاجتماعى . ولنوع العمل علاقة وثيقة بطول العمر يمكن تحليلها بالوسائل الاحصائية . فبعض طوائف المهن ، مثل القساوسة وموظفى الحكومة ، مميزون على غيرهم من حيث طول العمر . وعمال الصناعات على العموم يبلغون الكبر قبل الزراع أو رجال الاعمال بزمن بعيد

والمشكلة الكبرى التى تواجه الشخص الكبير السن ، هى كيف يدخر النشاط دون أن يهبط بمستوى عمله ؟ ان حالة الاجهاد التى يعيش فيها الملايين من الناس ويعملون ، كثيرة الشبه بالحالة « العادية » التى يحيا فيها العجائز . ويقول السير جيمس باجيت الطبيب الانجليزى الشهير : « ستجدون أن التعب له نصيب من الاصابة بالامراض وثقلها أوفى من نصيب أى عامل واحد آخر » . وهذا لا ينطبق على العامل الصناعى فحسب ، بل كذلك على كل شخص حى ، سواء لم يصل بعد الى درجة النضج الجسمانى أو كان قد تخطاها

والراحة والاستجمام شبيهان بالمدة التى تكون دائما على مقربة من الصانع ليصلح بها ما يحتاج الى الاصلاح . ويمكننا ان نستخدمها ، لا لنكافح بها الاضمحلال فحسب ، بل كذلك لنشد بها الآلة الجسمانية فلا نخشى عليها التلف بلا داع

***

ويمكننا ان نضع فيما يلى قواعد محددة ليتخذها كبار السن مسلكا لهم ومنهجا :

١ ـ احتفظ بنشاطك الجسمانى والذهنى ، فليس ثمة أخطر من نقص الحيوية الذى ينشأ من الركود والاستسلام . ولذا اجتهد دائما فى أن تكسب لنفسك مهارة جديدة ، وتسلية جديدة ، ومعرفة جديدة

٢ ـ ادخر نشاطا فى كل ما تباشره . واحرص على ان تصل الى نفس الغاية التى ترومها بالاقتصاد فيما تبذله لها من جهد وقوة . ونظم حركاتك ومعدل نشاطك . ولا تغفل عن دلائل الخطر الناتج من الاجهاد الذى لا مسوغ له

٣ ـ أقصر من فترات الراحة والرياضة ، وقسم يومك الى فترات متساوية من النشاط والراحة . وتصور التأثير الباقى للتمرين والراحة فى احتياطى الجسم مع تقدم العمر ، ورتب حياتك على ذلك

٤ ـ فى الوقت نفسه احرص على القواعد العامة للرياضة الجسمانية ، واجتهد فى الابتعاد عن الضجر والملل ، وحاول ان توفق بين نشاطك وبين قوتك الجسمانية المتناقصة

والشخص العجوز الاريب لا يزال يقدر على استخدام قوة شخصيته . واذا كانت الامور التي تثير اهتمامه وعواطفه أقل من قبل ، فانه مع ذلك يمكنه ان يبقى منتجا الى أقصى درجات الانتاج

أما العجوز الذي تكون حياته الذهنية ساذجة مجدبة ، فانه يصبح مشغولا بنفسه ، بخيلا ، حقودا ، سيء الظن ، ويعجز عن المواءمة بين نفسه والحالة المحيطة به ، وقد يؤدي تغير عاداته الى كارثة ، كما يحدث كثيرا من وفاة الكبار فجأة حين يضطرون الى ترك أعمالهم المعتادة ، أو حين يدخلون ملجأ أو مستشفى

وأخيرا تحل المرحلة المؤلمة ، حين يصبح الشخص الهرم خيالا ساريا ، فيبدأ دور الطفولة الثانية من أدوار حياته . وقد يكون في البداية واعيا ما يحل بقواه الذهنية من هبوط ، فيحاول جهده ان يجمع شتات فكره ، ويستر ضعف ذاكرته ، ولكنه يزداد عجزا عن الوصول الى النتائج من مقدماتها ، وضعفا عن البت برأي فيما يعرض له من أمور . وقد يأخذ في الكلام بلا نهاية ولا هدف ، أو قد يصمت وينطوي على نفسه ، ويشغل ذهنه بصغائر الشجون ، ولا يفتأ يلاحقه الخوف من المرض والفاقة والموت

ولاى أن يسأل : لماذا تعترينا الشيخوخة والهرم ؟ ولماذا نموت ؟

ان مدى الحياة لا تحدده قوانين طبيعية ثابتة ، فهو يختلف اختلافا كبيرا ، لغير داع معلوم ، بين أنواع النبات والحيوان والانسان ، ولا تمكن اطالته أو تقصيره الى حد ما بعوامل معينة . ونحن نعلم أيضا ان عملية الكبر لا تسير في طريقها الطبيعي الا نادرا ، اذ تدخل في سيرها تغيرات سابقة لاوانها أو ناتجة من المرض ، وهي تغيرات يمكن منعها أو علاجها

وانا لنجد فروقا هائلة في مدى الاعمار دون أن ندري لتلك الفروق سببا : فبعض الحشرات تموت بعد ان تعيش ساعات معدودات . والنملة مثلا تعيش نحو ثلاثين يوما . وذكر النحل يعيش بين اربعة وخمسة شهور ، بينما تعيش ملكة النحل من اربع الى خمس سنوات . وكل من الارنب والفأر يعيش ثماني سنين . وكل من البقرة والحمامة والخنزير والهرة يعيش خمسا وعشرين سنة ، بينما يطول عمر الحمار الى الثلاثين . والببغاء والنسر قد يعيشان حتى يبلغا المائة من السنين . وقد يحيا التمساح ثلثمائة سنة

والمعروف عن « الداية » التي ولدت زوجة تشارلس الاول ملك انجلترا انها عاشت حتى الثالثة والعشرين بعد المائة من عمرها . وقد شرح « هارفي » جثة رجل يدعى توماس بار يقال انه عاش ١٥٢ سنة . وقد ولد روبرت تايلور سنة ١٧٦٤ ومات سنة ١٨٩٨ أي في سن الـ ١٣٤ . وتدل الاحصاءات التي جمعها « ديون » انه في سنة ١٩١١ كان يوجد في أوربا نحو سبعة آلاف شخص تخطوا سن المائة ، ونصفهم في بلغاريا وحدها

وجميع هذه البيانات تدلنا على ان مدى الحياة يختلف في نطاق أوسع مما نظن ، نتيجة لاسباب داخلية وخارجية

ويمكن اطالة الحياة الى غير نهاية فى المعامل العلمية ، وتحت الاشراف الدقيق ، وبمنجاة من حوادث الوجود المعتادة . فقد ثبت فى التجارب العلمية امكان بقاء الحياة دون ان ينهيها الموت . ومن ذلك انه فى يناير سنة ١٩١٢ قام الكسيس كارل والدكتور ا. م. ابلنج بعزل أجزاء من خلايا قلب دجاجة ، وصارا يغيران واسطة التغذية كل ثمان واربعين ساعة وينقلان طائفة صغيرة من الخلايا الى الواسطة الجديدة ، فاستطاعا ان يبقيا ذلك النسيج حيا حتى اليوم ، وليس ثمة حائل دون ان يبقى حيا الى الابد ، ما دام فى الامكان الاستمرار فى تلك الوسيلة الناجحة

وليس من شك فى ان كلا منا يعتريه الكبر ، ولكن معدل السرعة فى ذلك مختلف . وان عدد السنين التى تحسب بها حياة الانسان ليس بالضبط مدى حياته محسوبا من ساعة ميلاده الى ساعة وفاته . فان هذه الساعة الاخيرة قد تأتى سابقة أو متأخرة بالنسبة لعمره الزمنى . ومن ثم كان ضروريا أن نعرف بأكثر ما يمكن من الدقة ، مبلغ تقدم الجهاز الجسمانى أو اجزائه الحيوية فى عملية الكبر

ونحن اذا أزلنا كل أعراض المرض من حياة رجل مسن ، فانه يمكنه ان يستمر فى الكبر . ولذا من المهم ان نوضح الفرق بين عملية الكبر الطبيعية وبين حالة الوهن الناتجة من الامراض الخاصة بالشيخوخة

اننا لا يمكننا ان نعالج الكبر فى حد ذاته ، ولكنا نستطيع ان نحتفظ بحالة الكبر الطبيعية بل ان نرجئها ، ونستطيع ان نمنع أو نعالج الكبر المعتل

لقد أصبح الكبر الطبيعى أمرا نادرا فى العصر الحاضر . ولقد صرح الدكتور «واردن» انه فى خلال خبرة ٣٨ سنة لم يجد سوى ٢٥ جثة من الجثث التى شرحها يصدق عليها وصف الموت من الكبر

ان الطبيب حين يعرض عليه معظم أمراض الكبر تكون قد أزمنت اذ يعود تاريخها الى دور الشباب . ومن واجب الطبيب ان يكتشف المرض عند بدء سريانه فى الجسم وقبل ان يحدث من الضرر ما لا يمكن علاجه . وفضلا عن ذلك من واجب الطبيب ، فى معظم حالات المرض المزمنة ، أن يروض المريض على الرضا بحالته ، فان الجسم والعقل السائرين قدما فى طريق الكبر ، يجب ان يعلما ان مرحلة جديدة من العمر قد بدأت ، وان لهذه المرحلة قواعدها ومنهاجها (ملخص عن كتاب « أنت أصغر سنا مما تظن »)
للدكتور مارتن جمبرت

لا سفاهة فى المهن انما السفاهة فى الاشخاص « فيكتور هوجو »

آثارنا التي لم تكتشف بعد

بقلم الأستاذ محرم كمال

الأمين بالمتحف المصري

ان المجال لا يزال متسعا ، والأمل لا ينفك متجددا في العثور على آثار جديدة لم تكتشف بعد ، ليست خاصة بافراد أو نبلاء فحسب ، بل وخاصة بملوك وملكات أيضا

في عام ١٨١٥ وفد على مصر رجل ايطالي ضخم الجسم يدعى بلزوني ، ولد أصلا في بادوا بايطاليا من عائلة محترمة ، ولكنه غادر بلاده على أثر بعض القلاقل الداخلية وذهب الى انكلترة حيث ظل مدة هناك يمارس ألعاب القوى في الملاعب والحفلات . ويظهر أنه الى جانب عمله الذي ذكرناه كان يستغل أوقات فراغه في دراسة الهندسة ، وهذا مكنه من ان يوفق الى اختراع ساقية أراد أن يكون لنفسه بها مجدا وثروة في مصر . فحضر اليها عام ١٨١٥ كما سبق القول ، وقابل محمد على باشا وأطلعه على اختراعه فسمح له الباشا بتركيبها في حديقة القصر . ويحدثنا بلزوني أن اختراعه لاقى نجاحا كبيرا ، وان هذه الآلة كانت تخرج كمية من الماء تعادل ضعفي كمية الماء التي تستخرجها السواقي العادية التي كانت مستعملة في هذا الوقت . ولكن المصريين لم يبدوا اهتماما كبيرا بها ، ورفضوا ان يستعملوها مفضلين بقاء القديم على قدمه

لم يجد بلزوني بدا من أن يوجه اهتمامه الى شيء آخر . ولما كانت مصر هي بلد الآثار ، فقد اجتذبته ثروة البلد الأثرية المباحة ، وظل خمس سنوات كاملة يبحث وينقب ويجمع الآثار في مصر . ولعل هذا الرجل هو أول مكتشف ادار حفائر كبيرة في مصر بطريقة شبه نظامية ، فكشف في وادي الملوك مثلا عن عدد كبير من المقابر نذكر من بينها : مقبرة آي ورمسيس الاول وسيتي الاول . ثم نشر كتابا عن حفائره في عام ١٨٢٠ ملأه بالقصص الطريفة والروايات الشيقة عن بحوثه وكشوفه . وقد ذكر في غضون كلامه أنه قد بحث وادي الملوك بحثا دقيقا وانه — على حد قوله — « يعتقد اعتقادا جازما بأن وادي الملوك لا يمكن أن يعثر فيه على مقابر أخرى تزيد عما اكتشف منها من قبل » ثم يستطرد في كلامه فيقول : « واني لم أترك هذا المكان الا بعد أن بذلت كل مجهود ممكن لكي أعثر على مقابر أخرى جديدة ولكني لم أنجح في كشف شيء غير ما كشفته منها من قبل ، ومما يثبت قولي ، بصرف النظر عن البحوث التي أجريتها بنفسي

ـ أنه بعد أن تركت المكان وغادرته ظل القنصل البريطاني سالت يبحث وينقب طوال أربعة شهور في وادي الملوك على أمل أن يعثر على مقبرة أخرى ولكنه لم يوفق » .
وفي عام ١٨٢٠ عاد بلزوني الى انكلترة وأقام معرضا عرض فيه كنوزه الأثرية ثم توفي بعد ذلك بأعوام قليلة وهو يقوم برحلة الى تمبكتو

وبالرغم من اعتقاد بلزوني وتأكيداته الجازمة بأنه قد استوفى أرض وادي الملوك بحثا وتنقيبا فان لوريه مدير مصلحة الآثار حينذاك وفق في عام ١٨٩٨ الى كشف مقابر ملكية عديدة نذكر منها مقبرة تحتمس الاول وتحتمس الثالث وامنحتب الثاني ، ونخص الأخيرة منها بالذكر لانها كانت قد اتخذت مخبأ في عهد الأسرة الحادية والعشرين لجثث ثلاثة عشر ملكا ، وقد ظلت هذه الجثث سالمة الى أن كشف عنها لوريه عام ١٨٩٨ كما أنه قد وجد جثة امنحتب نفسه صاحب المقبرة سليمة لم تمس في تابوتها الحجري كما وضعت منذ ثلاثة آلاف سنة أو تزيد وان كان أثاث المقبرة ومحتوياتها قد سرق منذ زمن

وفي عام ١٩٠٢ حصل ثري أمريكي يدعى تيودور ديفز Theodore Davis على امتياز بالحفر في وادي الملوك وظل ينقب هناك مدة طويلة .وبالرغم من تأكيدات بلزوني الجازمة بأن وادي الملوك لا يمكن ان يحتوي على مقابر أخرى جديدة الا أن ديفز عثر فيه على مقابر كثيرة منها مقبرة تحتمس الرابع وحتشبسوت وسي بتاح ويويا وتويا والملكة تي وحرمحب . وفي عام ١٩١٢ أعلن تيودور ديفز أنه قد قتل وادي الملوك بحثا وتنقيبا وانه لا يمكن العثور فيه على مقابر أخرى ثم تنازل عن امتيازه في هذه المنطقة وانهى عمله .
ولكن اللورد كارنارفون ومعه هوارد كارتر كان يداعبهما الأمل في العثور على مقبرة أخرى ، فتقدما للحصول على عقد امتياز بالحفر وفي نفس المنطقة التي كان يحفر فيها ديفز من قبل أي في وادي الملوك . ومع أن تأكيدات ديفز كانت قاطعة ، ومع أن ماسبرو مدير مصلحة الآثار حينذاك الذي أمضى لهما عقد الامتياز في يونيه عام ١٩١٤ كرر لهما أنه متفق في الرأي تماما مع ديفز ، وأنه يعتقد أن وادي الملوك قد بحث تماما وأن المنطقة لا تستحق مجهودا جديدا من المحقق أنه سيذهب عبثا ، بالرغم من كل ذلك نرى كارتر يقول انهما قد تذكرا ـ هو واللورد ـ أنه منذ نحو المائة سنة أكد بلزوني هو أيضا تأكيدا قاطعا أن وادي الملوك قد بحث بحثا تاما وأنه لا يحتوي على مقابر جديدة ، ومن ثم فقد رفضا أن يقتنعا بأمثال هذه الدعاوى . بل أنهما كانا يعتقدان بعد أن فحصا الوادي فحصا جيدا أنه توجد فيه مناطق غطتها كميات الرديم التي ألقاها من سبقهم من الحفارين (القدماء والحديثين) لم تبحث بعد . ولو كان كارتر قد اقتنع بكل ما قيل له من قبل لما توصل الى ذلك الكشف الفريد الذي يعد أبدع كشوف العصر الحديث وأروعها ، ونعني به كشف مقبرة الملك توت عنخ أمون في عام ١٩٢٢ . صحيح انهما قد ظلا أعواما طويلة يحفران حتى يئسا ، وانهما قد فكرا مرارا في ترك العمل في هذه المنطقة ، ولكن صبرهما ومثابرتهما قد كوفئا بهذا الكشف الذي هز العالم حينذاك ، ولا يزال يجتذب

حتى اليوم آلاف الجنود الذين يمرون بمصر الى زيارة المتحف المصرى والاعجاب بهذه الكنوز

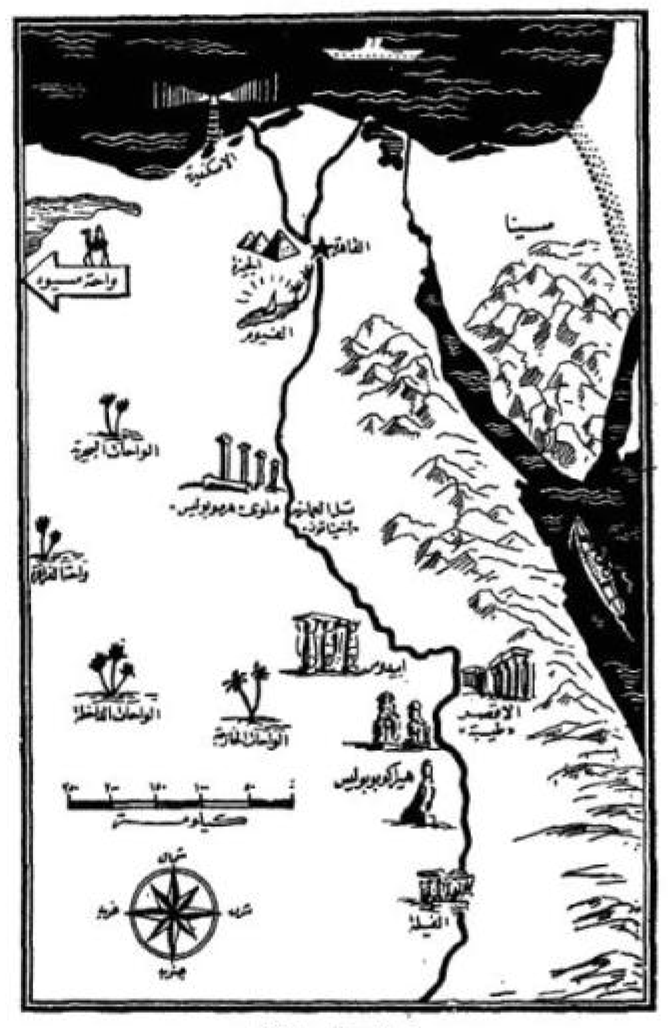
***

يتضح لنا من كل ما سبق أن الظن بأن أرض مصر قد أخرجت لنا كل ما فى باطنها ، وأطلعتنا على جميع أسرارها ، وباحت لنا بكل مكنوناتها ، لهو ظن بعيد عن الحقيقة بعد الارض عن السماء . اذ أنه يكاد يكون من المحقق أن كشوفا عظيمة يمكن الوصول اليها فى المستقبل ، ولكن هذه تستلزم فحصا دقيقا منظما لطائفة من المناطق المختارة بعناية . بل ان نفس المنطقة الواحدة يلزم تقسيمها الى أجزاء صغيرة تبحث بحثا دقيقا ، وتحفر حتى يصل الباحث فى حفائره الى أعظم عمق ممكن ، ان لم يكن الى القاع الصخرى نفسه مستعينا بكل ما مر به فن الحفائر من تجارب واختبارات واتقان . ويجب على الباحث ألا ينتظر من حفائره نتائج عاجلة فى كل عام ، أو كشوفا رائعة ككنوز عنخ أمون، اذ أن أول صفة يجب أن تتوفر فى باحث الآثار الذى يدير حفائر علمية منظمة أن يتذرع بالصبر ويتحلى بالمثابرة ، وان يجعل باب الامل أمامه فسيحا

ومن بين هذه المناطق التى تتوقع العثور فيها على آثار لم تكتشف بعد منطقتا الجيزة وسقارة ، ونحن لا نشك مطلقا فى ان الحفائر المنظمة التى تدور الآن وفى المستقبل فى هاتين المنطقتين ستوصل الى كشوف تجلو لنا حقائق تاريخية هامة وتضيف الى تاريخ هذا العصر صفحات جديدة

أما منطقة أبى صير فالمجال فيها واسع لبعض الكشوف . ففضلا عن أن هذه المنطقة قد اتخذت مكانا لاهرامات ملوك الاسرة الخامسة كالملك سحورع ونفر اركارع ونى أوسررع ولمعابدهم الجنازية ، وهذه كلها كشفت عنها حفائر البعثة الالمانية بين عامى ١٩٠٢ — ١٩٠٨ الا انه من الثابت انه كان لهؤلاء الملوك معابد شمسية ، كشف عن أحدها وهو الخاص بالملك نى أوسر رع ، أما الاثنان الآخران وهما معبدا الشمس الخاصان بالملكين سحورع ونفرار كارع فانه لم يعثر عليهما حتى الآن ، ولا شك فى أن حفائر منظمة تجرى فى هذه المنطقة سوف توصل الى الكشف عنهما ، أو على الاقل عن الجدران السفلية منهما ، اذا كانت العليا قد تهدمت وزالت

أما فى عصر الفترة الاولى الذى يمتد من الاسرة السابعة حتى نهاية الاسرة العاشرة ، فان ما كشف عنه من آثار هذا العصر ضئيل الى حد كبير ، ولا شك فى أن مستقبل الحفائر كفيل بأن يجلو لنا — بما يعثر عليه من الآثار — الكثير من الغموض الذى يحيط بهذا العصر . أما فى الاسرة الحادية عشرة فلا تزال مقبرة الملك منتوحتب الرابع (نب توى رع) غير معروفة ، وانا اذا لاحظنا أن من سبقه من ملوك هذه الاسرة دفنوا اما فى طيبة أو فى الدير البحرى لامكننا أن نحكم بأن مقبرته سيكون العثور عليها فى احدى هاتين الجهتين



خريطة تبين أهم مواقع الآثار

فاذا وصلنا الى عصر الفترة الثانية الذي يمتد من الأسرة الثالثة عشرة حتى نهاية الأسرة السادسة عشرة نجد هناك احتمالات كثيرة اذا أوصلتنا فى يوم ما الى كشوف مهما كانت قليلة فان قيمتها ستكون كبيرة جدا ، نظرا لما يحتور هذا العصر من غموض ، خصوصا اذا لاحظنا ان هذه الفترة هى التى دخل فيها الهكسوس مصر وحكموها ، وان أى أثر يمكن أن يصل الينا سالما (ويكون قد نجا من يد المصريين بعد أن طردوا الغزاة من أرضهم) من عصرهم يكون ذا قيمة كبيرة

أما فى تل العمارنة ، أى فى تلك المدينة التى أسسها الملك أخناتون واتخذها عاصمة لملكه ، فان جانبا من الابنية التى شادها والمعابد التى أنشأها قد كشف عنها فى السنوات الاخيرة ، الا أنه يتنظر العثور على جانب آخر من هذه المبانى ، وهى وان كانت قد بنيت من مواد هشة كاللبن الا أن آثارها يمكن العثور عليها ، ومن بين هذه الابنية التى عرف أن العاصمة المذكورة كانت تحتويها : قصران للملك أحدهما على شاطىء النهر والآخر يقع على مقربة منه فى داخل المدينة ، وبيت المحفوظات وبناء الجامعة ـ وتسمى بالمصرية القديمة بيت الحياة ـ ومركز البوليس وثكنات الجيوش ، هذا خلاف المعابد التى كشف عن بعض منها

أما فى الاشمونين (على مقربة من ملوى) فالى جانب ما يتنظر العثور عليه من آثار فرعونية فان المدينة الرومانية بأكملها تنتظر الباحث السعيد الذى يزيح النقاب عن كثير من خفاياها . ولدينا من الاسانيد والوثائق ما يساعد على هذا البحث . فقد عثر فى هذه المدينة على عدد كبير من أوراق البردى بها نصوص تدل على أن هذه المدينة كانت تنقسم الى أربعة أحياء تضم عمائر فخمة ذكرت النصوص منها : حمامات الامبراطور هدريان والاجورا ـ أى السوق التى كان يجتمع فيها الناس ، والتى تقول عنها النصوص انها من أحسن العمائر الزخرفية التى تزدان بها المدينة ـ والمكتبة وغيرها . يضاف الى ذلك سلسلة من المعابد أهمها معبد اثينا ومعبد هدريان والسرابيوم ومعبد الالهة أفروديتى ومعبد الحوريات والمعبد الاوغسطى . ومن حسن الحظ أن وزارة المعارف قد قدرت أهمية هذه المنطقة حق قدرها فاعتمدت مبلغا من المال فى عام ١٩٤٢ وعهدت الى كاتب هذه السطور فى ادارة حفائر علمية منظمة بهذه المنطقة

وقد بدأت هذه الحفائر فى المكان الذى كانت تشغله الأجورا ـ أى فى منطقة السوق المستطيلة التى كان يجتمع فيها الناس ـ فكشفت عن عدد كبير من المواد الضرورية والعناصر المعمارية اللازمة كالاعمدة الضخمة الجرانيتية وقواعدها وتيجانها الجميلة المصنوعة من الحجر الجيرى والقوائم والزخارف والاعتاب وكتل الاحجار المنقوشة وغيرها من المواد التى تسمح باعادة تشييد هذه السوق باعمدتها المصنوعة من الجرانيت الاحمر فتسترد مصر بذلك سوقا مهيبة تكتنفها العمد من الجانبين فى بوائك فخمة لا يوجد لها نظير فى أية جهة من جهات القطر المصرى . وقد بدأت مصلحة الآثار على أثر الانتهاء

من حفائري في نصب الاعمدة ، واجراء ترميمات كثيرة لاعادة السوق على نحو قريب مما كانت عليه في العصر الروماني . ولا شك في أن هذا البناء الذي لا يعادله بناء آخر في وادي النيل سيجتذب الى مصر الوسطى جمهور السائحين وسيؤدي الى تنشيط موسم السياحة بعد الحرب

ولما كانت أوراق البردى التي أشرنا اليها قد ذكرت أن المدينة الرومانية كان يشقها طريق عظيم يتجه من الشرق الى الغرب مارا بالأجورا — أي السوق — كان يدعى طريق انطنوى ، وكان يحيط به بوائك فخمة في بعض أجزائه وينتهي من طرفيه بقوسي نصر على شكل بوابتين عظيمتين كانت تدعى احداهما بوابة القمر — الى الغرب — والأخرى بوابة الشمس — الى الشرق — فقد عولنا على البحث عنه الى ان وفقنا الى العثور عليه بعد أن أزلنا أكواما ضخمة من الاتربة والردم الذي يغطيه فظهر بعظمته وجلاله . وقد وجدناه مرصوفا بالاحجار ، يقوم على أحد جوانبه افريز من الاحجار ، وعلى الجانب الآخر قناة بها مجرى كانت تستعمل لتصريف مياه الامطار . وقد وجدنا جزءا كبيرا من هذه القناة وكذا الافريز في حالة حفظ جيدة . أما الاجزاء الناقصة فالعمل يجرى في ترميمها واعادتها الى ما كانت عليه سابقا . أما الطريق نفسه فبالرغم من أن بعض الاحجار التي استعملت في رصفه قد فقدت الا انه يمكن تتبع آثار هذا الطريق بكل وضوح وجلاء. وهذا الطريق العظيم يجرى أمام أعمدة الأجورا — السوق الرومانية — الشمالية ويمتد شرقا وغربا

ومما يجدر بالذكر ان هذه الحفائر قد أصبحت تابعة الآن لجامعة فاروق الاول ، ومن المنتظر أن يؤدي استمرار العمل فيها الى الكشف عما تبقى من أجزاء هذه المدينة الهامة ومعابدها وقصورها وشوارعها. فتسترد مصر بذلك منطقة رومانية من العهد الامبراطوري ذات القيمة الفنية والتاريخية العظمى بالشكل الذي كانت عليه أيام مجدها السالف . ومن المحقق ان الكشف عن باقي آثار هذه المدينة الرومانية — هرموبوليس — التي تمثل عصرا من عصور مصر الخالدة لهو أول غرض يجب أن ترمى اليه الحفائر التي تجرى في هذه المنطقة

أما في طيبة « الاقصر » فانا نعلم ان معظم ملوك الاسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين قد دفنوا في وادي الملوك أو على مقربة منه . وقد بينا فيما سبق أن وادي الملوك قد دارت فيه حفائر كثيرة ، وانه يكاد يكون قد بحث بحثا تاما ، ونضيف الى ذلك أن جزءا صغيرا جدا من هذا الوادي هو الذي ظل الى الآن دون بحث . وكما أنه من المحتمل ألا يعثر فيه على مقابر ملكية أخرى الا أنه من المحتمل أيضا أن يعثر فيه على مقبرة أو مقبرتين نذكر منهما مقبرة سمنخ كارع مثلا . كما أنه يتبقى الكشف عن بعض مقابر ملكات الأسرة الثامنة عشرة وأمرائها وأميراتها ، كما أنه من الممكن العثور فيه أيضا على مقابر أخرى لبعض وزراء هذا العهد ونبلائه . أما مقابر كبار الموظفين فينتظر العثور على جانب آخر منها في التل الذي يعرف بالشيخ عبد القرنه بجبانة طيبة ، وكذا

يمكن العثور على بعض مقابر الافراد فى هذه الجبانة

ولما كان من المعروف أنه ابتداء من الأسرة التاسعة عشرة بدأ استعمال المكان الذى يعرف الآن بوادى الملكات لدفن الملكات والامراء والاميرات فانه ينتظر العثور أيضا على مقابر أخرى لبعض الملكات والأمراء فى الوادى المذكور

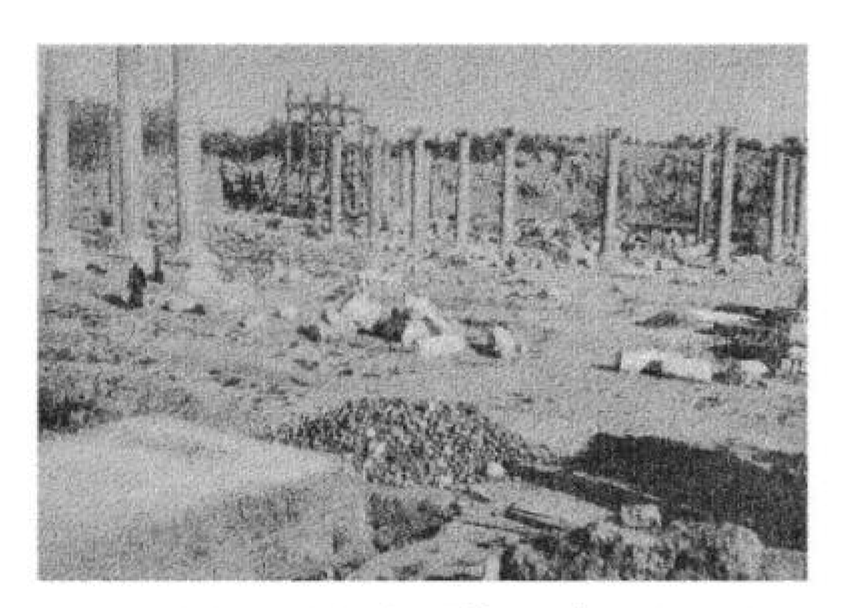
وعند ما نصل الى الاسرة الحادية والعشرين نجد أن جثث بعض ملوكها قد عثر عليها فى المخبأ الذى أودعت فيه جثث بعض الفراعنة ، حفظا لها من الضياع على أثر ما حدث من سرقات فى العصور السابقة . أما مقابرهم الاصلية فلم يعثر على معظمها حتى الآن ، ويظهر أنهم دفنوا فى جبانة لا تبعد عن وادى الملوك نفسه أو فى تانيس بالوجه البحرى . فهذه المقابر لا بد وأن يعثر عليها فى يوم من الايام ، وربما أظهرت الحفائر المقبلة أن معظمهم قد دفنوا فى مقابر متصل بعضها بالبعض الآخر ، وان اللصوص قد أخطأوها فظلت سليمة حتى الآن . وان كان قد عثر على مقابر لبعض ملوك هذه الاسرة فى تانيس كالملك بسوسنس الاول ثانى ملوك هذه الاسرة والملك امنوبى

أما الملوك الوطنيون الذين حكموا مصر ابتداء من الأسرة الثانية والعشرين الى الاسرة الثلاثين فان معظمهم استقر فى الوجه البحرى ودفن هناك . وعلى ذلك فان أغلب مقابرهم تكون قد تعرضت للرطوبة بحكم وقوع أغلبها فى منطقة الاراضى المنزرعة التى تروى فى كل وقت وحين . ومع ذلك فقد عثر على بعضها بجهة تانيس « صان الحجر » احداها لملك يسمى ششنق من ملوك الأسرة الثانية والعشرين . وينتظر العثور على البعض الآخر اذا أجريت حفائر منظمة بهذه المناطق ــ تانيس وسايس ومنديس وبوبسطه .. الخ ــ ويحدثنا هيرودوت أن مقابر فراعنة الاسرة السادسة والعشرين أقيمت فى معبد سايس على مقربة من الهيكل. ولكن ما بقى من هذه المدينة بقرب صا الحجر لا يشجع الباحث كثيراء ومع ذلك فحيث توجد الاحتمالات يحسن عمل المحاولات

أما ملوك البطالسة فقد دفنوا حول مقبرة الاسكندر الاكبر بالاسكندرية . ويحدثنا بلوتارخ أن كليوبطرة آخر ملكات مصر شادت لنفسها ضريحا فخما ألحقته بمعبد ايزيس بالاسكندرية . ففى هذا البناء مات انطونيو وفيه انتحرت كليوبطره ، وفى هذه المقبرة الواحدة طويت آخر صفحة من سجل ضخم تضمن تاريخ المقابر الملكية فى مصر جميعها. وما زالت هذه الصفحة الأخيرة فى انتظار من يكتشفها ويحسر النقاب عنها

من كل ذلك يتضح أن المجال لا يزال واسعا والامل لا ينفك متجددا فى العثور على آثار جديدة لم تكتشف بعد ، ليست خاصة بأفراد أو نبلاء فحسب ، بل وخاصة بملوك وملكات أيضا . وحسن الحظ وحده هو الذى يوصلنا الى العثور على مقابر لم تسبقنا اليها يد اللصوص بسرقة أو تخريب ، فتسترد بذلك مصر تراثا من المجد والفخار تزيد قيمته على مدى الايام وتعاقب القرون

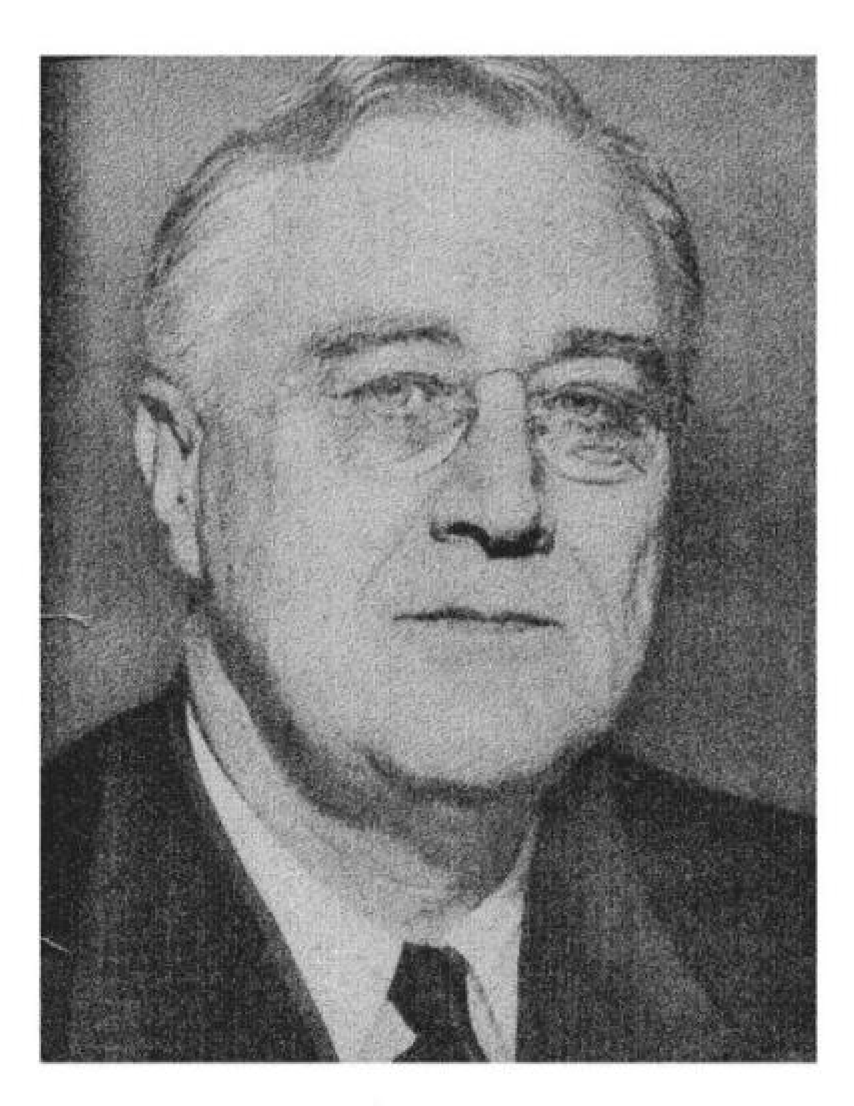
محرم كمال



مدينة هرموبوليس « الأشمونين » بعد أن كشفت المعاول فيها عن السوق الرومانية . ويجرى العمل الآن في إقامة الأعمدة وتركيب تيجانها لاعادة السوق على نحو قريب مما كانت عليه في العصر الروماني



جانب من طريق أنطنوى العظيم أثناء كشفه . وتحدثنا أوراق البردى أن سلسلة من العمائر الفخمة كانت تقوم على جانبيه وأنه كان ينتهي ببوابتين عظيمتين . وهذه العمائر والبوابات لم يكشف عنها بعد



روزفلت العظيم

أوشك الحق أن يظفر وكادت شمس السلام أن تشرق ولكن الأقدار أبت إلا أن يقضي روزفلت نحبه وينتقل الى جوار ربه قبل أن يرى السلام الذي كان ينشده



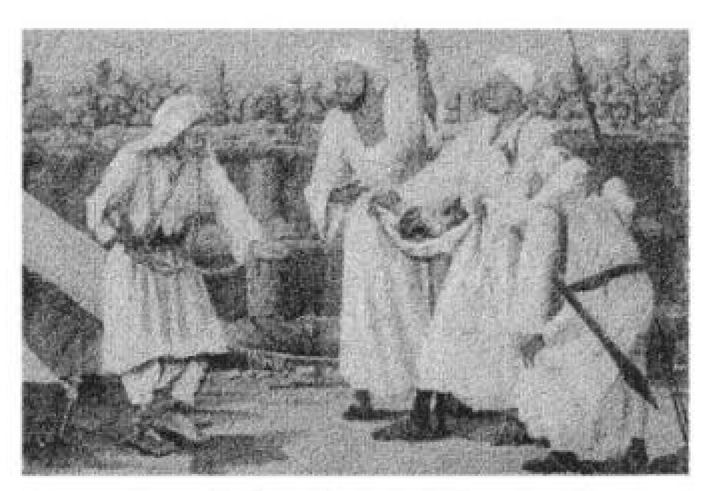
كانت حملة هيكس باشا لاخضاع المهدى فى السودان نكبة على الجيش المصرى ، إذ راح ضحيتها ٣٠ ألف جندى مصرى . وتمثل هذه الصورة هيكس باشا فى آخر موقف له يوم فناء الحملة فى ٥ نوفمبر سنة ١٨٨٤

غوردون باشا

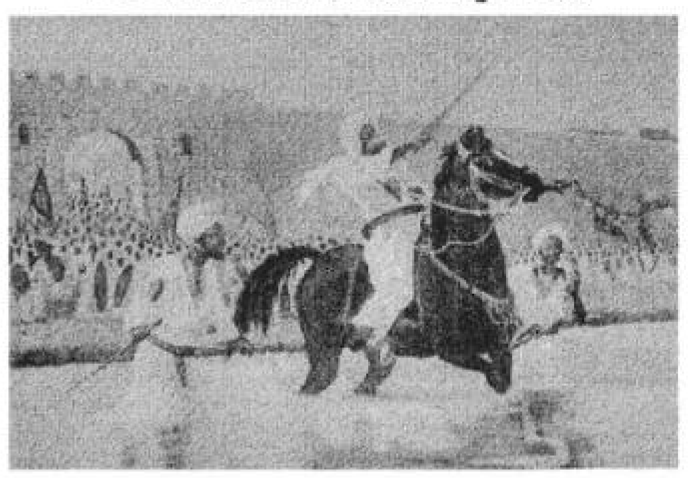
ذكرى مرور ستين عاما على مصرعه ومرور خمسين عاما على فرار سلاطين باشا من الأسر فى السودان

بمناسبة مرور ٦٠ عاماً على مصرع غوردون باشا في الخرطوم ، ومرور ٥٠ عاماً على فرار سلاطين باشا من الأسر فى السودان ، رأينا أن ننشر هذه الصور التاريخية التي رسمت باشراف وارشاد سلاطين باشا وهى محفوظة الآن بالمتحف الحربي

وقد كان سلاطين باشا نمسوى الأصل مغرماً بالرحلات ، وتعرف بغوردون باشا فى السودان فعينه مفتشاً على جباية الضرائب ثم حاكما على « داره » برتبة اللازم ، وظل يرقى حتى عين حاكما على « دارفور » برتبة الأميرالاى . ولما ساءت الأحوال بعد هزيمة حملة هيكس باشا عام ١٨٨٤ وأصبحت السلطة المطلقة للمهدى وخليفته عبد الله ، هجم الدراويش على الخرطوم واقتحموا سراي الحاكم العام وقتلوا غوردون وقطعوا رأسه ومثلوا بجثته ، ووقع سلاطين فى الأسر ، وقد تمكن من الفرار بعد اثني عشر عاماً ، ولما وصل إلى مصر استدعاه الخديو عباس الثانى لمقابلته وأنعم عليه برتبة الباشوية



سلاطين باشا يرسف فى أغلاله فى الأسر فى أم درمان . والعبد « شطة »
وهو أحد أتباع المهدى يعرض أمام ناظريه رأس غوردون باشا بعد قتله



كانت معركة أم درمان الحاسمة فى ٢ سبتمبر عام ١٨٩٨ وقد انهزم فيها الدراويش بقيادة الخليفة
التعايشى الذى فر الى « جديد » فالتقى أجره وقتل . والصورة تمثله وهو يقود جنوده للقتال

الجفـــوة

فى السادس عشر من شهر مارس الماضى ، نعت أبناء العراق اماما من أئمة الادب وعلما من أعلامه ، هو الشاعر العربى الكبير الاستاذ معروف الرصافى . وقد جفا الشعر فى أواخر أيامه جفوة لم يكن له فيها اختيار ، اذ اعتورت حياته الامراض ، فانطوى على نفسه فى بلدة « الفلوجة » قبل أن يحط الرحال أخيرا فى « الاعظمية » ببغداد

وقد تفضل الاستاذ صبيح أنور الغافقى فأرسل الينا القصيدتين التاليتين ــ اللتين لم تنشرا قبلا ــ فنقرأ فيهما عتابين ، عتاب الاستاذ الكبير طه الراوى أستاذ الأدب العربى فى دار المعلمين العالية يأخذ على فقيد العرب عزوفه عن الشعر وهو مليك القوافى وزينة الوادى وبهجته . فيرد الشاعر شاكيا من معشر أوغلوا فى الكذب فهو يضطرب حاسا للشعر ، واهتياجا له ولكنه يهدر كالعاصفة المخنوقة

وقد سمح الشاعر الكريم بنشر قصيدته هذه بعد موته . وهى القصيدة التى كان حلقة الوصل فيها الاديب العراقى الاستاذ مصطفى على وقد رد بها على أبيات وجهها اليه صديقه الاستاذ الراوى

قصيدة الأستاذ طه الراوى

أمصطفى بن على يا أخا ثقتى ... انى عهدتك للاخوان معوانا
انت الصفى اذا الاخوان قد كدروا ... أنت الوفى اذا ما صاحب خانا
أبلغ (مليك القوافى) كل خالصة ... من التحايا تمج العطر ألوانا
ما باله ــ حرس الرحمن مهجته ــ ... قد أوسع الشعر اعراضا وهجرانا
من بعد ما كنت تسديه وتلحمه ... استبرقا مشرق الالوان فتانا
صبيت منه على أم العلى حللا ... أبهى من الروض فى أيام نيسانا
وانت زينة وادينا وبهجته ... اذ كنت ترسل ألحانا فألحانا
ان قلت قافية عصماء بارعة ... ملكت البابنا شيبا وشبانا
اذا تغنيت هز المجد من طرب ... عطفيه وانسجمت أنغام دنيانا
وان بكيت بكى الوادى وساكنه ... وشاطرتك بنات الدوح أحزانا
وجدت أم المعالى جد عاتبة ... عليك شاهمة الخدين عجزانا
عودتها قبل هذا ان تحليها ... قلائدا نضدت درا وعقيانا

قصيدة الشاعر العظيم المرحوم معروف الرصافي

اليك يا مصطفى غراء شاردة ضمنتها من شجون النفس ألوانا
ابلغ « أبا هاشم » عنى مغلغلة [1] يعج فيها القريض الغض سكرانا
قد جاءنى « مصطفى » منكم بمالكة تحكى الفريد وان فاقته اثمانا
فضمدت لى جرحا غير مندمل وهيجت فى سواد القلب اشجانا
انى عهدتك حر النفس متخذا لك العلى مأربا والصدق ديدانا
أحسنت ظنك بى اذ جئت تمدحنى بما به زدت حسن الظن احسانا
نماك جد كريم للعلى فلذا زكوت نفسا كما قد فقت تبيانا
ظننتنى قد هجرت الشعر مذ زمن وهل أطيق لحب النفس هجرانا ؟!
ذاك الحبيب الذى أوسعته مقة منى وصيرته للمجد عنوانا
قد شفنى حبه حتى هجرت له طيب المنام وبت الليل سهرانا
أصحو اذا هو يصحو طول ليلته وانتشى مثله ان بات نشوانا
سله اذا شئت عنى هل رأى أحدا سواه لى فى ارتشاف الكأس ندمانا
ان الهموم بصدرى ان هى اعتلجت لم ألف الا به عنهن سلوانا
وان شدوت به فى الحفل مفتخرا أوقعت فيه من العلياء ألحانا
ما زلت منه بافكارى على صلة صدرى يجيش به كالبحر أحيانا
لكننى اليوم آبى ان أبوح به فى معشر أوغلوا فى المين طغيانا
يستكرون من الاحرار لهجتهم ولا يقيمون للأفكار أوزانا
وكيف أنشد شعرا فى سواسية سدوا الخناق به بغيا وعدوانا
وأى معنى لشعر فى ذوى سلف لا يفسحون لحر الفكر ميدانا
وهل يجوز وقد راموا تبذله ان لا أكون عليه اليوم غيرانا
هم انكروا موقفى فيه وهم علموا انى رفعت به للمجد بنيانا
فاقبل « أبا هاشم » فى الشعر معذرتى أدامك الله للاحرار معوانا
خذها « أبا هاشم » بكرا مخدرة جاءت كذهنك فى الابداع برهانا
تطابق اللفظ والمعنى فكان بها كالزهر فى الروض فواحا وريانا



(١) المغلغلة : الرسالة التى تسير فى البلاد . و (أبو هاشم) هو الاستاذ طه الراوى

العِلمُ والعالَمُ

الأمراض والتبلور

من المعروف أن كل مادة تتبلور بشكل ثابت خاص بها ، والبلورات شديدة الحساسية بحيث يتغير شكلها باختلاف المحلول الذى تتبلور منه

فاذا أخذت نقطة دم من أحد الاشخاص ومزجت بمحلول كلورور النحاس ثم نشر المزيج على شريحة زجاج للتبخر فانه يمكن الحصول على بلورات دموية . فاذا كان الدم لشخص سليم خال من المرض فان البلورات تتخذ شكلا خاصا . فاذا كان مريضا تغيرت أوضاعها الطبيعية ، ودل واحد منها على أنيميا مثلا والثانى على سرطان والثالث على سل رئوى وهكذا

وقد قام الدكتور بفير السويسرى بمعاونة الدكتور بيجرين الفرنسى ببحث هذه الظواهر ، وقدما تقريرا بنتيجة أبحاثهما أثبتا فيه نجاح طريقة تشخيص الامراض بتبلور الدم ، ومع ان كثيرا من الامراض لم يدرس بعد ، ولم تعرف مميزات بلوراته الا أن كثيرين من الاخصائيين يرون ان هذه الطريقة تبشر بنجاح كبير فى فن التشخيص

جراحة التجميل

ازدادت حالات التشويه ابان الحرب زيادة كبيرة من أثر الغارات الجوية وقذائف النيران وشظايا القنابل . وقد تقدم معها طب التجميل تقدما كبيرا . فأصبحت مهمته الآن لا تقتصر على تصحيح الاعضاء المشوهة فحسب بل تتعداها الى تعويض الانسجة والاجزاء المفقودة بواسطة نقل أجزاء حية تؤخذ غالبا من جسم المصاب ، من الفخذ أو البطن، ويراعى الطبيب ان تظل هذه الاجزاء محتفظة بحيويتها حتى تجد غذاءها فى المكان الجديد

وقد تمكن العلماء أخيرا من صنع جهاز كهربائى دقيق يقطع الشرائح بالسمك المطلوب ، حتى اذا ثبتت فى المكان الذى يراد وضعها فيه استوت مع باقى سطح البشرة

عوينات جديدة

توضع العدسات عادة فى النظارات العادية أمام العين فى اطار يرتكز على قصبة الانف أو يثبت بين العضلات المحيطة بالعين

وقد اتجه البحث فى السنوات الاخيرة نحو استعمال عدسات صغيرة تلصق بالعين مباشرة تحت الجفون . ويرجع التفكير فى هذه العوينات الى السير جون هرشل الفلكى الانجليزى المشهور . ولكن مولر العالم الالمانى كان أول من نفذ هذا الاقتراح . وقد تقدمت صناعة هذا النوع من العوينات منذ عام ١٩٣٥ وزاد الاهتمام بها حينما ظهر انها تفوق النظارات العادية فى كثير من الحالات

وتصنع هذه النظارات من انواع خاصة من الزجاج أو العجائن الشفافة ، وقد انتشر استعمالها أخيرا فى ميادين القتال وخاصة بين الطيارين

المطاط الصناعى

حينما انقطعت موارد المطاط الطبيعى عن الدول المتحاربة بعد سقوط بلاد الملايا فى أيدى اليابانيين اضطر المهندسون والعلماء للتفكير فى استنباط انجع الوسائل لصنع المطاط الصناعى بأقل النفقات ويحضر المطاط الصناعى من مركبات

ايدروكربونية غير مشبعة مثل البوتادين وما يشابهه . وتتبع كل دولة طريقة خاصة تلائم ظروفها في الحصول على هذه المركبات من مادة أولية رخيصة كالكحول أو فحم الكوك أو زيت البترول

ويحضر البوتادين في الولايات المتحدة بتقطير البترول تحت ضغط كبير ودرجة حرارة مرتفعة . ولقد تمكن المكتب الزراعي في الولايات المتحدة أخيرا من تحضير نوع من المطاط من الحوامض الموجودة في زيت فول الصويا وغيره من زيوت نباتية أخرى

ويمتاز المطاط الصناعي عن المطاط الطبيعي بعدم تأثره بالزيوت والمذيبات العضوية، ومقاومته للتأكسد ، وعدم تلفه بالحفظ أو التخزين وعدم نفاذ الغازات والسوائل خلاله

الاسنان المتآكلة

ثبت أخيرا أن من أهم أسباب تآكل الاسنان تراكم الاحماض في الفم . وقد قامت جامعة كليفورنيا باجراء بحث ، حرمت فيه على الذين يشكون من سرعة تسوس اسنانهم الاغذية الكربوهدرالية كالسكر والحلوى والمشروبات السكرية وأمثالها ، مع تعويض الجسم — عما يفقد بالامتناع عن هذه الاغذية — بالاكثار من اللبن ومنتجاته واللحم والسمك والخضر . فنجحت التجربة وقل التآكل عندهم بنسبة ٨٧ ٪ في بضعة أسابيع وقل تكوين الفجوات

وقد دل ذلك على أن تخمر السكر في الفم يهيىء بيئة طيبة لتولد البكتريا المولدة للاحماض . وهذه بدورها تفسد الاسنان في مرحلة مبكرة من العمر

توظيف القردة

روت الصحف الامريكية أخيرا ان في ولاية ميسوري في أمريكا اربعة قرود تشتغل بالاجرة في تنظيف محكمة مقاطعة جاكسون بالمكانس الكهربائية Vacuum cleaners ، وتقدر أجرة الواحد منها في الساعة بنحو اثني عشر قرشا بالعملة المصرية . ويقول الدكتور أمير بقطر انه شاهد في أمريكا قردا بناء يتناول أجرة قدرها ريال أمريكي في اليوم

وليست القردة الحيوانات الوحيدة التي تشارك الانسان في أعماله . فالفيلة في الهند تجر الاخشاب الثقيلة مسافات شاسعة ، والحمام الزاجل يجوب الاقطار ويعبر البحار في حمل الرسائل . وقد استخدم منه الحلفاء في الحرب الثالثة ستين ألفا . وتقوم الكلاب المدربة أيضا بخدمات جليلة وعند الحلفاء منها الآن أكثر من عشرة آلاف

مصانع التجفيف

لم يكن في الشرق الاوسط حتى نشوب الحرب الحاضرة سوى مصنعين في مصر كانا يقومان بتجفيف البصل وحده ، اذكان من المتعذر عليهما تجفيف الفاكهة أو الخضر نظرا الى عدم توفر الآلات اللازمة

وحينما اندلعت نيران الحرب لم يكن في مقدور هذين المصنعين تجفيف أكثر من ١٤ طنا من البصل في اليوم ، أما في هذا العام فان آلات التجفيف التي ستعمل قريبا في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين ، سيكون في وسعها ان تجفف في اليوم الواحد حوالي ١٧٨ طنا من الفاكهة والخضر وذلك عدا آلة لتجفيف الاسماك في جزيرة كزامان بالبحر الاحمر

وقد ساهمت الهيئات البريطانية والامريكية في تزويد هذه المصانع بحاجتها من المواد المختلفة واعتمد الفنيون والخبراء على « الخردة » في اعداد الكثير من الضروريات لقيام الآلات بالعمل

وستقوم هذه المصانع بتجفيف الفاكهة والخضر على أنواعها وبخاصة البطاطس والبصل والكرنب ، والجزر

الكينا الصناعية

تمكن العلم أخيرا بعد تجارب ومحاولات كثيرة خلال قرن كامل تقريبا من صنع كينا مماثلة للكينا الطبيعية التي تؤخذ من قشور شجر الكنكونا

فقد تمكن الدكتوران روبرت بورنز ووليم دورنغ وهما كيماويان امريكيان في العقد الثالث من العمر من انتاج مادة لا يمكن تمييزها عن الكينا الاصلية من حيث الصفات والخواص . وذلك بمزج ذرات الكربون والايدروجين والنتروجين والاوكسجين بالكمية والطريقة التي مزجتها بها الطبيعة في اشجار الكينا

التلقيح خارج الرحم

تم لاول مرة في تاريخ الطب البشري تلقيح بويضات المرأة خارج الرحم . ومع أن هذا التلقيح ـ كما يقول الدكتور جون روك الاستاذ بجامعة هارفارد والذي قام باجراء هذه التجربة بالاشتراك مع الآنسة مريم منكين ـ لا يزال بعيدا عن تحقيق مذهب الانماء خارج الجسم الا أن هذه التجربة تعد الخطوة الاولى لتحقيق تلك الأمنية القديمة . وقد تمكن هذا العالم لاول مرة من مشاهدة التطورات التي تحدث اثناء نمو الجنين في الساعات الاولى من تكوينه

نقل الدم

ظل نقل الدم من شخص الى آخر ـ حتى بعد أن عرف الاطباء كيف يميزون نوع الدم المطلوب ـ عملا محفوفا بالاخطار . ذلك لان الدم لا يكاد يفارق شرايين صاحبه حتى يجمد . ولكن الدكتور آجوت أعلن للملأ عام ١٩١٤ أن اضافة نسبة خاصة من سترات الصودا الى الدم البشري تقيه من التخثر . فأصبح نقل الدم من الواهب الى الموهوب له عن طريق غير مباشر أمرا مأمونا ولكن حفظ الدم كان متعذرا لمدة تزيد عن الاسبوع ولكن الدكتور يودين أحد الاطباء الروسيين أجرى أخيرا تجارب واسعة النطاق ، أعلن في نهايتها عن توفيقه الى طريقة لحفظ الدم واختزانه ٣٠ يوما

وقد أفاد الطب كثيرا من هذا الاكتشاف ولا سيما في ميادين القتال

مستودع للعيون

افتتح أخيرا في مستشفى للعيون بمدينة نيويورك مستودع هو الاول من نوعه في بلاد الولايات المتحدة الامريكية . وربما يكون الوحيد من نوعه في العالم اجمع . وهذا المستودع مخصص لجمع قرنيات للعيون البشرية وخزنها لتعالج بها بعض أمراض العميان

وقد جاء في اعلان نشر في هذا الصدد ان نجاح علاج بعض اصابات العيون التي تسبب العمى أصبح أمرا لا ريب فيه . وذلك بترقيع العين المصابة بقطعة من نسيج عين أخرى بشرية سليمة . ولذلك تقوم ادارة المستودع بجمع القرنيات من الاحياء الذين يتبرعون بها في حياتهم وممن يتفقون قبل وفاتهم مع المختصين على نزع عيونهم من محاجرها حالما توافيهم منيتهم

قنبلة صاروخية أسرع من الصوت

أصدرت وزارة البحرية البريطانية وقيادة القوة الجوية الامريكية في أوربا بلاغا مشتركا جاء فيه ان الحلفاء يستخدمون الآن قنبلة صاروخية جديدة استخدمتها القلاع الامريكية الطائرة في اغاراتها الاخيرة على حظائر الغواصات في اجويدن بهولندا

وقد صنعت هذه القنبلة خصيصا لاختراق طبقات الاسمنت المسلح الكثيفة واصابة الاهداف بخطب كبير

وتصيب هذه القنبلة الهدف وهي تندفع بسرعة خاطفة تزيد على سرعة الصوت أي اكثر من ١١٠٠ قدم في الثانية



هيئات الاحتكار الدولية

يهتم الرأى العام الآن بهيئات الاحتكار الدولية وهو يعد العدة ويتخذ التدابير ويضع الخطط للحد منها تمهيدا لتحقيق الرفاهية على نحو شامل فى عالم ما بعد الحرب

وهيئات الاحتكار ما هى الا اتفاقات تعقد بين أصحاب المؤسسات الصناعية للتحكم فى الاسعار ومكافحتها ضرورة لازمة، شأنها شأن الاحتكارات الخاصة أو الفردية سواء بسواء

وقد وجه الرئيس روزفلت قبيل وفاته الى مستر كورديل هل وزير خارجية الولايات المتحدة كتابا جاء فيه : آمل ان توجه عنايتك واهتمامك الشديد الى موضوع هيئات الاحتكار الدولية لانه قد حان الوقت الذى سيدور فيه النقاش بين الامم الاخرى حول هذه المشكلة

والمهم فى هذا الكتاب ان الولايات المتحدة تنظر بعين الجد الى خطورة هيئات الاحتكار الدولية وستطبق عليها نفس الاجراءات التى تتخذها منذ أمد بعيد ضد الاحتكارات الفردية . وهذه الاجراءات هى جزء من قوانين الولايات المتحدة يؤيده الديمقراطيون والجمهوريون على السواء

والغرض من الحملة التى تشنها الولايات المتحدة على هيئات الاحتكار الدولية هو الحيلولة بكافة الوسائل دون حدوث أى تلاعب يقصد به تقييد النشاط التجارى وعرقلة الوصول الى الانتاج الشامل واستخدام جميع الايدى العاملة فى البلاد وتوثيق عرى التعاون بين الامم بعضها ببعض . فاذا وجد نشاط اقتصادى حر واذا توفرت حرية تبادل السلع والبضائع فى الاسواق أمكن اذن القول أن دولة الاحتكار قد دالت وعفت آثارها

التعليم المشترك فى روسيا

ظل التعليم فى روسيا السوفيتية مشتركا بين الجنسين فى جميع مراحل التعليم لمدة خمسة وعشرين عاما ، ولكن هذا النظام ألغى أخيرا فى المرحلة الواقعة بين الثانية عشرة والثامنة عشرة من العمر . ويقول علماء التربية هناك ان لكل من الجنسين فى هذه المرحلة حاجة الى مواد خاصة تصلح للواحد دون الآخر، وأنظمة خاصة وروحا خاصة تتجلى فى الواحد بمعزل عن الآخر

فالفتاة فى حاجة الى تفهم الكثير عن بدنها ، عن الحمل والرضاعة والحيض وتربية الطفل وهذه لا تصلح دراستها فى جو مشترك . كذلك الفتى فى حاجة الى تفهم مسئوليات الزواج والابوة وفنون الادارة المنزلية . كما ان درجة النمو — الجسمانى والعقلى — تختلف سرعتها باختلاف الجنس . فالاولاد يبطئ النمو بين العاشرة والثالثة عشرة ، بعكس البنات فى هذه المرحلة فانهن سريعات النمو ، وفى المرحلة التى بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة يكون النمو عند البنين سريعا فى حين انها عند البنات فترة للبطء و «الراحة»

هذا ولا يخفى ان التغييرات التى تحدث فى سن المراهقة لا تسمح للجمع بين الجنسين .

ان ذلك لا يعنى ان روسيا غدت تفصل بين الجنسين فى هذه المرحلة فى كل شىء ، فالكثير من نواحى النشاط فى المدارس الروسية فى هذه المرحلة يجمع فيها بين الصبيان والبنات

البحوث العلمية

أنشأت حكومة الهند فى سبتمبر من العام الماضى وزارة خاصة بتنظيم البحث العلمى لاستثمار

الموارد القومية . ولقد رأت الحكومة البريطانية والجمعية الملكية بلندن دعوة بعثة من كبار علماء الهند لزيارة انجلترا كى يشاهدوا بأنفسهم وسائل تنظيم البحث العلمى فيها حتى يسترشدوا بمشاهداتهم فى ادارة الاعمال فى الوزارة الجديدة

ولقد وصل الى القاهرة فى منتصف الشهر الماضى خمسة من أعضاء هذه البعثة فى طريقهم الى وطنهم ، بعد أن قاموا برحلة علمية استغرقت بضعة اشهر . وقد تفضل الاستاذ ساها أحد أعضاء هذه البعثة بالقاء حديث شائق عن الرحلة فى كلية العلوم بجامعة فؤاد الاول نقتبس منه ما يلى

« نحن فى الهند نشكو من انخفاض مستوى المعيشة ، ولقد تنبهنا الى أن الاصلاح الجزئى لم يعد مجديا ، وانه يجب أن يكون شاملا منسقا . ولقد شاهدنا فى انجلترا كل ما أردنا مشاهدته ، ووجدنا القوم لا يتشدقون بعبارات الوطنية والاخلاص للوطن ، ولكنهم يعملون دائبين ، فمنذ الحرب الماضية ومصلحة الابحاث العلمية والصناعية فى انجلترا تدرب عشرات المئات من الباحثين العلميين ، وكان من نتائج ذلك تفوقهم العلمى فى ميادين كثيرة ، فتفوقوا فى الطيران الذى دفع عن بلادهم خطر الغزو ، وساقهم الى النصر . ولقد شهدت أثناء زيارتنا جمعا كبيرا من العلماء الانجليز وأقطاب الصناعة يتداولون معا فى وسائل الهجوم والدفاع

« وليس تنظيم العلماء فى هيئات علمية هو كل شىء ، فالعلماء فى الهند منظمون تنظيما حسنا فى هيئات كثيرة ، وهم يعقدون مؤتمرا سنويا يشهده آلاف منهم ، ولكن المشكلة الحقيقية هى فى تنظيم كل ون بين العلماء ورجال الاقتصاد ورجال السياسة وتوجيه هذا التعاون لخير الشعب

« ثم ان القوى المحركة هى أساس كل نهضة ، وبدونها لا تقوم صناعة ولا تتقدم زراعة ولا تزدهر تجارة ، وبدونها يظل مستوى المعيشة منخفضا . واذا اعتبرنا القوة المحركة فى كل من انجلترا وأمريكا والهند ، وقارنا بينها وبين الدخل المستوى المتوسط فى هذه الدول الثلاث لوجدنا تناسبا مطردا بين القوة المحركة والدخل . واننا نصل الى نفس النتيجة اذا اعتبرنا متوسط العمر

ومن المهم أيضا النظر بعين الاعتبار الى توزيع الدخل القومى بين مختلف الطبقات . ولقد تبين لكثير من الدول فى السنوات الاخيرة مضار تركيز الثروة وحاول أولو الامر فيها علاج الحال بالتشريع والتأمين الاجتماعى »

رفع مستوى المعيشة

يؤخذ من تقرير لمؤتمر المواد الغذائية والزراعية بالولايات المتحدة، ان رفع مستوى المعيشة والتغذية يحتاج الى زيادة الانتاج وفتح الاسواق واصلاحها وتحسين طرق النقل واستخدام القوى الكهربائية. كذلك يجب على البلاد التى تقصر انتاجها على نوع واحد بسبب المناخ أو غيره ان تتخذ الوسائل العلمية فى سبيل تنويع منتجات تلك البلاد

وتعتبر المصايد موردا هاما من موارد تموين العالم بالاطعمة ، وتحوى الاسماك على اختلاف انواعها كميات كبيرة من الفيتامينات والبروتينات الهامة فى التغذية ، وتمد المصايد العالم كذلك بالزيوت والمواد اللازمة للصناعة والجلود ومختلف المواد الكيماوية . ولما كانت الاسماك بين المحاصيل القليلة التى لا يتغير محصولها فيجب الاعتناء بحفظها من الآن وفيما بعد الحرب حتى تسد النقص الذى سيحدث فى الماشية

هذا وتغطى الغابات نحو ٢٢ ٠/٠ من مساحة الارض وأهمية الاخشاب غير خافية فهى لازمة فى المبانى وصناعة السفن وكثير من المهمات والادوات الصناعية وكذلك فى التدفئة . لذلك ينبغى الاهتمام باستثمارها

والمنتجات غير الغذائية كالقطن والصوف والكتان والحرير والجلود والفراء وغيرها هى من الاهمية بمكان ، شأنها شأن المواد الغذائية سواء بسواء

الكتب الجديدة

هذه الشجرة

للاستاذ عباس محمود العقاد

دار سعد مصر للطباعة والنشر . في ٢٢٤ صفحة

وضع الكاتب الكبير الاستاذ عباس العقاد هـذه الدراسة التحليلية الراشدة لنفسية المرأة وطباعها وخلقها وحقوقها بعنوان جديد طريف هو : « هذه الشجرة »

وهي ــ كما قال ــ القصة الخالدة في الاديان الكتابية وهي الرمز الخالد الى طبيعة المرأة

أوليست الشجرة التي أكلت منها المرأة لانها نهيت عنها ، والتي طعمت منها ثم اطعمت آدم معها ، عنوان ما في المرأة من خضوع يؤدى الى لذة العصيان ، ومن دلال يؤدى الى لذة الممانعة، ومن سوء ظن ، وعناد وضعف ، واستطلاع جهل ومن عجز عن المغالبة ، وعجز عن الغلبة بغير وسيلة التشهية والتعرض والاغراء ؟

ولقد أفاض العقاد في حديثه عن هذه الشجرة بما عرف عنه من قوة البيان وروعة الاسلوب ودقة البحث ، ثم تحدث عن غواية المرأة وجمال المرأة وحب المرأة وتناقض المرأة وأخلاق المرأة وتفاوت الجنسين ، ثم أفرد فصلا بأكمله تناول فيه حقوق المرأة .. ولعل هـذه الفقرة التي نقتبسها توضح رأيه فيها :

« للمرأة كل حق لا يخرجها عن واجبها الاول ، لانه واجبها الذي لا تحسن غيره ولا يحسنه غيرها ــ وهو البيت والجيل الجديد

« تنشيء في قلب هذا العالم الصاخب مأوى تسكن اليه البشرية فترة من الزمن من زحام الحياة وتنشيء للعالم الجديد الذي يقوى في غده على هذا الزحام

« وليس هذا ولا ذاك عمل الآباء ، فليكن هو اذن عمل الامهات لانهن اذا تركنه لم يحسن خيرا منه ولم يحسنه غيرهن خيرا منهن .. ففي تركه تضييع بغير تعويض »

وقارىء هذا الكتاب يشعر بعد قراءته أنه قد استوفى كل نواحي البحث والتفكير والتحليل في كل باب من الابواب ، وانه خرج منه بثروة فكرية وعلمية وأدبية تضاف الى ما يكتسبه كل يوم من ثروات متتابعة فيما يخرجه هذا الكاتب العبقري من مؤلفات قيمة باقية على الاجيال

الفاروق عمر

بقلم محمد حسين هيكل باشا

مطبعة مصر . في ٣٠٥ صفحات

في حياة العظماء عبرة للشباب ، وأسوة حسنة للذين يطمحون الى المجد . وفي حياة عظماء الشرق من جلائل الاعمال وجميل الصفات ما يحفز الشبيبة الى تأثر خطواتهم والنسج على منوالهم . ومن كعمر بن الخطاب عدلا وزهدا وجرأة وشجاعة وبطولة .. لقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لو كان من بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب !

واذا صح أن يشيد الناس بعظمة يوليوس قيصر والاسكندر الاكبر وجنكيز خان ونابليون، لانهم أقاموا من الامبراطوريات ما أقاموا، فحرى بهم أن يكونوا أكثر اشادة بعظمة عمر بن الخطاب وأكبر تقديرا لآثارها ، فقد بلغت الامبراطورية الاسلامية في عهده مبلغا جعلها تمتد الى الصين شرقا والى افريقا غربا والى بحر قزوين شمالا ثم الى السودان جنوبا

والكتاب الذى نقدمه للقراء هو الحلقة الثالثة من السلسلة التى بدأها الدكتور هيكل باشا منذ بضع سنوات بكتابه الخالد « حياة محمد » ثم أعقبه بكتاب « أبو بكر الصديق » . وهــذه الحلقات الثلاث التى تؤرخ لنشأة الامبراطورية الاسلامية ، تصور فترة من تاريخ العــالم هى لا شك أمتع الفترات فى الحياة الانسانية وأكثرها وفقا للنظر وايحاء للتفكير والتأمل

ولقد وفق هيكل باشا فى تصوير عمر وتحليل شخصيته الفذة توفيقا يلمسه القارىء فى كل صفحة من صفحات كتابه ، بل يحسه فى كل فقرة من قراءته . وحسبك جانبا من هذه الصورة الدقيقة التى تصور زهد عمر وعدله :

« لهــذا الرجل الذى بلغ أسمى مكانة فى عصره ، فكان الحاكم المطلق اليد فى الامبراطورية الكبرى لعالم يومئذ ، قد كان يأبى على نفسه كل ما يرفه عنها ، ويحرص على أن يعيش عيش الفقير لهمسه ما يمسه . على أن زهده فى الدنيا لم يكن زهد عائف عنها ، بل كان زهد قادر عليها متحكم فيها

« وزهد عمر فى أنعم الحياة هو الذى طوع له أن يكون مضرب المثل فى العدل . فقد كان لهذا الزهد لا يخشى الا الله ولايرجو أحدا غيره . وكانت خشيته لله ورجاؤه اياه شديدين ، وكان يعلم أن الله محاسبه عما ولى من أمر المسلمين فيزداد خشية ، فتزيده الخشية حرصا على تحرى العدل ارضاء لله جل شأنه »

فصول فى الأدب والنقد

بقلم الدكتور طه حسين بك

مطبعة المعارف . فى ٢٣٨ صفحة

عنوان هذا الكتاب يعطى القارىء فكرة عن محتوياته ، فهو مجموعة آراء صريحة لاذعة لعميد الادب العربى فى بعض المؤلفات التى صدرت فى بضع السنوات الاخيرة لطائفة من أعلام الكتاب المعروفين من أجانب ومصريين . وقد حدثنــا الدكتور طه حسين بك فى مقدمة هذا الكتاب حديثا طلبا عما حمله على نقد هؤلاء الادباء وهو يعلم أنهم سيلقونه بمثل ما بدأهم به أو بشر مما بدأهم به ، وانهم قد يكيلون له بالصاع صاعين وبالباع باعين ، قال : « اننى أفعل ذلك عمدا لايقاظ قوم نيام ، قد طال عليهم النوم حتى كاد يشبه الموت . وهؤلاء القوم النيام هم الادباء والقراء . أولئك ينتجون وهم نيام ، قد أمنوا النقد أو استيأسوا منه ، فهم ينتجون فى فتور ، ويرضون عن أنفسهم أو يسخطون عليها ، لانهم قد اطمأنوا الى انهم لن يظفروا من الناس بما يدل على الرضا أو يبين عن السخط . وهؤلاء يقرأون وهم ناعسون ، قد تعودوا أن ينفقوا الوقت بين حين وحين لقراءة هذا الكتاب أو ذاك لهذا الاديب أو ذاك ، لم تدعهم الى القراءة رغبة قوية ولا خصومة عنيفة ، حول رأى من الآراء أو مذهب من مذاهب الانشاء ، وانما دعتهم العادة الى القراءة . دعتهم العادة ودعاهم الفراغ الثقيل أيضا »

واننا نرجو أن يؤدى هــذا السفر النفيس رسالته وان يبلغ البعيد هدفه ، فينجاب هــذا الفتور الذى شمل حياتنا الادبية ، ومن ثم ينشىء الادباء ويقرأ القراء وهم جميعا أيقاظ . ولاريب فى أن الكتاب ذخيرة أدبية جدير بأن لا تخلو منه مكتبة أديب أو متأدب

جنة الشوك

للدكتور طه حسين بك

دار المعارف . فى ٢١٢ صفحة

هذا لون من ألوان القول لم يطرقه جمهرة الادباء المعاصرين . أخذ العرب بحظ منه فى القرن الثانى فأجادوا ، ولكنه ذوى بانقضــاء العصر العباسى الاول

وقد شاء الدكتور طه حسين بك أن يبعث هذا

الفن من جديد وان يتيح للقارىء فرصة تذوق هذا اللون الشهي من الادب ، ودونك مثلا ، جاء في صفحة ٩٦ تحت عنوان « مجون » :

« ما زالت امرأته تظهر له الغيرة حتى أغرته بالاثم فتورط فيه . وما زال هو يلوم ابنه على العبث حتى دفعه اليه . وما زال ابنه ينهى صاحبه عن عشرة خليلة السوء حتى اتخذها له زوجا . أليس من الخير أن يتدبر الناس مجون ابي نواس حين قال : دع عنك لومي فان اللوم اغراء . فرب مجون أدنى الى الموعظة من الحكمة البالغة »

أليست هذه الكلمات على قلتها تزخر بالمعاني وتفيض بالقوة ؟ هذا مثل من الشوك الذى ملأ به الدكتور طه حسين جنته ، والتي قدم بها الى الادب العربي لونا جديدا قديما ، سيجد فيه عشاق أدبه متعة جديدة ، وسيقع منهم دون ريب موقع الرضى والثناء والاعجاب

الحياة الثانية

للدكتور ابرهيم عبده

مطبعة التوكل . في ١٦٤ صفحة

الدكتور ابرهيم عبده أديب موهوب له جولات قلمية طيبة وابحاث طريفة قيمة في ميدان الصحافة وفي كثير من النواحي الاجتماعية والتاريخية . وهو يقدم في كتابه الجديد قصة رائعة ، دلل بها على انه قصصي بارع

والقصة من صميم الحياة لا تكلف فيها ولا تصنع ولا تزويق ولا تنميق . تبدأ في قراءتها فاذا بالكاتب قد استهوى نفسك واجتذبك الى استيعاب القصة كلها ، وهي قصة طفل لم ير والده لان أباه قضى وهو لم يولد بعد ، فحرم عطف الوالد في طفولته ، ثم تزوجت أمه مرغمة، فحرم عطفها في مراهقته . ولكنه مضى مشمرا عن منكبيه يجاهد في الحياة ، ويناضل قسوة الدهر

وقد شاءت الاقدار ان يسافر الى عمه في السودان ، وأن يقضي مع أسرته عامين ، وقع فيها صاحبنا في حب ابنة عمه ، وراحا يعبان من كأسه في براءة وطهر ، وارتبط قلباهما وتعاهدا على الزواج ، ولكن .. ولنقف عند هذا الحد لنتيح للقارىء فرصة الاستمتاع بالقصة ومعرفة ما تم بعد ذلك .. وقد صاغ المؤلف قصته في اسلوب رقيق رشيق ساحر ينبض بالحياة ويفيض بالقوة

عطر ودخان

للاستاذ محمود تيمور

مكتبة مصر . في ١٧٢ صفحة

مقالات شائقة ، فيها انسجام وفيها جمال ، فيها القصة ، وفيها الوصف والتأمل والخيال . تمتيز بحلاوة الاسلوب وسلاسة العبارة وروعة المعنى . تناول فيها المؤلف بعض الشخصيات المعروفة بالدرس والتمحيص ، كما عالج فيها كثيرا من النواحي الاجتماعية الطريفة

يقول الاستاذ تيمور في مقدمة هذا الكتاب : «وقصارى ما تدعو اليه الا تنفصم العرى بين ماضينا وحاضرنا ، بوصفنا أمة يجب أن يكون لها طابع مستقل وسمات متميزة . فاذا استهدينا الحضارة الجديدة من أمم الغرب ، فلنحتفظ مع ذلك بمعالم الشخصية والقومية وشؤون الحياة

وانه لحتم ان نمضي مع الزمن قدما ، نقطع شوطا بعد شوط ، ولكن هذا لا يصرفنا في الحين بعد الحين عن أن نلتفت الى الوراء لفتات نستفيد منها بما تعيد الى أذهاننا من تجارب وذكريات لها أجمل أثر في سداد خطانا الى الامام »

ولا ريب في أن القراء في مصر والشرق سيرحبون بهذا الكتاب الطريف الممتع

حماري قال لي

للاستاذ توفيق الحكيم

دار المعارف . في ١٤٧ صفحة

كتاب صغير رسمت على غلافه صورة جميلة لرأس توفيق الحكيم وبجانبه رأس صديقه ورفيق

صباه « الحمار » . ولهذا الحمار فى حياة الاستاذ الحكيم شأن كبير ، فهو مبعث الهامه منه يستوحى أدبه الرفيع وروحه المرحة وذكاءه المتوقد ونشاطه المتأجج . وهو فى ذلك يقول : « انه عندى كائن مقدس كما كان الجعران عند المصريين القدماء . لقد عرفته منذ صغرى فى صورة جحش جميل اشتراه لى أهلى بثلاثين قرشا . وجعلوه لنزهتى فى الريف .. وكانت له برذعة صغيرة حمراء لا أنساها .. وكنا خير رفيقين لا نفترق الا للنوم . فقد كان فى مثل سنى . أى فى طور الطفولة من فصيلته كما كنت أنا فى طور الطفولة فى جنسى .. لقد سميته « الفيلسوف » لانه علمنى أشياء كثيرة بمجرد صمته وارتفاعه عن لجج هذا البحر الخضم .. بحر السخف الانسانى ! »

والكتاب مجموعة من المقالات الطريفة فى السياسة والادب والاجتماع فى صورة حوار بين المؤلف وحماره ، سبق أن نشر بعضها فى الصحف والمجلات ، ولكن معظمها لا يزال جديدا على القراء

ساعات الصمت

للاستاذ محمد أمين حسونه

مطبعة الشمس بالقاهرة . فى ١٧٢ صفحة

يحوى هذا الكتاب مجموعة من الرسائل المختلفة فى الادب والنقد ، وقد كتبها المؤلف مدفوعا بعاملين ، أولهما اشراك القارىء فى الاعجاب بما استهوته مطالعته ، وثانيهما الادلاء بالآراء التى تتردد بذهنه والتعبير عن المشاعر والاحاسيس التى تجيش بنفسه . ولعل « ساعات الصمت » هى التى أوحت الى الكاتب هذه الموضوعات الشائقة التى سجلها فى كتابه

ومن الموضوعات التى تناولها المؤلف مستقبل مصر الثقافى ، وأساليب النقد فى الادب المصرى ومعالم فن الكتابة . كما قام بدراسة قيمة لطائفة من الكتاب المعاصرين أمثال محمود تيمور والشاعر دانزيو والفيلسوف بابينى والقاضى ايفان بونين أحد الذين ظفروا بجائزة نوبل فى الادب . كما ان الكتاب يحوى سياحة فى عالم الفكر أمام آثار أبى الوجود ومعابد الاقصر وعقيدة اخناتون

ولا يضير الكتاب ان لا يتفق ورأى القارىء من بعض نواحيه الفكرية . فلكل أديب وجهة نظر تختلف عن غيره ، وانما الخير فى الغاية ، وهى الاخلاص للادب وحرية الرأى ، وهذا ما نلمسه بين ثنايا « ساعات الصمت »

النوم والأرق

للاستاذ أبو مدين الشافعى

مكتبة النهضة المصرية . فى ٥٠ صفحة

ليس النوم عملية جسمية فحسب ، بل هو عملية نفسية أيضا . وكذلك الارق قد ينشأ عن سبب فسيولوجى ، وقد يرجع الى حالة سيكولوجية . وعلى الرغم من أن عملية النوم تتكرر كل ليلة الا أنها من أكثر الامور غموضا على الانسان ، فهو لا يزال يجهل كثيرا من الاسباب التى تدعوه للنوم ، وعن مدى نشاطه أثناء النوم ، وعن طرق الانتقال من اليقظة الى النوم ثم العودة الى اليقظة ثانيا ، وعما يطرأ على الانسان من الارق ووسائل دفعه والخلاص منه

وهذه هى الامور التى يعالجها مؤلف هذه الرسالة فى دقة البحث العلمى وفى تبسط الكاتب الاديب . والمؤلف شاب نابه من شباب المغرب المثقفين ، أوفدته بلاده فى بعثة الى جامعة فؤاد الاول ، فتفرغ لدراسة الفلسفة بوجه عام وعلم النفس بصفة خاصة ، وكان له فى هذا الموضوع دراسات وفصول دلت على عقلية علمية ناضجة تمتاز باجادة الدرس ، ودقة البحث ووضوح الاسلوب . وكذلك عنى المؤلف أثناء اقامته بمصر بدراسة كثير من نواحى النشاط الاجتماعى فى المدن والقرى ، فاكتسب ثقافة اجتماعية نافعة الى جانب ثقافته العلمية الوافرة . ولهذا امتازت كتاباته فى علم النفس بالجمع بين حقائق العلم

المجردة ووقائع الحياة القائمة ، ولهـذا كانت موضع تقدير الخاصة من الباحثين ، كما كانت موضوعا شائقا لجمهرة القراء

توفيق الحكيم

للدكتور اسماعيل أدهم
والدكتور ابرهيم ناجي
دار سعد مصر ٠ فى ٢٣٥ صفحة

انتهز الأديب الكبير الاستاذ سامى الكيال فرصة وجوده فى مصر فنشر هذا الكتاب ، وهو بقلم الدكتور اسماعيل أدهم الذى انتحر فى بدء هذه الحرب ، وقد عرض فيه الى مؤلفات توفيق الحكيم حتى عام ١٩٣٨ عرضا شاملا ، ولم يترك ناحية فيما يتعلق بأدب الحكيم وحياته الا درسها درسا دقيقا محكما

وقد قام الدكتور ناجى بدراسة أخرى مستقلة نفذ فيها الى الملتويات الغامضة فى نفسية الحكيم فجلاها أدق جلاء ٠ وليس هذا بغريب على الدكتور ناجى فهو من أقدر الكتاب على استكناه الشفوف الملهمة فى طبيعة الادباء

لذلك كان الكتاب الذى تقدمه للقراء دراسة تحليلية بارعة ، فلكل من مؤلفيه اتجاهه ونظرته فى الادب ، الاول من الناحية التاريخية التحليلية والآخر من الناحية السيكولوجية العلمية

وما أحوج أدبنا الجديد الى ان يخضع لهذين العاملين الهامين لا سيما فى التراجم الادبية

أسرار المراهقة فى الفتاة

للدكتور شخاشيرى
مطبعة دار التعاون الصحفى ٠ فى ٨٨ صفحة

كلما تزودت الفتاة فى دور المراهقة بمعرفة الحقائق الجنسية ، كانت أثبت وأرسخ أمام العواصف النفسية والاجتماعية التى تعصف بالفتيات عادة فى هذا الدور من أدوار الحياة والكتاب الذى بين أيدينا حوار دائر بين والدة وابنتها حينا وبين والد وابنته حينا آخر على دور المراهقة ٠ وقد وفق المؤلف فى اختيار الموضوعات الصحية والاجتماعية والاخلاقية التى لا غنى لكل فتاة عن الالمام بها فى هذا الدور الخطير ، الذى يعد ركنا كبير الشأن يقوم عليه نظام صحتها وسعادتها

وقد عالج المؤلف هذه الموضوعات فى لباقة وحيطة ورفق ، جديرة بالتقدير والثناء

التعاون الثقافى بين الأقطار العربية

للاستاذ عبد الله مشنوق
مطابع الكشاف ٠ فى ١١٩ صفحة

يقول المؤلف فى تقدمة هذا الكتاب : « لاول مرة فى التاريخ العربى يجتمع الخبراء والاخصائيون من مختلف الاقطار العربية فى صعيد واحد ليبحثوا مشاكلهم الثقافيـة وليضعوا الاسس الصـالحة للتعاون الثقافى فيما بينهم ، فرأيت ان اكتب خصيصا لهذه المناسبة السعيدة هذه الفصول عن التعاون الثقافى ، كيف أفهمه ، وما هى انجع الوسائل لتحقيقه ، وما هى النواحى التى ينبغى له أن يشملها »

والاستاذ عبد الله مشنوق من الادباء المعروفين بغزارة العلم ودقة البحث وسعة الاطلاع ، كما ان روحه كما تبدو من كتابته روح وثابة طموحة ، تفيض صراحة ووطنية واخلاصا ٠ لذلك كان كتابه بحثا نفيسا قيما ٠ وليس من شك فى أنه سيقع من نفوس المهتمين بالجامعة العربية فى المكان اللائق ، لما تضمنه من التوجيهات السديدة لتحقيق هذا التعاون على أوسع نطاق

خفايا الحياة الجنسية

تعريب الاستاذ وجيه الصباغ
دار اليقظة ٠ فى ١٧٤ صفحة

من أقوال شكسبير المأثورة : «وددت ألا يكون عمر للمرء بين العاشرة والثالثة والعشرين ، أو

أن يغزو الشباب طوال تلك السنين ، فليس بين هذين العصرين الا الفجور بالنساء والاساءة الى السلف والنهب والقتال »

وعلى الرغم مما فى هذه العبارة من المبالغة والتطرف الا انها تحمل بعض الصدق ، ويقول علماء النفس والتربية ان العادات السيئة التى اعتادها الكثيرون من الشبان والتى كثيرا ما تقوض صروح صحتهم وسعادتهم ترجع فى الغالب الى جهلهم بالمسائل الجنسية . ولقد درجنا فى الشرق عامة على اعتبار هذه الامور أسرارا يعتبر الخوض فيها ضربا من اللهو الفاسق

والكتاب الذى يقدمه الاستاذ وجيه الصباغ يعطى القارىء صورة صادقة لما يجب على الشباب معرفته من النواحى التناسلية والاجتماعية والصحية وأسلوب المؤلف سهل واضح يتسم بالصدق والصراحة

الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية

للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

دار المنار . فى ١٩٩ صفحة

أصدرته « دار المنار » وهو من تأليف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مع شرح وتعليق بقلم السيد محمد رشيد رضا . والكتاب دائرة معارف اسلامية ، رد فيه المؤلف على كثير من الشبهات التى ألصقت بالدين الاسلامى ، كما بين حقيقة هذا الدين وخدمته للعلم والمدنية وقارن بينه فى ذلك وبين المسيحية . وذكر نبذة تاريخية لكل منهما ، ثم بين حالة المسلمين الحاضرة وبحث عللهم وأمراضهم الاجتماعية كما بين علاجها . وهو بوجه عام كتاب قيم جدير باطلاع الباحثين فى الاديان ، وقد اختتم الكتاب ببحث فريد فى نوعه عن فلسفة ابن رشد ومذاهب المتكلمين بقلم المؤلف أيضا

الشوامخ

الشعر الجاهلى : خصائصه وأعلامه

للدكتور محمد صبرى

مطبعة دار الكتب . فى ١٥١ صفحة

هذا الكتاب هو الحلقة الثانية من «الشوامخ» وهى مجموعة دراسات شائقة يقوم بها الدكتور محمد صبرى ، أحد أدبائنا المطبوعين الموهوبين الذين يعتز بهم الادب العربى ويدين لهم بالكثير من البحوث . وهو يقول فى تقدمة هذا السفر النفيس : «كنا عقدنا النية على أن يكون البحترى الحلقة الثانية ، ولكن تبين لنا أنه لاجل اظهار مكانة امرىء القيس من الشعر الجاهلى من ناحية واظهار كنوز ذلك الشعر أو الدلالة عليها من ناحية أخرى لم يكن لنا بد من جعل الحلقة الثانية دراسة خصائص الشعر الجاهلى وأعلامه

ولا ريب أن خير وسيلة لدراسة الشعر العباسى والشعر الحديث عامة هى دراسة الشعر الجاهلى أولا والرجوع الى « عمود الشعر » الذى تكلم عنه مشايخ النقد . كما أن خير وسيلة لدراسة الشعر الجاهلى هى الانتباه الى الصلة الدقيقة التى تربط النثر الجاهلى بالشعر الجاهلى ، وبعبارة أدق درس المحيط والبيئة التى نشأ فيها الشعر وتمكن والى الصلة التى تربط ذلك الشعر بآداب العرب وفنونه من نحت وتصوير

وقد أبرز المؤلف فى الفصل الاول من كتابه شاعرية العرب أو روح الشعر فى النثر الجاهلى ثم تحدث عن خصائص الشعر الجاهلى ، ثم تناول ناحية التمثيل والتصوير وأثرهما فى شعر الفحول. وقد وفق المؤلف كل التوفيق فى أن يظهر للقارىء الكثير من روائع الشعر فى هذا العصر ، وان يفتح له منه كل باب مغلق

بين الهلال وقرائه

المستعمرات التعاونية

(السودان) ك . ع

أرجو افادتي عن النظام المتبع في المستعمرات التعاونية بفلسطين وعما اذا كانت الحركة التعاونية قد نجحت هناك

(الهلال) المستعمرات التعاونية في فلسطين تتألف من اقطاعيات يخصص كل منها لعائلة تقوم باستغلالها وقد روعي في مساحة الاقطاعية أن تكفي حاجة العائلة ، والفائض من الغلة يصرف على تقدمها وتسديد ما عليها من الديون والضرائب والتعهدات وينشىء صاحب الاقطاعية المنشآت اللازمة ويزيد من عدد ماشيتها تمشيا مع رخائه . والاقطاعية لا تعتبر ملكا يمكن التصرف فيه بالبيع أو الوصية الا أن الابناء يرثونها عن الآباء

ويجمع الاقطاعيات في المستعمرة التعاونية نظام تعاوني في عمليات البيع والشراء لمنتجات الزراعة ولوازمها . وفي الشؤون الاجتماعية مثل مسائل التعليم والامور الصحية ومكافحة الآفات العامة

معارك الليل

(بور سعيد) م . ى . ص

هل يكف الجنود عن القتال في الحرب الحالية ابان الليل ؟

(الهلال) يجيب الملازم الاول محمد خيري بادارة الشؤون العامة عن هذا السؤال بالنفي ويقول ان الحرب الحالية أصبحت حربا ليلية أكثر من أي حرب مضت ، ويرجع ذلك الى أن العمليات الليلية تؤدي — دائما — نتائج هامة جليلة منها الاقتصاد في الرجال والظفر بعنصر المفاجأة ، على أن السبب الرئيسي أو الدافع القوي الذي ترتب عليه ازدياد مثل هذه الحركات في الوقت الحاضر هو مدى ما بلغه الطيران من تقدم سواء أكان ذلك في سرعته أم في طريقة القاء القنابل على الوحدات المعسكرة أو الزاحفة وقوته الخارقة في الاكتشاف والمراقبة « كعيون للجيش »

ولقد قام الروسيون بعدة هجمات ليلية في الحرب الحاضرة صادفها النجاح التام مستخدمين في ذلك جميع الاسلحة مصحوبة بالدبابات والفرسان . وقد جاء في مذكرات التدريب البريطاني بصدد التدريب الليلي « يجب على جميع الوحدات — كلما تيسر — ان تزاول التدريب الليلي ثلاث ليال في الاسبوع على أقل تقدير ، بل يوصى مشددا على العمل الليلي باستمرار لمدة اسبوع ، ويراعى في بداية الامر ان يلقن الافراد كيفية التحرك والملاحظة والانصات في الليل .. بحيث تصبح للوحدات المقدرة والكفاية على العمل في الليالي المظلمة كما لو كانت في ضوء القمر »

العفة

(الاسكندرية — مصر) عمر محمد : كلية الحقوق

هل العفة قبل الزواج أمر ميسور للشاب ؟

(الهلال) نؤمن بأن الشاب اذا كان قوي الارادة شديد العزيمة تمكن من قمع غرائزه والسيطرة عليها . وثمة أمور يجب على الشاب مراعاتها اذا أراد أن يكون عفيف النفس والجسد ، أولها الابتعاد عن الصور فهي تثير الغرائز الجنسية وتوهن الارادة . وقد كان القدماء يقولون : ان

باخوس « اله الخمر » يقود الى فينوس « اله اللذة » . كما يجب أن لا يصاحب الشاب رفاق السوء وان يتجنب قراءة المجلات الخليعة والتطلع الى صور الاجساد العارية . كما يجب قضاء أوقات الفراغ فى الهوايات البريئة المفيدة كالرياضة والموسيقى وغيرها ، فالرغبة الجنسية تنمو وتقوى عادة كلما أصغت الفكر الى نداءاتها

الخوف

(العريش — مصر) م. حسين

هل الخوف طبيعى فى الانسان ؟ وهل يمكن التخلص منه ؟ وما هى الوسائل الفعالة لمكافحة هذا الداء ؟

(الهلال) يرى كثيرون من علماء النفس أن الخوف غريزة تحتل المنزلة الثانية من بين الغرائز الفردية . وتظهر آثار الخوف منذ الشهر الاول فى حياة الطفل

وعلى مر الايام ، وبكثرة التجارب ، يضعف الخوف ولكنه لا يفارق الانسان . والخوف الغريزى آخذ فى الضعف الآن ، ولكنا لا نزال نسمع عن اشخاص لا يزالون يخافون من القوى الطبيعية كالرعد والبرق والنار أو بعض انواع الحيوانات الحقيرة كالصراصير والفيران . وهذا يرجع الى الوراثة الفردية أو الاجتماعية أو الى أمراض عصبية

والخوف الضعيف المعقول الذى يدعو الى الرزانة والحزم والتبصر فى الامور نوع مستحسن من الواجب تشجيعه أما الخوف الشديد الذى يحمل على الجبن والتقاعد فيرجع عادة الى تربية الطفل

ومن القسوة أن يتغاضى الآباء عما يظهره أطفالهم من الخوف ، بل ينبغى ان يتفاهموا معهم ويحاولوا اقناعهم بخطئهم ، كما ينبغى الا يلجأوا الى تخويفهم وقص الحكايات الخرافية المخيفة عليهم

ميثاق الجامعة العربية

(العراق) أحمد الاهوانى

أرجو افادتى عن خلاصة ما تضمنه ميثاق جامعة الدول العربية الذى تم توقيعه فى القاهرة

(الهلال) يتألف الميثاق من عشرين مادة ، تتضمن أهمها تأليف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على الميثاق ، على أن يكون لكل دولة عربية مستقلة حق الانضمام الى الجامعة .. وأن يكون الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة فى شؤون البلاد العربية ومصالحها

وتعاون الدول المشتركة تعاونا وثيقا بحسب نظم كل منها وأحوالها فى الشؤون الاقتصادية والمالية والثقافية والاجتماعية والصحية وفى شؤون المواصلات والجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين . وسيكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فيها ، لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها ، على أن تكون القاهرة المقر الدائم للجامعة ، وللمجلس ان يجتمع فى أى مكان آخر يعينه . وهناك مادة تنص على انه لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو اكثر من دول الجامعة ، على ان يتولى المجلس فض الخلافات وقراره فى مثل هذه الاحوال نافذ وملزم . وتنص مادة أخرى على وجوب احترام كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الاخرى

وقد تضمن الميثاق ثلاثة ملاحق خاصة ، يتعلق الاول بفلسطين ، والثانى بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة فى مجلس الجامعة ، والثالث بتعيين الامين العام للجامعة

فهرس الهلال

الجزء الثاني من المجلد الثالث والخمسين



العدد الثالث من السنة ٥٣ -
مايو ويونيو ١٩٤٥ - يصدر في
يوليو ١٩٤٥

الهلال

صاحباها : اميل وشكري زيدان
رئيس التحرير : اميل زيدان

الجزء الثالث ـ السنة ٥٣
يوليو ١٩٤٥ ـ رجب ١٣٦٤

عنوان المكاتبات :
دار الهلال : مصر ـ البوستة العمومية

AL HILAL — Cairo, Egypt
(July 1945)

قيمة الاشتراك

٥٠ قرشاً في مصر والسودان
٧٥ « في الخارج أو ما يعادلها ٣٫٧٥ دولار
١٥/٥ جنيه انجليزي

Subscription Rates : Egypt and Sudan P.T. 50. — Other countries P.T. 75 or £-/15/5 or $3.75.



قران ميمون

يغتبط « الهلال » بأن يتوج صفحاته بهذه الصورة الرائعة لصاحبة السمو الملكي الأميرة فائزة مع سعادة عريسها الوجيه محمد علي رؤوف ليلة زفافهما . وينتهز هذه الفرصة ليرفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك والبيت الملكي الكريم أجلّ عبارات التهنئة . جعله الله قراناً ميموناً بالعز والسعادة

ماوراء المشكلات الحاضرة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« ان البوادر التي نلمحها في الآفاق المختلفة تخيل الينا أن عوامل البناء والوفاق أقوى وأدوم من عوامل الهدم والشقاق وان الفلاسفة — الذين نسميهم بفلاسفة السكك — على غير حق في التشاؤم »

يواجه العالم اليوم خطرا من أعجب الاخطار : خطرا نفسانيا وليس بخطر من أخطار السياسة أو المال ، وهو اعتقاد كل فريق من المشتركين في الشؤون العالمية الكبرى أن الفريق الآخر لا يريد الشروع في حرب جديدة وانه يقبل كل محظور قبل التفكير في دفع الامور الى ميادين القتال . أى أن الخطر الاكبر اليوم انما هو « أمان الحرب » لا توقع الحرب والاسراع الى التوجس من وقوعها

هذا الاعتقاد خطر كبير يطالب الساسة بالتغلب عليه ، لان الخوف من الحرب قد يبعث أصحاب القضايا المشتبكة الى الاعتدال والاناة ، ولكن الامان منها قد يدفعهم الى المغالاة والعناد ، وليس وراء المغالاة والعناد الا القطيعة وما وراء القطيعة من الشرور

فالذي نعتقده أن المشكلات القائمة بين الدول الكبرى لا تنجم عن رغبة في القتال أو رغبة في امتداد ميادينه ، بل تنجم عن رغبة كل دولة منها في ضمان التعمير وانتظام برامجه بغير انقطاع ولا اختلال في الحيز الذى يعنيها من الكرة الارضية

وبرامج التعمير في الولايات المتحدة أسهل من برامجه في بريطانيا العظمى أو اتحاد الامم السوفيتية ، لانها تريد التعاون بينها وبين شعوب الامريكتين وهو تعاون ميسور مطلوب من الجانبين ، وتريد المحافظة على علاقات المودة بينها وبين بريطانيا العظمى وبينها وبين الامم السوفيتية وكلتاهما تحتاج الى هذه المودة وتقابل هذه الرغبة بمثلها ، وتريد القضاء على اليابان وهى بغيضة الى جميع الدول التى انتصرت في الحرب الحاضرة ، وقد يقع الخلاف على سيطرة الصين وتوزيع الاملاك اليابانية بعد هزيمة اليابان ولكنه خلاف لا يتفاقم ولا يضير كثيرا ، لان أبناء الصين أنفسهم هم خير حكم في هذا الخلاف

ذلك جملة ما تريده في السياسة العالمية ، وليس لديها في السياسة الداخلية مشكلة حادة تنذر بالتمرد أو الانقلاب ، لان طبقات البلاد متوازنة بين الصناع والزراع ، وآمال الصناع في الانصاف مع بقاء النظام الحاضر أكبر وأقوى من آمالهم المجتمعة في كل نظام

وللولايات المتحدة خطة ترمى الى السير عليها فى مسائل الاقتصاد الدولية وهى فتح الاسواق وتثبيت العملة بانشاء مصرف عالمى يضمن نقود الاوراق برصيد من الذهب والفضة ، ولكنها تسلك فى هذه الخطة مسلك الدائن العاقل حيال المدين الذى يرجى انتعاشه ثم يرجى وفاؤه أو نفعه . فاذا اقتضى الامر أن يسمح لمدينه بسوق خاصة ينفرد بمكاسبها ، أو بالانتفاع من حركات الاوراق التى تدخل فى معاملاته فهو لا يضيق عليه ولا يحرجه ولا يأبى أن يترك له الفرصة أو الفرص الكثيرة لاستئناف القدرة على الاخذ والعطاء

أما بريطانيا العظمى فليس الامر معها بهذه السهولة ولا بهذه البساطة ، لانها تريد التوفيق بين مطالب كثيرة لا يسهل التوفيق بينها ولا تتوقف كلها على ارادتها

فهى « أولا » تريد التوسع فى التصدير الى البلاد الخارجية ولا تضمن التغلب على مزاحمة الاسعار الرخيصة فلا بد لها من اسواق خاصة ولا بد لها من اقناع هذه الاسواق بمعاملتها دون غيرها

و « ثانيا » تريد الوفاء بديونها الثقيلة فى الحرب العالمية ، ولكنها لا تستطيع ان تعطى هذه الديون دفعة واحدة بضاعة حاضرة ، لاحتياجها الى الثمن العاجل فى أعمال الترميم وفى ضمان « التأمين الاجتماعى » لطبقة العمال وأصحاب المعاشات والمكافآت

و « ثالثا » تريد أن تحارب « التضخم المالى » فى البلاد التى تعاملها لانها قبل كل شىء بلاد شارية ، ولكنها تعانى فى ذلك صعوبة واضحة لان « التضخم المالى » انما يحارب بارسال البضائع وسداد الديون

وأقرب الوسائل عندها الى التوفيق بين هذه المطالب المتناقضة أن تتولى السمسرة على نقل البضائع بين الاقطار المختلفة ، وان تشجع انشاء الصناعات الصغيرة والوسطى فى الاسواق التى تعاملها ، لان انشاء هذه الصناعات يغنى الاسواق المحلية بعض الغنى ويجدد حركة التبادل بين الخامات والمواد الصناعية الاولية ، وعندها هى هذه المواد وعند الامم التى تعاملها خامات أو محصولات زراعية فى حكم الخامات ، وان استنفدت طعاما ولم تدخل فى أعمال الصناعة

ومن ثم يظهر الفرق بين برامج الولايات المتحدة وبرامج بريطانيا العظمى ، ويظهر لنا أن الولايات المتحدة ستقبل التوفيق بين الخطتين جريا على خطة « العميل الحكيم » كما أسلفنا ، لانها تستفيد من بريطانيا العظمى وهى واقفة على قدميها ولا تستفيد منها عاجلا ولا آجلا وهى رازحة تحت أعبائها

أما روسيا أو اتحاد الامم السوفيتية فهى أحوج الدول الثلاث الى السلام والمعاونة، لانها مضطرة الى الترميم والى ادارة المصانع واقامة السكان فى المواضع التى شملها الخراب ، والى فتح الطرق وبناء السكك من جديد ، وهى لا تأمن على « برامج التعمير » عندها الا اذا أمنت على حدودها واطمأنت الى نظام الحكم فى الشعوب المجاورة لها ، ولا يتأتى لها ذلك الا اذا انتظمت المعيشة بين أبناء تلك الشعوب ، ولن تنتظم المعيشة بينها بمجهودات الروسيين

وحدهم ، لانهم يحتاجون الى معاونة الولايات المتحدة على الأقل فى تنظيم شؤون روسيا نفسها ، فضلا عن البلدان التى تجاورها

ومن رأى بعض الساسة الاشتراكيين ان الاستقرار فى أوربا يثبت أحزاب اليمين فيها ، وان المشكلات الاجتماعية تشجع أحزابها الشمالية ، فاذا خطر هذا الخاطر لبعض ذوى الرأى من الروسيين فرحبوا بالمشكلات التى تضطرب بها الحياة الأوربية فالعقلاء منهم يعلمون أن أعمال التعمير أعجل فى الوقت الحاضر وأولى بالتقديم ، لان الامم المضطربة لا تعمر نفسها فضلا عن تعمير غيرها ، ولانهم لن ينهضوا وحدهم بأعباء أوربا اذا سقطت عليهم ، واذا هى سقطت عليهم وتخلوا عنها ونفضوا الايدى منها فهم الخاسرون

ويخيل الينا ان ساسة الروس يقنعون بقيام الاحزاب القوية من جماعات الشمال فى أمم أوربا وان لم تقبض على زمام الحكومة ، لان هذه الاحزاب تستطيع ان تحول بين حكوماتها وحركات العدوان التى تتوجه بها نحو الدولة الروسية ، وتستطيع ان تحقق بعض المطالب لاصحاب الايدى العاملة ، فتنصرف الدولة الروسية الى برامج التعمير وتأمن من انقطاعها أو اختلالها فى زمن قصير

***

تلك بعض المشكلات الخفية من وراء المشكلات الظاهرة فى الامم المنتصرة

وهناك مشكلات الامم المهزومة وهى فى الواقع قد أوشكت ان تصبح من مشكلات المنتصرين علاوة على مشكلاتهم الكثيرة

فلا بد من قمع المهزومين ، ولكن لا بد كذلك من اقامتهم على أقدامهم لئلا يكونوا عالة دائمة على كواهل الامم الديمقراطية ، وانما يتسنى للامم الديمقراطية ذلك كلما جعلت المهزومين قوة شارية وقوة منتجة فى وقت واحد ، وأقرب الوسائل الى تيسير هذا الغرض تشجيع الزراعة فى ألمانيا وايطاليا واليابان مع الابقاء على الصناعات الصغيرة والصناعات الوسطى فى كل منها ، وبهذا يدبرون العمل للصناع والزراع ويأخذون من لا عمل لهم فى بلادهم لتعمير المدن المخربة حيثما احتاجت اليهم ، وهو غرض سهل الايجاز على القرطاس ، ولكنه لن يخرج من حيز القصد الى حيز الواقع بمثل هذه السهولة

الا أن البوادر التى نلمحها فى الآفاق المختلفة تخيل الينا أن عوامل البناء والوفاق أقوى وأدوم من عوامل الهدم والشقاق ، وان الفلاسفة الذين نسميهم « بفلاسفة السكك » على غير حق فى التشاؤم بهذه البوادر وفيما يتصايحون به من خيبة الأمل وبطلان العبر والمواعظ ! لان البيت الذى يكنس وينفض فى خمس سنوات لن ينقطع الغبار من حوله فى خمسة أسابيع . وليس أيسر من الصياح ولا أصعب من التفاؤل المقرون بالصبر وحسن الانتظار

عباس محمود العقاد

مصاير الدكتاتورين

فى التاريخ الحديث ..

بقلم الأستاذ محمد رفعت بك
مراقب التعليم الثانوى

عرف الناس منذ ان نظموا أحوالهم بواسطة حكومات اختاروها لانفسهم أو فرضت عليهم فرضا أن الحكومة معناها القوة ذلك لان واجب الحكومة يقتضيها دائما اتخاذ القرارات وتنفيذ الاحكام على أفراد الشعب ولا سبيل الى اقناع الشعب بقبول هذه القرارات أو الاحكام طوعا الا اذا كانت القوة فى النهاية أداة للتنفيذ . ولا يزال الانجليز يعبرون عن الحزب الذى يتولى الحكومة انه متمتع بالقوة in power . فالقوة اذن عماد الحكومة والوصول الى هذه القوة هو عماد السياسة

والقوة فى حد ذاتها ليست خيرا كما انها ليست شرا وانما يتوقف خيرها أو شرها على طريقة استعمالها وعلى البواعث التى تحركها . ومن هنا جاء خطر القوة وتولدت بأهميتها والقوة فوق ذلك مثل الثروة لها جاذبية واغراء وسلطان على النفوس لا يقاوم ، وهى مثلها أيضا يمكن اساءة استعمالها بمختلف الطرق وبكل سهولة

لذلك حرصت الشعوب التى استيقظ فيها الشعور الوطنى وارتفعت بينها القيم الادبية، على مراقبة الملوك والوزارات والهيئات التى بيدها القوة وابتدعت مختلف الطرق لمحاسبتها وضبطها ومنعها من اساءة استعمالها . ويكاد يكون تاريخ القرن التاسع عشر فى أوربا كله محاولات لتوجيه الجهود نحو بلوغ هذه الغاية بواسطة اصدار النظم والدساتير التى وضعت اللجم بين أسنان الملوك والحكومات وجعلتها تسير فى طريقها ولكن بخطى وئيدة حذرة غير جامحة

***

ولكن الناس وجدوا بالتجربة المرة ان الدساتير وحدها لا تكفى لكبح جماح القوة ، وانه لا بد ـ لضمان عدم اساءة استعمالها ـ من أن يكون هناك توازن بين قوة الحكومة والقوة المحاسبة أو الرأى العام الممثل فى هيئاته النيابية وفى صحفه ومعاهده ومنابره الخطابية ، فاذا اختل هذا التوازن كانت النتيجة واحدة من اثنتين : اما أن تطغى الحكومة بالقوة فتستأثر لنفسها بجميع السلطات ، وهذه هى الدكتاتورية سواء كانت فى الحكم الاكثرية أو الاقلية أو حكم الفرد . واما أن يطغى الرأى العام على الحكومة فتكون الثورة

ولا تزال الحكومات والشعوب فى أخذ ورد بشأن الاستحواذ على القوة هنا أو الحد منها هناك حتى يوجد التوازن فى الداخل أولا ثم بين الدول فى الخارج

ولا نريد ان نستقصى هنا نشأة الدكتاتورية عند الاغريق أو الرومان القدماء ولا أن نستعرض مصاير الملوك والاباطرة الذين استبدوا بالحكم فى بلادهم وأصابوا فشلا ذريعا أودى بحياة بعضهم فى النهاية .

ولكنا فى هذا الوقت الذى ارتبطت فيه مصالح الشعوب وانمحت أو كادت المسافات الزمنية والمكانية بل والثقافية التى كانت تفصل الشعوب بعضها عن بعض يهمنا أن نقف على مصاير الملوك والدكتاتورين الذين سولت لهم أنفسهم أن يبنوا مجدهم ومجد بلادهم على أساس من السيطرة والقوة الغاشمة التى تشل الحريات وتسخر الافراد والنظم لخدمة الحاكم واطماعه ثم لا تلبث أن تتطاول حتى تتعدى حدود الدولة وما جاورها ويستهدف لشرها العالم كله

هؤلاء الملوك أو القادة يتمثلون فى لويس الرابع عشر ملك فرنسا ونابليون بونابرت امبراطور فرنسا ووليم الثانى امبراطور المانيا وأخيرا فى هتلر زعيم المانيا

***

ولقد تضافرت القوى والمصادفات العجيبة فمهدت للويس وفرنسا سبيل الظهور والتفوق فى أواخر القرن السابع عشر فقد خرجت امارات ألمانيا من حرب الثلاثين سنة مهيضة الجناح منهوكة القوى وكان اذلال أسرة هبسبرج فى الحرب حافزا للويس على رفع شأن أسرة البوربون فى أوربا بدلا منها . وكانت اسبانيا منذ هزيمتها فى حرب الارمادا قد نزلت من الصف الاول بين الدول كما ان هزيمتها فى حرب الثلاثين سنة قد زادت فى ضعفها رغم استحواذها على ممتلكات شاسعة فى أوربا وفى أمريكا . وكذلك كانت انجلترا بعد عودة الملكية اليها أيام ملكها المستهتر شارل الثانى تنتقم لنفسها مما عانته فى عهد دكتاتورية كرمول من شدة وحرمان وشظف فى العيش فاستنامت فترة من الزمن واسترسلت فى ملذاتها واتبع شارل فى سياسته الخارجية خطة والى بها لويس قريبه فى المذهب الدينى وقريبه فى النسب أيضا

وكان من حسن طالع لويس ان خدمته الظروف فى الداخل أيضا فعند اعتلائه العرش كان الوزير مازارين قد قضى على حركة « الفرند » أو الحرب الاهلية وان وفق الى وزراء قادرين أخلصوا له الاخلاص كله وخدموا مصالح فرنسا خدمة جلى

فما ان مات الكردينال مازارين سنة ١٦٦١ حتى صمم لويس على أن يكون وزير نفسه فى جميع شؤون الدولة وان يكون الوزراء مجرد اداة لتنفيذ ارادته حتى لم تكن قيمة لتوقيع الوزير على أمر جل شأنه أو صغر الا اذا اعتمده الملك أو أذن به . وكان يقول عن حقه الالهى : « ان الله تعالى قد أعطى الشعوب ملوكا ليسوسوهم ويطيعوهم وانه تعالى وحده

الذى يحاسب الملوك على أعمالهم » وعلى ذلك أبطل لويس اجتماع مجلس طبقات الشعب الذى لم يجتمع منذ سنة ١٦١٤ وقصر عمل برلمان باريس على مهمة التسجيل للقوانين وأخضع الكنيسة والسلطات المحلية جميعا لارادته وقال : « أنا الدولة والدولة أنا » .

ولما رأى لويس ان انسجام الوحدة الداخلية ينقصه اخضاع طائفة « الهيجونوت » البروتستنت قرر أن تكون الوحدة الدينية شاملة كالوحدة الملكية فنقض لويس لائحة نانت التى ضمنت للهيجونوت بعض الحريات فأغلق مدارسهم ومعاهدهم وأبطل مستشفياتهم ومعابدهم وحرم عليهم التوظف فى الحكومة وافتن فى مضايقتهم حتى كان يكلف الجنود النزول فى بيوتهم كما كان يفعل أعوان « الجستابو » فى ألمانيا أخيرا حتى يتحولوا الى المذهب الكاثوليكى أو يهاجروا من بلادهم خفية خوفا من اضطهاد الحكومة . فهاجر من فرنسا فى تلك الفترة ما يقرب من ثلاثمائة ألف من أفراد هذه الطائفة النشيطة ناقلين معهم الى البلاد البروتستنتية التى كانت تنافس فرنسا كفاياتهم الفنية والصناعية والمالية مما عاد على فرنسا بأفدح الخسائر . ولا بد أن يكون القارىء قد قرن هذه السياسة العقيمة بالسياسة النازية التى اتبعها هتلر مع اليهود فى ألمانيا مع ملاحظة أن لويس فى مناهضته للهيجونوت كان يتقرب الى الكنيسة ويرضى ايمانه وشعوره الدينى وفقا للاعتقادات الدينية التى سادت فى القرن السابع عشر . أما هتلر فقد اضطهد اليهود وشردهم من ألمانيا فى القرن العشرين مدفوعا بعوامل لا تمت الى الدين بسبب

***

أما فى السياسة الخارجية فقد كانت فرنسا فعلا الدولة الاولى فى أوربا حربيا وثقافيا وماديا وكان الفرنسيون فخورين مزهوين بحكم ملكهم « الشمس » الذى بهرت أنواره دول أوربا وجعلت من فرنسا وملكها وتقاليدها مثلا عليا يحتذيها الجميع . فلو ان لويس واصل سياسة الاصلاحات العظيمة التى أقامها وزيره « كلبرت » ووجه جهوده نحو توطيد نفوذ فرنسا فى مستعمراتها وراء البحار فى أمريكا وفى الهند لاحتفظت فرنسا بمكانتها الاولى بين الدول غير منازعة . ولكن سرعان ما غلب على لويس « الجنون الفرنسى » ثم « الجنون الالمانى » أما الجنون الفرنسى فكان ولا يزال يرمى الى تأمين حدود فرنسا الطبيعية من جهة الشرق والشمال الشرقى وذلك بمدها الى نهر الرين شرقا . أما الجنون الالمانى فيرمى الى اعادة حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة ذلك الحلم الجميل الذى ما فتىء يداعب أجفان الدكتاتوريين فى أوربا منذ أن سقطت روما فى يد القبائل المتبربرة فى القرن الخامس الميلادى وما برح يسوقهم الى الهاوية حتى الآن . أما الجنون الاول فأدى به الى محاربة هولنده واحتلال استراسبورج متحديا الامبراطور وأدى به الجنون الثانى الى اثارة حرب أوربية عامة استمرت ثلاث عشرة سنة وعرفت فى التاريخ بحرب الوراثة الاسبانية اذ أراد بها لويس ان يثبت حفيده على عرش اسبانيا وان تكون له ممتلكاتها فى

عرض البحار وبذلك تمحى جبال البرانس التى تفصل بين فرنسا واسبانيا وتسيطر أسرة البوربون فى العالمين القديم والجديد

وما كادت تستبين هذه الاغراض حتى تكونت المحالفات الاوربية ضد لويس وكان قوامها انجلترا وهولنده وهما المملكتان الوحيدتان اللتان كانتا متمتعتين بحكم أقرب الى الديمقراطية . وفى هذه الحرب التى تعددت ميادينها اظهرت انجلترا قائدا حربيا فذا هو « جون تشرشل » الذى أصبح لورد «مارلبرو» واليه ينتسب مستر تشرشل وزير انجلترا الاكبر ، فقد حالفه النصر فى جميع المواقع التى اشتبك فيها مع قوات العدو ، وعلى الرغم من ان حفيد لويس قد احتفظ بعرش اسبانيا الا ان نتيجة الحرب كانت وبالا على فرنسا اذ افقدتها جزءا من مستعمراتها فى أمريكا لانجلترا وثبتت انجلترا على صخرة جبل طارق وبذلك مهد الطريق لتفوق انجلترا الحربى والاستعمارى وأخذت الكوارث تتوالى على لويس فى سنيه الاخيرة ففقد فى سنة واحدة ولى عهده وحفيده الاكبر ومات لويس على أثرهما سنة ١٧١٥ بائسا متهدما مكروها من الشعب مخلفا وراءه ملكا طفلا صغيرا وخزانة خاوية الى جانب اصلاحات معطلة وافلاس شامل أخذ يتفاقم فى عهد خلفائه حتى أدى فى النهاية الى الثورة الفرنسية

***

ولما قامت الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر ظن الناس أن صبح الحرية والمساواة قد انبلج وان الاستبداد والتعصب والامتيازات الفردية التى عصفت بالشعب الفرنسى قد زالت فى النهاية أو كادت وان عهدا جديدا قد بدأ يضيء لا على فرنسا وحدها بل على العالم بأجمعه . ولو ان نابليون بونابرت الذى آلت اليه تطورات الثورة فى النهاية ظل مخلصا لمبادئها عاملا على تحقيق غاياتها وكبح جماحها لافاد العالم من نابليون واصلاحاته فائدة كانت خليقة أن تبوئه مكانة الخلود فى تاريخ الانسانية العامة . ولكن نابليون ابن الثورة آثر كأسلافه من الدكتاتورين ان يضحى بالانسانية فى سبيل كبريائه ومطامعه . لقد تذوق طعم النصر فى ايطاليا وهو لا يزال شابا فتيا ، فأكبر نفسه وكفايته وازدرى غيره من الزملاء والقادة ورسم لنفسه طريقا سلطانيا يستحثه السير فيه لا نحو الزعامة فى فرنسا فحسب بل صوب تاج قيصر والاسكندر

وتنفيذا لهذه الخطة أخرج مشروعه العظيم بتسيير الحملة الفرنسية على مصر التى كان يريد بها مواصلة السير والعمل حتى يحول دون انجلترا وممتلكاتها فى الهند . ولما فشل مشروعه الشرقى وارتد عن حصن عكا ، أسرع الخطا الى فرنسا لعله واجد من ضعف حكومة الادارة ما يعوض عليه فشله ويفتح له آفاقا أوربية جديدة تغنيه عن مشروعه الاول فدبر تدبيره لاسقاط حكومة الادارة واقام حكومة القنصلية وجعل نفسه القنصل الاول ، ثم القنصل الاول مدى الحياة . وكأن الطريق بعد ذلك الى الامبراطورية سهلا ذلولا ، وان فى تتويجه امبراطورا فى سنة ١٨٠٤ لدلالة كافية على نيات نابليون فانه لم يتوج نفسه

ملكا كملوك فرنسا الاقدمين بل انساق وراء اسطورة الاسكندر وقيصر واتخذ لنفسه اللقب الذى كان يحمله « شرلمان » ، غير ان نابليون لم يذهب كسلفه الى روما بل حضر البابا بيوس السابع بنفسه الى كنيسة نردام باريس ليتوج «نابليون » وما كاد التاج يلمس مفرقه حتى أشاح بوجهه ورفع يديه وقال : « بيدى لا بيد البابا » !

ولم يكتف نابليون بمسح رأسه بزيت الامبراطورية المقدس بل أراد أن يمسح به على رؤوس اخوته وأقربائه حتى تتطهر الأسرة من أدران الديمقراطية ويجرى فى شرايينها الدم الأزرق الملكى ، فعينهم ملوكا وأمراء على ما فتحه من البلاد وكأنما فطن الى ان الدم الامبراطورى لا يستمد الا من دم امبراطورى أصيل فقرر أن يكون له ولى عهد من احدى الاسرتين العريقتين فى الامبراطورية : أسرة رومانوف فى روسيا أو أسرة هبسبرج فى النمسا . اما أسرة رومانوف فقد كان اسكندر الاول قيصر روسيا الذى عاهده ووالاه فترة من الزمن يكن فى دخيلة نفسه نية منافسة نابليون فى مطامعه وأمانيه الخيالية حتى تهيأ له الفرصة للانقضاض عليه ، وعلى ذلك لم يجبه الى طلبه . واما امبراطور النمسا وقد كابد الهزيمة أمام نابليون عدة مرات فلم يسعه سوى القبول فزوجه من ابنته « مارى لويزه » وهكذا ارتضى نابليون أن يخون النظام الجديد ليكون صهرا للنظام القديم !

ولكن انتصارات نابليون المتوالية فى ايطاليا والنمسا واسبانيا وتفوقه الحربى فى القارة الاوربية لم يفد منه نابليون شيئا كثيرا اذ كانت الشعوب المغلوبة على أمرها تضمر له الكراهية والانتقام وتنتظر قيام الساعة التى تثور فيها على غاصب حريتها واستقلالها وكانت انجلترا فى عهد نابليون كما كانت أيام لويس الرابع عشر وفى أثناء الحربين العالميتين واقفة بالمرصاد أمام الدكتاتوريين تكيد لهم وتنشىء المحالفات ضدهم وتدبر الخطط للقضاء عليهم ، وساند انجلترا الاول فى كفاحها عزلتها الجغرافية عن القارة وسيطرتها على البحار ، ومساحة البحار فى العالم تبلغ ضعف مساحة اليابسة أو أكثر من الضعف ، فمن كان يملك زمام البحر أمن فى النهاية الجوع والعوز والخوف وصان نفسه من أمتداد سلاح البر . هكذا كانت الحال الى أن جاءت الحرب العالمية الثانية فأضافت سلاحا حاسما جديدا هو سلاح الجو

اصطدم نابليون بهاتين الصخرتين الصلبتين من مطاولة انجلترا ومقاومة الشعوب فارتد نابليون خاسرا عن موسكو ثم انكسر فى موقعة « الامم » عند ليبزج وأخيرا هزمه ولنجتون الانجليزى وبلوخر الالمانى فى « واترلو » ، وحاول نابليون الهروب الى أمريكا على ظهر احدى السفن الفرنسية فتصدت له البحرية الانجليزية فلم يسعه الا الاستسلام لامير البحر الانجليزى « كيث » Keith وكان يظن ان الانجليز سيكرمونه كلاجىء الى بلادهم ولكن الانجليز لم يأمنوا جانبه فأرسلوه أسيرا الى « سنت هيلانه » ومعه طبيبه وثلاثة من اتباعه ، وهناك أصيب بالسرطان ومات سنة ١٨٢١ شهيد الحكم الانجليزى كما قال ،

والحقيقة ان تلك العبقرية الفذة فى التاريخ راحت ضحية اطماع صاحبها وخيانته لمبادىء الحرية والانسانية الكبرى

***

انتهى نابليون ولكن ذكرياته ظلت ماثلة فى أذهان الفرنسيين يتناقلها الناس ويتوارثها الابناء عن الآباء حتى اذا ما ولى الجيل الجديد حكومة البلاد طالب الملك لويس فيليب باعادة رفات القائد العظيم الى فرنسا فأرسل ابنه الدوق جوانفيل ليصحب النعش من المنفى الى أرض الوطن وكان الرفات بعودتها الى الوطن قد استردت حيويتها فألهبت شعور الفرنسيين وأشاعت فيهم روح الحماسة والثورة فأخذت المعارضة تشتد ضد لويس حتى قامت الثورة فى سنة ١٨٤٨ فاقتلعت الملكية وأقامت الجمهورية برياسة نابليون الثالث حفيد نابليون الاول الذى ما لبث أن أعاد سيرة عمه فقلب الجمهورية وأقام امبراطورية ثانية ما فتئت تعمل لاسترداد مجد فرنسا الحربى بالحق وبالباطل وتسخير الشعب فى خدمة أغراض الجالس على العرش حتى أصابها الخذلان والسقوط أمام قوة بروسيا الجارفة

وفى قصر فرساي سنة ١٨٧١ تألفت الامبراطورية الالمانية الحديثة وأساسها قوة الجيش الذى أنشأه بسمارك واكتسح به أقوى دول أوربا برا : النمسا وفرنسا فأصبحت المانيا بذلك أولى الدول فى قارة أوربا غير منازعة . ورأى بسمارك ان يدعم هذه القوة بالاستقرار واتباع سياسة حسن الجوار وتوجيه الجهود الى مناحى الرقى الاخرى فاستقبلت ألمانيا عهدا ساده السلام وحفل بأنواع النشاط العلمى والصناعى والفنى والتجارى ، كل ذلك على أسس علمية صحيحة تولاها الادارة البروسية المنظمة الدقيقة حتى أصبحت ألمانيا فى فترة قصيرة تنافس أعرق الدول فى الصناعة والتجارة والعلوم وتتبوأ المكانة الاولى فى عدد غير قليل من المنتجات الصناعية والعلمية كالاصباغ والعدسات والكيمائيات ، ولو قدر للامبراطور فريدريك وليم الاول المشهور بمبادئه الحرة أن يعيش ويطول حكمه لجنت ألمانيا ثمرة السياسة الحكيمة التى سار عليها بسمارك ولكنه مات سنة ١٨٨٨ وخلفه وليم الثانى وكان لا يزال شابا فى التاسعة والعشرين من عمره مشبعا بالروح الحربية التى بثها بسمرك مؤمنا كلويس الرابع عشر بالحق الالهى ويريد ان يقيم حكمه فى القرن العشرين على نفس الاسس التى قام عليها فى القرنين السابع عشر والثامن عشر والتى تقوم عليها عروش الديكتاتورين دائما مهما تباينت الشعوب واختلفت العصور ، وهذه الاسس هى الطموح الحربى والاستئثار بالحكم والدولة فوق الجميع . فاستغنى وليم عن بسمارك وبدأ ينفذ خطته الدكتاتورية وبذلك مهد وليم الثانى لسياسة العزلة والتنافس البحرى مع انجلترا وهى التى أدت الى الحرب العالمية الاولى والى انهيار الامبراطورية الالمانية ، ثم الى ظهور النازى ودكتاتورية هتلر مع ما تبع ذلك من قيام الحرب العالمية الثانية وانهيار المانيا كلية

محمد رفعت

قابلوا الفقراء ..
فى منتصف الطريق

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد
عميد معهد التربية بجامعة فؤاد الأول

كثيرا ما تكون الامور البديهية أعقد الاشياء على العقل الانسانى وأعسرها على الادراك . فان الانسان يمر بها كل يوم ولا يقف عندها للتفكير فيها . فانها تصبح مألوفة لديه وكأنها جزء من الطبيعة التى حوله

والانسان مطبوع على الميل الى الاستمرار فى اتجاهه الذى تعوده ، فهو قلما يعمد الى تغيير مألوفه الا اذا صدمته ظروف جديدة طارئة وجعلته يتعمد التغيير

وقد كان الانسان يعيش منذ القدم فى جماعات وكل نظمه وكل مشاعره متأثرة بطبعه الاجتماعى . بل ان المعانى التى تدور فى ذهنه لا يمكن وجودها على صورتها المعروفة له الا فى حياة اجتماعية

فالحرية مثلا لا معنى لها الا فى المجتمع ، واذا نحن تصورنا انسانا فردا يعيش وحده فى جزيرة بعيدة عن الجنس البشرى كله لما شعر بأى معنى لما نسميه نحن الحرية . بل ان معنى الفردية ومعنى الشخصية لا يمكن وجودهما الا فى الحياة الاجتماعية ، لان الفرد لا يحس بوجوده كفرد متميز عن سواه الا اذا كان يعيش مع أفراد آخرين من جنسه وأما معانى التعاون والصداقة والمحبة والمثل العليا الاخلاقية فهى من باب أولى معان اجتماعية لا يمكن أن تنشأ الا فى الحياة المشتركة

فمن الواضح أن الطبيعة الاجتماعية هى التى وجهت الانسان ولونت معانيه وحددت عقليته . ومع ذلك فمن العجيب أن الانسان لم يستطع أن يعرف أسرار هذه الحياة الاجتماعية ولم يتجه الى تنظيمها بحيث يجعلها صالحة مع انه كان منذ ملايين السنين يتأثر بها . فهذه الحياة الاجتماعية لا تزال الى اليوم تنطوى على ظواهر أقل ما يقال فيها أنها لا تلائم الانسانية ولا توافق المثل العليا التى ارتضاها البشر لانفسهم منذ عهود طويلة ، وقد كانت هذه الظواهر مبعث آلام شديدة متكررة على تعاقب الاجيال واختلاف الاجناس والبيئات . فما هو السر فى ان الانسان لم يدرك تلك الظواهر التى طالما سببت له الآلام والمتاعب ؟ وهل يمكن أن نقول انه قد أدركها ولكنه عجز عن مداواتها ؟ قد يكون السر فى ذلك هو ما قدمناه وهو ان الامور البديهية التى تمثل للعقل فى كل لحظات الحياة أعقد المعانى وأعسرها على الادراك . وقد يكون السر فى ذلك هو ما قدمناه كذلك وهو ان

الانسان ميال بطبعه الى الاستمرار على ما ألفه فى حياته الى ان يصطدم بما يحمله قسرا على التغيير

قد يكون السر هو هذا أو ذاك أو هما معا ولكن هذه الحقيقة فى ذاتها تحملنا على أن نواجه حياتنا الاجتماعية برغبة فى التحليل والفهم متعمدين ان ندرك أسرارها وظواهرها حتى يمكن أن نجعل المستقبل خيرا من الحاضر

ومن المفيد هنا أن نضرب مثلا لبعض الظواهر الاجتماعية التى كانت سببا فى خلق كثير من مشاكل الاجتماعية فى العصور الماضية . فالمجتمع الانسانى كان مقسما منذ أقدم الازمنة الى طبقات أو طوائف ، وكانت تلك الطبقات تختلف فيما بينها فى النفوذ والسلطة . فكانت هناك طبقات ممتازة ، وطبقات أخرى ممتهنة . فالطبقات الممتازة كانت دائما تفوز بأكثر خيرات المجتمع على حين كانت الطبقات الممتهنة لا تصيب الا الحد الادنى من الخير وهو المقدار الذى يمسك الرمق من الطعام والمقدار من الملبس الذى يكفى للحماية من قسوة الطبيعة

وكانت الطبقات الممتازة تختلف فى نوعها بين عصر وآخر ففى بعض العصور كانت الطبقة الممتازة هى طائفة الكهنة أو السحرة وكان أفرادها يسيطرون على العقول البدائية عند ما كان الانسان لا يزال فى أول أدوار تطوره تخيم على عقله الاوهام والخرافات

وكانت الطبقة الممتازة فى عصور أخرى هى طائفة المحاربين الشجعان الذين كانوا يقفون فى صدر المجتمع للدفاع عنه اذا دعا الداعى الى الدفاع ، فكان أفراد هذه الطائفة بطبيعة الحال يصبحون سادة المجتمع لما لهم عليه من الفضل ويفوزون بأكبر قسط من خيراته

وكانت هذه الطبقات الممتازة تورث نفوذها وجاهها لابنائها جيلا بعد جيل ، وكانت أحيانا تورثه لطبقة خاصة لا يشترط فيها أن تكون من أبنائها . فكان هذا يؤدى مع تغير الظروف الى أن يصبح المجتمع خاضعا لطائفة لا تدعو الى وجودها ضرورة

فاذا تغيرت الظروف وزالت الاخطار عن المجتمع فأصبح فى غنى عن وجود طبقة المحاربين ، أصبح وجود الطائفة الممتازة مشكلة اجتماعية ، لانها تفوز بالسيادة وتتمتع بخيرات المجتمع بغير أن تؤدى وظيفة اجتماعية ضرورية . وقد تستمر الحال على هذا الوضع الشاذ مدة طويلة قبل أن يفطن الانسان الى ضرورة تغييرها . ولا يفطن الانسان فى العادة الى ضرورة التغيير حتى يصطدم اصطداما شديدا بمشاكل لا يستطيع حلها الا بانقلاب فجائى عنيف وهو ما نسميه الثورة

ومن الامثلة الدالة على هذه الحقيقة فى التاريخ القريب الثورة الفرنسية . فان نظام الحكم قبل تلك الثورة كان قائما على وجود طبقة ممتازة من الاشراف وهم من أبناء الامراء الاقطاعيين القدامى الذين كانوا فى العصور السابقة حماة فرنسا . كان الامراء الاقطاعيون فى القرون الوسطى أصحاب فضل عظيم على فرنسا لانهم دافعوا عنها وحموها من الاخطار

الداهمة التى كانت تهددها من هجمات العرب فى الجنوب وهجمات قبائل المجر من الشرق وهجمات النرماندين من الشمال والغرب . ولكن أبناءهم الذين كانوا يعيشون فى القرن الثامن عشر كانوا لا يفيدون فرنسا فائدة ما بل كانوا يتمتعون بكل الامتيازات الموروثة لطائفتهم عن الآباء الاقدمين . فكانت فرنسا تشعر بثقل وطأة تلك الامتيازات مع احساسها بأن طائفة الاشراف لاتفيد المجتمع فائدة ما ولا تؤدى للبلاد وظيفة ضروريه. فكانت تلك مشكلة شديدة حركت عقول شعب فرنسا ، وأثارت نفوس عامة الاهلين ولم يلبث الامر أن أفضى الى الثورة الفرنسية الكبرى التى حطمت كل النظام الاقطاعى فى فرنسا والعالم أجمع . ولكن هذا التنبه الى فساد النظام لم يحدث الا بعد ان مضى زمن طويل كانت فرنسا تعانى فيه الآلام من مشكلة مستمرة ، ولا بد أن نذكر أن الثورة قد جرت معها كثيرا من الآلام والمتاعب . فهذا المثل جدير بأن يذكرنا بضرورة التوفر على بحث نظمنا الاجتماعية ، ومحاولة التغلب على الطبع الذى يميل بنا الى قبول ما القناه والاستمرار عليه بغير بحث ولا تفكير حتى لا نعرض أنفسنا الى التغاضى عن وجود مشاكل تسبب لنا كثيرا من الآلام ثم قد تفضى بنا أخيرا الى رجة عنيفة مدمرة

ونحن اليوم فى عصر بدأ العالم يحس فيه ضرورة التفكير فى نظمه القائمة ، وينظر الى المستقبل نظرة التوجس والحذر . فضى العالم أجيالا كثيرة وهو راض عن نظمه الاجتماعية مع أنها كانت قائمة على أساس وجود طبقات بعضها ممتاز وبعضها ممتهن . والطبقة التى كانت تسود العالم فى القرون الاخيرة هى طائفة أصحاب الاموال . فالمجتمعات فى العالم اليوم لا تزال الى حد كبير تخضع لامتياز طبقة محدودة من الشعب وان كانت تختلف فى نوعها عن الطبقات الممتازة التى كانت تقبض على السلطة فى المجتمعات القديمة

وقد نشأ نفوذ أصحاب المال منذ حدثت الثورة الصناعية وبدأت الصناعة تعتمد على الآلات بعد أن كانت تعتمد على اليد . فبعد أن كان أساس الصناعة هو العامل الفرد الذى ينتج انتاجا محدودا بيده فى مصنعه الصغير أصبح أساسها المصنع الكبير الذى ينتج انتاجا واسعا مستخدما عددا كبيرا من العمال يتخصص كل منهم فى عملية صغيرة من عمليات الصناعة . والمصانع الكبرى تحتاج الى الاموال الكثيرة لشراء الآلات وبناء المؤسسات الضخمة فأخذت الأموال أهمية كبرى فى ميادين الصناعة

وتحولت التجارة كذلك فأصبحت تعتمد على المؤسسات التجارية الكبرى التى تستخدم الاموال الطائلة فى اعداد المبانى وشراء السلع الكثيرة لتوزيعها

ونشأت الى جانب ذلك كله شركات كبرى للنقل يتكون رأس مالها الضخم من أسهم، يملكها الأفراد

وبهذا أصبح للمال مركز هام جدا فى الميادين الاقتصادية ، وما زالت أهميته تزداد حتى أصبح عاملا خطيرا قائما بنفسه . وصار صاحب المال يعتمد عليه وحده فى حياته ، فبعد أن كان العمل هو أساس الارزاق ، أصبح المال وسيلة مضمونة للارزاق . فأدى

هذا الى أن وجدت طبقة خاصة من أصحاب الاموال لا عمل لها الا التمتع بالايراد الذى يعود عليهم من رؤوس الاموال ، وصار من الممكن أن يوجد أغنياء يعيشون كأنهم عالة على المجتمع لا يعملون شيئا ويقضون الحياة فى متعة وترف وكسل . وكثير من هؤلاء يقضون حياتهم فى بلاد غير أوطانهم التى تدر عليهم الايراد يتنقلون بين المواسم العالمية الكبرى فى طلب المتعة وحدها

وكثيرا ما يحدث أن أمثال هؤلاء الاغنياء العاطلين من العمل لا يفيدون المجتمع أية فائدة ، ويحاولون أن ينالوا من الارباح النصيب الاكبر فيحرمون بذلك العامل من نصيبه العادل من الارباح التى تعود على المؤسسات الصناعية والتجارية الكبرى

وكانت الاموال تتكدس عندهم ، رغم كل ما ينفقونه فى حياتهم المترفة فتزيد مقدرتهم على شراء الاسهم فى المؤسسات الصناعية أو التجارية أو يؤسسون المصانع الجديدة والشركات التجارية الجديدة ويستأجرون من الفنيين والعمال من يقوم بادارة هذه المؤسسات ثم يأخذون من أرباحها القسط الاوفر . وهكذا أصبح المال سلاحا لا يقاوم فى الحياة . وامتد نفوذهم تدريجا فى الميادين الاخرى حتى صار لهم فى المجتمع أكبر نفوذ لا لشىء الا لانهم يملكون الاموال . وتمكنوا فوق كل ذلك من أن يستحوذوا على موارد الثروة من أرض زراعية ومن مناجم ومصانع وغابات ووسائل التعامل مثل البنوك ، ويتحكمون فى الاسواق ويسيطرون على أرزاق العمال . أو بقول آخر صارت المجتمعات تخضع فى أكثر بلاد العالم لسلطان أصحاب الاموال الذين يهيمنون على الانتاج وتوزيع الارزاق

حقا ان طبقة أصحاب الاموال ليست مقفلة ، بمعنى أن كل انسان يقدر أن يكون منها اذا استطاع أن يحوز الاموال بطريقة من الطرق . ولكن قد يمكن الفرد أن يصبح عضوا فيها اذا هو ربح فى يانصيب مثلا أو اذا كسب فى المقامرة أو عثر على كنز . وقد يمكن الفرد أن يصير عضوا فيها كذلك اذا واتاه الحظ فى التجارة

وكان الميراث عاملا هاما أدى الى أن يبدأ الفرد حياته وفى حوزته الالوف أو الملايين من الجنيهات فانضمت الى طبقة أصحاب الاموال طبقات جديدة بدأت الحياة بميراث من الاموال التى خلفها لهم الآباء

فيمكن أن يقال ان هناك شبها الى حد ما بين الطبقة الممتازة اليوم ، وبين الطبقات التى كانت ممتازة فى العصور القديمة . وقد أصبح لهذه الطبقة أهمية خاصة لانها استطاعت بطبيعة الظروف الاجتماعية الحالية أن تبسط نفوذها على الحياة السياسية والاجتماعية بشكل لم يسبق له مثيل فى أى عصر من العصور . فان الانتاج كله قد أصبح فى يد هذه الطبقة ــ انتاج الاقوات والضروريات والكماليات جميعها ــ وأصبح فى يدها كل مفاتيح التجارة والنقل . وقد نظمت شؤونها تنظيما عظيما فى شركات ضخمة ، واتحادات قوية صار لها أعظم الاثر فى توجيه السياسة . فالعالم اليوم لا يكاد يعرف الصانع الصغير ولا التاجر

الصغير بل يعرف أصحاب المصانع والمتاجر الكبرى والشركات العالمية الهائلة التى تطوى تحت جناحها ملايين الافراد من البشر فى صورة عمال وصناع يعملون جميعا بالاجرة على اختلاف درجاتهم وأصنافهم

وقد أدى هذا الوضع الى أن أصبحت المجتمعات مقسمة الى معسكرين أحدهما ينحاز نحو من بيدهم السلطة والآخر ينحاز نحو التحلل من السلطة . وظهرت أعراض كثيرة تنم عن نوع من الشادة التى تشبه العداوة بين من عندهم ومن ليس عندهم - بين الاغنياء وبين الفقراء . ومن أظهر هذه الاعراض حركات العمال من جهة واتحادات أصحاب الاعمال من جهة أخرى

ولم يقتصر الامر على هذه الشادة فى داخل المجتمع الواحد ، بل تعدى الامر الى حدوث مشادة دولية بين الدول التى عندها ، والدول التى ليس عندها . وأدى ذلك الى التنافس والتطاحن الذى انتهى بالحروب الكبرى التى مزقت العالم منذ أول القرن العشرين

فلا غرابة اذن فى أن العقل الانسانى قد تنبه مرة أخرى الى بحث المشاكل الاجتماعية الخطيرة الحاضرة . فان وجود هذه الشادة بين طوائف المجتمع الواحد ، ووجود هذه الشادة بين الدول المختلفة ، تتنافى مع فكرة تضامن المجتمع ، وتتنافى مع فكرة تعاون الانسانية . ولم يكن من العسير على قادة الفكر أن يضعوا أصابعهم على مواضع العلة التى أصابت المجتمعات . فأصل الداء كما يصوره المفكرون اليوم هو أن العالم قد ضل السبيل عند ما جعل قوة المال تسيطر على الحياة ، لان سيطرة المال على المجتمعات ضيعت كثيرا من الحقوق الانسانية والمثل العليا التى كسبتها الانسانية فى العصور الماضية بعد جهاد طويل

والعالم اليوم يشهد ثورة فكرية جديدة ترمى الى رفع علم العصيان على سلطة المال ، وقد قطعت بعض البلاد شوطا بعيدا فى ثورتها . واذا لم يستطع العالم أن يجد وسيلة لاصلاح نظامه كان لا مفر له من الاندفاع مع الثورة الفكرية الى حد لا تؤمن عواقبه

أصبحت الافكار اليوم تتجه الى دعوة جديدة وهى ان الواجب ان ينظر الناس الى مجتمعاتهم فيفحصوها ويحددوا أغراضها ويتبينوا حقوق أفرادها وواجباتها ويؤولوا مثلها العليا تأويلا جديدا يناسب الظروف الجديدة التى طرأت على العالم .

فما هى الأغراض التى وجدت المجتمعات الانسانية من أجلها؟ فهذه المجتمعات الانسانية لم توجد مصادفة ولا عبثا بل هى ضرورة طبيعية للحياة ذاتها . وقد وجدت لكى تكون متضامنة ، ولكى يكون لكل فرد فيها واجبات وله حقوق يقصد منها جميعا تمكين المجتمع كله من الحياة . فلا يمكن العالم أن يرضى بوجود طبقة تتمتع بالحقوق مع عدم تأدية الواجبات ولا يمكن أن يرضى عن عكس ذلك . والتضامن الاجتماعى لا يمكن ان يتحقق الا اذا قامت الحياة على العدل والمساواة . فلا بد أن يكون لكل فرد نصيب عادل من مقومات الحياة ، ولا بد أن يكون عليه نظير ذلك نصيب عادل من الواجبات الضرورية لحفظ المجتمع . وقد أحدثت الحرب الحالية تطورا عظيما فى الآراء لانها أظهرت بوضوح أن

أفراد المجتمع كلهم ضروريون لحفظه والدفاع عنه . ويجب عليهم جميعا أن يتضامنوا فى سبيل تحقيق غاية واحدة وهى حفظ المجموعة وتقدمها ولهذا لم تجد الدول كلها بدا من الاتفاق على أن العدالة واجبة ــ العدالة بالمعنى الاوسع الذى يشمل العدالة فى توزيع الارزاق وفى الحالة الاجتماعية للافراد

بل لقد بلغ من ايمان الدول بالعدالة الاجتماعية ان جعلتها أساس السياسة العالمية كلها فليس ميثاق الاطلنطيق سوى عهد صريح على أن تكون العدالة الاجتماعية أساسا للحياة فى داخل كل الدول وأساسا للمعاملات الخارجية بين الدول

ولعل العالم اليوم لا يشكو من شىء أكثر من فقدان هذه العدالة الاجتماعية بل نعتقد اننا لا نبالغ اذا قلنا ان السبب فى الكوارث والحروب وفى كل ما يصيب دول العالم من ثورات وقلاقل فى داخلها انما هو فقدان العدالة الاجتماعية

وانه لمن الواجبات المحتومة على كل انسان ان يعين على تحقيق تلك العدالة اذا كان مخلصا للانسانية راغبا فى احلال السلام والطمأنينة محل الشقاء وسفك الدماء

لقد اكتفينا فى قولنا السابق بالاشارة الى أن الانسان لم يستطع أن يدرك حقيقة العلل الاجتماعية التى كانت تسبب له الشقاء مع مثولها تحت حسه دائما ولم تتعرض لناحية أخرى لها علاقة وثيقة بهذا الموضوع . فان من أكبر أسباب الجمود والتردد فى الاصلاح أن فى الانسان طبعا أصيلا يحمله على عدم قبول الآراء الجديدة وهو الانانية . فاذا كانت الآراء الجديدة تكلفه شيئا من التضحية ، لم يرض بها ، وعارض فيها مع انه يكون بذلك عاملا على تفاقم الشرور والاضرار بالمستقبل

وقد كانت الطبقات المسيطرة الى اليوم تؤثر الجمود وابقاء النظم الحاضرة على ما هى عليه لانها لا تريد أن تتخلى عن نفوذها وتمتعها بأكبر قسط من الخير . ولكن هذه الخطة الجامدة التى تمليها الانانية تمهد السبيل فى المستقبل الى تفاقم الامور وزيادة المشادة بين طبقات المجتمع ولعلها تؤدى ــ ان عاجلا وان آجلا ــ الى حدوث رجة عنيفة يخشى منها على كيان المجتمع . وقد كان من حسن حظ الانسانية ان الامم الديمقراطية استفادت من ظروف الحرب الحالية ، فخطت خطوة واسعة فى سبيل تحقيق التضامن الاجتماعى . وسارع أصحاب المال الى تلبية النداء ، فأصبح الامل اليوم أعظم بأن أمم العالم سوف تبدأ بعد هذه الحرب عهدا جديدا قائما على العدالة والمساواة

لقد أصبح من المسلم به مثلا ، انه لا ينبغى لاى فرد أن يتمتع بحياة مترفة لا حد لترفها ، فى حين يوجد أفراد آخرون فى المجتمع نفسه لا يجدون القوت الضرورى للحياة ولا المسكن المناسب ولا الملبس الكافى للحماية من الجو وحفظ المروءة الظاهرة

وأصبح كذلك من المسلم به ان الفرد لا يصح له ان يستحوذ على موارد ثروة لا حصر لها ، على حين يوجد آخرون من أفراد المجتمع لا يجدون الحد الادنى من موارد الثروة ليجعلوه ميدانا لاعمالهم

وقد تنبهت تركيا لمثل هذا المعنى أخيرا فقرر مجلسها الوطنى الكبير اعادة توزيع الاراضى الزراعية ، بان تشترى الحكومة الاراضى الزراعية من كبار الملاك لكى تبيعها بالتقسيط لصغار الفلاحين

وهناك ناحية ثالثة تنبهت لها الافكار ، وهى أن أصحاب الاموال قد اتجهوا فى السنوات العشرين الاخيرة الى المنافسة الشديدة فى الانتاج ، فكانوا يتنافسون خبط عشواء بقصد احراز أكبر مقدار من الربح بغير نظر الى ما ينتجون ، وبغير تمييز بين ما هو ضرورى وما هو غير ضرورى . فأصبح اليوم من المرغوب فيه ان تنظر الدول الى حاجة المجتمع فتنظم الانتاج بحيث يؤدى الى سد هذه الحاجات

وسوف يكون من آثار هذا التفكير الجديد أن تدبر الدول شؤون الانتاج بحيث تضمن الحصول على حاجات الأفراد الضرورية ، وأن تدبر فى الوقت عينه حاجات الناس بحيث تكفل الحياة لكل أفراد المجتمع . والى جانب هذا أصبح من المسلم به أن يجد كل فرد فى المجتمع عملا وان يكافأ الفرد على عمله مكافأة تكفل له ولمن يعولهم الرزق المناسب الذى يتسع لحياة كريمة تتوفر فيها الضروريات وبعض الضرورى من الكماليات . ولذلك صار اليوم من الاوليات المسلم بها أن تهيمن الدول على الحياة الاجتماعية الى حد كبير فتدخل فى الانتاج وفى الاستهلاك وفى تحديد الاجور وفى تقدير الضرائب بحيث تكفل ان يكون توزيع الواجبات والاعباء عادلا كما يكفل أن يكون توزيع الحقوق والخيرات عادلا

وصار من الاوليات المسلم بها ان الحقوق السياسية وحدها لا تغنى شيئا اذا لم تكن الى جانبها عدالة اجتماعية . فليس للحرية ولا للمساواة معنى اذا لم تكن للحرية دلالة اجتماعية واقتصادية واذا لم تكن للمساواة دلالة اجتماعية واقتصادية . فالحرية اليوم تتضمن التحرر من الخوف ـ التحرر من خوف البطالة والتحرر من سيطرة القوى الاقتصادية والمساواة اليوم تتضمن شيئا أكثر من المساواة أمام القانون فهى تتضمن المساواة الاجتماعية والمساواة فى الفرص الاقتصادية وفى الحياة الكريمة

وقد كانت الدول الديمقراطية حكيمة فى انها قد استفادت بالحرب وعدلت من نظراتها الاجتماعية القديمة . فهى تعلم انها اذا لم تفعل ذلك مهدت السبيل الى تحطيم النظام القائم تحطيما يذهب معه كثير من الخير مع كثير من الشر وكانت بمثابة من يغمض عينيه فى مقابلة خطر داهم حتى تقع أخيرا فى بؤرته*. وما أحرانا نحن فى مصر ان نستفيد نفس الفائدة وان نستعد للمستقبل نفس الاستعداد . ولعل ظروفنا تجعل التنبه أوجب فان مصر من البلاد التى تعانى أشد الآلام من قلة الملاءمة بين النظم الاجتماعية والاقتصادية وبين الظروف التى تلزم للحياة الجديدة التى تتطلع اليها آمالنا

فلا يمكن مثلا ان ترضى مصر الحديثة عن وجود مؤسسات لا قصد لها الا الربح المادى فهذه المؤسسات وان كانت عزيزة علينا لا يفيدنا كثيرا ، اذا كانت لا تقصد الى أكثر من

تكديس الملايين أرباحا وأموالا احتياطية لمساهميها ، بل لا بد أن نعرف مكانها فى المجتمع ونجعل نصب عينيها أن تؤدى وظيفة الاستجابة الى توفير حاجات الناس والى المساهمة فى اقامة أساس التضامن الاجتماعى

واذا كان رأس المال ضروريا للانتاج ، فلا بد الا تنسى هذه المؤسسات ان العمل هو الذى يخلق الثروة من المال . فلا بد أن يصيب العمل نصيبه العادل من الاجر وان يقنع المال بنصيب مناسب فقط من الارباح لا مغالاة فيه ، نصيب مناسب لا يتعدى الحد المعقول للربح

فان المال ليس سوى مقدرة سلبية لا تصبح ايجابية الا بالعمل . وكذلك يجب الا تنسى ان للمجتمع بصفة عامة حقا فى نصيب من الربح يعود الى الدولة فى صورة ضرائب لكى تتمكن الدولة من القيام بالخدمة العامة فى الصحة والتعليم وانشاء الطرق والانشاءات اللازمة للرى وتوفير مياه الشرب واذاعة الاضاءة وغير ذلك

وهناك مسألة أخرى وهى ان الضرائب على الارباح لا تكون عادلة اذا كانت عبارة عن نسبة مئوية ثابتة فان الارباح الكثيرة اذا ذهبت الى الافراد انما تصرف فى سبيل الترف الذى لاجدوى منه للفرد ولا للمجتمع بل تكون وسيلة لترف قد يعود على الفرد والمجتمع بأشد الاضرار ولهذا كان لا بد من أن تكون الضرائب تصاعدية فتزيد كلما زاد الدخل وبعد عن مستوى الحاجات الضرورية للحياة

ولن ترضى مصر فى المستقبل بأن يباح للاثرياء ان يورثوا أبناءهم كل ما جمعوه من الثروة فى حياتهم فان توريث الثروات الضخمة للابناء ، لا يدع مجالا للفرص المتساوية للناس فى أعمال الحياة ، بل يؤدى الى تكديس المال عند أفراد قلائل ويغل يد المجموعة عن الاصلاح الذى يشمل الناس جميعا فلا بد أن تفرض على التركات ضرائب ذات قيمة وان تزداد تلك الضرائب كلما زادت قيمة التركات وبعدت عن المستوى المعقول الضرورى لحاجات الورثة

فاذا استطعنا أن نقلل من نصيب الاموال من أرباح المؤسسات وان نزيد من نصيب العمل من تلك الارباح ، واذا فرضنا الضرائب التصاعدية على الدخل والتركات أمكن للدولة أن تجد الاموال التى تمكنها من القيام بالخدمات العامة التى أصبحت اليوم من واجباتها الضرورية وعند ذلك تقل الفروق بين أعضاء المجتمع الواحد ويزول جانب كبير مما يسبب الشقاء والآلام للملايين الذين لا يجدون ما يكفيهم للوفاء بالحاجات الضرورية للحياة

بهذه الطرق وأمثالها يمكننا أن نعالج الخلل الذى يشكو منه مجتمعنا كما تشكو المجتمعات الأخرى وبهذه الطرق وأمثالها نقابل الثورة الكامنة فى هذا العصر ونتحاشى الكوارث التى تهدد كيان المجتمع الحديث

محمد فريد أبو حديد

همومُ الأنثى ..

بقلم السيدة بنت الشاطىء

« ابنتى أمينة . .

كتبت هذا ، وأنت أمامى تبسمين ناعمة فى مهدك ، فأدركت أن من هموم الأنثى ما لا تطيب بدونه الحياة ، وأن منها ما يرتفع بها الى مرتبة القداسة فيجعل الجنة تحت قدميها .. بنفس أبويك يا ابنتى أن يعيناك على حمل « الأمانة » وأن تظل لك تلك الابتسامة المشرقة أبداً . . [أمك]

لكلمة « الهموم » فى زماننا هذا ، مدلول ضيق محدود يكاد يقتصر بها على ما يشغل الانسان من متاعب وأحزان ، ولكنها فى الأصل اللغوى ذات مدلول أوسع من هذا وأعم ، إذ هى تتسع حتى تطوى الأعباء والمسئوليات والمشاغل والآلام والأحزان ، وكل ما يهم الانسان ويعنيه . . ونحن هنا نتمثل هذا المدلول الواسع حين نتحدث عن « هموم الانثى »

***

وأبادر فأقرر أن حديثنا اليوم لا يحمل طابع الشكوى ، ولا يتجه الى إصدار الأحكام ، وانما هو تسجيل مجرد لظواهر الهموم عن حياة الأنثى ، تسجيلا بعيداً عن أى تقدير خلقى أو تفسير اجتماعى

***

هنالك من هموم الحياة قدر عام يشترك فيه الرجل والمرأة جميعاً ، فكل منهما يدفع ضريبة الحياة قاسية باهظة ، وكل منهما معرض لمتاعب العيش وأثقاله . وليس منهما من يجد ضماناً ضد المرض والعجز ، أو الهزيمة والخيبة ، أو اليتم والثكل والترمل . ونحن نخرج هذه الهموم المشتركة من حديثنا الآن ، وان كان شعور المرأة بها أقسى وتأثرها بها أشد ، بما جبلت عليه من دقة الحس ، وقوة العاطفة ، وحدة المزاج ، وسرعة الانفعال

***

حياة الانثى مثقلة بهموم كبار ، وهى تبدأ من طفولتها الباكرة ، إذ تسىء الدنيا استقبالها وتتلقاها كارهة إلا فى القليل النادر

وليس يعنيها من سوء الاستقبال ، عراقة أصلها ، أو ثقافة أبويها ، أو غنى آلها وذويها ، فى القصر والكوخ ، وفى البادية والحضر ، وفى الشرق والغرب جميعاً ، تخرج الانثى الى الدنيا

غير مرغوب فيها ، ولو نشأت فى بيئة نجحت بناتها وخاب بنوها فالقوم لا ينتظرون بها الأيام ليعرف مكانها من الدنيا ، وحظها من الحياة ، وانما يتلقونها منذ اللحظة الأولى واجمين كارهين ، وأنا أعرف أسرة أنجبت فتيات أربعاً ناجحات ، مع أخ لهن خائب متعطل ، وقد ساءها مع ذلك أن تولد لها أنثى ..

ومن العجب أن الأم « الانثى » ــ على ما بها من بر الأمومة وحنوها ــ تشترك مع القوم فى هذا الاستقبال الكاره وان اختلفت بواعثه عندها ودواعيه . وقديماً حزنت « امرأة عمران » حين وضعت طفلتها « مريم » ــ عليها السلام ــ واتجهت الى خالقها تقول فى ألم وتحسر : « رب إنى وضعتها أنثى . . وليس الذكر كالأنثى ! »

ولعل الأم فى ذلك انما تكره لوليدتها حياة الانثى ، بعد الذى بلته من أمرها ، وذاقته من أعبائها

وقد عرض « القرآن » صورة قوية رهيبة للاستقبال غير الكريم الذى كانت الأنثى تستقبل به فى الجاهلية : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب ؟ »

ولقد مضت الجاهلية العمياء ، وانجاب عن الناس ظلامها ، وذاعت فيها تعاليم الاسلام الذى كره هذا الظلم وكره فيه حين قال بعد الذى روينا : « ألا ساء ما يحكمون » . ومع ذلك ظلت الصورة الاولى تتراءى حتى اليوم بلونها القاتم ، وان أحاطتها المدنية باطار زاه براق . وإنا لنلمح ظلالها الكابية فى أغانينا الشعبية التى تسجل حفلة استقبال المولودة الانثى ، وذلك فى مثل قولهم على لسان الام :

لما قالوا دا غلام انشد عظمى وقام
وجابوا لى البيض مقشر وعليه السمن عام
ولما قالوا دى بنيه انهد ركن البيت عليه
وجابوا لى البيض بقشره وعليه السمن ميه

وقولهم فى أغنية أخرى :

لما قالوا دا ولد انشد حيلى وانسند
ولما قالوا دى بنت قلت ليله زى الزفت
اللى امشى تقد بعشاه وأبوها يبت فى البشت

والريفيين عندنا أسلوب قاس موجع فى التهنئة بالانثى يبدأونه بالتهنئة بسلامة الام (وصحتها بالدنيا) ويعقبون عليها داعين للوليدة بالبقاء « وان شا الله تشيل اخوتها الصبيان ! »

***

فاذا ما اجتازت الأنثى مرحلة الطفولة ، استقبلتها الحياة فى صباها بألوان من الهم والعناء ، ولسنا نتحدث هنا عما تعانيه عندنا من قلق بسبب اضطراب الرأى فى تعليمها وتوجيهها ، وما يثار حولها من مشكلات طارئة مستحدثة كالحرية والاختلاط ، وانما نشير إلى الهم الذى عانته منذ الأبد وتعانيه اليوم وغداً وبعد غد ، فهى لا تكاد تستكمل نموها وتبدأ شعورها بالحياة ، حتى تجد مكانها قلقاً فى بيت أبويها وهما أقرب الناس اليها ، فتضطر راضية أو كارهة — الى أن تشغل فى صباها بعدّ الأيام والساعات — وبما أطولها — فى انتظار الذى يحملها الى بيت الزوجية

وفترة الانتظار هذه قاسية على الفتاة وبخاصة عندنا فى الشرق ، فأبوها ضجر بمقامها مستثقل عبئها — وأمها الى جانبها مشفقة من طول انتظارها ، والأهل والأصدقاء ، ملحون فى الدعاء لها بأن يهيىء الله لها « ابن الحلال » الذى يمضى بها الى بيت الزوجية

وتنظر الفتاة أمامها فاذا « الغد » مبهم لا تدرى كيف ، ولا متى ، ولا أين ، يستقر بها مكانها فى الحياة . . .

ثم تنظر فى نفسها ومن حولها ، فتجد أنها لا تملك من الأمر شيئاً

وهنا تبدو المشكلة الكبرى فى حياة الأنثى ، تلك المشكلة التى تتعقد أحياناً حتى تصير مأساة فمسألة الزواج بالنسبة اليها مسألة حيوية بالغة الخطر ، وهى مع ذلك لا تملك أن توجهها كيف شاءت ومتى شاءت ، بل لا تملك أن توجهها على صورة ما . ويخطىء الذين يظنون أنها تملك شيئاً من الامر ، بما لها من حرية اختيار محدود بظروفها ، مقيد بالأشخاص الذين يتقدمون اليها وهو — على هذا الوضع — لا يكاد يبدو فيه اختيار ...

ويزيد فى خطر الامر ، أن الأنثى عاجزة تماماً عن احتمال الحياة اذا أقفرت من الزوجية والأمومة ، على حين يستطيع الرجل أن يمضى رحلة الحياة غير متزوج ، أفليس من الهم حقاً أن ترهن حياة الأنثى بالزواج ، وأن تكون الأمومة وظيفتها الطبيعية ، وغايتها المقررة بحكم الفطرة ، ثم لا يكون فى يدها من الامر شىء ؟!

ثم ان الأنثى تقوم « فى سوق الزواج » بأمور ليست فى يدها ، وأنا أستعمل هذا التعبير التجارى على كره منى ، إذ هو — مع الاسف — أصدق تعبير فى هذا المجال

واذا كان الرجل يستطيع أن ينال مركزه الطبيعى من الابوة والقيادة بثقافة يكتسبها أو ثروة يكسبها ، فان المرأة لا تستطيع أن تنال مركزها الطبيعى الحيوى بتلك الامور التى تكتسب بالسعى أو تشترى بالمال

العامة تقول : « الرجل عيبه جيبه » أما الانثى فتقوم بالجمال وهو هبة من الله ، وبسلامة الانوثة وهى مسألة الطبيعة ، وبالجاذبية وهى حكم الأذواق ، وبالشباب وهى لا تملك أن تمسك به حتى يستقر بها المقام ، وبالنضارة وهى لا تستطيع أن تحميها من أعاصير العيش وسموم الهموم

وهى بعد تسأل ـ دائماً ـ عن ضعة أصلها ، وفقر أبويها ، وتحاسب على أخطائهما ، على حين لا يسأل الرجل ـ فى الغالب الأعم ـ ولا يحاسب إلا على ما كسبت يداه . . .

إنهم لا يغفرون ضعة الاصل فى الانثى مهما تبلغ شخصيتها من السمو ، على حين يحسب للرجل أن ينجح مع ضعة أصله ، فالمسألة ـ للانثى ـ وراثة والعرق دساس ، وهى ـ للرجل ـ عصامية تستحق التمجيد ! !

***

واذا ما اجتازت الأنثى مرحلة الانتظار ، ومضت الى بيت الزوجية بوجه ما ، انتظرتها هناك هموم ثقال . ولسنا نعنى هنا أعباء ادارة البيت ومطالب الحياة الزوجية ، فهى جميعاً مما يستطاع حمله ويهون احتماله ، وانما نشير الى نضال الأنثى فى سبيل الاحتفاظ برجلها وحماية بيتها من التصدع والانهيار . . . وهو نضال مر قاس طويل ، يزداد على الأيام مرارة وقسوة . فالزوجة ـ فى أول عهدها بالزواج ـ تجد من قوتها للذخورة ، وشبابها المتفتح ، وتخففها من أعباء الأمومة ، ما يعينها على ذلك النضال ، حتى اذا تقدمت بها الأيام . فلت أسلحتها تلك بما تفقد من نضرتها وجدتها ، وما تبذل لأبنائها على حساب زوجها ، وعاد النضال فى ذلك السبيل يقتضيها جهداً غير هين ، ويكلفها ثمناً غير قليل . . .

على أن هذا الهم لا يقاس بهم آخر أدهى منه وأمر ، وهو اضطرار الأنثى أحياناً الى احتمال ذلك العبء مع زوج لا تحترمه ولا تطمئن الى سلامة رجولته . هنا تمسى الحياة لديها جحيما لا يحتمل وعذاباً لا يطاق ، وكلما تعذر الفكاك منها زاد هولها ، وما أكثر ما تسد سبل الفرار على الزوجة : إنها قد تجد مخلصاً بالطلاق ، ثم تعود فتمسكها اعتبارات قاسية من أمومة أو عرف أو أوضاع . وقد تلتمس مخرجاً بالاباق ، ثم تحجم عنه لصرامة العقاب الذى يحكم به المجتمع على الزوجة الآبقة !

وضحايا هذا الهم كثيرات ، يستتر بعضهن بالتجمل ويعتصمن بالصبر والمداراة ، على حين ينوء بعضهن بالعبء فيندفعن الى التمرد الخاسر ، أو تتمزق أعصابهن وتمضى بهن الى ما يشبه الجنون !

***

وندع هموم الزوجية جانباً ، لنتحدث عن هموم الأمومة وأعبائها . وليس غير الامهات من يعرف أثقال الحمل وآلام الوضع ، وتكاليف الحضانة والرضاعة . إنها أثقال لا توزن ، وآلام لا توصف ، وتكاليف تدفعها المرأة من دمها وأعصابها وقواها ونضرتها . وهى تحتمل تلك الهموم فى صبر فذ ، ولو استهدفت حياتها للخطر

وربما ظن أن المرأة تستطيع أن تعفى نفسها من أعباء الزوجية وهموم الأمومة ، ولكننا لا نعرف امرأة تفر من هذه الاعباء والهموم ، إلا أن يكون بها شذوذ أو انحراف ، بل إنها لتسعى الى التماس نصيبها منها ، وتشقى اذا أعفيت من أثقالها ، لعقم أو أى سببٍ سواه !

وأخوف ما تخافه الأنثى ، أن يقضى عليها - لسبب ما - بالحرمان من الزواج مهما تكن ظروفها وشخصيتها . وكل أنثى قد عانت هذا الخوف فى صحوة شبابها ، وامتلأت رعباً وفزعاً كلما لاح لها على الأفق البعيد شبح « العانس » يهددها بما هو شر من الموت !

ويرحم الله من يكتب عليها مثل تلك النهاية الأليمة ! إنها تتلفت حواليها تلتمس العون فلا تجد إلا السخرية والازدراء ، وأقصى ما تطمح اليه أن تظفر برثاء أهلها لها وإشفاقهم عليها ، وويل لمخلوقة تعيش بالرثاء والاشفاق

ومهما تجملت « العانس » بالصبر ، فان أشواقها الى الأمومة تضنيها ، ومكابدة الظمأ على غير أمل فى الرى تحرقها وتفنيها ، ومعاناة الحرمان مع اليأس من الظفر ، تهلكها وتذيبها ، ثم تعاجلها - قبل الأوان - شيخوخة كئيبة مرعبة لا تشبه بحال ما ، تلك الشيخوخة الهادئة الوقور التى تتمتع بها الامهات فى أخريات حياتهن ، والتى تؤنسها الذكرى ، ويرويها الشعور بالشبع والرى ، والاحساس بالراحة بعد قطع مراحل الحياة . . .

* * *

وتتعرض « العانس » فى ذلك الدور من حياتها لخطر عصبى يزداد حتى يبلغ مداه فيضطرب أمرها وتفقد توازنها ، على أنها إن نجت من ذلك الخطرفلن تنجو من حذر الزوجات والامهات منها ، وخوفهن على الازواج والابناء من « عينها » مهما يكن حظها من الطيبة والوداعة . وفى انجلترا تحذر أكثر الامهات من استخدام العوانس مربيات لأولادهن ويفضلن عليهن الارامل ، أو أية امرأة أخرى ذاقت طعم الامومة على لون ما

والحزن ألا تملك الانثى أن تدفع عن حياتها ذلك الخطر ، والذين يقولون إنها تستطيع أن تفر منه بالزواج من أى شخص ، ينسون معنى الزواج الذى كانت آية الله فيه : « أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. »

ثم هم لو ذكروا المثل القائل : « البوار ولا جواز العار » لقدروا دقة الأمر وخطورته بالنسبة الى الانثى ، فهى مرغمة أحياناً على أن ترضى بالهلاك ظمأ حين لا تجد الا الماء الآسن الذى تعافه نفسها . .

* * *

ويتحدثون هنا عما تستطيعه الفتاة الحديثة من حرية تملك معها أن تمضى فى الحياة مستقلة بأمرها ،غنية عن الخضوع لمتاعب الزوجية وهموم الأمومة ، قادرة على تخفيف وحشة «العنوسة» والتغلب على ما فيها من ضجر وملال ، وهو حديث خرافة « يا أم عمرو ! » أو هو أكذوبة كبيرة فى حياة المرأة المعاصرة

والفتيات اللائى بلون الحياة العاملة خارج البيت ، وذقن أمجاد الظفر فى سباقها ، وملأن

أيديهن بالمال المكتسب بجهدهن وسعيهن ، هؤلاء الفتيات يشعرن أن هذا كله ـ ومثله معه ـ لا يبرىء فتاة سليمة الفطرة من أشواق الأمومة ، والحنين الى مأوى مستقر فى ظل بيت كريم .
ولقد خدع بعضهن وكبت فى أعماقه هذه الاشواق وخنق فى صدره ذلك الحنين ، فماذا كانت النتيجة ؟ هل سلمت لهن هذه الحياة المادئة على ما فيها من كبت وحرمان ؟ ؟ لا ولا . . فلم تعف واحدة منهن من ألسنة الشر وأعين السوء ، إنها أبداً حديث الناس ـ ومطمع الغواة ما بقى فيها رمق ، حتى اذا نضب منها ماء الشباب ـ وسرعان ما ينضب ـ انضمت الى موكب العوانس ، وأمست حياتها قطعة من الضجر والعذاب ، ولم يشفع لها فى محنتها ما ظفرت به من مجد وما كسبت من مال ، بل ان هذا المال يغدو سوط عذاب يلهب روحها حين لا تملك أن تشترى به ما حرمته . أو تجد به نفسها التى أضاعتها ، كما يمسى ذلك المجد الموهوم ، شاهد مأساتها ، إذ دفعت فطرتها غناً !

ولقد شهدت بعينى كثيرات من ضحايا هذه الخرافة ، ووقفت أرقبهن وهن يهربن من أنفسهن بالكذب عليها وتعليلها بالاوهام ، ثم قدر لى أن أشهد المصرع الرهيب الذى ينتظر الواحدة منهن فى نهاية الطريق ، حيث تذاد عن موكب الحياة ، ويخلى بينها وبين حرقة الندم والأسف ، ومرارة الخيبة والقهر ، ولوعة الظمأ والحرمان . .

وأقسى الناس على مثلها إذ ذاك ، من دأبوا على تملقها وخداعها ، وافتنوا فى استهوائها بأضواء الشهرة الكاذبة والظفر الخاسر ، وان منهم من يرفع اليها آيات التقدير لمواهبها ، والاعجاب بنجاحها ، والاعجاب بفضلها وخلقها ، حتى اذا انفض السامر من حولها ، أطلق لسانه فيها ، وخاض فى أمرها مع الخائضين

* * *

وبعد فهذه هى المعالم الكبرى للهموم فى حياة الانثى ، صورنا جوانب منها وان وراءها لهموماً أخر يعانيها الحى ما بقى حياً . .

على أن هذه الهموم وتلك ، تجملان « الحياة » نفسها هى الهموم ، وذلك قول الشاعر البدوى قديماً :

« وحسبك داء أن تصح وتسلما »

وأنا بعد حريصة على أن أقرر أن الانثى ـ وإن كان نصيبها من تلك الهموم أوفر وأقسى من نصيب شقيقها الذكر ـ لا تأبى حمل « الامانة » ولا تتردد فى احتمال عبئها احتمالا نادراً يتوجها أحياناً بمجد البطولة والاستشهاد ، ويرتفع بها الى مرتبة القداسة ، فيجعل الجنة تحت قدميها . . .

شوشاى بنت الشاطىء

فرانكو يشجع مصارعة الثيران

المصارعون اليوم فى اسبانيا هم ابطال الشعب وكواكبه ، يبدأ أحدهم رياضته أو مهنته وهو فتى لا تزيد سنه على سبع عشرة أو ثمانى عشرة سنة ، حتى اذا بلغ الثلاثين من عمره نظر خلفه الى مجد مؤثل أقامه وشهرة عريضة وطدها وعدد كبير من الثيران صرعها بيده

ان مصارعة الثيران فى اسبانيا تبعث الآن من جديد ، أولا لوجود عدد من المصارعين المتازين ، وثانيا لعناية القوم باحياء جميع المظاهر القومية وتأكيد التقاليد القديمة . وقد حرصت حكومة فرانكو منذ توليها الحكم على هذه السياسة ، فشجعت الحفلات الدينية والموالد والأسواق كما شجعت مصارعة الثيران

وانت اذا طفت أحياء مدريد ألفيت غلمانا لا تزيد سن أحدهم على السابعة أو الثامنة يتدربون على المصارعة وسط حلقة من لداتهم المعجبين المتحمسين . وفى أيام المصارعة ، وهى عادة يوما الخميس والاحد من كل اسبوع فى مدريد ، تهرع الجماهير الى بلازا دى تورو — ميدان الثيران — على حدود المدينة ، فترى قطرات الترام مزدحمة بالركاب ، وسيارات الاجرة « التاكسى » تجرى كلها فى اتجاه واحد ، وقد ركد العمل فى المكاتب وهجرت المقاهى وانتقلت المدينة كلها الى ذلك الميدان . حتى اذا حل المساء عادت المقاهى فامتلأت بالجالسين ، يتناقشون بحماسة فيما شهدوه من المصارعة ويتجادلون فى تفاصيل كل حركة من معصم المصارع

والمصارعون هم أبطال الشعب وكواكبه ، يبدأ أحدهم رياضته أو مهنته وهو فتى لاتزيد سنه على سبع عشرة أو ثمانى عشرة سنة حتى اذا بلغ الثلاثين من عمره نظر خلفه الى مجد مؤثل أقامه ، وشهرة عريضة وطدها ، وعدد كبير من الثيران صرعها بيده

والحق انها مهنة شاقة قاسية ، وان المجد فيها يشترى بثمن غال ، وما يرفع المصارع يده باحدى أذنى الثور الصريع بعد قطعها ، ليتلقى هتاف الجمهور وتصفيقه ، الا بعد لحظات رهيبة من الخطر المحدق ، وساعات قبلها فى السفر بالسيارات العامة والقطرات الريفية القذرة ، وليلة أو ليال انقضت دون نوم فى أسواق المدن الصغيرة ، وأيام أو أسابيع مضت فى المستشفى للعلاج من نطح ثور

والعادة ان المصارعين لا يصبرون حتى يبرأوا تماما من أثر تلك الجروح فان عليهم ان ينفذوا العقود المعقودة معهم ، وما على الطبيب الا أن يساعد أحدهم حتى يستطيع أن يظهر فى حلبة المصارعة . والواقع ان تمام الصحة ليس شرطا جوهريا للمصارع ، فهو انما يحتاج

الى هدوء فى الاعصاب وقوة فى الارادة ، وهما من ثمار التدريب الجاد قبل ان يكونا من نتائج الصحة والعافية . ومن عجب ان القليل من المصارعين يملكون من الشجاعة ما يجعلهم مبرأين من الخوف قبل المصارعة ، بل ان أكثرهم يدخلون حلبتها والعرق البارد يتصبب من أجسامهم !

وتبدأ المصارعات عند العصر عادة . ويرتدى المصارعون ثيابا لا يقل وزنها عن خمسة عشر رطلا ، موشاة بالذهب . وفى القسم الاول من المصارعة ــ أو الكوريدا corrida كما يسمونها فى اسبانيا ــ يتصبب العرق منهم من الحر ، ولكن عند ما يخرج الثور الاخير الى الحلبة ــ والعادة أن يكون هناك ستة ثيران يقتلها ثلاثة مصارعين ــ يكون الظل قد غمر الحلبة ، وهب نسيم المساء العليل . وقليل من المصارعين تتاح لهم غرفة لابدال الملابس أو الاستحمام بعد المصارعة ، بل كثير منهم يتركون المكان عقبها ويركبون أول قطار ليشتركوا فى مصارعة جديدة ببلدة أخرى

ذلك ان المصارعين يتعاقدون على الاشتراك فى مباريات متتابعة ، ولا يتركون لانفسهم فراغا للراحة ، كى يربحوا أكثر ما يستطيعون من كل موسم ، وخصوصا ان كل موسم قد يكون آخر موسم لاحدهم ، وقد لا يستطيع بعده ان يصارع قط أو قد لا يخرج منه حيا ، وهم فى حاجة قصوى الى النقود ليدفعوا منها أجور الذين يستخدمونهم ــ وكل واحد منهم يتبعه نحو ستة أشخاص من المساعدين والخدم ــ فضلا عما ينفقونه على أنفسهم وعلى شراء السيوف وغير ذلك

ولا يقدر المصارع أن يعيش من دخل ثروة له ، الا اذا كان قد اشترك فى عدة مواسم للمصارعة وخرج منها سالما منتصرا . وقليل من يتاح لهم ذلك ، بل العادة ان تستنفد أجور المستشفيات و « اتعاب » الاطباء أرباح المصارعين ، ثم يبقى بعضها ديونا عليهم

وقد يبدو لاول وهلة ان مباريات المصارعة تعود على أربابها بدخل وفير . فمثلا فى آخر مصارعة « كوريدا » أقيمت فى مدريد ، واشترك فيها الاستوديانتى ومانوليتى ــ وهما أعظم المصارعين فى الوقت الحاضر ــ وجوان بلمونتى ــ ابن المصارع بلمونتى العظيم ــ بيعت التذاكر بسعر ألف بيزيتا للكرسى الواحد (نحو ٢٥ جنيها) . ويقال ان مانوليتى يقبض ١٠٠٫٠٠٠ بيزيتا (٢٥٠٠ جنيه) عن كل مصارعة . غير ان هذا الاجر استثنائى ولا يقبض مثله أى مصارع آخر

ومانوليتى هو أبرز كوكب لمصارعة الثيران فى اسبانيا فى الوقت الحاضر . ولا يزال فى العشرين من عمره ، ولكنه لنحافته ، واستطالة وجهه ، وجد مظهره ، يبدو كأنه فى الاربعين . وأصله من قرطبة ، واسمه الحقيقى مانويل رودريجز . وقد كسب لنفسه شهرة واسعة ، والحق انه برشاقته واتزانه وهدوئه ، يمثل مصارع الثيران « ماتادور » كأحسن ما تصفه القصص . وانت اذا رأيته فى حلبة المصارعة ، يمشى اليها مشد الخطى ، وكأنه لبطئه لا يمشى ، بينا النظارة قد حبسوا أنفاسهم من الترقب ، وبينا أنفاس الثور الثائر

تكاد تلفح وجوههم بحرارتها ، وقد اختلجت عضلات الرجل الواقف عند الحاجز ممسكا بوشاحه متأهبا لكل خطر ـ أجل ، اذا رأيت مانوليتي في تلك اللحظة الرهيبة ، رأيت خليفة أعظم المصارعين الاسبان ، أمثال ميرا أو جوزليتو أو جوان بلمونتي نفسه الذى كان أبرعهم طرا

وأدنى منافسيه اليه هو لويس جوميز ويسمى الاستودياتي ـ أى الطالب ـ لانه بدأ في مصارعة الثيران وهو طالب طب بالجامعة منذ اثنتى عشرة سنة . واذا كان مانوليتي يبدو وكأنه ينوم الثور الذى يصارعه ، تنويما مغناطيسيا ، بهدوئه ورزانته ، فان الاستودياتي يغلب الثور باندفاعه كالسيل . وقد أصيب بجروح شديدة من نطح ثور له في بلدة بامبلونا في الصيف الماضى

وقد يحسب الاجنبى ان كل مصارعة لا بد أن يقتل فيها بعض المصارعين . ولكن الواقع غير ذلك فان قليلا من المصارعين المحترفين يقتلون في الحلبة ، والاقل في المصارعات الكبرى . وانما يكثر قتل المصارعين اذا كانوا قليلى الخبرة بالمصارعة أو حديثى العهد بها ، كما يكثر في حلبات المدن الريفية حيث يتبارى مصارعون من الهواة وثيران بها نقص ، والعادة ان المصارعين البارعين يكونون أقل اصابة من غيرهم ، وان ذوى الهدوء والاتزان منهم أقل استهدافا للضرر والقتل من الشجعان الذين لا يكترثون للخطر

وأحسن المزارع التى تربى بها ثيران المصارعة توجد في اقليمى اندلسية وسلمنكا ، وقد اختص بعض الأسر بتلك التربية ، يتوارثها جيل بعد جيل . ولا يقبل في المصارعة الا الثيران الممتازة ، ويجب ان تكون قرونها ذات طول معين كما تحدده الحكومة ، وان لا يكون بها أى نقص في البصر . كذلك يجب ان تكون شجاعة « نبيلة » ، بمعنى ان تكون مستعدة للقتال بالغريزة حتى الموت ، وان تكون أقل ما يمكن اعتيادا للناس وجاهلة كل الجهل لمن يقفون على أقدامهم . وتقضى القواعد بعدم صلاحية الثور اذا كان قد نازل رجلا أو رأى وشاحا أو نطح منازلا

(عن مجلة « نيويورك تايمز »)

ـ معنى السياسة أصلا هو الكلاية . والسياسى الذى يستعمل الشدة لينفذ مذاهبه قد فشل كسياسى
احمد شرف الدين بك

ـ تتألف الديكتاتورية من أصنام ، والديمقراطية من عبدة أصنام ، والشيوعية من أصنام تقضى وقتها في تحطيم غيرها من الاصنام
برنارد شو

ـ اعملوا تحت لواء التسامح فيما يمس أشخاصكم ، وفوق بركان الغضب لما يمس صوالح بلادكم
حافظ رمضان

كيف نتثقف جنسيا

للدكتور مصطفى الديوانى

اخصائى أمراض الأطفال بكلية الطب

آفة الشرق خجل فى رياء . وعلته ، تعلق بالقشور دون جوهر الاشياء . الغربى يقابل الداء صريحا ويقاتله صريحا . والشرقى يوارى ويدارى حتى يسقط فى الميدان صريعا أو جريحا . مثلنا الحى فلاح القرية الذى يقتل ابنته اذا اشتم فى الجو شكا فى سلوكها ، ثم لا يستنكف بعد هذا أن يزف الى أهل القرية بشرى منديلها بدمها الاحمر القانى فى يوم زفافها . الديانات سمحة فياضة . والمثل السائر يقول لا حياء فى الدين ، ولا فى العلم ، والدين الاسلامى على الأخص يحوى تفصيلات شاملة عن كل ما يمت للعلاقة الجنسية والزوجية بصلة . ففى آياته البينات نجد المبدع والمطرب عن الجنسيات كالزواج والحيض والنفاس والجنابة وكلها مفصلة تفصيلا رائعا فى اسلوب سماوى يوحى بالخشوع والخضوع دون أن ينبه فى النفس الغرائز البهيمية التى تخشاها طائفة المترددين من علماء التربية. لقد حث النبى محمد صلى الله عليه وسلم على تعليم الدين للمرأة والبنت والرجل على حد سواء ، ولم يقل أبدا استبعدوا من تعاليمه ما قد تخجل الفتاة من ذكره . فما أحرانا وقد مضت على وجود هذه العقلية الجبارة الفذة حوالى الاربعة عشر قرنا أن نتبع باخلاص وروية ما ورد فى تشريعنا السماوى الذى لو نفذنا تعاليمه بدقة منذ نزل على الرسول لكان للعالم العربي شأن أى شأن ، ولكننا للاسف تمسكنا منه بالقشور دون اللباب

***

كنت منذ أكثر من عشر سنوات اتصفح عددا من مجلة الهلال فرأيت صورة لمدرسه فى بلدة انجليزية عمد رؤساؤها ان يجردوا الطلبه ـ فتيانا وفتيات ـ من ملابسهم ، فينتقلوا علومهم فى الهواء الطلق عرايا لا يستر عورتهم حتى ورق التين ، وقيل وقتئذ ان الحكمة فى هذا هو تقوية الجسم وترويض النفس على مقاومة الغرائز البهيمية التى تثور وتفور كلما وقعت العين على ما خفى من الجسم البشرى . وكنت اتتبع فى ذاك الوقت تطور التثقيف الجنسى فى عالم الادب الانجليزى وكيف عمد الكتاب والكاتبات الى الصراحة فى ارشاد الشعب الى أسرار الحياة الجنسية وعلاقتها بالسعادة الزوجية ، وتبعتهم الحكومة فى

هذا الميدان فافتتحت عيادات خاصة فى مختلف انحاء البلاد يلجأ اليها الأزواج والزوجات مسترشدين بالاخصائيين فى كل ما يعرض لحياتهم الزوجية من مشكلات وصعاب . كنت كلما قرأت هذه التفاصيل أعجبت وعجبت ، أعجبت بهم كشعب يواجه الحقائق بلا خجل ولا حياء . وعجبت هل جرفتهم هذه الاباحية فى تيار نسوا فى أمواجه المتلاطمة تعاليم الاخلاق والدين والمبدأ . ثم شاءت الظروف أن أمضى فى انجلترا فترة من الزمن فراعنى واعجبنى احترامهم للكنيسة والدين . قل ان يقصر انجليزى فى الذهاب الى الكنيسة يوم الاحد ، هم أكثر منا تدينا وتمسكا بتعاليم الدين . ولقد تمسكوا بتقاليده واصوله حتى فى حربهم الاخيرة مع عدو غاشم لم يرع فى حربه مبدأ ولا دينا . . وانما ضربت المثل بالشعب الانجليزى لانه أكثر الشعوب هدوءا ومحافظة على التقاليد ، ولا يسمح لفكرة جديدة ان تنتعش وتزدهر الا بعد أن يدرسها دراسة عميقة ويدرس احتمالاتها القريبة والبعيدة . لقد بدأوا سياستهم الجنسية الجديدة بعد حوالى الربع قرن من الزمان ، فلا غضاضة ان نبدأها نحن بعد أن ثبت لهذا الشعب المحافظ أن لا خطر منها على شعب يتمسك بأصول الدين وتعاليم الله

***

والآن وقد كدنا نتفق على المبدأ ، فلا بد أن ينشب بعض الخلاف على من يبدأ . سيقول الوالد اعفونى من هذه المهمة العسيرة فالمدرس اكفأ من يقوم بها . وستصيح الأم قائلة يا ويلتاه كيف اصارح ابنتى بسر الحياة وهى بعد يافعة فتتفتح أمام عينيها مغاليق الغريزة الجنسية فتندفع فى تيارها قبل الاوان . وسيعجب المدرس كيف تلقى على كتفيه مهمة دقيقة كهذه كان أجدر بالوالدين ان يضطلعا بها . يا للخجل ! كيف اتحدث عن (الجنس) للفتى والفتاة دون ان تصطبغ خداى بحمرة الحياء ، ودون أن يتهامس التلاميذ ويتغامزوا ويتبسموا فى خبث ودهاء

والواقع ان سر التردد فى القيام بهذه المهمة يرجع الى ثلاثة عوامل : أولها الخجل ، وثانيها الجهل بطريقة تقريبها الى الاذهان ، وثالثها الاعتقاد السائد بأنه يحسن تأجيل هذا التثقيف الجنسى الى أبعد حد مستطاع لان الجهل بتفاصيله دليل على البراءة والالمام بها مجلبة لسوء الخلق . وانى اتخيل الطفل - نتيجة ترددنا - واقفا عند مفترق طريقين لا ثالث لهما ، يمثل أحدهما العلم الصحيح النظيف الذى يلقنه اياه العالمون ببواطن الامور كالوالد أو المدرس ، ويمثل الآخر المعلومات المشوهة الناقصة التى يلتقطها من أفواه أصدقائه بالمدرسة وخدم المنزل بأسلوب أبعد ما يكون عن التهذيب ، فتتولد فى ذهنه فكرة مشوهة عن روحانية الحب والعلاقة الجنسية

ويجب أن يكون التثقيف الجنسى تدريجيا بحيث يختلف مع أدوار الحياة المختلفة من

الطفولة الى الشباب . وفى الغالب يكون حب الاستطلاع هو الذى يدفع بالانسان الى التساؤل عن بعض ما يمت الى الغريزة الجنسية بصلة . ويحسن ان نستبق الحوادث بأن نمهد للشخص سبيل المعرفة قبل أن يواجه الوقائع . فالولد مثلا يجب ان يعرف ما قد يحدث له من تطورات فى سن معينة كتغير الصوت والاحتلام وغيرهما حتى اذا ما جربها بنفسه لا تتولد فيه حيرة مؤقتة وروح من القلق تدفعانه الى التساؤل عن سر ما حدث من أشخاص قد يعطونه أخطأ المعلومات . وكذلك الفتاة فانها يجب ان تعلم تطورات البلوغ الجسمية والنفسية وان مهمتها فى الحياة ان تكون أما تحافظ على الجيل المقبل ويجب ان تحدثها الام أو المعلمة فى صراحة تامة عن اسرار جسمها وخاصة أعضائها التناسلية . فيجب أن تعرف مثلا عند اقترابها من دور البلوغ كيف تحافظ على نفسها من عبث العابثين وان فى المكان المقدس من جسمها سر نضارتها وطهارتها وشرفها وان المحافظة عليه وعلى الغشاء الذى يحميه هو الذى يرفع قدرها ويجعل الجميع ينظرون اليها نظرة كلها اكبار واجلال . يجب ان تفهم أن مهمتها فى سبيل حفظ النسل هو افراز البويضة وان الجنين يتكون بتقابلها مع افراز آخر من جانب الرجل . يجب ان تعرف ان افراز الرجل مكون من حيوانات صغيرة لها قدرة عجيبة على الحركة وانها اذا استقرت على الشفرتين الخارجيتين تمكنت ، بما حباها الله من قدرة على الحركة ، من التسلل الى داخل الرحم فيؤدى تقابلها بالبويضة الى الفضيحة الكبرى وهو الحمل غير الشرعى . اذا علمت الفتاة هذا تجنبت ممارسة أى عبث سطحى خارجى قد يغريها فى سبيله شاب طائش . وكم من فتيات لم يمس غشاء بكارتهن بسوء وجدن انفسهن فى مأزق حرج يتنقلن من طبيب الى طبيب متوسلات راجيات للتخلص من حمل نتج عن عبث سطحى طارىء .

***

اما الطفل الصغير فيمكن تقريب الامور الى ذهنه بتطبيقها على حيوان أليف بالمنزل أو بميلاد طفل جديد . وقد يدفعه حب الاستطلاع الى ان يتساءل « كيف ولدت يا أماه ؟ » ، وهنا يجب ألا تحاول الام تحويل مجرى الحديث أو المراوغة لكى تتجنب الاجابة على سؤال محرج ، أو ضرب طفلها محذرة اياه من العودة الى مفاتحتها فى هذا الموضوع ، بل يجب ان تأخذه بالحسنى وتتدرج به فى سبيل التفاهم بخيال قريب الى ذهنه وبعيد عن اللفظ النابى . يمكنها ان تقول له مثلا « ان الله أمرنى وأباك ان نصنعك كما الهم غيرنا باختراع الراديو والتليفون ، فانت الهام من الله وسر وجودك يتعلق بثلاثة : الله ووالدك وأنا ، فاذا أردت ان تعلم شيئا عن سر مولدك فاياك ان تتحدث الى أحد غيرنا نحن الثلاثة أياك ان تسأل الخادمة مثلا فانها تجهل هذا السر المقدس واياك ان تفاجىء ضيفا بهذا السؤال فانه لم يحضر الجلسة السرية التى عقدها الثلاثة المسئولون عن حياتك » ان الطفل اذا لم يجد صدرا رحبا من والدته لجأ الى خادمة المنزل يسألها نفس السؤال فتجيبه بلهجة

بعيدة عن التهذيب عن هذا السر المقدس وتعطيه فكرة مشوهة عن قدسية العلاقة بين والديه

ولقد أجمعت الآراء على ان انتشار التشرد فى مصر راجع الى كثرة النسل بين طبقة الفقراء ومتوسطى الحال . فلماذا لا تعلم عامة الشعب وسائل بسيطة لتحديد النسل يمكن تلقينها اياهم فى مراكز رعاية الطفل وبذلك يمكن انقاذ الطفولة المشردة بطريقة سهلة عملية هى خير وأجدى من انصاف الحلول التى تلجأ اليها الهيئات الحكومية وغير الحكومية كجمع الاطفال من أرصفة الشوارع وايداعهم فى ملاجىء سرعان ما يملونها أو يهربون منها . وكذلك يدفع السيل الجارف من الاطفال الهيئات المسئولة الى بعض التغاضى لان المجال لا يتسع لايواء هذا العدد الذى لا نهاية له . وبذا تترك فى مواخير المجتمع خميرة تكفى دائما لبدء الشر من جديد

ان الصراحة فى الجنس هى التى تنقصنا لتنضج نفوسنا وتهذب . وفى التثقيف الجنسى وقاية من كثير من شرور الحياة . ولم تتقدم قط أمة أباحت الصراحة الجنسية لعلمائها وكتابها يتحدثون بها الى افراد الشعب . والقرآن الكريم يتحدث عن جميع مشاكل الجنس والزواج فى صراحة وتعمق بليغين فلماذا نخدع انفسنا ونحرم ما أحله الله فى كتابه الكريم

مصطفى الريواني

الكرامة

الكريم على الناس ، هو الكريم على شخصه

وانه لتفريق من غير مفرق ، أن يفرق الناس بين الكرامة القومية للبلاد ، والكرامة الشخصية للافراد ، أو الكرامة الحزبية للجماعات ، اذ الكرامة كل لا يتجزأ . .

ومن هانت عليه نفسه وكرامته ، هانت عليه أسرته ، وهانت عليه حزبيته ، وهانت عليه أمته !

ومن ثم كان أشد الناس تفريطا فى حقوق بنى جنسه ، هو المفرط فى حق نفسه !

ولقد قيل فى مأثور الحكم والامثال، ان سيد القوم خادمهم ، ولكن هذا المثل لايصح فى مغزاه ، ولا فى مبناه ، اذا ما اتخذ الخادم لنفسه نفسية الخدم . . بل الشرط الاول والاساسى ، فيمن يخدم الناس ليكون بينهم سيدا ، ألا يخدمهم بحيث يكون بينهم عبدا !

« حكيم »

عن كتاب « المكرميات »

هل تؤمن بالعفاريت والأشباح ؟

تكاد آراء الناس تكون متفقة فيما يتعلق بالعفاريت والاشباح ، فان أكثرهم يعتقدون عدم وجودها اطلاقا ، ويقولون ان الذين يزعمون انهم رأوها انما توهموا ذلك . أما الاقلون فانهم يؤمنون بوجودها ، ويعتقدون انها أرواح تطوف بعد ان تجردت من أجسامها . وهناك رأى آخر جدير بالبحث ، وهو انها قد ترى فعلا ، ولكنها ليست أرواح أناس ماتوا

ومما يدل على أن الاشباح ليست قليلة ولا نادرة : احصاء قامت به جمعية البحوث النفسية فى سنة ١٨٩٠ ، واتضح منه ان نحو عشرة فى المائة من أناس سليمى العقل والبدن قد شهدوا بأنهم رأوا أشباحا فى وقت ما من حياتهم . وهناك دليلان على ان ذلك لم يكن مجرد وهم من جانبهم : (أولا) كثرة الحالات التى رؤيت فيها أشباح أناس حديثى الوفاة كثرة تخرج بالأمر عن مجرد المصادفة ، (ثانيا) ان الاشباح كثيرا ما يراها أكثر من شخص واحد فى وقت واحد

وقد لوحظ ان الاشباح كما يصفها الذين رأوها رأى العين ، تختلف عن الأشباح التى يكثر ذكرها فى القصص والروايات ، فالاخيرة توصف عادة بأنها شفافة ، وملتفة بملاءة وليس لها حجم ، وكثيرا ما تكون مرعبة الشكل ، تتكلم كثيرا ، وتترك فى الغالب أثرا لزيارتها ، مائلا فى خط من تراب أو عظمة متآكلة من القدم . أما الاشباح التى زعم الزاعمون انهم رأوها ، فهى ترتدى ثيابا معتادة — من زى قديم أحيانا — وليست شفافة وتشبه الاحياء لدرجة يختلط الرائى بينها وبينهم .. وقد تتكلم قليلا ، ولكنها ترغب عن الدخول فى حديث أو جدل .. وهى لا تترك أثرا ينم عن حضورها ولا تغير مواضع الاشياء

والتفسير المعتاد هو ان هذه الأشباح ليست سوى أرواح بلا أجسام ، ولكن هناك أسبابا عديدة للشك فى صواب هذا التفسير : فأولا قد لوحظ ان محاولات الاخذ والرد معها تنتهى الى الفشل ، فهى لا تقدر ان تبدى تجاوبا لمواقف أو مطالب اجتماعية كما هو دأب الانسان الحى ، بل هى أقرب الى الآلة الصماء منها الى الانسان . وثانيا : قد تظهر أشباح تشبه بعض اشخاص لا يزالون فى قيد الحياة ، وايقاظا يعملون ، فلا يمكن أن تكون أرواحا لهم .. وفضلا عن ذلك قد يبدو الشبح راكبا جوادا أو سائقا عربة .. فاذا كان الشبح كما يقولون هو روح شخص ميت ، فهل شبح الجواد أيضا روح حصان مات ؟ وماذا يكون اذن شبح العربة ؟.. وثالثا : ان الشبح الواحد اذا رآه اثنان معا فى وقت

واحد ، فقد لا يبصره شخص ثالث قد يكون معهما فى نفس الوقت والمكان ، ولست أجد داعيا لان لا يبصره جميع الحاضرين كما يبصرون أى شيء قابل للرؤية ككرسى أو منضدة

ومع هذا فان الشبح ليس شيئا خياليا يتوهمه رائيه ، كما انه ليس شيئا ماديا يراه كل انسان . فماذا يكون اذن ؟

لعلنا نكون أقرب الى ادراكه اذا حسبنا انه ليس شخصا ولكن نوعا من مهرج غير ذى جسم يلعب دور انسان

واذا كان هناك اتفاق على الاشباح بين الذين درسوا موضوعها ، فليس هناك اتفاق على الاشباح التى يقال انها ترتاد القصور القديمة والبيوت المهجورة والتى تحدث الضوضاء وتقذف بالاشياء . وأنا شخصيا مؤمن بوجود هذه الاشباح الاخيرة ، غير ان من الصعب دراستها ، لانها لا تظهر بانتظام ولا تلبث حتى تمتنع عن الظهور بعد بضعة أشهر أو سنين. وفى هذه الحالة لا يظهر شبح ، ولكن يوجد دائما شخص كوسيط تتوقف الظاهرة على وجوده . فاذا كان هذا الوسيط هو سبب تلك الظاهرة ، فلا بد ان تكون له قوة خارقة على تحريك الاشياء دون مسها ودون غرض مقصود منه

ووجود هذه القوة الخارقة ليس مما يقبله التفكير العلمى، غير انه قد ثبت بشكل لايحتمل الشك ، فان أصوات الفرقعة وتحريك الاشياء يحدث فى البيت كله فى ظروف لا تسمح قط للاحتيال . وقد أجريت تجارب فى جامعة درهام فى نورث كارولينا ظهرت فيها قوى كهربائية بأشخاص عاديين ، مع مراعاة أدق شروط المعامل العلمية . أما فى حالة اشباح القصور القديمة فان الوسيط يكون عادة غلاما أو فتاة تتراوح سنه بين الثامنة والعشرين سنة . فاذا كان الوسيط هو سبب تلك الظاهرة فلا داعى لان نفرض وجود روح بلاجسم

أما القول بأن الارواح تبعث برسائل عن طريق الوسطاء ، فانى لا أقدر ان أتلقى ذلك الا بكثير من الشك والتردد ، ولست أرى دليلا كافيا على اشتراك أرواح الموتى حقيقة فى تلك الرسائل . وانى أعرف تجربة روحانية تلقى الوسيط فيها رسائل لا يعرفها ، من احدى الارواح ، ثم اتضح ان هذه الروح المزعومة لشخص لا يزال حيا يمثل ، فلايمكن أن تكون روحه قد تكلمت عن طريق الوسيط ، ما دامت هى نفسها كانت لا تزال فى جسده فى الوقت نفسه ، اذ كان يباشر شؤون التجارة مع أحد عملائه . .

واذا لم يكن هناك دليل كاف على ان أرواح الموتى تبعث بالرسائل الى الاحياء ، فليس معنى ذلك انكار خلود الروح ، فان ذلك من تعاليم الاديان وليس هناك داع للشك فيه . غير ان ايماننا بخلود أرواحنا لا يفرض علينا بالضرورة ان نعتقد بأنها سوف ترتاد البيوت بعد موتنا ، وسوف تتحدث الى الأحياء عن طريق الوسطاء

(عن مجلة « منثلى ريكورد »)



فون كيتل يستمع إلى ما يفرضه الحلفاء على ألمانيا من شروط وعقوبات

في ١٠ مايو تم توقيع الصلح وسعى الماريشال كيتل القائد الأعلى للقوات الألمانية إلى مقر قيادة الحلفاء ، ورفع عصا الماريشالية — كما يبدو في الصورة — للتحية ، ثم تناول القلم ووقع وثيقة الاستسلام بعد أن تحطمت كبرياؤه

نهاية الحرب

بعد خمسة أعوام وثمانية أشهر سكتت طلقات المدافع في أوربا ، وسقط زعماء النازية بين قتيل وأسير ، وتم توقيع الوثائق الرسمية الخاصة بالتسليم يوم ٩ مايو ، واحتفلت معظم شعوب العالم بانجلاء الغمة وعودة السلام بعد أن ذاقت من أهوال الحرب ما ذاقت . . ترى هل يدوم السلام ؟

في نهاية سنة ١٩١٨ حينما وضعت الحرب العالمية أوزارها قال لويد جورج « دعونا نحتفل بانتهاء الحرب التي هي خاتمة الحروب » ، فلم ينقض غير ٢٠ عاماً حتى اشتعلت أوربا بالنار من جديد واندفعت في حرب أشد من سابقتها هولا



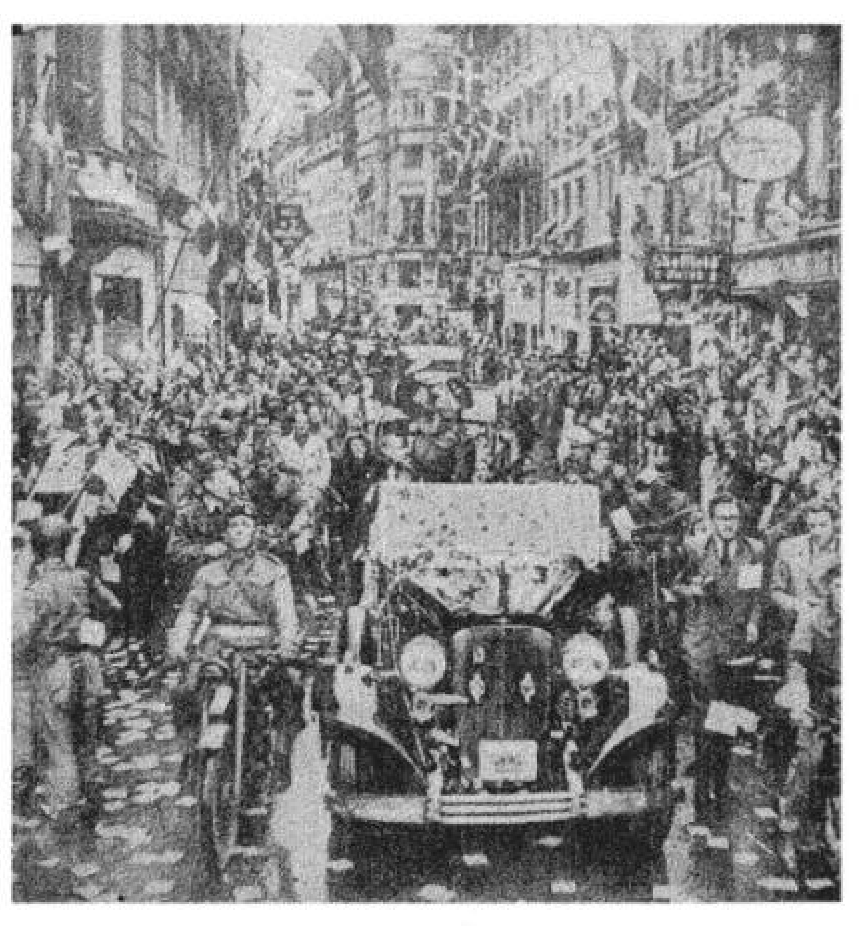
وأخيراً وقع جورنج أسيراً فى قبضة الحلفاء . . ويبدو فى الصورة وهو يتحدث الى الجنرال والكولونيل الأمريكى والى جانبه الجنرال ستاك وهما اللذان أسرته قواتهما فى كيتز بول بالنمسا



بعد توقيع وثيقة استسلام ألمانيا أقيمت حفلة كبرى ابتهاجاً بالنصر . وها هو ذا المارشال زوكوف ومارشال الطيران السير آرثر تيدر يشربان نخب النصر

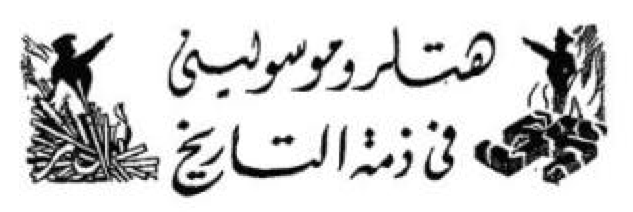


برلين الخطر. أين هتلر الذي ظن أن الدنيا دانت له ودانت .. وجورنج الذي زعم أن ألمانيا لن تسقط عليها قنبلة واحدة ، ليشاهد برلين وقد غدت بيوتها رماداً وأنقاضاً وسكانها يهيمون في الشوارع وقد بدت على وجوههم سمات الفزع والاستسلام !



أفراح النصر

هكذا غصت الشوارع والميادين بالسكان يوم أن دقت أجراس السلام بعد أعوام مريرة من العناء والكفاح والانتظار ، وخرج الناس على بكرة أبيهم يحتفلون بالنصر ومصرع النازية ويبدو فى الصورة الجنرال مونتجومرى وهو يحيى الجماهير



بقلم الدكتور أمير بقطر

لست أدري ماذا يكون حكم التاريخ على هتلر وموسوليني ، ولكني أكاد أعتقد أنه سيكون أشد صرامة عليهما، وأقل عطفا، منه على نابليون

تموت الدكتاتورية ويموت معها ، بعدها أو قبلها ، زعيمها . فقد مات دلفوس وماتت معه النمسا . ومات الملك الكسندر وماتت معه يوغوسلافيا . ومات بلسودسكي وماتت بعده بولندا . ومات موسوليني — أو على الاصح مات ولم يدفن — وماتت بعده ايطاليا — ومات هتلر — أو في حكم الميت — وماتت معه ألمانيا . ومات لينين ، ولا تزال روسيا حية ترزق . ولم يقم في التاريخ زعماء جبابرة عتاة في عصر واحد كموسوليني وهتلر وستالين . وقد وصف أحدهم موسوليني بزنبرك من الفولاذ ، وهتلر بكتلة من البروتوبلازم — مادة زلالية — ، وستالين بصخر من الصوان . وكأن نبوءة هذا الوصف قد صدقت ، فقد انبرى الفولاذ ، وجف البروتوبلازم ، وبقى الصوان راسخا كالطود

ولست أدري ماذا يكن التاريخ لكل من موسوليني وهتلر ، ولكني لاسباب لا أستطيع تدعيمها بالادلة ، أقل تشفيا من موسوليني مني لهتلر . ولا أزال أكرر ما كتبت منذ سنوات من أن الطاغية الطلياني كان أشد ذكاء من الطاغية الألماني ، وأكثر اتزانا ، وأشد مقدرة على الاصلاح . ولولا أن الشعب الالماني راسخ القدم في العلم ، عريق في النظام والتنظيم ، في حين أن الشعب الايطالي ضعيف الخلق ، واهن العزم ، جاهل ، بعيد عن معنى النظام والتنظيم — لولا ذلك لبذ موسوليني هتلر . يضاف الى هذا أن مرض موسوليني وهنه والموجة الالمانية القوية التي اكتسحته رغم ارادته — كلها قد هدمت من شكيمته ، وقوضت من دعائم مجده . لقد اندفع موسوليني الى عالم الشهرة كالصاروخ واحترق كالصاروخ . وقد صعد عرش العظمة بغير برنامج ، فابتكر نظاما واتبعه بحرفيته، أما هتلر فقد نحت برنامجه بازميل المثال قبل كل شيء ، ولكنه لم يتبعه بحرفيته . وقد قضت الاقدار أن يموت موسوليني رميا بالرصاص مع خليلته كلارا ، وان يدفن معها بغير

احتفال فى مقبرة ميلانو ، بعد أن أذل وأهين ومثل بجثته أشنع تمثيل ، وقضت الأقدار الا يعرف مصير هتلر الى كتابة هذه السطور

كان موسولينى كهتلر يؤمن بمبدأ الحق للقوة ، ويعتقد أن الحرب تشفى الافراد والأمم من داء الخوف ، وتجدد فى الرجل الهرم شبابه ، وفى المرأة العجوز رغبة الرجل فيها . ولما وطد العزم على غزو الحبشة قال لشعبه عاتبا : « لو لم تكن عيوننا مصابة بقصر النظر لاستطعنا ان نرى بها من روما سهول اثيوبيا ، وجبالها ، ووديانها ! » وكان أحب الاشياء عنده روما — رمز مجد اجداده — وأسرته ، وعلى الاخص ابنته « ادا » ، والفلاح الايطالى ، والكتاب ، والطائرة ، والسرعة الخاطفة . أما هتلر — كسائر الالمان — كان أحب الاشياء اليه العظمة ، والملابس العسكرية ، والاوسمة ، وأقدام الجنود ، وهتاف الجماهير ، وحرب الاعصاب ، وقصف المدافع ، وأزيز الطيارات

وقد شهد الكثيرون لموسولينى انه كان لا يود أن يصطدم والحلفاء فى حرب . فقد كان ، عند اجتماعه بهتلر وتشمبرلن ودلاديه الوحيد الذى كان يهدىء أعصاب الفوهرر ، ويكسر نصائح روبنتروب — ذلك الافعوان السام الخبيث — وكان الوحيد الذى يفهم ثلاث لغات — الفرنسية والانجليزية والالمانية — فوق الايطالية . وكان أقل من هتلر حبا للمال والبذخ فى العيش ، فقد كان مرتبه فى أكثر السنوات لا يتجاوز ثمانين جنيها شهريا . وكان يحسب للنقود حسابا ، فقد اتصل مرة تليفونيا بهتلر عشرين مرة فمنح العاملة الالمانية جنيهين ، فى حين اننى أعرف مصريا يمنح عاملة التليفون فى الاسكندرية خمسة جنيهات ، اذا ما وصلت له الخط بعزبته فى الصعيد

بيد أن موسولينى — على النقيض من هتلر — كان كتلة من المتناقضات . فقد تلقى دروسه من لينين ، أبى الشيوعية ، عند ما كان منفيا معه فى سويسرا ، ومع ذلك فقد كان أكبر أعداء الشيوعية . وقد تلقى دروسه فى حب الطبقات الفقيرة من كارل ماركس ، ولكنه تعلم كذلك من نيتشه ان يحتقرهم ، ويضمر لهم الكراهية . ومن هذا المزيج المتنافر تكونت فلسفته التى تبدو فى نظرته الى العمل ورأس المال . وقد كان فى شبابه ميالا الى نوع من الدولية ، ولكنه عند ما تولى الحكم نادى بأضيق معانى القومية ، ومن أقواله « أنا ايطالى مزمن غير قابل للشفاء ، مؤمن شديد الايمان باللاتينية »

ومن متناقضاته أنه كان يمقت الفاتيكان والبابا ، ويعتقد أن الكاثوليكية من أساسها عدوة الفاشية اللدودة ، ومع ذلك فقد زوج الكاثوليكية للحزب الفاشى ، وابرم معاهدة صداقة مع الفاتيكان ، وركع على ركبتيه أمام البابا ، وأكثر من الصلاة رغم الحاده ، وتناول السر المقدس فى كنيسة القديس بطرس ، وأهدى ابنته « ادا » يوم زفافها مسبحة من الذهب ، وكأنه بذلك كالفيلسوف الاسبانى المتأمرك — جورج سنتايانا — الذى قيل عنه انه لا يؤمن بالله ولكنه يؤمن ان العذراء مريم أم الله . ومع فرط حبه لابنته « ادا » وولعه بزوجها الكونت شيانو ، وزير خارجيته ، فقد قتله شر قتلة بعد أن أبلغه ذروة المجد

وكما ان هتلر كان يعتمد فى بعض قراراته الهامة على المنجمين ، رغم ايمانه بالعلم والعلماء ، كان موسوليني رغم تفكيره العلمي ، ميالا لتصديق الخرافات . مثال ذلك انه سرعان ما علم بوفاة اللورد كرنارفون عقب اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ، حتى أمر بنقل مومياء مصرية ثمينة كانت أهديت اليه ، لان « روحها » كانت تلازمه

ومن متناقضاته انه نادى فى شبابه بمبادىء الحرية ، وكان يندب حظ الطليان الذين قضت الاقدار على ٣٦ مليونا منهم أن يفكروا تفكيرا واحدا كأنهم آلات صماء ، ومع ذلك فقد قتل الحرية فى مهدها ، واتخذ جريدة « بوبولو ديتاليا » التى كان يمولها الفرنسيون فى الحرب العالمية الاولى للدفاع عن الحرية واجتذاب الطليان للحلفاء ــ اتخذها لسان حاله وقتل بها الحرية فى الصميم . ولعل أغرب هذه المتناقضات كراهيته لهتلر بالرغم من الحفاوة الكاذبة التى قوبل بها فى البندقية وروما عام ١٩٣٥ ، وبالرغم من الحفاوة الكاذبة التى قوبل بها موسوليني فى ألمانيا . وقد قيل ان موسوليني أشد كراهية لهتلر ، ويلى ذلك المال والارستقراطية والقطط والشيخوخة ، وعلى الأخص النساء العجائز

وقد حاول ان يبز هتلر فى بادىء الامر ولكنه سرعان ما أخفق . هتلر ترك عصبة الأمم ، وموسوليني حاربها . هتلر طالب بمستعمراته فلم ينلها ، وموسوليني ابتلع اثيوبيا . هتلر هجم على أوربا وأراد ان يترك موسوليني على الحياد حتى يفوز بالغنيمة وحده ، ففاجأه موسوليني بطعن فرنسا من الخلف مرغما وهو أمام الامر الواقع . وقد كان هتلر فى بدء عهده يقلد موسوليني فى خلق وطنه خلقا . وفاز كل منهما فى ميادين الاقتصاد والسياسة والدبلوماسية ، والضرب بأيد من حديد على كل عابث بمبادىء الفاشية . وكما ان موسوليني شجع بكل وسيلة ممكنة ، شرعية وغير شرعية ، الاكثار من المواليد ــ كدفع خمسين ليرة شهريا لكل أم تلد طفلا ، عزباء أو متزوجة ــ ابتكر هتلر أشنع الوسائل فى هذا السبيل . وكان موسوليني أمهر حيلة من هتلر فى ترويض شعبه على الامانة فى المعاملة ، وتوفير وسائل الراحة لملايين السياح ، وتهذيب التجار والموظفين وعمال المصالح المتصلة بالجمهور والاجانب ، وصيانة الامن والعناية بالنظافة ، فى حين أن الشعب الالمانى بطبيعته كان لا ينقصه شيء من هذا منذ عشرات من السنين

وكما كانت أقوى صفات هتلر ايمانه ، كان أقوى صفات موسوليني جرأته وثقته بذاته . وليس غريبا أن تكون أقوى صفات الزعيم سببا فى سقوطه ، فقد كان ايمان هتلر ضربا من التسليم الاعمى لما يمليه عليه وجدانه ، وكانت جرأة موسوليني وثقته بذاته ضربا من الانقياد الاعمى لمطامعه ، وقد بلغ كل منهما بأمته ذروة المجد ثم هبط كل منهما بأمته الى الهاوية . وقد استطاع موسوليني بعباراته المسرحية المختارة ان يقتاد الجماهير وراءه ويسوقهم كالاغنام أمامه . وهذه بعض العبارات التى كنت انقلها فى مذكراتى فى سياحاتى العديدة فى ايطاليا ، وكلها منقوشة بحروف بارزة على الحوائط فى المدن والقرى الريفية والجبلية :

« بغير دم وبغير تضحية لا يكتب التاريخ » . « الايمان ثم الطاعة ثم القتال » . « فى اثيوبيا خبز ونار ومجد للجميع » . « هو الشعب الايطالى الذى خلق الامبراطورية بدمه واغناها بالأيدى العاملة وحماها بسلاحه » . « نحن لا ننتظر من أحد شهادة ميلاد للامبراطورية ، ولكنا ننتظر شهادة وفاة امبراطورية أخرى » . وكتب على القطعة ذات العشرين ليرة : « خير لك ان تعيش يوما كالاسد من أن تعيش جيلا كالشاة » . وعند ما أراد أن يزيد ساعات العمل فى المصانع ملأ البلاد بالاعلان الآتى « أنا موسولينى اشتغل ١٤ ساعة فى اليوم . . أنا موسولينى آكل الخبز مخلوطا » . وعند ما تسبب فى موت الزعيم « متيانى » كان يخشى من قيام ثورة ضده ولكنه سرعان ما وقف خطيبا فى مجلس الامة حتى هدأت العاصفة ، بعد قوله المشهور : « أيها السادة ، ما هذه الفراشة التى توالون البحث عنها تحت قوس تيطس ؟ اذا كانت الفاشية مجرد ناد أو زيت خروع ، وليست فخر الشباب ، فالذنب ذنبى » وقد كان موسولينى كاتبا قديرا فقد كتب فى ١٢ صفحة فى نشرته عن الفاشية ما يوازى الخمسمائة صفحة التى يتألف منها كتاب « كفاحى » لهتلر

***

لم يكن هتلر سوى ثمرة لفلسفة بروسية قديمة ، أهم واضعيها نيتشه وبسمارك . كان بسمرك يقسم البلدان الى مذكرة ومؤنثة . فانجلترا وسكوتلندا وهولندا وهنغاريا واسكندناوه وشمالى كل من فرنسا وايطاليا ــ كلها مذكرة . وروسيا وبولندا وبلغاريا وجنوبى كل من فرنسا وايطاليا مؤنثة . وكان يقول عن روسيا احتقارا انها ليست أقصى ممالك المدنية الغربية شرقا ، ولكنها أقصى بلدان المدنية الشرقية غربا . وهكذا كانت نظرة هتلر الى ممالك العالم . وقد كان نيتشه عدو الديمقراطية والمسيحية والعدل ، فجاء هتلر ينادى بأن هناك ضدين لا يلتقيان ، هما النظام والتقدم العلمى فى ألمانيا ، والفوضى والانحطاط والمسيحية فى الأمم الديمقراطية ، وان العدل صفة من الخطأ تطبيقها على غير الشعب الالمانى . وليست كراهية اليهود من مبتكرات هتلر ، فمن روايات القرن التاسع عشر ان ألمانيا أراد أن يضرب يهوديا بحجر فأخطأه وأصاب نافذة من الزجاج فحكمت المحكمة على اليهودى بدفع ثمن النافذة بدعوى انه لو لم يتفاد الحجر بتحريك رأسه ، لما كسرت النافذة . وكان كل من نيتشه وبسمارك وفريدريك وغليوم يمجد الحرب والمتحاربين فجاء هتلر يمدهم يسلح ألمانيا ــ على حد قول هندرسون السفير البريطانى السابق ــ من المهد للحد ــ أى الاطفال والشيوخ ــ وفاخر بأن ألمانيا لا تقهر ، فراح هتلر وراح معه السلاح الجوى ، والحرب الخاطفة ، والجستابو ، وحرب الاعصاب ، والتفوق الجنسى

ومن أبرز صفات هتلر كراهيته للقانون والعدالة ، واتجاه ميوله للانتقام والتخريب ، وذلك لما لاقاه من الاذلال فى شبابه . فلانه اخفق فى وطنه النمسا ، انتقم منها . ولان ملجأ يهوديا أواه عند ما كان صبيا مشردا فى فينا ، كره اليهود . ولانه أخفق فى علاقاته

النسائية ، لاسباب بيولوجية أو غيرها ، احتقر المرأة فخصص لها وظائف الطهي والعبادة العمياء ، و « التفريخ » ولانه لم يستمتع بملاذ الحياة كره أكثر الشعوب معرفة بملاذ الحياة: الفرنسيين . ولانه كان بائسا في صغره ، فحرم عليه الضحك ، كره اميركا الضاحكة . ولانه لم ينل من مبادىء الثقافة حظا ، حارب الثقافة وشرد أساتذة الجامعات . ولانه أنس في الناس والطبيعة أعداءه ، كره الناس والجمال والطبيعة ، وخرب حبا في التخريب ، وقتل حبا في التقتيل . وكان لا يخلو من شذوذ قد يعده علماء النفس مرضا عصبيا . فقد كان ينفعل أمام أكبر زائريه ، فيستلقى على البساط ويقرض الاثاث بأسنانه . وقلما كان يستمع لمحدثه ، حتى قيل أن المناقشة معه deux « ضرب من المستحيل» وكان ساديا sadiste يقتل أقرب المقربين اليه لاوهى الاسباب . وقيل انه كان عنينا يكره النساء ، ولكنه في أوقات فراغه كان يستلقى على ديوان تحوطه زمرة من القينات الحسان . وعلى النقيض منه كان لموسوليني حوادث غرامية معروفة ، وكان كهتلر مصابا بداء العظمة ، ولانه سجن مرات كان يخشى الاماكن الضيقة ، ولذا كان مكتبه في سراى فينزيا بروما في غرفة ابعادها ٢٠ × ١٣ مترا

***

وبينما كان موسوليني يعتمد على عباراته المختارة في القاء خطبه ، كان هتلر أكثر اعتمادا على نشاط حنجرته وتكهرب جسمه وأوتاره الصوتية ، فما كان عليه الا أن يلقى السنارة حتى يبتلعها الشعب كالاسماك الجائعة . وقد شهد الجميع ان لغته كانت أقرب الى العامية منها الى الفصحى ، وان خطبه كادت تكون كلها متشابهة ، اذ كان لا يحلو له الا الوعد والوعيد والتهديد والعزف على وتر معاهدة فرساي . وقد ساعده نجاحه المتواصل السريع منذ سنة ١٩٣٤ الى أواخر ١٩٤٣ تقريبا على التمادى في طغيانه الى النهاية . واذا علمنا ان الزعماء يفقدون توازنهم اذا أتى النجاح تلو النجاح ، التمسنا له العذر في هذا الطغيان . ومن أغرب المتناقضات ان تبعث انجلترا ذلك الرجل الغر المتواضع ، القديس تشمبرلن ، الطيب القلب ، ليفاوض وحشا جامحا مفترسا . فلا غرابة اذا قيل لنا أن هتلر كان يستعمل في مساومته لتشمبرلن كلمة ألمانية معناها تجارة البقر

ومن العبث أن يكون هتلر وحده المسئول عما جره على العالم وبلاده من الويلات . فهناك ريبنتروب وزير خارجيته ، وسفيره السابق في لندن ، وهو في نظر الكثيرين المجرم الاول وقد صدق من قال عنه ان جهنم التي جاءت في قصة دانتي لا تكفي لتعذيبه ، فقد كان مزيجا من الغرور والغباء والخبث ، وهو المأساة الاغريقية بعينها . ويليه السفاح هملر وقصته معروفة ، ثم ذلك القزم المجرم « جوبلز » كان أذكى النازيين ، وأقلهم مقدرة على الخطابة ، ولكنه كان اذا اعتلى منبرا أو أمسك بيده قلما ، المرار مجسما ، والعلقم والسم في الفم مذابا . وقد مات وأسرته منتحرا . ولعل جورنج أقل هؤلاء جرما رغم طياراته القاتلة ، لانه كان أكولا مبطانا ، كان أشد عناية بالطعام لمعدته والشراب لفمه والاوسمة

والنياشين لبذلاته العسكرية منه بالشؤون الحربية

وقد هبطت أخلاق الشعب الالماني في عهد هتلر الى الحضيض ، وقد صدق المراسل الحربي الذي قال ان الجريدة الوحيدة التي لا تكذب من الالف الى الياء Blitz Zeitung — أي انها تكذب من الباء الى الياء فقط — وقل من أفراد الشعب من تألم أو تأفف مما بلغته ألمانيا أخيرا من الدمار ، وندر ان يجسر أحد كالتاجر الذي وضع في واجهة حانوته ، وقد خلا من السلع ، صورة لهتلر والصليب المعقوف كتب تحتها « شكرا للفوهرر » ويقول شاهد العيان الذي روى هذا الخبر ان الجستابو لم يفهموا النكتة ، والا لقضوا على التاجر . ومن ذلك ان شركة السياحة المعروفة باسم أمير كان اكسبريس كتبت هذه العبارة التهكمية التي لم يفهمها الجستابو أيضا ، وهي « زوروا ألمانيا القرون الوسطى »

يصعب على العقل البشرى تصور ما رآه شهود العيان من الفظائع في معتقل بوكنفولت ونورد هوش وغيرهما ، وما ذاقه المعتقلون في جهنمها الحمراء من تعذيب حرقا وضربا وشنقا وجدعا وتشويها وقتلا بطيئا بالجوع والعطش . وقد تصور أحد المراسلين البريطانيين لوحة على مقبرة دفنت فيها ألمانيا ، كتب عليها الآتي : « هكذا أراد هتلر ان ينزل الى قاع الهاوية ومعه ألمانيا . فيا لها من تضحية جسيمة على مذبح كبرياء جسيمة . هكذا كانت مشيئة هتلر . كل شيء حولي يمثل الوحشية في أفظع صورها . خمسون مدينة استحالت انقاضا . عشرون مليون نفس يهيمون على وجوههم كالبهائم . ألمانيا العظيمة جائعة عارية في طريقها الى الفناء . الريخ العظيم جثة هامدة . . أين ولهلم شترازه مقر الحكومة ؟ أين أوتردن لندن أجمل شوارع برلين؟ أين الكسندر بلاتزه أبدع ميادينها؟ أين برختسجادن حصن هتلر الحصين ؟ وما هذه الراية الحمراء ترفرف على الرخستاغ المحترق حقيقة لا كذبا هذه المرة ؟ »

من أغرب ما عثرت عليه في مذكراتي قبل كتابة هذا المقال كلمة جاءت عن نابوليون في كتاب الماني [1] نشر وترجم الى الانجليزية سنة ١٩٣٢ هذه ترجمتها بالعربية :

« . . لقد ملأ النصر رأسه ، كما يملأ الهتاف رأس الممثل على خشبة المسرح ، فلم يبق فيه ذرة من العقل . . ولم يكن يؤمن بأقوى دعائم الانسانية ، ألا وهي المثل العليا . فلا عجب اذا عادت خريطة أوربا بعده الى ما كانت عليه قبل ظهوره بعشرين عاما ، ولا عجب اذا ترك السياسيين بعده يتنازعون على الحدود ويتخاصمون على الحقوق والاتفاقات »

ألا يصدق هذا بحرفيته على كل من هتلر وموسوليني ؟ لست أدري ماذا يكون حكم التاريخ ، ولكني أكاد اعتقد انه سيكون أشد صرامة عليهما ، وأقل عطفا ، منه على نابوليون

امير بقطر

(1) Egon Friedell, "Culture in the Modern Age," translated by Charles Atkinson.

كيف تعيش بأعصاب سليمة

انا جميعا محتاجون الى الفرار من برامج الحياة الرتيبة التي تسير على وتيرة واحدة الى بيئة جديدة ووجوه جديدة .. الرجال من أعمالهم اليومية المعتادة ، والنساء من واجباتهن المنزلية التي يؤديها يوما بعد يوم

لا ينبغي للانسان أن يجهد نفسه ، الا في حالة الضرورة القصوى . ان التعب أمر طبيعي ، أما الاجهاد فانه متلفة للصحة والكفاية

والشخص الذي يجهد نفسه باستمرار يفسد أسمى ما عنده من قوى ، وأعني حسن الحكم على الامور ، وقوة الابتكار ، وقوة التحمل ، والشخصية . وان القرار الذي يتخذه الانسان في نهاية يوم مملوء بالاعمال والشواغل ، يكون أدنى الى الريبة ، وقد يختلف رأيه فيه في صباح الغد

اننا حين تجهد قوانا نفقد شعور التناسب بين الامور ، فتكبر في نظرنا الصغائر ، وتحل العاطفة محل العقل ، ونرتكب أخطاء نعجب فيما بعد كيف ارتكبناها ، ونفقد كذلك قوة الابتكار ، ونحجم عن مباشرة عمل جديد ، ويقل أو ينفد ما عندنا من صبر وتحمل

وفضلا عن ذلك تعوزنا في تلك الحالة مهارتنا المعتادة وتتغير شخصيتنا ، ونفقد توازننا، ونشعر بصعوبة المضي في شؤون العمل والاسرة

ان التعب الذي ينتج من عمل جسماني صعب أو من لعب أو رياضة ، والذي يمكن زواله بالنوم ليلة ، هو شعور طبيعي لا ضير فيه . ومثل هذا التعب يمكن علاجه في قليل من الزمن كما يمكن قياسه بما يفقد صاحبه من قوة ووزن

أما الاجهاد العصبي فلا يزال مشكلة تحير العلماء ، وهو لا يقاس الا بأعراضه

ان الجهاز العصبي يتأثر بمؤثرات شتى ، وهي تفعل فعلها باستمرار ونحن أيقاظ ، وكذلك لدرجة ما حين تنام نوما مضطربا

وتختلف درجة التأثر باختلاف الاشخاص ، فما يسبب التعب عند شخص ما قد يؤدي الى راحة شخص آخر . بل كذلك عند الشخص الواحد قد يكون ما يجهده في ظرف ما ، باعثا سليما له في ظرف غيره ، تبعا لحالته الجسمانية أو الذهنية . ومن ثم يجب على كل انسان أن يعرف بالتجربة ما يؤدي الى الاجهاد عنده فيمتنع عنه

ونحن نعرف لاول وهلة اننا في حالة اجهاد حين نرى انفسنا سريعي الانفعال، فتزعجنا الصغائر التافهة مثل اغلاق باب أو تحريك كرسي فجأة . فاذ ذاك تكون حساسيتنا قد زادت عن حدها ، ونعجز عن تركيز أفكارنا أو بذل خير جهودنا . وكثير من الناس في

هذه الحالة ينسون الاسماء التي ألفوها أو يرتكبون في أعمالهم أخطاء ما كانوا ليقترفوها لولا ذلك الاجهاد

والاجهاد العصبي يكون عادة أسرع عند ذوي الاحساس المرهف، فهم أكثر من غيرهم حاجة الى الاستجمام بين حين وآخر

ولقد حللنا برامج النشاط اليومي لآلاف من الناس ، كبارا وصغارا ، فألفينا اسباب الاجهاد العصبي كما يلي :

اننا تحت ضغط ظروف الحياة الحديثة نستيقظ صباحا ، ونستمر نباشر حياتنا بمعدل سرعة متفاوتة حتى نأوي الى فراشنا ليلا . أي اننا نظل في نشاط عصبي متواصل مدة تتراوح بين ١٢ و١٥ ساعة . وبعد انقضاء ساعات العمل نعود الى نشاطنا المنزلي . فبدلا من أن نجد في البيت الراحة بعد التعب ، نلقى فيه مزيدا من الجهد . وان هذا الحرص على النشاط المستمر طوال ساعات اليقظة ، هو السبب الرئيسي في الاجهاد عند نحو سبعين في المائة ممن فحصنا برنامجهم اليومي ، وهو سبب يمكن علاجه لدرجة كبيرة بفترة راحة قبل وجبة العشاء ، وبراحة جزئية مع التغيير قبل وجبة الغداء

وقد اعتدنا ارسال اطفالنا الى روضة الاطفال حيث ينتظرهم عالم جديد ، وهم لا يزالون في باكورة الطفولة . وبدلا من مطابقة برنامج التعليم على حالة الطفل ، يحصل العكس ، ويربط الطفل ببرنامج ثابت حافل ، تضاف اليه الموسيقى والرقص والتمثيل وأوجه النشاط الاخرى ، في وقت يكون الطفل في أشد الحاجة الى وقايته من الاجهاد الذي يضره في تلك السن أكثر مما يضر الكبار

ان انتظام العمل أمر جوهري لتيسير ادائه . والشاب الرياضي الذي يتدرب بانتظام يمكنه أن يقوم بأشق ضروب الرياضة مع بذل قليل من الجهد . كذلك العمل الذهني أحسن ما يؤدى على هذا الشكل . وليس القلق والسخط من أسباب الاجهاد فحسب بل هما كذلك نتيجة له . فاذا رأينا أنفسنا نقلق لاي شيء ونغضب من الصغائر ، فان ذلك دلالة على اننا في حالة اجهاد

ومن أسباب الاضطراب العصبي أيضا التسمم الدموي Toxemia وهو تسمم عام ينتج من تسرب منتجات بكتريولوجية أو سموم كيماوية الى الدم . وكثيرا ما ينشأ من احتقانات ناجمة عن التهاب الخياشيم أو جيوب الوجه أو وجود خراج تحت الاسنان والاضراس ومن الاسباب الاخرى بقاء فضلات الطعام من جراء نقص في الهضم فيسمم بها الجهاز وكذلك السكنى في جو شديد الحرارة والجفاف

على ان الاعراض الناشئة من التسمم الذي يأتي من عدم الرياضة واستنشاق الهواء كثيرا ما تختلط باعراض الاجهاد . فاما الاعراض الاولى فيمكن ازالتها وشيكا بالرياضة في الهواء الطلق يعقبها حمام ساخن ، ولكنها قد تزيد بقلة الحركة . واما أعراض الاجهاد

فتزول بالتغيير والاستجمام . واما التعب الناشيء من التسمم الداخلي فيعالج بمعرفة اسبابه والعدول عنها

وكثيرا ما نكون ضحايا للعمل الرتيب « الروتين » فان تأثر نواحي الذهن باستمرار بمؤثرات لا تتغير ، يؤدي الى التعب حتى وان كنا نعيش عيشة هادئة . ونحن جميعا محتاجون الى الفرار من البرامج التي تسير على وتيرة واحدة الى بيئة جديدة ووجوه جديدة .. الرجال من أعمالهم اليومية المعتادة ، والنساء من واجباتهن المنزلية التي يؤدينها يوما بعد يوم . ولسنا في حاجة الى « اجازة » بين حين وآخر فحسب ، بل كذلك الى الفرار من العمل الرتيب فترات من الوقت كل يوم

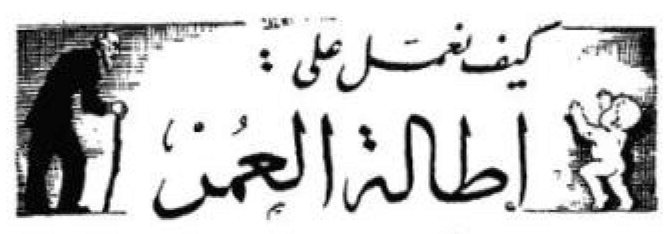
ان جميع أسباب الاجهاد العصبي تقريبا يمكن ازالتها بتنظيم برنامج النشاط اليومي بحيث يناسب حاجات الشخص وقوته . ومن الامثلة على ذلك ان سيدة جاءت بطفلها البالغ الثامنة من عمره الى أحد فصولنا الدراسية الخاصة بالاطفال الضعاف ، لان وزنه كان أقل مما يجب بالنسبة لطوله برغم أنه لم يكن مصابا بعلة ظاهرة . وقد رأينا ان نزيد معدل ما يستوعبه جسده من الحرارة في طعام وجبتي الفطور والغداء ، فلم نقدر ان نزيد وزنه الا بمقدار أوقيتين في الاسبوع . وبعد مضي عشرين اسبوعا لم يزد وزنه سوى أربعة أرطال رغم اتباعه وأمه ارشاداتنا بدقة . ثم حصل كسر باحدى ساقيه واضطر الى ملازمة الفراش ستة أسابيع ، واذا به يعود الى الفصل بعدها وقد زاد وزنه خمسة أرطال . ومن ذلك أدركت أهمية منع الاجهاد عن الاطفال ونظمت لهم فترتي راحة قبل وجبتي الغداء والعشاء كل يوم . وقد وجدت أن لذلك فائدة كبيرة في جميع حالات نقص الوزن . وقد يضاعف مقدار الغذاء دون جدوى ، لان وزن الجسم لا يعتمد على مقدار الغذاء بقدر ما يتوقف على هضمه وامتثال الجسم له . وقد ثبت ان الاجهاد يحول دون ذلك

وكانت احدى المدارس الثانوية للبنين تتبع برنامجا يتطلب من التلاميذ نشاطا عصبيا مستمرا من وقت الاستيقاظ من النوم الى وقت يأوون الى الفراش . وقد أمكنني أن اقنع « الناظر » بأن يقتصد من كل حصة مدة عشر دقائق لتجتمع من ذلك فترة نصف ساعة يقضيها التلاميذ في الاستلقاء قبل تناول الغداء . وقد أفادوا من ذلك صحة وقوة

وخرج ٢٥ طالبا ناقصي الوزن من طلبة كلية دارتموث في رحلة الى الجبال عند نهاية الاسبوع . ولما عادوا اتضح انهم زادوا في المتوسط ١٢ رطلا . وفي نفس الوقت ذهب ٢٥ طالبا ناقصي الوزن من نفس الكلية الى منازلهم . ولما عادوا وجدناهم قد نقصوا ١٢ رطلا . ففي الحالة الاولى كان الطلبة يتعبون في النهار تعبا جسمانيا طبيعيا يعوضه نوم الليل . وفي الحالة الثانية كان الطلبة يبذلون جهدا عصبيا مستمرا في الزيارة والاستقبال وغيرهما ، فسبب ذلك اجهادا لهم ونقصا في وزنهم

بقلم الدكتور وليم امرسن

(ملخص عن كتاب « الصحة لمن يشاء »)



رأى الدكتور احمد شفيق باشا

الاستاذ بكلية الطب ومدير مستشفى فؤاد الأول

ليس المهم ان يزداد عدد المواليد فى الأمة ويتضاعف النسل ، وانما المهم أن تنشىء أفرادا أقوياء البنية ، صحاح الجسم والعقل كيما تسعد شيخوختهم على حساب شبابهم

ومن حسن الحظ أن الطب الوقائى تقدم فى السنوات الأخيرة تقدما مرضيا بحيث يكفل القضاء على الأمراض التى تهدد الشيخوخة أو على الأقل يسيطر على المضاعفات التى تنشأ عنها وفى مقدمتها : تصلب الشرايين نتيجة الاجهاد الجسمانى ، وضغط الدم نتيجة التوتر العاطفى ، وتضخم الكبد نتيجة الافراط فى الطعام لا سيما فى البلاد الحارة ، ثم الزهرى والسرطان و « الأكلامسيا » أى تشنج الحمل

ونحن اذا كافحنا الداء من حياة شخص ما بمجرد ظهور أعراضه ففى وسعه ان ينجو ويسير نحو الشيخوخة السعيدة بخطى حثيثة . ومن واجب الطبيب أن يكتشف المرض فى بدايته أى قبل أن يزمن ويتخذ له أوكارا يهاجم منها الجسم فتصبح شيخوخة فى جميع أعضاء الجسم الهامة وغير الهامة وبذلك يضعف تغذية خلايا الجسم فتضمر وتضمحل

ان الحياة العصرية بما فيها من السرعة والاجهاد فى العمل والتكالب على الماديات والافراط فى المجون والسهر تؤثر على استمرار الحيوية وتدفقها فى الجسم . والشيخوخة تدب فينا من يوم أن نولد ولكنها تتخذ أشكالا عدة فى كل دور من أدوار الحياة ، واذا لم يسلح المرء نفسه بأسلحة من العناية الصحية ويدخر كميات من النشاط ويحتفظ بشطر من الحيوية دب اليه الوهن والانحطاط سريعا ، فعملية الكبر تسير اذن فى طريقها الطبيعى وفى وسع المرء ان يتجاوز المائة سنة اذا لم تتدخل فى سير حياته تغييرات سابقة لأوانها

على ان بعض الأبحاث الطبية الجديدة قضت على معظم الامراض التى تهدد الشيخوخة ففى بلاد السويد والدنمرك لا يوجد مرض اسمه « الزهرى » واذا ظهر مثلا عن طريق أحد البحارة الوافدين من الخارج فيجب التبليغ عنه فى الحال وعزل المريض كما يبلغ عندنا عن الدفتريا والحميات الخبيثة . ومنذ سنوات نادى البحاثة متيكوف بأن السيطرة على الميكروبات التى تتولد فى الأمعاء وتقصر العمر يمكن التغلب عليها عن طريق تناول

الأ‌لبان الخميرية التى تحول بين الجسم وبين امتصاصه العفونة ، بل لقد ذهب الى أبعد من هذا وهو أن تناول هذه الخمائر من أسباب اطالة العمر لا سيما فى مناطق جبلية كالبلقان مثلا . وسعى فيرونوف الى اطالة الحياة واقامة الصحة من التدهور نتيجة عبث الشيخوخة بوساطة الهرمونات ، وقد كللت مجهوداته بالنجاح ولمستها بنفسى فى كثير من الحالات مثل ضغط الدم الذى يهدد الجسم بأضرار وخصوصا فى سن اليأس عند الرجل والمرأة

وعلى كل حال فان من رأيى ان اطالة العمر ليست مسألة طبية محضة بل يدخل فيها عدة عوامل مثل : النشأة من عهد الولادة وأسلوب الحياة والمعيشة الطبيعية النزيهة البريئة، وحالة السكنى والغذاء ونوع العمل الذى يزاوله المرء ومدى الاحتفاظ بالنشاط البدنى والذهنى ونوع الرياضة التى يحتاج اليها الجسم واسلوب الراحة والاستجمام ثم يأتى أخيرا ضرورة الابتعاد عن الانفعالات النفسية

والشواهد على ذلك متعددة ففى الريف المصرى عشرات تجاوزوا سن المائة وهم ينعمون بشيخوخة سعيدة وشباب دائم متجدد ولو عنينا بمكافحة الامراض المتوطنة فى الريف لتضاعف عدد المسنين الى مئات

احمد شفيق

رأى الدكتور مصطفى الديوانى

اخصائى الاطفال بكلية الطب

كلما سألت شخصا فى أى بلد من بلدان العالم عن مجريات الحياة ، أجابك فى لغته الخاصة ، انها سائرة » . فكأن الجميع متفقون على تشبيه الحياة بعجلة تدور وأجسامنا الفانية بآلات ركبت عليها ، تسيرها أو تسير معها الى حيث يوجهها خط الحياة . ومن يدرس تفاصيل الجسم الآدمى من الوجهتين التشريحية والفسيولوجية ، يدرك أن هذه الآلة التى تعمل وتفكر وتنتج بلا انقطاع لسنين عديدة قد تعدو المائة ، أحوج ما تكون الى أن يتعهدها الذى وهبت له ــ وهو الانسان نفسه ــ بكل عناية ورفق . وبقدر العناية التى يغدقها الانسان على الآلة البشرية المعقدة ، يطول عمره أو يقصر وتسعد حياته أو تشقى . حقيقة انه لكل أجل كتاب ولكن ما الطب الوقائى والعلاجى الا وسيلة من الوسائل التى يلهم الله بها بعض عباده ، لينقذوا أخوانهم من براثن موت محقق . وفى اعتقادى أن علماء الطب الحديث فى مختلف فروعه ، قد أدوا الى البشرية خدمات جلى تضعهم فى مصاف الانبياء والرسل . تأمل معى قرص السلفانايد العجيب ، وفكر فيما فعله البنسلين واذكر كيف فتك الزهرى فى غابر الزمان ثم كيف روضه العلماء كما تراض الأسود والفيلة الضخام . ويجب ألا ننسى الانسولين وعجائبه فى علاج مرض البول السكرى ، وتقدم فن الجراحة الذى أنقذ أرواحا لا حصر لها . من هذا نستنتج أن المراد تقدم الطب

الملاجئ عامل هام فى اطالة حياة كان مقدرا لها أن تقصر لو تصادف وجودها فى عصر غير الذى اكتشف فيه الدواء المناسب

ولقد وهب الله لكل مجموعة منا مزاجا خاصا ، فهناك شخص يأخذ الحياة ببساطة يبتسم للصعاب والعقبات ولا يبالى بما يعرض له من مسئوليات ونكبات . لا يقطب جبينه الا عند ما يحاول اجهاد فكره فى اختراع دعابة يتسلى بها على الآخرين ، يستلقى على ظهره فوق أمواج الحياة فى تراخ محبوب ناظرا الى زرقة السماء فى غير تحد ، ضاربا بيديه أو رجليه بين حين وآخر ليتقدم خطوة الى الامام أو يتأخر خطوة الى الوراء . وهناك شخص ينظر الى الحياة بمنظار أسود لا يبتسم الا ما ندر ، وآخر يميل الى العزلة والهدوء والسكون ، ورابع يفرط فى اللهو والشراب ويصل فيهما الليل بالنهار ، فلا يعطى لجسمه الراحة الكافية فتدب الشيخوخة فى جسمه قبل الأوان . وغنى عن القول ان لذوى المزاج الهادىء المعتدل فرصة أكبر لحياة أطول وأكثر هناءة . فعلينا جميعا أن نجتهد فى ادخار بعض نشاط الشباب لنستعين به فى سنين المشيب والوهن . ولا يتأتى ذلك الا بمراعاة الاعتدال والحد من الانغماس فى بهيميات الحياة وماديانها

انني اعتقد اعتقادا جازما ان هدوء البال واسلوب المعيشة عاملان هامان فى اطالة الحياة . كنت عند ما أمر بالقرية الانجليزية أثناء رحلاتى فى انجلترا أعجب كيف يموت الذين يعيشون فى جوها الهادىء الجميل فينظر الى سائق السيارة ويقول مداعبا : « انهم يبذلون أقصى جهدهم . . انهم يعيشون الى ما بعد الثمانين . . » وكنت عند ما أشاهد ما يتمتع به أهالى البلقان من صحة وقوة وقامة مديدة يقال لى ان هذا يرجع علاوة على مناخ الجبال الى غذائهم المفضل وهو « الايران » أى الزبادى المضروب فى الماء ، والمعلوم ان جراثيم التخمر فى هذه الالبان تقاوم جراثيم التعفن الموجودة بالامعاء فتعمل على تحسين الصحة وبالتالى تؤدى الى اطالة العمر . أما الناس الذى يقطن المناطق الحارة والاستوائية فهو لا يملك الا أن يموت نتيجة الجو الحار المرهق والامراض التى ينقلها الذباب والبعوض . فخلصوه منها وحسنوا وسائل معيشته يعش طويلا وطويلا جدا

صدقونى ان حظنا من الحياة « قسمة ونصيب » لماذا تفاون الذى قدر له أن يولد فى جحيم الاستواء بالذى قسم له ان يوجد فى جنات الشمال . وهل يستوى أبناء الملوك وأبناء الصعاليك . ولماذا يموت الفقراء بالآلاف بينما تقل الوفيات بين ذوى اليسار . ولم نلوم من يموت مبكرا اذا كان بعائلته علة وراثية لا قبل له بتفاديها كضغط الدم وتصلب الشرايين ، بل الا يحدث أن يموت الانسان رغم تمتعه بكل العوامل التى تطيل العمر

ان واجب الانسان أن يعيش هادئا معتدلا متمتعا ما أمكن بكل وسائل المدنية من وقاية وعلاج ، وبكل ما فى الطبيعة من جمال ورياضة ، مبتعدا عن كل ما يسبب الانفعالات النفسية . وبعدها فليأت الموت اذا شاء فانه حق على الجميع

مصطفى الزيرانى

بعد الموت

هل يمكن اعادة الحياة؟

منذ ٣٥ سنة اذ كنت فى نيويورك قرأت فى احدى الجرائد ان الدكتور « بو » الجراح الشهير كان يعمل عملية جراحية فى مستشفى كبير لاحد المرضى فى أحد أعضائه الباطنة ـ ولا أتذكر الآن أى عضو هو ـ والذى أتذكره جيدا انه فيما كان يعمل العملية مات الجريح اذ وقف عمل القلب والرئتين بتاتا . فلا تنفس ولا خفقان . فارتبك الجراح وحاول اعمال الرئتين باستعمال التنفس الصناعى فلم ينجح . ومات المريض

ولكن صعب الامر على الطبيب الجراح جدا . وأخيرا عمد الى تجربة اذا لم تنجح باسترداد الحياة للمريض فلا تميته مرة ثانية . هو مائت فى كلتا الحالتين أو هو حى فى الثانية

شق طريق كفه الى القلب . وجعل يضغط على تجاويف القلب الواحد بعد الآخر حسب ما يرشده علمه فى فسيولوجيا القلب . وما زال يعالج نبض القلب معالجة صناعية حتى عاد للقلب خفقانه الطبيعى كعادته . وبحركتين فى التنفس الصناعى أعاد حركة التنفس أيضا . وعاد هو الى انجاز العملية الجراحية فاتمها الى أن ضمد الجروح الداخلية والخارجية . وشفى العليل شفاء تاما . وشاع خبر الحادثة وذاع معها الاعجاب بمهارة ذلك الجراح

هذا حادث فريد . مات شخص موتا تاما فردت له الحياة . ومنذ ذلك الحين كان العلماء يتساءلون هل تمكن اعادة الحياة للاعضاء الحيوية اذا كان الانسان يحتضر أو اذا مات تحت عملية جراحية أو فى حالة مرضية غير قاتلة ، أى فى حالة ان أعضاءه كلها لا تزال سليمة وانما توقفت وظائف بعضها لاسباب طارئة ؟

وقد ثبت للاطباء ان الموت لا يحدث لجميع الاعضاء الحيوية فى الحال بل هو يحدث تدريجيا . يبتدىء بتوقف ضربات القلب والتنفس ثم يليه بالتتابع توقف سائر وظائف الاعضاء عن أعمالها الى أن يتم الموت نهائيا بعد حين

أى انه بين توقف نبض القلب والتنفس وبين الموت البيولوجى النهائى فترة من الزمن تبقى فيها الاعضاء الحيوية تعمل عملها الى حين على الرغم من ظهور علامات الموت . ولذلك كانت عقول العلماء مشغولة فى هذا السؤال ، وهو : هل يمكن وقف عملية الموت التدريجى هذه قبل ان تبطل وظائف جميع الاعضاء الحيوية ؟ وهل يمكن استنباط وسيلة أو وسائل لاستمرار هذه الأعضاء فى عملها بحيث يتدارك الموت وتستأنف الحياة ثانية

ولطالما استطاع بعض الجراحين ان يردوا الحياة للمرضى الذين ظهرت عليهم علامات الموت واضحة فى أثناء العمليات الجراحية ، ولم يبق شك فى مفارقتهم الحياة ، وكان استرداد

الحياة لهم على أثر ظهور الوفاة توا باستعمال التنفس الصناعى . ولكن الى الآن لم يهتد الاطباء الى طريقة علمية لاستعادة الحياة بعد انقضائها برهة طويلة

على أن بعض الباحثين حاولوا مراراكثيرة أن يكتشفوا الوسيلة العلمية الاكيدة ومارسوا التجارب المختلفة فى بعض الحيوانات . فكانوا ينجحون فى بعض الأحوال . بيد انهم لم يمارسوا هذه التجارب فى الانسان . على ان العلامتين الروسيين كوليابكو وترافكوى أقدما على هذا العمل الخطير وحصلا على نتائج حسنة

فى أغسطس سنة ١٩٠٢ نجح كوليابكو فى انعاش قلب طفل فى شهره الثالث اذ مات فى حمى ذات الرئة (بنيمونيا) نجح فى اعادة نبض القلب بانتظام بعد عشرين دقيقة من توقف نبضه . وبقى القلب يعمل عمله ساعة بعد انتعاشه . وكانت تجارب هيمان وابنه وتومبسون وباربوم وآخرين من أطباء روسيين وغير روسيين فى هذا الصدد ذات نتائج مبشرة بالنجاح . وأهم عمليات تأجيل الحياة عملية الاستاذ فيودور اندريف الروسى

كتب الدكتور فلاديمير نيجوفسكي الطبيب فى معهد الجراحة العصبية الروسى تقريرا قال فيه : ان جماعة من البحاثة العلماء فى هذا المعهد بادارة الاستاذ الدكتور بوردلكو ركزوا كل مباحثهم فى هذه القضية . ونحن نعلم ان حلها يستغرق سنين . ولا بد ان يواجه العاملون خيبات وأغلاطا . ولكننا شعرنا أننا اذا استطعنا أن نؤجل الموت فى بعض الأحوال ونطيل حياة الانسان لا يذهب جهادنا فى هذا السبيل عبثا

وقد ثبت لنا أن هذه القضية التى نحاول حلها هى قضية بيولوجية عمومية لا يمكن ان تحل عن طريق فرع طبى واحد بل بتعاون جميع الفروع . وكانت جماعتنا التى تصدت لهذا المشروع تمثل جميع فروع الطب . وقد تخصص الدكتور فلاديمير نجوفسكى لفرع الفسيولوجيا المرضى والدكتور اركادي لدراسة وظائف الاعضاء الحيوية . وماريا جايفسكايا وماريا شوستر تخصصتا للكيميا الحيوية Biochemistry وماريا تلشنفا لفرع تأثير الادوية فى وظائف الاعضاء وانضم اليهم يوستونيا سميرنسكايا الجراح الفسيولوجى

قال المقرر : ابتدأنا منذ ثمانى سنين نجرب تجاربنا . وقبل الحرب درسنا عدة مؤلفات بهذه الفروع لمؤلفين روسيين وأجانب . وأجرينا أكثر من ٣٥٠ عملية فى الكلاب . وكنا نسجل كل ما نلاحظه من التغيرات فى وظائف مختلف الاعضاء فى اثناء النزع والاحتضار حتى الموت ثم ما كان يلى هذه من انتعاش الجسم

وكان علينا ان نصطنع جهازا خاصا لاحداث دورة دموية صناعية فى تلك الحيوانات بعد ان استنزفنا دماءها كلها من عروقها . وكان علينا ان نبسط الطريقة باستعمال الهيبرين — وهو من خلاصة الكبد — وهو الوسيلة الفضلى لتعديل الدم

قتلنا بعض أصدقائنا الكلاب المساكين تدريجيا دقيقة بعد دقيقة وثانية بعد ثانية . وكنا نسجل جميع ظاهرات الموت الكلينيكى . وبعد ان أعددنا جميع المعدات لاستعادة الحياة

شرعنا نسجل جميع علامات الانتعاش والعودة الى الحياة . ويسرنا ان نقول ان العودة الى الحياة تبت لنا بازدياد القوة النسلية

ان هذه الاختبارات العملية افادتنا جدا وجرأتنا على أن نشرع باجراء عملياتنا في البشر . فجيء لنا باطفال خرجوا من الارحام ولا حراك فيهم . وبعضهم ماتوا على أثر الولادة . وفي معظم الحالات كان سبب الموت الاختناق (اسفكسيا) ولما عجز الدكتور المولد عن معالجة الاختناق وثبتت له أدلة الموت شرعنا نحن نعمل عملنا

كنا غالبا نستطيع رد الحياة لهؤلاء الاطفال . ولكنهم لسوء الحظ لم يعيشوا أكثر من بضع ساعات . وعاش أحدهم ٢٤ ساعة . وأظهر لنا تشريح الجثث ان أولئك الاطفال ماتوا من عطل في بعض أعضائهم كتمزق انسجة الدماغ أو نمو الرئتين الى دون الحد الكافي بحيث تستحيل الحياة في هذه الحالات . ولولا هذا العطل لامكن أن يعيشوا العمر كاملا

وأصبحنا نعتقد انه حينما تكون الاعضاء سليمة غير معطلة تمكن اعادة وظائف الاعضاء الى عملها بكل تأكيد . وفي حالة تسبب الموت عن نزف الدم الكثير أو الصدمة العصبية أو الاختناق كانت طريقتنا في رد الحياة حسنة النتيجة

ذهبت فرقة العاملين في معملنا الفسيولوجي الاختباري في معهد الاختبارات الطبية السوفياتي الى الجبهة الحربية مزودة بتعليمات السلطة العسكرية لكي تختبر النتائج التي حصلنا عليها بعد تجارب عدة سنين . وأخذنا معنا الجهازات العادية التي يستطيع أي طبيب ان يستعملها في اية ظروف وأحوال وهي مؤلفة من وعاء يحتوي على دم مشبع بالجلكوز (سكر العنب) واناء من الادرينالين معا بالاوكسيجين في حرارة ٣٧ـ٣٨ درجة من مقياس سنتيغراد . ومع ذلك الادوات اللازمة وشرعنا نعمل عملنا في كل جريح

بواسطة هذه الاجهزة حقنا الشرايين بالدم الى جهة القلب بقوة ضغط ١٦٠ الى ٢٠٠ ملليمتر زئبقي . وبدفعنا الدم في الشرايين اقفلنا صمام الاورطي النصف قمري ــ أي المشابه لنصف القمر شكلا ــ ودخل الدم الى الاوعية التي تغذي عضلات القلب . ولما شرع القلب يعمل عمله جيدا بحسب وظيفته . نزعنا الجهاز الدافع وشرعنا نحقن الاوردة بالدم ونخفف الضغط حسب المقتضى . وفي الوقت نفسه أجرينا عملية التنفس الصناعي بواسطة المنفاخ لان الطريقة المعتادة لاجراء التنفس الصناعي لم تكن تأتي بفائدة . وقد ادخلنا انبوبة المنفاخ قدما (دغري) الى القصبة (انبوبة التنفس التي تصل بين الحنجرة والرئتين)

عالجنا على هذا النحو ٥١ شخصا جريحا وهم في حالات الموت الكلينيكي أو في حالات الحشرجة أو في الدرجة الثالثة من الصدمة والاختناق . وكان مصيرهم الى الموت مؤكدا . وقد شفي شفاء تاما اثنا عشر جريحا منهم ونقلوا الى المستشفى العادي . وثلاثة عادت لهم الحياة ولكنهم ماتوا أخيرا بذات الرئة (نيمونيا) وبغنغرين الغاز . وعادت الحياة الى ٢٢ شخصا عاشوا ثلاثة أيام وعاد اليهم وعيهم . وحيي ١٢ جريحا بعض الحياة أي أن وظائف أعضائهم الحيوية ، أي القلب والرئتين تحسنت بعض التحسن . وأخفقنا في حادثتين

هذه حالات أشخاص من غير تسمية أسمائهم لانهم كثيرون وانما نذكر فيما يلى اسماء أشخاص آخرين ممن نجح فيهم عملنا

جيء بالرفيق نيكولاى ك. الى المستشفى وفى أسفل وركه الايمن جرح عميق وعطب فى العظم وقطع فى الشريان . وقد أصيب بعض أعضائه الاخرى باضرار . فادخلناه الى غرفة التضميد وهو فى حالة سيئة جدا . لم تجد فيه المعالجات العادية للصدمة . وقد حقنه الاطباء بالكافور والمورفين والكافيين ودفأوه ولكن بلا جدوى أيضا الى أن قال رئيس الجراحين انه مائت لا محالة . ولا فائدة له من أية عملية

لم يشعر بنبض المريض وانقطع التنفس الطبيعى وكان الجريح يتجرع الهواء من فمه كأنه يتثاءب . ولما لم يبق رجاء فى جميع أسلحة المعمل الجراحى انبرينا نحن وحقنا الشرايين بالدم المهيأ لهذا الغرض . فعاد النبض ينبض . ولما زاد الدم وصار يتدفق من الشريان المقطوع عصب الجراح الشريان المقطوع لكى يمنع نزف الدم . ثم شرع يعمل عمليته ، وتحمل الجريح العلمية بلا مضض

وبعد يومين بترت فخذه فتحمل عملية البتر بلا خطر . وأخيرا نقل الى غرفة أخرى فى المستشفى لكى يستتم شفاءه

وهنا حالة أخرى وهى اعادة الوظائف الحيوانية فى الجسم الى عملها فى أثناء النزع الكلينيكى . جيء بالجريح ايفان ك الى المستشفى وهو فى حالة صدمة مريعة . فلم تنجح فيه تجربة نقل الدم لان جميع أوردته كانت مسدودة . وكان النبض متوقفا بتاتا . فقرر الطبيب فصد الاوردة . وفيما هو منهمك بالجريح حدث الموت رويدا فى خمس دقائق

عند ذلك انبرت فرقتنا للعمل حسب طريقتها المجربة . فعاد للجريح وعيه بعد ست دقائق وطلب ماء . وأجاب سؤال الطبيب عن اسمه . وثمة رأى الجراح ان العملية صارت مستطاعة . وجعل يبحث فى حالة الاحشاء وما أصيبت به من أضرار . وعاش الجريح بعد ذلك ثلاث ساعات و٢٣ دقيقة ، ثم مات بسبب جرح بليغ فى البطن وداخل الصدر . فيستفاد من هذه الحالة ان استعادة الحياة ممكنة اذا كانت الاعضاء لا تزال سليمة

وكانت أغرب الحالات وادهشها حالة فالنتين شيريبانوف التى ثبتت فيها جميع أدلة الوفاة منذ ثلاث دقائق ونصف دقيقة قبل ان نشرع بعملنا . وبعد عمل دقيقة واحدة عاد القلب يختلج ثم ينبض . وبعد ثلاث أخرى عاد التنفس طبيعيا . وهكذا أوقف النزع وتأجل الموت . وبعد ساعة رأينا علامات الوعى فى الجريح . وشفى الجريح

جميع هذه العمليات الاختبارية والتجريبية هى البداءة فى فن « تأجيل الموت » . فقد أعدنا الحياة للشخص بعد ٦ دقائق من ثبوت علامات الموت . ولنا الامل اننا سننجح باعادتها بعد مدة أطول من الوفاة . ومن يدرى ماذا تكون الاسرار التى يعلنها هذا البحث فى أمر الحياة والموت

ل . ع



بقلم الأستاذ سامى الجريديني

قد يظن الكثيرون أن النظام النازى ـ وقد غلب على أمره عسكرياً ـ لنظام سهل الاقتلاع من جذور الحياة الألمانية

وليس الأمر لسوء الحظ كذلك

فقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن النازية ليست الا مظهراً من مظاهر الروح الألمانية ونظرها الى الحياة وهى تختلف اختلافاً كلياً عما تواضع الناس عليه منذ فجر الحضارة حتى الآن

وقد يطول بنا المقام اذا ذهبنا الى بعيد لنعرف أصول هذه الفكرة الألمانية كيف نبتت وماذا كان غذاؤها حتى أصبحت شيئاً قوياً يحسب حسابه

أهى لأن الشعب الألمانى قد ضاقت به الأرض واضطره الزمن الى التوسع أم لأنه فى موقعه الجغرافى من أوربا وفيما فى أرضه من فحم وحديد قد جمع ما جعله الصناعة آلة للتسلط . أم هو دم توتونى يزعمونه خير الأصول أعدته الطبيعة للتحكم فى أقدار البشر . أم هى فلسفة مركزة على القوة العسكرية صادفوا بها بعض النجاح المادى فيما مضى فاستمرأوه وأخذوا القاعدة وأطلقوا فيها الحكم واطردوا الباب ؟

نكتفى فى هذا المقال بايجاز بعض ما أجمع عليه كتاب غير مغرضين وقوم لهم من مكانتهم العلمية والاجتماعية ما يجعلهم بمعزل عن التحيز ذريعة الى الوصول الى تعرف أهداف النازية وأساليبها وماذا كان يمكن أن يكون فعلهم لو تمت لهم الغلبة فى هذه الحرب

١ ـ الهدف النازى

ليس لألمانيا من هدف أصغر من التسلط على أوربا كلها ذريعة من بعد ذلك الى الاستئثار بأمور الدنيا هذا هدف لهم قديم لم يجهروا به الجهر كله الا على أيام هتلر . فقد قام هذا فيهم من أصل وضيع لايمت الى عظمة ألمانية بسبب ولكنه مصاب بداء العظمة فما كان إلا أن تقمص الأغراض الألمانية منذ القدم حتى يومه وبالغ فى الدعوة اليها فرأى فيه الألمانيون زعيماً سلموه القياد ولم يكن لمثله أن يقود شعباً عسكرياً مشبعاً بالتقاليد لو لم يمثل هدفهم وآمالهم أعظم تمثيل

ولقد ازداد القوم ايمانا بدنو ساعة تحكمهم فى أقدار العالم عند ما أنسوا ضعف دول أوربا وانحلال المبادىء الديموقراطية فيها وتفشى المبادىء الاشتراكية فى روسيا وتسلطها عليها ووقوف انجلترا وأميركا منها على حذر وخوف

وقد كتب رجل من أساتذتهم الحاليين كتابا دعاه انحلال الغرب (The decline of the west) طبعه فى ١٩١٨ — كتابا ضخما ثقيلا خلص فى نهايته الى مثل هذا القول الغريب (لقد كتب على الامم الديموقراطية أن تزول لأنهم وضعوا كل ثقتهم فى الاوهام وخصوصا أوهام الحق والعدل. وليس فى العالم الا حقيقة واحدة هى القوة فانا أرهفت السمع صحت وقع أقدام القياصرة آتية تملك العالم)

ولم يجمع قوم أمرهم إجماع الالمانيين على هذا المعتقد

وأيدوه بخرافة قال بهـا من قبل موسيقارهم واجنر وأثارها فرنسى اسمه جو بينو (Gobineau) وانجليزى اسمه تشمبرلن (A. S. Chamberlain) وهو من غير آل تشمبرلن المعروفين . على أن زعيمها كان أستاذاً ألمانيا اسمه جنتر (Gunther)

ومغزى هذه الخرافة أن منشأ الحضارة فى البلاد الواقعة شمال البلطيق وأن الجنس الجرمانى هناك هو العنصر الوحيد الذى حافظ على نقاء الدم الآرى النورديكى الطاهر

وأن ليس من حضارة ذات قيمة الا اذا اشتقت من هذا العنصر . وأن هذا العنصر تمثله ألمانيا الحديثة وأن عليها واجبا مفروضا مكتوبا هو تزعم العالم وسيادته

وزاد على ذلك معتوه اسمه روزنبرج ظهر على أيام هتلر فقال إن العنصر الالمانى لطهارته لا يخطىء ولا يعمل إلا ما هو عظيم وان الاقيسة الادبية التى جاءت بها الاديان والتقاليد لا تسرى عليه وان ما به فائدة العنصر الجرمانى فهو القاعدة الواجبة الاتباع

وهم حتى يجعلوا هدفهم ممكنا أخضعوا كل شىء لديهم للسلطة العسكرية

فالنظام — نظام الثكنات — هو معبودهم . يطبقونه فى العلم وفى الادب وفى السياسة وفى الاقتصاد فكانت النتيجة المنطقية لهذا أن وصلوا الى القول بزعيم واحد يستمد منه كل سلطان لا يخطىء ولا يتناوله الشك

« الفوهرر » . هذا إلههم . ومنه تتوزع الاعباء، وما أكثرها على « فوهررات » من تحته مهما سفل

ولو كان هذا التوحيد أو الايمان بالفوهرر عاماً يتناول جميع المخلوقات الارضية لقلنا هذا إله زور قد جاءنا فى آخر الايام

ولكنه إله من طراز غريب . انه إله الجرمانيين . فهم أسياد الأرض وما سواهم فنى طبقات من درجات العبودية بعضها فوق بعض. لا يجديهم ايمانهم بالفوهرر ولا يرفعهم الى التقرب منه إلا دم قد يختلط من قريب أو بعيد بنقط من الدم الآرى

ثم أردفوا الهدف الأصلى بدعامة أخرى وهى إحلال القوة محل القانون

فهم يقولون ويكتبون فى غير استحياء أو خجل إن القانون هو ما عبر عنه الضمير النازى الألمانى وأن القوة هى وسيلتهم وأن كل شىء جائز فى سبيل تسلط ألمانيا ـ الكذب وإخلاف العهود والعبث بالمعاهدات ـ كل هذا حلال وحق اذا نطق به ذو الدم الآرى

وليس ما قدمنا إلا جزءاً صغيراً مما تقوله النازية فى أهدافها وقد ضربنا صفحاً عن تبييتهم للاديان يهدمونها ولا يقيمون لهم معبوداً الا الفوهرر . ويسلطون العلوم الطبيعية على هدم ما تقدم من الرق العالى فى الأخلاق توصلا الى الأخذ بمبادىء جديدة تبرزهم على المخلوقات كلها

ما أشبه فوهررهم بفرعون انه علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ـ وقال ما علمت لكم من إله غيرى . واستكبر هو وجنوده فى الأرض وها هى آخرته

٢ ـ أساليب النازية

أما وقد علمنا الهدف النازى وما يرمى اليه القوم حق لنا أن نشرح شيئاً قليلا من أساليبهم التى زعموا أنها توصلهم الى هدفهم

انا نخشى التطويل فى شرح أساليبهم على اننا نلخصها بما كنا نرى أثره طوال سنى الحرب وما سبقها

فمن أساليبهم تحبيب الجرمانية الى جميع الجرمانيين المتوطنين خارجاً عن ألمانيا

فهم اذ يلوحون الى سكان فى النمسا أو تشيكوسلوفاكيا أو رومانيا أو هنغاريا انهم سلالة شعب الآلهة المختار خلقوا ليسودوا العالم ـ يهيجون العاطفة الانسانية المركزة على الانانية وحب الاستعلاء . وكذلك فعلوا فى أوربا وفى الاميركتين . أما فى أميركا الشمالية فلم تعرهم الجالية الاميركية من أصل ألمانى أذناً صاغية على كثرة عددهم الا نفراً قليلا لا يكاد يعد على أصابع اليدين والرجلين . والسبب فى إفلاحهم فى غير أميركا الشمالية أن عنصرهم كان يمكن أن يعد فى مستوى أعلى من الوسط الذى كانوا فيه .ولا يصح هذا على الولايات المتحدة حيث المتاع المادى والمعنوى مباح لجميع الناس وحيث لا سلطان الا للقانون

ثم لجأوا الى أسلوب مالى اقتصادى يستأثرون به بخيرات البلاد الصغيرة المجاورة كلها يأخذون محصولها ولا يؤدون ثمنه الا « ماركات »

وجعلوا لكل دولة ماركا ولما لم يكن لهذا المارك قيمة فى الخارج أعطوا الدولة الدائنة بضاعة ألمانية مزجاة لا نفع فيها عندهم وعند الجار الدائن الا الى حد محدود كآلات تصوير والعاب أطفال وما اليها بل كانوا يأخذون البضاعة من البلاد المتعاملة معهم كهولاندا أو بلغاريا أو رومانيا أو السويد

ويبيعونها وهى على الطريق لبلد آخر يحتاج اليها يقبضون منه الثمن عملة أجنبية يريدونها فى شراء ما هم بحاجة اليه

وصرفوا اقتصادهم كله الى خدمة الآلة الحربية . للمصارف والمصانع والمناجم ، كلها ترمى الى تكبير آلة الحرب وشحذها

فانهم وضعوا القاعدة التالية هدفاً فى أسلوبهم الاقتصادى ، تبقى المانيا وشعبها المختار الدولة التى تستأثر بالصناعات الثقيلة وشىء من الصناعات الخفيفة التى لا يستطيعها غيرهم ويؤيدون ذلك بما عرف عنهم من المقدرة العلمية فى الأمور الفيزيكا والكهرباء وأما ما بقى من أوربا فخادم يحرث الأرض وعامل يعمل فى الصناعات الصغيرة التى لا تزاحم الصناعة الالمانية

وكان لهم مشروع اقتصادى شيطانى يرمى الى استعمار افريقيا كلها . فيصرفون أهلها الى تشجير البلاد الشاسعة وتحريشها ثم الى استغلال ما فى بطن الارض يرمون بهذا الى جعل القارة مخزناً للمواد الأولية والغذائية للعنصر السيد

واكتفوا بمشروعهم هذا باشراف عسكرى قوى صغير إما بمطار طائرات أو ثكنات جند موزعة فى مواقع استراتيجية بحيث لا يقطنون هم افريقيا ولا يلدون فيها ولا يتناسلون ويبقى الأسود والأسمر والأحمر فى مراتب حقيرة فى خدمتهم

٣ — ماذا تكون النتيجة لو غلبوا انجلترا

ما تقدم بيان مختصر لهدف النازية وأساليبها

ولكن كل هذا كان وقفاً على أمر واحد لا ثانى له ، هو تنحية انجلترا عن معارضة بغيتهم . إما بالدهاء وهذا ما حاولوه ففشلوا أو بالقوة وهو ما قضى عليهم وعلى أهدافهم وآمالهم فلا تقوم لهم قائمة بعد .

لو استطاعوا أن يزيلوا انجلترا لملكوا العالم وفى العاجل القريب لأن انجلترا المهزومة المغلوبة على أمرها تكون محطة لهم للهجوم على أميركا ولا تستطيع أميركا مهاجمة أوربا إن لم يكن لها قاعدة أو قواعد بالقرب من القارة وخير هذه القواعد انجلترا كما ظهر فى هذه الحرب

لو تمكن النازيون من كسر الأسطول لهبط فى الحال مقام انجلترا الى مثل جزيرة من جزر اليونان ، فان هذه الجزيرة التى تأوي ٤٥ مليوناً تأتى بأكثر من نصف طعامها من الخارج ويقوم كيانها على تبادل التجارة مع الخارج فاذا ذهب الأسطول أو عجز عن المحاربة مات كثير من السكان جوعاً وهاجر من استطاع الهجرة

وليس هذا فقط بل ان انكسار الأسطول البريطانى يزيل الحصار الذى كان يمكن أن يضرب حول أوربا النازية ويفسح المجال لانتشار تجارتها مع آسيا وافريقيا فتتم الغلبة على العالم

ومهما تغلسف علماء الكلام فنصر ألمانيا كان أدنى من قابى قوس وان الذى نجا العالم من شر الغلبة المجرمة هو ثبات الجزيرة البريطانية وعدم إحنائها ركبتها لهذا البعل الجديد

ورب قائل يقول ربما كان الخير كل الخير أن تسود ألمانيا فانها توت أن تنظم وأن تضع العالم فى خدمة النظام . وأما إمكان سيادتها فما لا جدال فيه فان تاريخ البشرية مملوء بحوادث وفترات من الزمن كانت الغلبة فيها لمبادىء فاسدة ولرجال مجرمين

وانما الحكم على هذه السيادة يكون بما يمكن أن تجنيه على البشرية من خير

ولا شك أن النازية أداة عبودية لمصلحة ألمانيا مضحية بحريات البشر التى ورثوها وضحوا لأجلها بالشىء الكثير ومخربة للامل البشرى بأن الانسانية واحدة وأن لكل امرىء ماسعى فانه اذا كان الغرض أن السيادة فى العالم لهؤلاء الآريين النورديين والعبودية على اختلاف درجاتها للآخرين فأى معنى بعد هذا للحياة هؤلاء الخدم وكيف يرجى تقدم فى نظام عالمى محكوم فيه مقدماً على بعض بالسيادة وبعض بالعبودية ، فالجزر البريطانية التى وقفت فى وجه طغاة ألمانيا واستلت سيفها فى وجههم لجاء العالم لتجدتها عليهم لم تكن لتجرأ على هذا النضال لولا حب للحرية والاستقلال يتغلغل فى الدم فان دفاع بريطانيا كان كما وصفه الزعيم العظيم تشرشل فى سبيل الحياة أو الموت لا وسط بينهما

فاذا كان العالم قد نجا من عظمى مصائبه فأحر به أن يتعظ وأحر بالدول الكبرى التى وقع على أكتافها عبء مسئولية تنظيم العالم أن تعمل لغيرها كبعض ما تعمل لنفسها وأخلق بالدول الصغرى أن تفهم حقيقة أمرها . وتعرف حدها . فانه ما تخفى على ما كانوا يسمونه ديموقراطية قبل هذه الحرب وما شجع الفلسفة الألمانية وقواها مثل الالتجاء الى علم الكلام والاخذ بالفقه حيث يجب الاخذ بالامر الواقع وصرف الحكومة الى أنها تخدم مصلح الافراد لا الى أنها مظاهر تبين القشور وتخفى اللب

اذا كان لهذه الحرب أثر فى تركيز جهود الحكومات — فى البلاد الصغيرة على التخصيص — الى العمل على تحسين حالة الشعب المادية والعلمية ضاربين صفحا عن أبهة الاسلوب وخداع اللقب — اذن لكان لنا أن نحمد شرها

وأما اذا كان كل ما يعنينا غرض شخصى تضيع عنده العقول أو سياسة قائمة على التفريق بتفضيل فئة على أخرى أو موجهة وجهة تأباها الحقيقة العصرية والعلم الحديث أو أن تكون ادارته فى يد هذه الدولة الكبرى الآن ثم فى يد تلك غداً فما لا شك فيه أن مثل هذه الأوضاع فى الشعوب تغرى دولاً أخرى أن تحذو حذو النازية وأن تزج العالم فيما لا نهاية له من الويل والدمار

سامى الجريديني



ان الموسيقى تزيد انتشارا وتغلغلا فى حياتنا القومية ، وليس ببعيد ذلك اليوم الذى تصبح فيه حاجة من حاجاتنا الضرورية مثل الغذاء والسكن والكساء

ازداد الاهتمام فى السنوات الأخيرة بنشر الموسيقى وادخالها فى مختلف الامور ، ومن ذلك استخدامها كوسيلة من وسائل العلاج

وقد غالى البعض فى هذا الأمر الاخير ، فنسبوا الى الموسيقى انها تشفى من جميع الامراض ، وذلك قبل أن يجرى الاطباء من التجارب ما يمكنهم من الوصول الى نتائج حاسمة

والصعوبة التى تواجه الاطباء فى هذا المجال ، هى ان الموسيقى أكثر الفنون التصاقا بالشخص وتعبيرا عنه . وقد ثبت ان الحواس الخمس ذات ارتباط وثيق بصحة الانسان وهنائه ، ومن بينها السمع أشدها دقة وأكثرها تأثرا . ولا ريب ان الموسيقى هى أحب المؤثرات الصوتية الى الناس، يتلقاها جهاز الاذن الرقيق فتحملها اهتزازات معقدة التكوين الى المخ والجهاز العصبى ، وعندئذ يكون تأثيرها كتأثير كوكتيل قوى .. فهى تقدر ان تمسك وتنشطك ، أو تهدئك وتسكنك ، وتقدر ان تحلق بنفسيتك فى الاعالى مسرعة مندفعة ، أو تهوى بها الى هوة سحيقة لا تلوى على شيء

وقديما عرف للموسيقى أثرها فى ايجاد الفرح والعزاء ، وبث الامل والرجاء ، فعند اليونان القدماء كان « بيثاجوراس » أول من كشف هذه الميزة الخفية لها وكان ينصح تلاميذه بأن يزيلوا آلام الجسم والنفس بما كان يسميه « العلاج الموسيقى » . ويحدثنا « هومر » عن سحر الموسيقى وكيف وقفت نزيف الدم القتال عند « أوليسز » . وكان الاطباء العظام كثيرا ما يلجأون الى معجزة الموسيقى حين تفشل وسائلهم الاخرى فى العلاج ، وقد وصف « جالن » عزف المزامير لتخفيف الآلام ، وكان « ماتيوس » يخفف الحمى بالغناء ، كما كان « ايسكولابيوس » يعالج الصمم بقرع الطبول

ومنذ تلك العصور أخذ كثير من المفكرين المتعاقبين - ومن بينهم ليوناردو فنشى -

يستكشفون طبيعة الموسيقى . واعترى الموسيقى كذلك تطور عظيم ولا تزال يستحدث فيها الكثير كل يوم

ولم يقتصر الاهتمام بالموسيقى على الفنانين وحدهم ، بل أخذ علماء الصوت يلتفتون اليها ، ويجرون التجارب والمقاييس ليدركوا تأثيرها من النواحي الجسمانية والنفسية والكيماوية . وقد لخص الدكتور ادوارد بودولسكي نتائج تلك البحوث والتجارب في رسالة كتبها بعنوان : « الطبيب يصف الموسيقى »

وبواسطة المؤثرات الصوتية في السمع تسنى للعلماء ان ينظموا حركة الهضم ويؤثروا في التنفس ويزيدوا أو ينقصوا من النشاط العضلى ، كما يمكنهم بها أن يعدلوا من حجم الدم وسرعة النبض ومعدل الضغط ويرجئوا الشعور بالتعب أو يعجلوا به ويزيدوه . ومن ثم يرى علماء النفس ان في الامكان ايجاد أساس جسمانى « فيزيولوجى » لتولد الاحاسيس ولضبط الافرازات الداخلية

وقد ثبت ان الأصوات الصارخة تولد الاحماض وتنتج الزيوت من نباتاتها وتبعث الغازات ، وتحول النشاء الى سكر وتقتل أنواعا معينة من الجراثيم وتكثف البروتينات وتحطم الزجاج أو تفلق البيض . بل دلت تجارب أخرى أن سيأتى يوم تعالج فيه حصى المرارة باذابتها بالأصوات !

وعلى الرغم من هذا التقدم البعيد المدى في البحوث المتعلقة بالصوت ، ينبغى أن لا يبالغ الجمهور في الاعتماد على العلاج بالموسيقى . فالواقع انه في تاريخ الطب كله لم تكسب وسيلة من وسائله شهرة واسعة على أساس قليل من التجربة ، كما كسبه ذلك الضرب من ضروب العلاج . والعادة انه حين تظهر في عالم الطب عملية جراحية من نوع جديد ، أو دواء لم يكن للناس عهد به ، يكون ذلك قائما على آلاف من التجارب أجريت على الفيران والارانب والكلاب والاناسى ، ذلك لان صناعة الطب لا تمشى في الظلام . أما في حالة العلاج بالموسيقى فقد كانت الحاجة عاجلة والحماسة شديدة ، فجاء كثير من ذلك العلاج على غير أساس ، ولسوف تنقضى سنوات طويلة في البحث والتجربة ، حتى تعرف بالضبط حدوده وما يمكن أن يصل اليه من النجاح

ومع ذلك ، والى أن يحين هذا الاوان ، ينتشر استخدام الموسيقى كوسيلة لتخفيف الآلام وازالة الشعور بالانقباض . وقد أخذ عدد من المستشفيات في اتخاذ الموسيقى لهذه الغاية ، مثل مستشفى فورد ومستشفى الكسندر بلير في ديترويت ومستشفى وولتر ريد في واشنجتن ومستشفى جامعة كليفلند .

وقد سارعت مدارس الموسيقى والموسيقيون المحترفون الى التمشى مع هذه الحركة فوضعوا برامج ملائمة

وفى مقدمة الرواد في هذا المجال ، المرحومة هاريت أير سيمور ، التى كانت مؤسسة ومديرة « المؤسسة الوطنية للعلاج بالموسيقى » ، ومكانها الآن في قاعة ستينواى بنيويورك .

وقد بدأت فى خلال الحرب العظمى الاولى ، فقضت سنوات فى البحث والدراسة بامريكا وأوربا ، وانتهت الى وضع برنامج دقيق يشمل أنواعا معينة من الاغانى والآلات الموسيقية لسد حاجات طوائف شتى من المرضى ولمساعدة الاطباء فى علاجهم الطبى . وكانت المسز سيمور تهتم بعدة عوامل : مثل شخصية الموسيقيين العازفين ، وحسن اختيار القطع الموسيقية والتقارب النفسانى وغير ذلك مما يختلف عن الحفلات الموسيقية العامة أو المنزلية

وقد تطوع عدد كبير من الطلبة للعمل تحت اشراف تلك السيدة فى مختلف مستشفيات نيويورك بعد ان دربوا تدريبا خاصا . ثم اقتدى بهم غيرهم فى المدن الامريكية الاخرى فألفت فيها فرق موسيقية للعزف فى المستشفيات ترويحا عن المرضى ومعاونة على علاجهم . غير ان المسز سيمور كانت منذ البداية بعيدة عن الغلواء ، مبرأة من الزعم بأن الموسيقى شفاء لكل مرض ، ومع ذلك فقد شهد الاطباء والممرضات منذ بدء استعمال تلك الطريقة بأن مرضاهم تسترخى أعصابهم ، ويهدأ نومهم ، ويزيد اهتمامهم بالحياة والعالم ، عقب كل حفلة موسيقية يستمعون اليها

ومنذ وفاة المسز سيمور وتزايد عدد الجنود الجرحى ، حمل الرسالة خليفتها المستر ايرل جاريت بالتعاون مع سيدات الصليب الاحمر ، فهم يقيمون مئات الحفلات الموسيقية كل اسبوع فى المستشفيات ، غير ان الطلب يفوق العرض بمراحل . ومن رأى البريجادير جنرال رالف دى فو الضابط المدير لمستشفى هالوران العمومى ، ان الموسيقى سوف تكون فى مقدمة وسائل النقاهة فى المستشفيات العسكرية

وكثيرا ما تعزف الموسيقى للمريض فى اثناء اجراء عملية جراحية له بتخديره تخديرا موضعيا أو فى عموده الفقرى ، فهو يستمع اليها بواسطة سماعتين توضعان على أذنيه ، فتخفف عنه وقع الشعور بأن الاطباء يعملون بمباضعهم فى اجزاء من جسمه .

وقد لوحظ فى السنوات الاخيرة ، ان كثيرا من الخيرين البواسل الذين يجودون بجانب من دمهم للمرضى ، يصابون بالاغماء أثناء عملية نقل الدم . وقد رأت مراكز الصليب الاحمر فى بروكلين وبوستن وبفالو ، ان عزف الموسيقى فى أثناء تلك العملية يذهب بمخاوفهم الوهمية . وكان أحد الاطباء النفسيين قد اقترح ذلك فدهش الجراحون من حسن نتائجه

وتذاع القطع الموسيقية المختارة بواسطة جهاز خاص يوضع فى المستشفى . ولقد ابتكر الدكتور ألمر س . بست كرسيا موسيقيا لعيادة طبيب الاسنان ، يجلس عليه المريض فيستمع الى موسيقى مطربة تغطى على صوت الخلع والحفر والمسح وما أشبه مما قد يجرى على أسنانه

وقد لجأت الى الموسيقى الدكتورة لو . بتاس . بندر بلدة بلفى والدكتورة ايرا . م . ألتشولر بمستشفى الواز والاطباء النفسيانيون بمستشفى جون هوبكنز وغيره من المستشفيات ، لكى يخلصوا من انفعالات الاطفال المرضى ويهدئوا من سورة الكبار المرضى

بقولهم . وكانت بأحد المستشفيات امرأة روسية شابة خيل اليها أن الناس جميعا متآمرون على قتل طفلها ، ولم تهدأ ثائرة هذه الهستريا عندها حتى عزفت لها قطع موسيقية روسية مما اعتادت سماعه فى عهد طفولتها . وأصيب شيخ اسكتلندى الاصل فى حادث سيارة ففقد ذاكرته فقدانا تاما حتى لقد جهل زوجته ، ولم يستمد ذاكرته الا حين أخذت جماعة من الحسان يعزفن له أغانى اسكتلندية قديمة . وآلاف من الكائنات البشرية المعذبة من أمثال هذا وتلك يولدون من جديد بفضل الموسيقى ، وخصوصا اذا أمكن اشراكهم أنفسهم فى العزف أو الغناء

ان كثيرا من مديرى المستشفيات يطلبون التوسع فى استخدام الموسيقى ، ويؤثرون ان يشترك فيها المرضى أنفسهم ولو بمجرد التوقيع على سررهم أو الهمهمة بحناجرهم . ومعظمهم لا يضنون بالانفاق السخى من ميزانياتهم المحدودة فى سبيل الموسيقى لو أمكن التقدم فى استخدامها كعلاج ، وفى ذلك يقول الدكتور ويلم فان دى ورل مؤلف كتاب « الموسيقى فى المعاهد » : ان استخدامها فى العلاج مسألة طبية كما أن استخدامها التجارى مسألة فنية

ولما وجبت مضاعفة الانتاج فى أمريكا لسد حاجات الحرب ، كان للموسيقى أثر بارز فى هذا المجال ، وقد عمد اليها أكثر من ثلاثة آلاف من المصانع الحربية فصارت تذيع القطع الموسيقية بالراديو أو الفونوغراف اثناء العمل ، فتبعث فى العمال روح النشاط والسرور . ولم يقتصر الامر على المصانع الحربية وحدها ، بل استخدمت الموسيقى أيضا فى المعامل المدنية والمغاسل والمطاعم . وقد لوحظ أن أحسن أنواع الموسيقى فى هذا المجال هى الموسيقى الهادئة المتزنة . اما الموسيقى الصاخبة مثل الجازباند فانها بعد ان تثير الحماسة فى العمال يعقبها رد فعل من الخمول . وقد قام ريتشموند كاردنل مدير ابحاث الموسيقى والاستاذ هارولد بوربس ماير بمباحث وتجارب واسعة النطاق لمعرفة تأثير الموسيقى فى انتاج العمال ونشاطهم ، فاتضح لهما انها قد أنقصت حالات انصرافهم قبل الميعاد بمعدل ٦٦ فى المائة ، وهبطت بحالات الغياب عن المصانع بنسبة ٨٧ فى المائة ، وزادت الانتاج بنسبة ١١٫٤ فى المائة . وفضلا عن ذلك صحب زيادة الانتاج نقص ملحوظ فى الشعور بالتعب والدوار وتحدث العمال معا أثناء العمل وتكرار نظرتهم الى الساعة . وقد كان لهذه النتائج شأن فى وقت انصرفت الجهود كلها الى الانتاج بأقصى سرعة وأكبر قدر لسد حاجات الحرب

على ان الخبراء قد وجدوا ان من المحال وضع قواعد حاسمة بهذا الشأن فان الظروف تختلف باختلاف الصناعات وباختلاف الرجال والنساء الذين يعملون فيها . والثابت على أى حال هو ان للموسيقى أثرا حسنا ملحوظا فى نشاط العمال ونقص شعورهم بالتعب وميلهم الى التراخى والخمول ، والعادة ان اذاعة القطع الموسيقية فى أحد المصانع تشغل نحو ساعتين ونصف ساعة فى اليوم ، على فترات طول كل منها يتراوح بين عشر دقائق

وعشرين دقيقة . وكثير من المصانع تشجع عمالها على تكوين فرق موسيقية ، أو فرق غنائية ، فقد ثبت ان الغناء يساعد على الهضم وينشط الحركة الدموية ويزيد ما يستمده الجسم من الاوكسيجين بالتنفس

وقد يظن القارىء ان الموسيقى اذا ساعدت عمال المصانع على عملهم ، فقد تشغل الذين يشتغلون بأذهانهم اذا استمعوا اليها . وقد ثبت عكس ذلك وصارت القطع الموسيقية تذاع فى كثير من المكاتب المزدحمة بالموظفين ، مثل مكاتب مجلة ريدز ديجست وشركة توماس للنشر وكذلك فى بعض البنوك وبعض المكاتب الهندسية التى يجتمع فيها نحو خمسمائة من المهندسين والرسامين لوضع التصميمات الخ . وانما يجب أن تختار القطع الموسيقية التى تذاع فى أمثال تلك المكاتب بحيث تكون هادئة ووسطا بين البطء والسرعة حتى تلائم الأعمال الذهنية

اننا فى هذا العصر الذى انتشر فيه الراديو وكثرت اسطوانات الفونوغراف يمكننا ان نحصل على الموسيقى حين نشاء وحيث نشاء . ولسنا نملك الفرار من تأثيرها حتى ولو أردنا ذلك . وانت أيها القارىء سواء كنت صاحب عمل أو موظفا ، وانت أيتها القارئة سواء كنت ربة بيت أو ذات مهنة أو عمل ، تستطيعان ان تريحا أعصابكما ، وتبعثا النشاط فى الجسم والذهن ، وتشعرا بالعزاء والهناءة ، بقليل من الموسيقى المناسبة تستمعان اليها

(عن مجلة الغد « تورونتو »)

البترول فى امريكا

من بين المسائل التى تشغل بال الولايات المتحدة الامريكية فى الفترة الراهنة مسألة البترول . وقد كتب المستر هارولد ايكس وزير الداخلية فى احدى المجلات الامريكية مقالا بعنوان « البترول يفرغ من أيدينا » صور فيه الاخطار التى تحيق بالولايات المتحدة اذا لم تكن لديها مقادير وافية من البترول ، ثم قال : « ان الاحتياطى الموجود فى أمريكا الآن لا يكفى لاكثر من أربعة عشر عاما فاذا لم تعد العدة له من الآن فسوف يصبح من المتعذر عليها أن تشترك فى حرب أخرى فى المستقبل . ولذلك كان لزاما عليها ان تختزن مقادير من البترول فى بلادها ، وأن تضمن موارد كبيرة منه فى الخارج ، كما تعمل على توفيره فى المراكز الاستراتيجية من ناحية أخرى »

« مجلة الايكونومست »

التحرر من العار

بقلم العلامة الايطالى ـ الامريكى بورجيزى

الاستاذ جيزيى انطونيو بورجيزى عالم ايطالى ناهض النظام الفاشيستى فى ايطاليا وهو فى عنفوان قوته وجبروته فاضطر ان يغادر بلاده الى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٣١ . وبعد سبع سنوات تجنس بالجنسية الامريكية . وهو الآن استاذ بجامعة شيكاجو . وقد كتب الموضوع التالى عن ميثاق الاطلنطى وتنظيم العالم بعد الحرب ، وفيه كثير من الصراحة والجرأة

أعلن الرئيس روزفلت ، قبيل سفره الى يالتا ، عن رغبته فى لم شعث ميثاق الاطلنطى الذى كان له النصيب الاوفى فى وضعه ثم تمزيقه . .

بيد أن ميثاق الاطلنطى كان شيئا واهنا منذ نشأته . صحيح أنه أنكر كل رغبة من جانب الدول المنتصرة فى التوسع الاستعمارى أو غيره ، وانه حرم كل تغيير فى حدود البلدان لا يكون متفقا مع رغبات الشعوب . ولكنه فى الوقت نفسه قدس « الحقوق العليا » التى للدول القائمة « فى داخل حدودها » ثم تبع ذلك تصريح تشرشل القائل : « سوف نحتفظ بحقوقنا » ، وتوقيع ستالين للميثاق مع اشتراطه ضمنا بأن الحدود فى نظره هى كما كانت فى سنة ١٩٤٠ أو فى سنة ١٩١٤ ، كما يحلو له . وقد أكد الميثاق « القضاء الابدى على النير النازى » غير انه نص على احترام « حق كل شعب فى اختيار شكل الحكومة التى يريد أن يعيش فى ظلها » ، وبذلك برر قيام حكومتى بتان وفرانكو فى ذلك الحين ، ومهد الطريق لاى نوع جديد من الفاشية يمكن أن يقوم فى أحد البلدان المحررة . وذكر الميثاق كذلك عدالة توزيع التجارة والمواد الخام على جميع الدول « سواء كانت كبيرة أو صغيرة ، منتصرة أو مغلوبة » ، ولكنه أضاف حاشية تقول : « مع رعاية الالتزامات الحالية » وفى ذلك علامة مرور خضراء للاحتكارات الموجودة والقابلة للاتساع .. ورسم الميثاق فى آفاق بعيدة « ايجاد نظام دائم للسلام العام » ، وفى انتظار تحقيق هذا الامل ، بعد سنوات أو بعد أجيال ، يكون هناك عالم المنتصرين وعالم المهزومين ، ويكون لبوليس الدول المنتصرة حق الاشراف على تلك الأمم التى قد تنذر بالعدوان فى خارج حدود بلادها ، (ولعل العدوان الذى فى داخل حدود البلاد مثل ابادة الاقليات أو المعارضين السياسيين يكون مما لا شأن لنا به)

هكذا كان ميثاق الاطلنطي : فلا عجب ان يضعف مثل هذا البناء الواهي أمام بضع هزات تصيبه

أما النقص والغموض اللذان اعتورا « الحريات الاربع » فانهما لم يلفتا الانظار وما كانا بمقصودين ، فان تلك الحريات الاربع قامت على الجهل بالتاريخ أكثر مما قامت على الدهاء الدبلوماسي ، وانما رحبت بها الشعوب التي تتكلم بالانجليزية ذلك الترحيب ، لانها كانت ترديدا لشعور عزيزي عندها بأن الحرية أمر بديهي سواء كانت منقسمة الى أربع حريات أو أكثر . .

ولكن شعوب أوربا لن تقنع باربعين نوعا من الحرية حتى تكسب ضربا منها لم تشمله حريات روزفلت الاربع ، وأعني بها حرية تقرير المصير . فاذا عدلنا عن كلمة «الحرية» الى كلمة « التحرر » رأينا الاوربيين في حاجة الى التحرر من « العار » ، أي من الشعور بالنقص الذي يزيد بالخضوع الاضطراري للسلطان الخارجي

ان عقلية الشعوب التي تتكلم بالانجليزية لاتقدر هذا الامر حق قدره ، فانها على عكس أبناء عمومتها وأعدائها الالمان ، لم تحاول قط ان تصبح جنسا ممتازا يسيطر على جميع الشعوب . بل انها أحجمت عن اتخاذ أية خطة لفتح العالم . ولكنها على عكس أبناء عمومتها ومنافسيها الالمان ، قد نجحت فعلا في أن تصبح شعبا ممتازا وجنسا سيدا ، ولست تجد انجلوسكسونيين في حالة عبودية بأي مكان ، فحيثما حلوا أصبحوا أوصياء يحكمون شعوبا خاضعة ، أو عاشوا على الاقل انداداً للامم التي يعاشرونها حفظاء على كرامتهم القومية . وليس ثمة من أقلية تتكلم بالانجليزية ، وتستحق الذكر خاضعة لقوانين أجنبية

اذا ذكر الاوربيون الحكم الاجنبي فانهم لا يتصورون بالضرورة حكما قائما على الشنق والسجن والنهب والسلب . بل انهم قد يتصورون امكان قيام سيادة مشوبة بعطف أبوي وربما يذكرون أمثلة على ذلك . غير ان الحكم الاجنبي يؤدي الى الهلاك سواء كان قاسيا أو لينا ، ويكفي انه يفقد الشعب المحكوم كرامته وثقته بنفسه ، ويعوده الشعور بضرورة البقاء في مستوى لا يسمو الى الحكم الذاتي ، فهو يمزج جرعة من الشعور بالانحطاط بمشروب الكراهية العاجزة ، وهو ينسى مزايا الانتخابات العامة في حين لا يتعلم صعاب الاضطلاع بالمسئولية . وعند ذلك الشعب تذوي بذور الخلق والابتكار الذهني ، وتنضب موارد الاقدام الاقتصادي ـ فانه ، كما قال أحد علماء الاقتصاد في القرن الثامن عشر : لا يكاد الحيوان أو الانسان يفقد حريته ، حتى يصبح لزاما على سيده أن يطعمه

ان شعوب أوربا كلها قد مرت عليها فعلا تجربة العبودية القومية . وهي لم تعلم بها من الاقوال ولا من الكتب ، ولكنها شهدتها بنفسها ولمستها عن كثب ، ولا تزال تكره ذكراها القريبة من الاذهان ، وتفزع من خوف عودتها يوما من الايام . وهذا شعور واضح في الطبقات العليا من القوميات الاوربية ، كما هو كامن في ضمائر الطبقات الدنيا منها

وهذا هو الذي دعا شعوب أوربا الى بغض الالمان . وكل أمة أخرى قد تحاول ان

تحل محل الألمان وتقتل دورهم ، مهما يكن حكمها لينا عطوفا ، تكون مكروهة كذلك وسيكون لامريكا نصيبها من بغض أوربا اذا مدت يد العون لاخضاعها

ولقد قاس وودرو ويلسن عمق هذه المسألة وقدر أهميتها ، ولذا وضع مبدأ « حق تقرير المصير »

ولقد أدرك بلا ريب أن زيادة تأكيد المشاعر القومية هي من أكبر عوامل الفوضى فى العالم . ولكنه أدرك أيضا انه لا بد من ترك المجال لتلك المشاعر فى دائرة المدنية وان الاستمرار فى ضغطها انما يؤدى الى الانفجار

هذا الذى ألهمه ويلسن ، وتلك غايته . ولقد فسرت هزيمته بأمرين : أحدهما انه لم يعش حتى يتاح له احكام غايته . والثاني انه كان متعلقا بالاحكام الى حد الغلو . وواضح ان كلا الامرين يناقض الآخر . ومأساة الفترة الحالية من تاريخ أمريكا هى ان جميع أصحاب الرأى والسلطان من الجماعات والاشخاص ، من الرئيس فنازلا ، قد أختاروا الرأى الاخير . والذين كانوا متصلين فى شبابهم بويلسن وأعماله قد أجهدوا أنفسهم لكى يبينوا لنا أنهم قد نضجت عقولهم منذ ذلك .. ولم يترك كتابهم سبيلا لكى يقنعوا أنفسهم ويقنعونا بأن ويلسن كان على خطأ ، وان خصمه الالد ، كليمنسو « الواقعى » ، كان على صواب اذ كان يفسد عليه خططه النظرية ، وان العقل البشرى والعدالة الاجتماعية وتاريخ المدنية ــ كل أولاء تنكر شرعية مبدأ ويلسن الذى يقول بحق الشعوب فى تقرير مصيرها. وسنرى ثمار هذه الآراء

ثمار « الواقعية »

ما دامت حالة آسيا فى غموض فان تلك الثمار يمكن تبينها فى أوربا . والمثل البارز فيها هو بولندا ، ففى مسألتها يمتزج الجد بالهزل

وانه لمن المؤلم المضحك معا أن الحرب الاوربية التى بدأت رسميا لاجل بولندا ، قد انتهت ــ بعد الانتصار ــ باخضاع بولندا ! وان انجلترا التى كانت قد مضت فى التسامح حتى بلغت الى ميونخ ، ووصلت بعد تردد الى براغ ، قد وقفت عند دانزج ، ودافعت عن قدسية المعاهدات وعن سيادة الأمم ، ثم جردت سيفها من غمده وخسرت ثم كسبت . ولقد حاربت بولندا ولا تزال تحارب ، فى صف انجلترا وفى صفنا . وها نحن أولاء ننتصر . وساق النتيجة ان اتفاقية هتلر ــ ستالين التى قسمت بولندا قد مزقت . ونال ستالين كل ما يصبو اليه . وقد أخذ بولندا فى طريق تقدم جيوشه صوب برلين ، وكان ذلك أمرا يدعو الى الغبطة ! غير ان ما أخذته جيوشه باسم الدول المتحالفة ، قد أصبح الآن شيئا له ، ناله من بريطانيا وأمريكا ــ وهذه مأساة لا شك فيها !

والمسألة التى تواجهنا الآن ليست المفاضلة بين الحماية الروسية والسيطرة النازية على

بولندا ــ ولا مراء أن الاولى خير من الثانية ــ وليست المسألة كذلك هي هل يأتي نشر البلشفية في بولندا بتقدم اجتماعي واقتصادي للفلاحين واليهود فيها ــ وهو أمر جد محتمل . وليست أيضا في كون لفوف وفلنو ستكونان من نصيب روسيا أو بولندا . النتيجة هي عدم وجود نتيجة وانما هناك حقائق جامدة . وستأخذ روسيا لفوف وفلنو لانه لا بد من ذلك . انا نهدم هتلر في حين نهب الشرعية للفكرة التي يمثلها . والحق للقوة !

اننا اذا اعترفنا بأننا لا نستطيع عمل شيء حيال ذلك ، واذا أبدينا الأسف وقلنا اننا لا نملك الرغبة ولا القوة للتدخل في بولندا ، وانه يكون من الجنون ومن الاجرام ان نعلن أو نعد حربا عالمية ثالثة ضد روسيا ــ فاننا نكون على الاقل شرفاء . وانما يبدأ الشر حين نحاول أن نغرى أنفسنا بالاعتقاد ان نص ميثاق الاطلنطى ــ دعك من روحه ــ لا ينقض الآن في بولندا . وهذا هو ما نعلمه بالضبط في بالتا

ليس في الاعتراف بالضرورات ما يحط الانسان أدبيا . ولكن يكون الانحطاط الادبي والفوضى حين تنطلى الضرورات بستار من السفسطة

وهم « الصلح القاسي »

حين تفرغ الدول من مسألة بولندا تصبح مسألة ألمانيا في مقدمة المسائل

وفي حالة ألمانيا قد حددت المسألة بانها لا تعدو الصلح الرحيم أمام الصلح القاسي

غير ان وضع المشكلة على هذا الشكل هو تزوير لا شك فيه

ان ذنب الأمة الالمانية في مساعدة النازية على تولي السلطان ، هو ذنب عظيم لا ينكر . غير ان تلك الامة لم تستأثر بهذا الذنب وحدها ، فانها لم تعوزها الامثلة والمغريات من حولها . وقد كانت الكنائس وبيوت المال والامراء والشعراء وعظماء الشرق والغرب ــ يقدمون القرابين الى تلك الخطيرة المناهضة لتعاليم المسيح

أما الرأى القائل بأن ألمانيا على أى حال ــ سواء كانت نازية أو غير نازية ــ قد تأصل فيها الشر ، وان الروح العسكرية ومبدأ العنف هما من خصائص شعبها ، هذا الرأى لا يحمله أصحابه أنفسهم محمل الجد ، وانهم ليعلمون في قرارة نفوسهم انهم انما ينتقمون من فكرة اضطهاد اليهود ــ والجزاء من جنس العمل ــ وهذه ليست أصلا من اختراع الالمان . وذلك بتحميل أمة واحدة كل ذنوب الجنس البشرى وكل مساوئه وخطاياه . ونتيجة محاولاتهم هذه ستكون طفلا وليد الحرب لا يرضى ان يتبناه أحد مسيحي أو يهودى أو أى انسان متمدن

ليس هناك شعب مختار من الله ولا شعب ممقوت من الله على وجه الارض . وليس هناك فرد أو جماعة تعلو على الذنب والتكفير عنه

ومهما انحط مستوى التفكير في هذه السنين فان أمثال هذه الحقائق ما كانت لتستحق

الذكر لو أن أية حقيقة من نوع ما كانت تقف خلف خدع الدعاية

والحقيقة ان الشعب الالمانى يكون ، ويحتمل أن يكون ، أقوى وأكبر جماعة فى أوربا غربى روسيا . ومن ثم ينشأ احتمال عودة ميول السيادة ــ مهما تكن الفكرة التى خلفها ــ الى ألمانيا اذا أمكنها ان تخرج متحدة من كارثة النازية . وبديهى اننا لا نريد ذلك . وعلى هذا يجب ان يكون الصلح قاسيا بغير حد

ولكن هل صحيح انه كلما كانت أمة من الأمم أكثر عددا وأعظم عملا من جيرانها فانها لا تلبث ان تطلب لنفسها السيادة فى مجال تفوقها النسبى ؟ كلا . ان هذا ليس صحيحا ان تفوق الولايات المتحدة بالنسبة لنصف الكرة الغربى هو أشد كثيرا من أى تفوق كان لالمانيا أو يمكن أن يكون بين دول القارة الاوربية . ومع ذلك فان الولايات المتحدة قد فرضت على نفسها حدودا لارضها وسلطانها ، قبل ان تظهر سياسة حسن الجوار بزمن طويل

فهل الامة الالمانية بالغريزة عاجزة عن بلوغ مثل هذا النضوج ؟ أهى أمة كتبت عليها اللعنة الى الابد ؟ ومن الذى كتبها عليها ؟ أهو « الكبير » الذى لن تحيط بعقله أذهاننا ، أم « الثلاثة » الكبار ؟ ولكن اللعنة ليست من اختصاصهم ، فان مهمتهم لا تعدو ازالة الفاشية الالمانية من الوجود ، أو على الأقل : عدم تكرار ما فعلوه مدة جيل مضى ، وهو معاونة تلك الفاشية . .

والواقع انه كان أمام الدول الديموقراطية طريقان لاحتضان الفاشية ومساعدتها على البقاء . واحدى هاتين الطريقين كانت ارضاعها ورشوتها فى اثناء طفولتها ومنحها الثناء والغذاء والاقاليم . وقد اتبعنا هذه الطريق حتى وصلنا الى ميونخ والى أبعد منها . ونجحنا نجاحا باهرا .

أما الطريق الاخرى فهى ان تدفن الفاشية وكل منشآتها الضرورية تمهيدا لان تبعث فى المستقبل وهى أكثر حيوية من قبل . ويمكننا أن نفعل ذلك اذا حققنا ما قاله هتلر ليلة ٣٠ يناير الماضى اذ قال : « ان أى وعد تدلى به الدول الديموقراطية لا قيمة له . فانها عاجزة عن الوفاء بعهودها » . فما علينا الا أن ندلى بالبراهين على صدق الفاشية والنازية اذ كانتا تزعمان ان الحرية والعدالة ليستا الا قناعا يخفى وراءه الطمع وحب السيطرة

وعلى هذا الأساس يكون أقسى صلح يفرض على ألمانيا هو أرحم صلح بالنسبة للنازية بناء على ذلك اذا لم نكن ماديا قادرين على ان نجتث الامة الالمانية من جذورها لنفنيها ــ ولعلنا لا نستطيع ذلك ــ واذا كانت مدنيتنا المسيحية المزعومة لا تعيش بعد هذا العمل الوثنى ، فان تصرفنا مع ألمانيا يجب ان تكون له هذه الوجهات الثلاث المتلاحقة :

أولا ــ النصر والتسليم بلا قيد ولا شرط . وليس هذا صلحا ، لا قاسيا ولا رحيما . بل انه يكون ، وينبغى أن يكون ، محو النازية من ألمانيا

ثانيا ــ الفترة التى تقع بين النصر والصلح . ويمكن أن توصف هذه الفترة بانها هدنة

أو وقف القتال . وفى خلالها يجب أن تحتل أراضى ألمانيا بجيوش الدول المتحالفة لا بجيوش دول على حدة ، وان تدار شؤون ألمانيا ادارة عسكرية بواسطة اشراف مشترك من الحلفاء لا بواسطة انتدابات دولية مفردة

ان الهدنة ليست مسألة مفاوضات ولكنها مسألة تنفيذ التسليم بلا قيد ولا شرط من جانب الالمان ، والانتصار المقيد بشروط الشرف والحكمة من جانبنا

ثالثا ـ الصلح مع الامة الالمانية التى صهرتها الحرب فتخرج أمة جديدة وتعود الى المساواة والحرية فى جمعية الامم . ولست أعنى صلحا رحيما ولا قاسيا ، ولكن « الصلح » وكفى

وتكون الصلة بين المرحلتين الاولى والثانية من هذه المراحل الثلاث هى عزمنا الاكيد على أن لا يكون لنا أى عمل مع أية هيئة تخلف النازية ـ بحجة الشرعية أو النظام ـ وتكون الصلة بين المرحلتين الثانية والثالثة هى الحرص على تفادى كل قول أو عمل من شأنه أن يخل بحقين ثابتين للامة الالمانية : وهما حقها ، بعد بعثها ، فى استعادة تكوينها الاقتصادى ، وحقها فى تقرير مصيرها بنفسها حين يمكنها ذلك بحرية ودون ضغط

ان الأمر يحتاج الى تصريح يمثل هذه الغايات النهائية باعتبارها شروطا فرضناها على أنفسنا ، وهو ما أعوز ميثاق يالتا بشكل يدعو الى الذعر . وليس يكفى فى ذلك تصريحات عامة غير مقيدة مثل قول تشرشل يوم ١٨ يناير الماضى : « نحن لسنا جلادى أمم ولا قصابى شعوب » . فقد أدلى بتصريحات أسمى من ذلك يمثل هذا الاسلوب لامم أخرى فى خلال هذه الحرب ، ولكنها لم تحترم قط

كذلك لا يجدى نفعا صقل ميثاق الاطلنطى أو طلاؤه فان هذا الميثاق قد تلف بحيث لا يجدى معه أى إصلاح . وانما يحتاج العالم الى تصريح مقيد بعد ان يوضع بدقة ولا يكون فيه منفذ للتلاعب . يريد العالم تصريحا بأن جميع الامم لها حقوق معينة لا يمكن أن تفقدها ، ومن بينها حق الحياة وحق الحرية وحق السعادة والرخاء ، على أن تكون هذه الحقوق ثابتة مرعية لكل الشعوب وجميع الناس فى انحاء المعمورة ، سواء منهم اليونانيون أو الهمج أو اليهود أو الالمان ، أو المتنصرون أو المغلوبون

وان رسالة أمريكا لهى ان تعيد هذه الحقيقة الى الوضوح بحيث لا تحتاج الى برهان

اذا اضطررت الى كذاب فلا تصدقه ولا تعلمه أنك تكذبه فينتقل عن وده ولا ينتقل عن طبعه « معاوية »

العربة الفارغة أكثر جلبة من المثقلة « برنارد شو »

رب مزاح فى غوره جد « مثل عربى »



بقلم فضيلة الاستاذ الشيخ محمود ابو العيون

ان مؤرخ الجيل لا يستطيع أن يضع صورة صحيحة للاشخاص الذين يعيش معهم فى البيئة والزمان والمكان ، فان المؤرخ فى هذه الحالة تتأثر نفسه بمؤثرات أوحت بها الظروف والحوادث والروابط والعصبية والجوار ، وبما يضعه الاشخاص حول أنفسهم أو يضعه الجمهور لهم من صور مدخولة ، هى على الاقل بعيدة قليلا أو كثيرا عن مقوماتهم ومشخصاتهم الصحيحة ، والمعاصرة حجاب ، أما بعد انقراض الجيل ، فكلما قدم العهد كان التاريخ أقرب الى الحقيقة

ونحن نجيب عما طلبه الينا « الهلال » عن هؤلاء بعد مائة عام بقدر ما يهدينا اليه البحث من تحليل آثارهم وأهدافهم فى الحياة ، كأنه التاريخ يقص ذلك القصص

١ ـ محمد حسين هيكل

يقول عنه التاريخ : انه نشأ فى أسرة ريفية كريمة ، وتعلم وتثقف فى الادب والقانون واشتغل بالسياسة ، وكتب فى السيرة النبوية ، وفى التاريخ الاسلامى ، وفى الرواية القصصية والتمثيل ، وهو فى كل كتاباته جيد الاسلوب ، رصين العبارة ، وكان فى السياسة طويل الباع ، قوى النزعة الحزبية ، لا يريم عن رأيه ونزعته مهما لاقى فى سبيل ذلك من العنت والارهاق ، وقد وصل بجده الى رياسة حزبه السياسى ، ومن طريق الحزبية الى الوزارة ، ثم الى رياسة مجلس الشيوخ ، وهو يميل الى الحكم ، ويحن اليه ، ثم هو كاتب فى السياسة أجود منه كاتبا فى الادب ، وهو فى تأليف التاريخ باحث متعمق ، ولكنه قد يخطىء الصواب وان كان الخطأ قليلا ، ولعل ذلك نشأ من حرية الفكر ، وجرأة البحث الذى اعتاده ، وترعرع فيه ، وجرى عليه كأمثاله من شباب ذلك العهد ، وهو من الافراد القلائل الذين ثبتوا على مبدئهم السياسى طوال حياته ، بخلاف كثير من أهل عصره الذين نشأوا فى السياسة الحزبية ، وتلونوا بألوان شتى جريا وراء فائدتهم ، ونفعهم المادى

٢ ـ عباس محمود العقاد

انه نشأ نشأة عصامية ، اشتغل بالادب والسياسة والاجتماع ، وألف في كل ذلك مؤلفات قيمة يرجع اليها العلماء الباحثون ، لا سيما في التاريخ الاسلامي الذي كتب فيه بعد كهولته ، على طراز لم يسبقه فيه كاتب ، وهو شاعر وناثر ، مجيد في كليهما ، ولعله أكثر أهل عصره من الكتاب والشعراء جودة ومتانة فيهما معا . وكان الى ذلك خطيبا مفوها يمتلك النفوس ويلهبها بسحر بيانه

ويقول عنه التاريخ كما نقول نحن عنه انه كاتب جبار ، ومفكر له ميزة البحث والتحليل والدقة في كل ما يكتب ، وانه يمتاز بقوة الجدل والحوار

ويقول التاريخ عنه : انه قليل الصحاب ، وقليل الثقة بالناس ، وقليل المبالاة بالرأي العام ، وانه عنيف في خصومته ، ولهذا كان يخشاه حتى الادنون منه ، والاقربون اليه ، وانه في كهولته كان أكثر تدينا من شبابه ، ولعل ذلك مرجعه الى حرية الفكر ، وحرية العقيدة ، فلما قرأ وكتب في السيرة والتاريخ الاسلامي وضح الايمان في كتابته ورأيه

وقد كان كثير الانتاج في التأليف ، وفي كتابة الرسائل في الصحف والمجلات ، فلا تخلو أكثرها من مقالات يومية واسبوعية ، وقد كان يعكف على ذلك أبدا . وعاش عيشة الراهب في الصومعة ، لم يتزوج ، ولعل ذلك يرجع الى انه منصرف كل الانصراف الى الاطلاع والكتابة والبحث والتأليف . وقد كان له خلق سياسي متين

٣ ـ طه حسين

يقول عنه التاريخ ما قاله في أبي العلاء المعري من ناحية العقيدة والرأي والنبغ في عصره ، ويقيم له الناس احتفالا عاما يبحثون فيه آراءه وحياته ومؤلفاته ، ويقولون عنه : انه رجل كفاح ونضال وثورة في كل ما يكتب من أدب وسياسة واجتماع ، وهو خصم عنيد جبار ، أسلوبه الادبي فيما يؤلف فيه من سياسة وسيرة واجتماع وأدب من الطراز الاول ، فاذا ما تبسط فانك تحس بالبساطة والتكرار في الادب والنقد اللاذع الذي يمليه املاء ، ولعل التكرار يرجع الى أنه يملي ولا يكتب ، أو انه خاصة له ـ لا ندري ـ وهذا لا يغض من شأنه في الادب والكتابة

وكان لا تطيب له الاقامة كثيرا في حزب سياسي واحد ، واذا انتسب لحزب فانه يناصره بكل قوة من كفاح ونضال ، ويعلل التاريخ تنقله من حزب الى حزب بأن الحزبية التي كانت في جيله ، هي على اختلاف أسمائها ليس لها أصول ثابتة ، ولا قواعد مرسومة ، بل كانت كلها تقريبا ذات برنامج واحد ، وانما اختلافها تابع لاشخاص زعمائها ، فكان طه حسين يهزأ بها جميعا في قرارة نفسه ، ولكنه مع ذلك لا بد أن يكون في واحد منها ، فطورا هنا ، وطورا هناك !

على انه ما كان يحفل بمظهره الذى انتهى اليه من المكانة ، وسمو المنزلة فى نفوس أهل عصره ، بل كان يؤرخ نشأته الاولى عاطلة من كل حلية كما يرى ذلك فى كتابه « الايام »

وقد كان كثير التعاظم والكبرياء ، لا يتملق ، ولا يذل لسلطان ، ولا يلتمس من أحد شيئا يمكن أن يصل اليه بجده ونشاطه ، ولا يسمو الى منزلة الا رآها دون ما هو جدير به من المنازل

٤ ـ ابراهيم عبد القادر المازنى

انه كاتب خفيف الروح طلق العبارة ، حسن الديباجة ، وكان يجيد القول فى الادب والاجتماع والسياسة والصحافة ، وانك اذا قرأت له كتابا كحصاد الهشيم فانك لاتطرحه حتى تتمه صفحة صفحة ، لاسلوبه الاخاذ ، ومسامرته الحلوة ، ومنطقه السليم . وقد كان يمتاز عن كثيرين من أدباء جيله بأنه كان يجيد القصــة ، ويطبعها بطابع عصره ، ويحدثك فيها عن نفسه ، كأن حوادثها وقعت له ، واشتركت فيها أسرته من أم وزوجة وولد وخادم وجار ، فيروعك جمالها ، وتبهرك رقتها ، كأنك تقطف من زهور مختلفة فى بستان نضير

وكان كثير التفاؤل ، واذا كان القدر الالهى قد أصابه بالظلع ، فان الظلع لم ينقص من نفسه شيئا ، وان أهل جيله كانوا يرون فيه خلقا سويا ، وكان يعرف فيه زهادته للدنيا ، واستصغارها فى نفسه ، شأنه فى ذلك شأن المتصوفة ، وان كان ليس متصوفا

٥ ـ أحمد أمين

وناهيك باحمد أمين ! انه كان جيد القول فى الفلسفة والتاريخ والادب والاجتماع ، وان ضحى الاسلام وفجره وظهره قد فتحت للناس فتحا جديدا فى البحث والتحليل ، وكان لا يعنى بجودة الاسلوب الا بقدر ما كان يعبر به عن نص الغرض فيما يكتب ، وان «فيض خاطره » كان سجلا لا يغيض معينه ، ولا ينضب نبعه ، كأنما هو يغترف من بحر ، وكتابته كلها فى المجــلات تدور على الادب الواقعى ، ولا يغض من كتابته ، أو ما يسجله من النصوص التاريخية أن يضل قلمه حينا ، فانه فى ذلك ذو ندرة وقلة ، والكمال لله وحده

٦ ـ خليل مطران

كان ثالث ثلاثة مات اثنان من قبله هما شوقى وحافظ ، وبقى هو بعدهما حينا يفيض على الجيل بهرا وجالا ، شعره الموسيقى الشادية، والسحر الحلال، وانأناشيده الاجتماعية كانت أناشيد الجيل ، يهزج بها الفتيان فى معاهدها ، والفتيات فى خدورها ، وكان جيد النثر يصوغه فى القرطاس كما تصاغ القلادة من الياسمين على نحور الغيد ، وبعد انتقال صاحبيه الى الدار الآخرة أصبح غريبا فى عصره ، فلم يكن له ضريب ولا شبيه كأنه

اليتيمة فى العقد ، وقد كانت اخلاقه غضة ، وسمره عذبا ، وبداهته حاضرة ، وقوله فصلا، ونظن : ان جيله قصر فى الوفاء له فلم يرفعه الى منزلته القصية التى كان جديرا بها

٧ ـ خليل ثابت

انه الجماعة فى فرد ، فلو انك قسمت مواهبه واخلاقه وسجاياه لوسعت جماعة بجملتها ، فهو كاتب متعمق يحلل الوقائع بميزان دقيق كالكيمياوى يحلل الشىء الى عناصره ، كل عنصر متميز بنفسه ، كأنه ذات مستقلة ، ويجعلك تلمس المعنى كأنه مادة محسة ، وله عبارة سهلة محبية على قدر المعنى المراد لا فاضلة ولا مقصرة ، وكان يكتب فى صحيفة تسمى المقطم كانت فى جيله تكاد تكون الصحيفة الرسمية لحكومة ذلك العهد، وقد اختص بكتابة الافتتاحية فى الصحيفة فكانت مقالته مجموعة من الموضوعات اليومية يحررها بذلك القلم الفنان الذى يبدع فى القول بالنقد والتحليل حتى لا يدع مجالا للاسترابة والشك فى كل معنى مراد

٨ ـ انطون الجميل

يقول عنه التاريخ أكثر مما يقوله عن غيره من نوابغ الجيل فى الادب والسياسة والاجتماع والاقتصاد والصحافة فهو رجل من الطراز الاول فى كل ذلك ، وقد كان ينشر فى صدر حياته مجلة الزهور ، فكانت ديوان النثر الفنى ، والشعر العربى الرائع ، وكان عضوا بمجلس الشيوخ ، فكان اذا خطب قيد الانظار ، وبهر العقول لحسن بيانه ، ودقة احصائه للدانق والسحتوت ، وله طابع فى الكتابة خاص يعرف بغير توقيع لروعته وأدبه ومناجاته للضمائر والعواطف . وقد فتح فى صحيفة الاهرام التى كان يرأسها فتحا جديدا فى السياسة العملية ، وفى الصناعة ، وفى الاقتصاد ، وفى الادب ، حتى كان كبار الكتاب فى ذلك الجيل يتسابقون الى الكتابة فى تلك الصحيفة التى كانت أكثر الصحف رواجا وذيوعا . وقد كانت له فكاهة حلوة ، وجو مؤنس ، وخلق نادى حتى كان يجتمع اليه بدار الاهرام جهرة من أصحاب الكفايات فى الفنون والعلوم والآداب ، يجمعهم الوفاء ، وتضمهم المودة ، يسمرون فى كل معنى لطيف ، وهو بينهم كقطب الدائرة

٩ ـ محمود ابو العيون

سيقول عنه التاريخ : انه شخصية خرافية !

وكتبه فى ٢٥ ابريل سنة ٢٠٤٥

محمود ابو العيون



اذا دأبت على المران بانتظام وحكمة فانك تقدر أن تزيد معدل سرعتك فى القراءة بنسبة كبيرة

ان التقارير الواردة من مكتبات الكليات تبرز حقيقتين :

أولا — ان الناس عادة يبطئون فى القراءة دون ضرورة ولا يتقنونها

ثانيا — انه بعد التدريب الجاد مدة بضعة أسابيع يمكن القارىء البطىء ان يضاعف من سرعة قراءته وان يزيد من اتقانها

ان الفرق واضح بين القارىء المجيد والقارىء الردىء . وتستطيع أن تمتحن نفسك وتقف على عاداتك فى القراءة اذا قرأت ما يلى :

القارىء الردىء

يقرأ ببطء ، عادة من ١٠٠ الى ١٥٠ كلمة فى الدقيقة

يفهم ما يقرأه ببطء ودون اجادة ، ويفوته ان يدرك كثيرا من الحقائق البارزة

يضطر الى اعادة ما قرأه من كلمات أو جمل لكى يدرك معناها تمام الادراك

يقرأ كلمة كلمة ، وفى بعض الاحوال المتطرفة فى البطء : يقرأ مقطعا مقطعا

يضطر ان يحرك عينيه ست أو سبع مرات لكى يستوعب بنظره سطرا من الكلمات المطبوعة

يقرأ بعينيه وشفتيه ولسانه وحنجرته وأوتار صوته

يقرأ دون اهتمام ولا يعنى الا بهمة « هضم » الكلمات

يسمع (فى أذنه الداخلية) الكلمات التى يقرأها

لا يحسن تركيز فكره فيما يقرأه فهو ملتفت الى ما قد يحيط به من ضجة أو مناظر أو حوادث

يهتم بأن يقرأ كل مقطع بكل كلمة فى كل صفحة مطبوعة

يتعب بسرعة لان القراءة عنده عملية مؤلمة وكثيرا ما تكون محيرة . وقد لا يستطيع ان يقرأ أكثر من اثنتى عشرة صفحة فى نصف ساعة فى وقت واحد

لا يبقى فى ذهنه الا جزء صغير مما قرأه

القارىء المجيد

يقرأ كالريح : ٦٠٠ كلمة أو أكثر فى الدقيقة ـ فى مجلة عادية أو جريدة يومية ـ من المقالات أو الروايات ، وعلى الأقل من ٤٠٠ الى ٥٠٠ كلمة فى الدقيقة من الموضوعات الجافة ، والعادة أن يقرأ أسرع من ذلك

يدرك معنى ما يقرأ توا وبالضبط ، ولا يفوته شيء ذو أهمية

لا يعيد القراءة الا نادرا وانما يدرك المعنى الكامل للكلمة أو الجملة من أول نظرة

يمكنه ان يستوعب سطرا مطبوعا بحركتين أو ثلاث من عينيه

يقرأ بعينيه وعقله فقط

يقرأ بنشاط ـ فهو يفكر مع المؤلف ويفسر ويتخيل صورا ويتفق توا مع ما يقرأه أو لا يتفق

يكون أشبه بالاصم حين يقرأ ـ فكل حواسه منصبة على أفكاره السريعة

يركز فكره تماما مع الاستغراق الكلى فيما يقرأه

يتخطى الكلمات غير المهمة

لا يكاد يتعب من القراءة . ويمكنه أن يكمل قراءة كتاب فى جلسة واحدة وكثيرا ما يفعل ذلك

يتذكر ـ مدى الحياة أحيانا ـ تأثير ما قرأه وما فيه من آراء مثيرة

***

والآن ما الذى جعل القارىء الردىء فى تلك الحالة المؤلمة ؟ وكيف نفسر براعة القارىء المجيد ؟

ان جانبا كبيرا من الجواب عن هذا السؤال ماثل فى « حركة العينين » . فالقارىء الردىء لا يستخدم عينيه كما يجب ، فهو قد كون لنفسه عادات سيئة فى هذا المجال

ان العينين تكونان طول وقت القراءة فى حالة حركة مستمرة . ولكن فى اللحظات التى تستوعب فيها الكلمات فعلا تكون العينان فى حالة سكون أو على الاصح فى حالة احداق

ولزيادة الايضاح نقول : انه لمواصلة القراءة يجب ان تتحرك العينان ، ولكن فى خلال القراءة تقفان عن الحركة

وحين تتحرك العينان لا تبصران شيئا ، فالقارىء يكون أعمى تماما مدة جزء ضئيل من ثانية . وانما يقرأ فى فترات تقف العينان فيها عن الحركة

ويكون التقلب المستمر بين حركة العينين واحداقهما سريعا لدرجة انه يمكن قياس كل تقلب بمقدار جزء من خمسة وعشرين جزءا من الثانية . ويبلغ من سرعة تحرك العينين وضآلته ان القارىء لا يشعر بما تفعله عيناه

والقارىء المتوسط الأداء يستوعب سطرا مطبوعا طوله نحو أربع بوصات فى أربع أو

خمس مرات يحدق فيها . ويمكن القارىء الشديد البراعة ان يستوعبه فى ثلاث مرات . أما القارىء الردىء فانه يحتاج الى ست أو تسع مرات من الاحداق ، وربما الى أكثر من ذلك

وبديهى ان القراءة لا تؤدى بواسطة العينين وحدهما ، بل بالعقل كذلك . فاذا كانت عيناك لا تغذيان عقلك الا بكلمة كلمة مما تقرأه ، فانك تدرك ما فى صفحة مطبوعة ادراكا متقطعا لا اتصال بين أجزائه ، ذلك لان الفكرة انما تؤدى فى جمل لا فى كلمات مفردة

فليس هناك مثلا معنى يدرك من كلمة « ذات » اذا أدركت وحدها . ولا تؤدى كلمة « ساطع » الا معنى ضئيلا . كذلك كلمة « صباح » اذا كان لها معنى أكثر من الكلمتين السالفتين فانها يكمل معناها اذا ضمت اليهما وكونت معهما جملة

ان القارىء الذى يقرأ كلمة كلمة يرغم عقله على الابطاء فى الفهم لان عينيه تغذيان عقله باستمرار بكلمات تكاد تكون خالية من المعنى . فعقله يتلقى كلمة « ذات » وعليه ان ينتظر حتى يجيئه الباعث الثانى ماثلا فى كلمة « صباح » ثم الدافع الثالث وهو كلمة «ساطع» حتى يجتمع عنده شىء يشتغل بادراكه

أما القارىء المجيد فان عينيه تغذيان عقله فى باعث واحد ، بفكرة كاملة فيدرك لاول وهلة معنى جملة « ذات صباح ساطع » . فليس هناك توقف عن الفهم ولا انتظار لما سيجىء ولا انقطاع لعملية الفهم . والاهم من ذلك كله انه ليس هناك تضييع للوقت

ويقول ج. ا. بريان الخبير بتحسين عادات القراءة ان القراء ينقسمون الى ثلاثة أقسام : القارىء المحرك « الموتور » ، والقارىء المستمع ، والقارىء النظرى

فالقارىء المحرك « الموتور » هو الذى يحرك شفته

والقارىء المستمع يستمع الى الصفحة التى يقرأها ، فهو ينطق بالكلمات فى ذهنه وان تكن أداة النطق عنده صامتة

أما القارىء النظرى فانه لا يقول شيئا ولا يسمع شيئا ولكنه يرى كل شىء ، فالصحيفة بالنسبة له هى لوح يرسم عقله صورا فوقه ، فهو لا يرى كلمات مطبوعة ولكن عملا وحركة ، وهو لا يسمع صوت الكلمات التى أمامه بل صوت الاشياء التى تصفها تلك الكلمات

والقارىء النظرى هو الذى أتقن بالفعل فن القراءة . ويمكننا القول بانه من بعض الوجوه لا يقرأ مطلقا ، ولكنه يتشبع بما يقرأه كما تتشبع الاسفنجة بالماء

أما القارىء الردىء فانه يتسكع أمام ما يقرأه ، وهو يقرأ الكلمات ، كلمة بعد كلمة ، فى عناد واصرار ، بدلا من ان يتخطى الالفاظ القليلة الاهمية مثل حروف الجر والعطف والضمائر وأدوات التعريف

وأنت اذا أسرعت فى القراءة فانك تحمل عينيك على ان تبصرا الجمل والآراء وان تتخطيا كل شىء غير ذى أهمية

ولكى تسرع فى القراءة ينبغى لك أن تقلل من عدد المرات التى تحدق فيها ببصرك . فانت لا تقدر ان تسرع بينما تركز بصرك خمس او ست مرات فى سطر صغير . وعليك أيضا ان تمنع شفتيك وأوتار صوتك من الحركة لانك لا تجد وقتا لكى تنطق كلمات مفردة

وأنت حين تسرع لا يمكنك طبعا ان تعيد ما قرأته . بل تستمر فى القراءة قدما

أما اذا قرأت ببطء فانك تميل الى « سماع » الكلمات التى أمامك حتى وان لم تكن تنطق بها فعلا . واما اذا أسرعت فانك تمهد السبيل لقلب الاستماع ابصارا

وسرعة القراءة فى حد ذاتها جديرة بان تذهب بعادات القراءة الرديئة اذا مورست تلك السرعة زمانا كافيا

والقارىء المجيد لا يكاد يرى كلمات قليلة الاهمية مثل : الى وفى ومن وهو واداة المستقبل الخ . فهو بدلا من ان يقرأها يفرض وجودها

كذلك يكون وقته أثمن من ان يحدق فى نهاية الكلمات الطويلة ، فهو بغير حاجة الى ان يقرأ كل حرف من حروفها

وانما تتناول العينان « المنظر العام » للكلمات وتتركان أجزاءها

انك حين تقرأ كلمتى « قلعة طائرة » لست ترى لفظين ذوى حروف متفرقة وانما ترى بذهنك صورة طائرة ضخمة

أما اذا اختلط عليك الامر وتعذر الفهم عند الاسراع فى القراءة فهذا دليل على انك قد غلوت فى الاسراع ، فانت فى هذه الحالة لا تقرأ مطلقا وانما تقطع بنظرك مسافات

والقاعدة هى أن تسرع فى القراءة الى درجة تتخطى بها راحتك بمدى قصير . ولكن سرعان ما تجد الراحة مع هذه السرعة وعندئذ تزيد من معدلها قليلا حتى تعتاد هذه السرعة الجديدة وهكذا

واذا دأبت على هذا المران بانتظام وحكمة فانك تقدر ان تزيد معدل سرعتك فى القراءة بنسبة ترتفع من ١٠ الى ١٠٠ فى المائة مع الزمن

بقلم نورمان ليويس
ملخصة من كتاب « كيف تسرع فى القراءة »

تظهر الشجاعة بألا نعمل فى الخفاء الا ما يمكننا عمله أمام كل الناس « يبنفيه »

مثل من باع بلاده وخان وطنه مثل الذى يسرق من مال أبيه وأخيه ليطعم اللصوص فلا أبوه يسامحه ولا اللص يكافئه « نابليون »

حبك للشىء ستر بينك وبين مساويه ، وبغضك له ستر بينك وبين محاسنه « افلاطون »



مأساة تمثيلية لتولستوى

عرض وتلخيص : الاستاذ حلمى مراد

سلطان الظلام – أو سلطان الخطيئة – هى قصة الانسان الخالد ، الانسان الفانى ، حين يسلم قياده الى الشيطان !..

قصة الانثى الخاطئة حين تغرى بالاثم وتدفع اليه !.. الانثى التى اخرجت آدم من الجنة وما تزال تخرجه منها .. كل يوم !

قصة الصراع الازلى ، الأبدى ، بين نوازع الشر والخير فى الانسان .. بين قسوة الشهوة حين تعصف ، وتخاذل الضمير حين يضعف ..

قصة الضعف الانسانى فى أبشع صوره وأحط مراتبه ، والرذيلة العاتية فى عنفوان قوتها وسطوتها !..

بل قصة الحب حين يدفع الى الجريمة ، والجريمة حين تقود الى جرائم !..

***

ولكن القصة لا تتركنا فى هذا « الظلام » طويلا !.. فانها ليست قصة بقدر ما هى صرخة فى وجه الفساد ودعوة الى الصراط المستقيم. ومن ثم لا تكاد ترينا الفضيلة مهيضة الجناح حتى تعود فتنبت لها أجنحة ، فيقوى ساعدها ويشتد !.. ومن قلب الظلام الحالك تبرق لنا ومضة من النور تظل تقترب وتتسع حتى تشع ضوءها الغامر على ما حولها فتبدد حلكته . واذا بنا نرى بوضوح امكان وقوع التوبة والتكفير حتى من أدنأ الساقطين . وكما أرانا شكسبير فى مأساة « ماكبث » يرينا تولستوى فى هذه المأساة – وبنفس التوفيق – كيف تطارد الجريمة مرتكبها وترهق ضميره ، وكيف أن اسوأ عقاب للخطيئة هو انها تقود الى خطايا وخطايا أخرى متزايدة ، وتغرى الخاطىء بالامعان فيها ، دفاعا أو حرصا منه على ثمار خطيئته الاولى !..

***

أما اشخاص القصة أو «أبطالها» الرئيسيون فأربعة،كل منهم نموذج فذ لطراز خاص ،

من البشر ، يتباين خلقهم وخلقهم بقدر ما تتباين الخلائق والاخلاق فى الدنيا :

فهذه « انيسيا » الزوجة الشابة لزوج عجوز ، تريناً فى نفسها مثلا حيا للمرأة الطائشة التى تنسى فى سبيل ارضاء غرائزها العاتية كل شىء .. فتحب ، وتخون ، وتجرم .. ثم تصحو من سكرتها فاذا بها تحس ـ كما تحس الفلاحة فى « ماكبث » ـ انها قد نالت كل ما طمعت فيه ، ولكنها لم تعرف الشقاء الا منذ أن نالت هذا الذى نالته !.. ثم ينتهى أمرها الى أن تحسد ضحيتها فى غياهب قبره ..

وهذا « نيكيتا » نموذج للفتى العابث الذى يتلهى بالتغرير بالفتيات ، فلا يكاد يوقع بضحيته حتى يتركها لينشد ضحية أخرى .. ولكنه ليس « عريقا » فى الاثم كصاحبته ففى باطنه تربة كانت تصلح لانبات « بعض » الخير لو تعهدتها بالزرع أم غير أمه ، أو استؤصلت منها آفتها الكبرى : ضعف الارادة وسرعة الانقياد .. ولولا هذا لما رأيناه يتردد بين الفعل ونقيضه ، ويتأرجح بين ارضاء شهواته وارضاء ضميره .. فهو يقبل الجريمة مشمئزا منها ! ولا يساهم فى ارتكابها ولكنه يشارك فى ثمراتها !.. ولا يغدأ هكذا فريسة لمواصف النفس والحس حتى النهاية ..

أما أمه « ماتريونا » فهى ميدان واسع لدراسة عنصر الشر والانانية فى الأمومة ، فهى تشجع ابنها على الفسق أملا فى الفوز له بالزوجة الغنية .. صفقة رابحة ! ثم تغريه بقتل طفله ، فى استهتار و « سهولة » مفجعة !..

وعلى النقيض منها زوجها العجوز الطيب « آكيم » الذى يضيق بآثام ابنه فيهجر البيت ويفضل عناء الفاقة على الاستمتاع بأموال « ملوثة » ! وهو يمثل فى الدراما عنصر الجمال الخلقى المصفى ، والبصيص الوحيد من النور وسط الظلمة الكثيبة . ولعل من سخرية تولستوى الرائعة أن ينسب هذا الخلق الرفيع الى رجل يسند اليه المجتمع أحط الاعمال. فان آكيم حين يعجز عن العثور على عمل آخر شريف، يقبل أن يعمل فىتنظيف المجارى!

ولنتابع فصول المأساة من البداية

— ١ —

يرفع الستار .. فاذا نحن فى كوخ فلاح روسى يدعى « بيتر » . وهو عجوز ثرى ، يمتلك مزرعة ، لكنه مريض يدب الى القبر . ماتت زوجته الاولى فتزوج من فتاة تفيض شبابا واشراقا ونضارة ، هى « انيسيا » . لكن الشابة لا تلبث أن تضيق بزوجها الشيخ ، فتستجيب لحب آثم يزينه لها فتى يعمل فى مزرعة زوجها هو « نيكيتا » . وهو شاب عارم الجسم مكتمل الحيوية . وعابث بفطرته ! يحب الغوانى وشراب « الفودكا » بقدر مايحتقر عمله . أراده أبوه الطيب القلب « آكيم » أن يتزوج من ضحيته الجديدة « مارينا » ، الفتاة اليتيمة التى كان قد أغواها حديثا، لكن عشيقته انيسيا زوجة صاحبالمزرعة العجوز تأبى أن تدعه يفلت منها .. فهى تهدده بأن تنتحر اذا هجرها وتزوج . وهو يطمئنها ويؤكد لها انه لن يتخلى عنها ، وحتى لو أرغموه على الزواج فسيظل يتردد عليها !..

لكنها تأبى قبول هذا الحل ، فهى لا تقنع بفضلات حبه ، وانما تريده لها وحدها والا فسوف تضع حدا لحياتها !.. ويفعل التهديد فعله فيتراجع الفتى ، باتنظام ، قائلا انهم حقا يريدونه أن يتزوج من الاخرى ، ولكن .. من قال انه يقبل ؟ كلا ، انه لن يفرط فى حبيبته انيسيا !.. ويتجه اليها مبتسما ، فيضىء البشر وجهها وتقبل عليه تتعلق برقبته ، وتقبله فى دلال وهى تسأله : « اذن فستبقى لى وحدى ؟.. وستداوم على حبى ؟ »

وهنا تدخل أمه ماتريونا فتفاجئهما فى هذا الوضع ، ولكن لا يبدو انها اخجلت أو أحست بالخجل أو الارتباك .. فانها ــ على العكس من زوجها ــ نموذج لعنصر الشر فى الأمومة ، أبعد ما تكون عن التعلق بأهداب الشرف أو الفضيلة . فهى لا ترى بأسا أو غضاضة فى أن يحب ابنها زوجة رجل غنى ، ما دامت فى ذلك منفعته ! ومن ثم نراها تقول له مداعبة : « آه ، ابت تمزح مع انيسيا الحسناء ؟ ولم لا ؟.. انها من أجمل وأنضر الثانيات ، أما زوجها .. فأمره هين ! انه عجوز مريض ، ثم ان هناك طرقا تضاعف من سرعة المرض !.. والناس لا بد سيموتون يوما ، فلم لا نعينهم على ذلك ونسهله لهم أحيانا ؟ »

ثم ترسل ابنها نيكيتا لاحضار شىء ، وتسر لانيسيا بخطتها : « لو نفحتنى ببعض المال فسأدبر أن يعيش نيكيتا معك على الدوام ! اليك مسحوق أحضرته من البلدة .. وهو قوى المفعول ! اعط العجوز منه سبع جرعات .. فتصبحين حرة فى الزواج من عزيزك نيكيتا »

انيسيا : أوه ، أوه .. يا لرأسى !.. وهل يخلط المسحوق بالماء ؟

ماتريونا : بل الافضل بالشاى ، الذى يحبه زوجك !

انيسيا : أوه ، أوه .. رأسى يكاد يطير ! ولو رأى أحدهم المسحوق ؟

ماتريونا : ــ وهى ترسم على صدرها علامة الصليب ــ لن يسمح الله .. لن يسمح الله .. واذا وقع المحظور وتنبه أحد فقولى انه مسحوق لابادة الصراصير !

وتخرج انيسيا .. ثم يدخل الاب الطيب آكيم ، فيبدأ مع ابنه نقاشا حادا تشترك فيه الأم . هو يعنف ابنه لرفضه الزواج من اليتيمة التى أغواها . وهى تدافع عن الابن زاعمة أن الفتاة التى يريدها له « ملوثة » .. فيجيب الاب بأن ابنهما هو الذى لوثها . ولكن الابن يتدخل فى المناقشة منكرا فعلته ، فيناشده أبوه «يمكنك اخفاء الامر عن الناس . أما عن الله ؟.. قل الحق ، ألم يصبها منك .. شىء ؟ » . فلا يتردد الابن فى الانكار « كلا يا ابتى .. واقسم » . وتفاجأ الام بأكذوبة ابنها لكنها تمالك نفسها فتستدير لزوجها مهللة « أجاءك القول ؟.. خذ هذا التبغ لغليونك » . وتجوز الخدعة على الاب فيتمتم وهو يلوك مقاطع الكلمات بين فكيه فى خجل وتردد كعادته « أوه .. حسنا . فى هذه الحال ، أعنى .. هذا حسن فيما أظن » .. ثم يخرج الوالدان ويبقى نيكيتا وحده فيؤنبه ضميره ، ويهمس لنفسه « انى معبود الفتيات ، هذا حق . ولكن حين يتورط

الرجل معهن ويضطر لان يقسم بالباطل .. فان الامر يغدو بغيضا ؟ »

— ٢ —

.. فاذاكان الفصل الثانى فقد مضت ستة شهور ، واذا بيتر صاحب المزرعة مشرف على الموت .. فان الجريمة قد أفرخت ، والسم الذى سقته له زوجته العاشقة ــ على جرعات ــ قد فعل فعله فى احشاء التعس ، فهو يئن ويتلوى ويعانى آلاما مروعة تسحق قلب الزوجة الآثمة ، لا اشفاقا عليه وانما اشفاقا على نفسها وأعصابها التى أرهقها احتضاره الطويل وعذابه الفظيع ، وخاصة لحرمانها من مشاركة عشيقها لها فى تحمل عبء الجريمة .. فقد كتمتها حتى عنه ، خضوعا لمشورة أمه التى حذرتها من اطلاعه على سرهما لان الفتى « رقيق القلب ، ولا يستطيع قتل كتكوت ! » . وتتفاقم آلام الزوج المحتضر وتتصاعد أناته وحشرجته ، حتى لتوشك المرأة أن تخور وتضعف عن اعطائه بقية الجرعات ، لولا أن الام الشريرة تلاحقها بالحث والتشجيع .. فتسقيه جرعة أخرى وقد تزايد عذابها .. وخاصة لان جريمتها توشك أن تذهب بلا ثمرة ، فان ثروة العجوز ما تزال مخبوءة فى مكان مجهول ، وهى تخشى أن يموت قبل أن تهتدى اليها .. وتسمعه يرسل فى طلب أخته فيسقط قلبها خوفا من إن يكون المنكود معتزما أن يهب الاخت كل ثروته .. فتسمعها تهمس للام فى انزعاج « لقد بحثت فى كل مكان فلم أعثر على الكيس ! »

ــ وهل اعطيته المسحوق فى الشاى ؟

ــ صه !.. نعم سقيته منه جرعتين . لماذا بربك جعلتنى أفعل ذلك ؟

ــ أنا ؟.. سأقسم اننى لا أعلم عن الامر شيئا واذن فبيتر المسكين فى النزع ! عليك باستدعاء القسيس ليمنحه البركة الاخيرة . انها لازمة لخلاصه

ــ لقد ارسل فعلا فى طلب الكاهن .. وفى طلب اخته أيضا !

ــ اخته ؟.. ويحك !.. ولا تستطيعين العثور على المال ؟ اذن فلا بد من عمل شىء

ثم تجمد المرأتان هلعا ، فقد ظهر بيتر على عتبة الباب ، وهو يغمغم لاهثا « انى احترق فى الداخل . ما أصعب الموت ! » .. فلا تكاد ماتريونا تسمعه حتى تقبل عليه هاشة وتتكلف معانقته « هاك . هاك الفراش يا عزيزى . انها ارادة الله .. ثم أتعلم .. ان زوجتك امرأة عاقلة وستهيىء لك دفنا لائقا وتقيم على روحك الصلوات » .. ثم تهمس لانيسيا فرحة « ها هو كيس نقوده حول رقبته .. لقد لمسته اصابعى عفوا .. عودى به الى فراشه واعطيه بقية المسحوق بسرعة .. قبل وصول اخته ! » ثم تستدير للمسكين « تعال يا بيتر ايجناتش فلكم انت منهك ، دع انيسيا تدثرك فى فراشك .. انها جوهرة ! »

وفى الوقت الذى يخرج فيه العجوز متحاملا على ذراعى زوجته ، يدخل عشيقها نيكيتا عائدا من عمله فى الحقل فتبادره أمه « احذر يا نيكيتا من أن تدع النقود لانيسيا .. فى حالة حدوث شىء ! خذ الكيس بنفسك »

نيكيتا : وفيم يعنينى مالها ؟ دعيها تحرسه لنفسها

ماتريونا : ولكن النساء كما تعلم يا عزيزى متلافات ، لا يحسن استثمار الأموال
نيكيتا : أوه ، حسنا .. سآخذه .

وفيما هما يتجادلان تندفع انيسيا من غرفة المريض مولولة « أوه .. يا لرأسى .. غدوت أرملة بائسة .. فقد مات زوجى العزيز الجميل المحبوب ! » أما ماتريونا فانها تشمر عن ساعديها فى همة ، متسائلة « أين الماء ؟.. ايتونى بالماء .. فهل أن أدخل للمعاونة فى اعداد الجنازة ! » .

— ٣ —

.. فاذا كان الفصل الثالث فنحن فى الشتاء .. وقد مرت على ذلك كله تسعة شهور ، تزوج خلالها العاشقان .. لكنهما أبعد ما يكونان عن السعادة ، فقد علم نيكيتا بقصة السم الذى دسته زوجته للعجوز ، فصار ينظر اليها فى ظل اثمها ، ويحس نحوها بالمقت والازدراء . وبدافع من طبعه الفطرى استدار عنها ينشد السلوى فى مغازلة النساء الاخريات .. فاذا هو قد ارتمى هذه المرة فى احضان آكولينا — ابنة المتوفى من زوجته الاولى — واذا هو يبعثر عليها قدرا كبيرا من مال زوجته .. واذا هذه تقاسى فى صمت مرارة رؤيته يبدد على امرأة غيرها مالها الذى من أجله باعت روحها للشيطان وقتلت زوجها . ثم لا يقف نيكيتا عند حد اذلالها وانما يمضى فى غيه فيقسو عليها ، ويضربها أحيانا وهى صابرة ، يستعبدها حبها له فلا تقوى على التمرد . ونراها تشكوه لاحدى جاراتها عاجبة من ضعفها الذى يجعلها تنكمش أمامه « كدجاجة غريقة » فتسألها الجارة لماذا اعطته مالها ولم لا تقاضيه !.. وتنسى الزوجة حذرها لحظة فينفلت منها القول بانها « لا تجرؤ على الاتجاه للقضاء » ، ولكنها تستدرك : « فما عاد الانسان يجنى ثمرة من العدالة فى هذه الايام ! » .

ويفتح الباب فيدخل منه آكيم باحثا عن ابنه لكى يأخذ منه مبلغا يشترى به جوادا بدل جواده الذى شاخ ، ولكنه لايجده وتقول له انيسيا انه قد ذهب الى المدينة . ثم يعود الابن بعد قليل ثملا ومعه حبيبته آكولينا فيعطى اباه عشر روبلات ليشترى بها الجواد ، ويعرض عليه وعلى زوجته — فى صفاقة — الهدايا التى ابتاعها لحبيبته ، فيشمئز الاب .. وتثور الزوجة .. ثم تشتبك الغريمتان فى شجار وسباب : هذه ترمى الاخرى بأنها ساقطة تسلب الزوجة زوجها .. وتلك تجيب بانها على الاقل لم تقتل زوجها ! فتثور انيسيا وتهدد الفتاة بالقتل ويثور نيكيتا ويهدد زوجته بالطرد .. ويثور الاب بدوره فيقذف بالعشر روبلات فوق المائدة مخاطبا ابنه : « هيه .. خذ مالك .. فانه ملوث ! أما أنا فذاهب بعيدا .. لن أطيق البقاء فى مكان كهذا ، مع وحش غرر يتيمة .. انك تعيش فى حمأة الخطيئة يا نيكيتا . الخطيئة تلازمك كظلك وستنتهى بك الى الضياع .. أواه ، لم أعد أطيق البقاء » .

ويهم بالخروج فيعترضه ابنه مهددا ، ولكنه يصيح « دعنى أذهب .. انى افضل النوم فى العراء على البقاء معك تحت سقف واحد .. انى أحس هنا بشىء يلدغنى ! » ثم يفتح

الباب .. ولكنه يستدير لنيكيتا مرة أخيرة قبل أن يذهب « عد الى صوابك يا نيكيتا .. فان الله لا يعبأ بغير الروح ! » ..

— ٤ —

ثم يرفع الستار عن الفصل الرابع فاذا الخريف التالى قد حل ، واذا نحن فى كوخ آكولينا حيث تدور أحاديث نفهم منها ان الفتاة مقبلة على الزواج من شاب يطمع فى « دوطتها » ولا يريدها لذاتها !

ويمتلىء الكوخ بنسوة القرية وعجائزها قد جئن يهنئن العروس .. لكن العروس محتجبة عن الظهور ، الامر الذى يوقظ فى النسوة فضولهن فيتناقشن فى أمرها ، هامسات غامزات .. فتقول احداهن « سمعت أن بها آلاما فى المعدة ! » وتسأل الاخرى فى تخابث « أتعرفن معنى هذا ؟ » وتهمس بكلمة لا تكاد الثالثة تسمعها حتى تستكرها ، كثير المصدقة !.. ثم اذا بوالد العريس المنتظر يتنحى بالام ماتريونا ناحية كى يفضى اليها بشكوكه التى بدأت تستيقظ ، فيقول فى لهجة المهموم « الله يعلم ماذا هنالك .. هناك ولا ريب أمر جلل » فتتكلف الدهشة وتمازحه « أمر جلل ؟ مطلقا ! ان ابنك سيحصل على زوجة حلوة « شريفة » فاضلة .. بدوطة « محترمة » ١٥٠ روبلا ! فماذا تريد أكثر من هذا ؟ » .. لكن قلق الرجل لا يزايله ، وانما يتحايل على توجيهه وجهة أخرى فيبدى اشفاقه من أن تكون وعكتها عرضا من أعراض صحة معتلة فتنبرى له الأم مستكرة « هى معتلة ؟ انها أصح وانضر ما تكون . كل ما بها انها ثقيلة السمع بعض الشىء .. ولكن لا تنس أن للشمس أيضا عيوبها ، وما احتجاب الفتاة اليوم الا من تأثير عين حسود اصابتها ، هذا كل ما فى الامر »

ويتبين الاب عقم المناقشة فينهيها . وفيما الكل منشغلون باتمام معدات الزفاف تدرك آكولينا ساعة الوضع فتلفظ عارها خفية .. ويبدأ دور التخلص سرا من الطفل فى أسرع وقت قبل أن تفوح رائحة الفضيحة .. فيطلب نيكيتا من زوجته أن تحمله الى المستشفى ، لكنها تأبى ، وتجد فى هذا المأزق فرصتها للتشفى فتقول « كلا .. انها قذارتك وعليك أنت أن تنظفها بنفسك . ثم ان المستشفى مكان عام مزدحم بالناس . أوتريد أن يفتضح الامر ؟.. لخير لك أن تأخذ الطفل الى « البدروم » وتحفر له حفرة ! »

— يا الهى ! أما من طريق آخر ؟

— كان يجب أن تفكر فى هذا منذ تسعة أشهر !

ولكن الفتى يتردد فى ازهاق روح طفله فتدخل أمه ماتريونا وتضم صوتها الى صوت انيسيا ، وتناشده بدورها — فى استهتار مفجع — أن يتشجع : « ليس من سبيل آخر أمامك ثم انه لم يصبح بعد انسانا .. ليس هو سوى مخلوق حديث لا أهمية لوجوده اطلاقا .. هيا تناول فأسك وأنا سأحمل لك المصباح !.. هيا يا عزيزى أتم مهمتك كرجل ، فان الارض الطيبة لا تشى أبدا !.. ولا تنس أن من يفى امتاع نفسه عليه أن يستر سقطاته »

ويتخاذل الفتى ، وتضنيه الحيرة .. أما زوجته فتستيقظ فيها أنوثتها الذليلة ومقتها الرهيب لطفل زوجها ، طفل غريمتها .. وتملها الشماتة بالزوج المعذب الذي يجني ثمار خيانته لها ، ولم لا يتعذب .. مثلها ؟ ان وقر جريمتها ما يزال يسحقها ، وتزداد وطأته ثقلا على ضميرها يوما بعد يوم . انها تحيا في شبه جحيم ، فلم لا تجر معها الى الجحيم زوجها الذي أثمت من أجله فخانها أمام عينيها ؟ « فليصبح هو الآخر قاتلا ! عندئذ سيعرف كيف يؤلم هذا .. سأجعله يخنق مخلوقه القذر . لقد عانيت طويلا من هواجسي ، وكأن عظام بيتر جاثمة فوق صدري !.. فليجرب هو وليقاس بدوره عبء هذا الاحساس .. »

وتنحاز الزوجة الى رأي الام ، فتحرضه الاثنتان على قتل الطفل ، فيضعف نيكيتا وينقاد « حسنا يا والدتي .. احملي المصباح وتعالي .. »

ماتريونا : ولا تنس أن « تعمد » الطفل .. قبل أن تدفنه !

— ٥ —

فاذا كان الفصل الخامس فنحن في ليلة عرس آكولينا وقد اعدت العدة للاحتفال به في الكوخ . وبينما الكل في هرج وصخب نرى نيكيتا قد خارت قواه النفسية تماما تحت عبء آثامه ، وراح شبح الماضي يطارده فيترك الفرحين في أفراحهم ويتجه الى مخزن الحنطة ، حيث يحاول شنق نفسه ولكن الحبل يتزلق منه .. وبينما هو على أهبة القيام بمحاولة أخرى تلحق به أمه ماتريونا — بعد أن أعياها البحث عنه — فيسرع الى اخفاء الحبل ويضطجع على التبن

ماتريونا : نيكيتا ! ماذا تفعل هنا والضيوف ينتظرونك ؟

— أماه ! ماذا فعلت بي ؟.. اني ضائع معذب ..

— هراء ! كل شيء على ما يرام . وآكولينا ستزف بعد دقائق وما من أحد قط سيعرف

— نعم .. ولكن ماذا في البدروم ؟

— (ضاحكة) في البدروم ؟ ماذا .. بطاطس وكرنب و..لا شيء غير هذا . لماذ تدأب على تذكر الماضي ؟

— آه لو استطيع النسيان !.. ولكن مستحيل . حتى الخمر فقدت تأثيرها على .. فالطفل دائما امامي ، أراه وأنا آكل أو أشرب أو أنام .. وأسمع صوته يصرخ في سمعي بصوت مبحوح : « لماذا فعلت بي هكذا ؟ »

— أوه ، دع عنك هذه الهواجس فليس لدينا وقت للسخافات . لقد بدأ الضيوف يقلقون ويتساءلون عن رب البيت ، والسبيل الوحيد لاسكات ألسنتهم الثرثارة هو ظهورك ومم تخاف ؟ انك تعرف المثل القديم القائل « لن يرتاب أحد في اللص الذي يبدو جريئا معتدا بنفسه ! »

وتدخل عليهما انيسيا موفدة من الضيوف للبحث عنه .. فتجرب حظها وحيلتها : « انظري اليه كيف يتمرغ في التبن ! هيا بنا الآن . لا تكن احمق والحق بالآخرين

آه لو رأيتهم ! انهم جمع متنقى ، مرح صاخب . النساء يغنين والرجال سكارى ، وكل شيء رائع .. »

فيقول نيكيتا وكأنما قد استقر عزمه على شيء « حسنا .. سألحق بكما »

ويمضى فى أثرهما الى حيث التأم الجمع ، فتبدو على الضيوف الدهشة لدى رؤيته حافى القدمين ، ولكنه لا يعبأ بل يمضى حتى يتوسط المكان فيتلفت حواليه : « أبى أكيم .. أنت هنا ؟ يا رجال القرية .. أنتم هنا ؟ حسنا ، هأنذا أمثل أمامكم .. « أنا الخاطىء » ويجثو على ركبتيه ..

انيسيا : نيكيتا ، يا حبيبى .. ماذا بك ؟ أوه يا لرأسى !

ماتريونا : لقد أسرفت فى الشراب يا نيكيتا . انهض وعد الى صوابك ..

نيكيتا : دعينى .. اتركانى كلتاكما ! وانت يا أبى اصغ الى .. وأنتم يا أهل القرية ، انصتوا الى أنا الخاطىء » ـ ثم يستدير نحو العروس وينحنى تحت قدميها : « لقد أثمت فى حقك يا أكولينا ، فأبوك لم يمت قضاء وقدرا ، بل مات مسموما .. أنا الذى سممته !..

فتهتف العروس ـ ضحيته ـ وقد أخذتها الشفقة به « انه يكذب . انني أعرف من فعلها » فيقاطعها منسحقا « بل أنا الذى سممته يا أكولينا .. وأنا الذى اغريتك فسامحينى » ..

ويستريح الأب لاعتراف ابنه فيحثه فى غبطة على الاستطراد « تكلم يا ابنى .. اذكر كل شيء . طهر نفسك واعترف لله . أما الناس فلا تخشاهم .. فان الله هو وحده الجدير بان توجه اليه .. »

ويستطرد نيكيتا كالمحموم الذى يريد أن يفرغ ما بجوفه « يا لى من نذل .. أنا الذى سممت الاب ، وحطمت الابنة .. كانت فى قبضتى فحطمتها .. هى وطفلها ! »

أكولينا : لا تصغوا اليه ، لا تصدقوه ، أنا التى ..

نيكيتا ـ مقاطعا ـ بل لقد فعلتها بمفردى .. سامحينى يا أكولينا ـ وهو ينحنى تحت قدمى والده ـ وأنت أيضا يا ابنى .. سامحنى ! لقد حذرتنى من البداية فأبيت الاستماع اليك. فاغفر لى أنا النذل ! »

أكيم ـ وقد أشرق وجهه ـ الله هو الذى سيغفر لك .. انك لم ترحم نفسك ولكن الله سيرحمك . الله .. الله وحده الجدير بأن نتوجه اليه

أكولينا : سأقول الحقيقة .. اسألونى عن ..

نيكيتا : لا داعى لكل هذا يا أكولينا .. أنا الذى دبرت كل شيء .. أنا الذى فعلتها بنفسى .. وهأنذا على استعداد لملاقاة عقابى .. والتكفير عن اثمى

(ستار)

حلمى مراد
المحامى



هكذا تحطمت عاصمة الأمويين من جراء المدافع والقنابل الفرنسية ! والحي الذي تراه في الصورة هو الحي التجاري في دمشق بعد أن أصبح أطلالا وأنقاضاً

الجنرال باجيت القائد البريطاني في الشرق الأوسط ، يتحدث إلى دولة السيد سعد الله الجابري والمستر ترانس شون وزير بريطانيا في سوريا ولبنان

مأساة سوريا ولبنان

تعهدت فرنسا في عام ١٩٤١ بمنح لبنان وسوريا استقلالهما ، وقد ضمنت أمريكا وبريطانيا هذا التعهد . . ولكن فرنسا أبت إلا أن تنقض هذا العهد ولما يمض على انتهاء الحرب في أوربا أكثر من عشرين يوماً ، وأصرت على الاحتفاظ بالامتيازات التي كانت لها قبلا في هذين البلدين ، ولجأت إلى وسائل القوة والعنف

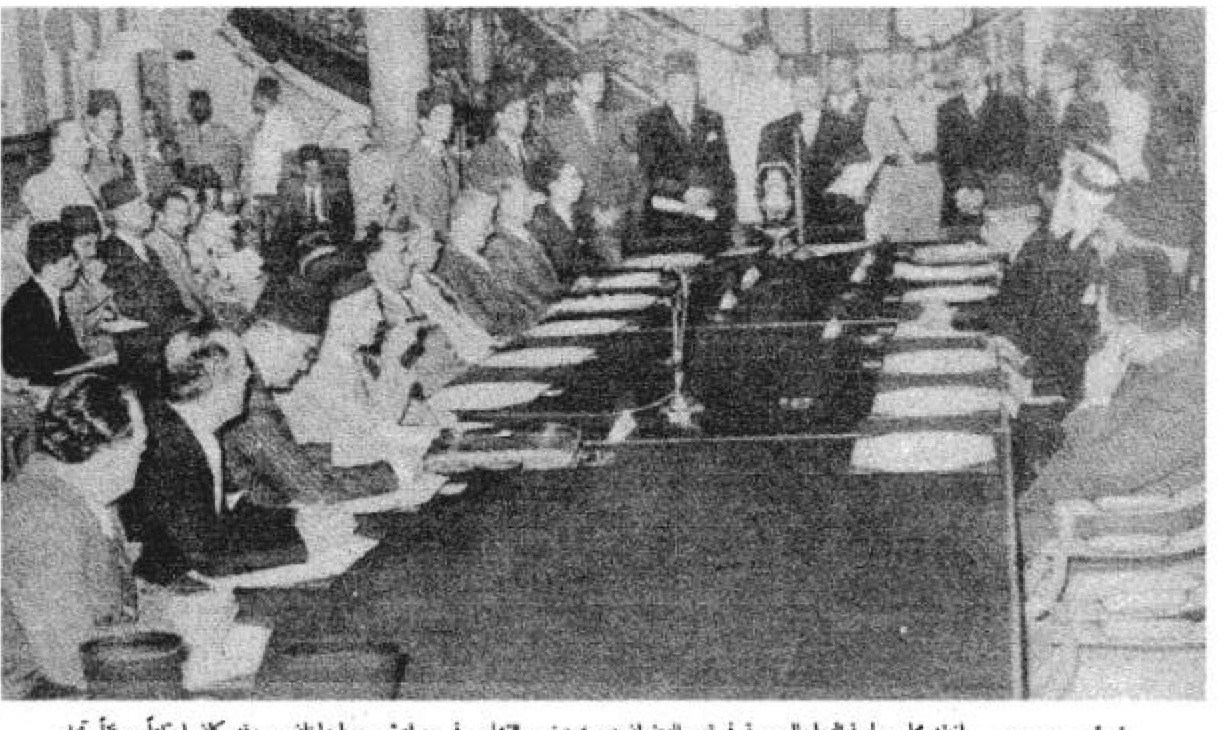
لقد نسيت فرنسا أن الشرق العربي لم يعد اليوم لقمة سهلة لينة . . ولنسيت أن في وسعه أن يقف في وجه العدوان والطغيان بفضل التعاون والوحدة والتضامن

وقد اجتمع مجلس جامعة الدول العربية في قصر الزعفران دورته الأولى يوم ٤ يونيو وقرر اتخاذ التدابير اللازمة وفقا للمادة السادسة من ميثاق الجامعة لدفع الاعتداء الفرنسي كما قرر أن الحكومة الفرنسية مسئولة عما وقع في سوريا ولبنان من قتل وتخريب وخسائر



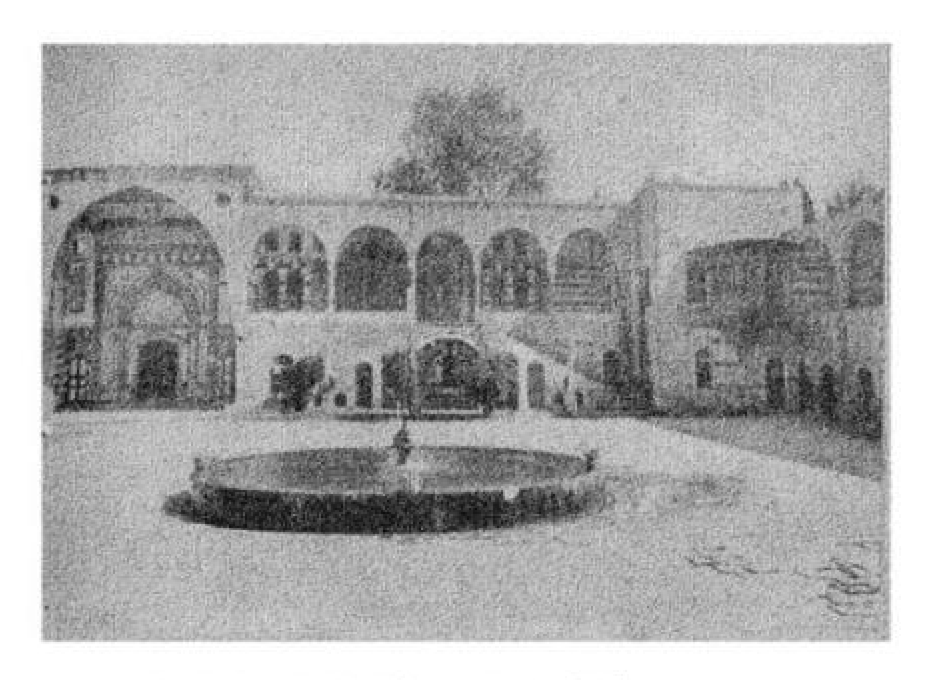
بارك الله في همة الفرنسيين ! حتى البرلمان لم ينج من قنابلهم فقد سلطوا عليه مدافعهم من مسافات قريبة فدمروا معظم مبانيه ونهبوا أثاثه ورياشه

احتل الفرنسيون دار البرلمان السوري بعد أن ضربوه بالقنابل، وأقاموا كتيبة من الجنود السنغاليين لحراسة أبوابه ومنافذه



في قصر الزعفران

انعقد مجلس جامعة الدول العربية في قصر الزعفران يوم ٤ يونيو للتشاور في حوادث سوريا ولبنان . وقد كان اجتماعاً موفقاً تجلى فيه روح التضامن والتعاون بين الشعوب العربية وحكوماتها . وقد ظهر في الصورة دولة محمود فهمي النقراشي باشا وهو يلقي كلمة الافتتاح



مبنى خاص بأسرة الأمير يعرف بالحريم ، يمتاز بأنه أجمل أجزاء القصر وأحسنها تنسيقاً

بيت الدين

أوفدت الحكومة المصرية بعثة لاصلاح قصر « بيت الدين » بلبنان برياسة الأستاذ الفنان سحاب الماس رئيس المكتب الفنى للقصور الأثرية

وهذا القصر مبنى جميل مشيد فوق الجبل بلبنان تحيط به أشجار غزيرة الخضرة شاهقة الارتفاع وقد بناه الأمير بشير الشهابى منذ مائة وخمسين سنة ــ أى بعد خمسين سنة تقريباً من تاريخ بناء قصر العظم بدمشق . وقد كان الرائد الأول فى بناء القصر توفير الجمال لاقامة الأمير وعائلته

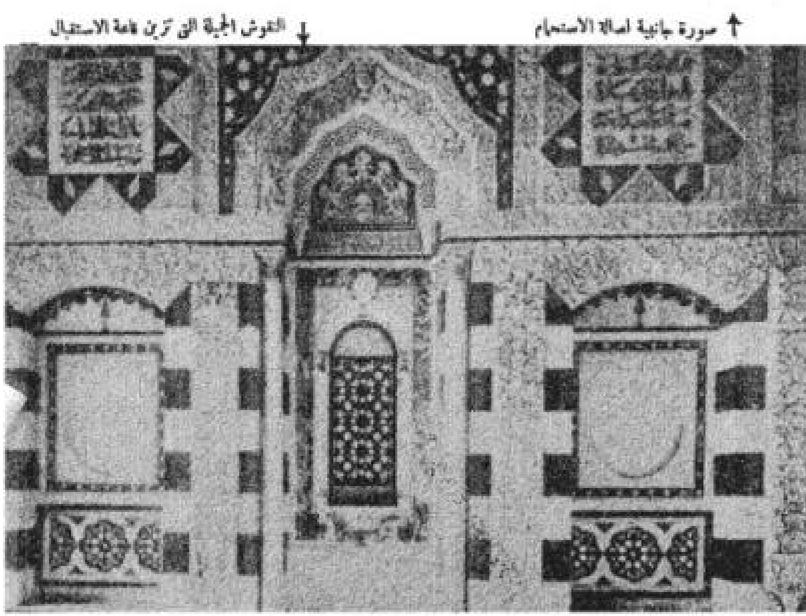
وتتكون زخارف بعض القاعات من مرامر متعددة الأنواع طازجة الألوان كسيت بها الحوائط وبلطت بها الأراضى ، وقد نضدت بحيث تحدث نظماً زخرفية منتسبة من أساليب تاريخية مختلفة أشهرها الوروسكى والبيزنطى والقوطى والنهضى الأوربى

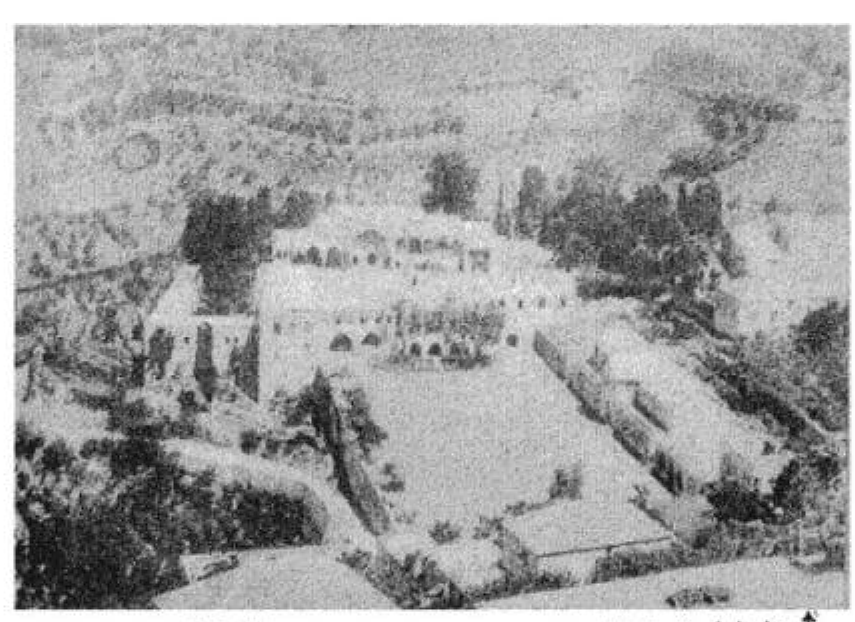
وبالقصر حمامات جميلة البناء بديعة الزخرف . كما أن به جزءاً خاصاً بالأسرة يعرف بالحرم

وحديقة القصر غنية بالأشجار المثمرة ، ويرى الزائر فى ركن مقبرة لزوجة الأمير بشير ، كما يرى مساقط المياه تنحدر رائعة فى غزارة

↑ صورة جانبية لصالة الاستحمام

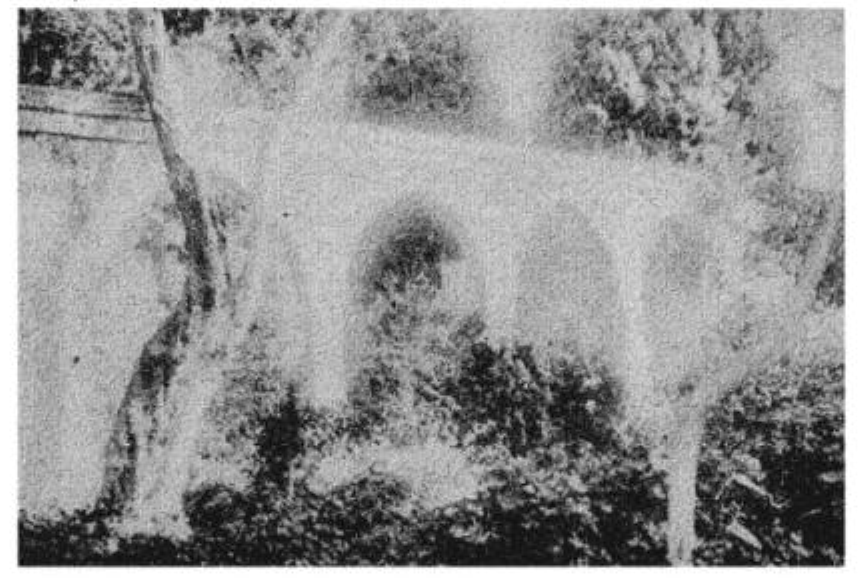
النقوش الجميلة التي تزين قاعة الاستقبال ↓

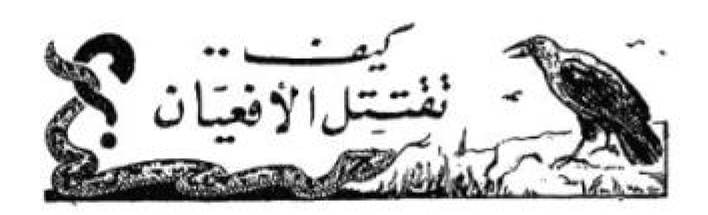




↑ منظر عام لسراي بيت الدين

قناطر المياه في حدائق القصر ↓





بقلم الأستاذ نقولا الحداد

نهر طويل عريض تكتنفه غابتان غضتان عظيمتان ، تشامخت فيهما الادواح وتعاقدت الاغصان وتصافحت الافنان . وكان عند شاطىء النهر شجرة باذخة وقد وقفت على غصن منها حدأة سمينة نشيطة ولديها عش تداعب فيه فراخها

لفتت نظرها أفعى رقطاء غليظة طويلة كانت تلوى وتطوى وتشرئب الى العش كأنها تتحفز للصعود اليه لتلتهم فراخه . ولكنها لا ترى سبيل الصعود موصولا ولا الوصول مأمولا

فجزعت الحدأة وخافت على فراخها ان تقع فرائس لهـذه الافعى فربطت جأشها ، وجنحت الى الحيلة وقالت : انى أشكر لك أيتها الحية العظيمة عظيم الشكر عفتك عن فراخى الضعيفة التى قد لا تكفيك وجبة واحدة . وأود أن أكافىء عفتك هذه بنصيحة ثمينة جدا لعلك تشكرينها لى

قالت الأفعى : خير ان شاء الله

قالت الحدأة : انك تزحفين فى هذه الغابة من مكان الى مكان ويندر أن تصيبى صيدا لان أفاعى كثيرة غيرك قد نظفت الغابة من الصيد قبلك وهجرتها ، واليوم رأيت أفعى هنا تامن الحظ قائلة : « ماذا دهانى حتى تركت غابتى البكر التى لا أعدم فيها صيدا وأتيت الى هذه الغابة اللعينة القاحلة التى قضيت فيها يوما كاملا طاوية لا أجد ما يسد الرمق . فلأعد الى غابتى الخصيبة الغنية التى لا منازع لى فيها » ـ ثم انطلقت تسبح الى الغابة الاخرى ، فاذا كنت تذهبين الى هناك تجدين من الصيد ما يكفيك ويكفيها ويزيد

قالت الأفعى : أيمكن ألا يكون لها منازع هناك ، ان غابة عظيمة كتلك مقصودة

قالت الحدأة : كنت أطوف فوق أفنان تلك الغابة كثيرا فلم أر غير تلك الافعى

قالت الأفعى : اذا صدقت وصحت نصيحتك أكافئك خير مكافأة . ولكنى لم أتعود السباحة فأخاف الغرق

قالت الحدأة : ان تلك الزميلة أضعف منك وأصغر بدنا وهى تعبر النهر بلا عناء ،

ومع ذلك سأرفرف فوقك . فاذا شعرت بتعب فامسك ذيلك بمنقاري وارفع بعضك واساعدك على العبور . هلمى

وعبرت الافعى النهر تحت رعاية الحدأة وانسابت بين الدوح . وعادت الحدأة الى شجرتها فرأت غرابا على شجرة أخرى يتلفت هنا وهناك متحينا الفرصة للانقضاض على عشها . فتجلدت هذه واعتصمت بالحيلة وقالت : مرحبا مرحبا بالجار . انى شاكرة لك عظيم الشكر حراستك فراخى فى غيابى . اذن فأنت مدعو لوليمة معى اليوم فى عبر النهر فى الغابة الاخرى . فهلم

قال الغراب : وما معنى الوليمة فى الغابة الاخرى

قالت : لقد قدت الآن الافعى التى كانت هنا الى تلك الغابة لكى تنازع الافعى التى هناك مستعمرتها . وستقتتلان شر قتال حتى الموت . ومتى ماتتا كانتا لنا وليمة مدة اسبوع . فما قولك

قال الغراب : اذا صح ظنك فهى أطيب وليمة . هلمى بنا

وطارا الى الغابة الاخرى عبر النهر . وما تشوفا كثيرا حتى رأيا الافعيين ملتفتين كل منهما على الأخرى وهما تتشاجران . وكان فحوى الشجار هكذا :

ــ بأى حق تأتين الى مستعمرتى ؟

ــ أما كنت أنت اليوم فى الغابة الاخرى فلم أمنعك . لان الغابتين مشاع للجميع . هما ملك الله ونحن نرعى ونصطاد فى ملك الله

ــ لا أدعك تسرحين وتمرحين هنا فى مستعمرتى . فقد احتكرت الصيد وحدى هنا قبلك منذ زمان

وما زالتا تتصارعان حتى تمكنت احداهما من امساك ذيل الاخرى والتهامه . فتسنى للافعى الاخرى أيضا أن تمسك ذيلها . وجعلت كل منهما تلتهم الاخرى وتبتلعها من ذيلها حتى أصبحتا دائرة كبرى على الأرض بقدر عجلة عربة الدبش . وصار انه كلما أمعنت كل منهما فى ابتلاع الاخرى من ناحية ذيلها ضاقت الدائرة . وما زالت كل منهما تمعن فى الاخرى والدائرة تضيق رويدا حتى صارت بقدر عجلة الاوتوموبيل . ثم بقدر الغربال ثم بقدر المنخل . ثم بقدر الرغيف . ثم بقدر كعكة العيد . وبقدر البندقة . بقدر العدسة . ثم نقطة فاختفت

وكان الغراب والحدأة على فنتين يشاهدان مدهوشين الى أن قال الغراب : تبا للك يا حدأة . جئت بى الى هنا لوليمة ، فاذا الوليمة تأكل بعضها بعضا . كيف هذا ؟ عمرك الله هل رأيت مشهدا عجيبا كهذا ؟

قالت الحدأة : رأيت . رأيت مشاهد كثيرة مثله

فاجفل الغراب وقال : مستحيل . كيف ؟ متى ؟ أين ؟

قالت : اما رأيت مقامرين ؟ هذا يكسب من ذاك . ثم يكسب ذاك من هذا . ومتى كان الواحد يكسب كان الآخر يخسر . يتعاقب الكسب والخسارة الى ان تتلاشى فلوسهما وتفنى ثروتهما

قال : ولكن أين تذهب الفلوس ؟

قالت : تذهب لصاحب المقمر وللساقي ولبنت العنب ولبنت اللهو والطرب الخ . أليست هاتان ثروتين التهمت كل منهما الاخرى ؟

قال : حقا ما تقولين . وماذا مثل هذا أيضا ؟

قالت : أو ما رأيت أخوين يتنازعان ميراثا . فتنقضي السنون والقضية في المحاكم بين القضاة والمحامين الى أن تفنى التركة بين رسوم قضايا واتعاب محاماة . أليست التركة حصتين من ميراث التهمت كل منهما الاخرى ؟

قال : حقا ما تقولين أيتها الحدأة الحكيمة . ثم ماذا تعرفين من أمثال هذا النزاع الجنوني

قالت : حسبك هذه الحرب العالمية . كل خصم يحاول ان يلتهم الخصم الآخر . ولا يزالان يتلاقمان الرجال والمال ويتبالعان المجهودات والابطال الى أن يفنى المال والرجال . فالخصمان أرقمان كل منهما يبتلع الآخر الى أن يفنى كل منهما في الآخر

قال : حقا . ان الجنس البشرى الذى يتبجح بأنه أرقى من الحيوان وأعقل قد جن في هذه الحرب

قالت : هكذا يا عزيزى . اذا كنت أنت وأنا خصمين يغزو كل منا فراخ الآخر ورزقه تفنى أخيرا الغربان والحدآت . أفلا ترى أنه خير لنا أن نقطع عهدا بيننا بأن نبقى صديقين لا عداء ولا عدوان ؟ أم تريد أن نكون عدوين يغزو كل منا الآخر

فقال الغراب متنهدا تنهد الصعداء : معاذ الله يا عزيزتى هل نحن بشر حتى نجن هذا الجنون !

نقولا الحداد

لا تركل ما تراه عيناك ولا تسمع كل ما تسمعه أذناك	« شكسبير »
خير الاخوان من لم يتلون وان تلون الزمان	« بيرون »

كيف تضاعف الأمم ثرواتها

بقلم هرولد كلارك الأستاذ بجامعة كلومبيا بنيويورك

(نفى كاتب هذا المقال عشرين عاما فى دراسة هذا الموضوع الاقتصادى الخطير، زار فى خلالها خمسين أمة، ووقف على اسباب غناها أو فقرها)

من الناس من يظن أن الامة تستطيع ان تضاعف ثروتها بالاقتراض من أمة أخرى . ومنهم من يعتقد ان الفقر فى الامة يعزى الى قلة المال ، وان الوسيلة الوحيدة لتوفير الرخاء والثراء فى بلد ، زيادة قوة الشراء فيها . ومن هؤلاء من يجوب أقطار الارض للعثور على أمة ، قريبة أو بعيدة ، تستطيع أن تمد أنه بالوسائل الفعالة التى بها تضاعف ثروتها ، وعلى الاخص المال . على أن أقوى دليل على فساد هذه المزاعم ، الحالة الراهنة فى اليونان حيث توجد مليارات مكدسة من الريالات . وما نفع هذه المليارات ، طالما كان البلد خلوا من السلع ومواد الشراء ؟ ان زيارة قصيرة لليونان الجائعة ترسم لك صورة جلية لهذه الحقيقة . وليست اليونان أول أمة فى التاريخ اكتظت خزائنها بالمال ، وخلت مخازنها من السلع ، ويطون سكانها من الخبز . يلوح لنا أن الانسان بطبيعته المتمردة يأبى ان يتعلم من دروس الماضى . ليس ثمة من ينكر أن قوة الشراء الكافية أمر لا مناص من وجوده ، ولكن هذه وحدها لا تجلب الرخاء . لقد أتيحت لى الفرصة فى خلال عشرين عاما أن أزور خمسين دولة ــ الفقيرة منها والغنية ــ وقد عدت الآن من هذه الرحلة الطويلة ، لاضع أمام القراء بايجاز ما عن لى من الآراء ، وما اعتقد انه أصل الداء :

يقول لنا الكثيرون ان المصادر الطبيعية للبلد ــ تربته ومعادنه وزيوته وغاباته ــ سبب غناه وفقره . ليس هناك من ينكر أن للمصادر الطبيعية أهميتها ، وان الامة الغنية بها يسهل عليها مضاعفة ثروتها بوساطتها ، بعكس الفقيرة . ولكن .. هل يدلنا الاحصاء والواقع على أن المصادر الطبيعية للثروة فى أمة سبب ثرائها ؟

اذا سئلت عن أغنى دولة زرتها فيما يختص بهذه المصادر ، فانى أضع بغير تردد كلومبيا ــ فى أمريكا الجنوبية ــ فى أعلى القائمة ، اذ بها ملايين من الاراضى الزراعية التى تعد تربتها أجود ما فى الطبيعة ، وبها مصادر معدنية وخشبية بكميات وافرة ، وبها زيوت تجرى تحت أرضها انهارا ، وجوها أبدع ما فى العالم ، ويوشك ان يكون ربيعا طول السنة . والقوة المحركة للآلات فيها أبخس ثمنا منها فى أى بلد آخر . ورغم هذا وذاك

فان مستوى العيش فيها لا تحسد عليه ، وفى كثير من المواضع يمكن وصفه بانه منخفض جدا ، والكثير من القرى فيها يشكو سكانها من سوء التغذية ، بالرغم من خصب الاراضى المحيطة بها ، وقدرتها على انتاج جميع أنواع الخضر المعروفة . ويستطيع سكانها ، اذا شاءوا ، أن يكون غذاؤهم ، لا كافيا وحسب ، وانما يمكن ان يكون نموذجا لاحسن غذاء مثالى فى العالم . ومن الطبيعى أن يسارع أحدنا فيرمى هؤلاء السكان بالكسل والتواكل ، غير ان هذا التعليل يفتقر الى العمق فى التفكير.

وما يقال عن كلومبيا فى هذا الشأن يمكن أن تجد له نظيرا فى ولاية فلوريدا فى بلادنا ، حيث التغذية فى بعض أنحائها تكاد تكون مثالية ، وفى البعض الآخر سيئة . فهل يعزى هذا الى تكاسل هؤلاء ونشاط أولئك ؟ كلا ، فقد اتضح أن سكان هذه الجهات مهاجرون من ولايات أخرى ، لم يألفوا زراعة الخضر الشتوية ، غير ان فى بعض هذه الجهات هيئات محلية قامت بارشادهم وتعليمهم ، وفى البعض الآخر لم توجد مثل هذه الهيئات . ولنعد الآن الى كلومبيا فنقول ان سكانها ليسوا بكسالى ، ولكنهم يجهلون الوسائل الفنية والمعلومات الزراعية التى تعينهم على استثمار تربتهم الخصبة، اذ ينقصهم التعليم والارشاد. وهذا موطن الداء . فى كل أمة تتوافر فيها مصادر الثروة الطبيعية ، ولا تتوافر فيها المعرفة والارشاد والوسائل الفنية ، يقل دخل الفرد فيها ، ويهبط مستوى المعيشة

ولننتقل بالقارىء الى بلد فى شمالى غربى أوربا ، على النقيض من كلومبيا ، توشك ان تكون مصادر الثروة الطبيعية فيه فى حكم العدم ، واعنى بها « نروج » فليس فى بلاد النرويج معادن ، وتكاد تكون خالية من الغابات ، والفترة الزمنية التى تصلح فيها الزراعة قصيرة جدا ، ولا توجد بها قوات طبيعية لادارة الآلات ، والتربة فقيرة لا خصوبة فيها . فاذا كان هناك بلد يمكن ان ينتظر ان ينخفض فيه مستوى المعيشة الى حد أدنى ، فانه يكون هذا البلد بغير نزاع . ولكن بالرغم من هذا فان دخل الفرد فى نروج من أعلى الارقام بين أغنى بلدان العالم

وهناك بلدان تحلو الموازنة بينهما ، وهما المكسيك، جارتنا الجنوبية وصديقتنا، وزيلاندة الجديدة . فبلاد المكسيك ، بالرغم من حاجتها الى وسائل الرى والصرف، وفيرة الخيرات، غنية المصادر الطبيعية ، غاباتها واسعة الارجاء مترامية الاطراف ، ومنابع الزيت فيها فياضة، وقواتها جسيمة ، ومناخها متنوع بديع ، وعاصمتها تمتاز بجودة الهواء واعتدال الطقس ، حتى قيل انه لا توجد عاصمة أخرى فى العالم تماثلها من هذه الناحية . على انه بالرغم من هذه المزايا كلها ، فان سكانها يعيشون على مضض من العيش ، وفلاحيها فى كثير من أرجائها لا يأكلون سوى الفول والذرة وهما الطعام الرئيسى الذى كان يعيش عليه السكان قبل الفتح الاسبانى . ويعزى السبب فى ذلك الى الجهل بالوسائل الفنية الحديثة . والدليل على ذلك أن المدارس فى بعض المناطق التى يعوزها الماء ، استطاعت أن تعلم

الفلاحين طرق الزراعة الحديثة التى تتطلبها طبيعة البلاد ، فتمكنوا من توصيل المياه من الجبال لرى الاراضى، واكثروا من زراعة الخضر والفاكهة وبذلك تحسنت التغذية وارتفع مستوى المعيشة

ولنقطع الآن مرحلة حول الارض تبلغ نصف محيطها ، لنصل بالقارىء الى زيلندا الجديدة . هذه أيضا بلاد خصبة التربة ، معتدلة المناخ ،كثيرة الغابات ، تتوافر فيها القوات الطبيعية لادارة الآلات ، ولكنها علاوة على ذلك لا يفوق سكانها فى الخبرة الفنية الزراعية فى العالم بأسره سوى أمة واحدة . أى ان زيلندا الجديدة اجتمعت فيها مصادر الثروة الطبيعية ، والتدريب العلمى الفنى ، فأصبحت فى نظر الخبراء اليوم أغنى بلدان العالم قاطبة ، فيما يختص بدخل الفرد ومستوى العيش

وتسهل الموازنة بين البرازيل وولايات أميركا المتحدة ، اذ ان كلا منهما غنى بالمصادر الطبيعية . فولايات أميركا المتحدة مفهوم أمرها . أما البرازيل فأرضها خصبية تدر الخيرات اذا ما استثمرها الاهلون ، والمعادن الدفينة فى جوفها ذخيرة لا تفنى ، وبها أكبر غابات العالم وأوسعها نطاقا ، وقواتها الطبيعية لادارة الآلات لا يكاد العقل يدرك مداها . ولكن مستوى العيش فيها رغم ذلك منخفض . فلم ذلك ؟ لان سكانها تنقصهم الكفاية الفنية ، وتعوزهم الدراية بأحدث الاساليب العلمية . يقولون أن المناخ هناك لا يبعث على النشاط. هذا صحيح ، بيد ان قوما يجهلون أثر الاملاح وتعاطى فيتامين «ح» بكميات وافرة ، لا بد أن يكونوا عصبيى المزاج . فالملح وفيتامين «ح» يذوبان فى الماء بسهولة ، فلا يستطيع الجسم الاحتفاظ بهما طويلا . فاذا لم يكن هناك من سبيل لاستعاضتهما بشىء آخر ، فلا بد من أحد الامرين : اما الخمول والكسل ، واما المرض . ينسى الكثيرون ان بالعلم والمعرفة تستطيع الجماعات والامم التغلب على العوامل الطبيعية التى تعوق نجاحها . فهاكم كندا ـ تلك البلاد الغنية ـ ماذا كانت تكون حالها فيما لو استسلم الاهلون لبردها القاتل ، ولم يحصنوا أبدانهم بارتداء الملابس الدافئة ، وتشييد البيوت الكثيفة الجدران ، والاكثار من الوقود ؟ وهل من العدل ان نعير الشعب البرازيلى ونلومه لاهماله فى تكييف أحواله تكييفا يلائم مناخ بلاده، طالما كان يجهل الوسائل العلمية الفنية التى بها يهزم جنود الرطوبة والحر وسوء الاحوال الجوية ؟

ولم نذهب بعيدا للعزف على هذا الوتر ؟ فهذه الولايات الجنوبية فى بلادنا ، قد شيدت بيوتها بكيفية لا تتفق وطبيعة المناخ . وذلك لان سكانها كانوا فى الاصل مهاجرين من انجلترا حيث يشتد البرد وتكثر الرطوبة، وحيث المنازل منخفضة وملاصقة بعضها لبعض. فلما ان استقر بهم الحال فى ولاية فرجينيا ، بنوا بيوتهم على الطريقة الانجليزية . غير أن البيوت الحديثة فى هذه الولايات الجنوبية ، قد رسمت على أساس يتفق ومناخ هذه المناطق، فجعلت أكثر الحجر خالية من ثلاث جهات، وامتدت النوافذ من السقف الى أرضية الحجرة أو كادت ، ووضعت فى السقف آلات التهوية . ولم تكن التغذية كذلك ملائمة للمناخ فى

تلك الولايات ، وكانت الملابس اصلح لانجلترا منها لهذه المنطقة من أميركا ، فعمد المستنيرون من الاهالى الى تغيير ألوان الغذاء والملبس تغييرا يتفق والمناخ والمبادىء العلمية السليمة ، وبقى الجهلاء منهم على ما كان عليه أجدادهم . من هذا يتضح أن البرازيل ليست أجدر باللوم منا نحن الاميركان . من العبث ان نحاول ، بالمال أو أى شيء آخر ، ان نعالج الحالة الراهنة فى البرازيل ، طالما كان أهلوها يجهلون الوسائل العلمية . بهذه الوسائل تصبح البرازيل من أغنى بلدان العالم

ان ولايات أميركا المتحدة غنية بمصادر الثروة . ولا ينكر أحد ان هذه المصادر عامل هام من عوامل رخائها ، ولكن لا ينكر أحد كذلك أن هناك بلدانا أخرى فى العالم غنية بمصادرها الطبيعية ، ولكنها رغم ذلك فقيرة فيما يختص بدخل الفرد . فى ولايات أميركا المتحدة مناطق ينخفض فيها مستوى العيش الى درجة لا يحسن السكوت عليها ، وتنفق الدولة عليها الملايين من الريالات لتحسين حالها ، بيد ان انفاق هذه الملايين بهذه الكيفية بمثابة القائها فى بئر . هناك وسيلة واحدة لزيادة الدخل ورفع مستوى العيش ، الالمام الأهلين بالعلم والمعرفة والوسائل الفنية . لقد تبرع سكان نيويورك بمبالغ طائلة لفلاحى بعض الجبال فى أميركا ولكن هذا لم يجدهم نفعا . هناك وسيلة واحدة : المعرفة . وخير دليل على ذلك فلاحو الجبال فى سويسرا . ان تربة الاراضى الجبلية فى سويسرا أقل خصبا منها فى الاراضى الجبلية التى يعين فلاحيها سكان نيويورك ، ومع ذلك فان دخل الفلاح السويسرى أعلى بكثير . السبب ؟ المعرفة والعلم

ولننتقل بالقارىء الى بلدين آخرين فى أوربا : يوغوسلافيا ونروج . ففى يوغوسلافيا نجد مصادر الثروة لا بأس بها ، ونجد مستوى المعرفة والوسائل العلمية والفنية فى غاية من الضعف والانحطاط ، ونجد دخل الفرد ضئيلا منخفضا . وفى نروج على النقيض من ذلك ، نجد مصادر الثروة الطبيعية فى حكم المعدومة ، فالتربة فقيرة الى أقصى ما يتصوره العقل من الفقر ، والفترة الزمنية التى تصلح الزراعة فيها قصيرة الى أبعد حد ، ومعادنها قليلة جدا أو لا وجود لها على الاطلاق ، ومناخها تدو من سائر بنى الانسان من يود أن يعيش فيه . ولكنا نجد فيها المعرفة العلمية الفنية متقدمة الى أقصى ما بلغه الانسان من تقدم ونجد دخل الفرد أعلى ما بلغه الفرد فى جميع انحاء العالم

وتتكرر هذه « الدراما » بجميع تفاصيلها فى رومانيا وسويسرا ، ففى رومانيا نجد تربة خصبة ، ونجد غابات وزيوتا ، ومناخا معتدلا ، ونجد كمية المطر صالحة للزراعة . ولكن أنظمة التعليم فيها ليست على ما يرام ، والمام السكان بالمبادىء الفنية العلمية محدود . والنتيجة التى لا مفر منها : انخفاض فى مستوى المعيشة وهبوط فى دخل الفرد . أما فى سويسرا ، فنجد التربة جدباء ، والاراضى الصالحة للزراعة محدودة ، والمناخ قاسيا شديد البرودة ، والمعادن قليلة . ولكن نظم التعليم فيها بديعة تدعو للاعجاب ، وسكانها من أشد سكان العالم دراية بالمبادىء العلمية الفنية ، ولماما بالوسائل الصناعية الحديثة الراقية ،

ويقال بحق ان سكان مدينة زوريخ أمهر صناع فى العالم . والنتيجة التى لا مفر منها : ارتفاع لا مثيل له فى دخل الفرد

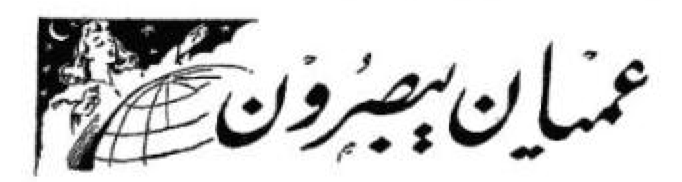
ويزعم البعض أن هناك سلالات بشرية تفوق سواها فى ذكائها الفطرى ، وبذلك تبلغ بهذا الذكاء درجة من مستوى العيش عالية . ولكن ألم يقض علم النفس الحديث على هذا الزعم ؟ ألم يكن دخل الفرد فى دانيمرك منذ مائة عام فى مؤخرة القائمة بين سائر ممالك العالم ؟ فكيف أصبح اليوم فى أعلى القائمة ؟ هل تغيرت السلالة هناك ؟ يقولون ان الآلات لازمة لمضاعفة الثروة . هذا صحيح ، ولكن صحيح كذلك أن المتعلمين يستطيعون الحصول على الآلات ، وغير المتعلمين لا يحسنون استعمالها ، حتى لو أتيح لهم الحصول عليها . أليست الحقيقة تنحصر فى هذه العبارة : لا سبيل لمضاعفة الثروة فى بلد بغير التعليم بشرط أن يكون كافيا أولا وملائما لطبيعة البلد ثانيا ؟

ان المصادر الطبيعية لا تغنى الأمم ، ولا غزو الشعوب الضعيفة ، ولا اقتراض الملايين من أمة غنية ، ولا الذكاء الفطرى ، ولا المناخ ، ولا شىء من هذا وذاك يضاعف الثروة . الحل الوحيد : التعليم العام الذى يتفق والبيئة ، والتعليم الفنى الخاص ، الزراعى منه والتجارى والصناعى ، للمشتغلين بالزراعة والتجارة والصناعة

الابتسامة

- الابتسامة لغة لا يفهمها سوى النساء — مدام أليوت
- الحب دمعة وابتسامة ، دمعة من سماء التفكير وابتسامة فى حقل النفس — هوجو
- الابتسام اصطلاح فى لغة المحب معناه فى موقف الوداع : الى اللقاء الى اللقاء — لابريد
- الابتسامة خطيئة اذا لم يخالطها الحب — شكسبير
- ابتسامة المرأة شعاع من أشعة السماء — فولتير
- تظهر محبة الرجل بالكلام أما المرأة فبالقبلات والابتسام — متل سينى
- المرأة المبتسمة كالغرفة الدافئة التى تستميل الانسان حين يدخلها فيشعر برفاهيتها حتى ينسى كونه غريبا — كاترين
- الرجل يطلب ثلاثة أشياء من المرأة : الفضيلة فى قلبها والوداعة على وجهها والابتسامة على ثغرها — معاوية
- ما تريد نيله بالارهاب يسهل عليك بلوغه بالابتسام — ستيوارت
- الازهار سفر قد وضعه الله ليتعلم الانسان اللطف والتسامح ، الا ترى أن الانسان يطأها تحت قدميه وهى لا تزال ترمقه بابتسامة جميلة — منتجمرى

مدرسة فريدة في نوعها ، يتعلم فيها الجنود الذين
فقدوا بصرهم في الحرب كيف يبصرون بدون أعين



مضى شاب طويل القامة مخترقا الحديقة قاصدا الى بيت من بيوت «نيوانجلند» وهو يصفر لحنا ، وحيا رجلا كان جالسا على مقعد بالحديقة ، ثم خلف وراءه شجرة كبيرة في الدرب بعد ان دار حولها وربت على جذعها بعطف . ثم تفادى سيارة كانت واقفة أمام باب الدار ودلف الى داخلها

وكانت مشية ذلك الشاب وحركاته كلها طبيعية معتادة لدرجة انها لا تلفت نظر أحد، ومع ذلك فانه أعمى لا يبصر شيئا !

ان هذا الشاب هو أحد طلبة الفصول المتقدمة في مدرسة فريدة في نوعها بناحية أولد فارمز بمنطقة جبل آفون بولاية كونكتكت بأمريكا ، وطلبتها هم عشرات من جنود سابقين فقدوا بصرهم في الحرب ، فهم يتعلمون فيهـا : « كيف يبصرون بدون أعين » لا كيف « يعيشون بدون بصر » فحسب ، ويديرها الدكتور جاكوب ليفين أحد كبار علماء النفس في بوستن

والطريقة التي يتعلم بها الطلبة في تلك المدرسة ليست جديدة ولا مبتكرة ، فهي لاتعدو الحاسة « السادسة » التي كان الانسان الاول ساكن الكهوف يعتمد عليها ، فتحذره من كل خطر غير منظور

ويقول الدكتور ليفين عن طريقته : « سمها حاسة سادسة ، أو سمها اشعاعا بشريا اذا أردت . اني لا أقدر أن أوضح تكوينها ولكني أعرف أداءها وجدواها »

ويمضي الطلبة في مدرسة أولد فارمز بضعة أسابيع يتعلمون فيها كيف يستخدمون تلك الوسيلة ، فاذا تخرجوا فيها عاشوا كاخوانهم المبصرين لا يكادون يختلفون عنهم في شيء ، فهم يمشون ويرقصون دون أن يصطدموا بالناس ، ويراعون علامات المرور ، ويتفادون العقبات دون مشقة . والثقة بالنفس هي قوام تلك الطريقة ، فمتى كسبها الطالب فقد كسب نصف المعركة في سبيل الحياة الطبيعية

وكثير منهم تبرز فيهم مواهب لم يكونوا يقدرون قط انهم حائزوها قبل ان يفقدوا أبصارهم ، فبعضهم الآن مثلا يشتغلون بمصانع الآلات الدقيقة الحربية في هارتفورد ،

وهم لا يقلون براعة وخبرة بهذه الصناعة عن الصناع القدماء

وتقوم فكرة « الاشعاع » البشرى – أو « ابصار الوجه » كما يصح ان يسمى – على فرض ان جسم الانسان تنبعث منه أشعة دقيقة – ولكن مؤكدة – من نشاط خفى . فهذه الاشعة تصد عن سبيلها وترتد ، اذا مست بيتا أو حائطا أو عربة أو أى شيء آخر . واذا درب شخص ما على التأثر بهذه الرسائل فانه يتلقاها ، بشكل لا يزال غامضا ، عن طريق الجلد أو بواسطة أعصاب الوجه . ومع التدريب يمكن ان يفسر المخ معانيها كما يفسر المناظر والاصوات والاحاسيس . كذلك يمكن تحديد المسافة والحجم والشكل والملمس بكثير من الدقة . والذى يحدث هو ان الوجه ينقلب الى اداة فرعية للحواس

والشخص العادى الذى يقدر أن يوفق بين نشاط حواس النظر والسمع واللمس لا يجد حاجة الى الالتفات لتلك الرسائل ، بل الواقع انه لا يدرى وجودا لهذا الجهاز الجسمانى

كذلك العمى لا يلتفتون الى هذا الامر من تلقاء أنفسهم بل يجب أن يدركوا طبيعته وطريقة استخدامه . وهذا ما تؤديه لهم مدرسة أولد فارمز ، اذ تهذب تلك الحاسة وتقويها

وأول ما يعلمه الطالب هو ان يميز أمواج الصوت البسيطة ، ويتعلم المسافات والاسطح بواسطة عصا يمسكها ويضرب بها الاشياء فيستمع الى أمواج الصوت التى تحدثها . ثم يستغنى بعد حين عن تلك العصا ويعتمد على حساسية أعصاب وجهه – أو « البصر الوجهى » كما يصح ان يسمى – بعد تدريب هذه الموهبة أو الحاسة باستمرار ومثابرة . فلا يلبث الاعمى اذا دخل كنيسة مثلا ان يعرف أى المقاعد خاليا وأيها مشغولا بالجالسين ، ويستطيع كذلك أن يمشى وسط طرق مزدحمة فيختار الطريق الموصلة الى غايته دون أن يتحسس حائطا أو جدارا

ولا يستوى العمى كلهم فى براعة استخدام هذا الاشعاع البشرى كما أن الناس لا يستوون فى قوة البصر أو السمع

وقد وفقت السلطات البريطانية الى اختراع أداة لمساعدة تلك الملكة أو الحاسة عند العمى ، وعاون السير ايان فريزر عضو مجلس العموم الضرير الخير ، على نشرها بين من يحتاجون اليها ، وهو يقول عنها : « انها ليست سوى تهذيب لعصا الاعمى المعروفة ، فبها يمكن الضرير ان يتحسس طريقه ، وأن يصغى الى الصوت والصدى ليعرف مكانه مما يحيط به . وفى الامكان أن يحل جهاز الاشعاع محل العصا عند العمى ، ولكن ربما كان الافضل من ذلك ان يوضع هذا الجهاز فى داخل العصى »

ويحمل السير ايان « جهاز ارسال » فى أحد جيوبه ، وقد قاس به الاشعاع عند العمى فى بيته وفى مصيفه الريفى وفى مكتبه وكذا فى الشوارع والاركان المزدحمة

وهو يرى ان فى الامكان ان يحمل كل ضرير جهاز اشعاع يركب فيه جهاز ارسال فى دائرة محدودة ، وبذا يطمئن العمى الى سيرهم ويثقون بأنفسهم ، والاهم من ذلك : أنهم لا يلفتون الانظار

(عن مجلة « ايفريبوديز لندن »)

بين روسيا والحلفاء

بقلم الأستاذ ابراهيم زين الدين

الخلاف بين روسيا السوفياتية وبين الحلفاء قديم عتيد يرجع تاريخه الى سنة ١٩١٧ حينما استولت الثورة البلشفية على مقاليد الحكم ، ولقد استطاعت هذه الحرب أن تخفي وراء أهوالها مظاهر هذا الخلاف — ولكن الى حين — فما أن انطوت صفحتها في أوربا ، حتى نشرت في أعقابها صفحات هذا الخلاف من جديد

وهو خلاف ذو مظهرين، احدهما خارجي تتمثل فيه المشاكل الخاصة ببولندا، والبلقان، وميناء تريستا ، ومعاملة ألمانيا ، ومناطق النفوذ ، ومجلس الامن ، والوصاية الدولية ، ومستقبل القوميات المحكومة الخ

أما المظهر الثاني — وهو المظهر الخفي — فيتصل بما يسمى في وجهة نظر الديموقراطيات « بالخطر الشيوعي » ، و « مناطق النفوذ »

والادراك السليم لهذا الخلاف — في مظهريه — يستدعي عرض العلاقات بين روسيا السوفياتية وبين الحلفاء من سنة ١٩١٧ الى الآن . وسيكون من شأن هذا العرض ، أنه سيطالعنا بتواريخ هذه الخلافات وعللها واسرارها . وهي العناصر اللازمة لادراك حقيقتها ادراكاً صحيحاً . وهي أيضاً العناصر الصالحة لاستخراج الحلول السليمة

وقد مرت هذه العلاقات بأدوار خمسة هي :

الدور الأول

بدأ في سنة ١٩١٧ وانتهى في سنة ١٩٢٢ ، وفي أوله قامت الثورة البلشفية ، وألف لينين برياسته حكومة شيوعية تمارس مبادىء ونظريات كارل ماركس ، حيث ألغت الملكية الفردية ، وجعلت وسائل الانتاج والاستهلاك في يد الدولة تباشرها وتباشر معها تحقيق مطالب الشعب ، بأن تعطي لكل فرد بقدر حاجته . وفصلت الدين عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، وجعلت الزواج والطلاق عقدين مدنيين ، وتكفلت بتربية الاطفال وتنشئتهم الى آخر ما هو معروف من هذه المبادىء

ورأت الديموقراطيات — وعلى رأسها انجلترا وفرنسا — أن في قيام مثل هذه الحكومة — وهذه مبادؤها في الحكم — خطراً يهدد النظم القائمة ، ويهدد سلام أوربا ، وسلام العالم،

وان من الواجب اذن مناجزتها قبل ان يستفحل شرها ويمتد الى خارج حدودها

وبدأت هذه المناجزة سريعا ، فان انجلترا وفرنسا قد ألبتا العناصر المعادية لحكومة لينين وأمدتها بالعتاد والمؤن والمال والرجال ، ووجهتها لمحاربة الشيوعية فى عقر دارها ، وهكذا نشبت الحرب الاهلية الروسية التى امتدت الى سنة ١٩٢٠ وانتهت بفوز البلشفية بعد جهاد عنيف مرير

والى هذا فقد شن الحلفاء على روسيا حربا معنوية قوامها الاذاعة والنشر تعملان لتشويه السمعة الشيوعية وتصويرها بأقتم الالوان

وبجانب هذه الحرب المعنوية قامت حرب أخرى اقتصادية ، حاصر فيها الحلفاء روسيا حصارا منيعا حرمها من أى اتصال بالخارج ، فلا هى استطاعت أن تستورد ما كانت تحتاجه ، وكانت فى أشد الحاجة اليه لتعمير بلادها التى خربتها حربان متتاليان ، الحرب العظمى والحرب الاهلية ، وللسير فى مشاريع التنظيم الاقتصادى التى كانت قد بدأتها فعلا . ولا هى استطاعت أن تصدر محاصيلها الفائضة عن حاجتها

وقد استهدف النظام الشيوعى بسبب هذا الحصار — وبسبب الحرب الاهلية من قبله — الى كثير من الاخطار ، لولا أن حكمة لينين ، وحماسة أنصاره قد تفادت هذه المخاطر وتغلبت عليها

الدور الثانى

بدأ فى سنة ١٩٢٢ وانتهى فى سنة ١٩٣٣ ، وفى أوله بدأت سياسة التقرب بين روسيا وألمانيا فعقدتا معا معاهدة صداقة وتجارة عرفت باسم معاهدة « راباللو »

وفى هذا الدور ظلت العزلة قائمة بين روسيا والحلفاء ، وظل هؤلاء فى حصارهم لها ، وحاولت انجلترا من جديد اثارة حرب أهلية ثانية فى روسيا ولكنها لم تصر طويلا على هذه المحاولة

وبفضل معاهدة رابالو استطاعت روسيا أن تستورد من مصانع ألمانيا كثيرا من الآلات وأدوات التعمير ، وأن تسير قدما فى بناء كيانها الاقتصادى طبقا لمناهج الثورة ، كما استطاعت أن تصدر كثيرا من محاصيلها الفائضة عن حاجتها

ولكنها ظلت مع ذلك تعانى كثيرا من الضيق بسبب هذا التضييق الذى فرضته عليها الديموقراطيات عمدا وباصرار ، أملا منها فى أن يكون ذلك من شأنه تأليب الناقمين على هذا النظام تأليبا يؤدى الى قيام حرب أهلية تكتسح الشيوعية وحكومتها . ولكن حكومة موسكو — وقد فطنت الى هذا الاتجاه — قد قاومت هؤلاء الناقمين مقاومة عنيفة حاسمة ، خلصت بها من بعضهم ، واستخلصت البعض الآخر

الدور الثالث

بدأ فى سنة ١٩٣٣ وانتهى فى سنة ١٩٣٨ ، وهو دور التقرب من الديموقراطيات ، فان هذه وقد أدركت ان السياسة التى انتهجتها مع روسيا لم تفلح ، وانها انتهت فى أكثر الظروف الى نتائج عكسية ، وان كل أمل فى انهيار النظام الشيوعى قد انهار ، وان هذا النظام الذى كتب له الاستقرار ، بدأ يظهر كعامل دولى ذى خطر ، فقد بدأت توجه سياستها وجهة جديدة تتفق وهذه الظروف الطارئة

وساعد على هذا التوجيه أن حزب العمال كان قد ولى الحكم فى انجلترا ، وسياسته ازاء روسيا الشيوعية مخالفة لسياسة حزبى المحافظين والاحرار ، الا أن هذه السياسة الجديدة لم تلبث الا قليلا بسبب اختفاء العوامل التى أفضت اليها . ولكنها عاودت الظهور من جديد ، بظهور عوامل أخرى منها ظهور موسولينى وهتلر على مسرح السياسة الاوربية ، وانشاء النظام الفاشستى فى ايطاليا ، والنازى فى ألمانيا ، ومهاجمتهما لنفوذ الديموقراطيات ، وتحديهما لعصبة الامم

ورأى ستالين فى هذه الاحداث الجديدة فرصة يوجه فيها سياسته وجهة جديدة دعت اليها مصلحة روسيا . ووجهة نظره فى هذا حكيمة وسليمة ، فقد رأى أوربا يتنظمها فى هذا الحين فريقان من الامم ، الفريق الاول ـ وتمثله ألمانيا وايطاليا ـ وهو فريق الامم المغلوبة ، وهذه كانت تسعى الى نقض معاهدة فرسايل ، ولا يكون هذا الا باثارة حرب جديدة . والفريق الثانى ـ وتمثله انجلترا وفرنسا ـ وهو فريق الامم الظافرة . وهذه كانت تسعى الى تدعيم معاهدة فرسايل ، وهى لا تطمع فى مزيد مما كسبته بهذه المعاهدة ، واذن فهى لا تسعى الى الحرب ، وانما تسعى الى منع نشوبها

وظاهر أن مصلحة روسيا فى اجتناب الحرب كانت تتفق مع مصلحة دول الحلفاء ، وان خطر النازية والفاشية انما كان يهدد روسيا كما يهدد انجلترا وفرنسا ، كما يهدد التوازن الاوربى والسلام العالمى . وهكذا وحد الخطر المشترك بين وجهات النظر التى كانت مختلفة ومتشابكة

وتنفيذا لهذا الاتجاه فقد دخلت روسيا عصبة الامم فى سنة ١٩٣٤ ، وقال الشيوعيون المتطرفون المناوئون لستالين يومئذ ان فى هذا الاتجاه انحرافا عن مبادىء الماركسية ، واستعادوا ما قاله لينين عن عصبة الامم حيث وصفها بأنها « وكر اللصوص » ورد ستالين عليهم فقال انه قد قبل أن يتعاون مع هؤلاء اللصوص ليرد عن روسيا وعن الثورة ، وعن مبادىء كارل ماركس خطر قطاع الطرق ، يقصد « النازيين »

ولروسيا فى عصبة الامم عهد يستأهل التسجيل ، فقد حاولت منذ اللحظة الاولى أن تحمل انجلترا وفرنسا على ايجاد جبهة متحدة ضد الخطر النازى ، ولكن هاتين الدولتين لم تشاءا أن تتورطا فى هذا التوجيه ، واعتقدتا أن السياسة السلبية قد يكون من شأنها ابعاد

الخطر الثاني عنهما أو ارجاؤه الى وقت بعيد ، وان من الممكن مع هذا الحصول على السلم بأي ثمن

واعتقدت موسكو أن في هذا الموقف تحريضا غير مباشر لالمانيا على روسيا ، وجاءت الاحداث بعد ذلك فأكدت لموسكو صحة هذا الاعتقاد . وهنا يبدأ الخلاف الحقيقي بين روسيا والحلفاء ، هذا الخلاف الذي يعتبر بحق خميرة هذا النزاع الحالي ، ومبعثه الشك المتبادل بين الفريقين من قديم

ففي سنة ١٩٣٥ غزا موسوليني الحبشة ، وكان في هذا خرق لعهد العصبة وتحد لها وانذار بتكرار هذه السابقة الخطيرة ، وحاولت روسيا أن تحمل الحلفاء على اتخاذ اجراء ايجابي ضد ايطاليا ، ولكنها لقيت في هذا معارضة منظمة — ومن فرنسا بنوع خاص — وأخيرا ولما وافقت العصبة على فرض العقوبات الاقتصادية على ايطاليا ، استطاع لافال وكان على رأس حكومة باريز ، وكان يرى مهادنة ايطاليا ، ان يجعل هذه العقوبة المفروضة حبرا على ورق

وفي سنة ١٩٣٦ نشبت الحرب الاسبانية الاهلية بين حكومة مدريد الشيوعية وبين قوات الجنرال فرانكو تؤيده ألمانيا وايطاليا ، فكان طبيعيا مع هذا أن تتدخل روسيا لتأييد حكومة مدريد ، وحاولت أن تحمل انجلترا وفرنسا على التدخل صونا لعصبة الامم ودرءا لهذا الخطر المتحدى ، ولكنهما آثرتا الا تفعلا ، ووقفت روسيا وحدها وجها لوجه أمام ألمانيا وايطاليا . وانتهت هذه الحرب بفوز الجنرال فرانكو وزوال الحكومة الشيوعية من اسبانيا

ورأت روسيا في موقف انجلترا وفرنسا من هذين الحربين ما دعاها الى توجيه سياستها وجهة جديدة . وهكذا انقضى عهد التعاون مع الديموقراطيات ليبدأ عهد آخر جديد بسياسة جديدة مغايرة

الدور الرابع

بدأ في سنة ١٩٣٩ وانتهى في ٢٢ يونيه سنة ١٩٤١ وهو عهد التحول الذي أشرنا اليه ، وفيه عقدت روسيا مع ألمانيا ميثاق (ستالين — ريبنتروب) تحت ضغط الظروف التي طرأت

ففي ١٥ من مارس سنة ١٩٣٩ دخلت جيوش هتلر مدينة براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا ، وكان في هذا تهديد مباشر لروسيا ، وبالرغم من يأسها من التفاهم مع الديموقراطيات ، فقد ألقت بآخر أمل لها وعرضت في ١٨ من مارس سنة ١٩٣٩ أن يجتمع مؤتمر تمثل فيه انجلترا ، وفرنسا ، وروسيا ، وتركيا ، ورومانيا للتفاهم في هذا الموقف الخطير ، ولكن انجلترا أجابت على هذا العرض بأنه سابق لاوانه ، واقترحت الاكتفاء بأن تعلن فرنسا ، وانجلترا ، وروسيا ، وبولندا استنكارها لهذا الغزو ، ووافقت روسيا — مرغمة — على هذا الحل النصفي ، ولكن بقي الامر مع ذلك عند حد العرض والقبول دون التنفيذ

وفي ٢٢ من مارس سنة ١٩٣٩ دخلت جيوش هتلر مدينة ميمل ، وفي هذا اعتداء مباشر

على سلامة بولندا التى ضمنت انجلترا وفرنسا استقلالها ، وفيه تهديد لروسيا ولدول البلطيق ، وهكذا فقد كان الموقف يدعو الى وحدة الرأى ووحدة العمل ، ولكن تشمبرلين أعلن فى ٣١ من مارس — ودون ان يستشير روسيا — ضمان انجلترا لاستقلال بولندا وحدها

ورأت موسكو أن فى هذا الاعلان ، على هذه الصفة التى أهمل بها ضمان استقلال دول البلطيق ، استمرارا للسياسة القديمة التى رأت فيها موسكو تحريضا لالمانيا عليها مقابل ألا تمس ألمانيا مناطق نفوذ انجلترا

وفى ٧ من ابريل سنة ١٩٣٩ غزا موسولينى البانيا وكان فى هذا تهديد لدول البلقان كلها ، ولكن تشمبرلين — دون أن يستشير روسيا كذلك — أعلن ضمان انجلترا لاستقلال رومانيا واليونان دون غيرهما من دول البلقان . وانما كان يجرى فى هذا على نفس السياسة التى اتبعها يوم أعلن ضمان استقلال بولندا ، وهى السياسة التى كان يظن بها امكان (تجزئة السلام) ، ولكن روسيا أدركت من هذين الموقفين ، ومن موقف انجلترا وفرنسا فى غزو الحبشة وفى الحرب الاسبانية ، ان هاتين الدولتين تسعيان الى السلامة ولو على حساب روسيا ، وانهما بهذه السياسة تطلقان يد ألمانيا فيما عدا مناطق نفوذهما

ومع هذا فقد حاولت روسيا للمرة الاخيرة اقناع انجلترا بتأليف تحالف دفاعى منها ، ومن روسيا ، وفرنسا لضمان استقلال الدول القائمة بين بحر البلطيق والبحر الاسود فتدخله دول البلطيق كلها ، وبلغاريا ، ويوغسلافيا ورومانيا واليونان ، ولكن لندن وباريز أهملتا هذا العرض الى حد عدم الرد عليه ، بل ان تشامبرلين رفض — ساخرا — اقتراحا عرض عليه فى مجلس العموم بأن يعمل على الاتصال بستالين شخصيا كما اتصل بهتلر

وأخيرا — ولما تحرجت الظروف — ولما أدركت انجلترا أن سياسة (تجزئة السلام) لم تفلح أوفدت رسلها الى موسكو (لتقرير وجهات النظر المختلفة) وبدأت المفاوضات فعلا فى موسكو فى شهر اغسطس ، ولكن وجهات النظر كانت متباعدة ، وأصرت بولندا من ناحية أخرى على عدم السماح للجيوش الروسية بالمرور فوق أراضيها ، وهكذا أوقفت المفاوضات

ميثاق ستالين — ربنتروب

أوقفت المفاوضات بين موسكو ووفد لندن فى ١٧ من اغسطس سنة ١٩٣٩ ليعلن بعدها بيوم واحد — وفى موسكو نفسها — حيث كان وفد لندن ما يزال مقيما بها ، ميثاق عدم اعتداء بين ألمانيا وروسيا

وقامت صحف الديموقراطيات تعلن أن ستالين قد خان قضية حلفائه ، وانه انما يسعى الى حرب يستطيع بعدها أن يغزو أوربا ويبذر فيها بذرة الشيوعية . وردت صحافة روسيا فقالت ان هذا هو السبيل الوحيد الذى كان على روسيا أن تسلكه اذ رأت الديموقراطيات تطلب السلامة لنفسها على حساب روسيا

الدور الخامس

بدأ فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤١ ، وفيه زحفت جحافل هتلر على روسيا وبدأ عهد التعاون من جديد مع الحلفاء ، وفى مساء نفس اليوم الذى بدأ فيه هذا الزحف أذاع تشرشل بيانا قال فيه : « .. وانى الآن أعلن بأن سياستنا تتلخص فى كلمة واحدة وغرض واحد هو تحطيم هتلر وكل مظاهر النظام النازى ، وكل انسان وكل بلد يحارب ضد النازية سيلقى منا المساعدة .. وستقدم كل ما نستطيع من المساعدة لروسيا »

وقد برت انجلترا بوعدها كاملا غير منقوص وساهمت الولايات المتحدة بنصيب عظيم فى مساعدة روسيا ، وهذه بموقفها الباسل فى هذه الحرب ، قد ردت الى الحلفاء جميلهم ، اذ شغلت عنهم معظم قوات ألمانيا وعتادها وساهمت فى النصر بنصيب موفور

ولكن هذا التعاون الحربى قد سار مستقلا عن التعاون السياسى ، فظلت مسائل الخلاف معلقة ، بل لقد كان من شأن هذا التعاون الحربى ، ومن شأن الاشتراك فى النصر ، انها تفاقمت وزادت حرجا

وهذا التفصيل الذى قصدنا اليه فى هذا المقال يطالعنا بعناصر هذا الخلاف واسبابه ، وهو كما رأينا خلاف يتصل بالجوهر ، وبالاساس ، أكثر مما يتصل بهذه المظاهر الخارجية التى تترامى الينا أنباؤها كل يوم

وليس الحل بمستعص اذا حسنت النيات ، واذا روعيت الحقوق ، واذا طبقت المبادىء والمثل العليا ، واذا احترمت حقوق الأمم ، كبيرها وصغيرها على سواء ، وفى ذلك خير روسيا وخير الحلفاء وخير الانسانية كلها

ابراهيم زين الدين
المحامى

نكسة

قال الطالب الفتى لاستاذه الشيخ : لقد كان فلان أبيا حييا ذكيا مرتفعا عما يؤذى كرامة الرجل الكريم ، فلما بلغ السبعين ابتذل من نفسه ما لم يكن للابتذال سبيل اليه

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : ردته السن الى طفولة العقل ، وحفظت عليه رجولة الجسم ، فأدركه شىء يشبه النكسة

(عن كتاب « جنة الشوك » للدكتور طه حسين)

تطور نظرية المسئولية ..

من الحرب العالمية الأولى الى الحرب العالمية الثانية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

لا مراء فى أن ألمانيا سوف تؤدى أفدح ثمن أدته أمة للتكفير عن أخطائها . ولكن الشعب الالمانى حرى بأن يكفر عما ارتكبه زعماؤه وقادته الذين أبدعوا بكل موارده وقواه فى سياسة التدمير والسفك التى لم يشهدها التاريخ فى أظلم عصوره

انتهت الحرب العالمية الاولى فى الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ بعقد هدنة كمبين Compiègne بين الحلفاء الظافرين والمانيا المهزومة . وذلك بعد مفاوضات تمهيدية قصيرة ، عرضت المانيا خلالها عقد الصلح على أساس المبادىء التى أعلنها الرئيس ولسون ، وقبلت الدول المتحالفة هذا العرض مع بعض التحفظات

وقد احتوت هدنة كمبين شروطا ، اعتبرت يومئذ شديدة قاسية وخلاصتها أن تتخلى المانيا عن سائر الاراضى المفتوحة ، وان ينسحب الجيش الالمانى الى ما وراء الرين ليحتل الحلفاء ضفته الشرقية وان تسلم المانيا كميات كبيرة من العتاد والطائرات وان تسلم قسما كبيرا من اسطولها مع سائر الغواصات وان تطلق سراح جميع الرعايا والأسرى التابعين لدول الحلفاء

على ان ما أصاب المانيا من جراء هزيمتها فى نتمبر سنة ١٩١٨ لا يعتبر شيئا مذكورا بالنسبة لما أصابها من جراء هزيمتها فى سنة ١٩٤٥ ، فبينما عقدت هدنة كمبين والجيش الالمانى يرابط فى شمالى فرنسا على مقربة من باريس والوطن الالمانى سليم لم تصبه ويلات الحرب ، وبينما استطاعت المانيا ان تفاوض وان تحصل على هدنة شريفة ، اذا بالمانيا فى سنة ١٩٤٥ ترغم بعد ان اجتيح الوطن الالمانى كله من الشرق والغرب ، وعمه الدمار المطبق ، ومزق الجيش الالمانى فى كل ساحة ، على ان تخر جاثية ، أمام الحلفاء الظافرين وان تسلم لاعدائها دون قيد ولا شرط ، وان تخضع راغمة ذليلة لحكم الاحتلال الاجنبى

ولهذا التطور فى طريقة معاملة المانيا المهزومة اسباب تاريخية ونفسية . فقد استطاعت المانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى أن تقوم بدعاية قوية مضطرمة لتلقى فى روع الشعب الالمانى حقيقتين أو نظريتين خطيرتين

الاولى ــ ان المانيا لم تخض الحرب العالمية الاولى الا دفاعا عن نفسها وكيانها ، وانها لم تكن فى خوضها أكثر مسئولية من أعدائها

والثانية ـ ان المانيا لم تهزم فى هذه الحرب ، ولكنها سقطت صرعى الخيانة التى ارتكبتها الجبهة الاشتراكية الداخلية ، وان لواء النصر لبث معقودا للجيش الالمانى الى ما قبيل الهدنة بأسابيع قلائل

مسئولية الحرب

فاما عن مسئولية الحرب فالمعروف ان معاهدة فرساى التى اختتمت بها الحرب العالمية الاولى ووقعت فى ٩ يونيه سنة ١٩١٩ قد فرضت على المانيا بسائر شروطها المرهقة ، باعتبار أن المانيا هى المسئولة وحدها عن اثارة الحرب ، وعليها أن تتحمل سائر التبعات المترتبة على ذلك . وقد عارضت المانيا منذ الساعة الاولى فى هذا الاتهام المطلق على لسان وفدها فى مؤتمر الصلح ، فقد قال رئيسه الكونت بروكدورف رانتساو فى خطابه الذى ألقاه يوم افتتاح المؤتمر فى ٧ مايو سنة ١٩١٩ ما يأتى :

« لسنا ننكر فداحة عجزنا وعظم هزيمتنا ، فنحن نعرف ان قوى الاسلحة الالمانية قد حطمت ، ونشعر بقوة البغض الذى نلاقيه هنا . ولقد سمعنا الطلب الفياض بالشهوة الذى يريد الظافرون ان نؤديه باعتبارنا مهزومين ومذنبين ، فهم يطلبون الينا أن نعترف بأننا المسئولون وحدنا عن اثارة الحرب ولو صدر مثل هذا الاعتراف من فمى لكان كذبا ، هذا مع اننا أبعد من أن ننكر تبعاتنا فى الحرب العالمية وفى الطرق التى سارت بها

« على أن المانيا لم تنفرد وحدها بارتكاب الخطأ فى الطرق التى سارت بها الحروب فقد ارتكبت مثلها باقى الامم

« وليست الجرائم التى ترتكب خلال الحرب مما يغتفر ، ولكنها ترتكب خلال صراع فى سبيل الكيان القومى فى ساعات الشهوة ، التى تجعل ضمائر الشعوب أقل شعورا »

وقد احتفظت ألمانيا المهزومة بوجهة نظرها ، فمنذ سنة ١٩٢٠ تحاول السياسة الالمانية فى ظل جمهورية فيمار ان تمحى عن المانيا هذه التبعة من الناحية النظرية والتاريخية ، وان تثبت أن المانيا لم تخض غمار الحرب الكبرى الا دفاعا عن نفسها ، وان روسيا القيصرية وفرنسا بالاخص كانتا تعملان لاثارة هذه الحرب وتعقدان فيما بينهما المحالفات والمواثيق السرية ضد المانيا . وظهرت جهود السياسة الالمانية فى هذا السبيل واضحة فيما نشرته الصحافة الالمانية الكبرى ، ولا سيما البرليز تاجبلاط عميدة الصحف الديمقراطية يومئذ ، من بحوث ومقالات ترمى الى اثبات هذه الحقيقة ، وفيما صدر من المؤلفات التاريخية والسياسية العديدة الخاصة بالحرب الكبرى واسبابها ومقدماتها

وكان لهذه الحملات البارعة المدعمة أحيانا بالوثائق السياسية وخصوصا بما اذاعته الحكومة البلشفية يومئذ من وثائق الحكومة القيصرية وقع عميق فى الرأى العام الدولى ولم تلبث جهود السياسة الالمانية أن أثمرت باثارة العطف على المانيا ، والتنديد بصرامة معاهدة فرساى ، ولم تلبث أن جنت المانيا ثمار جهودها بتخفيض التعويضات ثم بالغائها

وتحرير منطقة الرين المحتلة واسترداد المانيا لمكانتها الدولية القديمة شيئا فشيئا . ثم كانت الخطوة الخامسة عقب استيلاء النازيين على الحكم ، وذلك باعلان المانيا الغاء شروط معاهدة فرساى المتعلقة بنزع سلاح المانيا واسترداد المانيا لحريتها الكاملة فى تنظيم قواتها الصناعية

وكانت المانيا الجمهورية تلجأ فى جهودها الى سلاح الاقناع والدعاية ، ولكن المانيا النازية آثرت مذ شعرت بقوتها المادية ، أن تعمد الى سلاح الوعيد والعنف فى تحطيم مابقى من النصوص الاقليمية التى فرضت عليها ، وهكذا ظفرت المانيا بتحطيم معاهدة فرساى شيئا فشيئا باعتبار أن الاساس الذى بنيت عليه انما هو أساس ظالم وباطل ، وبذلك خسر الحلفاء ثمار النصر الذى أحرزوه فى الحرب العالمية الاولى

وحاولت المانيا فى نفس الوقت أن تلقى فى روع الشعب الالمانى ان المانيا لم تهزم ، ولكنها طعنت من الوراء بخيانة الجبهة الاشتراكية الداخلية ، فاضطرت الى طلب الهدنة بينما كان الريخشر « الجيش الالمانى » فى أوج ظفره ونصره على مقربة من باريس واسبغ النازيون على هذه النظرية لونا قويا حتى أضحت عقيدة ثابتة فى المانيا النازية

ولما بدأت المانيا الحرب العالمية الثانية أعلن النازيون ان الجيش الالمانى يبدأ معاركه الجديدة حيث وقف فى سنة ١٩١٨ ويستأنف انتصاراته التى ارغم على تركها

وهكذا أدركت الدول المتحالفة خلال هذه الحرب فداحة الاخطاء التى ارتكبتها فى الحرب العالمية الاولى ، وفداحة الآثار السياسية والنفسية التى ترتبت عليهما ، والتى استغلتها المانيا أبرع استغلال وأشده ، وأدركت ان هدنة كمبين كانت خطأ سياسيا وعسكريا لا يغتفر ، وان معاهدة فرساى كانت وثيقة سيئة قصيرة النظر لم تحقق شيئا من الآثار التى علقت عليها

واذن فلم يكن ثمة بد من أن يعتبر الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية بهذه الاخطاء وان يحرصوا كل الحرص على اجتنابها ، وان يكون ذلك الا باحراز نصر حاسم مطلق لاشك فيه ثم بوضع سلم مستقر وطيد الدعائم

وقد كان ذلك أساس القرار الخطير الذى اتخذته الدول المتحالفة فى مؤتمر الدار البيضاء منذ سنة ١٩٤٢ وهو وجوب متابعة الحرب حتى تسحق الاسلحة الالمانية سحقا تاما ، وحتى ترغم المانيا على التسليم بلا قيد ولا شرط ، وهو قرار مضت الدول المتحالفة فى تنفيذه باصرار لا مثيل له ، فلم تقبل ان تدخل مع المانيا فى أية مفاوضة للصلح أو الهدنة، ولم تقبل ان تعدل موقفها بأية صورة . وكان ما شهدناه من احتدام المعارك فى سائر الميادين ، ومن اصرار المانيا على المضى فى المقاومة ، ومن اصرار الحلفاء من جانبهم على المضى فى القتال حتى احتلت أراضى الوطن الالمانى كله ، وسحقت جيوش الريخ فى كل ساحة ، وارغمت المانيا فى النهاية على قبول التسليم المطلق الذى فرضته الدول المتحالفة

وهكذا تغدو هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الثانية هزيمة تامة مطلقة يشهدها الشعب الالمانى المحطم فى أروع صورها وتبدو آثارها المادية واضحة فيما أصاب المانيا من الدمار

المطبق وفيما تعانيه من مذلة الاحتلال الاجنبى الشامل ، وفى حرمانها من كل مظاهر الحرية والاستقلال السياسى . ولن يتاح بعد ذلك لاية دعاية قومية ان تمحى فكرة الهزيمة من نفس الشعب الالمانى ، ولن يتسع المجال للتحدث عن مناعة الجيش الالمانى واستحالة هزيمته أو غير ذلك من الخرافات التى عملت النازية على بثها لاحياء قوة ألمانيا المعنوية . وستبقى آثار الهزيمة بالعكس ماثلة فى نفس الشعب الالمانى مدى أجيال

* * *

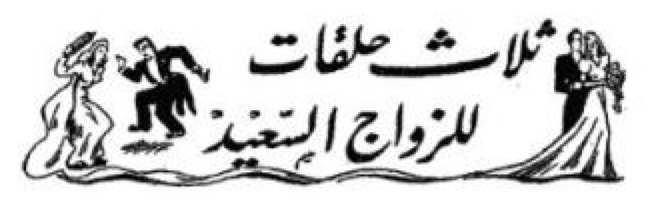
ولما كانت ألمانيا النازية هى التى وضعت خطط الحرب العالمية الثانية ، وعملت على اثارتها عن سبق اصرار وعمد ، فهى المسئولة دون غيرها عن كل تبعاتها ولن يكون ثمة مجال للبحث فى مسألة المسئولية أو مداها كما حدث فى فرساى ، ولن يتاح لالمانيا ان تتنصل من هذه التبعات كما فعلت بعد الحرب الكبرى

ويترتب على ذلك انه يجب على ألمانيا ان تتحمل هذه المرة نتائج هزيمتها كاملة مطلقة ، وان تتقبل كل ما يفرض عليها من الشروط والمغارم الفادحة فى الصلح القادم دون جدل أو مناقشة ، وسيكون للحلفاء الظافرين هذه المرة من الوسائل الناجعة ما يمكنهم من ارغام ألمانيا المحتلة على تنفيذ النصوص المفروضة ، وستوجه جهود الشعب الالمانى ومصايره وفقا لارادة الظافرين ، ولاصلاح ما ارتكبته ألمانيا النازية فى القارة الاوربية من صنوف العبث والتدمير

ولا مراء فى أن ألمانيا سوف تؤدى أفدح ثمن أدته أمة للتكفير عن اخطائها . ولكن الشعب الالمانى حرى بأن يكفر عما ارتكبه زعماؤه وقادته الذين أيدهم بكل موارده وقواه فى سياسة التدمير والسفك التى لم يشهدها التاريخ فى أظلم عصوره ، والتى ليست فى الحقيقة سوى رمز لفلسفة القوة والعدوان المتغلغلة فى صميم العقلية الالمانية

محمد عبد الله عنان

لا تضعوا الحكمة فى غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم
الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك « على بن أبى طالب »
لا تقطع صديقا وان كفر ولا تركن الى عدو وان شكر « عمر بن عبد العزيز »



اذا أقدمت على الزواج وأنت تشعر أنه أهم خطوة تخطوها في حياتك ، وانك على أهبة لان تستعين بكل موارد العلم والدين لكي تصل به الى جادة النجاح، فانك لا بد ملاق هذا النجاح في حياتك الزوجية

لقد أوشك صرح حياتها الزوجية أن يتحطم ، وهي لا تدري سببا لذلك ، فانها حين اقترنت بزوجها كان الناس جميعا يعجبون للتوافق بينهما ، حتى لكأن كلا منهما قد خلق للآخر . والآن لما اشتد الخلاف بينهما صارت تقول لنفسها انه ليس الرجل المناسب لها!

فبالله أما خطر لها قط ان تسأل نفسها أهي المرأة المناسبة له ؟

ان العثور على الزوج الأمثل ليس أهم العوامل في جعل الزواج سعيدا موفقا . بل يجب أن تجعل الزوجة نصب عينيها أن تكون هي الزوجة المثلى له . فانها اذا لم تكن كذلك لا تلبث حتى تجد نصبا وكدرا بعد أشهر قليلة من الزواج

والآن لنبحث عن أسباب فشل الزواج عند الكثير من الناس : في معظم الاحوال يكون السبب الرئيسي هو ما يمكن أن يسمى « بمركب النقص الروائي » ، وهو ما تخلقه الروايات السينمائية والمجلات القصصية وأمثالها في نفوس الشباب ، اذ تصور لهم الحب كأنه شيء خفي يطرق قلب الانسان من حيث لا يدري . فمتى بدا الحب وظهر الشريك فيه فان الحياة تجري نهرا مطردا من السعادة . واذا لم يتحقق ذلك فيكون معناه أن أحد الطرفين في الزواج لم يوفق الى الشريك الملائم ، وانه أخطأ الاختيار

والواقع ان الزواج لا يمكن أن ينجح الا اذا حقق رغبات الطبيعة البشرية ، وهي رغبات لا يشبعها ذلك المركب الروائي وحده . . وليس ثمة من خفاء في حاجاتنا الاساسية التي تنشدها من الزواج . فاذا جعلها الازواج والزوجات نصب أعينهم فقد كفلوا لانفسهم دوام الزواج ونجاحه . . فما هي تلك الحاجات الاساسية ؟ انها ثلاث :

أولا ـ ان كل امرأة ـ وهذا يصدق أيضا على كل رجل ـ تود أن تشعر بأن الغير يقبلونها وانها ليست منبوذة من المجتمع بل مرضيا عنها . ويصح ان نعبر عن ذلك بقولنا انها تريد ان تشبع بواعثها الاجتماعية أو « غرائز القبيلة » الكامنة في نفسها ، فهي تطلب اعتراف المجتمع بوجودها وقبوله اياها

ثانيا ـ انها فضلا عن شعورها بأنها فرد في جماعة ، تود ان تكون بالنسبة لفرد واحد

فى المجتمع ، شيئا لا تكونه له اية امرأة أخرى ، فهى تحب ان تشبع دوافع الجنس وتسد حاجتها الى الحب بالمعنى المعروف

ثالثا ـ انها تتوق لان تشعر بانها ليست عضوا فى المجتمع وزوجة لرجل معين فحسب ، بل لها كذلك قيمتها فى حد ذاتها . فهى تطمح لان تصبح شيئا مذكورا وان تكون لها ميزة أو مزايا كفرد قائم بنفسه ، وبذا ترضى أنانيتها وتعبر عن نفسها

فاذا أشبعت المرأة هذه الحاجات الثلاث ـ اعتراف المجتمع بها وحب الرجل لها والتعبير عن نفسها ـ فان صحتها العقلية تكون كاملة سليمة ، وتكون حياتها غنية سعيدة

أما اذا فشلت فى اشباع واحدة أو أكثر من هذه الحاجات الثلاث ، فانها تكون شقية تعسة ، تشعر بالضيق وتسخط على حظها فى الحياة ، وتكون فريسة للمنازعات النفسية . ولما كانت الطبيعة الانسانية لا تدع الانسان يلوم نفسه ، فان الزوجة فى هذه الحالة تلقى اللوم كله على عاتق زوجها

وهكذا تجد ان الزواج السعيد هو الزواج الذى يلقى فيه كل من الزوج والزوجة مخرجا لتحقيق تلك الحاجات الرئيسية الثلاث ، فلا يجوز لاحد الطرفين ان يعمل على حرمان الآخر من واحدة منها ، بل يجب عليهما كليهما ان يعملا على قضاء تلك الحاجات، بفضل الزواج ، بشكل أوفى مما كانت تقضى من دونه

واذا شهدنا زواجا غير موفق فيجب ان نحلل العقبات التى تعترض نجاحه ، ولانلبث ان نجد أن أحد الطرفين قد حيل بينه وبين اشباع واحدة أو أكثر من تلك الحاجات الاساسية . وأحيانا يكون الطرفان كلاهما قد حدث لهما ذلك فى آن واحد !

والآن كيف يمكن قضاء تلك الحاجات الاساسية الثلاث على أكمل وجه ؟

ان الحاجة الاولى أيسر ما تقضى بقدر معقول من الحياة الاجتماعية . وكثير من الازواج قليلو العناية بهذا الامر ، فلا يلبثون حتى يشملهم الملل وتصبح حياتهم العائلية رتيبة مضجرة . والواقع ان الملل هو أكبر عدو للزواج ، ومن الخطأ ان يمكنه الزوجان من حياتهما العائلية ولا يعملا على منعه وازالته

أما الحاجة الاساسية الثانية ، وهى الحب أو الحياة الجنسية المعقولة، فان قضاء هذه الحاجة مرتبط بقدر من المعلومات لا يحصل عليه أكثرنا فى البيوت ولا فى المدارس . ولكن يمكننا الآن أن نصل الى هذه المعلومات من كتب ورسائل عديدة

وحياة الحب المرضية تتوقف بعد ذلك على المثل التى يضربها الكبار . ونحن للاسف نلقى كثيرا من الكبار يمارسون عادات لا تليق الا بالاطفال . فالطفل لا يعنيه سوى ارضاء مطالبه دون ابطاء ودون نظر الى ما قد يقف فى سبيلها من صعاب أو ما تسببه للغير من مضايقات . وكثير من الرجال يحرصون على هذه الانانية الباقية من عهد الطفولة حتى بعد الزواج ، فيكون اتصال أحدهم بزوجته مجرد مظهر لحبه نفسه ، لا لحبه تلك الزوجة

ان الزواج يجب أن يكون شركة ذات نصيبين متساويين تماما ، ويكون الزوجان كلاهما

مسئولين عن بقاء تلك الشركة . غير انه فى حالات الزواج الذى يتم فى وقت الحرب ويبقى الزوجان مفترقين وكل منهما فى ناحية ، تقع معظم المسئولية على الزوجة وحدها ، فهى تستطيع ان تعمل على حفظ الزواج أكثر من زوجها الذى فى الجيش على بعد آلاف من الاميال . وقد ينتهز كثير من الزوجات هذه الفرصة للاطلاع فى الكتب على ما يخص الحياة الجنسية ، وبذا تكتسب دراية بالأسس الجنسية للزواج

والآن نعالج الحاجة الثالثة من حاجات الانسان الاساسية ، وهى الحاجة الى التعبير عن النفس . ان كثيرا من الزوجات لا يدرين انه ينبغى لهن ان يباشرن وجوها من النشاط تثبت وجود احداهن « كفرد » الى جانب كونها زوجة وربما أما . ولن تجد المرأة صعوبة فى ايجاد تلك الوجوه من النشاط اذا صحت نيتها على ذلك

غير ان بعض النساء يفرطن فى الطرف الآخر ، ويغالين فى التعبير عن أنفسهن فيغفلن واجباتهن كزوجات

والقاعدة ان كل امرأة متزوجة يجب أن يكون لها مجال للنشاط فى خارج بيتها ، منعزل عن واجباتها كزوجة وأم ، ويجب أن يكون لها فى ذلك المجال عمل يشعرها بالأداء الشخصى والرضا عن النفس

فاذا نظرنا الى الزواج على هذه الأسس ، رأينا انه يجب ان يشمل ثلاث حلقات متصل بعضها ببعض : فالزوج تكون له حلقته الخاصة به وتشمل مصالحه ومسراته التى لا تشاركه زوجته فيها وان كانت تعطف عليها ، وقد تكون تلك متصلة بعمله أو بناديه أو بالعابه الرياضية . والزوجة بدورها لها أيضا حلقتها التى يعطف عليها زوجها ولكنه لا يشترك فيها . وفى الوقت نفسه يكون لكلا الزوج والزوجة حلقة واحدة مركزية مشتركة بينهما وتكون من الاتساع بحيث تساوى الحلقتين السالفتى الذكر ، وتشمل نواحى نشاطهما المشترك كزوج وزوجة

ويجب أن يكون الزوج والزوجة قد بلغا الى النضج العاطفى ، فلا يصح لهما أن يتركا مسائلهما لسورات الغضب ، ولا يجوز لاحدهما أن يلقى اللوم على شريكه . بل يجب أن ينظما أوقاتهما بحيث يتاح لكل منهما قضاء حاجاته الاساسية الثلاث ، ويجب على كل منهما أن يتيح للآخر فرص النشاط فى حلقته الخاصة به وفى الحلقة المشتركة بينهما

فاذا لم يكن زواجك كما تحب أن يكون ، فما أيسر ان تنظر اليه من وجهة النظر هذه ، وعندئذ تكتشف الناحية التى خاب أملك أو أمل شريكتك فيها

بقى أن أقول انك اذا أقدمت على الزواج وأنت تشعر انه أهم خطوة تخطوها فى حياتك ، وانك على أهبة لان تستعين بكل موارد العلم والدين لكى تصل به الى جادة النجاح ، فانك لا بد ملاق هذا النجاح فى حياتك الزوجية

(عن مجلة « سايتس دايجست »)

الجماهير كالأطفال

بقلم الدكتور يوسف مراد

مدرس علم النفس بجامعة فؤاد الأول

عند ما يوجد الفرد في وسط جمهور يفقد الى حد ما قدرته على النقد والتفكير الذاتي ويصبح أكثر تأثرا بما يشاهده ويسمعه وتزداد قابليته للايحاء والاستهواء . وفقدان القدرة على النقد يعتبر ارتدادا الى طور أدنى من أطوار النمو ، ولهذا قيل بحق ان الجماهير كالاطفال

أشد ما يميز الجماعات بعضها من بعض طبيعة العلاقة التي تربط بين أفرادها . فهناك علاقات قوية ثابتة تنشأ اما عن العنصر أو الدين أو اللغة أو تشابه العقائد والاغراض والمثل العليا ، كما ان هناك علاقات ضعيفة عابرة ترجع الى ظروف طارئة أو بواعث عرضية خارجية ، سريعا ما تتغير وتزول وبزوالها تنحل الجماعات وتتفكك . والعلاقة التي تربط بين أفراد جمهور من الجماهير هي من النوع الثاني . فالجمهور بطبيعته سريع التكوين ، كما انه سريع الانحلال ، وان كان يبدو أحيانا كأنه وحدة متضامنة الاجزاء فان هذا التضامن لا يرجع الى عقيدة قوية ثابتة وغرض واضح مقصود لذاته ، بل الى عوامل خارجية وبواعث حسية تثير الوجدان والنشاط الحركي اكثر ما اثارتها للتفكير والروية

والجمهور في أضعف صورة له يتكون من أفراد تجمعهم الظروف دون ان تخلق بينهم أية علاقة ايجابية ، بل يبدو كل فرد من أفراده كأنه مستقل عن غيره ، قاصر مجهوده على ان يتحاشى كل ما يمس فرديته . ولكن مهما كان الفرد سلبيا في موقفه ازاء الآخرين فان لمجرد التجمع أثرا في نفسيته وسلوكه ، وسيختلف هذا الاثر شدة وضعفا بقدر قابلية كل فرد للايحاء وميله الى الاندماج في الآخرين أو الانفصال عنهم . وعلى الرغم من أثر العدوى الوجدانية والحركية التي تنتشر بسهولة بين أفراد الجمهور ، فان الصورة التي سيتخذها تتوقف خاصة على طبيعة كل فرد وسماته الخلقية أكثر من توقفها على العوامل التي أدت الى التجمهر

غير أن الفوارق الفردية التي تميز بين أفراد جمهور واحد والاختلافات التي نشاهدها بين جمهور وآخر لا تحول دون وصف الجماهير بوجه عام ودراستها لبيان صفاتها

السيكولوجية المشتركة . وعلى الرغم من أن التعميم فى العلوم الاجتماعية أمر عسير ، فانه من الممكن تقرير بعض القضايا العامة المسلم بها ، وأهمها ان الفرد عند ما يوجد فى وسط جمهور يفقد الى حد ما قدرته على النقد والتفكير الذاتى ويصبح أكثر تأثرا بما يشاهده ويسمعه وتزاد قابليته للايحاء والاستهواء . وفقدان القدرة على النقد يعتبر ارتدادا الى طور أدنى من أطوار النمو ، ولهذا قيل بحق ان الجماهير كالاطفال

***

يمكن اعتبار القابلية للايحاء النقطة الاساسية التى تدور حولها حياة الطفل النفسية . ولا يخرج الانسان من طور الطفولة الا بعد أن تأخذ القدرة على النقد والتفكير فى النضوج أى عند ما تخضع الميول الغريزية والعواطف لحكم العقل ، دون أن تفقد من فاعليتها ومن تأثيرها فى توجيه العقل ومده بالشحنة الوجدانية التى لا بد منها لكى يواصل العقل عمله . والقدرة على التفكير المنظم والاستدلال المنطقى لا تظهر الا متأخرة ، فى الطور الاخير من أطوار النمو والترقى النفسى

واذا كانت نفسية الجماهير شبيهة الى حد كبير بنفسية الاطفال ، فيجدر بنا ان نرسم الخطوط الرئيسية لنفسية الأطفال وعقليتهم وان نعين المستوى الذى يصلون اليه ، فيصبح من اليسير كشف سمات الجماهير وبيان صفاتها ، هذا مع الاشارة الى أوجه الاختلاف الموجودة بين الجماهير والاطفال

يمكن اجمال مختلف الاطوار التى تمر بها الحياة النفسية فى نموها وسعيها نحو التكامل فى ثلاثة أطوار : أولا — السلوك الآلى الذى يشبه الى حد ما الحركة الميكانيكية ، وتتخذ عادة شكل الاستجابة المباشرة لمنبه حسى . ويتوقف نجاح الاستجابة الآلية ، سواء كانت بالاقدام أو الاحجام تبعا لطبيعة المنبه ، على ما زود به الكائن الحى من أعضاء سليمة صالحة ومن قدرات طبيعية . ولكن الاستجابة الآلية ، أى تلك التى لا تفتقر الى التفكير لكى تتم ، ليست شبيهة بالحركة الميكانيكية الا فى ظاهرها ، فهى تنطوى على جانب ذاتى هو ما يمكن تسميته « بالبطانة الوجدانية » من لذة أو ألم . وقد يتضخم التأثر الوجدانى ويتخذ شكل الانفعال فى حالة شدة المنبه الخارجى أو جدته أو « فجائيته » أو عدم ملاءمته للقدرات والاستعدادات الطبيعية . فالظاهرة الجديدة التى تشاهد فى حياة الطفل الصغير أثناء نموه هى التأثر الوجدانى الشديد أو ما يعرف بالانفعال كالخوف والغضب . ويدخل الطفل فى الطور الثانى من أطوار نموه النفسى عند ما يتعلم استخدام الحركات الانفعالية كأداة للتعبير ، والغرض من التعبير الانفعالى ليس توصيل معنى مجرد بل التأثير فى الآخرين بحيث يشاركون المنفعل فى حالته النفسية

وتمتاز الحياة الانفعالية لدى الطفل بالشدة والعنف وسرعة الانفجار وسرعة انتشار الآثار الانفعالية ، وترجع كل هذه الخصائص الى عدم نضوج القدرة على الكف والضبط

وعدم اكتمال القدرة على التفكير الموضوعي وتصور المعاني المجردة والتبصر . وهذا الاكتمال يفيد الطور الثالث والاخير في حركة النمو والترقي

ولا بد من أن نلاحظ أن الانتقال من طور الى طور لا يعني زوال الخصائص التي تميز أحد الاطوار السابقة ، بل اندماجها وتكاملها مع الخصائص الجديدة . فحياة البالغ ، من الوجهة النفسية ، تقتضي تضامن النواحي الثلاث التي ذكرنا ، أي الحركة الآلية والتأثر الوجداني والعاطفي والتفكير

ويمكن التعبير عن هذه المراحل الثلاث بأسلوب فسيولوجي اذا اعتبرنا مراحل نضوج الجهاز العصبي وتآزر مراكزه وتكامل وظائفه . فمرحلة الحركة الآلية تكون مقصورة الى حد كبير على الجزء الأسفل من الجهاز العصبي ، أي النخاع الشوكي والنخاع المستطيل حيث توجد مراكز الحركات المنعكسة . والمرحلة الثانية تقابل منطقة الدماغ المتوسط الموجودة مباشرة تحت القشرة المخية أو اللحاء والتي تتكون خاصة من عدة نوايا أهمها ما يعرف بالتلاموس Thalmus أو السرير البصري حيث توجد مراكز الانفعال ومراكز ضبط الجهاز العصبي السمبتاوي المسيطر على الحياة الوجدانية

أما المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة التصور الذهني والتفكير والتعقل والتبصر وسائر الوظائف العقلية العليا من حكم وتمييز ونقد فلا تأخذ في الظهور الا عند نضوج المراكز اللحائية في القشرة الدماغية وأهمها مراكز الحركة الارادية والضبط الارادي التي تخضع لسيطرتها الى حد كبير مراكز الانفعال والحركات المنعكسة . وفي هذه المرحلة يصبح في قدرة الشخص ضبط نفسه والحد من عنف الانفعال وسورته

وقد دلت الدراسات التشريحية والفسيولوجية على أن نضوج المراكز اللحائية ، والذي يبدأ في أواخر السنة الاولى ، لا يتم بصورة اجمالية الا حوالي السنة الثامنة ، ولا يمكن أن يكون للتربية أثر الا اذا سارت عملية النضوج العصبي سيرها السوي الطبيعي

وعلى ذلك يمكن التقرير بأن الطفل ، نظرا لعدم اكتمال النضوج في المراكز العصبية العليا يكون خاضعا خاصة لتأثير الميول الغريزية ولسلطان الانفعال والعواطف . وفي ضوء ما سبق يصبح من اليسير ان نفهم وأن نفسر سمات الطفل وأخلاقه . فهو من الوجهة العقلية « امعي » أي سريع التصديق لعجزه عن نقد الآراء وتمحيصها . ومن الوجهة الخلقية خاضع لمبدأ اللذة ولما سمي « بمركزية الذات » egocentric أي انه يقيم الاشياء والأمور لا بالقياس الى ما هي عليه في الواقع ، بل بالقياس الى ذاته وما يمكن أن يتمتع به من لذة . ومن وجهة النشاط يغلب عليه النشاط الحركي المتميز بالتكرار ، كما يغلب عليه اللعب والاهتمام بالمحسوسات والمثيرات الحسية التي تثير الوجدان

واضافة الى ذلك يترتب على عدم اكتمال النضوج عدم الاستقرار والثبات وسرعة التهيج الانفعالي وعدم الشعور بالتناقض والنسيان السريع والتطرف والاسراف ، أي كل ما يمكن نعته بعدم الاعتدال والتوازن

وثمة ميل قوى فى الطفل الى أن يحاكى شخصية من هو أكبر وأقوى منه ، بل الى تقمص هذه الشخصية ، وهى عادة شخصية أحد الوالدين . ويرجع ذلك الى شعور الطفل بنقصه وقصوره ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الى نزوعه الطبيعى نحو التعالى والسيطرة وتحقيق النموذج الاعلى لجنسه

***

كل هذه السمات ـ ولم نذكر الا أهمها ـ تتسم بها الجماهير . ولكن يوجد فارق جوهرى بين الطفل والجمهور ، وهو أن الاول لا يزال الا فى مرحلة متوسطة من مراحل النمو سوف يجتازها للوصول الى النضوج والى تكامل جميع مقومات شخصيته من حركية ووجدانية وعقلية ، بيد أن الثانى سيظل فجا غليظا فهو كالحيوان الذى استؤصلت قشرته المخية أو كالمريض الذى تعطلت فيه بعض المراكز العليا للضبط الارادى والتوجيه والتعديل ، فيصبح ـ نتيجة لتحرر المراكز العصبية المتوسطة والدنيا من قيود الكف والتعديل ـ سريع التهيج الانفعالى ، يبكى ويضحك بطريقة تشنجية عنيفة ، منتقلا من البكاء الى الضحك لاتفه الاسباب ، سريع التأثر بكل ما يوحى اليه ، محاكيا بطريقة عمياء كل ما يشاهد من حركات ، مرددا كل ما يطرق أذنه من أصوات وعبارات

ولا بد من ان نشير هنا الى مايميز بين الجمهور وبين المجتمع المنظم، مع العلم بأن المجتمع المنظم نفسه يظل خاضعا الى حد كبير لسلطان العاطفة وتأثير الايحاء ، مفتقرا الى رؤوس مفكرة مدبرة تديره وتوجهه ، أى الى زعماء وعباقرة يمتازون بحصافة الرأى وقوة الخلق والقدرة على المبادأة والابتكار ، يمتازون خاصة بالقدرة على محاربة الرجعية التى هى من أخص خصائص المجتمعات أو بما يسمى تجاوزا « العقل الجمعى »

ويرجع ميل المجتمع الى المحافظة والتمسك بالتقاليد وبالماضى الى سلطان العاطفة ولذلك يكون الزعيم الحاذق هو من يعرف كيف يؤثر فى العواطف ويغيرها لتمهيد السبيل لقبول الآراء والافكار الجديدة

أما الجمهور فهو أكثر مرونة وتقلبا من المجتمع المنظم لانه يخضع خاصة لتأثير الانفعال وهو بطبيعته عابر متقلب ، أقل ثباتا واستقرارا من العاطفة . واذا كان يسود الجمهور عند ما يندمج أفراده اندماجا قويا نوع من الروح الجمعية الناشئة من الاثر المتبادل بين الافراد ، وبخاصة الاثر الوجدانى ، فان هذه الروح سريعة التغير والانقلاب ، لا تبالى بالتناقض والمبالغة

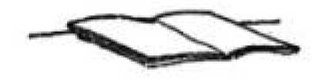
وقد تؤدى الظروف الى اندماج أفراد الجمهور فيما بينهم اندماجا قويا ، غير أن هذا الاندماج لا يكون عميقا ثابتا لان الباعث عرضى خارجى لا يثير الا رغبة عاجلة أو غرضا عابرا . واذا كانت الافراد هى التى تكون الجمهور غير ان صفات الجمهور ليست نتيجة لصفات كل فرد على حدة ، بل هى صفات جديدة ناشئة من التجمهر نفسه ، وهو الجمهور

« ككل » الذى يؤثر فى كل فرد من أفراده ويخلق فيه اتجاها جديدا لا يقوى عادة على مقاومته . فاندماج الفرد فى الجمهور يؤدى الى اضعاف القدرة على النقد والتفكير الموضوعى والضبط ، فتتلاشى العادات السامية التى يتطلب اكتسابها مجهودا فكريا وخلقيا كبيرا ، ويقل حرص الشخص على التمسك بأساليب النظام وأوضاع الادب ويحل محلها الميول الغريزية الغليظة وأساليب العنف والقوة الغاشمة ويصبح « لقانون الادغال » المرتبة الاولى فى توجيه السلوك واثارة الحركات والتصرفات

ويشاهد هذا المسلك العنيف فى الجمهور عند حلول كارثة فجائية كحريق أو زلزال أو غارة جوية ، فتفقد الاعتبارات الاجتماعية والخلقية من ايثار وتضحية وتعاون ومجاملة من قيمتها وتأثيرها وتنشط غريزة حفظ البقاء فى أقوى مظاهرها الحيوانية وتزداد شدة الانفعال ويتركز اهتمام كل فرد حول ذاته دون أن يبالى بما قد يصيب غيره من أذى

وحتى فى الظروف التى لا تدعو الى الهياج الانفعالى الجمعى ، يكون التعاون بين الافراد ضعيفا سطحيا . وهذا مما يلاحظ أيضا على الاطفال عند ما يجتمعون فانهم لا يفهمون بعد معنى التعاون الايجابى ، فكل طفل يتكلم ويلعب كأنه وحده . فقد يهيأ للمشاهد أن الطفل يصغى الى ما يقوله رفيقه ، والواقع انه لا يهتم بما يسمع بقدر اهتمامه بما قاله وبما سيقوله هو . فكل ما فى الامر اننا بصدد مجموعة أحاديث فردية لا محادثة . وهذه الظاهرة ليست مقصورة على الاطفال ، بل كثيرا ما نلاحظ أثناء اجتماعات الكبار الذين يجتمعون بقصد المداولة والمناقشة ، فيتصنع كل من الحاضرين الاصغاء الى ما يقوله غيره ، ثم يقاطعه بلفظ « ولكن » مستأنفا حديثه السابق ، جاريا وراء فكرته دون ان يعير آراء الآخرين أى اهتمام صادق . وكثيرا ما تنحط اللجان والمؤتمرات الى مرتبة الجمهور الغفل فيكثر التناقض وتتغير الآراء وتتكرر الوعود وتتتابع الجلسات دون الوصول الى نتائج مرضية حاسمة ، بل كثيرا ما تتفاقم الامور وتسوء

يوسف مراد



قصة فتاة ..
في جيش المقاومة السرية

بقلم فتاة بريطانية من الهابطات بالمظلات

في فجر يوم من أيام شهر يناير سنة ١٩٤٤ هبطت أرض فرنسا بعد أن غادرتها منذ ثلاث سنوات ونصف سنة ، وكنت قد مضيت شهرين وأنا أترقب هذه الفرصة بعد تدريبي الخاص . وكانت مهمتي هي أن أهبط من الطائرة مع طالب من باريس ، أعد ليكون معلما لقوات المقاومة السرية . وقد درسنا كلانا خرائط المنطقة وراجعنا تفاصيل الأعمال التي سنقوم بها ، بكل دقة وعناية

وقد انتهت رحلتنا الجوية الاولى بالفشل ، فقد عجزنا عن القفز بمظلات الهبوط لانتشار الضباب الكثيف . وفي رحلتنا الثانية قضى قائد الطائرة عشرين دقيقة في محاولة الاتصال بالقوم الذين سننزل بينهم ، بينا جلست وزميلي على حافة فوهة الهبوط بالطائرة ، نرقب ظلها وهي تحلق فوق الحقول والاشجار والمنازل ، والريح الباردة تلفح وجهينا

واذا بفوهة الهبوط ينفرج غطاؤها ، فيصيح بنا الطيار قائلا : « اهبطا » . ولم تمض لحظة حتى رأيتني معلقة بالمظلة وسابحة في الجو

وبينا كنت أطوى مظلتي ألفيتني محاطة بطائفة من رجال يبسمون لي ، وقد حيوني ورفيقي تحية حارة ، ثم قادونا الى مزرعة مجاورة . ومكثنا هناك حتى الصباح ثم سرنا وسط حقول متجمدة حتى وصلنا الى قرية

وبعد ساعات قليلة قدمت الى « رئيسي » ، فأخذني الى مزرعة منفردة فوق تل وقد جعل بها مثواي . وقد رحب بنا صاحب المزرعة وأسرته ، ومكثت معهم طول الشهور الخمسة التي سبقت يوم الثورة . ولم يفكروا قط في تغيير مكان اقامتي حرصا على سلامتهم ، مع انى لو قبض علي لكانوا في خطر شديد . وان هم الا أسرة من آلاف الاسر الفرنسية التي آوت الثوار الى يوم الثورة

وكانت مهمتي تنحصر في القيام بأعمال البريد لرئيسي وحفظ الاتصال بينه وبين قواد المناطق ، فكان علي أن أحمل الرسائل والنقود والاوامر ، وكان علي كذلك ان أصحب المعتقلين السياسيين الذين يتاح لهم الفرار من الجستابو ، وأن أقود طياري الحلفاء الذين كانت الاسر الفرنسية تأويهم وتعاونهم ، الى أماكن يستقبلهم فيها دليل في جبال البرنيه وكنت كلما عجزت عن حفظ الاوامر المكتوبة بالحفر عن ظهر قلب ، أحملها مكتوبة

على « ورق التواليت » . وقد فتشني الالمان مرتين ، ولكنهم في كلتا المرتين أزاحوا جانبا ذلك الورق بشيء من الارتباك مع انه كان ذا قيمة كبيرة لهم لو أنهم عرفوا حقيقته

وفي أول مرة ركبت سيارة اوتوبيس وجدت نفسي أقول بالانجليزية : « من فضلك Please » فارتعت من هذه الغلطة ، ولكن لحسن حظي لم يسمعني أحد . وهذا مثال على الخطأ السخيف الذي يمكن أن يرتكبه الانسان في وقت القلق والتوتر . وقد مضيت شهرين قبل أن أتخلص من الشعور بأني ألفت الانظار حيث ذهبت

وكان على أن أطابق بين ثيابي ومظهري ومسلكي وبين البيئة المحيطة بي ، واحيانا كنت أوجد في مزرعة وأحيانا في دكان صغير ، وأخرى في بيت أناس من طبقة عالية ، ولعل أهلي لو رأوني راكبة بالدرجة الثالثة بأحد القطرات وقد ارتديت معطفا قديما واقيا من المطر وأرخيت قلنسوة على جبهتي ، ما كانوا ليعرفوني . وكنت أحيانا أتظاهر بشيء من البلاهة وأنا أقضم قطعة ساندويتش ، وأخرى أظهر بمظهر فتاة من تولوز ، فأرفع شعري كومة فوق رأسي ، وألبس قرطا كبيرا في أذني وأرتدي فستانا قصيرا . على أن ثيابي المحببة الى ، كانت المئزر الازرق والحذاء الخشبي اللذين كنت ألبسهما في المزرعة

ولقد سئلت مرارا عن أحرج ساعة مرت بي : واني أذكر يوما كنت مسافرة بالقطار مع جان ـ كلود ، وقد حمل كلانا حقائب فيها الأجهزة اللازمة لتحضير المفرقعات . ولم يكد القطار يغادر المحطة حتى ناداني جان ـ كلود الى الطرقة وأسر الى أن الجستابو يفتشون العربات

مكثت أترقب حتى دخل أحدهم المقصورة التي كنت بها ، فأخذ يوجه الى الركاب أسئلة كثيرة ، ثم أمرنا أن نفتح حقائبنا . وعندئذ رأيت من طرف خفي زميلي جان ـ كلود يتحسس مسدسه في جيبه الخلفي فخفت العاقبة . ولكن في تلك اللحظة طلبت امرأة من الركاب معها طفلان صغيران ، الى رجل الجستابو ان لا يفتح كل الحقائب لان اعادة ترتيبها تأخذ جهدا كبيرا . ومن عجب ان الرجل جاملها ، فأشار الى حقيبتين اثنتين فقط واكتفى بتفتيش ما فيهما . ولحسن الحظ لم تكن احداهما لي . وقد شعرت بعد خروجه بركبتي ترتعشان ، وبالعرق البارد يتصبب من ظهري

وبعد يوم ٦ يونيو انضممنا جميعا الى قوة المقاومة السرية . ومكثت أنا أحفظ صلتي « بالعالم الخارجي » بواسطة السيارة أو الدراجة ، وكنت أقطع مئات الاميال دون أن يلتفت الى الحراس الالمان . ولقد هاجم العدو فرقتنا بعد حين ولكنا هزمناه وحملناه خسائر فادحة . وكان البطل البارز بيننا في ذلك اليوم طيارا من نيوزيلنده مكث مدة مع قوات المقاومة السرية ، فكان يطلق طلقات مفردة من بندقية من طراز برن فلا تطيش طلقة منها

وانما كان شر ما في حياة رجال المقاومة ما يشعرون به من الملل ، فهم أناس اجتمعوا من مختلف الطبقات والطوائف ، وصاروا يعيشون معا عيشة خالية من وسائل الراحة ولا يجدون شيئا يفعلونه بين وجبات الطعام وبين القيام بأعمال العصابات . غير انهم جميعا من

المشهود لهم بالجرأة والشجاعة ، وكان الالمان يخشونهم ، فكانوا لا يهاجمونهم الا بقوات أكثر عددا من قواتهم ، وأسلحة أجدى من أسلحتهم

وجدير بى أن أقص نبأ فرقة من قوات المقاومة السرية كانت مؤلفة من ثمانين رجلا ، وقد فقدت منهم عددا من الاصدقاء الحميمين : ففى ذات يوم هاجمهم عند الفجر ١٢٠٠ جندى ألمانى ، أى بمعدل ١٥ الى ١ ، فأحاطوا بهم ولكنهم دافعوا عن انفسهم حتى نفدت آخر رصاصة عندهم ، وكان أقوى ما عندهم من أسلحة أربع بنادق من طراز برن Bren مقابل المدافع الضخمة والمترالیوزات . وقد قتل خمسة عشر شابا من فرقة المقاومة فى أثناء القتال ، فما كان من الالمان الا أن انقضوا على الباقين ، سواء منهم الجرحى والاسرى ، وأعملوا فيهم القتل ، ولم ينج الا ثلاثة استطاعوا الفرار . وبعد أسابيع من ذلك كنت ترى فى المكان أجزاء من العظم والمخ ، لان الالمان كانوا يقتلون فرائسهم بمؤخرة البنادق ! ولا يزال أولئك الضحايا السبعة والسبعون يرقدون فى قبر يشملهم ، فى جانب خرب من مكان تلك الواقعة أثر الحريق ، وقد وضعت صلبانهم وشرائطهم المثلثة الالوان ، مع أسلحتهم وقبعاتهم المحروقة ، فوق ذلك القبر الحزين .

(عن جريدة ديلى تلغراف بلندن)

الزواج فى مصر

أصدرت أخيرا وزارة المالية الاحصاء السنوى العام لسنة ١٩٤١—١٩٤٢ نقتبس منه المعلومات التالية :

— كانت القاهرة فى سنة ١٩٤١ أكثر جهات المملكة المصرية عقود زواج ، وكان أقلها مديريتى جرجا وقنا ، فقد تزوج من أهالى القاهرة ٣٧٫٩ فى كل ألف ومن أهل جرجا وقنا ١٩٫٩ فى كل ألف ؛ وكانت أكثر مديريات الوجه البحرى زواجا القليوبية وأقلها الغربية ، وأكثر مديريات الوجه القبلى الفيوم وأقلها قنا وجرجا

— وكان أكثر الشهور زواجا فى القاهرة سبتمبر وأقلها فبراير

— وتزوج ٣ سن كل منهم ٨٠ سنة فأكثر زوجات من هذه السن ، وتزوج رجلان سن كل منهما أكثر من ٨٠ سنة فتاتيج سن كل منهما دون العشرين

— وتزوج من المصريين ٣٤ بفرنسيات و٤٢ بايطاليات و٣٢ ببريطانيات و٧٩ بيونانيات وتزوج مصرى واحد بأمريكية

— وتزوج بمصريات ٧٣ بريطانياً و٥٠ فرنسياً و٣٥ ايطاليا و٤ من الروس و٧٥ يونانيا وامريكيان اثنان فقط

— وتزوج من المسلمين ٣ باسترالیات و١١ بقبطيات

من أروع الآثار الاسلامية فى القاهرة

خانقاه بيبرس الثانى

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين بدار الآثار العربية

خرج العرب من صحرائهم غزاة فاتحين لكى ينشروا الاسلام ، وسرعان ما أخضعوا لسلطانهم أمما لها فى الحضارة ماض مجيد ، وما كادوا يضعون عن كواهلهم عتاد الحرب ، ويخلدون الى السكينة والسلم حتى تدفقت عليهم الثروة من كل حدب وصوب ، وبدأت البيئات الجديدة التى استقروا فيها تعمل عملها فى نفوسهم ، وهموا يخرجون عن بداوتهم القديمة ، ولكن أبا بكر وعمرا كانا لهم بالمرصاد فكبحا جماحهم ما استطاعا الى ذلك سبيلا ، وجاء عثمان وكان حييا لينا لم يرزق قوة ابى بكر ولا حزم عمر فأفلت الزمام من يده ، واندفع المسلمون الى الترف يأخذون منه بأوفى نصيب ، واغراهم على ذلك ما وجدوه فى تقاليد الفرس والروم مما جعلهم يحرصون على الاستمتاع بالحياة ومتعها ، فتأنقوا فى مآكلهم ومشربهم ، واسرفوا فى ملبسهم

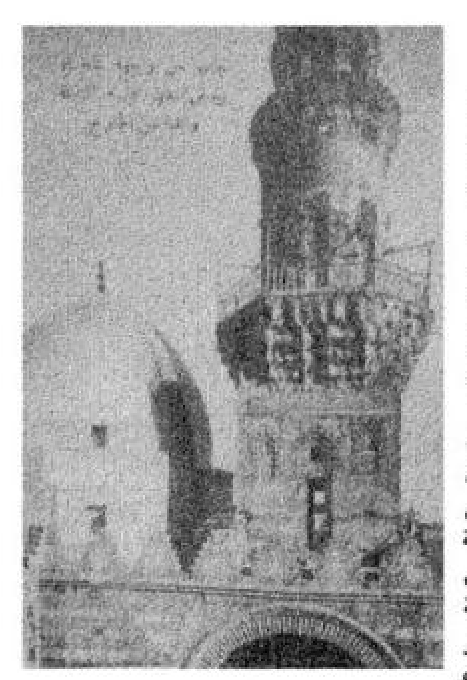
ولكن جماعة من المسلمين زهدوا فى هذه الحياة الاجتماعية الجديدة الحافلة بألوان اللهو ، ورغبوا فى حياة تسودها البساطة ، يعتزلون فيها الناس ، وينقطعون الى الله بعيدا عن زخرف الدنيا وزينتها ، متقشفين فى مآكلهم وملبسهم ومسكنهم ، فأقاموا لانفسهم أبنية اشبه بأديرة الرهبان من المسيحيين اطلق عليها اسم الخوانق

والخانقاه ـ مفرد خوانق ـ كلمة فارسية تعنى دار الصوفية ، وقد ظهرت لاول مرة فى مصر على عهد السلطان صلاح الدين الايوبى الذى حول فى سنة ٥٦٩ هـ الدار الفاطمية المعروفة باسم « دار سيد السعداء » الى خانقاه ووقفها على الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة وقد أتى الزمن عليها

وخانقاه بيبرس الثانى (١) هى الثانية من هذا النوع فى مصر ، وتعتبر من أروع العمائر الاسلامية وأفخمها ، ولم يعد المقريزى جانب الحق عند ما وصفها بقوله : « انها أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا ، وأوسعها مقدارا ، واتقنها صنعة » . لها واجهة تعاون على ابداعها حذق المهندس المسلم مع براعة الصانع المصرى فخرجت من بين أيديهم قطعة من الفن

---

(١) تقع فى شارع الجمالية



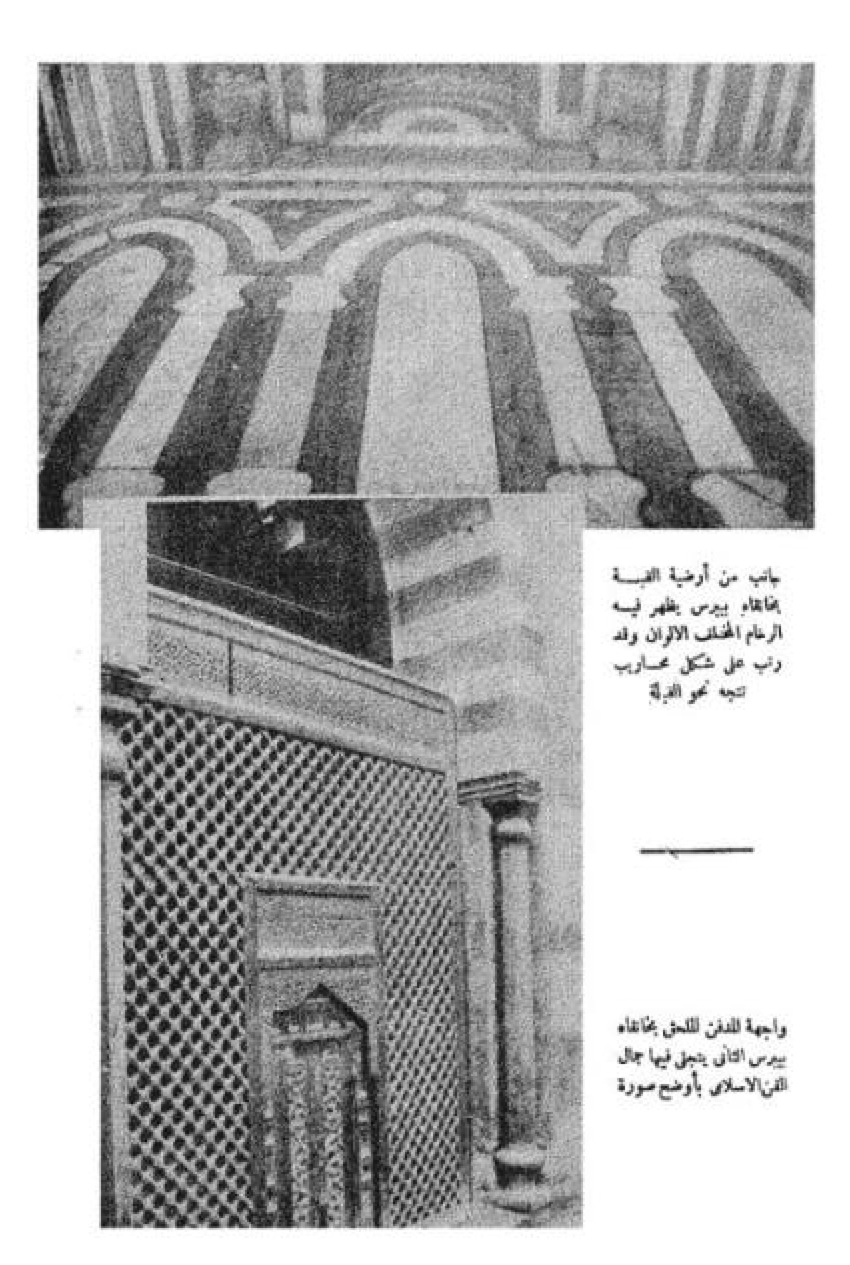
يغمرك جمالها كلما تأملت فى دقائقها، تنتهى من أعلى بشرفات مدرجة ، ويزدان سطحها بتجويفات قليلة الغور توجها مقرنصات جميلة وتخترقها نوافذ مختلفة الحجم ، ويجرى عليها طراز عريض من الكتابة النسخية يدور مع الواجهة حيثما دارت ويتضمن آيات من القرآن الكريم من سورة النور ثم اسم منشئها ركن الدين بيبرس

وتصميم الخانقاه من الداخل كتصميم المدارس الاسلامية فى العصور الوسطى اذ يتوسطها صحن مكشوف تحيط به ايوانات أربعة أكبرها ايوان المحراب ، وعلى يمين الصحن ويساره تقوم صوامع الصوفية

ويتصل بهذه الخانقاه مدفن يعتبر من أروع المدافن الاسلامية فى مصر، يتكون من غرفة مربعة الشكل لها واجهة من الخشب يتجلى فيها فن النجارة الاسلامية بأحسن صورة وفيها كتابة نسخية تتضمن تاريخ الفراغ من البناء وهو سنة ٧٠٩ هـ

ويتجلى جمال الفن الاسلامى وجلاله فى محراب هذا المدفن ، ثم فى جدرانه التى كسى الجزء الادنى منها بألواح من الرخام المختلف الالوان وزين بفسيفساء رخامية نلمس فيها جميعا أصول الجمال الفنى من تماثل وتنوع وتكرار

ويغطى هذا المدفن قبة شاهقة ، رشيقة التكوين ، محمولة على مقرنصات جميلة من أربعة صفوف بعضها فوق بعض ، تخترقها نوافذ ذات زجاج مختلف الالوان تنفذ خلالها خيوط من الضوء تضفى على المكان رهبة وهدوءا . ويرقد تحت هذه القبة السلطان بيبرس الذى يعطينا تاريخه صورة واضحة المعالم عن ذلك العصر الذى سيطر فيه على مصر أولئك الارقاء الذين انقلبوا من مماليك اشتروا بالمال الى سادة حكموا هذه البلاد طوال قرنين من الزمان ، فلقد اشترى السلطان قلاوون المملوك بيبرس من اسواق الرقيق بالقوقاز ، وعنى بأمره وظل هذا يرتقى حتى أصبح باشنكيرا ثم رقى الى وظيفة استاداره وتحركت الاطماع فى نفس بيبرس فاحتال على الاستئثار بالسلطان دون الناصر محمد بن قلاوون الذى كان صغير السن ، ونجح فى ذلك وأصبح سلطانا على البلاد ولكنه كان مكروها من الشعب لاغتصابه الملك ولانخفاض النيل على عهده



جانب من أرضية القبة بخانقاه بيبرس يظهر فيه الرخام المختلف الالوان وقد رتب على شكل محاريب تتجه نحو القبلة

واجهة المدفن الملحق بخانقاه بيبرس الثاني يتجلى فيها جمال الفن الاسلامى بأوضح صورة

كنوز مركنز

فى منجم ملح بمقاطعة « مركنز » وجد الحلفاء كثيراً من الكنوز والتحف الأثرية التى حاول الألمان إخفاءها حتى لا تصل إلى أيدى الحلفاء . ويبدو فى الصورة العليا أحد الجنود الأمريكيين داخل المنجم وبجواره لوحة رائعة – يرجع تاريخها إلى العصور الوسطى – السيدة العذراء أمام السيد المسيح



وفى الصورة السفلى يفحص هذا الجندى الدرر واللآلىء التى كان يزدان بها تاج شرلمان وهى من الكنوز التى لا تقدر بثمن





اتجهت أنظار العلماء البريطانيين إبان الحرب الى صناعة الأقمشة من الزجاج .. وقد وفقوا الى استنباط طريقة لصناعة أنسجة فاخرة تكاد تضارع الأقمشة الحريرية في نعومتها ولكنها تفوقها في قوة احتمالها . ويبدو في الصورة أحد هذه الأثواب الزجاجية

العلم والعالم

الولادة بدون ألم

ثبت في الاذهان حديثا ان الطب وفق للطريق القويم لاجراء الولادة بدون ألم ولا سيما بعد أن نشرت احدى المجلات السائرة بالرسوم والبيانات المستفيضة بحثا من البحوث الطبية الحديثة الجارى تجربتها بحقن أحد مركبات الكوكايين في نهاية النخيرة العصبية . فاذا بكثيرات يطالبننا معشر الاطباء بالجرى على السنن الحديثة، والا كنا جهلاء أو غلاظ القلوب؛ وأخيرا نشرت جريدة يومية عن والدة ولدت مولودها وهى تقرأ احدى الروايات

ولم يعبر الكاتب الى أن الموضوع لا زال قيد البحث والتجارب وانه محفوف بالمخاطر ويحتاج لتدريب كبير لاجرائه

والواقع أنه لم توجد حتى الساعة الطريقة النموذجية الكاملة للتخدير التام أثناء الولادة بحيث لا تشعر الوالدة بألم أثنائها . وغاية ما أمكن الاهتداء اليه هو اعطاء المورفين أو ما شابهه بالحقن تحت الجلد أو في المستقيم لتخفيف بعض الاوجاع ، بشرط أن يكون الأعطاء قبل الوضع بعدة ساعات أو اعطاء نفثات من الكلوروفورم أو ما يشابهها قبل نزول الجنين مباشرة . ولكل من هذه الطرق — رغم نقصها عن تأدية الغرض المطلوب منها — مضاعفات وأخطار يعرفها كل من يباشر الولادة وان انكرها أو تجاهلها ذوو الاغراض السيئة الذين لا يبغون الا ابتزاز أموال الجمهور

في اعتقادى ان في نشر مثل هذه التجربة وهذه الاقوال ضررا بالغا للسيدات .. لان هذه الطريقة فضلاً عن أنها مستحيلة الاجراء بالمنازل ولا تصلح الا في حالات معينة لمن يلدن في المعاهد العلمية التي يديرها خبراء اخصائيون في هذا النوع من الحقن في هذا الموضع الدقيق من الجسم فانها قد تنتهي في بعض الاحوال بالكوارث كالوفاة من الاصابة التعفنية أو تسرب المركب المحقون في أحد الاوردة والتغير الشديد الفاجيء في ضغط الدم واصابة جذور الاعصاب المحركة بالشلل ووقوف الانقباضات الرحمية « الطلق » واحتمال كسر الابرة اثناء الحقن

ويروى الممارسون لهذه الطريقة رغم خبرتهم روايات عديدة عن حالات أشرفت فيها السيدات على الموت وكدن يذهبن فيها ضحية التخدير

ان أس الآلام في الولادة — في رأيى — هو الخوف والرعب والفزع وخير ما يخفف من وطأتها ويحد من لوعتها ، الكلام الحلو المعسول للوالدة وتهدئتها وتطمينها

دكتور محمود على السيد

الانسان الصناعى

استخدم الالمان ابان الحرب « دمى » صناعية متحركة لحراسة الحيوانات المعدة لها وقد أسفرت التجربة عن نجاح كبير

ومن خصائص هذه « الدمى » انها تطلق حزمة من الاشعة الكهربائية كلما مست الحيوانات الاسيجة القائمة حول الحظائر ، كما تنطلق من أفواهها بعد بضع ثوان أصوات أبواق عالية تفزع الحيوان وتحمله على الارتداد داخل الحظيرة

فى المسارح

ابتكر نوع جديد من المرايا تجهز به المسارح بحيث تجعل أيدى العازفين على مرأى من جميع النظارة ، مهما يكن وضع مقاعدهم من قاعة المسرح ، وبذلك يتحقق توفير أسباب التسلية والامتاع لكافة الرواد

ولقد بدىء باستعمال هذه المرايا فى شيكاغو

فى الظلام

اكتشف الكيماويون مادة فوسفورية اذا أضيفت الى حبر الطباعة أضاءت الكلمات المطبوعة فى الظلام ، واذا أضيفت الى مواد صناعة الورق أضيئت صفحاته . وقد تمكن رجال البحرية وقادة الجيوش بفضل هذا الاكتشاف من قراءة الرسائل والاطلاع على الخرائط ابان الليل وفى الاماكن المظلمة . وقد جرب البعض ادخال هذه المادة فى صناعة الاقمشة فنجحت التجربة . ولا يبعد ان تصبح للملابس الخارجية بعد حين طاقة الاشعاع الضوئى فتقل حوادث الطرقات فى الليل

القطن الملون

توصل علماء الروس الى استنباط طريقة ينبت بها القطن ملونا باللون الطبيعى الذى يريده المزارع

ولا يختلف القطن الملون عن القطن الابيض فى صفاته وميزاته وخصائصه

وقد بلغ محصول هذا النوع فى العام الماضى ٣٥٠ طنا ما بين كستنائى وأخضر وورديى واصفر وبرتقالى . ويأملون أن لا يقل محصول السنة الحالية عن ٧٠٠ طن

وقد لا يمر وقت طويل حتى تنعدم الحاجة الى الاصباغ فى صناعة المنسوجات

الصوف من اللبن

انتشرت فى ايطاليا ابان الحرب صناعة الصوف الصناعى من اللبن وهذا الصوف ناصع البياض عازل للحرارة وشابه الصوف الطبيعى من حيث الخواص الطبيعية . ويقال ان الهكتولتر من اللبن يعطى ٣ كيلوجرامات من الصوف ، وهذه تكفى لنسيج طوله ١٢ مترا . وبفضل هذه الصناعة لم تكن ايطاليا فى حاجة الى استيراد الاصواف من الخارج على الرغم من انها كانت تستهلك منه قبلا ما يزيد على ٣٥٠ ألف قنطار سنويا

للوقاية . .

يتوقع الاستاذ السير الكسندر فلمنج مكتشف البنسلين أن يدخل هذا العقار فى المستقبل فى تركيب معاجين الاسنان وكريم الحلاقة وكذلك فى صناعة مساحيق التبرج للسيدات

وقد قال فى محاضرة ألقاها فى نوتنجهام أن كل شخص يشكو من ألم فى حنجرته أو التهاب فى اللوز سيستطيع بعد الحرب الحصول من أى صيدلى على قرص من البنسلين يعمل حالا على ازالة الالم

مصل جديد

وفق العلماء فى جامعة « أوبسالا » فى السويد الى صنع مصل صناعى يمكن احلاله محل الدم على اختلاف انواعه وعيناته . وبذلك يوفر على الطبيب والمريض على السواء مشقة التنقيب والبحث عن اشخاص اصحاء يلائم دمهم دم المريض . ولقد اكتشفت مادة هذا المصل اثناء القيام بتجارب خاصة بالسكر

ومن الميسور ان يحضر هذا المصل على شكل مسحوق يستعمل عند الحاجة ، وذلك باذابته فى ماء مقل معقم . وقد أشرف على الابحاث الخاصة بهذا المصل الاستاذ تسيليوس رئيس معهد الكيمياء الحيوية فى أوبسالا

الحركة الفكرية

الاسلام وحضارة الغرب

كتب أحد أساتذة جامعة تورنتو في كندا مقالا عن أثر الاسلام في مدنية الغرب ، نجتزىء منه ما يلي :

لقد وصلت الثقافة الاسلامية الى أوربا عن طريق اسبانيا وصقلية وسوريا ، وليس من شك في ان حضارة الغرب مدينة للاسلام في كثير من حقول الثقافة وميادين العلم ، في الادب والفلسفة والعلوم والرياضيات والطب

ان الادب الالماني والفرنسي ولا سيما الشعبي منهما لا يزال يزخر بكثير من القصص الشرقية . وقد اقتبس الشاعر المشهور دانتي كثيرا من كتابات ابن سينا والغزالي وابن رشد . وقد اشتهر كتاب كليلة ودمنة في أوربا وترجم كتاب « السندباد » الى اللغات الاسبانية والانجليزية واللاتينية . وفي القرن الثامن عشر ترجمت كتب « ألف ليلة وليلة » وكثير من القصص الفارسية والتركية . وهنالك من يقول انه لولا هذه القصص لما استطاع الروائي الانجليزي دافو من خلق شخصية روبنسون كروزو ، والروائي سويفت من ابداع شخصية جوليفر . وفي سنة ١٧٧٤ نشر السير وليم جونس تعليقاته اللاتينية على الشعر العربي والفارسي . ومنذ ذلك الحين بات للشعر العربي والفارسي تأثيره المباشر على غوته وشيللر والروائيين الالمان ، وفي القرن التاسع عشر ترجم فتزجيرالد رباعيات عمر الخيام الى الانكليزية

وقد كان تأثير الموسيقى الاسلامية على الموسيقى الغربية عمليا ونظريا كما كان للاسلام تأثيره العظيم على القانون والتصوف في الغرب

واذا ذكر جابر بن حيان ذكر توا التطور الذي حدث في علم الكيمياء في الغرب ولا سيما في وسائل التبخير والتقطير واذابة المعادن والتبلور وغيرها . وتأثر طب الغربيين في القرون الوسطى بما كتبه المسلمون وخاصة فيما يتعلق بتشخيص الامراض والعلاج ووصف الادوية وتهيئتها ، وقد ترجمت مصنفات كبير أطباء المسلمين « الرازي » الى اللاتينية في القرون الوسطى وكذلك مؤلفات « ابن سينا »

وليس من ينكر فضل « الخوارزمي » في تقدم علم الجبر وفضل « ثابت بن قره » في علم الفلك و « ابن خلدون » في علم الاجتماع

التأنيب وعلاقته بالعمر

يؤمن أكثر المعلمين ايمانا راسخا بقيمة التأنيب وفعله ، ويعتقدون انه باعث قوي يدفع التلاميذ الى الاجتهاد والتقدم . ورغم هذا فقد أجريت في العشر سنوات الاخيرة عدة تجارب تبين منها ان التأنيب باعث لا يتميز بنفعه ، بينما المدح أو الثواب بصفة عامة أكبر أثرا وأقوى استنهاضا للهمم

وقد أجريت التجربة التالية في احدى المدارس الامريكية :

أعطى اختبار في الحساب لمائتين وأربعة وثلاثين تلميذا من الفرق الدراسية الثالثة والسادسة والتاسعة والثانية عشرة (يبدأ الطفل في أمريكا بالفرقة الاول فصاعدا) . وقسم المختبرون الى فئتين احداهما للتجربة والاخرى للمقارنة وأجرى على كل منهما الاختبار مرتين . وفي أثناء الاختبار الثاني وجه الى فئة التجربة تأنيب شفوي على سوء عملها وضعف ما قام به أفرادها في الاختبار

الاول . فظهر ان الفئة التي وجه اليها التأنيب والتوبيخ قد ساء عملها في الفرقة الثالثة وتقدم عملها في الفرقة السادسة ولم يتغير عملها الا قليلا في الفرقتين التاسعة والثانية عشرة . وفي تجربة أخرى تشبه هذه التجربة — طلب فيها القيام بعمل حركي — تبين ان التوبيخ أدى الى تحسين العمل في أفراد الفرقتين الثالثة والسادسة وأضعفه قليلا في الفرقة التاسعة ، ولم ينتج عنه سوى تغير يسير في الفرقة الثانية عشرة

ورغم أن هذا يدل على اختلاف أثر التأنيب تبعا لاعمار الاطفال وتبعا لمادة التجربة ، الا أن النتائج تدل بصفة عامة على انه لا ينبغي اعتبار التوبيخ طريقة مجدية في دفع التلاميذ الى تحسين عملهم في المدرسة   عن مجلة « علم النفس »

التعاون الدولي

لدعم الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كان قادة الامم فيما سبق يحصرون تفكيرهم في دائرة محدودة هي دائرة التدبير السياسي مجردا عن أي اعتبار آخر ، ولكنهم في هذا العصر أخذوا يوسعون من دائرة تفكيرهم وتدبيرهم اذ ظهر لهم ان التطور السياسي لا يمكن ان يؤتي ثمره ولا أن يؤدي الى النهوض بحياة الامم الا اذا كان مقرونا بالتطور الاقتصادي والاجتماعي حتى تكون الامة في نهوضها وفي تطورها وحدة متماسكة لا يتخللها الضعف في أية ناحية من نواحيها .

لهذا يهتم رجال السياسة ومن بأيديهم مقاليد الامور في الامم بوضع المسائل الاجتماعية والاقتصادية نصب أعينهم فيما يرمون من اصلاح ويقصدون من قيام التعاون الدولي بين الامم لتحقيق حياة السعادة والرفاهية للانسانية عامة .

وقد بدا هذا الاهتمام واضحا في الوثائق التي أذيعت من أعمال مؤتمر « دمبارتن أوكس » الخاص بانشاء هيئة دولية لتوطيد السلم والامن ، اذ تضمن الفصل التاسع من المقترحات التي وضعتها الحكومات المشتركة في المباحثات مايجب من التدابير للتعاون الدولي الاقتصادي والاجتماعي فأناط بالهيئة الدولية « أن تيسر الحلول للمسائل الاقتصادية والاجتماعية الدولية وسواها من المشاكل الانسانية ، وان تعمل على احترام الحقوق الانسانية والحريات الاساسية » على أن تكون مسئولية الاضطلاع بهذا العمل من حق المجلس العام ، ومجلس اقتصادي اجتماعي يعمل باشراف المجلس العام أيضا

قردة الطب

يقول الدكتور عمر شوقي في مقال له عن التدخين : كما أن الزهري يلقبونه « قرد الطب » لانه يقلد كل مرض في الانسان ، كذلك الدخان يمثل نفس هذا الدور لانه :

١ — قد يسبب ذبحة صدرية تسمى « ذبحة المدخنين » لها آلام وأعراض الذبحة الصدرية نفسها ، بيد ان الاولى قد تستمر مدة طويلة وهي تظهر غالبا عند المدخنين ما بين سن الخامسة والاربعين والخامسة والخمسين

٢ — كثرة ادخال « النيكوتين » الى الجسم يسبب الامساك المزمن بانقباض في أية جهة من المصران ، وقد يكون ذلك في جهة المصران الاعور فيحدث اشتباه في أمره بأنه الزائدة الدودية وعند ترك الدخان تتلاشى هذه الاعراض

٣ — يسبب خفقان في القلب ولا سيما عند الرجال المصابين بالنورستانيا والسيدات المصابات بالهستريا

٤ — يحدث صداعا

٥ — يزيد العصير المعدي وهذا ينجم عنه الحموضة والتجشؤ مع آلام في المعدة عقب الاكل وهذه الحالات تدفع صاحبها بتأثير الوهم للتدخين

٦ — يسبب سرعة النبض وقليلا ما يسبب بطئا في النبض وقد وجدوا أن الجنود الذين

يريدون الهروب من الجيش يعمدون الى أكل الدخان ليزيد النبض

٧ ـ يحدث تصلبا فى الشرايين ولا سيما شرايين القلب والاطراف

٨ ـ ينجم عنه التهاب مزمن فى المعدة وفقدان الشهية للطعام وتغير طعم الفم مع احداث رائحة كريهة فيه وكسوة اللسان بطبقة تشبه الصدأ مع ميل الى القيىء وشعور بانتفاخ البطن

٩ ـ يكثر التفكير القاتم المظلم ، ولذلك لا يخلو نوم المدخنين من الانزعاج

وقد دلت اعترافات الاغلبية من المجرمين انه عند الشروع فى ارتكاب جريمته قد يصيبه التردد ولكنه لا يكاد يدخن سيجارة حتى يقدم على ارتكابها فورا

فى التربية

يقول برنارد شو فى كتاب جديد أصدره أخيرا بعنوان « الدليل السياسى للرجل العادى » ضمنه آراءه فى التربية : « لا تزال المدارس سجونا يبعث الآباء بأطفالهم اليها لكيلا يكونوا عقبة فى الطريق .. وان أدل شيء على العجز عن تغيير نظمنا تغييرا يتمشى مع حقائق التطورات الاجتماعية والطبيعية هو نظامنا المدرسى

« ينبغى أن تنظم حياة الطفل فى مراحلها المتعاقبة بشكل يكفل خلق رأى اجماعى قوى بين الاطفال . ويجب ان يغرس التعليم فى نفسية الطفل معنى الحرية والاستقلال بالرأى والاعتداد بالنفس كما يجب ان يحقق له الربح المادى ، الجوائز والكتب والاوسمة والشارات . بهذه الصورة وحدها يمكن تدريب الاطفال على أن يكونوا مواطنين صالحين وناخبين أكفاء

« ولا بد من الغاء الامتحانات المقرونة بتعظيم الفير واحباط مساعيهم . ولتكن المنافسة بين الجماعات لا الافراد ، لان ذلك مما يحث أعضاء كل جماعة على أن يتبادلوا معلوماتهم ويساعدوا بعضهم بعضا »

آرثر ادنجتن

لقد ساهمت بريطانيا بنصيب كبير فى الخطوات الواسعة التى خطتها المدنية فى السنين الاخيرة من حيث الاختراع والبحث والاستكشاف . ومن علماء الانجليز الذين كان لهم الفضل فى تقدم علم الفلك والرياضيات السر آرثر ادنجتن

وقد اذاعت الصحف أخيرا بأ وفاته . وليس من شك فى ان العلم قد خسر بوفاته خسارة جسيمة

ولد ادنجتن فى كندال بانجلترا عام ١٨٨٢ وتعلم فى كلية أوين وفى منشستر وفى كلية ترنتى بجامعة كمبردج . وفى سنة ١٩٠٧ حاز جائزة سمث اعترافا بنبوغه وفضله . وانتخب بعد ذلك زميلا فى جامعة كمبردج ، ثم عهد اليه بمنصب المساعد الاول فى مرصد جرينتش الفلكى . وفى عام ١٩١٣ صار أستاذا لعلم الفلك فى كمبردج ثم عين مديرا لمرصدها كما انتخب عضوا فى الجمعية الملكية . وقد ظفر بجائزة غوبكنز وبالمدالية الذهبية من الجمعية الفلكية ومدالية بروس ومدالية هنرى درابر وهى المدالية التى تمنحها الاكاديمية الوطنية للعلوم . وقد كان فوق ذلك محل عطف الدولة فمنحته لقب «سير» وأحاطته بالرعاية والتقدير . ولا ريب فى أن هذا العطف من جانب الدولة وتلك الجوائز العديدة تدل دلالة واضحة على فضله وعلمه وجهوده

ولعل من أبرز ما امتاز به ادنجتن تقديره لاهمية النظرية النسبية لا سيما فى أول ظهورها ، فقد شغف بها وبحثها ودرسها درسا عميقا ، فتمكن من اخراجها فى صورة تعد واضحة اذا قورنت بالصورة التى جاء بها غيره من كبار العلماء الرياضيين . ولم يقف عند هذا الحد ، بل استطاع أن يضيف الى هذه النظرية اضافات هامة وضعها فى رسالة ظهرت عام ١٩٢١

الكتب الجديدة

الفاروق عمر

للدكتور محمد حسين هيكل باشا

مطبعة مصر · في ٣١٨ صفحة

رحم الله عمر ، ورضي عنه ! لقد ظل اسمه وسوف يظل أبد الدهر علما في التاريخ على العدل والنزاهة والحزم وحسن الرأى وصدق الارادة والتجرد لله ولدينه

وقد شاء الدكتور هيكل باشا أن يقدم هذه الشخصية الفذة لشباب اليوم ، عسى ان تكون حافزا لهم على تأثر خطواته والنسج على منواله ، فوضع هذا الكتاب النفيس في اسلوب رصين ممتاز ، جمع بين قوة البيان ودقة البحث ، فكان آية في عالم التأليف وثروة فكرية تعتز بها المكتبة العربية

والكتاب في جزءين تناول المؤلف في فصول الجزء الاول ، وعددها اربعة عشر فصلا صورا من حياة عمر في جاهليته ، وفي العهد الاول من اسلامه ، حين صحبته رسول الله ، وحين مقامه الى جانب أبي بكر ابان خلافته ، وحين آلت اليه امارة المؤمنين ، بعد ان قضى الصديق على الردة في بلاد العرب ، فمهد بذلك لوحدتها السياسية ، ثم مهد للفتح وللامبراطورية بغزو العراق والشام

وقد عرض الجزء الاول كذلك كيف تابع عمر هذه السياسة من يوم استخلف ، فوثق أواصر الوحدة العربية في شبه الجزيرة ، وأزال ملك الأكاسرة من العراق وملك القياصرة من الشام ومد وحدة العرب من خليج عدن الى أقصى الشمال من بادية السماوة

اما الجزء الثاني فانه يتناول ما حدث بعد فتح العراق والشام الى مقتل عمر ، ويعرض الالوان المختلفة لهذا العهد في السياسة والاجتماع والفقه ، وينتهي بخاتمة رائعة تصور الامبراطورية الاسلامية في نشأتها وتطورها وتفاعل عناصرها

والحق ان الكتاب بجزأيه مجهود جبار ، ولسنا نشك في ان رجال التاريخ والادب والفلسفة والاجتماع سوف يقدرونه حق قدره

ظهر الاسلام

للاستاذ احمد أمين بك

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

في ٣٨٩ صفحة

هذا الكتاب هو الحلقة الثالثة من سلسلة البحوث الشائقة التي عنى باخراجها الاديب البحاثة الاستاذ احمد أمين بك . وقد بدأها بكتاب « فجر الاسلام » ثم اتبعه بكتاب « ضحى الاسلام » ولا حاجة بنا لتعريف المؤلف للقراء فهو معروف برشاقة اسلوبه وجمال عرضه واشراق ديباجته

وموضوع الكتاب موضوع جديد على طريفه، فقد تناول فيه الحياة الاجتماعية والفكرية منذ عهد المتوكل حتى آخر القرن الرابع الهجرى . وقد قسمه الى عدة أبواب تشتمل على بحوث دقيقة مستفيضة عن سكان المملكة الاسلامية ومذاهبهم وأديانهم ومظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية والفلسفية في كل من مصر والشام والعراق وفارس ابان ذلك العصر

وليس من شك في ان هذا السفر الشامل يعد ثروة جديدة لقراء العربية يضاف الى سوابق التاجه في الادب والتاريخ ، كما انه مجهود علمي جليل جدير بالتقدير والثناء

المكرميات

للاستاذ احمد قاسم جودة

مطبعة حسنى . فى ٢٢٤ صفحة

مجموعة رائعة ممتعة من خطب وبيانات ومقالات للمجاهد الكبير مكرم عبيد باشا من فجر الثورة حتى اليوم ، يجد فيها القراء لمحات وضاءة عن حياة رجل السياسة ، ورجل النضال ، ورجل المحاماة ، ورجل البيان ..

يقول جامعها انه شغل بجمعها ثلاثة أشهر ، ولا عجب فى ذلك فخطب مكرم تملأ عشرات الكتب ، ومعظمها من القطع النموذجية فى قوة الخيال وروعة المنطق وجمال الاسلوب وسحر البيان . وأغلب الظن ان الحيرة أدركت الاستاذ قاسم جوده وهو يفكر أيها يأخذ وايها يدع ، وهو يقول فى مقدمة هذا الكتاب :

« انه الدعاية الحزبية أو السياسية لجماعة بعينها أو لحزب بعينه أو لمكرم باشا نفسه ، لم تكن قط عاملا من العوامل التى حفزتنى لاصدار هذه المجموعة ، وانما أردت أولا وآخرا أن اجمع شتات ثروة وطنية وتاريخية وأدبية خليقة أن تكون فى مكتبة كل مصرى ، بل كل عربى تنبض فى عروقه دماء الحرية وتضطرم نفسه بنداء الحق الذى لا تقف فى وجهه قوة .. لذلك سجلت ما يهم كل مصرى ، وكل وطنى وكل عربى كائنا ما كان لونه السياسى أو الحزبى . يستوى فى ذلك أصدقاء مكرم باشا وخصومه اجمعون »

وقد تصدر هذا الكتاب بمقال عن مكرم الاديب بقلم معالى حفنى محمود بك ومقال آخر للاستاذ قاسم جودة عن مكرم الانسان ومقال ثالث للاستاذ عباس محمود العقاد عن المدرسة القتالية ختمه بهذه العبارة :

« وكذلك نرى أن هذه « المكرميات » هى من ثمار الادب المطبوع فى بابه وأسلوبه . لانها أدب الاديب الذى نشأ نشأة مكرم وتلقى تراث المدرسة القتالية فى أوجها ، وطبع على العمل الدائم والشواغل الكثيرة ، وكل أدب مطبوع فهو أدب صاحبه لا يتكرر لغيره ، وكذلك هذه الخطب والفصول الشائقات التى تقرأها فى هذه المكرميات »

على ضفاف دجلة والفرات

للاستاذ طاهر الطناحى

نشرته دار المعارف فى ٢٤٠ صفحة

ربما كانت الدولة العباسية اسطع الدول الاسلامية تمدنا واقواها صولة ونفوذا وأوسعها جاها وأعزها سلطانا واقناعاعلما وأوفرها بذخا واكثرها ثراء

فى كتاب « على ضفاف دجلة والفرات » متن واف لتاريخ بنى العباس بقلم الكاتب البحاثة الاستاذ طاهر الطناحى . ولكنه يختلف كل الاختلاف عن المألوف فى علوم التاريخ . فهو سلسلة من القصص عن الحوادث البارزة فى تاريخ بنى العباس تنتظم فيها خمس عشرة حلقة وكل حلقة قصة قائمة بذاتها محورها علم من أعلام هذا التاريخ وما حف حوله من رجال السياسة الدهاة . وقد تبسط المؤلف فيما اشتغلوا فيه من تصاريف الشؤون وما خفره دهاؤهم من الاحابيل والمكايد وما أحاط بهم من الفتن وما اقتحموه من الحروب الأهلية فى سبيل تنازع الخلافة التى هى بؤرة الحكم الاعلى ومصدر الامر المقدس

القصة الاولى قصة ابى العباس المنتزع الخلافة من مروان بن محمد على آخر خلفاء بنى أمية فابتدأت دولة العباسيين بزوال دولة الامويين والقصة الاخيرة قصة الامين المأمون ابنى هرون الرشيد . وفيها استلبت الدولة الفارسية سلطة الخلافة من الدولة العباسية بشخص المأمون الذى كانت أمه فارسية

وبين هاتين القصتين ثلاث عشرة قصة متتالية عن الاعلام الذين تعاقبوا فى ٦٦ سنة فى حكومات

الدولة السياسية وما كان لهم من اليد فى بنيانها وما شيدوه من عظمتها ومجدها وابهتهـا وما نشروه من علومها وفنونها

وفى كل قصة من هذه القصص احداث وأحاديث منحصرة فيها بأسلوب قصصى فكه جدا وسهل . فلا تنتهى من قصة حتى تتخطى الى قصة أخرى مشوقا . ومتى انتهيت منها جميعا والتفت بذكراك الى ما قرأت شعرت انك قرأت تاريخ بنى العباس مفصلا واستوعبته بلا عناء

ليس فى هـذه القصص شىء من مخترعـات الخيال ولا فيها شخصيات غريبة عن التاريخ ولا اندمج فيها حوادث غير موجودة فى التاريخ . بل هى كلها تواريخ أفراد هذه الدولة الاعلام . ولكن هو الاسلوب القصصى الذى اخرجها من شحنات التاريخ الجامد الى طراز الرسالة القصصية

هو اسلوب جديد فى كتابة التاريخ لم يسبق الاستاذ الطناحى أحد اليه . فحبذا لو يتناول الاستاذ جميع مراحل التاريخ العربى الاسلامى فى سلسلة من الكتب القصصية على هذا النحو فيجعل دراسة هذا التاريخ مستحبة عند القراء عموما والطلبة خصوصا نقولا الحداد

الصهيونية

للدكتور سعدى بسيسو

فى ٢٦٦ صفحة

نشط الصهيونيون فى الدعاية التى لا تقوم على غير الاباطيل ، فى اكتساب الرأى العام فى أوربا والولايات المتحدة الى جانبهم ، والظفر بالانصار فى البرلمان البريطانى والكونغرس الامريكى ووزارات الخارجية والمؤتمرات الدولية وقد ساعد على ذلك فقدان أسباب الدعاوة العربية — لا سيما فى بريطانيا العظمى وأميركا — وقلة ما يكتب وينشر عن النهضة العربية وواقع الامر فى فلسطين

لذلك عنى الدكتور بسيسو بدراسة « الصهيونية » وبحثها بحثا علميا ، وتحليل ادعاءاتها ومزاعمها ، والرد على أقاويلها ومفترياتها وايضاح أخطارها ومطامعها فى فلسطين . وهو يقول فى مقدمة هذا السفر الجامع : « عسى ان يجد فيه القارىء العربى مادة نافعة تجعله يدرك بوضوح جناية الصهيونية على فلسطين العربية وما سببته لها من نكبات وجرته عليها من ويلات ، فينهض للعمل على تحرير فلسطين وتخليصها من براثن الانتداب ومخالب الصهيونية ، اذ ان فلسطين فى حاجة ماسة لجهود العرب كافة فى الشرق والغرب ، وهى ملكهم عامة وأمانة فى أعناقهم أجمعين »

وقد وفق المؤلف فى الاحاطة بحقيقة الصهيونية وجلاء الغامض فيها توفيقا يدعو الى التقـدير والثناء

صديق العائلة

للدكتور مصطفى الديوانى

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ليس المؤلف طبيبا بارعا فحسب ولكنه أديب موهوب ، لذلك جمعت مؤلفاته وكتاباته بين دقة البحث العلمى وتبسيط الكاتب الاريب وهو يقول فى مقدمة هذا الكتاب :

« لقد قصدت ان يكون صديق العائلة بحق ، يرجع اليه أفرادها كلما عرضت لهم صعوبة فى توجيه أطفالهم فى نواحى الحياة المختلفة ، ولقد تعمدت التفصيل فى المشاكل الجنسية عند الطفل وفى وسائل تحديد النسل لانها فى اعتقادى عقدة صعبة الحل على الوالدين »

ويحوى الكتاب الى جانب هذه الموضوعات الهامة تفصيلات شاملة عن تغذية الطفل وبعض أمراض الاطفال الكثيرة الانتشار . وقد وفق المؤلف كل التوفيق فى بلوغ هدفه وخلق صديق وفى نحن فى أشد الحاجة اليه فى الشرق العربى

حياة الوصي الأمير عبد الاله

لشيخ العراقيين الأستاذ رضا آل كاشف

مطبعة دار النشر والتأليف. في ١٨٥ صفحة

قرظ الامام الاكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف هذا الكتاب فقال : « لا شك ان شرف الكتاب بشرف موضوعه . وقيمته على مقدار قيمة مباحثه . اذن فما أحرى هذا الكتاب بالشرف وهو يترجم للسادة الاشراف ويعطر الارجاء بعبير ذكرى كل غصن من الدوحة النبوية والشجرة الطيبة المباركة التي جاءت رحمة للعالمين . وكان من أغصانها الفارعة وثمارها اليانعة صاحب النهضة الملك الحسين بن علي وأنجاله وأحفاده مثل الملك الجليل وسمو الوصي الذي تنبئك عن فضائله رقة شمائله ، وعن شرف عنصره جمال منظره ، وعن سمو خصاله محاسن أعماله »

وقد قسم المؤلف كتابه الى جزأين ، تناول في الجزء الاول تاريخ حياة سمو الوصي منذ يوم ولادته حتى نودي به وصيا على عرش العراق سنة ١٩٣٩ ويتضمن الجزء الثاني أعمال سموه منذ عهد وصايته حتى اليوم

محمد طلعت حرب

مطبعة مصر . في ١١٥ صفحة

للدكتور ابرهيم عبده والأستاذ علي عبد العظيم

« قضى طلعت حرب الى رحمة الله ، ولكنه ببنك مصر وشركات مصر قد أصبحت ذكراه جزءا هاما من حياة كل مصري ، لا ينساها الا اذا استطاع ان ينسى وجوده المادي والمعنوي على السواء ..

« وليست هذه الذكرى جزءا هاما من حياة هذا الجيل فحسب ولكنها ستمضي عبر الاجيال القادمة ما بقي بنك مصر وما بقيت شركات مصر وما بقي كتاب النهضة الاقتصادية الوطنية مبسوطا لمن أراد أن يضيف اليه من البناة والمنشئين سطورا أو صفحات ... »

والكتاب الذي تقدمه للقراء يحيط بجهود هذا المصري العظيم ويصور خدماته تصويرا صادقا ، وضعه المؤلفان في مناسبة مرور ربع قرن على اجتماع أول جمعية تأسيسية لمساهمي بنك مصر وفاء لرجل وقف حياته لخدمة الشباب وضرب لهم أروع الامثلة لخدمة البلاد

القومية والعروبة

للاستاذ نقولا زيادة

مطبعة اللواء بالقدس . في ١٠٥ صفحات

هذا الكتاب دراسة دقيقة للادوار التي مرت بها القوميات في الغرب حتى تكونت الامم الغربية العظمى ، وكذلك الامة التركية الحديثة ، ثم الادوار التي مرت بها الامة العربية حتى صارت ذات كيان قومي، وقد كان لها يوم مجيد وتاريخ حافل بالعظائم . ثم بين المؤلف ما ينقص هذه الامة من المؤهلات والاسباب لتعود الى ماضي عزها ومجدها

وليس من شك في أن مثل هذه الدراسة القيمة تؤدي الى تفادي الاخطار التي وقع فيها الغير في أدوار نموهم القومي ، وتسديد الخطى في طريق النهضة القومية الصحيحة ، ولا سيما وأننا اليوم في دور يقظة اجتماعية وبداية وعي قومي جديد

والاستاذ نقولا زيادة خريج جامعة لندن ، ويقوم بمهنة التدريس في الكلية العربية والمدرسة الرشيدية بالقدس وله بحوث كثيرة موفقة في الادب والاجتماع والتاريخ . وهو فوق ذلك من الشباب الفلسطيني الذي يتأجج وطنية وغيرة ، ولعل ذلك يتجلى في الفقرة التالية التي نقتبسها من خاتمة كتابه

« نحن أمة ، وعلى هذا لنا الحق كل الحق في أن تكون لنا على نفوسنا وفي بلادنا سيادة تامة، ولنا الحق كل الحق في أن نقرر مصيرنا وشؤوننا على ضوء تاريخنا وعلى ضوء ما نقتبسه من مدنية

العالم الحاضر . وبذلك نتمكن من القيام بواجبنا نحو العالم الحر فنخدم الحضارة العالمية الحديثة على نحو ما خدمناها فى سالف العصور

« قال النبى: من رأى منكم خطأ فليقومه بيده، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . فهل لى ان أدعو أبناء قومى وبنى أمتى الى أضعف الايمان ! »

زوبعة الدهور : وجوه وحكايات

للاستاذ مارون عبود

منشورات دار المكشوف . فى ٢٧٤ صفحة

كتابان جديدان للاديب النقادة الاستاذ مارون عبود ، أحدهما عن ابى العلاء المعرى عرض فيه الى الكثير مما يتصل بالمعرى ، لا سيما الآراء السرية التى شاعت فى عهد الفاطميين وكان لها أثرها فى فلسفته ، وقد تضمن الكتاب آراء وملاحظات حصيفة عن عصر الاسرار ، ودعوة ابى العلاء ، ومدرسته ومعتقداته . واستطاع المؤلف بأسلوبه اللاذع الساخر أن يشرح المعضلة العلائية شرحا خالف فيه الكثيرين ممن عرضوا لابى العلاء . والكتاب الثانى « وجوه وحكايات » هو لون من القصص اللبنانى ، يصور الكثير من العادات والاخلاق اللبنانية . والاستاذ مارون من الادباء اللبنانيين الموهوبين الذين يعرفون الخصائص اللبنانية حق المعرفة، فهو اذا كتب عنها فمن خبرة ودراية

ذكرى الافغانى

للاستاذ عبد المحسن القصاب

مطبعة الرشيد ببغداد . فى ١٦٦ صفحة

توفى السيد جمال الدين الافغانى عام ١٨٩٧ فى الاستانة ودفن بها . وقد بقى رفاته بها منذ ذلك الحين حتى عزمت الحكومة الافغانية على نقله الى مسقط رأسه الافغان . وفى طريق نقله اجتاز العراق فاستقبله الشعب العراقى استقبالا فائق النظير ، عبر فيه أجمل التعبير عما تكنه الامة العربية من تقدير واعجاب نحو هذا المصلح الكبير

والكتاب الذى بين أيدينا سجل واف لانواع الحفاوة التى أظهرها العراق نحو رفات الافغانى، وقد جمع الكلمات التى ألقيت فى الحفلات والمقالات التى نشرت فى الصحف . والافغانى — كما يقول المؤلف — واحد من أولئك الابطال العالميين الذين يفلتون من الطبيعة ، فيغيرون مجرى الحياة ويحولون سير التاريخ ، ويكونون من أمتهم كل شىء . فمن حق الشعوب الاسلامية كافة أن تجعل منه منارا تهتدى به ومرشدا تسير وراءه . وليس أدل على يقظة الامم وحسن تبصرها من تقدير العاملين لخيرها ، الساعين لعزها

الانجليز كما عرفتهم

للاستاذ أمين المميز

مطبعة سكك حديد العراق . فى ٣٠٩ صفحات

من أقوال الفرنسيين المأثورة « من المستحيل أن تكره شخصا اذا عرفته معرفة حقة » وما يصدق على الاشخاص يصدق على الشعوب ، فلو عرفت شعوب الارض بعضها بعضا حق المعرفة ، وأدرك الشعب الواحد المثل العليا والشعور والافكار والميول للشعب الآخر ، واطلع على آلامه وآماله وطرق حياته لساد التفاهم والتآخى

والكتاب الذى بين أيدينا محاولة ناجحة لتعريف القارىء العربى بالانجليز وعاداتهم وتقاليدهم وحياتهم السياسية والاجتماعية

وعلى الرغم من ان هذه الدراسة ليست الاولى من نوعها — كما يقول فخامة السيد توفيق السويدى فى مقدمة هذا الكتاب — الا أن محاولة المؤلف لجمع شتات الخواص والميزات للشعب الانجليزى وعرضها على القارىء العربى بأسلوب سهل وصيغة واضحة لمن أحسن المحاولات الموفقة الجديرة بالتقدير والتشجيع

العصر العباسى الأول

للدكتور عبد العزيز الدورى

مطبعة التفيض الاهلية . فى ٢٨٠ صفحة

هذا الكتاب مجموعة محاضرات ألقيت على طلاب دار المعلمين العالية فى بغداد تتناول التاريخ السياسى والادارى والمالى للعصر العباسى الاول

ورسالة هذه المحاضرات — كما يقول المؤلف — هى تعويد الطلاب على طريقة البحث العلمى فى مجابهة معضلات التاريخ

وقد إعتمد الدكتور الدورى فى ابحاثه على أوثق المصادر التاريخية وأصدق المراجع

مشكلة الفلاح

للاستاذ صادق سعد

لجنة نشر الثقافة الحديثة . فى ٨٠ صفحة

هذا البحث محاولة جدية لدرس مشكلة الفلاح تقوم على أسس اقتصادية علمية ، ومحاولة لوضع الخطط العامة للاصلاحات التى يجب ان تضطلع بها الحكومة حتى يرتفع مستوى المعيشة لثلاثة أرباع المواطنين المصريين

وقد قالت لجنة نشر الثقافة الحديثة فى تقدمة هذا الكتاب « انه صفحات حرة علمية وتجربة ثقافية غير مغرضة ومعول يشارك فى هدم الاضاليل الشائعة »

الشعراء الفرسان

للاستاذ بطرس البستانى

دار المكشوف . فى ٢٣١ صفحة

للشعر الجاهلى فى مختلف أغراضه وابوابه نفحات من البطولة والكبر تفرده عن سائر الشعر العربى فى مختلف العصور . حتى ان ابا تمام الطائى عند ما عنى بجمع أشعار المتقدمين ، اطلق على مختاراته اسم « ديوان الحماسة » مع أنها تشتمل على فنون من غير هذا الباب . وكذلك البحترى حذا حذوه فأعطانا « حماسة » ثانية تضم فى طياتها أغراضا شتى من كلام العرب

فكأن الشاعرين العباسيين نظرا الى الشعر القديم، وقد أرادا الاختيار منه ، فألفيا الفروسية تبرز فى جميع أقسامه ولا يستثنى من ذلك الغزل والشكوى والحكم . فلم يجدا لمجموعتيهما اسما أفضل من الحماسة تعبر بمعناها ليس عن الباب المستقل بها فحسب ، بل عما عداه من الابواب والاغراض التى تنبعث من اجزائها نفثات الشعراء الفرسان

والكتاب الذى بين أيدينا دراسة عميقة مستفيضة صيغت فى اسلوب قوى رصين للشعراء « الفرسان » أو بعبارة أخرى لشعراء العصر الجاهلى

فى قرى الجن

للاستاذ جعفر خليلى

مطبعة الغرى . فى ١٦٠ صفحة

عرض شامل لبعض الخرافات التى لم يزل يعتقد بصحتها كثير من السذج على الرغم من النتائج الوخيمة التى تنجم عنها ، وقد تطرق المؤلف الى ما سماه « حكومة الجن » ونظمها ومؤسساتها ، فوصفها وصفا مسهبا وقارن بين نظمها ونظم « حكومة الانس » التى تتأخر عنها فى مراحل الحضارة والمدنية بأشواط . وقد وفق الى تصوير تلك الحكومة الخيالية تصويرا رائعا حتى بات يخيل للقارىء انه حقا وسط بلاد الجن وبين صفوف سكانها

وهكذا تمكن الاستاذ خليلى من تشخيص كثير من الامراض الاجتماعية والادواء المزمنة الفاشية بين الكثيرين باسلوب قصصى شائق جذاب

ثلاث عقبات فى الطريق الى المجد

للاستاذ ا. جمال الدين

دار الطباعة الاسلامية - فى ١٢٣ صفحة

موضوع هذا الكتاب دعوة شباب مصر وشاباتها ، طلبتها وموظفيها ، عمالها وفلاحيها، الى التفكير فى شؤون المجتمع المصرى. وقد أهدى المؤلف كتابه الى « شباب هذا الجيل وشاباته المختارين لحمل رسالة مصر العظمى والذين عليهم أن يذللوا العقبات الثلاث ، الفقر والجهل والمرض حتى يسيروا قدما فى طريقهم الى المجد »

وقد وفق المؤلف فى تصوير هذه المشاكل الاجتماعية الثلاث ، وفى توضيح الاخطار التى تهدد المجتمع المصرى من جرائها ، كما أفاض فى وصف أنجع السبل لعلاجها

مرايا الناس

للسيدة وداد سكاكينى

اذا أجاد المصور التصوير كاد الرائى يسمع الرسم ينطق . بل يراه يتنفس بصدر يتحرك ويرنو بعينين ساحرتين ليغض الناظر طرفه عنهما مهابة ذلك السحر ويتوهم ان الرسم يتتبعه ببصره كأنه يستهويه

واذا أجاد المثال فى صنع التمثال أوهم المشاهد انه يرى الصنم خطيبا من منصة يهول على الحضار بوقفته ونظرته ولفتته

أجل يستطيع ذو الفن ان يوهمك بالمجاز حقيقة وبالصنم جسما متحركا . وقد يريك فيه لمحة من عواطف

ولكن عمرك الله هل رأيت شعرا منثورا يصور لك الطبيعة صورا متتابعة كأنك تستعرضها استعراضا سينمائيا ، ويرسم لك الاخلاق رسوما بارزة كأنها اشباح ملموسة ، ويمثل لك العادات والتقاليد تماثيل عبر تقف أنت لديها مستعبرا ؟

هذا ما صورته ورسمته ومثلته السيدة النابغة وداد سكاكينى فى كتابها النفيس «مرايا الناس»

حقا انك ترى فى قصص هذا الكتاب مرايا الكثير من عادات قومنا وأخلاقهم وآدابهم . ترى فى هذه المرايا طيوف الغيرة والحب والتقوى والولاء والفضيلة والرذيلة والبخل والكرم والمروءة واللؤم الى غير ذلك من اخلاق البشر ، ترى جميع هذه الصفات موصوفة وصفا عجيبا حتى لكأنك ترى الشخص الواحد بجميع صفاته وأخلاقه وآدابه ماثلا لعينيك كأنك ترى المعانى الذهنية صورا حسية

اننا نرجو أن يستفيض قلمها الحساس بنوع آخر من هذا الطراز الممتاز ن.ح

قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة

لشيخ الاسلام ابن تيمية

دار المنار - فى ١٥٥ صفحة

أصدرت دار المنار الطبعة الرابعة من هذا الكتاب لشيخ الاسلام ابن تيمية وقد عالج فيه كثيرا من المسائل الدينية التى اضطرب فيها المتأخرون وبين مذهب السلف الصالح فيها كالتوسل والاستغاثة والدعاء والسؤال والشفاعة والقسم على الله ببعض مخلوقاته والاستسقاء والزيارة والخوارق وحدود التوحيد والشرك وحق الله على عباده وحقهم عليه والفرق بين المخلوق والخالق والقول فى التشريع ومراتب الحديث والمحدثين

بين الهلال وقرائه

حزب العمال

(القاهرة ــ كلية العلوم) ابرهيم عزيز

كيف نشأ حزب العمال فى انجلترا وما هى اهم مبادئه ؟

(الهلال) قرر مؤتمر نقابات العمال فى سنة ١٨٩٩ تأليف لجنة للنظر فى توحيد النقابات والجمعيات التعاونية وغيرهما من المؤسسات التى تهتم بشؤون العمال . وقد كانت هذه المؤسسات كثيرة العدد منها ما كان يدعو الى مبادىء اشتراكية أو يسارية منذ أواخر القرن الماضى وأهمها جمعية « الفابيان » التى تأسست سنة ١٨٨٣ وكانت تضم بعض المفكرين من الطبقات الوسطى ومن اتباع مذهب «جون ستيوارت ميل» فأعضاء هذه الجمعية هم من المؤمنين بمبادىء كارل ماركس ولكنهم لم يأخذوها على علاتها فهم لا يدينون بالمبادىء الثورية ولا يتخذونها وسيلة لتحقيق أهدافهم . كما ان بعض الجمعيات الدينية عملت على انعاش الوعى الاجتماعى فتولدت لدى نقابات العمال فكرة التدخل الفعلى فى السياسة فنشأ حزب مستقل للعمال بزعامة « كير هاردى » وهو من أقدم نواب العمال فى مجلس العموم . وفى الوقت الذى تأسس فيه هذا الحزب توحدت جهود الهيئات الاشتراكية ثم بدأ نشاط «سيدنى وبياتريس ويب» فى اثارة وعى العمال وتنظيم نقاباتهم وبث الدعوة لاحداث نظام اجتماعى واقتصادى جديد . وفى سنة ١٩٠٣ توحدت جميع هذه المؤسسات وتألفت «لجنة تمثيل العمال» التى أصبحت فى سنة ١٩٠٦ حزب العمال كما هو اليوم

والمبدأ الاساسى لحزب العمال البريطانى هو تأسيس دولة اشتراكية فى انجلترا تحل محل الدولة الرأسمالية القائمة، وهذه الدولة الاشتراكية تستولى على جميع وسائل الانتاج والمرافق العامة بعد ان تدفع لاصحابها تعويضا مناسبا، أو بعبارة أخرى يدعو الى الاستثمار المشترك الذى تقوم به الدولة بدلا من الاستثمار الفردى الذى يقوم به الافراد أو الشركات الرأسمالية

أما فى السياسة الخارجية فان الحزب يدعو الى لزوم تفاهم بريطانيا مع الدول الاخرى بالطرق السلمية والابتعاد عن سياسة التحدى . واذا ما ظهر للحزب ان أية حكومة انجليزية خالفت هذا المبدأ فانه يقاومها بكل قوة ويعمل على اسقاطها

السرطان

(الخرطوم) نجيب محمود

ما هى أعراض مرض السرطان ، وهل هو من الامراض المعدية ؟

(الهلال) يمكن تلخيص أعراض السرطان التى يتاح للمريض ملاحظتها فيما يلى :

١ ــ عقدة قابلة للنمو

٢ ــ قرحة لا تبرأ أو تبرأ ثم تنتكس

٣ ــ نزف أو افراز من أى عضو من أعضاء الجسم وبخاصة الاعضاء التناسلية النسوية أو من المستقيم أو من الجهاز البولى لاحد الجنسين

٤ ــ خال أو شامة، ولا سيما الشامة السوداء ذات الشعر التى تنمو وتنزف أو تبدو عليها أعراض التهيج

٥ ـ ظهور أعراض سوء الهضم بغتة بحالة مبهمة عند من لا يشكون علة أخرى من العلل

وليس ثمة دليل على كون الداء من الامراض المعدية ولم يثبت بعد أنه ناشيء من جرثومة معينة

النياشين المصرية

(العراق) حافظ عواد

أرجو الافادتي عن أهم النياشين المصرية

(الهلال) نيشان محمد على : أنشيء لتخليد ذكرى مؤسس الاسرة العلوية المالكة ، وهو فى المقام الاول بين النياشين المصرية . فلا يمنح الا لذوى الجدارة الفائقة ، أو لمن يؤدون للدولة خدمات استثنائية

نيشان اسماعيل: أنشيء لتخليد ذكرى المغفور له الخديو اسماعيل باشا ، وهو فى المقام الثانى بين النياشين المصرية . ويخصص لمكافأة من أدوا للبلاد خدمات جليلة . وهو على أربع طبقات

نيشان النيل : يمنح مكافأة للذين يمتازون بتأدية خدمات نافعة للبلاد، وهو على خمس طبقات

نيشان المعارف : يمنح للذين أدوا خدمات ممتازة للعلوم والمعارف ، وهو على ثلاث طبقات

نيشان الصناعة والتجارة : يمنح للذين أدوا خدمات ممتازة للصناعة والتجارة وهو على ثلاث طبقات

نيشان الزراعة ، يمنح للذين خدموا الزراعة المصرية خدمات جليلة وهو على ثلاث طبقات

نيشان الكمال : أنشأه المغفور له الملك فؤاد الاول وهو على أربع طبقات وخاص بالسيدات

الصهيونية

(القاهرة) قارىء

كيف نشأت فكرة الصهيونية، وهل بين اليهود من يعارضون هذه الحركة ؟

(الهلال) يعتبر تيودور هرتسل الصحافى النمساوى الواضع للحجر الاساسى الاول فى بناء الصهيونية . فقد ذكر فى كتابه «الدولة اليهودية» فى سنة ١٨٩٥ أن خلاص اليهود لا يتم الا بالهاجرة وتأسيس دولة يهودية مستقلة فى أرض جديدة . ولكنه كان يرى أن تقتصر الهجرة على أولئك الذين لا يطيقون البقاء فى البلاد التى يسكنونها ، أو الذين يرغبون فى الرحيل عنها

ولما عقد المؤتمر الصهيونى الاول فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ وافق على نظرية « الدولة الجديدة » كما صورها هرتسل وقرر أن مركز « دولة اسرائيل » الحديثة يجب ان يكون فى « أرض اسرائيل » القديمة ، أى فلسطين . وسميت هذه الحركة التى ترمى الى جمع اليهود فى فلسطين العربية باليهودية

ويقول الدكتور سعدى بسيسو فى بحثه عن « الصهيونية » ان كثيرين من اليهود قاوموا الحركة الصهيونية وناوأوها منذ نشأتها . وقد بلغ عدد هؤلاء المعارضين أكثر من ١٥ مليون يهودى بينما لم يبلغ اتباعها منهم مليونا واحدا . فنسبة الصهيونيين لم تزد عن ٦ ٠/٠ من مجموع عدد اليهود

فيرى اليهود المتدينون ان الرجوع للقدس فكرة دينية محضة ، وان انشاء مملكة اسرائيل لا يجوز البدء به بحسب التعاليم التلمودية الا من قبل المسيح وليس قبله أو على يد شخص آخر

ويرى يهود أوربا الغربية وامريكا ان تأسيس دولة يهودية فى فلسطين يؤدى حتما فى البلاد القاطنين فيها الى ايقاظ روح العداء بين الطوائف الاخرى نحوهم . وما أغناهم عن هذا بعد أن أصبحوا يتمتعون بالحقوق والامتيازات المعترف بها للرعايا الآخرين

مسئولية الوزراء

(بغداد) د٠ م٠ ١

ما هي مسئولية الوزراء المصريين أمام القانون وما هي الجزاءات التي يمكن توقيعها عليهم ؟

(الهلال) الوزير مسئول مدنيا كأي فرد عادي اذا قام بعمل نشأ عنه ضرر لاحد الافراد٠ وهو مسئول جنائياً اذا ارتكب في محل عمله أو في خارجه جريمة من الجرائم المنصوص عليها في قانون العقوبات أو في القانون الخاص بمحاكمة الوزراء ٠ كما أنه مسئول سياسيا عن أعمال وزارته التي يقوم بها بنفسه أو بواسطة مرءوسيه٠ والمسئولية السياسية جزاؤها الاستقالة، والمسئولية الجنائية جزاؤها يلحق بالشخص في جسمه أو ماله ٠ والمسئولية المدنيـة جزاؤها تعويض من أصابه الضرر

وقد نص الدستور المصري على أن « لمجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء فيما يقع منهم من الجرائم في تأدية وظائفهم ، ولا يصدر قرار الاتهام الا بأغلبية ثلثي الآراء٠ ولمجلس الاحكام المخصوص وحده حق محاكمة الوزراء عما يقع منهم من تلك الجرائم ٠ ويعين مجلس النواب من أعضائه من يتولى تأييد الاتهام أمام ذلك المجلس»

كما نص عـلى أن « يطبق مجلس الاحكام المخصوص قانون العقوبات في الجرائم المنصوص عليها فيه ٠ وتبين في قانون خاص أحوال مسئولية الوزراء التي لم يتناولها قانون العقوبات »

والقانون الخاص الذي يعنيـه الدستور هو قانون « محاكمة الوزراء » الذي يراد به النص على جرائم معينة لا يرتكبها الوزراء عادة الا بسبب ما لهم من نفوذ وسلطان

وقد نص في مشروع وضع لهذا الغرض ولم يصدر على عقوبات مختلفة بعضها الاشغال الشاقة، وبعضها الحبس مع الغرامة ، كما أضيف الى تلك العقوبات الحرمان من المزايا الوطنية

الجنون

(حلب ــ سوريا) زكريا الرفاعي

لقد أصيب طالبان من طلاب كليتنا بالجنون وبنوبات عصبية شديدة تركا الكلية بسببها٠ فهل يعزى سبب ذلك الى الاجهاد والاعياء الدماغي؟ والا فما سبب جنونهما ؟

(الهلال) ثبت ان الاجهاد العقلي لا يؤدي الى اضطرابات عصبية ، ولكنه يساعد على ظهورها اذا تهيأت الاسباب لوجودها ٠ ولقـد اختلفت الآراء في اسباب الجنون ، ولكن نظرية فرويد العالم النفساني الشهير يغلب ان تكون صحيحة في كثير من الحالات التي يصاب بها الشباب

يرى فرويد ان الغريزة الجنسية مصدر جميع الغرائز ، بل جميع الدوافع التي تحمل الانسان على العمل ، وهو يعزو جميع الاحـلام وجميع الامراض العقلية والعلل العصبية ــ مهما كان نوعها ــ الى عدم ارضاء هذه الغريزة ٠ وهو يقول : ان ارضاء هذه الغريزة بالطرق المعقولة من اسباب تنمية الجسم والعقل ، وتقويم الاخلاق وتقوية المواهب الانسانية بوجه عام ٠ أما كبتها أو سوء قيادتها ، فيؤدي حتما الى اضطراب عصبي وأمراض عقلية قد يصعب علاجها ، وتكوين عادات سيئة قد يكون من المستحيل التخلص منها



فهرس الهلال

الجزء الثالث من المجلد الثالث والخمسين